

1437 هـ - 2016 م

قمة السعادة في فضائل الشهادة

بقلم الشيخ
حمد حمود التميمي
~ حفظه الله ~

قمة السعادة

في فضائل الشهادة

بقلم الشيخ

حمد حمود التميمي

~ حفظه الله ~

الطبعة الثانية

طبعة مزيدة ومنقحة

١٤٣٧ هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

۞ مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين أما بعد:

فهذه الطبعة الثانية من كتاب قمة السعادة في فضائل الشهادة بهذه الحلة الجديدة بعد أن قمت بتعديل بعض المسائل فيه وأضفت فيه بعض النقولات على طبعته الأولى، فالطبعة الأولى لم تلق حظا من العناية والترتيب والتهذيب والمراجعة خصوصا وقد تم نشرها بعيدا عني بعد النفير فهذه هي النسخة المعتمدة للكتاب دون غيرها والله أسأل أن ينفع به الإسلام وأهله.

وصلى الله على نبينا محمد وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

حمد حمود التميمي

۞ المقدمة

الحمد لله الذي اصطفى من خلقه الشهداء، ووفقهم لمرضاته فكانوا من السعداء، وجعلهم عنده من المرزوقين الأحياء، وأعد لهم الدرجات العلى مع الصديقين والأنبياء، وزادهم فضلا فكانوا على أكثر الخلق فضلاء، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، والأولين والآخرين، المبعوث بالسيف بين يدي الساعة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، أما بعد:

فإن الله لما خلق الخلق لم يجعلهم على رتبة واحدة متساوية في الأعمال، ولم يجعل الناس أمة واحدة، بل قسم الخلق إلى مؤمنين وكفار، وإلى نبيين وصديقين وشهداء وصالحين وغير ذلك، كل بحسب عمله، وأقسم سبحانه أن سعينا وأعمالنا شتى مختلفة، وهذا من كمال حكمته وقدرته، وكذلك لما جازى الخلق على أعمالهم، لم يجعل الجزاء على درجة واحدة مهما كانت أعمالهم، فلم يجعل المسلمين كالمجرمين، ولا الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمسيء، ولا المقربين كأصحاب اليمين، وقد نفى الله التسوية في القرآن بين العالم وغيره، والخبيث والطيب، والأعمى والبصير، والظلمة والنور، والظل والحرور، وأصحاب الجنة وأصحاب النار، والأبكم العاجز الذي لا يقدر على شيء ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم، وبين المؤمنين والكفار، والمتقين والفجار، وكذا لم يجعل الجنة درجة واحدة، بل درجات، وجعل لها وسطا وعلوا وربضا، ينالها الخلق بحسب أعمالهم، ولا النار دركة واحدة، بل دركات، يكون فيها الخلق بحسب أعمالهم، وقسم الناجين إلى مقتصدين وأصحاب يمين ومقربين وظالم لنفسه مبين، وفضل الرسل بعضهم على بعض، وعصاة الموحدين متفاوتون في النار بقدر ذنوبهم، متفاوتون في قدر ما تأخذ منهم، فمنهم من تأخذه إلى كعبيه، إلى أنصاف ساقيه، إلى ركبتيه، إلى حقويه، إلى كله إلا مواضع السجود، ومتفاوتون في مقدار لبثهم وسرعة خروجهم منها، فأفضل الخلق وأعلاهم أولوا العزم، وأدناهم المخلطون، وبين ذلك مراتب ودرجات.

ولما كانت الخلائق متفاوتين في هممهم، وكانت قيمتهم بحسب ما يطلبون، منهم من همته عالية تحوم حول العرش، بل قد جاوزت العرش إلى من استوى عليه، والقرب منه، لا ترضى نفسه بدون الفردوس منزلة، ولا يرضى بالدون والربض، وتأبى همته أن تكون مع عامة الخلق، قد سبقت همته أكثر الخلق، وقد جعل شهواته تحت أسر همته، فأصبح لا يشتهي إلا الوصول إلى هدفه وما يقربه

إليه، ومنهم من همته بدخول الجنة فقط والنجاة من النار، ولم يفكر بالقرب من رب البرية والشوق إليه، ومنهم من همته همة بهيمية، قد جعلها تحت أسر شهواته وأهوائه، فلا يفكر إلا في كيفية الحصول عليها وقضاءها، ومنهم من همته في دنياه ومعيشته وكيفية تحصيلها، ومنهم من همته في تحصيل أعلى المنازل في الدنيا كالملك ونحوه، ولم يفكر بالآخرة.

ولما كان الشهداء من أعظم الناس همة، وأقواهم عزيمة، وأفضلهم مكانة، وأعظمهم منزلة، وأكثرهم فضلا، فهم قوم أحبوا الله فأحبهم وحباهم، وطلبوا قربه والزلفى منه فأدناهم، ومزقوا أجسادهم فيه فأحياهم، وبذلوا له مهجهم فرضي عنهم وأرضاهم، وأجابوه لما إلى البيع الثمين دعاهم، وأدخلهم جناته ومن كل ما سألوه آتاهم، وخصهم بفضائل لم تثبت لسواهم، وغفر لهم جميع ذنوبهم وخطاياهم، وباعوا نفوسهم لله فاشتراها منهم وجنته أعطاهم، ودافعوا عن دينه فشكر لهم سعيهم ومسعاهم، هم قوم هممهم عند الثريا، وغايتهم قرب ورضا رب البرية، حياتهم أتم حياة خالدة سرمدية، فلما كان الأمر كذلك، فكرت في تأليف كتاب عن الشهادة، يكون للمحزون سلوة، ولعشاق الشهادة جلوة، يثير ساكن العزمات، ويبعث الهمم العليات إلى طلبها، ويحرك القلوب ويحدو النفوس إلى حب الشهادة.

وكانت بداية الفكرة، أني لما كنت في سجون الطواغيت، تأملت خلو الساحة من كتاب يتكلم عن الشهادة وفضائلها وكل ما يتعلق بها بشكل جامع، ورأيت أن علم الجهاد في هذا الزمان قد قام وأكثر الخلق عنه بمنأى، وعن طلب الشهادة منصرفين، فخطرت في بالي فكرة جمع كتاب يتكلم عن الشهادة وفضائلها ومتعلقاتها، ويجمع كلام العلماء في ذلك، فاستعنت بالله واستخرته في جمع هذا الموضوع من مظانه وغير مظانه، فبدأت بجمع الأيات والأحاديث وكلام العلماء، وشاهدت من توفيق الله وتيسره لي وتيسير المراجع على قلتها حتى في أسوأ الظروف ما بهرني وجعلني أواصل البحث والجمع والتأليف، حتى أتى هذا السفر المبارك، وكل ذلك من توفيق الله وتسهيله، ولولا فضله ونعمته سبحانه لما قدرت على خط حرف واحد، فهو المتفضل سبحانه علي وما مني شيء، وإنما الصواب كله من عند الله، والخطأ مني ومن الشيطان.

وقد قسمت الكتاب إلى ما يلي:

مقدمة

الباب الأول: تعريف الشهادة وأنواعها

الباب الثاني: أحكام الشهيد الفقهية

الباب الثالث: شروط وموانع الشهادة

الباب الرابع: فضائل الشهادة

الباب الخامس: خصائص الشهيد

الباب السادس: أسباب تفاضل الشهداء

الباب السابع: بما تنال الشهادة ؟

الباب الثامن: الرؤيا والشهادة

الباب التاسع: وحرض المؤمنين

الباب العاشر: قصص الشهداء وكراماتهم

الباب الحادي عشر: الشعر والشهادة

الباب الثاني عشر: لماذا لا يقدمون ؟

خاتمة

ومنهجي في الكتاب:

- **أبقيت الكتاب بلا هوامش سفلية تسهيلا للقارئ.**
- **عندما أنقل قولا لأحد العلماء فإني أكتفي بذكر المصدر الذي ذكر فيه ذلك القول بلا أجزاء ولا أرقام صفحات، اختصارا وقس على هذا في أرقام الأحاديث والآيات.**

❖ عند الإتيان بالحديث فإن كان في أحد الصحيحين فإني أكتفي بذكرهما دون غيرهما من المخرجين إلا إن اختلفت الألفاظ والروايات فإني أذكر من الذي خرج الرواية المختلفة، وإذا كان في غير الصحيحين فإني أذكر من أخرجه من أصحاب الأمهات باختصار وأذكر أحكام الألباني عليه إن وجدت وغيره من العلماء كابن حجر والهيثمي والذهبي وغيرهم على الحديث باختصار أيضا ولا أذكر حديثا إلا ومعه حكمه من أحكام العلماء عليه إن وجدت ذلك، وإقرارا بالفضل لأهله فإني استفدت كثيرا من كتاب نزار ريان رحمه الله الشهادة والشهيد في هذا الباب.

❖ قد آتي ببعض الأحاديث الغير ثابتة مبينا ذلك، إذا كان يشهد لمعنى مذكور استئناسا به أو استطرادا أو فائدة.

❖ قد أنقل أقوالا لبعض العلماء، ولا أنسبه إليهم، لا تشبعا بما لم أعط، ولكن أن نسبة القول إلى قائله في بعض الأحيان قد يقطع ذهن القارئ ويشتته ويقطع تواصل الكلام ويذهب بهجته، وهذا قليل جدا في هذا الكتاب، وإلا فإني في الأصل أنسب القول إلى قائله.

وهذا في ثلاثة مواضع الأول منها في مقدمة فضائل الشهادة في موضع " فلله كم لها مِن قتيل وسليبٍ وجريح، وكم أُنفِقَ في حبها من الأموال والأرواح.." وهذا من كلام ابن القيم والثاني في فضيلة حضور الحور لاحتضار الشهيد في موضع " فوالله لا يجف دم الشهيد..." وهذا من كلام ابن النحاس والثالث في آخر الكتاب في موضع " لقد نودي عليها في سوق الكساد.." وهذا من كلام ابن القيم.

❖ عملت فهرسا موضوعيا للكتاب.

*　*　*

۞ الباب الأول: تعريف الشهادة وأنواعها

تمهيد:

إن الشهادة في سبيل الله منزلة سامية ودرجة عالية، ودائما ما تكون الأمور العالية سواء في الدنيا أو الآخرة، تتميز تميزا كبيرا في حقيقتها وفي الأمور المتعلقة والمحيطة بها، فمفهوم الشهادة لا يقتصر على تلك الفضائل المشهورة، بل مفهومها أكبر من ذلك فيشمل تعريفها وأنواعها وأحكامها وفضائلها وشروطها وغير ذلك.

إن العاشق الحقيقي للشهادة لا يدع شاردة ولا واردة تتكلم عن الشهادة إلا وتشد انتباهه ويرخي لها عنانه ويصغي لها سمعه ويستجلب لها فكره ويطير لها فؤاده، وهكذا كانت حال العشاق مع معشوقيهم، والعاشق قبل أن يعرف فضائل معشوقه، لابد أن يعرف من هو معشوقه، وما تاريخه، وفي هذا الباب نتكلم عن تعريف الشهادة وأنواعها، وهو كالأساس لما سيأتي بعده.

فصل: تعريف الشهادة والشهيد لغة:

شهد يشهد أي حضر يحضر فهو شاهد أي حاضر.

وأشهده أي أحضره وامرأة مُشهِد أي حضر زوجها والمشهد والمشهدة محضر الناس.

وأصل الشهادة الإخبار بما شهده وشاهده، وشاهده أي عاينه واستشهده أي سأله أن يشهد وشهد لزيد بكذا أي أدى ما عليه من الشهادة.

والشهيد الشاهد والأمين في الشهادة وشهيد: مشهود فتأتي بمعنى شاهد وتأتي بمعنى مشهود وفعيل من أبنية المبالغة في فاعل.

والشين والهاء والدال أصل يدل على حضور وعلم وإعلام.

فصل تعريف الشهادة والشهيد اصطلاحا:

الشهادة اصطلاحا: لها اصطلاحان:

الأول: الشهادة: هي القتل في سبيل الله، وهذا هو الأصل فيها عند الإطلاق، وتسمى هذه شهادة الدنيا، كما جاء هذا التعريف من الصحابة وأقره النبي ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: (**ما تعدون الشهيد فيكم ؟**) قالوا: يا رسول الله من قتل في سبيل الله فهو شهيد، **قال**:(**إن شهداء أمتي إذا لقليل**) قالوا: فمن هم يا رسول الله ؟ قال:(**من قتل في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في الطاعون فهو شهيد، ومن مات في البطن فهو شهيد**) رواه مسلم.

وعلم من النصوص الأخرى، أنه يشترط أن يكون في قتال مع الكفار، وأن يقتل في المعركة.

الثاني: الشهادة: هي منزلة مخصوصة عالية في الجنة، دون الصديقية وفوق الصلاح، تنال بأمور مخصوصة.

وتسمى هذه شهادة الآخرة وتشمل القتل في سبيل الله وغيره من الشهادات كما سيأتي إن شاء الله.

الشهيد في اصطلاح الفقهاء وهو الذي تثبت له أحكام الشهيد الفقهية:

من مات بسبب قتال الكفار حال قيام القتال، سواء قتله كافر، أو أصابه سلاح مسلم خطأ، أو عاد عليه سلاح نفسه، أو سقط عن فرسه، أو رمحته دابته فمات، أو وطئته دواب المسلمين أو غيرهم، أو أصابه سهم لا يعرف راميه، أو وجد قتيلا عند انكشاف الحرب ولم يعلم سبب موته، سواء كان عليه أثر دم أم لا، وسواء مات في الحال أم بقي زمنا ثم مات بذلك السبب قبل انقضاء الحرب، وسواء أكل أو شرب أو وصى أو لم يفعل من ذلك شيئا.

هذا التعريف الراجح للشهيد، وهذا هو الأصل به عند الإطلاق، فإذا أطلق لفظ الشهيد فالمراد به على الحقيقة هذا المعنى، كما ذكره ابن الأثير في النهاية، والمباركفوري في مرعاة المفاتيح، أما غيره ممن أطلق عليه لفظ الشهادة فهو على المجاز، ويدل عليه الحديث السابق (**ما تعدون الشهيد فيكم**) فأجابوا بالأصل.

قال ابن النحاس في المشارع " الشهيد حيث أطلق لا يراد به إلا المقتول في سبيل الله " انتهى كلامه.

وفي بعض هذه الصور في التعريف فيها خلاف، وهناك صور أخرى لا تدخل، وفي بعضها خلاف وهي على النحو التالي:

الصورة الأولى: موت المجاهد بعد خروجه للجهاد وقبل المعركة بمرض وغيره بدون سبب من العدو:

من كلام الفقهاء يتبين أن هذه الصورة لا تدخل في معنى الشهيد الذي ذكرنا، فليس له حكم الشهداء من عدم الغسل والصلاة، وهم متفقون على أن لهم أجر الشهداء في الآخرة، أما في الدنيا فلا يطلق عليه هذا الاسم.

الصورة الثانية: موت المجاهد في الأسر:

وهذا له أحوال:

١. أن يموت في الأسر بمرض ونحوه، وليس للعدو في ذلك سبب، فهذا لا يكون شهيدا بالمعنى الذي ذكرنا وهو كمن خرج ومات بمرض قبل المعركة كما سبق بيانه.

٢. أن يموت في الأسر على يد العدو فهذا له حالان:

- أن يقتله العدو والمعارك ما زالت قائمة بين المسلمين والكفار، فهو في هذه الحال شهيد معركة مع الكفار، تطبق عليه أحكام الشهيد.

- أن يقتله العدو في غير الحرب أو بعد انتهائها، فهذه فيها خلاف بين الفقهاء:

القول الأول: أنه لا يلحق بالشهيد، لأنه فقد شرطا، وهو أن يقتل في المعركة فكان مثل من جرح في المعركة ثم مات بعد انقضاء الحرب، كما سيأتي بيانه إن شاء الله، فيغسل ويصلى عليه.

القول الثاني: أنه يلحق بالشهيد فلا يغسل ولا يصلى عليه، لأنه من قتل ظلما فهو شهيد كما جاء في الأحاديث.

والراجح هو القول الأول، ويجاب على ما استدل به القول الثاني، أن المراد بالحديث أنه شهيد آخرة وليس دنيا.

الصورة الثالثة: من وجد ميتا بعد المعركة وليس عليه أثر جراحة:

فهذا اختلف فيه العلماء:

القول الأول: أنه يلحق بالشهيد ويطلق عليه شهيد، لأنه مات في المعركة، والتفريق بالجراحة لا دليل عليه، ولم يرد عن النبي ﷺ ولا الصحابة التمييز بذلك عند دفن شهداء المعركة، وأسباب الموت والقتل كثيرة يمكن أن تكون بغير جرح كمن قتل خنقا.

القول الثاني: أنه لا يلحق بالشهيد، فيغسل ويصلى عليه، وهذا لا دليل عليه، والأول هو الأظهر.

الصورة الرابعة: موت المجاهد متأثرا بجراحه بعد المعركة:

وهذا له أحوال:

١. أن يوجد في المعركة منفوذ المقاتل وفيه رمق حياة ثم يموت بعدها بزمن قصير عرفا، سواء حمل أم لا، فهذا لا خلاف أنه شهيد، وله حكم الشهداء، والدليل عليه حديث سعد بن الربيع، فقد وجد بعد معركة أحد وفيه رمق، كما سيأتي حديثه إن شاء الله، ولم يفرد عن الشهداء بحكم.

واختلفوا في تحديد الوقت الذي بعد المعركة وضبطه، وهذا مرجعه إلى العرف كما سبق.

٢. أن يوجد بعد انتهاء المعركة وفيه حياة مستقرة ثم يموت بعد ذلك متأثرا بجراحه التي حصلت له في المعركة، وكلام الفقهاء يدل على أنه ليس بشهيد، فيغسل ويصلى عليه، واستدلوا بأن النبي ﷺ غسل سعد بن معاذ رضي الله عنه، وصلى عليه، وكان شهيدا، "رمي يوم الخندق بسهم فقطع أكحله فحمل إلى المسجد فلبث أياما فيه ثم مات " متفق عليه.

الصورة الخامسة: إذا قتل خطأ من قبل مسلم في المعركة وهذا اختلف فيه العلماء على قولين:

القول الأول: أنه يعتبر شهيد معركة، فلا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن، فإنه قتل في معركة الكفار وبسبب قتالهم، فهو شهيد تنطبق عليه أحكام الشهيد، ولأن أبا حذيفة اليمان قتله المسلمون يوم أحد خطأ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت:(لما كان يوم أحد هزم المشركون، فصاح إبليس: أي عباد الله أخراكم، فرجعت أولاهم فاجتلدت هي وأخراهم، فنظر حذيفة، فإذا هو بأبيه اليمان،

فقال: أي عباد الله أبي أبي، فوالله ما احتجزوا حتى قتلوه، فقال حذيفة: غفر الله لكم، قال عروة: فما زالت في حذيفة منه بقية خير حتى لحق بالله) رواه مسلم.

ولم يرد أنه أفرد عن شهداء أحد بحكم، بل قال النبي ﷺ فيهم جميعا: (**زملوهم بدمائهم**) رواه أحمد بإسناد صحيح كما قال الألباني، وهذا عام يعمه ويعم غيره، وهذا هو الراجح.

القول الثاني: أنه ليس بشهيد معركة، فيغسل ويصلى عليه، قالوا لأنه لم يقتله العدو، وما استدل به القول الأول يعارضه.

الصورة السادسة: إذا قتل نفسه خطأ في المعركة:

اختلف فيه العلماء على قولين:

القول الأول: أنه شهيد معركة فتطبق عليه أحكام الشهداء، والدليل عليه (أن عامر بن الأكوع بارز مرحبا يوم خيبر، فذهب يسفل له، فرجع سيفه على نفسه فكانت فيها نفسه) رواه مسلم.

ولم يفرد عامر عن الشهداء بحكم، فدل على أنه شهيد معركة، وقد ورد في رواية ابن اسحاق أن النبي ﷺ قال فيه: (**إنه لشهيد وصلى عليه**).

وأيضا ورد عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: أغرنا على حي من جهينة، فطلب رجل من المسلمين رجلا منهم، فضربه فأخطأه، وأصاب نفسه بالسيف، فقال رسول الله ﷺ: (**أخوكم يا معشر المسلمين**) فابتدره الناس فوجدوه قد مات، فلفه رسول الله ﷺ بثيابه ودمائه، وصلى عليه ودفنه فقالوا: يارسول الله أشهيد هو ؟ قال (**نعم وأنا له شهيد**) رواه أبو داود وضعفه الألباني.

القول الثاني: أنه ليس بشهيد معركة، لأنه لم يقتله العدو.

والقول الأول هو الراجح للدليل.

الصورة السابعة: من قتل مظلوما دون دمه أو عرضه أو ماله أو دينه:

وهذا اختلف فيه العلماء:

القول الأول: أنه شهيد، لا يغسل ولا يصلى عليه، واستدلوا بما ورد أن (**من قتل دون ماله فهو شهيد**) رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

القول الثاني: أنه ليس بشهيد، فيغسل ويصلى عليه، وقالوا أنه ليس بشهيد معركة، وهو تحت رتبته، والذي لا يغسل يشترط أن يكون في معركة وجهاد، كما ورد من الهدي النبوي في ذلك، فهذا وإن كان مأمورا بالمقاتلة والمدافعة، لكنه لا يلحق بشهيد المعركة، للفارق بينهما، ولعدم الدليل على أن مثل هذا النوع لا يغسل ولا يصلى عليه، والأصل الغسل، وأيضا فإن عمر وعلي والزبير رضي الله عنهم، قتلوا ظلما وغسلوا وصلي عليهم، أما الحديث الذي فيه ذكر أن مثل هذا النوع شهيد، فالمقصود أنه شهيد آخرة.

الصورة الثامنة: من قتل بسبب أهل البغي في المعركة اختلف فيه العلماء:

القول الأول: أنه شهيد، لا يغسل ولا يصلى عليه، واستدلوا بأنه قتل في المعركة، وقاسوه على قتيل المشركين في المعركة، وأيضا أنه في معركة صفين كانت إحدى الطائفتين باغية، ومن قتل في هذه المعركة دفنوا بلا غسل بمحضر من الصحابة، وكان عمارا رضي الله عنه ممن قتل، وقد أوصى قبل قتله بأن لا يغسل.

القول الثاني: أنه ليس بشهيد، فيغسل ويصلى عليه، لعموم الأدلة الواردة في غسل الميت، ومن قتل بسبب قتال المشركين، ليس كمن قتل بسبب أهل الإسلام، وهناك فرق بينهما، وغسل الميت ثابت بالنص والإجماع، ولا يصار إلى عدم الغسل إلا بنص أو إجماع، أما فعل الصحابة يوم صفين فلا يخصص عموم الأدلة الواردة في غسل الميت.

الصورة التاسعة: العدو إذا صبح قوما في منزلهم ولم يعلموا به فقتل منهم:

اختلف في حكم المقتولين، قال القرطبي في تفسيره: " وهذه المسألة نزلت عندنا بقرطبة أعادها الله، أغار العدو قصمه الله صبيحة الثالث من رمضان المعظم، سنة سبع وعشرين وستمائة، والناس في أجرانهم على غفلة، فقتل وأسر، وكان من جملة من قتل والدي رحمه الله، فسألت شيخنا المقرئ الأستاذ أبا جعفر أحمد – المعروف بأبي حجة – فقال: غسله وصل عليه، فإن أباك لم يقتل في المعترك بين الصفين، ثم سألت شيخنا ربيع بن عبد الرحمن بن أحمد بن ربيع بن أبي علي بن قطرال، وحوله جماعة من الفقهاء، فقالوا: غسله وكفنه وصل عليه، ففعلت، ثم بعد ذلك وقفت على المسألة في التبصرة لأبي الحسين اللخمي وغيرها، ولو كان ذلك قبل ذلك ما غسلته، وكنت دفنته بدمه في ثيابه " انتهى كلامه، والله أعلم.

الصورة العاشرة: من يقتل في حرب العصابات في الوقت الحالي سواء كان هجم على الكفار أو هجموا عليه في مقره ومقامه وهو لا يريد القتال بل يريد الهرب أو لا يعلم بالهجوم بل يهجم عليه العدو بغتة ويقتله:

أما إذا هجم هو على الكفار فهو في معركة وقتال معهم، وعليه إن قتل فهو شهيد معركة.

وإن هجموا عليه ولم يقاتل وهو لا يريد القتال، فهو أيضا شهيد معركة، لأنه في جهاد دائم مستمر، وهروبه وعدم قتاله تابع للجهاد والقتال ومن استراتيجياته، فإن حرب العصابات والجهاد والقتال بها قائم على الضرب والهرب.

الصورة الحادية عشر: من ذكر الشرع في أنه شهيد، ولم يقتل في المعركة مثل المطعون، والمبطون، وغيره، فهذا لا خلاف فيه بين العلماء في أنه ليس بشهيد بالمعنى الاصطلاحي، فيغسل ويصلى عليه، إلا ما يروى عن الحسن أنه خالف في هذا، والنصوص وأقوال الصحابة وغيرهم على خلاف ما ذهب إليه الحسن، فلم ينقل عنهم أنهم عاملوا أحدا معاملة شهيد المعركة، بل على العكس من ذلك.

الصورة الثانية عشر: من قتل أو مات في المعركة وهو تحت البلوغ من الصغار فاختلف فيه العلماء على أقوال:

القول الأول: أن حكمه حكم الشهيد البالغ، لأنه مسلم قتل في المعترك، فأشبه البالغ، ولأنه أشبه البالغ في الصلاة والغسل إذا لم يكن شهيدا فيشبهه بسقوط ذلك بالشهادة، وحديث عدم الغسل عام في الكل.

القول الثاني: أنه لا يثبت له حكم الشهادة، لأنه ليس من أهل القتال، وهذا التعليل يبطل بالنساء، إذ هي ليست من أهل القتال، ولو قتلت لكانت شهيدة.

والراجح هو القول الأول.

❖ لاحظ أخي أن قيد المعركة أساسي في أي شهيد يموت ويقتل، فمن لم يمت في المعركة فلا يعد شهيدا ولو قتله العدو، ومن مات في المعركة يعد شهيدا ولو قتله المسلمون خطأ أو قتل نفسه خطأ، ولهذا من جرح في المعركة ولو من قبل العدو ثم مات بعدها، لم يعد شهيدا في المصطلح

الفقهي، وهذا لأن القتال في المعركة عبادة عظيمة بذاتها، ولها فضل عظيم، فمن مات فيها ثبت له حكم العبادة إلى يوم القيامة، والدم من أثر العبادة في العبادة وهي المعركة، فيثبت له حكمه إلى يوم القيامة، وذلك مثل المحرم الحاج الذي مات في وقت الحج في إحرامه، يثبت له حكم العبادة إلى يوم القيامة، فلا يطيب، ولا يغطى وجهه، ولا رأسه، لأن المحرم الحي لا يفعل هذا ويبعث يوم القيامة ملبيا، كما ورد في الحديث.

فالمعركة حومة الوغى، وملتقى أسود الشرى، فيها تلتحم الصفوف، وتلقى الحتوف، ويتواجه الأبطال، ويتمحص الرجال، وفيها يشتبك الأقران، ويترجل الفرسان، ويتبارز الشجعان، ويتبادلون الضرب والطعان، فقاتل ومقتول، وجريح ومعلول، ومنتصر ومخذول، فيها تزهق الأرواح، وتتطاير الرؤوس ويشتد الكفاح، وتمزق الأجساد وتكثر الجراح، وتسيل الدماء بالسيوف والرماح، وتعقر الخيول ويتعالى الصهيل والصليل والصياح، فيها يرجف الفؤاد ويجيش، وتدور الأعين وتطيش، وتضطرب الأنفس لتعيش، فيها السماء والجنة تفتح أبوابها، وتستجاب الدعوة ويرفع حجابها، ويرزق الشهادة طلابها، وتُزخرف الجنة وتجمَّل لأربابها، وتتزين الحور العين لخطَّابها، وتتنزل الملائكة بأسرابها، ويضحك الله للمقدمين من أصحابها، وتتضاعف الأجور ويعظم ثوابها، فيها يختصم أولياء الرحمن، مع أولياء الشيطان، في ربهم الديان، فمقتول فذاهب إلى الجنان، وآخر مستفل في النيران، فلا جرم أن يحوز شهيدها أعلى المنازل وأفضلها.

والمعركة هي أرض الحرب والموضع الذي فيه القتال، وهي ما يعرف بالوقت الحالي في الحرب النظامية بمسرح العمليات.

فصل: سبب تسمية الشهيد بهذا الاسم:

قد عرفنا فيما سبق تعريف الشهيد، ومن هو، وأنه اصطلاح شرعي أطلق على من قتل في المعركة، ولكن يطرأ هاهنا سؤال: لماذا الشارع اختار هذا اللفظ في إطلاقه على المقتول في المعركة دون غيره من الألفاظ ؟ وما علاقته به ؟ فلابد أن يكون هناك سبب يربط بين هذا اللفظ وبين المقتول في المعركة، وقبل أن نسرد أقوال العلماء في أسباب تسمية الشهيد بهذا الاسم، لابد أن ننبه على أمرين يتعلقان بالأسباب:

الأول: أنه لابد أن يكون السبب له ارتباط بالمعنى اللغوي.

الثاني: أن يكون السبب له ارتباط بالمقتول في سبيل الله بشكل خاص في فضائله وخصائصه، دون غيره من شهداء الآخرة، ودون غيره من المؤمنين، وإنما قلنا ذلك،لأننا ذكرنا فيما سبق أن الشهيد الحقيقي هو المقتول في المعركة، وأنه الأصل عند الإطلاق، أما غيره من الشهادات فعلى سبيل المجاز، وعلى ذلك لا يشترط أن يكون السبب جامعا لمعنى الشهادتين شهادة الدنيا وشهادة الآخرة، وكذا يجب أن يكون السبب مما يميز الشهيد عن غيره من المؤمنين، وإلا لم يكن للتسمية كبير معنى،ولم يكن الشهيد مختصا بالفضيلة،وكان عامة المؤمنين شهداء، **وإليك أقوال العلماء**:

١. سمي شهيدا، لأن الله وملائكته شهود له بالجنة، وهذا القول محتمل، وبعضهم يعبر بأنه مشهود له بالجنة، وهو نفس المعنى.

٢. سمي شهيدا، لأنه ممن يستشهد يوم القيامة الأنبياء على الأمم الخالية، وعلى هذا القول يكون شهيدا بمعنى شاهد، وهذا القول يرد عليه أن هذا الأمر لا يختص بالشهيد، إذ أمة محمد كلها تشهد على الأمم، كما جاءت به الأدلة، إلا من استثني.

٣. سمي شهيدا، لأنه حي لم يمت، فكأنه شاهد أي حاضر، وهذا يشهد له حياة الشهيد.

٤. سمي شهيدا، لأن ملائكة الرحمن تشهده، يعني تحضره عند موته، فهو هنا بمعنى مشهود، لكن يرد عليه أن هذا لا يختص بالشهيد، إذ الملائكة تحضر جميع المؤمنين، كما جاء في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

٥. سمي شهيدا، لأنه قام بشهادة الحق في أمر الله تعالى حتى قتل، أي بسبب ذلك، فهو هنا بمعنى شاهد، وهذا محتمل، وقريب من هذا المعنى من يقول:

٦. سمي شهيدا، لأنه شهد أن دين الله أغلى من دمه.

٧. سمي شهيدا، لأنه شهد ما أعد الله له من الكرامة بالقتل، فهو هنا بمعنى شاهد، يعني يعاين ما أعد له من الكرامة بقتله، وهذا المعنى تشهد له النصوص.

٨. سمي شهيدا، لأنه يُشهد له بالأمان من النار، فهو هنا بمعنى مشهود له، وهذا معنى محتمل، تشهد له النصوص الواردة في فضل الشهادة.

٩. سمي شهيدا، لأن عليه شاهد بكونه شهيدا – وهو الدم والجراح – فهو هنا بمعنى مشهود له، لكن هذا الكلام فيه نظر، والتعبير الأولى أن يقال أن عليه شاهدا بكونه عالي المنزلة، وأنه أفنى نفسه في ذات الله.

١٠. سمي شهيدا، لأن الملائكة تشهد له بحسن الخاتمة، فهو بمعنى مشهود له، وليس هذا المعنى مختص بالشهيد، فحسن الخاتمة ليس خاصا بالشهيد.

١١. سمي شهيدا، لأن الأنبياء تشهد له بحسن الاتباع، فيكون بمعنى مشهود له، وهذا أمر لا يختص بالشهيد، فكثير من المؤمنين يكون حسن الاتباع، وأيضا هذا لا دليل عليه، وهو شهادة الأنبياء للشهيد بحسن الاتباع.

١٢.سمي شهيدا، لأن الله يشهد بحسن نيته وإخلاصه، فهو هنا بمعنى مشهود له، وهذا أيضا لا يختص بالشهيد، ولا دليل عليه.

١٣.سمي شهيدا، لأنه يشاهد الملائكة عند احتضاره، فهو هنا بمعنى شاهد، وهذا أمر لا يختص بالشهيد، فإن المؤمنين جميعا يرون الملائكة عند احتضارهم، بل حتى الفجار والكفار يرونهم، لكن يختلفون فالمؤمنين يرون ملائكة الرحمة، وأولئك يرون ملائكة العذاب.

١٤.سمي شهيدا، لأنه يشاهد الملكوت من دار الدنيا ودار الآخرة، فهو هنا بمعنى شاهد، وهذا أمر محتمل.

١٥.سمي شهيدا، لأن عليه علامة شاهدة بكونه قد نجا، ولعل المقصود بالعلامة الدم والجراح، فهو هنا بمعنى شاهد.

١٦. سمي شهيدا، لشهادته على نفسه لله حين لزمه الوفاء بالبيعة التي بايعه في قوله تعالى: (**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة**.....) فاتصلت شهادة الشهيد بشهادة الحق فسماه شهيدا، فهو هنا بمعنى شاهد.

وهذه كلها لا دليل أنها هي السبب في التسمية، وإنما هي مجرد احتمالات واجتهادات، ولكن إذا طبقنا الأمرين الذين ذكرناهما آنفا، تبين أن أقرب الأقوال في هذا: الأول، والثالث، والخامس، والسادس، والسابع، والثامن، والتاسع، والرابع عشر، والخامس عشر، والسادس عشر، والله أعلم.

وقال السهيلي في الروض الأنف: " وأولى هذه الوجوه كلها بالصحة: أن يكون فعيلاً بمعنى مفعول، ويكون معناه: مشهودًا له بالجنة، أو يشهد عليه النبي عليه السلام، كما قال: (**هؤلاء أنا شهيد عليهم**) أي: قيِّم عليهم بالشهادة لهم، وإذا حشروا تحت لوائه، فهو وال عليهم، وإن كان شاهدًا لهم، فمن ههنا اتصل الفعل بعلى، فتقوى هذا الوجه من جهة الخبر، ومن وجه آخر من العربية؛ وهو أن النبي – ﷺ – حين ذكر الشهداء قال: (**والمرأة تموت بجمع شهيد**) ولم يقل: شهيدة، وفي رواية أخرى قال: (**والنفساء شهيد، يجرها جنينها بسرره إلى الجنة**) ولم يقل: شهيدة، وفعيل إذا كان صفة لمؤنث كان بغير هاء إذا كان بمعنى مفعول، نحو امرأة قتيل وجريح، وإن كان بمعنى فاعل، كان بالهاء، كقولهم: امرأة عليمة ورحيمة، ونحو ذلك.

فدل على أن الشهيد مشهود له، ومشهود عليه، وهذا استقراء من اللغة صحيح، واستنباط من الحديث بديع، فقف عليه " انتهى كلامه.

فصل: حكم قول فلان شهيد

ومثله أيضا استشهد، ورزق الشهادة، ومات شهيدا، وقتل شهيدا، وقد ذكرنا فيما سبق تعريف الشهيد بالمعنى الاصطلاحي العام، فهل من وجدناه كذلك يجوز لنا أن نطلق عليه أنه شهيد أم لا ؟

قبل أن نجيب على هذا التساؤل، لابد أن نعرف أن عقيدة أهل السنة والجماعة، أنهم لا يشهدون ولا يجزمون لمعين من المسلمين بجنة ولا نار إلا من شهدت له النصوص الصحيحة بعينه، وهذا هو سبب الخلاف في المسألة، هل إذا أطلق لفظ الشهادة على معين، هل فيه تعيين وجزم له بالجنة أم لا ؟

وإليك أخي تفصيل المسألة، مستقاة من كتاب أحكام الشهيد الفقهية، مع تصرف فيه:

من مات بسبب من أسباب الشهادة، وقد توفرت فيه الشروط، وانتفت عنه الموانع الظاهرة، هل يجوز إطلاق لفظة شهيد عليه كأن يقال: فلان شهيد ؟

هذه المسألة اختلف فيها على قولين:

القول الأول: أنه لا يجوز أن نشهد لشخص بعينه أنه شهيد.

القول الثاني: أنه يجوز أن نشهد للمعين، بأنه شهيد إذا توافرت فيه الشروط، وإليك تفصيل هذه الأقوال:

القول الأول:

ذهب إلى أنه لا يجوز أن نشهد لشخص بعينه أنه شهيد، حتى لو قتل مظلومًا، أو قتل وهو يدافع عن الحق، إلا من شهد له النبي – ﷺ – أو اتفقت الأمة على الشهادة له بذلك، ومن القائلين بهذا: الإمام البخاري –رحمه الله–.

وهذا القول فرق بين الإطلاق والتعيين، فأجاز إطلاق الشهادة على من قتل في سبيل الله، أو على الغريق لكن ليس على تعيين شخص بعينه.

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

١– ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي – ﷺ – أنه قال: (**الله أعلم بمن يجاهد في سبيله، والله أعلم بمن يكلم في سبيله**) رواه النسائي، وصححه الألباني في صحيح النسائي.

وجه الدلالة: أن قوله: (**والله أعلم**...) أي أن هذا الحكم ليس على الظاهر، أن من كان يقاتل في حيز المسلمين أنه ممن يقاتل في سبيله، ويكلم في سبيله؛ لأنه قد يكون في حيز المسلمين ويقاتل حمية، ويقاتل ليرى مكانه، ويقاتل للمغنم، ولا يكون لأحد من هؤلاء هذه الفضيلة حتى يقاتل في سبيل الله، ولا يطلع على ذلك إلا بالوحي، فمن ثبت أنه في سبيل الله أعطي حكم الشهادة، ولا يعلم ذلك إلا من علمه الله، فلا ينبغي إطلاق كون كل مقتول في الجهاد أنه في سبيل الله.

٢– وقد استدل لهذا القول أيضًا بما روى سهل بن سعد – رضي الله عنه – (أن رسول الله – ﷺ – التقى هو والمشركون فاقتتلوا، فلما مال رسول الله – ﷺ – إلى عسكره ومال الآخرون إلى عسكرهم، وفي أصحاب رسول الله – ﷺ – رجل لا يدع لهم شاذة ولا فاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه، فقالوا: ما أجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ فلان، فقال رسول الله – ﷺ –: (**أما إنه من أهل النار**) فقال رجل من القوم: أنا صاحبه... قال: فجرح الرجل جرحًا شديدًا، فاستعجل

الموت، فوضع نصل سيفه بالأرض، وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه... إلى أن قال رسول الله – ﷺ –(**إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة**)) رواه البخاري.

المقصود بـ(ذبابه) أي ذباب السيف وهو حده الذي يضرب به.

وجه الدلالة: أن الصحابة رضي الله عنهم شهدوا رجحان هذا الرجل في أمر الجهاد، فلو كان قُتل لم يمتنع أن يشهدوا له بالشهادة، وقد ظهر منه أنه لم يقاتل لله وإنما قاتل غضبًا لقومه، فلا يطلق على كل مقتول في الجهاد أنه شهيد، لاحتمال أن يكون مثل هذا.

وبهذين الحديثين السابقين استدل البخاري – رحمه الله – على هذه المسألة، فترجم لهما بقوله: باب لا يقول: فلان شهيد.

وقد يستدل لهذا القول بما يلي:

١- روى أبو هريرة – رضي الله عنه – حديث الغلام الذي كان يحط رحل رسول الله – ﷺ – فجاءه سهم عائر فأصابه فقتله، فقال الناس: هنيئًا له الجنة، فقال رسول الله – ﷺ –(**كلا والذي نفسي بيده، إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارًا...**) الحديث رواه البخاري.

الشملة: هي كساء من صوف أو شعر يتغطى به ويتلفف به.

وجه الدلالة: أن الناس قالوا: هنيئًا له الجنة على ما اعتقدوا من أنه شهيد، إذ قتل في خدمة النبي – ﷺ –؛ فنفى النبي – ﷺ – عنه ذلك لغلوله.

٢- أننا لو شهدنا لأحد بعينه أنه شهيد لزم من تلك الشهادة أن نشهد له بالجنة، وهذا خلاف ما كان عليه أهل السنة، فإن من عقيدتهم أن لا ننزل أحدًا معينًا من أهل القبلة جنة أو نارًا إلا من أخبر الصادق – ﷺ – أنه من أهل الجنة، كالعشرة رضي الله عنهم، وغيرهم؛ لأن حقيقتهم باطنة، وما ماتوا عليه لا نحيط به، لكن نرجو للمحسنين ونخاف على المسيئين.

ومن كان ظاهره الصلاح فإننا نرجو له ذلك – أي الجنة – ولا نشهد له به، ولا نسيء به الظن.

٣- وفي حديث كعب بن عجرة – رضي الله عنه – عندما مرض وأتاه النبي – ﷺ – فقال له: (**أبشر يا كعب**) فقالت أمه: هنيئًا لك الجنة يا كعب، فقال النبي – ﷺ –(**من هذه المتألية على الله؟**) قال: هي أمي يا رسول الله، قال: (**ما يدريك يا أم كعب ؟ لعل كعبًا قال ما لا ينفعه، أو منع ما لا يغنيه**) قال المنذري في الترغيب والترهيب: رواه الطبراني ولا يحضرني الآن إسناده إلا أن شيخنا الحافظ أبا الحسن رحمه الله كان يقول إسناده جيد، وقال الهيثمي رواه الطبراني في الأوسط وإسناده جيد.

٤- وعندما توفي عثمان بن مظعون رضي الله عنه في بيت أم العلاء الأنصارية – رضي الله عنها – قالت: رحمة الله عليك أبا السائب، فشهادتي عليك لقد أكرمك الله، فقال النبي – ﷺ –(**وما يدريك أن الله قد أكرمه ؟**) فقلت: بأبي أنت يا رسول الله، فمن يكرمه الله ؟ فقال: (**أما هو فقد جاءه اليقين، والله إني لأرجو له الخير، والله ما أدري – وأنا رسول الله– ما يفعل بي**) قلت: فوالله لا أزكي أحدًا بعده أبدًا، وأحزنني ذلك، قالت: فنمت فأريت لعثمان عيناً تجري، فجئت إلى رسول الله – ﷺ – فأخبرته، فقال: (**ذلك عمله**) رواه البخاري.

٥- روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه خطب فقال: (تقولون في مغازيكم: قتل فلان شهيدًا، ومات فلان شهيدًا، ولعله قد يكون قد أوقر راحلته، ألا لا تقولوا ذلكم، ولكن قولوا كما قال رسول الله – ﷺ –(من مات في سبيل الله أو قتل فهو شهيد)) رواه النسائي وأحمد، وصحح إسناده أحمد شاكر، وصححه الألباني في صحيح النسائي.

ومعنى قوله (ولعله قد يكون قد أوقر راحلته) أي حمل دابته حملا ثقيلا من الأموال والمغانم، والمقصود هنا أنه لم يرد بجهاده وجه الله تعالى وإنما أراد الدنيا وذلك مانع من الشهادة كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

وجه الدلالة: أنه نهى عن تعيين وصف واحد بعينه بأنه شهيد، وأن ذلك لا يجوز أن يقال إلا على سبيل الإجمال، وكانت خطبته هذه في جمع من الصحابة رضي الله عنهم ولم يُعلم له مخالف.

٦- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (إياكم أن تقولوا: مات فلان شهيدًا، أو قتل فلان شهيدًا، فإن الرجل يقاتل ليغنم، ويقاتل ليذكر، ويقاتل ليرى مكانه...) رواه أحمد.

وعنه أيضًا رضي الله عنه قال: (إياكم والشهادات، فإن كنتم فاعلين فاشهدوا لسرية بعثهم رسول الله – ﷺ – فأصيبوا، فنزل فيهم: أن بلغوا عنا قومنا أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا) رواه الطبراني في الكبير، قال الهيثمي: وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط.

ولكن له شاهد بإسناد صحيح عند سعيد بن منصور عن عبد الله بن معقل قال:" كنا قعودا عند عبد الله بن مسعود، فقال رجل من القوم قتل فلان شهيدا، فقال عبد الله: وما يدريك أنه قتل شهيدا ؟ إن الرجل يقاتل غضبا ويقاتل حمية ويقاتل رئاء، إنما الشهيد من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ".

القول الثاني:

ذهب إلى جواز تسمية المقتول في سبيل الله وغيره ممن مات بسبب من أسباب الشهادة بـ (شهيد) ولو بالتعيين، بناء على الحكم الظاهر المبني على الظنّ الغالب، وذلك لمن اجتمعت فيه الشروط، وانتفت عنه الموانع في الأعمال البدنية الظاهرة دون الأعمال الباطنة كالإخلاص مثلاً، كما يُطلق الأطباء لفظ الصحة ومقصودهم سلامة الجسد، دون سلامة النفس من فساد العقائد والأخلاق، وهذه شهادة على ظاهر أمرهم من الإيمان، وإقام العبادات، والجهاد في سبيل الله، واستدامة ذلك إلى أن قتلوا في مجاهدة الكفار؛ فلا مانع من إطلاق لفظة (شهيد) لمن هذه حاله، ونكل سرائره إلى الله تعالى، مع أننا لا نجزم له بهذه الشهادة عند الله ولأننا قد أمرنا بالحكم الظاهر، ونهينا عن الظن واتباع ما ليس لنا به علم.

قال ابن عبد البر –رحمه الله– في الاستذكار: " إن الحكام إنما يقضون في التعديل والتجريح عند الشهادات بما يظهر ويغلب، ولا يقطعون على غيب فيما به من ذلك يقضون، ولم يكلفوا إلا العلم الظاهر، والباطن إلى الله عز وجل ".

وقال ابن تيمية –رحمه الله– في درء تعارض العقل والنقل:" قد يكون في بلاد الكفر من هو مؤمن في الباطن يكتم إيمانه، ممن لا يعلم المسلمون حاله، إذا قاتلوا الكفار، فيقتلونه، ولا يغسل، ولا يصلى عليه، ويدفن مع المشركين، وهو في الآخرة مع المؤمنين أهل الجنة، كما أن المنافقين تجري عليهم في الدنيا أحكام المسلمين، وهم في الآخرة في الدرك الأسفل من النار، فحكم الدار الآخرة غير حكم الدار الدنيا".

ومما يستدل به على هذه المسألة: ما تواتر عن الصحابة رضي الله عنهم ومن جاء بعدهم من علماء الإسلام من إطلاق الشهادة على المعين، كقولهم: وقتل فلان شهيدًا، ومات فلان شهيدًا، وختم له بالشهادة، ورزق الشهادة، واستشهد، مما يدل على جواز إطلاق وصف الشهيد على المعين.

وسوف نعرض جملة مما نقل عنهم في هذا المعنى على سبيل التمثيل والاستشهاد، لا على سبيل الحصر، فهذا مما لا يدرك ولا يمكن الإحاطة به.

١- في حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه -(أنه لما طعن حرام بن ملحان - رضي الله عنه - - وكان خاله- يوم بئر معونة، قال بالدم هكذا، فنضحه على وجهه ورأسه، ثم قال: فزت ورب الكعبة) رواه البخاري.

فقوله (فزت ورب الكعبة) أي بالشهادة، وكان هذا شهادة لنفسه، ولم ينكر عليه النبي - ﷺ -.

٢- وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: (قتل أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة يوم اليمامة شهيدًا) رواه الحاكم.

٣- وفي حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه، وأنه مر بنفر من قريش، فذكروا هشامًا - أخاه- فقالوا: أيهما أفضل ؟ فقال عمرو: (إنا شهدنا اليرموك، فبات وبت في سبيل الله، وأسأله إياها - أي الشهادة- فلما أصبحنا رزقها وحرمتها ففي ذلك تبين لكم فضله علي) أخرجه ابن المبارك.

٤- عبد الله بن جعفر رضي الله عنه عندما سئل عن قثم بن العباس رضي الله عنه، ما فعل ؟ قال: (استشهد) رواه الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي رواه أحمد ورجاله ثقات.

٥- قول أنس بن مالك رضي الله عنه في أخيه البراء بن مالك رضي الله عنه: قتل شهيدًا.

٦- وعندما قُتل النعمان بن مقرن رضي الله عنه في معركة نهاوند قال أخوه معقل: (هذا أميركم قد أقر الله عينه بالفتح، وختم له بالشهادة) رواه ابن حبان.

هذه بعض الآثار المروية عن الصحابة رضي الله عنهم، وروي مثلها عن التابعين ومن بعدهم، وبمثلها قال كثير من العلماء المحققين كالذهبي في السير والحافظ ابن حجر في تراجمه وكذا غيرهم من العلماء كثيرا ما يطلقون وصف الشهادة على من حصل له سبب من أسبابها.

مناقشة الأدلة والأقوال:

أما تبويب البخاري -رحمه الله- بقوله: لا يقول: فلان شهيد، فقد قال ابن حجر معقبًا في الفتح: "أي على سبيل القطع بذلك"، ثم قال: " وإن كان مع ذلك يعطى حكم الشهداء في الأحكام الظاهرة، ولذلك أطبق السلف على تسمية المقتولين في بدر وأحد وغيرهما شهداء، والمراد بذلك الحكم الظاهر المبني على الظن الغالب، والله أعلم".

قال الطاهر بن عاشور – رحمه الله – عن ترجمة البخاري هذه: " هذا تبويب غريب، فإن إطلاق اسم الشهيد على المسلم المقتول في الجهاد الإسلامي ثابت شرعًا، ومطروق على ألسنة السلف فمن بعدهم، وقد ورد في حديث الموطأ، وفي الصحيحين: أن الشهداء خمسة غير الشهيد في سبيل الله، والوصف بمثل هذه الأعمال يعتمد على النظر إلى الظاهر الذي لم يتأكد غيره، وليس فيما أخرجه البخاري هنا إسناد وتعليق ما يقتضي منع القول بأن فلانًا شهيد، ولا النهي عن ذلك.

فالظاهر أن مراد البخاري بذلك أن لا يجزم أحد بكون أحد قد نال عند الله ثواب الشهادة؛ إذ لا يدري ما نواه من جهاده، وليس ذلك للمنع من أن يقال لأحد: إنه شهيد، وأن يجرى عليه أحكام الشهداء، إذا توفرت فيه، فكان وجه التبويب أن يكون: باب لا يجزم بأن فلانًا شهيد إلا بإخبار من رسول الله – ﷺ –، مثل قوله في عامر بن الأكوع (**إنه لجاهد مجاهد**) ومن هذا القبيل زجر رسول الله – ﷺ — أم العلاء الأنصارية حين قالت في عثمان بن مظعون: فشهادتي عليك لقد أكرمك الله. فقال لها ﷺ:(**وما يدريك أن الله أكرمه؟**) انتهى كلامه من كتاب النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح.

ويجاب على أصحاب القول الأول، بأن ما استدلوا به من أن السلف قد أجمعوا على تسمية أهل بدر وأحد بالشهداء، إن هذا الاستدلال في غير محله، لأنه قد زكاهم النبي – ﷺ –، وشهد لهم، بخلاف غيرهم مما لم يُعلم حقيقة حاله.

وأما ما روي من آثار عن الصحابة رضي الله عنهم في ذلك، فإن هذه الروايات على التسليم بصحتها فإنها حكاية قول معارض لما هو أصرح وأصح، وهو ما رويناه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكذلك ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه.

أما إطلاق بعض العلماء لهذه التسميات فإنهم على جلالة قدرهم لا يستدل بأقوالهم بل يستدل لها.

وخلاصة القول في المسألة: أن الشهادة لها إطلاقان:

١. من ورد في الشرع تسميته شهيدا لأمر حصل له، فإذا حصل له هذا الأمر جاز إطلاق الشهادة عليه، لكن بشرط أن لا يقصد الإطلاق الثاني معها، كقتيل المعركة، والمبطون، والمطعون، وغير ذلك من أنواع الشهادة، كما يطلق على من أحرم بالصلاة وفعل واجباتها وأركانها وشروطها واجتنب نواقضها ومبطلاتها أنه مصلي، بغض النظر هل قبلت صلاته وأثيب عليها أم لا، ومثله الحاج، والصائم، وغير ذلك، وقد كان الصحابة يقولون بحضرة النبي ﷺ فلان شهيد وفلان شهيد ولا ينكر عليهم، ولهذا لما شهد بعض الصحابة لشخص بالجنة، أنكر عليه النبي ﷺ، فدل أن قول فلان شهيد ليس من هذا القبيل.

٢. المنزلة الأخروية في الجنة الثابتة للشهيد، فهذا لا يجوز إطلاقه على أحد على سبيل الجزم، إلا بنص، أو توقيف، وعلى هذا يتنزل قول عمر، وابن مسعود، وغيرهم، لأنه قد لا تتوفر فيهم الشروط التي ستأتي إن شاء الله، أو يوجد مانع يمنع من قبولها.

ولكن هذا الإطلاق الثاني يجوز إطلاقه بطريق الظن وعدم الجزم ونحو ذلك فهذا جائز كما سبق كلام الحافظ في هذا.

وفي هذا الزمن، أصبح مصطلح الشهيد مصطلح رنانا يطلق على كل من هبَّ ودبَّ، ممن لا يستحق أن يطلق عليه هذا الاسم، بل ياليت الأمر وقف على هذا، بل أصبح يطلق على من قتلته ذنوبه ومعاصيه وختم له بها، فيقال شهيد الفن ونحوه، ويا ليت الأمر وقف على هذا، بل أصبح يطلق على ضد معناه الأساس، فيطلق على من قتله المجاهدون وهو يقاتل في سبيل الطاغوت، فيُقال شهيد الواجب، يريدون بذلك تحسين موتتهم بعد سوءها، وبعضهم يطلقه على منظمة حكومية ألغيت فيقول شهيدة العصر، وكذا بعضهم يطلق شهيد العروبة على من قتل في حرب عصبية وقومية، وهذا المصطلح مصطلح شرعي، لا يجوز إطلاقه بمعناه الشرعي إلا على ما ورد به الشرع، وكذا لا يجوز استبداله بغيره من الألفاظ لمن استحق هذا الوصف.

فصل: بداية الشهادة ونهايتها وأول شهيد في الإسلام وأول شهيد بالمعنى الاصطلاحي:

بحثت في بداية الكلام على الشهادة وفضائلها في الشرع، فوجدت أول حديث مؤقت في ذلك حديث عبد الله بن جحش في غزوه في الشهر الحرام، في سرية نخلة، في السنة الثانية من الهجرة، وفيه أنه قال لأصحابه: (فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق) رواه ابن اسحاق معضلا مرسلا، وهذه من أوائل السرايا، ولعل أول تشريع للشهادة وفضائلها كان مع أول تشريع الجهاد في السنة الأولى من الهجرة.

وأما آخر الشهادة: فتنتهي بنزول عيسى عليه السلام وقتل المسيح الدجال، فينتهي حينئذ الجهاد، وتنتهي الشهادة معه، لأنه حينئذ لا يبقى كافر على وجه الأرض، ويدل عليه حديث: (**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال)** أخرجه أحمد، وأبو داود، وصححه الألباني، فقال العلماء كالمناوي وغيره: أنه حينئذ ينتهي الجهاد، لأنه لا يبقى كافر على وجه الأرض.

وورد عن سلمة بن نفيل رضي الله عنه قال: " بينا أنا جالس عند النبي ﷺ، إذ جاءه رجل فقال: (يا رسول الله إن الخيل قد سيبت – أي تركت — ووضع السلاح وزعم أقوام أن لا قتال، وأن قد وضعت الحرب أوزارها، فقال ﷺ: (**كذبوا الآن جاء القتال، وإنه لا يزال من أمتي أمة يقاتلون في سبيل الله، لا يضرهم من خالفهم، يزيغ الله قلوب قوم يرزقهم منهم، يقاتلون حتى تقوم الساعة، ولا تضع الحرب أوزارها حتى يخرج يأجوج ومأجوج**)) رواه النسائي في الكبرى، والطبراني في الكبير، وصححه الألباني في الصحيحة.

أما أول شهيد في الإسلام بالمعنى العام فهو سمية أم عمار رضي الله عنها، قتلها أبو جهل، كان يعذبها على الإسلام ثم طعنها بحربة في فرجها، فماتت رضي الله عنها.

قال الحافظ في الفتح " ولم أجد في شيء من الأخبار أن أحدا من المسلمين قتل قبل تحويل القبلة، لكن لا يلزم من عدم الذكر عدم الوقوع " انتهى كلامه.

ذكره في كلامه على حديث البراء بن عازب رضي الله عنه: (وأنه مات على القبلة قبل أن تحول رجال قتلوا) رواه البخاري، وتحويل القبلة كان بعد حوالي ستة أوسبعة عشر شهرا من مقدم النبي ﷺ المدينة.

أما أول شهيد بالمعنى الاصطلاحي الأخص فهو مهجع مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أول من قتل من أهل بدر، وأول قتيل معركة في الإسلام، ذكره ابن إسحاق في السيرة.

فصل: الشهادة عند الأمم السابقة:

حبا الله النبي ﷺ وأمته بالجهاد والاستشهاد بما لم يحبه ويعطه الأمم قبلهم، فسطروا فيه أعظم المواقف ما لم يسطره من قبلهم، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (**بعثت بالسيف حتى يعبد الله لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم**) رواه أحمد.

فهو بعث بالسيف، ومن أسمائه ﷺ الضحوك القتال، وقضى حياته مجاهدا أعداء الله حتى فتح جزيرة العرب ودانوا بالإسلام، ودعا لأمته بأن يكون فناؤها بالشهادة، فكان الشهداء من هذه الأمة أكثر ممن قبلهم، وكان الجهاد عندهم أعلى القربات وأعظم الطاعات، فقاتلوا أمم الكفر على شتى أديانها، وفي جميع أسقاع الأرض حتى نشروا الإسلام، فكانوا أهل الجهاد حقا، والقائمين به كمالا وصدقا، وكان الجهاد ماض فيهم إلى قيام الساعة، ولا تزال طائفة منهم تجاهد في سبيل الله إلى قيام الساعة، وهي منصورة، لا يضرها من خالفها، ولا من خذلها.

وأما الأمم قبلنا، فلم يكن الجهاد مشروعا لجميعهم، إنما هو لبعضهم كبني إسرائيل، وأيضا هؤلاء لم يشرع لهم الجهاد دائما، بل في زمن دون زمن، كما قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ** ﴾ البقرة.

فهم طلبوا منه أن يشرع لهم الجهاد والقتال، فهذا يدل على عدم مشروعيته قبل ذلك لهم، وأيضا عيسى عليه الصلاة والسلام بعث إلى بني إسرائيل، ولا جهاد في شريعته كما هو معلوم، فكان الجهاد مشروعا لبني إسرائيل في أوقات دون أوقات، فشرع في زمان موسى عليه الصلاة والسلام، لما أمر قومه بدخول الأرض المقدسة، وشرع أيضا في زمن يوشع، وداود، وسليمان عليهم الصلاة والسلام، وغيرهم، ومنع في أوقات أيضا.

وأيضا هؤلاء عامة جهادهم – كما ذكر شيخ الإسلام – جهاد دفع، قال شيخ الإسلام في المجموع: " وسائر الأمم لم يأمروا كل أحد بكل معروف، ولا نهوا كل أحد عن كل منكر ولا جاهدوا على ذلك، بل منهم من لم يجاهد، والذين جاهدوا كبني إسرائيل فعامة جهادهم كان لدفع عدوهم عن أرضهم كما يقاتل الصائل الظالم، لا لدعوة المجاهدين وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر كما قال موسى لقومه: **(يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدبارهم فتنقلبوا خاسرين) (قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون) إلى قوله: (قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون)** وقال تعالى: **(ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا لا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين)** فعللوا القتال بأنهم أخرجوا من ديارهم وأبنائهم ومع هذا فكانوا ناكلين عما أمروا به من ذلك، ولهذا لم تحل لهم الغنائم، ولم يكونوا يطئون بملك اليمين " انتهى كلامه.

وقد سطر بنو إسرائيل – الذين شرع في حقهم الجهاد – كثيرا من المواقف المخزية إلا من رحم الله وهم القليل، فقد ذكر الله تعالى في القرآن موقفهم مع موسى عليه الصلاة والسلام، لما أراد منهم دخول الأرض المقدسة فأبوا وقالوا قولتهم الشنيعة: ﴿ **قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ**﴾ **المائدة.**

وأيضا لما طلب بنو إسرائيل من نبيهم أن يُكتب عليهم القتال، وأن يُبعث إليهم ملك يقاتلون معه، فلما كُتب عليهم القتال وبُعث إليهم الملك، أبوا القتال والجهاد إلا قليلا منهم، فكان عددهم ثمانين ألفا كما قال السدي، ولم يقاتل في النهاية إلا ثلاثمائة وبضعة عشر، كما ورد عن البراء رضي الله عنه قال: (كنا – أصحاب محمد ﷺ– نتحدث أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت، الذين جازوا معه النهر، ولم يجاوز معه إلا مؤمن بضعة عشر وثلاثمائة) رواه البخاري.

أما أصحاب النبي ﷺ فكانوا على العكس منهم، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (شهدت من المقداد بن الأسود مَشْهدًا، لأن أكون صاحبه أحبَّ إلي مما عدل به: أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين، فقال: لا نقول كما قال قوم موسى لموسى: (اذهب أنت وربك فقاتلا) ولكن نقاتل عن

يمينك وعن شمالك، وبين يديك وخلفك، فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسره - يعني قوله -) رواه البخاري وذلك يوم بدر.

وكانوا يتحرقون على الجهاد والاستشهاد، ويبكون إذا لم يجدوا محملا لهم إلى الجهاد، وانظر إلى غزوة تبوك، لم يتخلف من الصحابة المؤمنين إلا ثلاثة فقط من بين أربعين ألفا، مع أنها كانت في شدة الحر، وطيب الثمار، وبعد المسافة، وقوة العدو، فشتان بين الفريقين.

وإنما قدمنا هذه المقدمة، لأن الشهادة فرع عن الجهاد، فإذا لم يكن ثم جهاد فلا شهادة هناك بالمعنى الاصطلاحي، وقد عرفت فيما سبق أن الجهاد لم يكن مشروعا لجميع الأمم، ولم يبق من الأديان السماوية - سوى الإسلام - إلى هذا الزمان إلا اليهودية والنصرانية، على تحريف فيهما.

أما اليهودية، فكان عندهم جهاد كما سبق بيانه من ذكر موسى عليه الصلاة والسلام وقومه في الأرض المقدسة، وأما الشهادة بالمعنى الاصطلاحي فكانت موجودة عندهم أيضا لوجود الجهاد، وكان الشهداء عندهم من هذا النوع كثير، كما قال تعالى ﴿**وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**﴾ **آل عمران**. فهذه الآية لها قراءتان صحيحتان متواترتان، القراءة الأولى **(من نبي قاتل)** أي الربيون - وهم الجماعات الكثيرة - قاتلوا مع الأنبياء وجاهدوا معهم، والقراءة الثانية **(من نبي قُتل)** أي أن الربيون قُتلوا مع الأنبياء، وعلى هذه القراءة يكون عدد المقتولين كثيرون، ولم يكن الجهاد مشروعا عند أحد من الأنبياء إلا موسى عليه الصلاة والسلام وبعض الأنبياء بعده من بني إسرائيل، فيكون المقصود بالآية هؤلاء، لكن كثرتهم هذه نسبية فليسوا أكثر من شهداء أمة محمد ﷺ، لعموم بعثته وكثرة أتباعه، وكون الجهاد مشروعا لهم بشرع دائم، وكونه دعا لأمته بالشهادة، أما بنو إسرائيل فليسوا في الكثرة كأمة محمد ﷺ، وكانت البعثة فيهم خاصة، ولم يكن الجهاد مشروعا لهم في كل وقت.

ويوجد عند اليهودية شيء من شهادة الآخرة، ويدل على ذلك ما حصل لسحرة فرعون، قال تعالى: ﴿ **لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ **الأعراف**.

قال ابن عباس: (كانوا في أول النهار سحرة، وفي آخر النهار شهداء) رواه ابن جرير.

أما النصرانية فلم يكن الجهاد عندهم مشروعا، فلا شهادة عندهم بالمعنى الاصطلاحي كما عند المسلمين، وإنما عندهم شيء من شهادة الآخرة، فمن ذلك ما جاء في كتاب موسوعة القرن: "

الشهيد من اللاتينية الكنسية من اليونانية " شاهد " وهو الذي يشهد بحبه وإخلاصه لله وذلك بوهبه حياته، فيكون ما قدر له نسخا لما كتب لعيسى الذي كابد التعذيب ومات مصلوبا " انتهى، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم، ولما لم يكن عندهم جهاد، حملنا المعنى على من أريد على تغيير دينه فأبى، أو قتل لأجل دينه بلا جهاد.

قال القرطبي في تفسيره:" **(وعدا عليه حقا في التوراة والأنجيل والقرآن)** إخبار من الله تعالى أن هذا كان في هذه الكتب، وأن الجهاد ومقاومة الأعداء أصله من عهد موسى عليه الصلاة والسلام " انتهى كلامه.

وهذا يدل أن أول الجهاد كان في شريعة موسى عليه الصلاة والسلام، وأن قبل ذلك لم يكن هناك جهاد، ويدل أيضا على أن هذا الشراء حصل في شريعة عيسى عليه الصلاة والسلام، لكن الله أعلم بالشراء الذي كان في عهد عيسى عليه الصلاة والسلام ما المراد منه هل الشهادة الاصطلاحية أم الشهادة الأخروية والتضحية لأجل الدين ؟

وقد فضلت هذه الأمة على الأمم السابقة – كما قرره العلماء – بكون الحسنة تضاعف بعشر أمثالها، فالشهادة إذا تضاعف في هذه الأمة إلى أجر عشر شهادات، إلى أضعاف كثيرة، فشهداء هذه الأمة يفضلون على شهداء الأمم السابقة بالمضاعفات التي تحصل لهم.

وفضلت أيضا هذه الأمة على الأمم السابقة كون الشهادة فيها ليست مختصة بالقتل، بل هناك أنواع أخرى، وأن الأمم السالفة كانت فيها الشهادة مختصة بالقتل، وعلى هذا فهذه الأمة أكثر الأمم شهيدا من حيث النوع، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(ما تعدون الشهيد فيكم ؟)** قالوا: يا رسول الله من قتل في سبيل الله فهو شهيد، قال: **(إن شهداء أمتي إذا لقليل)** قالوا: فمن هم يا رسول الله ؟ قال: **(من قتل في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في الطاعون فهو شهيد، ومن مات في البطن فهو شهيد)** رواه مسلم.

وهي أيضا أكثر من حيث من يقتل، إذ أن أكثر أهل الجنة من هذه الأمة، وما خصت به هذه الأمة من علو الجهاد ودوامه عندهم، ودعاء النبي ﷺ لهم بالشهادة يؤيد كثرة الشهداء بالنسبة لغيرهم من الأمم.

ولنذكر هنا استطرادا الشهادة عند الرافضة الخبثاء وأقوالهم في شهداء أهل السنة " روى شيخ الشيعة الطوسي في التهذيب " عن عبد الله بن سنان قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك ما تقول في هؤلاء الذين يُقتلون في هذه الثغور ؟ فقال: الويل يتعجلون قتلة في الدنيا وقتلة في الآخرة، والله ما الشهيد إلا شيعتنا ولو ماتوا على فرشهم " كتاب التهذيب، يقول القفاري في كتابه أصول مذاهب الشيعة " فأنت ترى أن الشيعة ترى أن جهاد المسلمين على مرور التاريخ جهاد باطل لا أجر فيه ولا ثواب، حتى يصفون المجاهدين المسلمين بالقتلة، ويجردونهم من الأسماء التي شرفهم الله بها كالمجاهد والشهيد " وقال أيضا: " وكذلك جعلوا الاستشهاد في سبيل الله يحصل بمجرد اعتناق التشيع، وانتظار عودة الغائب، لا في الجهاد في سبيل الله، فالشيعي شهيد ولو مات على فراشه " قال إمامهم: إذا مات منكم ميت قبل أن يخرج قائمنا كان شهيدا، ومن أدرك قائمنا فقتل معه كان له أجر شهيدين " من بحار الأنوار وهو مروي في أمالي الطوسي، وعقد شيخهم البحراني في المعالم الزلفى بابا بعنوان " الباب التاسع والخمسون في أن شيعة آل محمد شهداء، وإن ماتوا على فرشهم " وأورد فيه جملة من أخبارهم " ثم زادت مبالغاتهم كالعادة إلى أكثر من هذا القدر، حتى روى ابن بابويه بسنده إلى علي بن الحسين قال: " من ثبت على موالاتنا في غيبة قائمنا أعطاه الله أجر ألف شهيد من شهداء بدر وأحد " انتهى كلامه.

فصل: الأنبياء والشهادة:

الشهادة عمل صالح ومرتبة شريفة، لها فضائل وخصائص لا تثبت لغير الشهداء الذين حازوا هذه المرتبة، ولو كان هذا الغير أفضل من الشهداء كما سيأتي في خصائص الشهداء إن شاء الله، والأنبياء وإن كانوا أفضل من الشهداء مطلقا، لكن لا يلزم من ذلك أن تكون جميع فضائل وخصائص الشهادة ثابتة لهم، إلا أن يحوزوا هذه الفضيلة ويضموها إلى فضل نبوتهم، فحينئذ تثبت لهم خصائص الشهادة وفضائلها إلى فضل نبوتهم وتفصيله يأتي إن شاء الله في الخصائص.

والأنبياء ليسوا كلهم حازوا هذه المرتبة إضافة إلى مرتبة النبوة، بل منهم من اصطفاه الله بالشهادة زيادة على اصطفائه بالنبوة ومنهم من يحز إلا درجة النبوة، فمنهم النبي الشهيد، ومنهم النبي غير الشهيد، أما النبي الشهيد فلا يعرف أن هناك نبي شهيد بالمعنى الإصطلاحي، وهو أن يقتل في المعركة مع الكفار.

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى:" لا يعرف أن أنبياء كثيرون قتلوا فى الجهاد " ثم قال: " فإن من قبل موسى من الأنبياء لم يكونوا يقاتلون، وموسى وأنبياء بنى إسرائيل لم يقتلوا فى الغزو بل ولا يعرف نبى قتل فى جهاد ".

وقال أيضا " لا يعرف قط أن نبيا من الأنبياء استشهد في المعركة " انتهى كلامه.

وقال سعيد بن جبير رحمه الله: " ما سمعنا قط أن نبيا قتل في القتال " رواه سعيد بن منصور.

أما الشهادة الأخروية فهذه ثابتة للأنبياء كما قال تعالى: ﴿ **أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ** ﴾ **البقرة.**

فقد أثبت أن بني إسرائيل قتلوا بعض أنبياءهم ظلما، وهذه شهادة، وكذا النبي ﷺ مات شهيدا كما سيأتي عندما سمته تلك اليهودية يوم فتح خيبر، فمات من أثر السم بعد سنين، وهذا من تكميل مراتب الفضل له بجمع الشهادة على الرسالة، على النبوة، على أعماله الصالحة الأخرى.

فصل: أنواع الشهداء

من خلال ما سبق من تعريف الشهادة، يتبين أن الشهداء ثلاثة أقسام:

١. شهيد الدنيا والآخرة: وهو من مات في المعركة في حرب الكفار، مقبلا، محتسبا لإعلاء كلمة الله، ولم يعمل شيئا من الموانع، فهذا له حكم الشهادة في الدنيا، فلا يغسل ونحوه، وأجر الشهادة في الآخرة.

٢. شهيد الدنيا فقط: وهو من مات في المعركة في حرب الكفار وفقد قيدا من القيود السابقة، في شهيد الدنيا والآخرة، فهذا له حكم الشهادة في الدنيا، فلا يغسل ولا يصلى عليه، أما في الآخرة فلا يكون له أجر الشهادة.

٣. شهيد الآخرة فقط: وهو من ورد في الشرع تسميته شهيدا ولم يقتل في المعركة، فهذا يعطى من جنس أجر الشهداء، ولا تجري عليه أحكامهم في الدنيا، فيغسل ويصلى عليه، ذكره ابن حجر في

الفتح، وأنواعه كثيرة، منها الثابت، ومنها الضعيف، وقد جمعها ابن العماد في نظمه كما ذكره المناوي في الفيض فقال:

من بعد حمد الله والصلاة ** على النبي وآله الهداة

خذ عدة الشهداء سردا نظما ** واحفظ هديت للعلوم فهما

محب آل المصطفى ومن نطق ** عند إمام جائر بقول حق

وذو اشتغال بالعلوم ثم من ** على وضوء موته نال المنن

ومن يمت فجاءة أو حريق ** ومائد بغيه غريق

لديغ أو مسحورا أو مسموم ** أو عطش بجرعة مألوم

أكيل سبع عاشق مجنون ** والنفسا والهدم والمبطون

ومن بذات جنب أو ظلم قتل ** أو دون مال أو دم أهل نقل

أو دين أو في الحرب مات به ** مؤذن محتسب لربه

وجالب يبيع بسعر يومه ** أو مات بالطاعون بين قومه

كذا الغريب أو بعين أو قرا ** أواخر الحشر بها نال الذرا

ومن يلازم وتره وورده ** عند الضحى والصوم حتم سعده "

وألف السيوطي كتابا في تعدادها أسماه (أبواب السعادة في أسباب الشهادة) وقال الحافظ في الفتح: " وقد اجتمع لنا من الطرق الجيدة أكثر من عشرين خصلة.... " انتهى كلامه.

فأما ما ثبت:

أولا: المطعون:

- **تعريفه:**

فاعول من الطعن، واختلف في تعريفه اختلافا كثيرا، لكن ورد تعريفه في حديث، فأغنانا عن تعداد هذه التعريفات وهو كما قال ﷺ عنه: (غدة كغدة الإبل تخرج في الآباط والمراق) رواه الطيالسي عن عائشة رضي الله عنها، وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

والغدة داء يأخذ البعير فيرم منه عظماه الناتئان في اللحيين تحت الأذنين، فيأخذه شبه الموت، والمراق هو أسفل البطن، وليس ورم الطاعون مخصوصا بمكان من الجسد، فقد يظهر في الأصابع وغيرها كما حصل لمعاذ رضي الله عنه.

وقال الحافظ في الفتح في تعريفه بعد أن ذكر الأقوال في ذلك: " والحاصل أن حقيقته ورم ينشأ من هيجان الدم أو انصباب الدم إلى عضو فيفسده " انتهى كلامه، وهو مقارب للحديث.

وقال النووي في المنهاج: " هو قروح تخرج في الجسد، فتكون في المرافق، أو الآباط، أو الأصابع، وسائر البدن، ويكون معه ورم وألم شديد، وتخرج تلك القروح مع لهيب، ويسود ما حواليه، أو يخضر، أو يحمر حمرة بنفسجية كدرة، ويحصل معه خفقان القلب والقيء " انتهى كلامه.

- **الفرق بينه وبين الوباء:**

قال بعض العلماء إن الطاعون هو الوباء، وقال آخرون إن بينهما عموم وخصوص، فكل طاعون وباء، وليس كل وباء طاعونا، ورجحه ابن القيم في الزاد، وذكر الحافظ أن الطاعون يغاير الوباء، لما ورد أن الطاعون لا يدخل المدينة، وقد ورد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (قدمنا المدينة وهي أوبأ أرض الله) رواه مسلم، وقال بلال رضي الله عنه: (أخرجونا إلى أرض الوباء) رواه البخاري، ومن أطلق أن كل وباء طاعونا، فمن طريق المجاز، وقال أهل اللغة: أن الوباء هو المرض العام.

- **سبب وقوعه:**

لوقوع الطاعون سببان: سبب مباشر، وسبب غير مباشر:

أما السبب الغير مباشر: فهو ينشأ عن ظهور الفاحشة وإعلانها، فيكون عقوبة لهم، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: (**يا معشر المهاجرين ! خمس إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط، حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم**

الطاعون والأوجاع التى لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا....) رواه ابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه.

وكونه ينشأ عن ظهور الفاحشة لا يمنع من حصول درجة الشهادة لمن حصل له الطاعون رحمة من الله تعالى بهذه الأمة، أن يعجل لهم العقوبة في الدنيا، ولا ينافي ذلك حصول الشهادة لمن وقع به الطاعون، لا سيما وأكثرهم ممن لم يباشر تلك الفاحشة، وإنما عمهم الله بالعقاب، لتقاعدهم عن إنكار المنكر، كما ذكر ذلك الحافظ في الفتح.

فبهذا السبب الغير مباشر يسلط الله عليهم السبب المباشر، وهو: أنه وخز الأعداء من الجن، كما ورد في الحديث عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**فناء أمتي بالطعن والطاعون**) فقيل: يا رسول الله، هذا الطعن قد عرفناه، فما الطاعون ؟ قال: (**وخز أعدائكم من الجن، وفي كل شهادة**) رواه أحمد والطبراني والحاكم وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي رواه أحمد بأسانيد ورجال بعضها رجال الصحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع، والوخز قال أهل اللغة: هو الطعن إذا كان غير نافذ.

قال الحافظ في الفتح: " ووصف طعن الجن بأنه وخز، لأنه يقع من الباطن إلى الظاهر، فيؤثر في الباطن أولا، ثم يؤثر في الظاهر، وقد لا ينفذ، بخلاف طعن الإنس، فإنه يقع من الظاهر إلى الباطن، فيؤثر في الظاهر أولا، ثم يؤثر في الباطن، وقد لا ينفذ " انتهى كلامه.

ووخز الجن أمر غيبي لا يدرك بالعين ولا بالعقل، فلا يعارض ما قالت الأطباء في سبب الطاعون من فساد الهواء وانصباب الدم إلى عضو وغير ذلك.

قال الحافظ في الفتح:" ومما يؤيد أن الطاعون إنما يكون من طعن الجن، وقوعه غالبا في أعدل الفصول، وفي أصح البلاد هواء، وأطيبها ماء، ولأنه لو كان بسبب فساد الهواء لدام على الأرض، لأن الهواء يفسد تارة ويصح أخرى، وهذا يذهب أحيانا، ويجيء أحيانا، على غير قياس ولا تجربة، فربما جاء سنة على سنة، وربما أبطأ سنين، ولأنه لو كان كذلك، لعم الناس والحيوان، والموجود بالمشاهدة أنه يصيب الكثير ولا يصيب بمن جانبهم، ممن هو في مثل مزاجهم، ولو كان كذلك لعم جميع البدن، والطاعون يختص بموضع من الجسد، ولا يتجاوزه " انتهى كلامه.

وذكر بعضهم هذا الحديث في الوخز بهذا اللفظ **(وخز إخوانكم من الجن)** قال الحافظ في الفتح:" ولم أره بعد التتبع الطويل البالغ في شيء من طرق الحديث المسند، لا في الكتب المشهورة، ولا في والأجزاء المنثورة " انتهى كلامه.

فإن قيل: إذا كان السبب ظهور الفاحشة، فما الجواب عن وقوع الطاعون في زمن الصحابة ولم يعلن في زمنهم بالفاحشة، وهم أفضل العصور ؟

فيقال: أن من أسبابه ظهور الفاحشة، وليس هو السبب الوحيد للطاعون، فقد يقع عقوبة على ذنب آخر، وقد يقع أيضا لاستشهاد الصالحين، قال القرطبي في تفسيره " قال العلماء: وهذا الوباء قد يرسله الله نقمة وعقوبة على من يشاء من العصاة من عبيده وكفرتهم، وقد يرسله شهادة ورحمة للصالحين " انتهى كلامه.

- **فضله:**

١. حصول درجة الشهادة به، كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(ما تعدون الشهيد فيكم ؟)** قالوا: يا رسول الله من قتل في سبيل الله فهو شهيد، قال **(إن شهداء أمتي إذا لقليل)** قالوا: فمن هم يا رسول الله ؟ قال: **(من قتل في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في الطاعون فهو شهيد، ومن مات في البطن فهو شهيد)** رواه مسلم.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: **(الطاعون شهادة لكل مسلم)** متفق عليه.

وكون الطاعون شهادة لأمرين:

الأول: لأنه طعن الجن الأعداء، فأشبه طعن الإنس الأعداء في الجهاد، ولهذا تشبه جراحهم يوم القيامة جراح شهداء المعركة، كما في حديث عتبة رضي الله عنه الذي سيأتي إن شاء الله، وهذا الحديث يبين أن المطعونين ماتوا بالقتل، كالشهداء، وكونهم ماتوا على فرشهم لا ينافي كونهم قتلوا، فإن القتل ووخز الجن خفي.

الثاني: لمشاركته للشهداء الآخرين فيما يكابدونه من شدة الموت.

٢. حصول أجر الشهادة لمن صبر على المقام في بلد الطاعون، ولو لم يصبه، كما جاء عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون، فأخبرني أنه **(عذاب يبعثه الله على**

من يشاء وأن الله جعله رحمة للمؤمنين، ليس من أحد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابرا محتسبا يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان مثل أجر شهيد) رواه البخاري.

وسيأتي مزيد تفصيل إن شاء الله، وأيضا ورد أن المقيم فيه كالمرابط في سبيل الله، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **(الطاعون شهادة لأمتي، ووخز أعدائكم من الجن، غدة كغدة الإبل تخرج في الآباط والمراق من مات فيه مات شهيدا، ومن أقام فيه كان كالمرابط في سبيل الله ومن فر منه كان كالفار من الزحف)** رواه أبو داود الطيالسي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

٣. أنه كان عذابا على الأمم من قبلنا، فجعل رحمة لمؤمني هذه الأمة، ورجزا على الكافرين، كما ورد عن أسامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن هذا الطاعون رجز سلط على من كان قبلكم أو على بني إسرائيل، فإذا كان بأرض فلا تخرجوا منها فرارا منه، وإذا كان بأرض فلا تدخلوها)** رواه مسلم، وكما سبق في حديث عائشة قريبا.

٤. أن النبي ﷺ دعا به لأمته، وسماه قتلا في سبيل الله، فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(اللهم اجعل فناء أمتي قتلا في سبيلك بالطعن والطاعون)** رواه أحمد، وصححه الألباني في صحيح الجامع، وهو المقصود بقول شرحبيل (إنه دعوة نبيكم، ورحمة ربكم، وموت الصالحين قبلكم) رواه أحمد.

٥. أن قبض الصالحين من قبلنا كان بالطاعون، كما جاء عن شرحبيل بن شفعة قال: (وقع الطاعون، فقال عمرو بن العاص رضي الله عنه: إنه رجس، فتفرقوا عنه، فبلغ ذلك شرحبيل بن حسنة رضي الله عنه، فقال: لقد صحبت رسول الله ﷺ، وعمرو أضل من بعير أهله، إنه دعوة نبيكم، ورحمة ربكم، وموت الصالحين قبلكم، فاجتمعوا له ولا تفرقوا عنه، فبلغ ذلك عمرو بن العاص فقال: صدق) رواه أحمد، وقال الهيثمي في المجمع:" بأسانيد صحاح وحسان " ولن يختار الله لأوليائه إلا ما هو خير لهم.

فإن قيل: كيف الجمع بين كونه أرسل عذابا على الأمم من قبلنا وأنه كان يقبض به الصالحون؟

فالجواب: أنه كان عذابا على العصاة من قبلنا، وليس برحمة لهم، ولا يكون لهم فيه شهادة، أما الصالحين ممن قبلنا فهو لهم رحمة، وأما عصاة هذه الأمة وصالحيها فيكون رحمة لهم وشهادة، لا عذاب، أو يقال أن هذا في أمم دون أمم، والله أعلم.

٦. أن الذي يموت بالطاعون، يأتي يوم القيامة مشرفا بكون جراحه تسيل دما، ورائحتها المسك، كما أخرج أحمد بإسناد حسن – كما ذكر الحافظ في الفتح– عن عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (**يأتي الشهداء والمتوفون بالطاعون، فيقول أصحاب الطاعون: نحن شهداء، فيقال انظروا فإن كان جراحهم كجراح الشهداء تسيل دما وريحها المسك، فهم شهداء، فيجدونها كذلك**).

- **الأماكن التي لا يدخلها الطاعون:**

ورد عن النبي ﷺ أن الطاعون لا يدخل المدينة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال**) رواه البخاري.

وأنقاب المدينة: هي مداخلها وأبوابها وفوهات طرقها.

فهذا الحديث يفيد أن الطاعون لا يحصل في المدينة، وفيه إعجاز نبوي، فإنه على مر التاريخ لم ينقل أن الطاعون دخل المدينة – كما ذكره الحافظ في الفتح–، أما حديث أبي الأسود قال: " قدمت المدينة وهم يموتون موتا ذريعا " رواه البخاري، فهذا وباء وقع في المدينة، وليس بطاعون.

ولم ترد هذه الفضيلة إلا في المدينة خاصة.

فإن قيل: لم لا يدخل المدينة مع كونه شهادة ؟

أجيب عن هذا التساؤل بأجوبة كثيرة، لكن أقرب الأجوبة أن الطاعون لا شك أنه شهادة، ولكن يعد بلاء ومصيبة، والعافية أوسع من البلاء، وكما أن النبي ﷺ نهى عن تمني لقاء العدو، وأمر بسؤال الله العافية، مع أن في لقيا العدو الشهادة، وكذا تعوذه ﷺ بالله من ميتة الحرق والغرق، مع أن في كليهما شهادة، لكن فيهما شدة وبلاء، وقال عن ذات الجنب وهي شهادة: (**ما كان الله ليسلطها علي**) رواه الحاكم في المستدرك، وصححه، ووافقه الذهبي، فكذلك هنا.

- **حكم البلد إذا وقع فيه طاعون:**

١. الموجودون في البلد فلهم أربع أحوال:

الحال الأولى: أن يخرج الشخص من البلد فرار محضا من الطاعون، فهذا لا يجوز، وهو كبيرة من الكبائر، كما ورد عن أسامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**إن هذا الطاعون رجز سلط على من كان قبلكم، أو على بني إسرائيل، فإذا كان بأرض، فلا تخرجوا منها فرارا منه، وإذا كان بأرض، فلا تدخلوها**) رواه مسلم.

وعن عائشة رضي الله عنها قال: قال رسول الله ﷺ: (**الطاعون شهادة لأمتي، ووخز أعدائكم من الجن، غدة كغدة الإبل، تخرج في الآباط، والمراق، من مات فيه مات شهيدا، ومن أقام فيه، كان كالمرابط في سبيل الله، ومن فر منه، كان كالفار من الزحف**) رواه الطيالسي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

وهذا الذي عليه الجمهور، وروي عن بعض الصحابة جواز الفرار من الطاعون، كأبي موسى رضي الله عنه، وغيره، ويتأولون النهي أنه خاص بمن يعتقد أن هلاك من هلك بسبب قدومه على الطاعون، ونجاة من نجى بسبب فراره من الطاعون، أما من لا يعتقد ذلك فيجوز له الخروج والقدوم، والصحيح ما عليه الجمهور، من حرمة الفرار، للأدلة الصحيحة الصريحة في النهي عن ذلك.

وقد قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ**﴾ **البقرة**. وأصح الأقوال فيها وأشهرها وأبينها – كما ذكر القرطبي – أنها نزلت في قوم خرجوا فرارا من الوباء والطاعون، فتبين بالآية أن الفرار من الطاعون والقتل لا يؤخر الأجل، ولا ينجي من الموت، وأن الإماتة بيد الله تعالى، فلا معنى لفرار الفار، وخوف الخائف.

الحال الثانية: من خرج لحاجة متمحضة، لا لقصد الفرار، سواء كانت الحاجة عرضت قبل وقوع الطاعون أم بعده، فمثال الأول، أن يتهيأ للرحيل من بلد كان بها إلى بلد إقامته مثلا، ولم يكن الطاعون وقع، فاتفق وقوعه في أثناء تجهيزه، فهذا يجوز له أن يخرج، أو تعرض له الحاجة بعد وقوعه فيخرج من أجلها، لا لأجل الفرار، فيجوز اتفاقا، كما نقله النووي في المنهاج.

الحال الثالثة: من عرضت له حاجة، فأراد الخروج إليها، وانضم إلى ذلك أنه قصد الراحة من الإقامة في البلد التي فيها الطاعون، فهذا يجوز ولا يحرم، قال المناوي في الفيض:" محل النهي حيث قصد الفرار

منه محضا، بخلاف ما لو عرضت له حاجة، فأراد الخروج إليها، وانضم إلى ذلك أنه قصد الراحة من البلد التي فيها الطاعون، فلا يحرم " انتهى كلامه.

وأما التحيل للخروج بإحداث الحاجات – ولا حاجة أصلا – فلا يجوز.

وذكر العلماء حكما للنهي عن الخروج من البلد الذي فيه الطاعون، منها:

١. أن الطاعون في الغالب يكون عاما في البلد الذي يقع به، فإذا وقع، فالظاهر مداخلة سببه لمن بها، فلا يفيده الفرار.

٢. أن الناس لو تواردوا على الخروج، لصار من عجز عنه بالمرض المذكور، أو بغيره، ضائع المصلحة لفقد من يتعهده حيا أو ميتا.

٣. أنه لو شرع الخروج، فخرج الأقوياء، لكان في ذلك كسر لقلوب الضعفاء، وقد قالوا في حكمة الوعيد في الفرار من الزحف لما فيه من كسر قلب من لم يفر، وإدخال الرعب عليه بخذلانه.

٤. وقيل الحكمة هي عدم انتقال العدوى إلى منطقة أخرى صحيحة، لم يأتها الوباء.

٥. ورجح المباركفوري في مرعاة المفاتيح أن حكمة النهي تعبدية، وقدح في الحكم الثلاث الأولى السابقة.

٦. ذكر أئمة الطب أنه يجب عند وقوع الطاعون السكون، والدعة، والتقلل من الحركة حسب الإمكان، ليحترز من الوباء، والخروج سفرا ينافي ذلك، ذكره ابن القيم في الزاد.

الحال الرابعة: أن يبقى الشخص في البلد، فهذا هو الواجب على الموجودين في البلد إلى حين انكشاف الطاعون، وله فضل عظيم ورد في الأحاديث منها:

❖ أنه ورد أن المقيم في البلد كأجر المرابط في سبيل الله، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (**الطاعون شهادة لأمتي، ووخز أعدائكم من الجن، غدة كغدة الإبل، تخرج في الآباط و المراق، من مات فيه مات شهيدا، ومن أقام فيه كان كالمرابط في سبيل الله، ومن فر منه كان كالفار من الزحف**) رواه أبو داود الطيالسي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

❖ أن من أقام فيها إلى حين انكشاف الطاعون ولم يفر كان له أجر شهيد ولو لم يصبه، أو أصابه ولم يمت به، وقد ورد فيه دليلين، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (**الطاعون غدة كغدة الإبل، المقيم فيها كالشهيد، والفار منها كالفار من الزحف**) رواه أحمد، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

وعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون، فأخبرني أنه: (**عذاب يبعثه الله على من يشاء، وأن الله جعله رحمة للمؤمنين، ليس من أحد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابرا محتسبا، يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له، إلا كان مثل أجر شهيد**) رواه البخاري، وذلك بشروط أربعة وردت في الأحاديث:

١. أن يكون مسلما، لأنه ورد أن الطاعون رحمة للمؤمنين ورجز على الكافر.

٢. أن يقيم صابرا، وضده الجزع، فلا يعترض على الله في قضائه، بل يسلم له.

٣. أن يكون محتسبا في إقامته، أي طالبا للثواب.

٤. أن يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له، وضد هذا القلق والتندم على عدم الخروج، ظانا أنه لو خرج لما وقع به أصلا ورأسا.

❖ أن من أقام وأصابه الطاعون ومات به كان شهيدا، وحصلت له درجة الشهادة، وأيضا كان له مع ذلك أجر شهيد، لكن بالشروط الثلاثة المذكورة أعلاه، والدليل عليه حديث عائشة الذي تقدم قريبا، وما سبق ذكره من أن الطاعون شهادة لكل مسلم.

وذكر الحافظ في الفتح أن أجر الشهادة شيء، ودرجة الشهادة شيء آخر، فمن اتصف بكونه شهيدا، أعلى درجة ممن وعد بأنه يعطى مثل أجر شهيد، وذلك مثل من خرج على نية الجهاد في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، فمات بسبب غير القتل، فمن لم يصبه الطاعون واتصف بالصفات المذكورة كان له أجر شهيد، وهي دون درجة الشهادة، ومن أصابه ومات به كان له درجة الشهادة، وأيضا أجر شهيد، فيكون له أجر شهيدين مع تفاوت الأجرين، وذكر أيضا وجها آخر وهو أنه يمكن أن يقال درجات الشهادة متفاوتة فأرفعها من اتصف بالصفات المذكورة ومات بالطاعون، ودونه في المرتبة من اتصف بها وطعن ولم يمت، ودونه من اتصف ولم يطعن ولم يمت.

ولا يشترط أن لا يكون من وقع به الطاعون عاصيا وصاحب كبائر، فعموم الأحاديث تقتضي حصول الشهادة بالطاعون حتى للعصاة، وقد ورد (**الطاعون شهادة لكل مسلم**) رواه البخاري، ولا يلزم من حصول درجة الشهادة للعاصي مساواة المؤمن الكامل في المنزلة، لأن درجات الشهادة متفاوتة، كنظيره من العصاة إذا قتل مجاهدا في سبيل الله.

٢. الموجودين خارج البلد:

لا يجوز لهم القدوم على البلد التي وقع فيها الطاعون مطلقا، والدليل عليه ما جاء عن أسامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**إن هذا الطاعون رجز سلط على من كان قبلكم أو على بني إسرائيل، فإذا كان بأرض فلا تخرجوا منها فرارا منه، وإذا كان بأرض فلا تدخلوها**) رواه مسلم.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام، حتى إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه، فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشأم، قال ابن عباس: (فقال عمر: ادع لي المهاجرين الأولين، فدعاهم، فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشأم، فاختلفوا، فقال بعضهم: قد خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه، وقال بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي الأنصار، فدعوتهم، فاستشارهم، فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي من كان ها هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فدعوتهم، فلم يختلف منهم عليه رجلان، فقالوا: نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء، فنادى عمر في الناس إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه، قال أبو عبيدة بن الجراح: أفرارا من قدر الله ؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ؟ نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كان لك إبل هبطت واديا له عدوتان، إحداهما خصبة، والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ؟ قال: فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان متغيبا في بعض حاجته، فقال: إن عندي في هذا علما، سمعت رسول الله ﷺ يقول:(إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه) قال فحمد الله عمر ثم انصرف) رواه البخاري، وعدوتا الوادي أي جانباه.

ولما في القدوم من إلقاء النفس في التهلكة، فهو كمن أراد الدخول إلى دار، فرأى بها مثلا حريقا تعذر طفؤه، فعدل عن دخولها لئلا تصيبه.

فإن قيل: روى ابن أبي شيبة بسند جيد – كما قال الحافظ في الفتح – عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: جئت عمر حين قدم، فوجدته قائلا في جنانه، فانتظرته في ظل الخباء، فسمعته يقول حين تضور: (اللهم اغفر لي رجوعي من سرغ) فهذا يدل على أنه ندم على رجوعه، وأيضا ورد عن الزبير رضي الله عنه بسند صحيح – كما قال الحافظ – عند ابن خزيمة (أن الزبير رضي الله عنه خرج غازيا نحو مصر، فكتب إليه أمراء مصر أن الطاعون قد وقع، فقال: إنما خرجنا للطعن والطاعون، فدخلها، فلقي طعنا في جبهته، ثم سلم) فما الجواب عليه ؟

والجواب: أنه استدل به قوم على جواز الإقدام على البلد التي فيها الطاعون، لمن غلب عليه التوكل وأيقن أن دخولها لا يجلب إليه قدرا لم يقدره، والانصراف عنه رخصة، وحملوا النهي على التنزيه، لكن الأدلة الصحيحة الصريحة عن النبي ﷺ تدل على أنه لا يجوز ذلك، وأما استغفار عمر، فيحتمل أن يكون سبب ندمه أنه خرج لأمر مهم من أمور المسلمين فلما وصل إلى قرب البلد المقصود رجع، مع أنه كان بإمكانه أن يقيم بالقرب من البلد المقصود إلى أن يرتفع الطاعون، فيدخل إليها ويقضي حاجة المسلمين، ويؤيد ذلك أن الطاعون ارتفع عن قرب، فلعله بلغه ذلك فندم على رجوعه إلى المدينة، فرأى أنه لو انتظر لكان أولى، لما في رجوعه على العسكر الذي كان بصحبته من المشقة، والخبر لم يرد بالرجوع، إنما ورد بالنهي عن القدوم ذكر ذلك الحافظ في الفتح.

وأما إقدام الزبير، فلعله لم يبلغه النهي في ذلك عن النبي ﷺ، وإن كان بلغه النهي، فلعله تأول جواز ذلك لمن صح توكله ويقينه.

- **شهادة الطاعون وشهادة المعركة:**

شهادة الطاعون أقرب الشهادات إلى شهادة المعركة، وأفضل من غيرها من الشهادات، وهي قريبة في الفضل والمنزلة من شهادة المعركة، ولا شك أن شهادة المعركة أفضل من غيرها من الشهادات ومن شهادة الطاعون، ولكن شهادة الطاعون قريبة من شهادة المعركة دون غيرها من الشهادات، وشهيد الطاعون قريب من شهيد المعركة، والأدلة على هذا:

١. أخرج أحمد بإسناد حسن – كما ذكر الحافظ في الفتح – عن عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(يأتي الشهداء والمتوفون بالطاعون، فيقول أصحاب الطاعون: نحن**

شهداء، فيقال: انظروا فإن كان جراحهم كجراح الشهداء تسيل دما وريحها المسك فهم شهداء، فيجدونها كذلك).

٢. روى أحمد والنسائي بسند حسن - كما قال الحافظ في الفتح- عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**يختصم الشهداء والمتوفون على فرشهم إلى ربنا في الذين يتوفون من الطاعون، فيقول الشهداء إخواننا قتلوا كما قتلنا، ويقول الذين ماتوا على فرشهم إخواننا ماتوا على فرشهم كما متنا، فيقول الله تعالى**: (**انظروا إلى جراحهم فإن أشبهت جراح المقتولين فإنهم منهم، فإذا جراحهم أشبهت جراحهم**)) أي فإذا جراح المطعونين أشبهت جراح المقتولين، **وفي رواية** (**فيلحقون بهم**).

قال السندي في حاشيته على النسائي: " لاشك أن مقصود الشهداء بذلك إلحاق المطعون معهم ورفع درجته إلى درجاتهم، وأما الأموات على الفرش فلعله ليس مقصودهم أصالة أن لا ترفع درجة المطعون إلى درجات الشهداء، فإن ذلك حسد مذموم وهو منزوع عن القلوب في ذلك الدار، وإنما مرادهم أن ينالوا درجات الشهداء كما نال المطعون مع موته على الفراش، فمعنى قولهم (**إخواننا ماتوا على فرشهم كما متنا**) أي فإن نالوا مع ذلك درجات الشهداء ينبغي أن ننالها أيضا، وعلى هذا فينبغي أن يعتبر هذا الخصام خارج الجنة وإلا فقد جاء فيها (**ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم**) فينبغي أن ينال درجة الشهداء من يشتهيها في الجنة والظاهر أن الله تعالى ينزع من قلب كل أحد في الجنة اشتهاء درجة من فوقه ويرضيه بدرجته والله تعالى أعلم " انتهى كلامه.

٣.أن الرسول ﷺ سماه قتلا في سبيل الله، كما سبق ذكره، وكذا حديث العرباض يفيد أنهم ماتوا قتلا كما قتل الشهداء وهذا خاص بشهيد الطاعون دون غيره من الشهادات، وذلك لما يلي:

١. أن الحديثين السابقين وردا في شهيد الطاعون خاصة.

٢. أن الأحاديث التي وردت في فضل الطاعون كما سبق، أكثر من الأحاديث التي وردت في غيره من الشهادات.

٣. أن النبي ﷺ دعا به لأمته، وأن يكون فناء أمته به، ولم يرد هذا في غيره من الشهادات، بل ورد أنه تعوذ من بعضها.

٤. أن النبي ﷺ سماه قتلا في سبيل الله، وشهيد المعركة مقتول في سبيل الله، فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**اللهم اجعل فناء أمتي قتلا في سبيلك بالطعن والطاعون**) رواه أحمد، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

قال الحافظ في الفتح: " قال العلماء " أراد أن يحصل لأمته أرفع أنواع الشهادة، وهو القتل في سبيل الله بأيدي أعدائهم، إما من الإنس وإما من الجن " انتهى كلامه.

وقال المناوي في الفيض: " قال الراغب نبه بالطعن على الشهادة الكبرى، وهي القتل في سبيل الله، وبالطاعون على الشهادة الصغرى " انتهى كلامه.

٥. أوجه المشابهة بين شهيد المعركة وشهيد الطاعون:

أولا: أن كلا منهما فيه طعن وقتل، فالمعركة من الإنس الأعداء، وذاك من الجن الأعداء.

ثانيا: أن كلا منهما فيه جراح، كما ورد في الحديثين السابقين.

ثالثا: أن كلا منهما يشترط فيهما الصبر والثبات والاحتساب وعدم الفرار.

رابعا: أن كلا منهما فيه موت ذريع فالطاعون يموت به الألوف وكذا المعركة يقتل بها الألوف.

خامسا: ما ورد في الحديث (**أن المقيم في الطاعون كالمرابط في سبيل الله**) رواه الطيالسي وقد سبق الحكم على الحديث.

٦. أن الصحابة كانوا يدعون به، ويتمنونه، ولا يأبهون بكونهم قتلوا به، أو بشهادة المعركة، مع كونهم خرجوا غزاة لطلب الشهادة.

كما روى الحاكم أن معاذ بن جبل رضي الله عنه قام في الجيش الذي كان عليه حين وقع الوباء فقال: (يا أيها الناس هذه رحمة ربكم، ودعوة نبيكم، ووفاة الصالحين قبلكم، ثم قال معاذ وهو يخطب: اللهم أدخل على آل معاذ نصيبهم الأوفى من هذه الرحمة، فبينا هو كذلك إذ أتي فقيل طعن ابنك عبد الرحمن، فلما أن رأى أباه معاذا قال: يقول عبد الرحمن: يا أبت الحق من ربك فلا تكونن من الممترين، قال: يقول معاذ: ستجدني إن شاء الله من الصابرين، فمات من الجمعة إلى الجمعة آل معاذ كلهم، ثم كان هو آخرهم).

٧. عظم المصاب به، حيث أنه لا يقتصر على شخص واحد، أو مجموعة قليلة، بل قد يعم غالب أهل المكان ويفنيهم، فتجد الشخص قد مات جميع أقاربه وأهله، وذلك أعظم أجرا لصاحبه من الشهادات الأخرى.

٨. أن فيه أمرا زائدا على مجرد شدة الموت التي فضلت بها الشهادات الأخرى كما سيأتي، وذلك الأمر هو وخز الأعداء من الجن.

وعلى هذا فشهادة الطاعون أفضل من غيرها من الشهادات، وقريبة في التفضيل من شهادة المعركة.

- **الدعاء بالطاعون:**

يجوز الدعاء بالطاعون لأنه شهادة، ولأن النبي ﷺ دعا به لأمته كما سبق بيانه، وأيضا ورد عن الصحابة كما سبق أنهم كانوا يدعون به لأنفسهم.

وبالنسبة لدعاء النبي ﷺ لأمته بالفناء بالطعن والطاعون وإخباره بذلك، لا يرد عليه أن أكثر الأمة ماتوا بغيرهما، لأن المقصود من الخبر الدعاء، وقد استجيب له في بعض الأمة، فكثر الموتى بهما، قاله المناوي في الفيض.

- **بعض تاريخ الطواعين في الأمة الإسلامية:**

أول طاعون وقع في المسلمين هو طاعون عمواس بالشام سنة ١٨ هـ ومات به خسمة وعشرون ألفا.

ومن الطواعين طاعون الجارف، سمي بذلك لكثرة من مات به من الناس، حيث هلك في ثلاثة أيام في كل يوم سبعون ألفا، واختلف في زمن حدوثه فقيل ٦٩ هـ وقيل ٦٧ هـ وقيل غيرها.

ومن الطواعين طاعون الفتيات، لأنه بدأ بالجواري والعذارى في سنة ٨٧ هـ.

وطاعون سنة ١٣١ هـ وبدأ في رجب، واشتد في رمضان، فكان يحصى في كل يوم ألف جنازة أياما، وخف في شوال.

وقد ألف الحافظ ابن حجر في الطاعون كتابا أسماه " بذل الماعون في فضل الطاعون " وإنما أطلنا الكلام على الطاعون لكثرة تفريعاته والأحاديث الواردة فيه بخلاف بقية الشهادات.

ثانيا: المبطون:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (**الشهداء الغرق والمبطون والمطعون والهدم**) رواه البخاري.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**ما تعدون الشهيد فيكم ؟**) قالوا: يا رسول الله من قتل في سبيل الله فهو شهيد، قال (**إن شهداء أمتي إذا لقليل**) قالوا: فمن هم يا رسول الله ؟ قال: (**من قتل في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في الطاعون فهو شهيد، ومن مات في البطن فهو شهيد**) رواه مسلم.

وفي مسند أحمد عن حميد بن عبد الرحمن الحميري أن رجلا يقال له حممة كان من أصحاب محمد ﷺ، خرج إلى أصبهان غازيا في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه، فقال: اللهم إن حممة يزعم أنه يحب لقاءك، فإن كان حممة صادقا فاعزم له صدقه، وإن كان كاذبا فاعزم عليه وإن كره، اللهم لا ترد حممة من سفره هذا، قال: فأخذه الموت – وقال عفان مرة البطن – فمات بأصبهان، قال: فقام أبو موسى فقال: (يا أيها الناس إنا والله ما سمعنا فيما سمعنا من نبيكم ﷺ وما بلغ علمنا إلا أن حممة شهيد) قال البوصيري في الإتحاف ورواته ثقات وقال الهيثمي رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير داود بن عبد الله الأودي وهو ثقة وفيه خلاف.

وعن عبد الله بن يسار قال: كان سليمان بن صرد وخالد بن عرفطة قاعدين، قال: فذكر أن رجلا مات بالبطن، فقال أحدهما لصاحبه: أما سمعت أو ما بلغك أن رسول الله ﷺ قال: (**من قتله بطنه فلن يعذب في قبره**) ؟ قال الآخر: (بلى) رواه أحمد والترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

وهذه إحدى خصال الشهيد وفضائله، وهي الأمن من عذاب القبر.

والمقصود به من مات بمرض بطنه، سواء كان إسهالا أو استسقاء أو قلونج أو غيره، يقال ٌبطن الرجل فهو مبطون إذا اشتكى بطنه، وبعضهم خصه بالاستسقاء، ولا دليل على التخصيص، والعموم أولى، وفي الحديث الآخر (**من قتله بطنه**) فمعنى المبطون من قتله بطنه، وهذا يعم أي مرض يصيب بطنه فيموت به.

فأي شخص يموت بسبب مرض في بطنه فهو ممن يدخل في هذا الحديث إن شاء الله.

ثالثا: المجنوب:

وهو من أصيب بمرض ذات الجنب، وهو عبارة عن ورم حار يظهر في باطن الجنب في الغشاء المستبطن للأضلع، وينفجر إلى داخل، فيموت صاحبها، وقد ينفجر إلى خارج.

عن عبد الله بن عبد الله بن جابر بن عتيك، عن أبيه، عن جده، أنه مرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقال قائل من أهله: إن كنا لنرجو أن تكون وفاته قتل شهادة في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: (**إن شهداء أمتي إذا لقليل، القتل في سبيل الله شهادة، والمطعون شهادة، والمرأة تموت بجمع شهادة، والغرق والحرق والمجنوب (يعنى ذات الجنب) شهادة**) رواه ابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه.

ويقال لها أيضا وجع الخاصرة، وهي من الأمراض المخوفة، وقلما يسلم صاحبها، لأنها تحدث بين القلب والكبد، وهي من سيء الأسقام، ولهذا قال رسول الله ﷺ: (**ما كان الله ليسلطها علي**) فقد روى الحاكم عن عائشة رضي الله عنها في مرض وفاة النبي ﷺ قالت: " فظننا أن به ذات الجنب، فلددناه، ثم سري عن رسول الله ﷺ وأفاق، فعرف أنه قد لد، ووجد أثر ذلك اللد، فقال: (**أظننتم أن الله سلطها علي ما كان الله ليسلطها علي**) صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

ومعنى " **اللد** " هو أن يصب الدواء من أحد جانبي فم المريض.

ويحدث بسببها خمسة أعراض: الحمى – السعال – ضيق النفس – الوجع النابض – النبض المنشاري.

وليس المقصود أي مرض يحدث في الجنب، بل هو مرض معين معروف يصيب الجهاز التنفسي، وهو نوع من الالتهابات التي تصيب الجنبة أو البلورا، وهي عبارة عن غشاء مزدوج يحيط بالرئتين، ويفصلهما عن جدار الصدر، وفي حالة الإصابة بذات الجنب يصبح الاحتكاك بين طبقتي ذات الجنب أثناء الشهيق والزفير صعبا جدا، مما ينتج عنه ألم شديد أثناء التنفس.

رابعا: مريض السل:

روى أبو الشيخ عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(السل شهادة)** وبعضهم يقول: (السيل) وقد صحح الحديث الألباني في صحيح الجامع، ويسمى أيضا بالدرن، وهو مرض يصيب الرئتين بصفة رئيسية وقد يصيب الأعضاء الأخرى، وهذا المرض أكثر أسباب الموت في العالم في الزمن السابق، ويؤدي إلى إتلاف الرئة عند الإنسان، وسرعان ما يؤدي إلى الوفاة، ويصاحبه ألم الصدر، والحمى، والعرق الكثير، وفقدان الشهية، والسعال مع الدم والبلغم.

خامسا: الغريق (الغرق):

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **(الشهداء: الغرق، والمبطون، والمطعون، والهدم)** رواه البخاري.

وهو الذي مات بسبب الغرق، والغرق هو الرسوب في الماء، ويقال من غلبه الماء حتى غمره فدخل في منافذ أنفه وفمه وسده غريق، ويعم الحكم بالشهادة الغرق بالبحار، والأنهار، ولو حتى البرك الصغيرة، إذ كل المعنى موجود فيها، وبعض العلماء قيده بمن ركب البحر ركوبا غير محرم.

ففي مجموع الفتاوى لابن تيمية:" وسئل عن رجل ركب البحر للتجارة فغرق، فهل مات شهيدا؟

الجواب:

فأجاب: نعم مات شهيدا إذا لم يكن عاصيا بركوبه، فإنه صح عن النبي ﷺ أنه قال: **(الغريق والمبطون شهيد، والحريق شهيد، والميت بالطاعون شهيد، والمرأة تموت في نفاسها شهيدة، وصاحب الهدم شهيد)** وجاء ذكر غير هؤلاء، وركوب البحر للتجارة جائز إذا غلب على الظن السلامة، وأما بدون ذلك فليس له أن يركبه للتجارة، فإن فعل فقد أعان على قتل نفسه، ومثل هذا لا يقال إنه شهيد والله أعلم) انتهى كلامه.

سادسا: الشريق:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (**ما تعدون الشهداء فيكم؟**) قالوا: من يقتل في سبيل الله، قال: (**إن شهداء أمتي إذا لقليل ؟ المقتول في سبيل الله شهيد، والمرء يموت على فراشه في سبيل الله شهيد، والمبطون شهيد، والملدوغ شهيد، والغريق شهيد، والشريق شهيد، والذي يفترسه السبع شهيد، والخار عن دابته شهيد، وصاحب الهدم شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والنفساء يقتلها ولدها يجرها بسرره إلى الجنة**) رواه الطبراني، وقال الهيثمي " وفيه عمرو بن عطية بن الحارث الوادعي وهو ضعيف " وقد قال الحافظ عن هذا النوع من الشهادة في الفتح أنها جاءت بأسانيد جيدة والله أعلم.

والشريق الذي يشرق بالماء ويموت بسبب ذلك، وهو أن يعترض الماء في الحلق، فيغطي مجرى النفس الواصل إلى الرئتين، فلا يستطيع أن يتنفس الإنسان.

وهو قريب من الغرق في سبب الموت.

سابعا: من مات مغموما:

وهذا لم يصح فيه حديث صريح في ذلك فما جاء عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**المطعون شهيد، والمبطون شهيد، وصاحب الحريق شهيد، وصاحب الغرق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، وصاحب الغم شهيد، والمراة تموت بجمع شهيد**) رواه عبد الرزاق بإسناد منقطع.

ولكن جاء عن أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث رضي الله عنها، وكان رسول الله ﷺ يزورها ويسميها الشهيدة، وكانت قد جمعت القرآن، وكان رسول الله ﷺ حين غزا بدرًا قالت: تأذن لي فأخرج معك أداوي جرحاكم وأمرض مرضاكم لعل الله تعالى يهدي لي الشهادة ؟ قال: (**إن الله تعالى مهد لك الشهادة**) فكان يسميها الشهيدة، وكان النبي ﷺ قد أمرها أن تؤم أهل دارها، وأنها غمتها جارية لها وغلام كانت قد دبرتهما، فقتلاها في إمارة عمر، فقيل: إن أم ورقة قتلتها جاريتها وغلامها وأنهما هربا، فأتي بهما فصلبهما، فكانا أول مصلوبين في المدينة، فقال عمر رضي الله عنه: صدق رسول الله ﷺ كان يقول: (**انطلقوا نزور الشهيدة**) رواه أبو يعلى.

ورواه أبو داود قال: عن أم ورقة بنت عبد الله بن نوفل الأنصارية رضي الله عنها أن النبي ﷺ لما غزا بدرا، قالت: (قلت له: يا رسول الله ائذن لي في الغزو معك، أمرض مرضاكم، لعل الله أن يرزقني شهادة، قال: **(قري في بيتك فإن الله تعالى يرزقك الشهادة)** قال: فكانت تسمى الشهيدة، قال: وكانت قد قرأت القرآن، فاستأذنت النبي ﷺ أن تتخذ في دارها مؤذنا فأذن لها، قال وكانت قد دبرت غلاما لها وجارية، فقاما إليها بالليل فغماها بقطيفة لها حتى ماتت وذهبا، فأصبح عمر فقام في الناس فقال: من كان عنده من هذين علم أو من رآهما فليجئ بهما، فأمر بهما فصلبا، فكانا أول مصلوب بالمدينة) وحسنه الألباني في صحيح أبي داود.

فهذه أم ورقة رضي الله عنها أعطيت الشهادة لاحتمالين الأول الغم الذي حصل لها من قبل الغلام والجارية، والثاني أنها أعطيت الشهادة لأنها قتلت ظلما بغير حق كما سيأتي أنه من أنواع الشهادة، والله أعلم.

والغم هو كل شيء يستر شيئا، ومعنى ذلك أن يموت مختنقا، بأن يغطى عنده الجهاز التنفسي من الأنف والفم، فلا يقدر على التنفس.

ثامنا: صاحب الهدم:

عن جابر بن عتيك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله: المقتول في سبيل الله شهيد، والمطعون شهيد، والغريق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمبطون شهيد، وصاحب الحريق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجمع شهيد)** رواه مالك وأحمد، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

وهو الذي يموت بسبب انهدام البناء وانهياره عليه، وقد تعوذ منه النبي ﷺ فقال: **(اللهم إني أعوذ بك من التردي والهدم والغرق والحرق، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت، وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبرا، وأعوذ بك أن أموت لديغا)** رواه النسائي والحاكم عن أبي اليسر رضي الله عنه، وقال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وصححه الألباني في صحيح الجامع، والتردي هنا هو السقوط من الجبال ونحوها.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ مر بجدار أو حائط مائل فأسرع المشي، فقيل له، فقال: (**إني أكره موت الفوات**) رواه أحمد وإسناده ضعيف كما قال الهيثمي.

وهل يقاس عليه اصطدام الأشياء الثقيلة بالشخص من دون سقوط، كحوادث السيارات، كمن اصطدمت به سيارة أو ضربه شيء ثقيل ونحوه ؟

أدخله بعض العلماء المعاصرين فيه حيث أن بعض هذه الاصطدامات هي أشد من سقوط الجدران عليه.

وعكسه اصطدام الشخص بالأشياء الصلبة الثابتة، مثل من سقط من شاهق، أو في بئر على الأرض فمات، وسيأتي الحكم في المتردي من الجبل.

تاسعا: المتردي من رؤوس الجبال:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (إن من يتردى من رؤوس الجبال، ويأكله السباع، ويغرق في البحار، لشهداء عند الله) رواه الطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي، وصحح إسناده الحافظ في الفتح، وهذا وإن كان موقوفا، فإن له حكم الرفع، فإنه لا مجال للرأي فيه.

وهو من سقط من رؤوس الجبال، فمات بسبب ذلك ومثله السقوط من أي شاهق ومرتفع، كما سيأتي بيانه فيمن وقصته دابته إن شاء الله.

وقد استعاذ من هذه الميتة النبي ﷺ كما سبق قريبا في الحديث.

عاشرا: من صُرع عن دابته:

من سقط من دابته على الأرض فمات، فهو شهيد، والدليل عليه ماجاء عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**من صُرع عن دابته فهو شهيد**) رواه الطبراني، وقال الهيثمي ورجاله ثقات، وصححه الألباني في صحيح الجامع، وحسن إسناده الحافظ في الفتح، وفي رواية أبي يعلى (**عن دابته في سبيل الله فهو شهيد**).

والحديث يعم من صُرع عن دابته وهي تسير، أو كانت واقفة، وهذا يشبه في المعنى ما سبق في صاحب الهدم، والمتردي من الجبال.

وبعضهم خصه بمن صرع عن دابته في سبيل الله، لتقييده في الحديث بذلك، لكن يرد عليه أن الغرق والحرق قيد في الحديث الآخر في سبيل الله، وهو ليس مقيد بذلك عند أهل العلم، والله أعلم.

قال المناوي في الفيض: " المراد بالحديث السقوط عن الدابة حال قتال الكفار بسببه على أي وجه كان " انتهى كلامه.

الحادي عشر: من صبر على المقام في أرض الطاعون:

وقد سبق الكلام عليه.

الثاني عشر: من مات مرابطا في سبيل الله:

قال الحافظ في الفتح " الرباط – بكسر الراء وبالموحدة الخفيفة – ملازمة المكان الذي بين المسلمين والكفار لحراسة المسلمين منهم..." ثم قال " فبين المرابطة والحراسة عموم وخصوص وجهي " انتهى كلامه.

ومن مات وهو مرابط على ثغور المسلمين، محتسب للأجر في ذلك، أعطي إذا مات درجة الشهادة، والدليل عليه ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **(من مات مرابطا، مات شهيدا، وقي فتان القبر، وغدي وريح برزقه من الجنة، وجرى عليه عمله)** رواه عبد الرزاق وابن حبان، وهذا النوع من الشهادة جود طرقها الحافظ في الفتح، وفتان القبر هو مساءلة الملكين وامتحانهما للميت في القبر.

وأيضا وردت أحاديث في المرابط تدل على أنه يعطى بعض خصال الشهادة، كالوقاية من الفتان، وأنه يرزق، وأنه يأمن الفزع الأكبر، وكل هذه من خصال الشهادة كما سيأتي إن شاء الله.

وأيضا المرابطة من الجهاد، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد، كما سيأتي إن شاء الله.

قال ابن النحاس في المشارع: "جرت السنة في معاملة الله عبيده بفضله وكرمه، أن من توجه بصدق إلى شيء من القربات فمنعه منه القدر الإلهي مع شدة حرصه عليه، وتصميم قصده في طلبه، أن الله يعطيه يوم القيامة أجر تلك القربة، تفضلا منه وإحسانا، لحسن قصده ولإخلاص نيته وصدق طويته، والدليل على ذلك أن من خرج مجاهدا فمات كان شهيدا، كما سيأتي في بابه إن شاء اللّه، وكذلك من حج فمات كتب حاجا.

وقد قال في المحرم الذي سقط عن بعيره فمات (**إنه يبعث يوم القيامة ملبيا**).

وكذلك قوله: (**من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل، فغلبته عينه حتى أصبح كتب له ما نوى، وكان نومه صدقة عليه من ربه**) رواه النسائي، وابن ماجه، وابن خزيمة في صحيحه من حديث أبي الدرداء، ورواه أبو داود، والنسائي – أيضا – من حديث عائشة.

وكذلك قوله في (**من توضأ فأحسن وضوءه ثم راح فوجد الناس قد صلوا أعطاه اللّه مثل أجر من صلاها وحضرها، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا**) رواه أبو داود، والنسائي، والحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم.

وأشباه هذه الأحاديث كثيرة، والمرابط إنما رابط توقعا للشهادة، وتعرضا لبذل نفسه في نيلها، فلا جرم أنه إذا مات يبعث شهيدا، ويؤيد هذا ما وهبه اللّه من خصائص الشهداء، وهو إجراء الرزق عليه، والأمان من فتنة القبر، ومن الفزع الأكبر، ونحو ذلك، فلو لم يرد حديث مصرح بأنه يبعث شهيدا لكان مما يستنبط من هذه القاعدة، فكيف وقد روي في ذلك عدة أحاديث، وإن كانت لا تسلم من مقال، فهي تتعاضد وتقوى بكثرة الطرق، ويؤيدها القاعدة المذكورة، واللّه أعلم " انتهى كلامه.

لكن المرابط وإن حصل له رتبة الشهادة، فليس في الفضل كشهيد المعركة، فإن الذي يموت في سبيل الله – وإن كان شهيدا – أقل رتبة من الذي يقتل في المعركة في سبيل الله، كما سيأتي إن شاء الله.

قال المناوي في الفيض: " وقد جاء في المرابط الذي هو أقل رتبة من الشهيد أنه لا يفتن " فهذا يدل على تفضيل الشهيد على المرابط.

الثالث عشر: من مات في سبيل الله:

من خرج يريد الجهاد في سبيل الله ثم مات قبل المعركة بأي حتف، سواء كان على فراشه، أو سقط عن دابته، أو لدغته هامة، أو مات بأي سبب من غير العدو فهو شهيد.

والدليل عليه: قال تعالى: ﴿ **وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**﴾.

وقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٥٨) لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ**﴾ **الحج**.

وقال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ**﴾ **النساء**.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (**ما تعدون الشهيد فيكم ؟**) قالوا: يا رسول الله من قتل في سبيل الله فهو شهيد، قال: (**إن شهداء أمتي إذا لقليل**) قالوا: فمن هم يا رسول الله ؟ قال: (**من قتل في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في الطاعون فهو شهيد، ومن مات في البطن فهو شهيد**) رواه مسلم.

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**من فصل (أي خرج) في سبيل الله فمات أو قتل فهو شهيد، أو وقصه (معناه صرعه) فرسه أو بعيره أو لدغته هامة أو مات على فراشه أو بأي حتف شاء الله فإنه شهيد وإن له الجنة**) رواه أبو داود، وجود طريقه الحافظ في الفتح، وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

وعن عبد الله بن نوفل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**الميت في سبيل الله شهيد**) رواه عبد الرزاق في المصنف.

عن جابر بن عتيك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ جاء يعود عبد الله بن ثابت فوجده قد غلب، فصاح به رسول الله ﷺ فلم يجبه، فاسترجع رسول الله ﷺ وقال: (**غلبنا عليك يا أبا الربيع**) فصاح النسوة وبكين، فجعل ابن عتيك يسكتهن، فقال رسول الله ﷺ: (**دعهن، فإذا وجب فلا تبكين باكية**) قالوا: وما الوجوب يارسول الله ؟ قال: (**الموت**) قالت ابنته: والله إن كنت لأرجو أن تكون شهيدا، فإنك قد كنت قضيت جهازك، قال رسول الله ﷺ: (**إن الله عز و جل قد أوقع أجره على**

قدر نيته، وما تعدون الشهادة ؟) قالوا: القتل في سبيل الله تعالى، قال رسول الله ﷺ: **(الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله، المطعون شهيد، والغرق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمبطون شهيد، وصاحب الحريق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجمع شهيدة)** رواه أبو داود، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

قال المناوي في الفيض: **(على قدر نيته)** أي فيكتب له أجر الشهادة وإن كان مات على فراشه " انتهى كلامه.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(من قتل في سبيل الله أو مات فهو في الجنة)** رواه ابن أبي شيبة ورجاله ثقات كما قال ابن النحاس.

وعن سبرة بن أبي الفاكه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه، فقعد له بطريق الإسلام، فقال: تسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء أبيك، فعصاه فأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة، فقال: تهاجر وتدع أرضك وسماءك، وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول، فعصاه فهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد، فقال: تجاهد فهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال، فعصاه فجاهد – فقال رسول الله ﷺ –: فمن فعل ذلك كان فمات حقا على الله عز وجل أن يدخله الجنة، ومن قتل كان حقا على الله عز وجل أن يدخله الجنة، وإن غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة، أو وقصته دابته كان حقا على الله أن يدخله الجنة)** رواه النسائي وأحمد، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

وعن أنس رضي الله عنه قال: إن أبا طلحة (قرأ سورة براءة فأتى على هذه الآية **(انفروا خفافا وثقالا)** فقال: ألا أرى ربي يستنفرني شابا وشيخا ؟ جهزوني، فقال له بنوه: قد غزوت مع رسول الله ﷺ حتى قبض، ومع أبي بكر حتى مات، ومع عمر، فنحن نغزو عنك قال: جهزوني، فجهزوه، فركب البحر، حتى مات، فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام فلم يتغير) رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي، فقد مات في سبيل الله، وأعطي من خصال الشهداء، وهوعدم تعفن جسده.

عن عبد الرحمن بن جحدم الخولاني (أنه حضر فضالة بن عبيد في البحر مع جنازتين، أحدهما أصيب بمنجنيق، والآخر توفي، فجلس فضالة عند قبر المتوفى، فقيل له: تركت الشهيد فلم تجلس عنده ؟

فقال: ما أبالي من أي حفرتيهما بعثت، إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿**وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٥٨) لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ**﴾ الحج. فما تبغي أيها العبد إذا دخلت مدخلا ترضاه ورزقت رزقا حسنا، والله ما أبالي من أي حفرتيهما بعثت) رواه ابن المبارك، وفي إسناده ابن لهيعة، وهو ضعيف.

وقد سبق كلام ابن النحاس قريبا في هذا المعنى في الكلام على المرابط.

وهذا خاص بالجهاد، لأنه المراد في الإطلاق إذا قيل في سبيل الله، ولأن طلب الشهادة إنما يحصل وينوى في الجهاد فقط، أما من خرج لطلب علم أو حج أو دعوة ومات فهذا له أجر نيته، لكن لا تكون له الشهادة، لعدم الدليل خلافا لمن رأى ذلك.

ويدخل في هذا النوع من أخذ في التجهيز والاستعداد للجهاد، فمات قبل أن يخرج، فتكون له أجر نيته، ويدل عليه حديث جابر بن عتيك السابق.

قال المناوي: ((**إن الله تعالى قد أوقع**) أي صير (**أجره**) أي أجر عبد الله بن ثابت الذي تجهز للغزو مع رسول الله ﷺ فمات قبل خروجه (**على قدر نيته**) أي فيكتب له أجر الشهادة، وإن كان مات على فراشه، وهذا يحتمل كونه خصوصية لذلك الصحابي، ويحتمل العموم) انتهى كلامه.

ويدخل فيه أيضا من رجع من الجهاد والغزو، فمات في طريق رجعته، فإنه شهيد، وذلك لأنه ورد عن النبي ﷺ أنه قال: (**قفلة كغزوة**) رواه أحمد وأبو داود عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الجامع، والقفول هو الرجوع من السفر والمقصود هنا الرجوع من الغزو، وأيضا حديث أم حرام بنت ملحان رضي الله عنها لما ماتت في الغزو – كما رواه البخاري – قال العلماء: إنها شهيدة، مع أنها ماتت في طريق عودتها، والعلماء جعلوا زوائد الأعمال كحكم المقاصد، ومن ذلك الرجوع من الغزو والرجوع من الصلاة ونحوه.

وهل هو كشهيد المعركة أم أن شهيد المعركة أفضل ؟

اختلف في ذلك العلماء، فذهب بعض العلماء إلى أنهم سواء، واستدلوا بحديث أم حرام رضي الله عنها، فروى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ يدخل على أم حرام بنت ملحان، فتطعمه، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت، فدخل عليها رسول الله ﷺ، فأطعمته، وجعلت

تفلي رأسه، فنام رسول الله ﷺ، ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: فقلت: وما يضحكك يا رسول الله ؟ قال: **(ناس من أمتي عرضوا علي، غزاة في سبيل الله، يركبون ثبج هذا البحر ملوكا على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة)** – شك إسحاق – قالت: فقلت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها رسول الله ﷺ، ثم وضع رأسه ثم استيقظ وهو يضحك، فقلت: وما يضحكك يا رسول الله ؟ قال: **(ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله)** – كما قال في الأول – قالت: فقلت يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، قال: **(أنت من الأولين)** فركبت البحر في زمان معاوية بن أبي سفيان فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت) رواه البخاري، وثبج البحر: وسطه إذا تجمع وبرز، وأعالي الموج.

وحديث فضالة بن عبيد السابق ذكره.

وذهب بعض العلماء إلى أن للقتيل في سبيل الله مزية على الميت وأنه أفضل منه لأمور:

١. الفضائل التي ثبتت للقتيل ولم تأتي في الميت من فضائل الشهادة التي ستأتي.

٢. أن الميت نوى الشهادة وخرج لطلبها ولم يحصلها، والقتيل نواها وحصلها، وقد جاء في الحديث **(أن من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها كتبت له عشر حسنات)** رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما، فالقتيل حصل له أجر المضاعفة والنية، والميت حصل له أجر النية فقط.

٣. عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله ما الإسلام ؟ قال: **(أن يسلم قلبك لله عز وجل وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك**.......) قال: وما الجهاد ؟ قال: **(أن تقاتل الكفار إذا لقيتهم)** قال: فأي الجهاد أفضل ؟ قال: **(من عقر جواده وأهريق دمه)** رواه أحمد، وقال الهيثمي ورجاله ثقات، وقال الألباني " ورجاله ثقات رجال الشيخين، فهو صحيح إن كان أبو قلابة سمعه من عمرو بن عبسة " فعلم أن من لم يكن على تلك الصفة فهو مفضول.

٤. أن للمقتول ثواب ما أصابه من الجراح التي تأتي يوم القيامة تتفجر دما بريح المسك.

قال ابن النحاس في المشارع: " كما أن الميت في سبيل الله يتميزعن المطعون والمبطون والغريق والحريق ومن ذكر معهم من الشهداء، بما ناله من أجر الغدو والرواح والغبار وتضعيف العمل في الغزو وإن كانوا كلهم شهداء " انتهى كلامه.

قال ابن القيم في عدة الصابرين: " ولا ريب أن ما حصل للمقتول في سبيل الله من ثواب الشهادة تزيد كيفيته وصفاته على ما حصل لناوي ذلك إذا مات على فراشه وإن بلغ منزلة الشهيد، فها هنا أجران: أجر وقرب، فإن استويا في أصل الأجر لكن الأعمال التي قام بها العامل تقتضي أثراً زائداً وقرباً خاصاً وهو فضل الله يؤتيه من يشاء " انتهى كلامه.

قال الحافظ في الفتح على حديث أم حرام في غزو البحر:" وفي الحديث جواز تمني الشهادة، وأن من يموت غازيا يلحق بمن يقتل في الغزو، كذا قال ابن عبد البر، وهو ظاهر القصة، لكن لا يلزم من الاستواء في أصل الفضل الاستواء في الدرجات، وقد ذكرت في باب الشهداء من كتاب الجهاد كثيرا ممن يطلق عليه شهيدا وإن لم يقتل " انتهى كلامه.

الرابع عشر: من افترسه السبع:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (**ما تعدون الشهداء فيكم ؟**) قالوا: من يقتل في سبيل الله، قال: (**إن شهداء أمتي إذا لقليل ؟ المقتول في سبيل الله شهيد، والمرء يموت على فراشه في سبيل الله شهيد، والمبطون شهيد، والملدوغ شهيد، والغريق شهيد، والشريق شهيد، والذي يفترسه السبع شهيد، والخار عن دابته شهيد، وصاحب الهدم شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والنفساء يقتلها ولدها يجرها بسرره إلى الجنة**) رواه الطبراني وجود طريقه الحافظ في الفتح، وقال الهيثمي" وفيه عمرو بن عطية بن الحارث الوادعي وهو ضعيف".

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (إن من يتردى من رؤوس الجبال، ويأكله السباع، ويغرق في البحار، لشهداء عند الله) رواه الطبراني في الكبير " ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي، وصحح إسناده الحافظ في الفتح، ومثله لا يقال بالرأي فله حكم الرفع.

أي قتله السبع سواء أكل منه أو لم يأكل، لأن هذه الميتات إنما نيلت لطريقة موتها لا لما يحصل لها بعد الموت، أما كونه عبر في الحديث بالأكل فللغالب أن السبع لا يفترسه إلا للأكل، وسواء كان واحدا أو أكثر بأي نوع كانت القتلة والافتراس، والسبع يقع على ماله ناب من السباع ويعدو على الناس والدواب فيفترسها، مثل الأسد والذئب والنمر والفهد ونحوها، وأما الثعلب والضبع فليسا بسبع.

وهل يدخل فيه من افترسه حيوان غير السباع، كالحية إذا افترست الإنسان من تلك الحيات الغير سامة، وإنما تلتوي على الإنسان وتهشم عظامه ثم تلتهمه ؟

يحتمل والله أعلم.

الخامس عشر: من قتل ظلما بغير حق:

ويدخل فيه عدة صور:

١. من قتل دون ماله:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **(من قتل دون ماله فهو شهيد)** رواه البخاري.

وعن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي ؟ قال: **(فلا تعطه مالك)** قال: أرأيت إن قاتلني ؟ قال: **(قاتله)** قال: أرأيت إن قتلني ؟ قال: **(فأنت شهيد)** قال: أرأيت إن قتلته ؟ قال: **(هو في النار)** رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(من أريد ماله ظلما فقتل فهو شهيد)** رواه ابن ماجه، وحسن إسناده البوصيري في الزوائد، وقال الألباني في صحيح ابن ماجه: حسن صحيح.

عن قابوس بن مخارق عن أبيه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: الرجل يأتيني فيريد مالي ؟ قال: **(ذكره بالله)** قال: فإن لم يذكر ؟ قال: **(فاستعن عليه من حولك من المسلمين)** قال: فإن لم يكن حولي أحد من المسلمين ؟ قال: **(فاستعن عليه بالسلطان)** قال: فإن نأى السلطان عني ؟ قال:

(قاتل دون مالك حتى تكون من شهداء الآخرة أو تمنع مالك) رواه النسائي، وصححه الألباني في صحيح النسائي.

فمن أريد ماله بغير حق فدافع عن ماله فقتل فهو شهيد، و**(دون)** في الأصل ظرف بمعنى أسفل أو تحت، واستعملت هنا بمعنى **(لأجل)** التي للسببية توسعا ومجازا، لأن الذي يقاتل على ماله كأنه يجعله خلفه أو تحته ثم يقاتل عليه ذكره جمع من العلماء.

والمدافعة عن المال جائزة وغير واجبة عند الجمهور.

ويدخل في هذا الأمر من أدى زكاة ماله طيب النفس بها، فتعدي عليه في الحق، فأخذ سلاحه فقاتل فقتل، كما جاء عن علي بن الحسين قال: حدثتنا أم سلمة أن النبي ﷺ بينا هو في بيتها وعنده نفر من أصحابه، إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله كم صدقة كذا وكذا من التمر ؟ قال: كذا وكذا، قال الرجل: فإن فلانا تعدى علي وأخذ مني كذا وكذا، فقال النبي ﷺ: **(فكيف إذا سعى عليكم من يتعدى عليكم أشد من هذا التعدي ؟)** فخاض القوم في ذلك، فقال الرجل منهم: فكيف بنا يا رسول الله إذا كان الرجل منا غائبا في إبله وماشيته وزرعه ونخله فأدى زكاة ماله فتعدى عليه الحق فكيف يصنع يا رسول الله ؟ فقال النبي ﷺ: **(من أدى زكاة ماله طيبة بها نفسه يريد بها وجه الله والدار الآخرة، ثم لم يغيب منها شيئا، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة، فتعدى عليه الحق، فأخذ سلاحه فقاتل فقتل فهو شهيد)** رواه ابن خزيمة وابن حبان، وقال الهيثمي " رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجال الجميع رجال الصحيح " وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة.

٢. من قتل دون نفسه:

من قاتله شخص ظلما، فدافع عن نفسه فقتل فهو شهيد، والدليل عليه ما جاء عن سعيد بن زيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **(من قاتل دون ماله فقتل فهو شهيد، ومن قاتل دون دمه فهو شهيد، ومن قاتل دون أهله فهو شهيد)** رواه النسائي وأحمد، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

وروى الحارث ابن أبي أسامة في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي – ﷺ – قال: **(من قتل دون ماله مظلومًا فهو شهيد، ومن قتل دون نفسه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد، ومن قتل دون جاره فهو شهيد، ومن قتل في جنب الله فهو شهيد)** قال البوصيري في الإتحاف: مدار حديث ابن عباس هذا على جويبر بن سعيد البلخي وهو ضعيف.

والمدافعة عن النفس فيها خلاف بين العلماء هل تجب أو تجوز ؟

منهم من قال إنها تجب، ومنهم من قال بالجواز، ومنهم من قال بوجوبها في غير زمن الفتنة، وبجوازها في زمن الفتنة.

٣. من قتل دون أهله:

من قتل مدافعا عن بضع زوجته وقريبته وعرضه فهو شهيد، والدليل عليه سبق من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه.

والمدافعة عن الحريم واجبة بلا خلاف كما ذكره النووي، وأولى من يدخل في هذا من أريد عرضه فدافع عن نفسه فقتل، كرجل أريد على اللواط، أو امرأة أُريدت على الزنا، فيجب عليهم المدافعة، وإن قتلوا فهم شهداء.

٤. من قتل دون دينه:

عن سعيد بن زيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **(من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون أهله أو دون دمه أو دون دينه فهو شهيد)** رواه أبو داود، وصححه الألباني في صحيح الجامع وأبي داود.

وذلك يعم من قتل مدافعا عن دينه ومن أجله، كمن أريد على الكفر فأبى إلا الإسلام فقتل، مثل سمية وياسر رضي الله عنهما، أو قتل من أجل أنه فعل طاعة، أو ترك معصية، أو لأجل أنه مسلم، أو في سبيل الدعوة، أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويدخل فيه ما سيأتي من قام إلى إمام جائر، فأمره ونهاه فقتله.

٥. من قتل دون حقه:

عن الحسين بن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(من قتل دون حقه فهو شهيد)** رواه أبو يعلى وأحمد، وقال الهيثمي ورجاله ثقات، وصححه أحمد شاكر.

وعن أبي بكر بن حفص قال: قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(نعم المنية أن يموت الرجل دون حقه)** قال الهيثمي رواه أحمد وذكر فيه قصة والطبراني في الأوسط

ورجال أحمد رجال الصحيح إلا أن أبا بكر بن حفص لم يسمع من سعد، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

قال بعضهم: " وفي الحديث توسيع لدائرة الشهادة عن إطار المال، فإن الحقوق أوسع دائرة من المال، وهي مادية ومعنوية وهذا من فضل الله "انتهى.

٦. من قتل ظلما مطلقا:

بسبب من الأسباب، كمن دافع عن ولده، أو والده، أو قريبه، أو أي مسلم مظلوم، فقتل، أو لمجرد عداوة، أو غير ذلك، فعن سويد بن مقرن رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(من قتل دون مظلمته فهو شهيد)** رواه النسائي، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **(من قتل دون مظلمته فهو شهيد)** قال الهيثمي رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، وصححه أحمد شاكر.

وذلك مثل قتل عمر، وعثمان، وعلي، والزبير رضي الله عنهم وكطلحة رضي الله عنه، فقد سماه النبي ﷺ شهيدا، وكقتيل البغاة، والخوارج، وغيرهم.

السادس عشر: من قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله:

عن جابر رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: **(سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله)** رواه الحاكم، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، وله طرق.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **(سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله)** قال الهيثمي رواه الطبراني في الأوسط وفيه ضعف.

وهذا داخل في قتل دون دينه، ويشهد لهذا المعنى ما جاء عن أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر) أو (أمير جائر)** رواه أبو داود.

وروى ابن ماجه عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: عرض لرسول الله ﷺ رجل عند الجمرة الأولى فقال: يا رسول الله أي الجهاد أفضل ؟ فسكت عنه، فلما رمى الجمرة الثانية سأله، فسكت عنه، فلما رمى جمرة العقبة وضع رجله في الغرز ليركب قال: (**أين السائل ؟**) قال: أنا يا رسول الله، قال: (**كلمة حق عند ذي سلطان جائر**) وصححه الألباني في صحيح الجامع، وله طرق.

ومعنى (**إمام جائر**) أي ظالم غير عادل، وقوله في الحديث (**فأمره**) أي بمعروف من إقامة العدل وغيره، (**ونهاه**) أي عن منكر من جور وظلم وغيره، وهي كلمة الحق التي في الحديث الآخر.

قال المناوي في الفيض: (**كلمة حق**) أي موافق للواقع بحسب ما يجب وبقدر ما يجب في الوقت الذي يجب، والحق يقال لأوجه هذا أنسبها هنا ذكره الراغب " انتهى كلامه.

السابع عشر: المرأة تموت بجمع:

عن جابر بن عتيك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله: المقتول في سبيل الله شهيد، والمطعون شهيد، والغريق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمبطون شهيد، وصاحب الحريق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجمع شهيد**) رواه مالك وأحمد، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(**بجمع**) هو بضم الجيم وكسرها وفتحها، واختلف العلماء في معناه:

فقيل هي النفساء.

وقيل هي التي يموت ولدها في بطنها ثم تموت بسبب ذلك.

وقيل هي التي تموت بمزدلفة وهذا خطأ ظاهر.

وقيل هي التي تموت عذراء.

وأرجح الأقوال القول الأول، وقد ورد في بعض الروايات التصريح به بلفظ (**النفساء**)، فعن سعد بن أبي وقاص – رضي اللّه عنه – عن رسول اللّه – ﷺ – (**تستشهدون بالقتل، والطاعون، والغرق،**

والبطن، وموت المرأة جُمْعًا موتها في نفاسها) رواه أبو بكر بن أبي شيبة وعنه عبد بن حميد بسند صحيح كما قال البوصيري في الإتحاف، وقال الهيثمي " رواه البزار ورجاله رجال الصحيح ".

والنفاس ولادة، فإذا وضعت فهي نفساء، فإذا ماتت بسبب ذلك فهي شهيدة.

الثامن عشر: المائد في البحر:

عن أم حرام رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: **(المائد في البحر الذى يصيبه القئ له أجر شهيد، والغرق له أجر شهيدين)** رواه أبو داود، وجود طريقه الحافظ في الفتح، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

المائد هو الذي يلحقه غثيان ودوران في رأسه من ريح البحر واضطراب السفينة، من ماد يميد إذا دار رأسه.

وقد ورد في بعض الروايات إطلاقه، وفي بعضها تقييده بمن يصيبه ذلك في الغزو، فهل يحمل المطلق على المقيد هنا أم يعم أي ركوب للبحر سواء كان مباحا أو طاعة ؟

الجواب: أنه يحمل المطلق على المقيد في هذا، وذلك لأنه ذكر في نفس الحديث أن الغريق له أجر شهيدين، ومعلوم أن الغريق له أجر شهيد واحد، وإنما يكون له أجر شهيدين إذا كان غريقا في الغزو، كما ورد أن من مات في سبيل الله فهو شهيد والغريق شهيد، وأيضا فالميد لوحده أمر بسيط لا يستقل بأجر الشهادة العظيم، ولكنه لما كان في الجهاد – والأجور تتضاعف فيه – كان أجره عظيما بسبب ذلك، وبعض العلماء حمله على إطلاقه، فقال: يشمل ركوب البحر في الغزو وغيره، والله أعلم.

التاسع عشر: قتيل الخوارج ومن قتلهم أيضا:

فمن قاتل الخوارج فقتلهم فله أجر شهيد، فعن أبي أمامة رضي الله عنه أنه قال في الخوارج: **(شر قتلى قتلوا تحت أديم السماء، وخير قتيل من قتلوا، كلاب أهل النار، قد كان هؤلاء مسلمين فصاروا**

كفارا) قلت: يا أبا أمامة ! هذا شئ تقوله ؟ قال: (بل سمعته من رسول الله ﷺ) رواه ابن ماجه، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه، وراه الطبراني بأطول من هذا، ورجاله ثقات كما قال الهيثمي، وأديم السماء ما ظهر منها.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ أتاه مال فجعل يضرب بيده فيه فيعطي يمينا و شمالا، وفيهم رجل مقلص الثياب ذو سيماء بين عينيه أثر السجود، فجعل رسول الله ﷺ يضرب يده يمينا وشمالا حتى نفذ المال، فلما نفذ المال ولى مدبرا وقال: والله ما عدلت منذ اليوم، قال: فجعل رسول الله ﷺ يقلب كفه ويقول: (**إذا لم أعدل فمن ذا يعدل بعدي، أما إنه ستمرق مارقة يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ثم لا يعودون إليه حتى يرجع السهم على فوقه، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يحسنون القول ويسيئون الفعل، فمن لقيهم فليقاتلهم، فمن قتلهم فله أفضل الأجر، ومن قتلوه فله أفضل الشهادة، هم شر البرية برىء الله منهم، يقتلهم أولى الطائفتين بالحق)** رواه الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، والمروق هو الخروج، وقوله (**تراقيهم**) جمع ترقوة وهي عظمة مشرفة في أعلى الصدر بين ثغرة النحر والعاتق.

وعن يحيى بن يزيد الهنائي قال: كنت مع الفرزدق في السجن فقال الفرزدق: لا أنجاه الله من يدي مالك بن المنذر بن الجارود إن لم أكن انطلقت أمشي بمكة فلقيت أبا هريرة وأبا سعيد الخدري فسألتهما، فقلت: إني من أهل المشرق، وإن قوما يخرجون علينا يقتلون من قال لا إله إلا الله ويأمن من سواهم، فقالا لي - وإلا لا أنجاني الله من مالك بن المنذر -: سمعنا خليلنا ﷺ يقول: (**من قتلهم فله أجر شهيد - أو شهيدين - ومن قتلوه فله أجر شهيد)** رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله ثقات كما الهيثمي، وجود إسناده الحافظ في الفتح.

ولهذا قال علي رضي الله عنه: (لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضي لهم على لسان نبيهم ﷺ لاتكلوا عن العمل) رواه مسلم.

وعن أنس بن مالك و أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: (**سيكون في أمتي اختلاف وفرقة، قوم يحسنون القيل، ويسيئون الفعل، ويقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية لا يرجعون حتى يرد على فوقه، شر الخلق والخليقة، طوبى لمن قتلهم وقتلوه، يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء، من قاتلهم كان أولى بالله منهم)** قالوا:

يا رسول الله فما سيماهم ؟ قال: (**التحليق**) رواه أبو داود، الحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

وأيضا من قتله الخوارج فهو شهيد، كما سبق في الأدلة، سواء قتلوه في معركة، أم قتلوه صبرا، أم اغتيالا، فكلهم شهيد.

العشرون: من سأل الله الشهادة بصدق:

من سأل الله الشهادة بصدق أعطيها وبُلِّغ منازل الشهداء وإن مات على فراشه بدون سبب من أسباب الشهادة، قال ﷺ: (**من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه**) رواه مسلم عن سهل بن حنيف رضي الله عنه.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**من سأل الله القتل في سبيله صادقا من قلبه أعطاه الله أجر الشهادة**) رواه الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**من طلب الشهادة صادقا أعطيها ولو لم تصبه**) رواه مسلم.

فدعاء الله لوحده سبب كاف في حصولها، وهذا من كرم الله وسعة فضله، لكنه مقيد بالصدق في السؤال كما في الأحاديث السابقة.

ومعنى الصدق في سؤال الشهادة، أن تكون إرادته لها وطلبه لها قويا تاما ثابت الحقيقة، كما يقال يخرج من قلب، ورجعنا في ذلك إلى كلام ابن القيم في المدارج في تعريف الصدق، فقال: " هو حصول الشيء وتمامه وكمال قوته واجتماع أجزائه، كما يقال عزيمة صادقة إذا كانت قوية تامة، وكذلك محبة صادقة وإرادة صادقة وكذا قولهم حلاوة صادقة إذا كانت قوية تامة ثابتة الحقيقة لم ينقص منها شيء، ومن هذا أيضا صدق الخبر لأنه وجود المخبر بتمام حقيقته في ذهن السامع.." ثم قال: "ومن هذا وصفهم الرمح بأنه صادق الكعوب إذا كانت كعوبة صلبة قوية ممتلئة " انتهى كلامه.

وعلى هذا فمن سأل الله الشهادة بمجرد لسانه، لا بقلب صادق بل بقلب غافل وإرادة ضعيفة، لا يعطى أجر الشهداء.

وقيد السؤال بالصدق لأنه معيار الأعمال ومفتاح بركاتها وبه ترجى ثمرتها، ذكر هذا المناوي في الفيض، وقال المناوي في الفيض: " لأن كلا منهما – أي الشهيد وسائل الشهادة – نوى خيرا وفعل ما يقدر عليه، فاستويا في أصل الأجر ولا يلزم من استوائهما فيه من هذه الجهة استواؤهما في كيفيته وصفاته على الحاصل للناوي الميت على فراشه وإن بلغ منزلة الشهيد، فهما وإن استويا في الأجر لكن الأعمال التي قام بها العامل تقتضي أثرا زائدا وقربا خاصا وهو فضل الله يؤتيه من يشاء " انتهى كلامه، ومثل هذا يقال فيمن مات في سبيل الله كما سبق.

وملاحظ أنه قال في الحديث **(منازل الشهداء)** فجمع المنازل، ولم يقل منزلة، وذلك والله أعلم أن بلوغه للمنازل يختلف بحسب عمله، وطلبه أيضا، والشهادة درجات ومنازل متفاوتة كما سيأتي إن شاء الله، فبحسب عمله تكون منزلته، وبحسب طلبه تكون درجته، فمن طلب أعلى منازل الشهداء ليس كمن طلب منزلة الشهادة في الجملة.

الحادي والعشرون: المتمسك بالسنة في زمان الفتنة:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **(إن من ورائكم زمان صبر، للمتمسك فيه أجر خمسين شهيدا)** فقال عمر: يا رسول الله منا أو منهم ؟ قال: **(منكم)** رواه الطبراني في الكبير والبزار، وقال الهيثمي ورجال البزار رجال الصحيح غير سهل بن عامر البجلي وثقه ابن حبان، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر شهيد)** رواه الطبراني في الأوسط، وقال الهيثمي " وفيه محمد بن صالح العدوي ولم أر من ترجمه وبقية رجاله ثقات " وضعفه الألباني في ضعيف الجامع.

وذاك لأن المتمسك بالسنة والدين في ذلك الزمان يحتاج إلى صبر شديد، فمن قبض على دينه وصبر عليه فكأنما يصبر على قبض الجمر.

قال المناوي في الفيض: ((**عند فساد أمتي**) حين يكون كما قال فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي خير من الساعي).

وقال: " وذلك لأن السنة عند غلبة الفساد لا يجد المتمسك بها من يعينه بل يؤذيه ويهينه، فيصبر على ما يناله بسبب التمسك بها من الأذى يجازى برفع درجته إلى منازل الشهداء".

وقال أيضا على حديث (**المتمسك بسنتي كالقابض على الجمر عند اختلاف أمتي**): " وبين بهذا الخبر أن المؤمن في آخر الزمان لابد أن يصيبه من الأذى على إيمانه ما أصاب الصدر الأول، فإذا وجد في أهل هذا الزمن الأخير هذه الخصال التي كانت في أوائلهم جاز أن يساويهم في الخيرية فيكون فيها كهم، ويكون المراد بخبر (**خير الناس قرني**) الخصوص في قوم منهم لا جميعهم، ومعلوم أن قرنه كان منهم أبو جهل ومسيلمة وأضرابهما " انتهى كلامه.

ولهذا قال زمان الصبر فهي فتن سراء وضراء تحيط به تريد صده عن دينه، مع قلة أعوانه وأنصاره، فمن تمسك بالدين والسنة عظم أجره، ولهذا عظم أجر المتمسكين بالإسلام من السابقين بصبرهم على دينهم، مع الشدة والضعف الذي يلحقهم، وأجر هذا عظيم جدا فهو لم يقتصر على أجر شهيد واحد حتى أعطي أجر خمسين شهيدا، وليس هذا فقط بل خمسين شهيدا من شهداء الصحابة.

ولا يفهم من هذا تفضيله على الصحابة، إذ من المعلوم أن الصحابة أفضل ممن جاء بعدهم لشرف صحبتهم للنبي ﷺ، ولكن المراد بيان أن أجورهم مضاعفة، ولا يلزم التفضيل من وجه المضاعفة التفضيل من كل وجه.

الثاني والعشرون: اللديغ:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (**ما تعدون الشهداء فيكم ؟**) قالوا: من يقتل في سبيل الله، قال: (**إن شهداء أمتي إذا لقليل ؟ المقتول في سبيل الله شهيد، والمرء يموت على فراشه في سبيل الله شهيد، والمبطون شهيد، والملدوغ شهيد، والغريق شهيد، والشريق شهيد، والذي يفترسه السبع شهيد، والخار عن دابته شهيد، وصاحب الهدم شهيد، وصاحب**

ذات الجنب شهيد، والنفساء يقتلها ولدها يجرها بسرره إلى الجنة) رواه الطبراني، وجود طريقه الحافظ في الفتح، وقال الهيثمي: " وفيه عمرو بن عطية بن الحارث الوادعي وهو ضعيف ".

وهو من لدغته العقرب أو الحية ومات بسبب ذلك، وذلك بأن تفرز سمومها فيه بعضِّها أو غرز إبرتها فيه.

الثالث والعشرون: من جرح في المعركة مع الكفار ومات بعد المعركة بسبب الجرح:

وهذا سبق الكلام عليه، وأنه في أحكام الدنيا ليس بشهيد، وأما في أحكام الآخرة فهو شهيد، كما حصل لسعد بن معاذ ورافع بن خديج رضي الله عنهما، فقد سماه النبي ﷺ شهيدا.

الرابع والعشرون: الحريق:

عن جابر بن عتيك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **(الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله: المقتول في سبيل الله شهيد، والمطعون شهيد، والغريق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمبطون شهيد، وصاحب الحريق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجمع شهيد)** رواه مالك وأحمد، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

ومعناه أي المحترق الذي مات بسبب احتراقه بالنار.

- وهنا يمكن أن نضيف إلى شهداء الآخرة نوعا آخرا، يمكن أن يصير بها المرء شهيدا، ويبلغ منازل الشهادة وإن لم يحصل له شيء من الأسباب السابقة، وهو محبة الشهداء، فإن من أحب قوما كان معهم، كما جاء في الحديث عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قيل للنبي ﷺ: الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم ؟ قال: **(المرء مع من أحب)** رواه البخاري.

وعن أنس رضي الله عنه (أن رجلا سأل النبي ﷺ عن الساعة فقال: متى الساعة ؟ قال: **(وماذا أعددت لها)** قال: لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله ﷺ، فقال: **(أنت مع من أحببت)** قال أنس:

فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ: **(أنت مع من أحببت)** قال أنس: فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم) رواه البخاري.

ومما يستأنس به في هذا المقام ما قاله ابن كثير في البداية والنهاية في ترجمة الملك الأشرف: " ولما توفي رحمه الله رآه بعض الناس وعليه ثياب خضر وهو يطير مع جماعة من الصالحين، فقال: ما هذا وقد كنت تعاني الشراب في الدنيا ؟ فقال: ذاك البدن الذي كنا نفعل به ذاك عندكم، وهذه الروح التي كنا نحب بها هؤلاء فهي معهم، ولقد صدق رحمه الله، قال رسول الله ﷺ: **(المرء مع من أحب)** " انتهى كلامه.

انتهت أنواع شهداء الآخرة من الأحاديث الثابتة، وقد يكون في بعضها خلاف في تصحيحه وتضعيفه، وهذه أنواع الشهادة سوى القتل في سبيل الله، وقد قال العلماء: " إنما كانت هذه الميتات شهادة بسبب شدتها وقوة ألمها، فتفضل الله على هذه الأمة، بأن جعلها تمحيصا لذنوبهم وزيادة في أجورهم يبلغهم بها مراتب الشهداء ".

ومن نعمة الله على هذه الأمة أن الله لم يخص الشهادة بنوع واحد، بل جعلها أنواعا كثيرة غير القتل من حصلت له أعطي أجر الشهداء، فصار شهداء هذه الأمة كثيرون، وهذا من مميزات هذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس.

قال المناوي في الفيض: " تنبيه: عدو من خصائص هذه الأمة أنهم يقبضون على فرشهم وهم شهداء عند الله " انتهى كلامه.

أما الحديث الذي رواه الحسن بن علي في كتاب المعرفة له بإسناد حسن – كما قال الحافظ في الفتح– من حديث علي بن أبي طالب قال: (كل ميتة يموت بها المسلم فهو شهيد) فهذه شهادة عامة، المقصود بها ما يعطاه المسلم من الأجر على كرب الموت وسكراته ويكفر عنه من سيئاته، ولا يلزم من هذا أن يكون جميع المسمين شهداء آخرة، وهذا كما ورد (الموت كفارة لكل مسلم) رواه أبو نعيم في الحلية عن أنس رضي الله عنه.

قال المناوي في الفيض في حديث أنس: " لما يلقاه من الآلام والأوجاع " انتهى كلامه، وقال أيضا في تخريجه: " وقال الحافظ العراقي في أماليه: ورد من طرق يبلغ بها درجة الحسن وزعم الصغاني كابن

الجوزي وابن طاهر وغيرهم وضعه قال ابن حجر: ممنوع مع وجود هذه الطرق وقد جمع شيخنا العراقي طرقه في جزء " انتهى، وقال الألباني في ضعيف الجامع إنه موضوع.

وعلى كل حال فالميت يؤجر على تلك الآلام والأوجاع، بصبره عليها، ويكفر عنه من سيئاته بتلك الآلام، وهذه شبيه بالشهادة في الجملة، فالمراتب ثلاثة، هذه الشهادة العامة الثابتة لكل مسلم، وأعلى منها أخص شهادة الآخرة بسبب من أسباب الشهادة السابقة، وأعلى منها وأخص شهادة المعركة.

وهناك أسباب أخرى وردت ولكنها لا تثبت، فمن ذلك:

- **من عشق فعف فمات فهو شهيد.**
- **من مات غريبا.**
- **من جاهدت نفسها من النساء عند ثوران غيرتها من ضراتها صبرا واحتسابا.**

وغير ذلك، وقد سبق تعدادها بأبيات ابن العماد.

❖ الفرق بين شهادة الدنيا والآخرة وشهادة الآخرة:

١. أن شهادة الدنيا والآخرة يثبت لها الأحكام، فلا يغسل صاحبها ويدفن في ثيابه وغير ذلك من الأحكام.

أما شهادة الآخرة فلا تثبت لها هذه الأحكام، فيغسل صاحبها ويصلى عليه وغير ذلك من أحكام الميت.

٢. أن شهادة الدنيا والآخرة يشرع سؤالها من الله والدعاء بها، كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

أما شهادة الآخرة فأكثرها لا يشرع الدعاء به، لأنه من سؤال البلاء، بل قد شرع التعوذ من بعضها.

قال النبي ﷺ: (**اللهم إني أعوذ بك من التردي والهدم والغرق والحرق وأعوذ بك ان يتخبطني الشيطان عند الموت، وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبرا، وأعوذ بك أن أموت لديغا**) رواه

النسائي والحاكم عن أبي اليسر رضي الله عنه، وقال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

وتعوذ من سيء الأسقام، فعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول: **(اللهم إنى أعوذ بك من البرص، والجنون، والجذام، ومن سئ الاسقام)** رواه أبو داود، وصححه الألباني في صحيح الجامع، والمعنى أي الأسقام السيئة الرديئة كالسل والاستسقاء وذات الجنب.

قال المناوي في الفيض: " استعاذ منها مع ما فيها من نيل الشهادة لأنها مجهدة مقلقلة لا يثبت المرء عندها، فربما استزله الشيطان فأخل بدينه، ولأنه يعد فجأة ومؤاخذة أسف، كما يأتي، ذكره القاضي، وقال الطيبي: " استعاذ منها مع ما فيها من نيل الشهادة، لأنها في الظاهر مصائب ومحن وبلاء، كالأمراض السابقة المستعاذ منها، أما ترتب ثواب الشهادة عليها فللبناء على أنه تعالى يثيب المؤمن على المصائب كلها حتى الشوكة، وكان الفرق بين الشهادة الحقيقية وبين هذه الشهادة أنها متمنى كل مؤمن ومطلوبه، وقد يجب عليه توخي بهجة الشهادة والتحري لها، بخلاف التردي والحرق والغرق ونحوها، فإنه يجب التحرز عنها، ولو سعى فيها عصى " انتهى كلامه.

٣. أن شهادة الدنيا والآخرة يجوز التعرض لها والإقدام عليها، وليس ذلك من إلقاء اليد في التهلكة.

أما شهادة الآخرة فبعضها لا يجوز التعمد لها والتعرض والإلقاء باليد إليها، كالحرق والغرق والأمراض، بل من فعل ذلك فهو آثم غير مأجور، وفي بعضها ما يشرع التعمد والتعرض له، كمن أمر إماما جائر بالمعروف فقتل، وقتيل الخوارج، والدفاع عن المال ونحوه.

٤. أن شهادة الدنيا والآخرة أفضل من شهادة الآخرة بالاتفاق كما نقله المناوي في الفيض، وهذا في الأصل وسيأتي مزيد تفصيل إن شاء الله في باب التفاضل.

٥. أن شهادة الدنيا والآخرة سببها العدو من الكفار ومقيدة بقتاله.

أما شهادة الآخرة فتتعدد أسبابها، فمنها ما هو من العدو، ومنها ما هو مرض وقدر إلهي محض.

٦. أن شهادة الدنيا والآخرة موضعها واحد وهو المعركة.

أما شهادة الآخرة فيختلف موضعها.

٧. أن شهداء الآخرة كثيرون جدا بالنسبة لشهداء الدنيا والآخرة، وذلك لتعدد أسباب شهادة الآخرة وكثرة من يموت بها، وأما شهداء الدنيا والآخرة فهم قليلون وسيأتي بيانه إن شاء الله، وقد ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا في مسند أحمد: " **إن أكثر شهداء أمتي لأصحاب الفرش، ورب قتيل بين الصفين الله أعلم بنيته** " وضعفه الألباني في ضعيف الجامع.

❖ الجمع بين شهادتين:

يمكن الجمع بين شهادتين سواء شهادة دنيا وآخرة مع شهادة آخرة، أو شهادة آخرة مع شهادة آخرة، قال الحافظ في الفتح: " ولا مانع من تعدد الثواب بتعدد الأسباب كمن يموت غريبا بالطاعون أو نفساء مع الصبر والاحتساب " انتهى كلامه.

فمن الأول: كمن قتل في سبيل الله، وكان قتله بسبب من أسباب شهادة الآخرة، كالهدم كما يحدث عند قصف البيوت من العدو أو الحرق أو الغرق أو الخنق أو تردى من شاهق بفعل العدو.

ومن الثاني: كمن صبر على المقام في بلد الطاعون ومات به، ومن مات في سبيل الله بسبب من أسباب شهادة الآخرة من حرق وغرق وهدم ولدغ وغير ذلك.

* * *

۞ الباب الثاني: أحكام الشهيد الفقهية

هذا الباب ليس من أصل موضوع الكتاب، ولكن إتماما للفائدة وتعلق المواضيع بعضها ببعض، أحببنا أن نتكلم على أحكام الشهيد الفقهية باختصار، فكما خص الشهيد بفضائل خص أيضا بأحكام ومن هذه الأحكام:

أولا: غسل الشهيد المقتول في المعركة:

ذهب عامة العلماء إلى عدم غسل الشهيد، ونقل اتفاقا، واستدلوا بما ورد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: (كان النبي ﷺ يجمع بين رجلين من قتلى أحد، ثم يقول: **(أيهم أكثر أخذا للقرآن)** فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد، فقال: **(أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة) فأمر بدفنهم بدمائهم ولم يغسلهم)** رواه البخاري.

وذهب سعيد بن المسيب والحسن البصري إلى أنه يغسل، وعللوا لقولهم بأن الغسل سنة الموتى وأن كل ميت يموت جنبا.

وهذا مردود للأدلة الصحيحة الصريحة في عدم الغسل، وأما قولهم كل ميت جنب، فهو تعليل يحتاج إلى دليل.

وترك غسل الشهيد واجب، ولا يجوز غسله، وذلك للأمر الذي ورد في عدم غسلهم في قوله ﷺ في رواية البخاري عن جابر: (**ادفنوهم بدمائهم**...) وورد عند أحمد عن جابر مرفوعا (**لا تغسلوهم**) بالنهي، ولا صارف لهذا.

والحكمة في عدم الغسل هي ما جاء عند أحمد عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((**لا تغسلوهم – أي قتلى أحد – فإن كل جرح أو كل دم يفوح مسكا يوم القيامة) ولم يصل عليهم**) سكت عنه الحافظ في الفتح، وصححه الألباني في السلسلة الضعيفة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كلم لونه لون دم وريحه مسك**) رواه مسلم، فالحكمة إذا هي بقاء أثر العبادة – وهو الدم – لإظهار فضل الشهيد يوم القيامة لأهل الموقف، وأنه قدم نفسه في سبيل رضا الله، وعليه فلا يجوز غسل الشهيد لما في ذلك من التعدي عليه لإزالة هذا الفضل عنه.

وأما ما قيل من الحكمة في ذلك أنها وجود المشقة في الغسل لكثرة الشهداء، أو وجود المشقة في حمل الماء للغسل، فهي مردودة بالنص السابق.

ثانيا: غسل الشهيد الجنب:

اختلف العلماء في ذلك على قولين:

القول الأول: أن الشهيد الجنب لا يغسل، واستدلوا بعموم الأدلة السابقة الدالة على عدم غسل الشهيد، ولم يميز الشارع بين من كان جنبا أو غيره.

القول الثاني: أن الشهيد الجنب يغسل، واستدلوا بما أخرجه ابن إسحاق، والبيهقي، والحاكم في المستدرك عن يحيى بن عبَّاد بن عبد الله، عن أبيه عن جده، – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول عندما قتل حنظلة بن أبي عامر – بعد أن التقى هو وأبو سفيان بنُ الحارث حين علاه شداد بن الأسود بالسيف فقتله – فقال رسول الله ﷺ: (**إن صاحبكم تغسله الملائكة**) فسألوا صاحبته، فقالت: (إنه خرج لما سمع الهائعة وهو جنب) فقال رسول الله ﷺ: (**لذلك غسلته الملائكة**) وجود

إسناده النووي في خلاصة الأحكام، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، والهائعة: هي الصوت المفزع، ولعل المقصود هو النذير بحرب المشركين.

قالوا أنه لما غسلته الملائكة، والملائكة لا تغسله إلا عن أمر الله دل على أن غسله مأمور به.

ورد عليهم بأن هذا الدليل عليكم، فإن حنظلة مات جنبا ولم يغسله النبي ﷺ، ولم يأمر بغسله، فلو كان الغسل واجبا لم يسقط إلا بفعلنا، ولم يكتف فيه بغسل الملائكة.

والراجح هو القول الأول من عدم غسله ولو كان جنبا.

ثالثا: غسل من جرح في المعركة ثم مات بعدها:

وقد سبق الكلام عليه وبيان الحكم فيه وأنه على حالين:

الأولى: أن يكون منفوذ المقاتل وبه رمق حياة، ثم يموت قريبا، فهذا لا يغسل.

الأولى: أن يكون فيه حياة مستقرة ويطول بقاؤه، ثم يموت، فهذا يغسل.

رابعا: تكفين الشهيد وفيه مسائل:

الأولى: اتفق الأئمة الأربعة والظاهرية وغيرهم أن شهيد المعركة يكفن في ثيابه التي قتل فيها واستدلوا:

١. عن جابر رضي الله عنه قال:) رمي رجل بسهم في صدره أو في حلقه فمات، فأدرج في ثيابه كما هو ونحن مع رسول الله ﷺ) رواه أبو داود، وإسناده على شرط مسلم كما قال الشوكاني.

٢. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (أمر رسول الله ﷺ بقتلى أحد أن ينزع عنهم الحديد والجلود، وأن يدفنوا بدمائهم وثيابهم) أخرجه أبو داود وابن ماجه، وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجه.

وهل هذا الأمر للوجوب أم للاستحباب ؟ اختلف الفقهاء في ذلك على قولين:

القول الأول: أنه واجب، فيجب تكفينه في ثيابه التي قتل فيها، ولا تنزع عنه، فإن الأمر للوجوب ولا صارف.

القول الثاني: أنه مستحب، ولولي الشهيد أن ينزع عنه ملابسه التي قتل فيها، ودفنه فيها أولى.

واستدلوا بما روي عن الزبير بن العوام رضي الله عنه أنه لما كان يوم أحد، أقبلت امرأة تسعى حتى كادت أن تشرف على القتلى، قال: فكره النبي ﷺ أن تراهم، فقال: **(المرأة المرأة)** قال الزبير: فتوسمت أنها أمي صفية، قال: فخرجت أسعى إليها، قال: فأدركتها قبل أن تنتهي إلى القتلى، قال: فلدمت في صدري، وكانت امرأة جلدة، قالت: إليك عني لا أرض لك، فقلت: إن رسول الله عزم عليك، قال: فوقفت وأخرجت ثوبين معها، فقالت: هذان ثوبان جئت بهما لأخي حمزة، فقد بلغني مقتله، فكفنوه فيهما، قال: فجئنا بالثوبين لنكفن فيهما حمزة، فإذا إلى جنبه رجل من الأنصار قتيل فعل به كما فعل بحمزة، قال: فوجدنا غضاضة وحياء أن نكفن حمزة في ثوبين، والأنصاري لا كفن له، فقلنا: لحمزة ثوب وللأنصاري ثوب، فقدرناهما فكان أحدهما أكبر من الآخر، فأقرعنا بينهما، فكفنا كل واحد منهما في الثوب الذي طار له.

قال الهيثمي: " رواه أحمد وأبو يعلى والبزار وفيه عبد الرحمن بن أبي الزناد وهو ضعيف وقد وثق" وقال الألباني إن سنده حسن وله متابعة بسند صحيح عند البيهقي، وقوله (لدمت في صدري) أي ضربت صدره.

قالوا: فهذا حمزة كفن في غير ثوبه الذي قتل فيه، وكذا الرجل الآخر.

وهو مردود عليهم، إذ هو محمول على أن حمزة والرجل الذي وجد معه قد سلبت ثيابهما، لأن المشركين قد مثلا بحمزة، وعلى هذا فإن تكفينه في هذه الحال بثوب آخر واجب، ويحتمل أيضا أن الثوب الذي وضع على حمزة وصاحبه ضم إلى ما كان عليهما من ثياب قتلا فيها وعند الاحتمال يبطل الاستدلال، والقول الأول هو الراجح.

والحكمة في تكفينه في ثيابه، هي في الدم الذي يكون على ثيابه، فإنه يفوح يوم القيامة مسكا، كالحكمة السابقة في عدم الغسل، وعليه فلا يجوز تكفينه في غيرها وسلبه أياها، لما في ذلك من التعدي عليه، وسلبه هذا الفضل والشرف.

الثانية: لا خلاف بين الفقهاء في أن الشهيد ينزع عنه السلاح عند إرادة دفنه من دروع وسيوف ونحو ذلك، واختلفوا فيما عدا السلاح من الجلود والخفاف والفراء ونحو ذلك على قولين:

القول الأول: الجمهور قالوا بنزعها من الشهيد، واستدلوا بحديث ابن عباس السابق عند أبي داود، وفيه (**أن ينزع عنهم الحديد الجلود**) ويلحق بالجلود ما صنع منها كالخفاف وكل ما لا يعتاد لبسه، ولأنها ليست من جنس الكفن فتنزع عنه، ولأنها مال وفي دفنها إضاعة للمال دون حاجة.

القول الثاني: وبعض العلماء ذهبوا إلى أنها لا تنزع من الشهيد، واستدلوا بعموم الأحاديث التي فيها الأمر بدفن الشهيد في ثيابه ودمائه، وذلك يشمل كل ما لبسوه غير السلاح.

وحديث ابن عباس فيه تخصيص، ولكن في صحته نظر كما تقدم، وعليه فيبقى الأمر على العموم.

أما السلاح فلا يجوز دفنه مع الشهيد لأمرين:

١.أنه مال، ودفنه مع الشهيد إضاعة للمال بغير وجه شرعي، وهذا منهي عنه.

٢. أن عادة أهل الجاهلية أنهم كانوا يدفنون أبطالهم بما عليهم من الأسلحة، وقد نهينا عن التشبه بهم.

خامسا: الصلاة على الشهيد:

اختلف العلماء في الشهيد هل يصلى عليه أم لا ؟ على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنه لا يصلى عليه، وهو قول الجمهور، واستدلوا:

عن أنس رضي الله عنه: (**أن شهداء أحد لم يغسلوا، ودفنوا بدمائهم، ولم يصل عليهم**) رواه أبو داود والحاكم، وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود.

القول الثاني: أنه يجب الصلاة عليه، واستدلوا:

١. عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي ﷺ (خرج يوما فصلى على أهل أحد صلاته على الميت ثم انصرف الى المنبر) رواه البخاري ومسلم.

٢. عن ابن عباس رضي الله عنه قال: (أتي بهم رسول الله ﷺ يوم أحد، فجعل يصلي على عشرة عشرة، وحمزة هو كما هو، يرفعون وهو كما هو موضوع) رواه ابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه.

٣.عن أبي سلام عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: أغرنا على حي من جهينة فطلب رجل من المسلمين رجلا منهم فضربه فأخطأه، وأصاب نفسه بالسيف، فقال رسول الله ﷺ: **(أخوكم يا معشر المسلمين)** فابتدره الناس، فوجدوه قد مات، فلفه رسول الله ﷺ بثيابه ودمائه وصلى عليه ودفنه، فقالوا: يا رسول الله أشهيد هو ؟ قال: **(نعم، وأنا له شهيد)** رواه أبو داود، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود.

٤. عن شداد بن الهاد رضي الله عنه أن رجلا من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ فآمن به واتبعه ثم قال: أهاجر معك، فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه، فلما كانت غزوة، غنم النبي ﷺ سبيا، فقسم، وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا ؟ قالوا: قسم قسمه لك النبي ﷺ، فأخذه فجاء به إلى النبي ﷺ، فقال: ما هذا ؟ قال: قسمته لك قال: ما على هذا اتبعتك، ولكني اتبعتك على أن أرمى إلى هاهنا – وأشار إلى حلقه – بسهم فأموت فأدخل الجنة، فقال: **(إن تصدق الله يصدقك)** فلبثوا قليلا ثم نهضوا في قتال العدو، فأتي به النبي ﷺ يحمل قد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبي ﷺ: **(أهو هو ؟)** قالوا: نعم، قال: **(صدق الله فصدقه)** ثم كفنه النبي ﷺ في جبة النبي ﷺ، ثم قدمه فصلى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته **(اللهم هذا عبدك خرج مهاجرا في سبيلك، فقتل شهيدا، أنا شهيد على ذلك)** رواه عبد الرزاق والنسائي، وصححه الألباني في صحيح النسائي، ولا جواب عليه من قبل من قال بعدم الصلاة.

أما الدليل الثالث، فقد أجيب عنه بأنه لعل فيه حياة مستقرة، وهذا لا دليل عليه.

القول الثالث: أنه يستحب الصلاة على الشهيد، ولا يجب، ويجوز تركها، وجمعوا بين الأقوال والأدلة، وهذا هو الراجح، جمعا بين الأدلة التي تثبت الصلاة والأدلة التي تنفيها.

حيث أن الأحاديث التي استدل بها القائلون بالوجوب تدل على شرعية الصلاة على الشهيد، لكنها فعلية، والفعل لا يدل على الوجوب، بل على الاستحباب.

والقائلون بعدم الصلاة قالوا: إن الحكمة في ترك الصلاة عليهم كونهم أحياء عند ربهم، والصلاة إنما شرعت في حق الموتى.

وقيل: إن ترك الصلاة عليهم لغناهم عن الشفاعة لهم، فإن الشهيد يشفع في سبعين من أهله، فلا يحتاج إلى شفيع، والصلاة إنما شرعت للشفاعة، قال ابن النحاس في المشارع: " والمقتول لا يغسل ولا يصلى عليه، فإن الصلاة عليه شفاعة عند الله في غفران ذنوبه، وقد غفرت، فلا يصلى عليه " انتهى كلامه.

وعلى كلا الحكمتين، يَرِد عليه أن الناس والصحابة صلوا على النبي ﷺ يوم مات.

أما ما يقال في الصلاة على الشهيد عند من يقول بها، فقد ورد في حديث شداد بن الهاد السابق " فكان فيما ظهر من صلاته (**اللهم هذا عبدك خرج مهاجرا في سبيلك فقتل شهيدا أنا شهيد على ذلك**) وقد ورد أيضا عند عبد الرزاق في مصنفه عن ابن جريج عن عطاء قال (ما رأيتهم يغسلون الشهيد، ولا يحنطونه، ولا يكفن، قلت: كيف نصلي عليه ؟ قال: كما يصلى على الآخر الذي ليس بشهيد) وورد أيضا عند عبد الرزاق عن ابن جريج قال: سألنا سليمان بن موسى (كيف الصلاة على الشهيد عندهم ؟ فقال: كهيئتها على غيره).

سادسا: دفن أكثر من شهيد في قبر واحد:

الأصل أنه لا يدفن أكثر من شهيد في قبر واحد إلا عند الضرورة لذلك، كأن يكثر القتلى ويعسر دفن كل واحد في قبر مستقل فيدفن أكثر من شهيد في قبر واحد، ويقدم أفضلهم إلى القبلة وهو من كان أكثر حفظا للقرآن، ثم ينظر في سائر جهات الفضل، إذا استويا في الحفظ، ويدل عليه ما جاء عن هشام بن عامر قال: (شكى رسول الله ﷺ الجراحات يوم أحد، فقال: (**احفروا وأوسعوا وأحسنوا، وادفنوا الاثنين والثلاثة في قبر واحد، وقدموا أكثرهم قرآنا**) فمات أبي فقدم بين يدي رجلين) رواه الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: (مر على حمزة وقد مثل به فقال: (**لولا أن تجد صفية في نفسها لتركته حتى تأكله العافية** (السباع والطير التي تقع على الجيف فتأكلها) **حتى يحشر من بطونها**) وقلت الثياب وكثرت القتلى، فكان الرجل والرجلان والثلاثة يكفنون في الثوب الواحد –

زاد قتيبة – ثم يدفنون في قبر واحد، فكان رسول الله ﷺ يسأل: (**أيهم أكثر قرآنا ؟**) فيقدمه إلى القبلة) رواه أبو داود، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود.

سابعا: نبش قبر الشهيد:

الشهيد كغيره من الموتى لا يجوز نبش قبره إلا لضرورة شرعية تدعو إلى ذلك، كمن دفن عاريا دون ثياب، أو وجه إلى غير القبلة، أو نسي في القبر مال محترم، أو غير ذلك من الضرورات الشرعية.

كما ورد في مسند الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: (خرج رسول الله ﷺ من المدينة إلى المشركين ليقاتلهم، وقال أبي عبد الله: يا جابر، لا عليك أن تكون في نظاري أهل المدينة حتى تعلم إلى ما يصير أمرنا، فإني والله لولا أني أترك بنات لي بعدي لأحببت أن تقتل بين يدي، قال: فبينما أنا في النظارين إذ جاءت عمتي بأبي وخالي وعادلتهما على ناضح، فدخلت بهما المدينة؛ لتدفنهما في مقابرنا، إذ لحق رجل ينادي: ألا إن النبي ﷺ يأمركم أن ترجعوا بالقتلى فتدفنوها في مصارعها حيث قتلت، فرجعنا بهما، فدفناهما حيث قتلا، فبينما أنا في خلافة معاوية بن أبي سفيان إذ جاءني رجل فقال: يا جابر بن عبد الله، والله لقد أثار أباك عمال معاوية، فبدا فخرج طائفة منه، فأثبته فوجدته على النحو الذي دفنته لم يتغير إلا ما لم يدع القتل أو القتيل فواريته...) الحديث، قال الهيثمي رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح خلا نبيح العنزي وهو ثقة، والنظار هو من ينظر إلى الشئ، والمقصود به هنا الذين يبقون في المدينة فينظرون من ينتصر ويترقبون أخبار القتال.

ثامنا: مكان دفن الشهيد:

السنة في شهداء المعركة أن يدفنوا في مكان المعركة ومكان مصارعهم التي قتلوا فيها، ولا ينقلوا إلى مكان آخر.

والدليل عليه حديث جابر رضي الله عنه الذي تقدم قريبا في دفن شهداء أحد في مصارعهم، وفي رواية عن جابر (**ادفنوا القتلى في مصارعهم**) رواه النسائي، وصححه الألباني في صحيح النسائي.

قال المناوي في الفيض: ((**ادفنوا القتلى**) بفتح فسكون أي قتلى أحد والحكم عام (**في مصارعهم**) وفي رواية (**في مضاجعهم**) أي الأماكن التي قتلوا فيها).

وقال أيضا: " أي لا تنقلوا الشهداء عن مقتلهم بل ادفنوهم حيث قتلوا، لفضل البقعة بالنسبة إليهم لكونها محل الشهادة " انتهى كلامه، ولم ينقل أنه نقل شهيدا من مكان مصرعه.

فإذا لم يمكن دفنه في ميدان المعركة، جاز حينئذ نقله إلى مكان آخر، مثل المقاتلين في البحر إذا استشهدوا ينقلون إلى أقرب مكان في البر، ليدفنوا فيه، كما جاء عن أنس رضي الله عنه قال: إن أبا طلحة (قرأ سورة براءة فأتى على هذه الآية (**انفروا خفافا وثقالا**) فقال: ألا أرى ربي يستنفرني شابا وشيخا ؟ جهزوني، فقال له بنوه: قد غزوت مع رسول الله ﷺ حتى قبض، ومع أبي بكر حتى مات، ومع عمر، فنحن نغزو عنك، قال: جهزوني، فجهزوه، فركب البحر، حتى مات فلم يجدوا له جزيرة يدفنوه فيها إلا بعد سبعة أيام فلم يتغير) رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي، وقد سكت عنه الحافظ في الفتح وما سكت عنه فهو إما صحيح أو حسن.

وليس المقصود أن يدفنوا في عين المكان الذي قتلوا فيه، وإنما المقصود أن يدفنوا في موضع المعركة.

واختلف في الحكمة في ذلك:

١. فقيل لأن الأرض تشهد لهم بأنهم قاتلوا وقتلوا عليها، ورد المناوي في الفيض هذه الحكمة بأن شهادة الأرض لا تتوقف على دفنهم فيها بل تشهد وإن لم يدفنوا فيها، كما في أذان المؤذن فإنه لا يسمعه شئ إلا شهد له ولا يتوقف ذلك على أن يموت في المكان الذي أذن فيه.

٢. وقال الزين العراقي أن هذا تشريف عظيم للشهداء، لشبههم بالأنبياء حيث يدفن النبي في الموضع الذي مات فيه، فألحق بهم الشهداء في الخصيصة.

وهذا الأمر خاص بالشهداء فلا يقاس عليه غيرهم، ويستدل بالحديث الوارد في دفن الشهداء في مصارعهم على استحباب دفن الموتى حيث ماتوا للفارق بينهم.

(أكثر هذه الأحكام مستقاة من أحكام المجاهد بالنفس لمرعي مع اختصار وإضافات).

* * *

۞ الباب الثالث: شروط وموانع الشهادة

تمهيد:

الشهادة رتبة عظيمة، لا تنال بسهولة، ولا بأي شيء، بل لها شروط يجب توفرها، وموانع يجب إزالتها ورفعها.

وكلما صعبت شروط الشيء وعظمت، وكذا الموانع، دل ذلك على أن له منزلة عظيمة، وشروط الشهادة عظيمة، واجتماعها عزيز، وموانع الشهادة صعبة، ورفعها شديد، وهذا يدلك على عظم هذه المنزلة الخطيرة، فكلما عظمت الشروط وصعبت وكذا الموانع كلما كان ذلك دالا على خطر وعظم المنزلة والمكانة، فانظر إلى الملك والحصول عليه، وكم من الشروط والموانع في طريقه، وانظر إلى الحصول على كوب من الماء كم من الشروط والموانع في طريقه، تعرف الفرق.

وكم غرق في بحر شروط الشهادة وموانعها من غارق، ولم يصل إلى ساحل الشهادة، فمن جاز هذا البحر ووصل إلى الساحل فهو الشهيد عند الله تعالى، فليس كل من يقتل في المعركة شهيد عند الله تعالى، بل هناك شروط في المقتول يجب أن تجتمع، وموانع في المقتول يجب أن ترتفع، حتى ينال الشهادة عند الله تعالى.

فصل: بيان الشروط

تعريف الشرط: هو ما يلزم من عدمه العدم، ولا يلزم من وجوده وجود، ولا عدم لذاته.

فمثلا الإخلاص شرط في قبول الشهادة، فيلزم من عدم هذا الشرط عدم قبول الشهادة، ولا يلزم من وجود الإخلاص وجود قبول الشهادة، إذ قد يكون فاقدا لشرط آخر، أوهناك مانع لم يرتفع.

ومعنى شروط الشهادة أي شروط قبولها من الله، وأن يؤجر الشخص عليها وينال درجة الشهادة، وسيأتي تفصيلها إن شاء الله.

وهذه الشروط غير شروط الشهادة الاصطلاحية، وهو ما يشترط لكي يطلق على الشخص لفظ الشهيد، **ويمكن أن تجمع بـ:**

١. من مات ٢. مسلما ٣. في المعركة ٤. مع الكفار.

هي أيضا غير شروط وجوب الجهاد التي هي:

١. الإسلام ٢. الحرية ٣. البلوغ ٤. الذكورية ٥. العقل ٦. الاستطاعة والقدرة.

وشروط الشهادة يجب أن تجتمع حتى يكون المقتول شهيدا، فلو تخلف منها شرط واحد، لم تقبل شهادته ولم يؤجر عليها.

قال ابن القيم في الزاد: " فإن الشهادة درجة عالية عند الله، مقرونة بدرجة الصِّدِّيقية، ولها أعمال وأحوال، هى شرط فى حصولها " انتهى كلامه.

وقال المناوي في الفيض: " قال ابن الزملكاني: للشهيد الكامل المقتول في سبيل الله شرائط وخصائص، فمن شروطه أن يقاتل مخلصا، ومعنى الإخلاص أن يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، وهذا دليل على أن العمل إنما يكون بالنية الصالحة فيما يعتبر، وإذا لم تصح النية فلا أثر له، وهو دليل على أن الفضل الذي ورد في الجهاد وما أعد الله للمجاهدين مختص بمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فمن قاتل لغير ذلك فليس في سبيل الله، ويدل له ما في خبر آخر **(ما من كلم يكلم في سبيل الله والله أعلم بمن يكلم في سبيله)** معناه ليس كل من يكلم في معركة كان كلمه في سبيل الله، ولا يتعلق في ذلك بظاهر الحال، بل الله أعلم بمن يكلم في سبيله، فإن ذلك مقرون بالإخلاص والله أعلم به، فإنه من أفعال القلوب، ومن شرائط الشهادة الكاملة أن يقاتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر، فذلك هو السعيد الكامل " انتهى كلامه.

وما دمنا تكلمنا على قبول الشهادة وشروط ذلك وموانعه، نتطرق لمسألة تتعلق بها، وهي ما حكم تخصيص الشهيد بالدعاء له بالقبول دون غيره من الأموات، ودون غيره من الأدعية كالدعاء بالرحمة والمغفرة وغير ذلك، حتى إن بعضهم ليستدرك على نفسه عندما يدعو لشهيد بالرحمة فيصحح لنفسه ويدعو له بالقبول وكأنه أخطأ ؟

والجواب: قد قدمنا أن الشهادة كأي عمل صالح تحتاج إلى قبول من الله تعالى، وأن من لم يقبل الله شهادته لم يفلح وخسر خسرانا مبينا، وعلى ذلك فالدعاء له بذلك أمر مشروع، لأنه يحتاج إلى ذلك لكي يقبل الله شهادته، وتخصيصه بذلك دون غيره من الناس أمر واضح لشهادته، أما غيره من الأموات فلا يدعى لهم بذلك لعدم الداعي إليه.

وقد ورد الدعاء بذلك للشهيد في حديث مرسل، قال الذهبي في السير: " يزيد بن هارون: أنبأنا إسماعيل بن أبي خالد، عن رجل من الأنصار قال: لما قضى سعد في بني قريظة، ثم رجع، انفجر جرحه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فأتاه فوضع رأسه في حجره، وسجي بثوب أبيض، وكان رجلا أبيض جسيما، فقال رسول الله ﷺ: **(اللهم إن سعدا قد جاهد في سبيلك، وصدق رسولك، وقضى الذي عليه، فتقبل روحه بخير ما تقبلت به روحا)** فلما سمع سعد كلام رسول الله ﷺ، فتح عينيه، ثم قال: السلام عليك يا رسول الله، إني أشهد أنك رسول الله، وقال النبي ﷺ لأهل البيت: **(استأذن الله من ملائكته عددكم في البيت ليشهدوا وفاة سعد)** قال: وأمه تبكي وتقول: ويل امك سعدا * حزامة وجدا، فقيل لها: أتقولين الشعر على سعد ؟ فقال رسول الله ﷺ: **(دعوها فغيرها من الشعراء أكذب)**.

هذا مرسل " انتهى كلامه.

ولم أجد في الباب غيره، ولكن لا يخصص الشهيد بهذا الدعاء دائما، ولا يظن أن ذلك لازم له، وأن الدعاء بغيره خطأ، بل يدعى له أيضا بالرحمة، فهو في حاجة أيضا إلى ذلك.

وهنا بيان الشروط على التفصيل:

أولا: الإسلام:

وهذا شرط في قبول جميع العبادات، فمن لم يكن مسلما لم تقبل عبادته، ولم يؤجر عليها، فالكافر والمنافق والمشرك هؤلاء لا يقبل منهم شيء، لكونهم ليسوا مسلمين.

قال تعالى: ﴿ **وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ** ﴾ التوبة، فبين أن سبب عدم قبول صدقاتهم هو كفرهم وعدم إسلامهم.

وقد ورد عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء رضي الله عنه يقول: أتى النبي ﷺ رجل مقنع بالحديد، فقال: يا رسول الله أقاتل أوأسلم ؟ قال: **(أسلم ثم قاتل)**، فأسلم ثم قاتل فقتل، فقال رسول الله ﷺ: **(عمل قليلا وأجر كثيرا)** رواه البخاري.

فبدأ بالإسلام قبل الجهاد والقتال، لكونه شرطا في صحته وقبوله.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(تضمن الله لمن خرج في سبيله، لا يخرجه إلا جهادا في سبيلى وإيمانا بي وتصديقا برسلي، فهو على ضامن أن أدخله الجنة، أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة)** رواه مسلم.

فهذا يدل على اشتراط الإيمان والإسلام في الشهادة.

ثانيا: الإخلاص:

وهو أن يعمل الشخص العمل والعبادة خالصا لوجه الله تعالى، وطلبا لثوابه، وهذا هو الاحتساب.

وهذا شرط في قبول جميع العبادات، فالله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا لوجه الله الكريم كما قال تعالى: ﴿ **فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** ﴾ **الكهف**، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال ﷺ: **(إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى ورسوله فهجرته إلى ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه)** رواه البخاري ومسلم.

وقد وردت أحاديث كثيرة تبين أهمية الإخلاص في الجهاد خصوصا، بل لم يرد في شيء من العبادات في الإخلاص فيها كما ورد في الجهاد، وذلك لأمور:

١. أن الأمور التي تفسد الإخلاص في الجهاد أكثر منها في سائر العبادات، ففي الجهاد من الناس من يجاهد للمغنم والدنيا، ومنهم من يجاهد للسمعة، ومنهم من يجاهد رياء، ومنهم للحمية، ومنهم للشجاعة والأجرة والجعل وغير ذلك، وهذه الأمور قد لا تجتمع في عبادة أخرى.

٢. تأثير هذه المفسدات قوي على القلوب، أقوى من غيرها من العبادات، فوارد الرياء مثلا في الجهاد أقوى منه في الصلاة والصيام، ولهذا قد يضحي الإنسان بأغلى ما يملك وهي نفسه من أجل الرياء في الجهاد ومن أجل أن يثنى عليه به.

وكذا وارد طلب الدنيا في الجهاد أشد منه في غيره، ففي الجهاد الغنيمة وهي من أحل الحلال وتصير في ملك المجاهد بسهولة، وبلا مجهود يبذله في تحصيل هذا المال، وبكميات وأعداد هائلة، وبكيفيات تجذب القلوب إلى الدنيا وقصدها جذبا شديدا لا يقدر على نزعه إلا من رحم الله، فهناك القناطير المقنطرة من الذهب والفضة، والألوف المؤلفة من رؤوس السبي والرقيق والأراضي والعقارات الكبيرة، وهناك سائر المال من الأثاث والمتاع والمركوب وغير ذلك، ومن قرأ التاريخ وقرأ الفتوحات وما غنمه المجاهدون في ذلك، عرف أن الأمر فوق ما وصفت بأضعاف مضاعفة.

٣. خطورة الأمر وذلك لاقتراب الشخص من الموت، فإذا قتل وهو على هذه النية الفاسدة، فهي خاتمة سوء، ولا يمكنه استدراك ما فاته بالتوبة بل يقدم بهذه النية الفاسدة على الله تعالى، وذلك بخلاف العبادات الأخرى فقد يرائي الشخص وهو يصلي، وبعد الصلاة يتوب من هذا العمل، ويمكنه استدراك ما فاته.

قال ابن النحاس في المشارع: " ووجدنا الأعمال كلها وإن تنوعت، والقرب وإن تشعبت وتفرعت، وصنوف الطاعات وإن اختلفت أسبابها، وأنواع العبادات وإن اختلفت مقاصد أربابها، إذا صدر منها شيء مشوبا بالرياء والنفاق، أمكن أن يصدر منها في وقت آخر على وجه الإخلاص والوفاق، وأمكن أن يأتي العامل بما يكفر تلك الزلة، أو يتوب الله عليه ما دام في الأجل مهلة، بخلاف من ذهبت نفسه في القتال، إذ ليس له إلا رضا ذي الجلال، أو النكال الشديد والوبال، ومن خسر نفسه لم يبق له نفس أخرى يربحها، ومن أفسد خاتمته فليس له خاتمة أخرى يصلحها، وإذا ذهب رأس المال ذهب الربح والخسران، ومن قتل فإما إلى العز والنعيم وإما إلى الشقاء والهوان، وإذا كان الأمر كذلك

وجب تشمير ساعد المساعدة في تحقيق النية في الجهاد وأقسامها، وكشف الستر ببيان البيان عن وجوه أحكامها على وجه الإيجاز والاختصار الكافي " انتهى كلامه.

٤. تنوع مراتب النيات في الجهاد، فمن يقاتل في سبيل الله مخلصا يمكنه أن يقاتل بأكثر من نية، وسيأتي بإذن الله بيان مراتب النيات في الجهاد.

وأما الأحاديث التي تدل على أهمية الإخلاص في الجهاد فكثيرة، وهاك بعضها:

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله ما القتال في سبيل الله ؟ فإن أحدنا يقاتل غضبا ويقاتل حمية، فرفع إليه رأسه – قال وما رفع إليه رأسه إلا أنه كان قائما – فقال: (**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله عزوجل**) رواه البخاري وفي رواية (**الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله ؟**).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها ؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت ولكنك قاتلك لأن يقال جرئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فيأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها ؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها ؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار) رواه مسلم.

فانظر يا أخي إلى أهمية الإخلاص، كيف جعل هؤلاء أول من تسعر بهم النار مع أن أعمالهم أعظم الأعمال ولو كانت مع الإخلاص لكانوا في أعلى الدرجات، وهذا يدل على أنه شرط في قبول الشهادة.

وعن أبي قتادة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قام فيهم فذكر أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال، قال: فقام رجل فقال: يا رسول الله أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي كلها ؟ فقال رسول الله ﷺ: (**نعم، إن قتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب، مقبل غير مدبر**) ثم

قال رسول الله ﷺ: (**كيف قلت ؟**) قال: أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي ؟ فقال رسول الله ﷺ: (**نعم، وأنت صابر محتسب، مقبل غير مدبر إلا الدين، فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك**) رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**تكفل الله لمن جاهد في سبيله، لا يخرجه من بيته إلا الجهاد في سبيله وتصديق بكلماته، أن يدخله الجنة أو يرده إلى مسكنه بما نال من أجر أو غنيمة**) رواه البخاري.

قال الحافظ في الفتح: " وقوله (**لا يخرجه إلا الجهاد**) نص على اشتراط خلوص النية في الجهاد " انتهى كلامه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إن مثل المجاهد في سبيل الله – والله أعلم بمن يجاهد في سبيله – كمثل القائم الصائم الخاشع الراكع الساجد**) رواه ابن المبارك والنسائي بإسناد صحيح كما قال ابن النحاس.

و روى ابن المبارك عن مسروق قلنا عند عمر: هنيئا لمن يرزقه الله الشهادة، فقال: ما تعدون الشهادة ؟ قلنا: الغزو في سبيل الله عز وجل، قال: إن ذلك لكثير، قال: فمن الشهيد ؟ قال: (الذي يحتسب نفسه) وفيه مجالد وهو ضعيف، ولكن له متابعة عند ابن أبي شيبة.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (كرم المؤمن تقواه، ودينه حسبه، ومروءته خلقه، والجرأة والجبن غرائز يضعها الله حيث شاء، فالجبان يفر عن أبيه وأمه، والجريء يقاتل عما لا يؤوب به إلى رحله، والقتل حتف من الحتوف، والشهيد من احتسب نفسه على الله) رواه مالك، وفيه انقطاع.

ومعنى (من احتسب نفسه على الله) أي احتسب تضحيته بنفسه عند الله تعالى طلبا للثواب والقرب.

وعن ابن شهاب أن مالك بن أوس بن الحدثان كان يحدث (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج في مجلس وهو في مسجد رسول الله ﷺ وهم يذكرون سرية من السرايا هلكت في سبيل الله، فيقول قائل منهم: هم عمال الله هلكوا في سبيله، وقد وجب لهم أجرهم عليه، ويقول قائل: الله أعلم بهم لهم ما احتسبوا، فلما رأوا عمر مقبلا متوكئا على عصاه سكتوا، فأقبل عمر حتى سلم عليهم، فقال: ما كنتم تتحدثون ؟ قالوا: كنا نذكر هذه السرية التي هلكت في سبيل الله، يقول قائل منا: هم عمال

الله هلكوا في سبيله وقد وجب لهم أجرهم عليه، ويقول قائل: الله أعلم بهم لهم ما احتسبوا، فقال عمر: الله أعلم أن من الناس ناسا يقاتلون وأن همهم القتال فلا يستطيعون إلا إياه، وأن من الناس ناسا يقاتلون رياء و سمعة، وأن من الناس ناسا يقاتلون ابتغاء وجه الله، فأولئك الشهداء، وكل امرئ منهم يبعث على الذي يموت عليه، والله ما تدري نفس ماذا مفعول بها، ليس هذا الرجل الذي قد بين لنا أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ﷺ) رواه الحاكم، وقال حديث صحيح على شرط البخاري، ووافقه الذهبي.

والإخلاص في الجهاد يتنوع، وليس مقصورا على نية واحدة، بل نيات صحيحة كثيرة، قال ابن النحاس في المشارع: " اعلم أن أنواع النية في الجهاد لا تنحصر لتنوع المقاصد فيه " انتهى كلامه، وهذه النيات الصحيحة تتفاضل، وليست على مرتبة واحدة، بل بعضها أفضل من بعض، وإليك أخي بيانها:

١. أفضلها وأعلاها منزلة وصاحبها من أعلى الشهداء رتبة، من قاتل في سبيل الله، محبة لله وشوقا إليه، وطلبا لمرضاته وللجنة وثوابها، وخوفا من الله وعقابه، وطلبا لإعلاء كلمة الله، وإعزاز دينه على سائر الأديان، ونشره في الأرض، وإعزاز أهله المسلمين، وإسفال كلمة الكفر ودحرها وكبتها، وإذلال أهلها، ورفع حكمه من الأرض، وحمية لأهل الإسلام، ونصرة لهم، وحمايتهم والدفاع عنهم، وغضبا على أهل الكفر، وعداوتهم وبغضهم، وتعظيما لله تعالى أن يكفر به، وامتثالا لأمره بالجهاد، وعبودية له، وأنه أهل أن يعبد، وطلبا للشهادة في سبيله.

فهذه أفضل النيات في الجهاد، لجمعها جميع النيات الصحيحة في الجهاد، وكلما عمل العمل بنيات واحتساب أكثر، كلما كان أعظم أجرا وأوفر.

قال ابن قدامة في مختصر منهاج القاصدين: " القسم الثاني: الطاعات وهي مرتبطة بالنيات في أصل صحتها وفي تضاعف فضلها، أما الأصل، فهو أن ينوي عبادة الله لا غير، فإن نوى الرياء صارت معصية، وأما تضاعف الفضل، فبكثرة النيات الحسنة، فإن الطاعة الواحدة يمكن أن ينوي بها خيرات كثيرة، فيكون له بكل نية ثواب، إذ كل واحدة منها حسنة، ثم تضاعف كل حسنة عشر أمثالها، مثال ذلك القعود في المسجد، فإنه طاعة ويمكن أن ينوي بها نيات كثيرة، منها أن ينوي بدخوله انتظار الصلاة، ومنها الاعتكاف وكف الجوارح، فإن الاعتكاف كف، ومنها دفع الشواغل الصارفة

عن الله بالانقطاع إلى المسجد وإلى ذكر الله تعالى فيه، ونحو ذلك، فهذا طريق تكثير النيات، فقس على ذلك سائر الطاعات، إذ ما من طاعة إلا وتحتمل نيات كثيرة " انتهى كلامه.

وقد ورد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال في خالد بن الوليد وهو يثني عليه: " وأحسننا احتسابا " رواه ابن سعد في الطبقات.

والمجاهد بهذه النية، أعلى رتبة من غيره، وكذا الشهيد الذي يقتل بهذه النية أعلى رتبة من غيره كما سيأتي بيانه إن شاء الله في باب التفاضل.

٢. من قاتل محبة لله وشوقا إلى لقائه ورؤيته، وطلب القرب منه.

وهذه أعظم النيات وأفضلها بعد السابقة، فإن المحبة عند أرباب القلوب وأطبائها أفضل من عبودية الخوف والرجاء، قال اليافعي في مرآة الجنان:

فما طالب المولى له طال شوقه ** وفي حبه قد مات خال عن الصبر

كطالب مطعوم الجنان وشربها ** وملبوسها والخيل والحور والقصر

وللجهاد والمحبة تعلق وارتباط، ولهذا لما وصف الله القوم الذين يحبهم ويحبونه، وصفهم بكونهم يجاهدون في سبيل الله، ولا يخافون لومة لائم.

والمجاهدون من أصدق الناس محبة، فإن المحب الصادق يضحي في سبيل رضا محبوبه، وطلبا لمحبته وقربه والتلذذ برؤيته بأنفس ما يملك، ولا يكون ذلك إلا في الجهاد والتضحية.

وجهاد أعداء المحبوب من أعظم دلائل صدق المحبة.

فالجهاد أعظم متنفس للمحبين، وأكبر مضمار لإثبات صدق محبتهم، ففيه يعبرون عن حبهم بفعالهم وتضحياتهم، ويتنافسون في ذلك أمام ناظر حبيبهم، وفي الجهاد أيضا يعظم الشوق، وذلك لمظنة الموت وقرب الأجل والرحيل إلى لقاء رب العزة والجلالة:

وأعظم ما يكون الشوق يوما ** إذا دنت الديار من الديار

وفيه متنفس للمشتاقين، إذ فيه الشهادة التي بها القدوم على رب العالمين، وبها لقاؤه والنظر إلى وجهه الكريم، والتمتع برؤيته وتعجيلها للمشتاق في البرزخ قبل يوم القيامة، فإن من فضائل الشهادة النظر إلى الله تعالى ورؤيته، كما سيأتي.

قال ابن القيم في المدارج: " أول نقدة من أثمان المحبة: بذل الروح، فما للمفلس الجبان البخيل وسومها؟

بدم المحب يباع وصلهم ** فمن الذي يبتاع بالثمن

تالله ما هزلت فيستامها المفلسون، ولا كسدت فيبيعها بالنسيئة المعسرون، لقد أقيمت للعرض في سوق من يزيد، فلم يرض لها بثمن دون بذل النفوس، فتأخر البطالون، وقام المحبون ينظرون: أيهم يصلح أن يكون ثمنا ؟ فدارت السلعة بينهم، ووقعت في يد ﴿ **أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ** ﴾.

لما كثر المدعون للمحبة طولبوا بإقامة البينة على صحة الدعوى، فلو يعطى الناس بدعواهم لادعى الخلي حرقة الشجي، فتنوع المدعون في الشهود، فقيل: لا تقبل هذه الدعوى إلا ببينة ﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾.

فتأخر الخلق كلهم، وثبت أتباع الحبيب في أفعاله وأقواله وأخلاقه، فطولبوا بعدالة البينة بتزكية ﴿ **يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ** ﴾.

فتأخر أكثر المحبين وقام المجاهدون، فقيل لهم: إن نفوس المحبين وأموالهم ليست لهم، فهلموا إلى بيعة ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ** ﴾.

فلما عرفوا عظمة المشتري، وفضل الثمن، وجلالة من جرى على يديه عقد التبايع: عرفوا قدر السلعة، وأن لها شأنا، فرأوا من أعظم الغبن أن يبيعوها لغيره بثمن بخس، فعقدوا معه بيعة الرضوان بالتراضي، من غير ثبوت خيار، وقالوا: والله لا نقيلك ولا نستقيلك.

فلما تم العقد وسلموا المبيع، قيل لهم: مذ صارت نفوسكم وأموالكم لنا رددناها عليكم أوفر ما كانت، وأضعافها معا ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾" انتهى كلامه.

وراء هاتيك الستور محجب ** بالحسن كل العز تحت لوائه

لو أبصرت عيناك بعض جماله ** لبذلت منك الروح في إرضائه

ما طابت الدنيا بغير حديثه ** كلا ولا الأخرى بدون لقائه

يا خاسرا هانت عليه نفسه ** إذ باعها بالغبن من أعدائه

لو كنت تعلم قدر ما قد بعته ** لفسخت ذاك البيع قبل وفائه

أو كنت كفوا للرشاد وللهدى** أبصرت لكن لست من أكفائه

وقال أيضا في مفتاح دار السعادة:" وأما الجهاد، فناهيك به من عبادة هي سنام العبادات وذروتها، وهو المحك والدليل المفرق بين المحب والمدعى، فالمحب قد بذل مهجته وماله لربه وإلهه متقربا إليه ببذل أعز ما بحضرته يود لو أن له بكل شعرة نفسا يبذلها في حبه ومرضاته، ويود أن لو قتل فيه ثم أحي ثم قتل ثم أحي، فهو يفدي ثم قتل بنفسه حبيبه وعبده ورسوله ولسان حاله يقول:

يفديك بالنفس صب لو يكون له ** أعز من نفسه شيء فداك به

فهو قد سلم نفسه وماله لمشتريها، وعلم أنه لا سبيل إلى أخذ السلعة إلا ببذل ثمنها ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ** ﴾.

وإذا كان من المعلوم المستقر عند الخلق أن علامة المحبة الصحيحة بذل الروح والمال في مرضات المحبوب فالمحبوب الحق الذي لا تنبغي المحبة إلا له – وكل محبة سوى محبته فالمحبة له باطلة – أولى بأن يشرع لعباده الجهاد الذي هو غاية ما يتقربون به إلى إلاههم وربهم، وكانت قرابين من قبلهم من الأمم في ذبائحهم، وقرابينهم تقديم أنفسهم للذبح في الله مولاهم الحق، فأي حسن يزيد على حسن هذه العبادة، ولهذا ادخرها الله لأكمل الأنبياء وأكمل الأمم عقلا وتوحيدا ومحبة لله " انتهى كلامه.

وهذه النية قليل من يخرج بها إلى الجهاد، مع فضلها وشرفها، وهي أفضل من النيات الآتية، ولكن الاقتصار على هذه النية – وإن كانت فاضلة وصحيحة – نقص، فهناك أيضا عبودية الخوف والرجاء وغيرها، كما سيأتي إن شاء الله.

روى أبو المظفر بن الجوزي في جوهرة الزمان بإسناده إلى عباس بن يوسف قال: قال ميسرة الخادم غزونا في بعض الغزوات، فإذا بين الصفوف شاب فحمل على الميمنة فطحنها، ثم مال إلى الميسرة فطحنها – وهو مقنع بالحديد – ثم مال على القلب حتى ثناه ثم قال:

أحسن بمولاك سعيد ظنا ** هذا الذي كنت له تمنى

تنح يا حور الجنان عنا ** لا فيك قاتلنا ولا قتلنا

لكن إلى سيدنا اشتقنا ** قد علم السر وما أعلنا

ثم حمل وهو يقول:

قد كنت أرجو ورجائي لم يخب ** أن لا يضيع اليوم كدي والتعب

يا من ملا تلك القصور باللعب ** لولاك ما طابت وما طاب الطرب

ثم حمل حتى قتل منهم عددا كثيرا ثم رجع فحمل وهو يقول:

يا لعبتي الخلد قفي ثم اسمعي ** لا فيك قاتلنا فكفي وارجعي

ثم ارجعي الى الجنان واسرعي ** لا تطمعي لا تطمعي لا تطمعي

ثم حمل فقاتل حتى قتل.

وقد ذكر ابن الجوزي في صفة الصفوة قصة لمحمد بن السمين فقال:" قال الجنيد: قال لي محمد السمين: كنت في وقت من الأوقات أعمل على الشوق، وكنت أجد من ذلك شيئا أنه به مشتغل، فخرجت إلى الغزو، وهذه الحالة حالي، وغزا الناس وغزوت معهم، فكثر العدو على المسلمين، وتقاربوا والتقوا، ولزم المسلمين من ذلك خوف لكثرة الروم.

قال محمد: فرأيت نفسي في ذلك الموطن وقد لحقها روع، فاشتد ذلك علي، وجعلت أوبخ نفسي وألومها وأؤنبها، وأقول لها كذابة، تدعين الشوق فلما جاء الموطن الذي يؤمل في مثله الخروج اضطربت وتغيرت، فأنا اوبخها إذ وقع لي انزل إلى النهر فاغتسل، فخلعت ثيابي واتزرت ودخلت النهر، فاغتسلت، وخرجت وقد اشتدت لي عزيمة لا أدري ما هي ؟

فخرجت بقوة تلك العزيمة، ولبست ثيابي وأخذت سلاحي، ودنوت من الصفوف، وحملت بقوة تلك العزيمة حملة وأنا لا أدري كيف أنا ؟ فخرقت صفوف المسلمين وصفوف الروم حتى صرت من ورائهم، ثم كبرت تكبيرة فسمع الروم تكبيرا، فظنوا أن كمينا قد خرج عليهم من ورائهم، فولوا، وحمل عليهم المسلمون فقتل من الروم بسبب تكبيرتي تلك نحو أربعة آلاف، وجعل الله عز وجل ذلك سببا للفتح والنصر" انتهى.

٣. من يقاتل طلبا لثواب الله من الجنة، وقصورها، ونسائها، ومنازلها، ومساكنها،وأنهارها، وهذا هو الغالب في المجاهدين، والغالب منهم في ذلك من يخرج طلبا للحور العين.

وهذه النية صحيحة بلا شك، والأدلة على ذلك كثيرة جدا، ولا يلتفت إلى كلام بعض الصوفية في القدح فيها، ولكنها أنقص مما قبلها، فهذه النية رجاء لثواب الله، وتلك النية محبة لله، والمحبة أفضل من الرجاء، لتعلقها بالمحبوب مباشرة، بخلاف الرجاء الذي هو تعلق بالثواب المخلوق، والأفضل الجمع بينهما ثم مجرد المحبة، وآخر المراتب مجرد الرجاء، فمراتب الناس:

- ❖ من يقاتل محبة لله تعالى وشوقا إليه، ورجاء لثوابه المخلوق والجنة، فهذا أفضل المراتب، بل قال ابن القيم في المدارج: " وهؤلاء خواص خلقه " انتهى كلامه.
- ❖ من يقاتل محبة لله تعالى وشوقا إليه فقط، بلا رجاء لثوابه، وهذا أنقص من الذي قبله، فإن الرجاء عبادة من العبادات القلبية، له فضله ومنزلته.
- ❖ من يقاتل رجاء لثواب الله تعالى من الجنة والحور العين وغيرها، فهذا أنقص المراتب، بل قال ابن القيم عنه في المدارج: " فهذا ناقص غاية النقص، وهو حال الجاهل بربه الذي سمع أن ثم جنة ونار، فليس في قلبه غير إرادة نعيم الجنة المخلوق، ولا يخطر بباله سواه البتة " انتهى كلامه.

فعلى عشاق الشهادة أن يتنبهوا لهذا الأمر، فهو وإن كان صاحب هذه النية شهيدا، فإنه مفضول، فعليهم أن يضيفوا إلى هذه النية محبة الله والشوق إليه، لكي يفضلوا ويشرفوا عند الله تعالى وعلى العباد، فهمة تعلقت بالخالق أعلى من همة تعلقت بالمخلوق.

٤. من يقاتل خوفا من الله وعقابه:

وهذه نية صحيحة، والخوف من العبادات القلبية المحبوبة إلى الله.

وهذه النية كثيرا ما يخرج بها المجاهدون إلى الجهاد، فإن الجهاد والشهادة من أعظم ما يكفر به الخطايا ويغفر به الذنوب – كما سيأتي إن شاء الله – فيخرج المجاهد ليقاتل خوفا من الله أن يعاقبه على ذنوبه وسيئاته، وطلبا لغفرانها بالجهاد والشهادة.

وقد ورد في الحديث في أنواع القتلى، أن منهم من يخرج فرقا على نفسه، فعن عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**القتلى ثلاثة: رجل مؤمن جاهد بنفسه وماله في سبيل الله، حتى إذا لقي العدو قاتلهم حتى يقتل، فذلك الشهيد الممتحن، في خيمة الله تحت عرشه، لا يفضله النبيون إلا بفضل درجة النبوة، ورجل فرق على نفسه من الذنوب والخطايا، جاهد بنفسه وماله في سبيل الله حتى إذا لقي العدو قاتل حتى يقتل، فتلك ممصمصة، محت ذنوبه وخطاياه، إن السيف محاء للخطايا، وأدخل من أي أبواب الجنة شاء، فإن لها ثمانية أبواب، ولجهنم سبعة أبواب، وبعضها أفضل من بعض**.......) رواه أحمد والطبراني بإسناد جيد كما قال المنذري وابن النحاس، وقال الهيثمي " ورجال أحمد رجال الصحيح خلا المثنى الاملوكي وهو ثقة ".

وأيضا يخرج ليقاتل خوفا أن يعاقبه الله على ترك الجهاد، وإبراء لذمته عنده من الإثم، فإن لترك الجهاد عقوبات عاجلة – كما سيأتي إن شاء الله – وقد ورد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**عجب ربنا من رجل غزا في سبيل الله فانهزم – يعني أصحابه – فعلم ما عليه فرجع حتى أهريق دمه، فيقول الله تعالى لملائكته: انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي حتى أهريق دمه**) رواه أبو داود والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي،وصحح إسناده أحمد شاكر، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود.

فهذا رجل أقدم على القتال شفقة مما عند الله عز وجل من العقوبة، وأثنى الله عليه بهذا الفعل وهذا القصد، فهذا يدلك على صحة هذه النية، ولكن مع صحة هذه النية فهي ناقصة، وذلك لفقدانها لعبادة المحبة والرجاء وغيرهما.

٥. من قاتل لإعلاء كلمة الله، وإعزاز دينه، ونشره في الأرض، وإظهاره على جميع الأديان في الأرض، وهذا يتضمن إذلال الكفر، ودحره، ورفع حكمه من الأرض.

وهذا مقصد الجهاد الأعظم، كما قال تعالى: ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ**﴾ والمراد بكلمة الله – كما قال الحافظ في الفتح –"دعوة الله إلى الإسلام " انتهى كلامه.

وقال شيخ الإسلام في الفتاوى في تفسيرها: " وكلمة الله هى خبره وأمره، فيكون أمره مطاعا مقدما على أمر غيره، وخبره مصدق مقدم على خبر غيره " انتهى كلامه.

ويدل على صحة هذه النية حديث أبي موسى الذي سبق **(من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)** فاشترط لكي يكون الشخص مقاتلا في سبيل الله أن يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ومفهوم الشرط يقتضي أن من قاتل لغير هذه الغاية، فليس في سبيل الله، بل في سبيل الغاية التي قاتل من أجلها، قال المناوي عند شرحه للحديث **(فهو)** أي المقاتل **(في سبيل الله)** قدم هو ليفيد الإختصاص " انتهى كلامه.

وقد تقول يا أخي: إن كثيرا من المجاهدين قد تغيب عنهم هذه النية، ويقاتل لأجل الجنة مثلا، فهل هذا شهيد في سبيل الله ؟

والجواب ما قاله المناوي في الفيض: " نعم من قاتل للجنة ولم يخطر بباله إعلاء كلمة الله فهو كالمقاتل للإعلاء إذ مرجعهما – وهو رضا الله – واحد كذا قيل " انتهى كلامه، وكذا جميع النيات الصحيحة دلت الأدلة على صحتها، ومرجعها رضا الله تعالى.

٦. من قاتل حمية للمسلمين، ونصرة لهم ولحرماتهم، ودفاعا عنهم وعن مقدساتهم، وإعزازهم، ورفع الظلم والذل عنهم، ورد العدوان، ويقاتل حمية على الكافرين والمشركين، وبغضا وعداوة وإذلالا لهم، وانتقاما منهم لانتهاك حرمات الله وحرمات المسلمين.

وهذه النية صحيحة، وهي من لوازم النية السابقة وتبع لها، وقد أمر الله عباده المؤمنين بالتواد والتحاب والتكاتف والتناصر بينهم بالجهاد وغيره، قال تعالى: ﴿ **وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ**﴾ **الأنفال**.

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((**إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) وشبك أصابعه)** رواه البخاري.

ومن مقاصد الجهاد حماية المسلمين، والدفاع عنهم، كما قال تعالى: ﴿ **وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا**﴾ **النساء**. وإنما شرع الرباط في سبيل الله حماية وحفظا للمسلمين ورد العدوان عنهم، وهذه النية تغلب على من كمل عنده الولاء والبراء لله عز وجل.

٧. من قاتل حمية لله تعالى، وغيرة على دينه، وغضبا له على الكفار على انتهاكهم حرماته، وتعظيما له أن يكفر به.

وهذه النية صحيحة، فالغيرة لله تعالى والغضب له من أفضل العبادات القلبية، وهي تابعة لما مضى، ومن المواقف المأثورة في ذلك ما ذكره صاحب تحفة الأنفس عن علي بكار أنه كان إذا دخل أرض الروم لا يضحك، فقيل له يا أبا الحسن ما نراك تضحك؟ فقال: إنما نغزو غضبا لله والغضبان لا يضحك " انتهى.

٨. من قاتل طلبا ورجاء للشهادة، وأن يقتل في سبيل الله، وأن لا يرجع من غزوته، وهذه النية غالبية في المجاهدين.

وهي نية صحيحة، فقد جاءت الأدلة الكثيرة بالحث على طلب الشهادة وسؤالها، فطلبها أمر مشروع ومحبوب للشارع، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: (**من خير معاش الناس لهم رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعةً طار عليه يبتغي القتل والموت مظانه)** رواه مسلم، ومعنى (**خير معاش الناس)** أي أفضل حياة يحياها الناس وأفضل عيش يعيشه الناس.

ومن مقاصد الجهاد حصول الشهادة في سبيل الله، وقد يخرج أناس للجهاد في سبيل الله، وليس في نيتهم أن يقتلوا، وهذا نقص فيهم إذا قتلوا، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (لأن أموت على فراشي – قال واصل قال أراه قال صابرا محتسبا – أحب إلي من أن أقدم على قوم لا أريد أن يقتلوني، قال أو ليس الله يأتي بالشهادة والرجل عظيم العنا عن أصحابه محزي لمكانه) رواه عبد الرزاق.

وورد عن كعب الأحبار قال: (الشهداء ثلاثة رجل خرج من بيته لا يحب الشهادة، ويحب الرجعة، فيهدي الله عز وجل له سهم غرب، فذلك أول قطرة من دمه يغفر الله عز وجل له بها كل خطيئة خطئها، ويرفع بكل قطرة من دمه درجة حتى ترقأ آخر قطرة من دمه، ورجل خرج من بيته يحب الشهادة ويحب الرجعة، فباشر القتال، فذلك تمس ركبته ركبة إبراهيم الخليل في الرفيع، ورجل خرج من بيته يحب الشهادة ولا يحب الرجعة، فباشر القتال، فذلك كملك شاهر سيفه في الجنة يتبوأ منها حيث شاء، ما سأل أعطي ولمن شفع شفع) رواه ابن المبارك بإسناد صحيح كما قال ابن النحاس، وورد أيضا حديث مرفوع طويل قريب من هذا اللفظ عند البزار، ولكنه ضعيف جدا أو موضوع.

٩. من قاتل امتثالا لأمر الله بالجهاد، وعبودية له، وأنه أهل أن يعبد ويطاع.

وهذه نية صحيحة، إذ هي خالصة لوجه الله تعالى، فإن العبودية هي المقصد من الخلق، وقد أمر الله عباده بعبادته وطاعته وامتثال أمره، ولكنها ناقصة، فهناك المحبة والخوف والرجاء وغيرها.

١٠. من يقاتل إذا دهمه القتال مقبلا، وليس له نية البتة إلا أن يدفع عن نفسه.

وهذه نية صحيحة، وهو شهيد لأن من دفع عن نفسه قطاع الطريق، فقتلوه كان من الشهداء، فكيف لا يكون شهيدا من قتل بسيوف الأعداء، بل هو شهيد في الفضل والحكم، ذكر ذلك ابن النحاس في المشارع، ولكن مع كونه شهيدا فهو ناقص الدرجة، ومفضول بأصحاب النوايا.

١١. من يخرج إلى الجهاد تكثيرا لسواد المسلمين، وليس له نية في أن يقتل ولا يقتل، وهذا إذا قتل فهو شهيد، لأن من كثر سواد قوم فهو منهم، ذكره ابن النحاس، وقد ورد في ذلك حديث موضوع عند البزار كما تقدم في المرتبة الثامنة.

١٢. من يقاتل يريد وجه الله والنيل من الغنيمة، والباعث الأصل إلى القتال والجهاد هو إرادة وجه الله، بحيث لو لم يكن هناك غنيمة لما ترك الجهاد، ولو دعي إلى غزو قوم فقراء ليس لهم ما يغنم لأجاب ولما أقعده ذلك عن الجهاد، ولو دعي إلى غزو طائفتين إحداهما فقيرة والأخرى غنية، لرغب في جهاد الأغنياء رجاء الغنيمة.

فهذه نية صحيحة، ولكنه ناقص الأجر، لكونه أشرك الغنيمة في القصد، فنقص أجره، فهو ليس كمن خرج ابتغاء وجه الله ولم يلتفت إلى الغنيمة أصلا، ويدل على صحة هذه النية:

أولا: قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ**﴾ **البقرة. وهذه الآية نزلت في قوم تأثموا أن يتجروا في موسم الحج، وظنوا أنهم بذلك لا حج لهم، فبين الله لهم أن ليس عليهم جناح ولا إثم أن يبتغوا فضلا منه بالتجارة، إذا كان المقصد والباعث الأصلي هو ابتغاء وجه الله.**

ثانيا: أن الله تعالى رغب عباده المؤمنين في الغنيمة في غير ما آية من القرآن، كقوله تعالى ﴿**وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا...** ﴾ الفتح، الآية، ونظائرها، ويبعد أن يرغب الله عباده في الغنيمة ويعدهم ويمتن عليهم بنيلها ثم يحظر عليهم نيتها وقصدها، ذكره ابن النحاس في المشارع.

ثالثا: أن الرسول ﷺ كان يرسل السرايا ليغيروا على نعم المشركين وأموالهم وذراريهم، وكانوا إذا لحقهم المشركون قاتلوهم دفاعا عما معهم من الغنائم وقصدا لإعلاء كلمة الله، فربما انتصر المسلمون وذهبوا بما معهم، وربما كانت الأخرى، وقد استشهد منهم في ذلك خلق كثير كما هو معروف في كتب السير والمغازي، وكانوا إذا انهزم المشركون لم يتبعهم المسلمون بل يذهبون بما معهم، ذكره ابن النحاس في المشارع.

رابعا: قال ابن النحاس في المشارع: " قال ابو داود في سننه " باب فيمن يغزو ويلتمس الدنيا ثم ذكر حديث أبي هريرة أن رجلا قال: يا رسول الله رجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرضا من عرض الدنيا ؟ فقال: (**لا أجر له...**) الحديث المتقدم ثم قال باب فيمن يغزو ويلتمس الأجر والغنيمة، ثم روى فيه عن عبد الله بن حوالة رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ لنغنم على أقدامنا، فرجعنا فلم نغنم شيئا، وعرف الجهد في وجوهنا، فقام فينا فقال: (**اللهم لا تكلهم إلي فأضعف، ولا تكلهم إلى أنفسهم فيعجزوا عنها، ولا تكلهم إلى الناس فيستأثروا عليهم) الحديث**، وهذا

التبويب يدل على أن أبا داود حمل حديث أبي هريرة على من غزا يلتمس الغنيمة من غير قصد قربة، واستدل بحديث عبد الله بن حوالة على جواز الغزو للغنيمة والأجر كما تقدم، وهو ظاهر.

وموضع الاستدلال منه قوله بعثنا لنغنم، وقد تعرض البيهقي في سننه لما ذكرت فإنه ذكر حديث أبي هريرة المتقدم ثم قال: فهذا لعله فيمن لا ينوي بغزوه سوى الدنيا، فأما من يبتغي الآخرة ويلمح الغنيمة فحدثنا فلان عن فلان، ثم روى حديث عبد الله بن حوالة " انتهى كلامه.

خامسا: عن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ مر بخباء أعرابي وهو في أصحابه يريدون الغزو، فرفع الأعرابي ناحية من الخباء فقال: من القوم ؟ فقيل له: رسول الله ﷺ وأصحابه يريدون الغزو، فقال: هل من عرض الدنيا يصيبون ؟ قيل له: نعم، يصيبون الغنائم ثم تقسم بين المسلمين، فعمد إلى بكر له فاعتقله، وسار معهم، فجعل يدنو بكره إلى رسول الله ﷺ، وجعل أصحابه يذودون بكره عنه، فقال رسول الله ﷺ: **(دعوا لي النجدي فوالذي نفسي بيده إنه لمن ملوك الجنة)** قال: فلقوا العد فاستشهد، فأخبر بذلك النبي ﷺ، فأتاه، فقعد عند رأسه مستبشرا أو قال: مسرورا يضحك، ثم أعرض عنه، فقلنا: يا رسول الله رأيناك مستبشرا تضحك ثم أعرضت عنه ؟ فقال: **(أما ما رأيتم من استبشاري أو قال: سروري فلما رأيت من كرامة روحه على الله تعالى، وأما إعراضي عنه، فإن زوجته من الحور العين الآن عند رأسه)** رواه البيهقي في الشعب بإسناد حسن كما قاله المنذري وابن النحاس والألباني.

قال ابن النحاس في المشارع: " وهذا الحديث بفرده دليل واضح على ما ذكرناه، فإن في الحديث التصريح بقصد الغنيمة، وقد أخبر النبي ﷺ بكرامة روحه على الله، وأنه من ملوك الجنة، وحسبك بهذا فضلا وشرفا " انتهى كلامه.

سادسا: غزوة بدر الكبرى كان سببها الخروج لرصد عير قريش القادمة من الشام، وكذا النبي ﷺ كان يرسل السرايا لرصد عير قريش القادمة من التجارة.

وأما الأحاديث التي فيها أن من خرج للدنيا ونوى الغنيمة بجهاده فلا جهاد ولا أجر له – كما سيأتي ذكرها إن شاء الله في مانع طلب الدنيا – فالمقصود بها من خرج وكان الباعث الأصلي طلب الدنيا والمغنم، أو تساويا مع طلب وجه الله عز وجل.

قال ابن النحاس في المشارع: " غير أن من كان قصده مشوبا بإرادة الغنيمة والميل إليها لا يساوي من ليس له إليها التفات البتة كما تقدم، إذ نيل الغنيمة في الجملة منقص لأجر أكثر الغزاة وإن لم ينووها، لما ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(ما من غزية أو سرية تخفق وتخوف وتصاب إلا تم أجرهم)** وفي رواية **(ما من غازية أو سرية تغزو في سبيل الله فيصيبون الغنيمة إلا تعجلوا ثلثي أجرهم من الآخرة، ويبقى لهم الثلث، وإن لم يصيبوا غنيمة تم لهم أجرهم)** يقال أخفق الغازي، إذا غزا ولم يغنم ولم يظفر.

ولأجل ما في نيل المغنم من شائبة نقص الأجر، كان جماعة يتعففون عن المغنم، منهم إبراهيم بن أدهم كان إذا غزا لم ينل من المغنم، فيقال له أتشك أنه حلال، فيقول إنما الزهد في الحلال، وأنشد بعضهم:

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك ** إن كنت جاهلة بما لم تعلمي

يخبرك من شهد الوقيعة أنني ** أغشى الوغى وأعف عند المغنم

واعلم أن المعرض عن نصيبه من المغنم، لا يخلو إما أن يتركه زهدا في الدنيا، وإما أن يتركه قطعا لمادة استشراف النفس، فإن تركه زهدا في الدنيا ورغبة في نيل أجره من الله تعالى كاملا من غير نقص، فهذا لا ينظر في أفضليته، وقد يكون أخذه والإيثار به في بعض المواطن ولبعض الناس أفضل وأسلم من تركه زهدا فيه، ولصحة القصد في الترك والأخذ موازين معروفة، لا نطول في تفاصيلها لاختلافها بحسب الاشخاص، وتعذر نظمها في أسلوب.

وإن تركه قطعا لمادة استشراف النفس إلى نيل الغنيمة، فحسن، لأنها إذا استشرفت إلى نيل الغنيمة وتوقعت وجودها كان ذلك نقصا في إخلاصها، وإن حكمنا بصحة القصد مع ذلك كما تقدم، وإن لم تستشرف ولكن تحققت أنه إذا حصلت غنيمة لا تمتنع منها، ربما خفيت دسيسة استشرافها وبطنت بحيث لا يدركها صاحبها، فإذا آيست من نيل الغنيمة قطعا كان وجود الغنيمة وعدمها سواء، وأمنت دسيستها في ذلك، فسلم الإخلاص، ولكن قد تخفى دسيسة الرياء في الترك أيضا، فينبغي التفطن لمثل ذلك، والاحتراز من الدسائس، فإن ذلك مما يتعين الاهتمام به، والتفتيش عنه، سيما في هذا الموطن " انتهى كلامه، وإنما نقلته بطوله لفائدته.

١٣. قال ابن النحاس في المشارع: " فإن غزا ليقتل، فيستريح مما هو فيه من ضعف مؤلم، أو دين لازم، أو فقر ملازم، أو شر يتوقعه، أو مصيبة تنزل به، ولم يخطر بباله التقرب إلى الله أو إعلاء كلمته، وكان بحيث لو عرض عليه قتل ظالم له، أو قطاع طريق، ونحوهم، أو موت بطاعون، ونحوه، لما رغب فيه، وإن كان يحصل له بكل ذلك الشهادة، والراحة مما هو فيه، فهذا مما للنظر فيه مجال، فيُحتمل أن يُقال:

ليس بشهيد عند الله، إذ لم يتمحض قصد التقرب إلى الله تعالى وإعلاء كلمته، ويُحتمل أن يُقال: إنه شهيد، لكونه لم يسمح بنفسه إلا في هذا الوجه دون غيره، ورغبته فيه دون غيره، وإن كان شهيدا – أيضا – في قتل الظالم، أو قطاع الطريق، أو الطاعون ونحوه، يدل على قصد باطن في التقرب إلى الله تعالى، وعلى إيمان وتصديق بما جاء عن الله ورسوله في ثواب من قتله الكفار شهيدا، وهذا الاحتمال أقرب من الأول، ولكنه لا يلتحق بالمخلصين ولا يلحق شأن الشهداء الأولين.

وإنما خفيت صورة هذا المقصد ولم تظهر، لغلبة اهتمامه بما هو فيه، واستيلائه على قلبه، وشدة تمنيه لزواله، فانعدم شهود غيره من المقاصد معه لذلك، كما انعدم شهود القمر مع الشمس، لغلبة نورها عليه، ودل على وجود قصد القربة سماحته بنفسه في هذا الوجه دون غيره، كما دلت رؤية القمر في منزلته عند غروب الشمس على أنه كان موجودا معها بما قطعه في سيره في النهار، وإن كان لا يظهر له معها وجود، وكما يدل نبض المحموم أو ماؤه على داء باطن غير الحمى لا يدركه صاحبه، ولا يظهر إلا للطبيب الحاذق، وإن كانت الحمى ظاهرة لكل أحد " انتهى كلامه.

وهنا مسألة: قال ابن النحاس في المشارع: " فإن أنشأ قصد الجهاد بالنية الخالصة، فلما تراءى الجمعان وصف الناس للقتال، عزبت عنه النية الخالصة التي كان عقدها في أول شروعه، ولكن لم يرد ما ينافيها ؟

فالذي يظهر أن النية الأولى تكفيه، وإن لم تقارن أول شروعه في القتال، وقد صرح بذلك العلامة ابن دقيق العيد فإنه قال في قوله ﷺ: **(من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)** مفهوم الحديث الاشتراط، لكن إذا قلنا بذلك، فلا ينبغي أن نضيق فيه، بحيث نشترط مقارنته لساعة شروعه في القتال، بل يكون الأمر أوسع من هذا، ونكتفي بالقصد العام لتوجهه إلى القتال، وقصده بالخروج إليه إعلاء كلمة الله تعالى، ويشهد لهذا الحديث الصحيح بأنه يكتب للمجاهد استنان فرسه وشربها في النهر من غير قصد لذلك، لما كان القصد الأول إلى الجهاد واقعا لم يشترط أن يكون ذلك في

الجزيئات، ولا يبعد أن يكون بينهما فرق، إلا أن الأقرب عندنا ما ذكرناه، من أنه لا يشترط اقتران القصد بأول الفعل المخصوص بعد أن يكون القصد صحيحا في الجهاد لإعلاء كلمة الله تعالى، دفعا للحرج والمشقة، فإن حالة الفزع حالة دهش، وقد يأتي على غفلة، فالتزام حضور الخواطر حرج ومشقة " انتهى، وهو حسن إلا أن اشتراط عدم وجود ما ينافي النية الأولى، لابد منه كما تقدم، والله أعلم " انتهى كلامه.

قال المناوي في الفيض: " وهل يشترط مقارنة قصد الإعلاء للقتال، أو يكفي عند التوجه ؟ رجح البعض الثاني، لكن أقول يشترط أن لا يأتي بمناف بينهما، كما هو ظاهر " انتهى كلامه.

هذا، والنيات سواء الصحيحة أو الفاسدة لا تنحصر، بل كثيرة كما تقدم، ولكن ذكرنا أكثرها وقوعا.

وهذه مراتب النيات الصحيحة في الجهاد والاستشهاد، من حازها جميعا فقد حاز الفضل والعلو على العباد، وفاز بالشرف الأسمى يوم يقوم الأشهاد، ومن اقتصر على بعضها فهو كاف في حصول الشهادة، وثبوت الأجر والسعادة، ومن أخل بالإخلاص، ولم يأت بواحد منها فقد خسر أتم الخسران، إذ لا بالشهادة فاز، ولا من الموت والقتل نجا وجاز، ولا لما قصد من الرياء أو الدنيا أوغيرها حصَّل وحاز، إذ الثناء بعد الموت لا يسمع، والدنيا بعده لا تُجبى ولا تُجمع، والقتال حميَّة لا يثمر ولا ينفع.

أخي لو كان لك أكثر من نفس، لكان الأمر أهون، وعلى المراد أعون، إذ يمكن إذا ذهبت النفس الأولى أن تعوض ما فاتك في الثانية، ولكنما هي نفس واحدة، فإما حياة نعيم خالدة، وإما شقاوة جحيم آبدة، فاحرص على الإخلاص في طلب الشهادة، وإقامة شروطها، وإزاحة موانعها، كي لا تخسر الخسران الأكبر.

هذا وقد سطر السلف ومن بعدهم أعظم المواقف في الإخلاص في الجهاد، والحرص على حفظ أعمالهم فيه من شوائب الشرك والرياء وإرادة غير وجه الله بها، فمن ذلك:

❖ قال الذهبي في السير: " أبو حاتم الرازي: حدثنا عبدة بن سليمان المروزي قال: كنا سرية مع ابن المبارك في بلاد الروم، فصادفنا العدو، فلما التقى الصفان، خرج رجل من العدو، فدعا إلى البراز، فخرج إليه رجل فقتله، ثم آخر فقتله، ثم آخر فقتله، ثم دعا إلى البراز، فخرج إليه رجل، فطارده

ساعة فطعنه فقتله، فازدحم إليه الناس، فنظرت فإذا هو عبد الله بن المبارك، وإذا هو يكتم وجهه بكمه، فأخذت بطرف كمه فمددته، فإذا هو هو، فقال: وأنت يا أبا عمرو ممن يشنع علينا " انتهى.

❖ جاء في كتاب الثمار الزكية عن حسين الجويفي – وهو من قادة عمر المختار–: " كان الشيخ حسين الجويفي ممن تجرد للجهاد في سبيل الله وطلب رحمة الله، وكان يقول: " أنا لا أريد قيادة ولا منصبا بل أريد جهادا رغبة في ثواب الله تعالى " وكان ذلك الصنديد محل تقدير من قبل إخوانه، قال في حقه قائده الأعلى عمر المختار عقب استشهاده: " أتذكر حسين الجويفي عند اللقاء مع العدو، أو عند قراءة القرآن الكريم وقت الورد " كما عرف عنه أنه لم يبرح فرسه يوما أثناء المعركة، لينال من أسلاب العدو، بل يتركها للمجاهدين، لعفته وقناعته بما يملك من أموال ومواشي " انتهى كلامه، وقال أيضا عنه: " استشهد الشيخ حسين الجويفي رئيس دور البراعصة، وكان صاحب مكانة عظيمة عند المختار، كان حسين الجويفي سباقا للخيرات، حريصا على الشهادة في سبيل الله، وكان يحرص على الخروج للمعارك في مرضه، حتى إن عمر المختار في إحدى المعارك طلب منه أن يبقى حفاظا على صحته، وقال له: الجايات أكثر من الغائبات، والطليان لمحاربينا، ونحن لا نبطل الهجوم عليهم، وستشبع من القتال، فأيامه كثيرة " انتهى كلامه، والمراد بالطليان الإيطاليين الذين غزوا ليبيا.

❖ قال الشيخ عبد الله عزام رحمه الله في كتاب عشاق الحور: " وكثيرا ما نُواجه ونحن نفتح وصايا كثير من الشهداء بمشكلة، أنهم يحرجون علينا أن لا نكتب عنهم كلمة، فقد كتب سعد الرشود: لا أسمح لمجلة الجهاد، ولا للبنيان المرصوص، أن تكتب عني كلمة.

وأبو دجانة (عادل فارس) أوصى بأن لا يكتب عنه شيء.

وأبو مسلم الصنعاني أوصى بأن من كتب عنه شيئا فهو حجيجه يوم القيامة.

وساءلت نفسي كثيرا: وهل يحق لهم أن يمنعوا الناس أن يتكلموا عنهم بخير ، إن هؤلاء أصبحوا جزءا هاما وشريطا حيا من تاريخ هذه الأمة، فليس لأحد أن يقص شريط التاريخ المشرف بحجة أن صورته وردت فيه أو ذكره مر خلاله، إن دماء هؤلاء الشهداء قد روت شجرة هذا الدين، وسطرت بأحرف من نور تاريخ هذه الأمة، فكم ستحرم الأجيال لو أخفي تاريخ النماذج المشرقة والقمم السامقة من

أبناء هذه الأمة، ابتداء بأبي بكر والخلفاء الأربعة والصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين والأبطال الأفذاذ أمثال سعد ومصعب وحمزة والقعقاع وعاصم والمقداد والنعمان وعكرمة وخالد وأبي عبيدة.

وكم ستخسر الأمة من رصيدها الثري، الذي يكون المعين العذب، الذي تنهل منه الأجيال عبر العصور.

لم تعد سير هؤلاء الصادقين ملكا خاصا يورث من قبل ورثته، أو مالا يوصي به إلى جهة خيرية ويصرفه كما يشاء، لقد خرجت سيرهم وقصصهم من ملكهم الخاص إلى رصيد أمة تحيا بذكرى أفذاذها، وتعيش أجيال مقتفية الجادة القويمة التي قضى عليها أسلافها وأئمتها.

لقد أوصى كل واحد بأن لا يكتب عنه بعدا عن الرياء، واختفاء عن مواطن الضوء إلى الظل، وذلك حرصا منهم على تمحيص النية وتقرير الإخلاص، فمضوا بإخلاصهم وصدقهم وثوابهم.

وكم يحز في نفسي أني لم أكتب عن سعد الرشود، ذاك الذي كنت إذا جلست إليه، أشعر أنني أمام قمة شاهقة، وعملاق ضخم، مع أنه في ثقافته لا يتعدى الثانوية العامة.

والآن واجهنا أبو مسلم الصنعاني بوصيته، التي تعني تمزيق صفحة وضاءة من تاريخ الأمة الإسلامية الحديث، وقطع جزء من الشريط الحي الذي يحفه البهاء، وينيره السناء، وتكون له المهابة إطارا جميلا فريدا.

إن الكلام عن الشهداء فرض من رب العالمين، لأنه جزء من التحريض على القتال الذي افترضه الله على كل مسلم ﴿ **فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ **النساء**.

ولو علم الشهيد كم سيسوق الله له من الخير، ويصله إلى قبره من الثواب بذكر قصته، لأمسك عن الوصية.

فكم من القلوب الميتة أحيتها قصص الشهداء، وكم من الشباب قد وفدوا إلى الجهاد بقراءة قصة شهيد، وكم من تائه رد إلى الله وكم من فاسق آب إلى ربه بها:

ففي القتلى لأجيال حياة   وللأسرى فدى لهم وعتق

إن هؤلاء الإخوة ينسون أنه (**من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة).**

كم نفع الله بوصية الشهيد عبد الوهاب بن صالح الردة الغامدي ؟

فعندما سمعت بوصية أبي مسلم (عبد الله النهمي) قلت سأكتب عنه، وعندما نلتقي بين يدي الله، سأقول لله (يا رب إن عبدك هذا عبد الله النهمي يريد أن يحرم الناس الخير بعدم الكتابة عنه، ويريد أن يمنع الأمر بالمعروف والتحريض على القتال، بمنعه لنا أن نكتب عنه) ولذا فإني سأبدأ به:......" انتهى كلامه.

❖ وقال الشيخ عبد الله عزام في كتاب عشاق الحور:

استشهد سعد الرشود، يحدث الأفغان والعرب؛ أن النور يخرج من قبره إلى عنان السماء ثم يعود إلى الأرض، ولا يصدق العرب في البداية، فيذهب العرب ليروا ذلك بأعينهم، وفتحنا وصية سعد الرشود وإذا بها ورقة صغيرة، أستحلفكم بالله لا أسمح أن تكتبوا عني حرفا واحدا، لا في مجلة الجهاد، ولا في البنيان المرصوص، ولا في أي مكان.

أي إخلاص هذا ؟ أين يصنع هذا الإخلاص إلا من حرارة المعركة التي تزيل غواشي النفس، وتزيل غبشها، ويخرج الإنسان منها عنصرا صافيا.. ما رأيت حديث رسول الله صلي الله عليه وسلم: (**من خير معاش الناس رجل آخذ بعنان فرسه يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار إليها يبتغي الموت مظانه)** مثلما رأيتها في عبد الوهاب الغامدي وسعد الرشود، وعبد الوهاب كذلك لازال النور حتى الآن يخرج من قبره ليلة الاثنين وليلة الخميس، لأنه هو وسعد الرشود كانا صوامين قوامين" انتهى كلامه.

ثالثا: الإقبال:

الإقبال عكسه الإدبار، وهو الثبات والإقبال بالوجه على العدو أثناء القتال وعدم الفرار والإدبار.

وأما الإقدام فهو معنى زائد على مجرد الإقبال، وهو المضي في الحرب والتقدم نحو العدو في القتال، وذلك يتضمن الثبات وزيادة، وهو التقدم، فكل مقدم مقبل، وليس كل مقبل مقدم، فالإقدام أخص من الإقبال، فقد يثبت الشخص في القتال ولا يقدم فيه.

وقد أمر الله بالثبات أثناء القتال، وأوجب ذلك على المجاهدين، فقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا**﴾ **الأنفال**، ونهى عباده عن الفرار والإدبار، الذي هو عكس الثبات والإقبال، وتوعد عليه،فقال: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (١٥) وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾ **الأنفال**.

وذلك لأن الثبات والإقبال من أركان النصر الأساسية، فإذا التقى الجيشان في القتال فأقواهما وأقربهما إلى الظفر أثبتهما وأصبرهما.

والثبات والإقبال أثناء القتال إنما هو بفضل الله وتوفيقه، فمن لم يثبته الله ووكله إلى نفسه، لم يثبت، ووُكِل إلى عجز وضعف، كما قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾ **محمد**. ونسب الثبات إلى القدم، لأن بها يكون الثبات للجسد، وبها يكون الفرار.

وقال تعالى: ﴿ **وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ**﴾ **الأنفال**.

وقال: ﴿ **إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ **الأنفال**، أي قووا قلوبهم على القتال وعدم الفرار.

ولما علم المؤمنون أن الثبات لا يكون إلا من عند الله، سألوه من الله، فهؤلاء أصحاب طالوت الذين معه دعوا الله أن يثبت أقدامهم عند القتال، قال تعالى: ﴿ **وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾ **البقرة**.

وهؤلاء أيضا الأنبياء وأصحابهم يقولون: ﴿ **وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾ **آل عمران**.

وهذا النبي ﷺ والصحابة كانوا يرتجزون ويقولون

اللهم لولا أنت ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا * وثبت أقدامنا إن لاقينا

إن الاعدا قد بغوا علينا * إن أرادوا فتنة أبينا

رواه البخاري، إلى غير ذلك.

والذي يجعل القدم تثبت في القتال، هو إرادة نصر الله بالجهاد والقتال، فمن جاهد نصرة لله ولدينه، فإن الله عز وجل يجازيه بأن ينصره – ومن أهم عوامل النصر ثبات القدم – فيثبت قدمه، كما قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** ﴾ محمد، أي في القتال.

قال ابن القيم في الزاد على قوله تعالى: (**وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير**........) " ثم أخبر سبحانه أن جماعة كثيرة من أنبيائه قتلوا، وقتل معهم أتباع لهم كثيرون، فما وهن من بقي منهم لما أصابهم في سبيله، وما ضعفوا، وما استكانوا، وما وهنوا عند القتل، ولا ضعفوا، ولا استكانوا، بل تلقوا الشهادة بالقوة والعزيمة والإقدام، فلم يستشهدوا مدبرين مستكينين أذلة، بل استشهدوا أعزة كراما مقبلين غير مدبرين " انتهى كلامه.

والإقبال وثبات القدم شرط في قبول الشهادة، فمن لم يقبل وفر وولى الدبر في القتال وقتل لم تقبل شهادته، والدليل على ذلك ما جاء عن أبي قتادة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قام فيهم فذكر أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال، قال: فقام رجل فقال: يا رسول الله أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي كلها ؟ فقال رسول الله ﷺ: (**نعم إن قتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر**) ثم قال رسول الله ﷺ: (**كيف قلت ؟**) قال: أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي ؟ فقال رسول الله ﷺ: (**نعم وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر إلا الدين، فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك**) رواه مسلم.

فاشترط لصحة الشهادة الإقبال، وقد توعد الله على من ولى الدبر في القتال، كما في آية الإنفال السابقة، وذلك يدل على أن من أدبر ولم يقبل ليس بشهيد.

رابعا: الصبر:

وهو أن يحبس المجاهد والمقاتل نفسه على القتال وتوابعه، ويجبرها عليه إذا كرهته، وذلك يثمر الإقبال والثبات، فإذا حبس نفسه على القتال ثبت وأقبل، هذا هو الفرق بين الثبات والإقبال، وبين الصبر، فالصبر يكون بالقلب ويظهر أثره على الجوارح بالثبات وعدم الفرار والهرب، فالصبر يلزم منه الثبات ولا يكون ثبات إلا بصبر.

والدليل على التفريق قوله تعالى: ﴿ **وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾ **البقرة**، ففرق بينهما في الدعاء، فالإفراغ يكون على القلب، والثبات للقدم وهي جارحة.

وكذا قوله تعالى: ﴿ **وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ**﴾ **الأنفال.**

قال ابن كثير في تفسيره: (**وليربط على قلوبكم**) أي بالصبر والإقدام على مجالدة الأعداء، وهو شجاعة الباطن (**ويثبت به الإقدام**) وهو شجاعة الظاهر " انتهى كلامه.

ولهذا ورد عن ابن أبي أوفى رضي الله عنه عند البخاري أن النبي ﷺ قال: (**لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا**) وورد في رواية أخرى عند الطبراني عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه (**فإذا لقيتموهم فاثبتوا**) بدل (**فاصبروا**) وكان بعض العلماء ربما فسر الصبر بالثبات، لأنه ثمرة له، كما قال المناوي في الفيض في شرح حديث (**فإذا لقيتموهم فاصبروا**) **قال**: " (**اصبروا**) اثبتوا" انتهى كلامه.

ومن الأدلة أيضا على التفريق، حديث أبي قتادة السابق وفيه: (**وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر**) ففرق بينهما، ونقل في كتاب أحكام الشهيد عن السبكي قال: " في هذا الحديث ذكر الصبر وأكده بالإقبال وعدم الفرار، فإن الشخص قد يكون مقبلاً على العدو بصورته، وفي قصده أن ينهزم فلا يكون صابرًا، ولو قتل في هذه الحالة فلا يكون شهيدًا، ومتى كان مقبلاً بصورته وقلبه فهو صابر" انتهى بتصرف.

ومما يدل أيضا على التفريق، حديث ابن أبي أوفى السابق في دعاء النبي ﷺ على المشركين قال: (**اللهم أهزمهم وزلزلهم**) رواه البخاري، فالهزيمة عكس الإقبال، وهي الإدبار، والزلزلة عكس الصبر، بأن تزلزل نفوسهم فلا يصبرون.

وقد أمر الله عباده بالصبر في القتال، فقال: ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ **آل عمران**، أي صابروا العدو في الحرب والقتال.

وكان من قبلنا يدعون الله بالصبر والثبات عندما يلاقون الأعداء، وذلك لأن من أهم عوامل النصر في القتال الصبر والثبات، فمن صبر أكثر فهو المنتصر بإذن الله، كما قال النبي ﷺ: **(واعلم أن النصر مع الصبر)** رواه الطبراني والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

والصبر في القتال يكون بحبس النفس على القتال وعدم الفرار، ويكون بالصبر على القتال وعدم الجزع منه والجبن والخور، ويكون بالصبر على تبعات الجهاد وعدم الإعتراض على الله والجزع.

قال المناوي في الفيض: **(فإذا لقيمتوهم فاصبروا)** اثبتوا، ولا تظهروا التألم إن مسكم قرح، فالصبر في القتال كظم ما يؤلم من غير إظهار شكوى ولا جزع وهو الصبر الجميل **(إن الله مع الصابرين)**. انتهى كلامه.

وقال ابن هذيل في تحفة الأنفس: " فمصابرة العدو آكد حقوق الجهاد وأعز طرق الإعداد بالله والاعتماد".

وقال أيضا: " وحقيقة الصبر هي الصبر على إمضاء الحقائق وإن شقت، واحتمال المكاره في ذات الله وإن جلت، والثبات في جميع الشدة من غير جزع ولا خور إلا رضى وتسليما " انتهى كلامه.

والصبر في القتال شرط في قبول الشهادة، والدليل عليه ما جاء عن أبي قتادة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قام فيهم فذكر أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال، قال: فقام رجل فقال: يا رسول الله أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي كلها ؟ فقال رسول الله ﷺ: **(نعم إن قتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر)** ثم قال رسول الله ﷺ: **(كيف قلت ؟)** قال: أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي ؟ فقال رسول الله ﷺ: **(نعم وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر إلا الدين فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك)** رواه مسلم.

فاشترط لقبول الشهادة أن يقتل وهو صابر، فإذا فقد هذا الشرط لم تقبل الشهادة.

خامسا: العقل:

وجود العقل شرط في صحة وقبول جميع العبادات، فلا تصح أي عبادة من مجنون وغير عاقل، وذلك أن المجنون لا نية له، والنية شرط في صحة العبادات وقبولها، فلا تصح عبادته وقد رفع عنه القلم ولا يعلم ما يفعله، فلا يصح جهاده ولا شهادته.

سادسا: شرعية الجهاد والقتال:

قبول العبادات والأعمال كلها مبنية على شرطين:

١. الإخلاص لله عز وجل.

٢. المتابعة للرسول ﷺ.

فمن تعبد لله بعبادة مخالفة لهدي النبي ﷺ فيها، أو تعبد بما لم يشرعه أصلا، فهي مردودة على صاحبها وغير مقبولة، فلابد في كل عبادة أن تكون على ما شرعه الرسول ﷺ، ومن ذلك الجهاد، فلابد لكي يكون مقبولا ويترتب عليه أجره ويكون من قتل فيها شهيدا أن يكون مشروعا وعلى طريقة المصطفى ﷺ فيه.

فشرعية الجهاد شرط في قبول الشهادة وحصول الأجر، وإلا كانت غير مقبولة ومردودة على صاحبها، قال ﷺ: **(من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)** رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها، فهذا يفيد عدم قبول العمل الذي على غير هدي النبي ﷺ، ومن ذلك الجهاد والشهادة.

وعن أبي قتادة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قام فيهم فذكر أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال قال: فقام رجل فقال: يا رسول الله أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي كلها ؟ فقال رسول الله ﷺ: **(نعم إن قتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر)** ثم قال رسول الله ﷺ: **(كيف قلت؟)** قال: أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي ؟ فقال رسول الله ﷺ: **(نعم وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر إلا الدين، فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك)** رواه مسلم.

فاشترط أن يكون في سبيل الله فقال: **(إن قتلت في سبيل الله)** وهو أن يقاتل الكفار الحربيين لإعلاء كلمة الله، بعد بلوغ الدعوة، أو لرد عدوانهم على المسلمين.

فمن قاتل من المسلمين لأجل الدنيا، فليس بجهاد شرعي، وليس في سبيل الله، ومن قاتل المعاهدين الذين بينه وبينهم عهد وذمة أو أمان، فليس بجهاد شرعي، وليس في سبيل الله، وليس من قتل فيه شهيدا، ومن قاتل لأجل إقامة شعار كفر فليس في سبيل الله وليس من قتل فيه بشهيد، وكذا من قاتل وهو من باغ من البغاة أو متعد أو ظالم فليس في سبيل الله وليس من قتل بشهيد ولذا لم يعامل بعض العلماء من يقتل من البغاة معاملة الشهيد.

وهكذا ورد عن حذيفة رضي الله عنه، فروى أبو عبيدة بن حذيفة قال:"جاء رجل إلى أبي موسى الأشعري، وحذيفة عنده، فقال: أرأيت رجلا أخذ سيفه فقاتل به حتى قتل، أله الجنة ؟ قال الأشعري: نعم، قال: فقال حذيفة: استفهم الرجل وأفهمه، قال: كيف قلت ؟ فأعاد عليه مثل قوله الأول، فقال له أبو موسى مثل قوله الأول، قال: فقال حذيفة أيضا: استفهم الرجل وأفهمه، قال: كيف قلت ؟ فأعاد عليه مثل قوله، فقال: ما عندي إلا هذا، فقال حذيفة: ليدخلن النار من يفعل هذا كذا وكذا، ولكن من ضرب بسيفه في سبيل الله يصيب الحق، فله الجنة، فقال أبو موسى: صدق " رواه عبد الرزاق، ورواه سعيد بن منصور بإسناد آخر عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال: قال حذيفة لأبي موسى: أريت لو أن رجلا خرج بسيفه يبتغي وجه الله، فضرب فقتل، كان يدخل الجنة ؟ فقال له أبو موسى: نعم، فقال حذيفة:" لا، ولكن إذا خرج بسيفه يبتغي به وجه الله، ثم أصاب أمر الله فقتل، دخل الجنة " وهو حسن بطرقه.

ومما يحتمل دخوله تحت هذا الشرط أيضا اشتراط إذن الإمام في القتال، واشتراط إذن السيد بالنسبة للعبد، واشتراط إذن الوالدين، فقد أوجب الشارع إذنهم في الجهاد في مواضع، فمن جاهد في هذه المواضع بغير إذنهم فقد ارتكب حراما وإثما، وما كان كذلك لم يكن مشروعا، وعليه قد يقال بأنه ليس بشهيد لذلك.

وقد ورد عن مجاهد قال: قال رسول الله ﷺ حين خرج إلى تبوك: **(لا يخرج معنا إلا مقو)** فخرج رجل على بكر له صعب فوقص به فمات، فقال الناس: الشهيد، الشهيد، فأمر رسول الله ﷺ بلالا ينادي **(ألا لا تدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يدخلها عاص)** قال مجاهد: لم أسمع عن رسول الله ﷺ

حديثا أشد من هذا، وحديث سعيد بن معاذ " **لقد ضم ضمة** " وهذا مرسل صحيح عن مجاهد، رواه سعيد بن منصور، ومعنى (**مقو**) أي ذو دابة قوية.

ويشهد له مارواه عبد الرزاق في المصنف عن زيد بن أسلم: أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه ذات يوم وهو مستقبل العدو: (**ولا يقاتل أحد منكم**) فعمد رجل منهم فرمى العدو وقاتلهم فقتلوه، فقيل للنبي ﷺ: استشهد فلان، فقال: (**أبعد ما نهيت عن القتال ؟**) قالوا: نعم، قال: (**لا يدخل الجنة عاص**) وهو مرسل.

وروى سعيد بن منصور عن جنادة بن أبي أمية أنه كان مع عمرو بن العاص بالاسكندرية فأمر الناس (لا تقاتلوا) فطار رعاع الناس فقاتلوا، فأبصرهم عمرو فقال: (يا جنادة أدرك الناس لا يُقتل أحد منهم عاصيا) فلما أقبل جنادة، أشرف له عمرو فناداه: (أقتل أحد من الناس ؟) قال: (لا) قال: (الحمد لله).

وقد روى الطيالسي والبيهقي عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**أيما عبد مات في إباقه دخل النار وإن كان قتل في سبيل الله تعالى**) وحسنه الألباني في صحيح الجامع، وقال الهيثمي: فيه عبد الله بن محمد بن عقيل وحديثه حسن وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات، والإباق هو هروب العبد من سيده.

وأما حديث ابن عباس رضي الله عنهما في أصحاب الأعراف أنهم الشهداء الذين عصوا والديهم في خروجهم إلى الجهاد، فقد رواه سعيد بن منصور بإسناد ضعيف جدا.

وقد يقال في الذين يخرجون بلا إذن الإمام أو الوالدين أو السيد بالنسبة للعبيد أنهم إن قتلوا شهداء، لانفكاك الجهة، فيؤجرون على جهادهم، ويأثمون لعصيانهم والله أعلم.

فصل: بيان الموانع

تعريف المانع: هو ما يلزم من وجوده العدم، ولا يلزم من عدمه العدم، ولا عدم لذاته.

مثال ذلك الغلول مانع من قبول الشهادة، فيلزم من وجوده عدم قبول الشهادة، ولا يلزم من عدم الغلول قبول الشهادة، إذ قد يوجد مانع آخر.

ومعنى موانع الشهادة: أي موانع قبولها من الله تعالى، فلا يؤجر عليها الشخص، ولا ينال درجة الشهادة، فقد يطلق على الشخص أنه شهيد اصطلاحا، ولكن هناك مانع من قبول شهادته عند الله، فهو شهيد في أحكام الدنيا، وأما في أحكام الآخرة وعند الله فليس بشهيد.

وذلك مثل الصلاة فمن فعلها بشروطها وأركانها صحت وقبلت منه، ولكن من فعلها بشروطها وأركانها وفعل مانعا من موانع قبولها كشرب الخمر مثلا، فإنه تصح منه فعلا ولكن لا أجر له عليها ولا تقبل صلاته عند الله، لوجود مانع من قبولها، وهو شرب الخمر.

وإليك أخي بيان الموانع:

أولا: الكفر والنفاق:

الكفر – ومن ذلك النفاق – مانع من قبول الشهادة، فمن قتل في سبيل الله كافرا أو منافقا، فليس بشهيد عند الله، وذلك أن الإسلام شرط في قبول الشهادة كما سبق ذكره، والكفر مانع من قبولها، كما قال تعالى: ﴿ **وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ** ﴾ **التوبة**. والصدقة عبادة من العبادات، منع من قبولها الكفر، فكذا سائر العبادات.

وقد ورد وعن عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**القتلى ثلاثة: رجل مؤمن جاهد بنفسه وماله في سبيل الله، حتى إذا لقي العدو قاتلهم حتى يقتل، فذلك الشهيد الممتحن، في خيمة الله تحت عرشه، لا يفضله النبيون إلا بفضل درجة النبوة، ورجل فرق على نفسه من الذنوب والخطايا، جاهد بنفسه وماله في سبيل الله، حتى إذا لقي العدو قاتل حتى يقتل، فتلك ممصمصة محت ذنوبه وخطاياه، إن السيف محاء للخطايا، وأدخل من أي أبواب الجنة شاء، فإن لها ثمانية أبواب، ولجهنم سبعة أبواب، وبعضها أفضل من بعض، ورجل منافق جاهد بنفسه وماله، حتى إذا لقي العدو قاتل في سبيل الله عز وجل حتى يقتل، فذلك في النار، إن السيف لا يمحو النفاق**) رواه أحمد والطبراني بإسناد جيد كما قال المنذري وابن النحاس، وقال الهيثمي: " ورجال أحمد رجال الصحيح خلا المثنى الاملوكي وهو ثقة ".

فهذا النفاق نوع من الكفر، لم يغفره السيف، ولم تقبل شهادة من قتل وهو منافق، ولهذا قال في أول الحديث (**القتلى ثلاثة**) ولم يقل (الشهداء ثلاثة) لأن القسم الأخير قتيل، وليس من الشهداء.

ثانيا: الرياء:

وهو أن يعمل الشخص العبادة ليراه الناس ويثنى عليه بها.

وهذا هو الداء العضال، الذي أفسد النيات والأعمال، وأنفقت فيه الأموال، وقضيت به الآجال، وتجندلت من أجله الأبطال.

أصحابه أول من تسعر به النار، ويدخلونها قبل الفساق والفجار، ويفضحون على رؤوس الخلائق وينالهم العار، وكل ذلك من أجل رياء ساعة من نهار.

عمل صاحبه مردود، وباب قبول عبادته مسدود، وعبادته كالهباء والرماد أو كالبنيان المهدود.

وقد وردت الأدلة الكثير في النهي عن الرياء، والتحذير منه، وبيان أنه محبط للعمل، ويمنع من قبول العبادة وصاحبه آثم مع ذلك كله، وقد ورد أيضا أنه مانع من الشهادة، ومحبط لأجر المقتول فيه.

فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله ؟ قال: **(من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)** رواه البخاري.

وفي رواية مسلم (سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أي ذلك في سبيل الله ؟ فقال رسول الله ﷺ: **(من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)**).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه، رجل استشهد فأتي به، فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها ؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت ولكنك قاتلك لأن يقال جرئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار.....**"رواه مسلم.

وللرياء في الجهاد أحوال:

١. أن يقاتل المجاهد في سبيل الله رياء محضا فقط، ولا يخطر بباله قصد القربة إلى الله تعالى البتة، بحيث لو خلا من اطلاع من يتوقع منه الثناء والمدح أو قرب المنزلة، لما حمله قصد القربة على

الجهاد وبذل النفس فيه، فهذا مانع من الشهادة، وإذا قتل صاحبه فليس بشهيد بلا خلاف كما قال ابن النحاس في المشارع، وهو أحد الثلاثة الذين تسعر بهم النار قبل الخلائق، كما في الحديث السابق.

٢. من غزا ونيته الأجر والرياء وأن يذكر بالغزو والشجاعة والإقدام ونحو ذلك، سواء طغت نية الرياء وكانت هي الحاكمة والباعثة، أوتساوت مع نية طلب الأجر، أو كان الباعث الأصلي طلب الأجر والرياء تبع له، فهذا مانع من موانع الشهادة، وصاحبه إذا قتل ليس بشهيد أيضا، وإن كان له حكم الشهداء في الظاهر، فإن الرياء إذا خالط العبادة أفسدها ولو كان يسيرا، فكيف إذا كان الرياء غالبا، أو كثيرا، قال ﷺ (**قال الله تعالى: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملا أشرك فيه غيري فأنا منه بريء وهو للذي أشرك**)) رواه ابن ماجه بإسناد صحيح كما قال ابن النحاس.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر ما له ؟ فقال رسول الله ﷺ: (**لا شيء له**) فأعادها ثلاث مرات يقول رسول الله ﷺ: (**لا شيء**) ثم قال: (**إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا وابتغي به وجهه**) رواه أبو داود والنسائي، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، وجود إسناده الحافظ ابن حجر والمنذري كما في فيض القدير.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رجل يا رسول الله إني أقف الموقف أريد وجه الله، وأريد أن يرى موطني، فلم يرد عليه رسول الله ﷺ حتى نزلت (**فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا**) رواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

وروى سعيد بن منصور عن عمر بن عبيد الله أنه سأل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فقال: (أصلحك الله أنشئ الغزو فأنفق ابتغاء وجه الله، وأخرج كذلك، فإذا كنت عند القتال ابتغيت أن يُرى بأسي ومحضري، قال: أسمعك رجلا مرائيا).

وعن مرة قال:" ذكروا عند عبد الله – يعني ابن مسعود – قوما قتلوا في سبيل الله عز وجل فقال: إنه ليس على ما تذهبون وترون، إنه إذا التقى الزحفان، نزلت الملائكة، فتكتب الناس على منازلتهم،

فلان يقاتل للدنيا، وفلان يقاتل للملك، وفلان يقاتل للذكر، ونحو هذا، وفلان يقاتل يريد وجه الله، فمن قتل يريد وجه الله فذلك في الجنة". رواه ابن المبارك.

وليس ذلك كطلب الدنيا، فقد وردت الرخصة في قصد طلب الدنيا بالنية إذا كان الإخلاص فيه غالبا وباعثا كما سبق، أما الرياء فلم يرد فيه رخصة البتة، بل هو محرم مطلقا، ومحبط للأجر مطلقا إذا خالط العبادة.

والراجح أيضا أن صاحبه مع كون عمله حابط فإنه آثم أيضا، لأن الرياء منهي عنه وشرك، ولو كان يسيرا، والمحرم والشرك يأثم صاحبهما بفعلهما.

٣. قال ابن النحاس: " فإن خرج إلى الجهاد بالنية الخالصة أيضا، واستمرت نيته إلى أن تراءت الفئتان وصف الناس للقتال، فجبن حينئذ عن الإقدام والقتال، واستحيا من الناس أن ينهزم، ولو كان بحيث لا يراه احد أو كان ليلا لانهزم ونجا بنفسه، فلما علم أن الناس يعيبونه بالهزيمة ويعيرونه بها، قاتل إذ ذاك حياء مشوبا بنوع من قصد القربة، بحيث لو قدر اتفاق مثل ذلك له مع قطاع طريق ونحوهم لانهزم، ولم يلتفت إلى خوف الذم والعار، فثبات هذا ثبات مشترك بين خوف الذم وقصد الأجر، فينبغي أن لا يكون هذا إذا قتل من شهداء الآخرة، قياسا على ما تقدم من قصد الأجر والذكر، إذ لا يظهر فرق بين خوف الذم وطلب المدح لأن كلا منهما رياء مذموم وفعل مشئوم " انتهى كلامه.

٤. من غزا بنية خالصة ثم طرأ عليه الرياء في جهاده فله أحوال:

الحال الأول: أن يجاهد هذا الوارد الذي ورد عليه، ولا يسترسل معه، فهذا لا شيء عليه، وليس عمله حابط، وهو مأجور على مجاهدته نفسه على دفع هذا الوارد الذي ورد عليه.

الحال الثانية: أن يسترسل مع وارد الرياء الذي ورد عليه وهذا له حالان:

الأول: أن يسترسل معه حتى يقتل، فهذا ليس بشهيد، لكونه أشرك في النية، وقد تقدم ذكر ذلك، ولا ينفعه كونه مخلصا في بداية أمره.

الثاني: أن يسترسل معه ثم يتوب من ذلك ويخلص ويقتل، فهذا إذا قتل فهو شهيد، لكون خاتمة أمره هو الإخلاص، والأمور بالخواتيم، ولو تاب قبل قتله بلحظة، أما الأعمال التي عملها في وقت

الاسترسال، فهي باطلة وحابطة، وليس له أجر عليها، وليست أعمال الجهاد متصلة أولها بآخرها حتى يحبط العمل كله ولو أشرك في جزء منه كالصلاة، بل أعمال الجهاد غير متصلة، فمن رآى مثلا في قتل كافر واحد، ثم تاب وأخلص لله النية وقتل فهو شهيد، أما الكافر الذي قتله بنية الرياء، فليس له عليه أجر، وكذا من طرأ عليه الرياء في أول المعركة إلى منتصفها، ثم تاب وأخلص النية في نصفها الباقي، فالنصف الأول لا أجر له عليه، والنصف الآخر مأجور عليه، ونحو ذلك.

هذا وللرياء دقائق وخفايا لا يفطن لها إلا القليل من الناس الذين نور الله قلوبهم وبصائرهم، ومع شدة خفاء الرياء فإن شوائبه كثيرة لا تحصر.

قال ابن قدامة في مختصر منهاج القاصدين: " شوائب الرياء الخفي كثيرة لا تنحصر". انتهى كلامه.

فمن دقائقه في الجهاد رفع الإصبع عند الإحتضار والتشهد، وهذه قلما يتنبه لها المجاهدون، ورفع الإصبع في التشهد والتهليل مشروع، سواء كان خارج الصلاة أو داخلها، لكن الشيطان قد يدخل على العبد في هذه اللحظة الأخيرة الشديدة ويجتهد عليه – وهو لا يشعر – في أن يرفع إصبعه لكي يراه الناس بعد موته، ويقولوا عنه إنه شهيد إن شاء الله، وأنه ختم له بخاتمة حسنة، ونحو ذلك، وليس يرفعه لأجل أن رفع الإصبع في هذا الموضع مشروع، وأنا هنا لا أقدح في كل من رفع إصبعه عند الإحتضار، إذ الأصل حسن الظن بالمسلمين والأصل الإخلاص، ولكن أقول على الشخص أن ينتبه لهذا الأمر، ولا يرفع إصبعه إلا مخلصا لله تعالى، لا ليراه الناس ويثنى عليه.

ولم يزل المخلصون خائفين من الرياء الخفي، ويفتشون عن دقائقه وخفاياه، ويحاسبون أنفسهم على ذلك، فينبغي للمجاهد ومبتغي الشهادة أن يحرص عليها أكثر من سائر المخلصين، إذ الأمر في الشهادة شديد، أشد منه في غيره، فإما نعيم، وإما جحيم، وإما فوز، وإما خسارة، وإما ثواب، وإما عذاب، ولا واسطة ثالثة.

ثالثا: طلب الدنيا:

وهو أن يعمل الشخص العبادة والعمل بنية طلب الدنيا، ولأجل حظ من حظوظها، كالمال والملك والأجرة والجعل والمغنم وغير ذلك، وهي كثيرة لا تحصر.

وهذه الداهية العظمى، والفتنة الدهماء، التي هي أعظم المقاصد فتنة، وأشدها بلاء، ولكي تعرف أخي صحة هذا الأمر، فانظر فيمن يقتل لأجل الدنيا والملك ونحوه، تجد أعدادهم لا تحصر، نسأل الله العافية.

وطلب الدنيا بالعمل والجهاد له أحوال:

١. أن يكون الباعث الأصلي على الجهاد والعبادة طلب وجه الله تعالى، والدنيا تبع له، فهذا تقدم أنه جائز، وأن من قتل بهذه النية فهو شهيد، ولكنه ناقص الأجر.

٢. أن يطلب الدنيا محضا بجهاده، ولا يريد بذلك وجه الله والتقرب إليه البتة، فهذا عمله حابط، ولا أجر له البتة، وإذا قتل فليس بشهيد، والأدلة على ذلك كثيرة، كما قال تعالى: ﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ **هود**.

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله ؟ قال: (**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**) رواه البخاري.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا قال: يا رسول الله، رجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يبتغى عرضا من عرض الدنيا ؟ فقال رسول الله ﷺ: (**لا أجر له**) فأعظم ذلك الناس، وقالوا للرجل: عد لرسول الله ﷺ فلعلك لم تفهمه، فقال: يا رسول الله، رجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يبتغى عرضا من عرض الدنيا ؟ فقال: (**لا أجر له**) فقالوا للرجل: عد لرسول الله ﷺ، فقال له الثالثة، فقال له: (**لا أجر له**) رواه أبو داود والحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، والعرض هو ما يقتنى من مال وغيره.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:" إياكم والشهادات أن تقول قتل فلان شهيدا، فإن الرجل يقاتل حمية، ويقاتل في طلب الدنيا، ويقاتل وهو جريء الصدر، ولكن سأحدثكم على ما تشهدون أن رسول الله ﷺ بعث سرية ذات يوم، فلم يلبث إلا قليلا حتى قام، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (إن إخوانكم قد لقوا المشركين، فاقتطعوهم فلم يبق منهم أحد، وأنهم قالوا ربنا بلغ قومنا إنا قد رضينا

عن ربنا، فأنا رسولهم إليكم إنهم قد رضوا، ورضي عنهم) رواه الحاكم، وصححه إن كان أبو عبيدة سمع من أبيه عبد الله، وصححه الذهبي.

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(من غزا ولم ينو إلا عقالا فله ما نوى)** رواه النسائي والحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

وعن يعلى بن منية رضي الله عنه قال: آذن رسول الله ﷺ بالغزو وأنا شيخ كبير ليس لي خادم، فالتمست أجيرا يكفيني وأجري له سهمه، فوجدت رجلا، فلما دنا الرحيل أتاني فقال: ما أدرى ما السهمان وما يبلغ سهمي ؟ فسم لى شيئا كان السهم أو لم يكن، فسميت له ثلاثة دنانير، فلما حضرت غنيمته أردت أن أجرى له سهمه، فذكرت الدنانير، فجئت النبي ﷺ فذكرت له أمره، فقال: **(ما أجد له في غزوته هذه الدنيا والآخرة إلا دنانيره التي سمى)** رواه أبو داود والحاكم، وقال صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الصحيحة.

وقد مضى كثير من الأدلة أيضا.

٣. أن يجاهد لأجل الدنيا وقصد القربة والأجر، سواء أكان قصدا الدنيا هو الباعث على العمل، بحيث لو عرض عليه قتال قوم كفار ليس لهم ما يغنم، أو علم أنه يمنع من الغنيمة لأبى الجهاد، أو تساوت النيتان، فهذا لا أجر له، وعمله حابط، وإذا قتل ليس بشهيد على ما اختاره الغزالي في الأحياء، والأدلة على ذلك ما سبق.

قال ابن النحاس: " وأما من استؤجر للخدمة لا للقتال، فإن له أجر القتال إذا قتل مخلصا، وأجره في غدوه ورواحه وغباره في سبيل الله ونحو ذلك على هذا التفصيل، وكذلك التجار والصناع ونحوهم، إذا قاتلوا بنية خالصة في القتال فقتلوا كانوا شهداء في الدنيا والآخرة، وأجرهم فيما قبل ذلك على التفصيل المتقدم، وهو أن يقال إن كانوا لولا أسبابهم لما غزوا مع قدرتهم على الغزو بدونها، وليس لهم نية البتة غير أسبابهم فإنهم ليس لهم من أجر ذلك شيء، ولو أصاب أحدهم سهم من غير أن ينوي القتال لم يكن كشهداء الآخرة، وإن كانوا يستعينون بأسبابهم على الغزو، ولولاها لما قدروا عليه، فهم مأجورون وشهداء، وإن استغنوا عن الأسباب واستوى الباعثان، أو ترجح أحدهما، كان الأجر بحسب ذلك، هذا ما يظهر لي مع قصور فهمي وقلة علمي". انتهى كلامه.

رابعا: الحميَّة:

الحميَّة في اللغة هي الغضب والامتناع والأنفة والغيرة.

والمراد هنا أن يقاتل الشخص ويجاهد ليس لإعلاء كلمة الله وطلب الأجر والثواب، بل حمية وتعصبا ونصرة وغضبا لقومه، أو لفئة ما، أو لمذهب ما، وهذا الفعل والقصد مانع من موانع الشهادة، وصاحبه إذا مات وقتل به فهو ميت ميتة جاهلية، لأن هذه الأعمال من الجاهلية، وهي القتال عصبية للقوم والقبيلة.

ويدل على ذلك ما رواه مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: (سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أي ذلك في سبيل الله ؟ فقال رسول الله ﷺ: **(من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)**.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه (أن عمرو بن أقيش كان له ربا في الجاهلية، فكره أن يسلم حتى يأخذه، فجاء يوم أحد فقال: أين بنو عمتي ؟ فقالوا: بأحد، فقال: أين فلان ؟ قالوا: بأحد، قال: أين فلان ؟ قالوا: بأحد، فلبس لامته وركب فرسه، ثم توجه قبلهم، فلما رآه المسلمون قالوا: إليك عنا يا عمرو، قال: إني آمنت، فقاتل حتى جرح، فحمل إلى أهله جريحا، فجاءه سعد بن معاذ فقال لأخته: سليه حمية لقومك، أوغضبا لهم، أم غضبا لله ورسوله ؟ فقال: بل غضبا لله ورسوله، فمات فدخل الجنة، وما صلى لله صلاة) رواه أبو داود والحاكم، وقال صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، فلو لم يكن له أثر في قبول الشهادة لم يسألوه.

ولأنه فقد شرط الإخلاص، وهو شرط في قبول الشهادة.

ومن الأدلة أيضا ما جاء عن جندب بن عبد الله البجلى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **(من قتل تحت راية عمية يدعو عصبية أو ينصر عصبية فقتلته جاهلية)** رواه مسلم.

قال النووي في المنهاج " ومعناه أن يقاتل عصبية لقومه وهواه " انتهى كلامه.

وقال السندي في شرح ابن ماجه: " فيه أن من قاتل تعصبا، لا لإظهار دين، ولا لإعلاء كلمة الله، وإن كان مقصودا له حقا كان على الباطل " انتهى كلامه.

وقال السيوطي في حاشيته على ابن ماجه: " والعصبي هو الذي يغضب لعصبته أي أقاربه ويحامي عنهم "انتهى كلامه.

وقد قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال: (كان فينا رجل أتى لا يدرى ممن هو يقال له: قزمان، وكان رسول الله ﷺ يقول إذا ذكر له **(إنه لمن أهل النار)** قال: فلما كان يوم أحد قاتل قتالا شديدا، فقتل وحده ثمانية أو سبعة من المشركين، وكان ذا بأس، فأثبتته الجراحة، فاحتمل إلى دار بني ظفر، قال: فجعل رجال من المسلمين يقولون له: والله لقد أبليت اليوم يا قزمان فأبشر، قال: بماذا أبشر ؟ فوالله إن قاتلت إلا عن أحساب قومي، ولولا ذلك ما قاتلت، قال: فلما اشتدت عليه جراحته أخذ سهما من كنانته فقتل به نفسه) وهذا مرسل.

خامسا: السمعة:

وهي قرينة الرياء وقريبة منه، إذ المقصود منهما واحد، وهو طلب المدح والثناء والذكر بين الناس والمكانة في قلوبهم بعمل العبادة، ولكن الرياء يتعلق بالبصر والرؤية، والسمعة تتعلق بالسمع، فالرياء أن يجاهد ويعمل العبادة لرؤية الناس له فيثنى عليه بها، والسمعة أن يجاهد ويعمل العبادة لكي يذكر بين الناس بها وتعلو سمعته، وقد فرق بينهما في حديث أبي موسى السابق ذكره ففيه **(يقاتل للذكر)** وهذا للسمعة **(ويقاتل ليرى مكانه)** وهذا للرياء.

وكلا الأمرين مانع من موانع الشهادة، وصاحب هذا المقصد إذا قتل ليس بشهيد، قال ﷺ: **(من سمع سمع الله به ومن يرائي يرائي الله به)** رواه البخاري.

وحديث أبي هريرة الذي سبق في أول من تسعر بهم النار، وهذا الحديث يشمل الرياء والسمعة، فهذا جاهد ليقال عنه سواء بانتشار الذكر وهو السمعة، أو برؤيته وهو الرياء.

ومن التسميع حديث الشخص عن مغازيه وجهاده الذي فعله مخلصا لله تعالى لأجل طلب الثناء والمنزلة في قلوب الناس، فإنه محبط للأجر والثواب، أما حديث الشخص عن ذلك لغير مقصد المدح والثناء، بل لغرض صحيح أو للأقتداء، فإن ذلك جائز ولا يحبط الأجر، فقد ورد عن طلحة أنه

حدث عن يوم أحد " رواه البخاري، قال الحافظ في الفتح: "وأما تحديث طلحة فهو جائز إذا أمن الرياء والعجب، ويترقى إلى الاستحباب إذا كان هناك من يقتدي بفعله". انتهى كلامه.

قال ابن النحاس: " فينبغي أن يتحرز الإنسان من إظهار عمله من جهاد وغيره، إلا أن تخلص له نية يثق بها في التحدث به لمن يعلم أنه يقتدي به، أو يزيد في قلبه قوة وجرأة وسماحة، مثل أن يذكر عن نفسه أنه ثبت لكذا وكذا فارس، وأنفق في سبيل الله كذا وكذا، وخاطر بنفسه في كذا وكذا، ونحو ذلك، فيقوى قلب السامع، ويجود بماله، أو نفسه، وتزول عن قلبه ظلمة الجبن والبخل، لأن النفوس مجبولة على التحدي والتشبه بالأقران وببني الزمان، وهذا كان قصد السلف في ذكر ما يحكونه من أفعالهم رضي الله عنهم.

مع أنه وجد مقصوده في الاقتداء، يحصل بعزو ذلك الفعل إلى من لا يسميه، فلا أجد رخصة في إظهاره ونسبته إلى نفسه البتة، وذلك مثل أن يقول اتفق لبعض الغزاة كذا، أو لبعض من أدركناه كذا، أو رأيت شخصا وقع له كذا، أو أعرف رجلا جرى له كذا، ونحو هذه من العبارات، مما لا يفهم المخاطب أنه هو الفاعل، ويحصل به المقصود من الاقتداء ونحوه.

وقد كان أكثر السلف رضي الله عنهم يجتهدون على إخفاء أعمالهم مطلقا، وإن ظنوا أنه يقتدى بهم، لعدم ثقة المرء بنفسه في أكثر الأحوال، فإن الرياء كما جاء في الحديث (**أخفى من دبيب النمل**) رواه أحمد والطبراني من حديث أبي موسى، وقال ﷺ: (**من سمع الناس بعمله سمع الله به سامع خلقه وصغره وحقره**) رواه الطبراني بإسناد جيد من حديث عبد الله بن عمرو وفي الصحيحين أيضا (**من سمع سمع الله به**) أي من أظهر عمله وسمع الناس به، إعلاما لهم ورياء أظهر الله نيته الفاسدة، وفضحه على رؤوس الخلائق.

فلما علم الموفقون أن التحدث بالطاعة وإظهارها خطر عظيم، وأن دسائس النفس لا يحاط بأنواعها، أخفوا طاعاتهم ضنا بها وخوفا من إحباطها واكتفاء بإطلاع الله وعلمه، إذ هو المجازي عليها لا غيره، وأهم العبادات وأولاها بالستر والإخفاء ما هو بمفرده سبب للسعادة الأبدية، أو الشقاوة السرمدية وهو الجهاد". انتهى كلامه.

وقد ورد عن أبي موسى رضي الله عنه قال: (خرجنا مع النبي ﷺ في غزوة ونحن ستة نفر، بيننا بعير نعتقبه، فنقبت أقدامنا، ونقبت قدماي، وسقطت أظفاري، وكنا نلف على أرجلنا الخرق، فسميت

غزوة ذات الرقاع، لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا، قال الراوي: وحدث أبو موسى بهذا ثم كره ذاك، قال: ما كنت أصنع بأن أذكره، كأنه كره أن يكون شيء من عمله أفشاه) رواه البخاري، وهذا من حرص الصحابة على إخفاء أعمالهم، خصوصا في الجهاد.

سادسا: الجزع:

قد سبق أن ذكرنا أن الصبر في القتال وعلى القتال شرط في قبول الشهادة، وعكس الصبر ونقيضه الجزع، فمن لم يصبر على القتال وفي القتال، واعترض على الله وندم على قدومه للجهاد، وتمنى أن لو لم يقدم إليه، أو اعترض على الله في توابع الجهاد والقتال، ومصائبه ومشاقه التي تأتيه منه، فهو جازع، وإذا قتل على هذه الحال فليس بشهيد، لكونه فقد الصبر الذي هو شرط في قبول الشهادة، كما قال ﷺ في حديث أبي قتادة الذي سبق مرارا **(وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر)** رواه مسلم.

وعلى ذلك فالجزع مانع من موانع الشهادة، وقد يجزع قلب الرجل ولا يفر، بأن لا يمكنه الفرار، أو لا يقدر عليه من جزع قلبه وجبنه، وهذا يحصل في أرض الجهاد، وخصوصا في الجبناء، كأن يكون في خندق، فإذا جاءه القصف جزع قلبه من القتال، واعترض وندم على القدوم، ولا يمكنه الفرار، لأنه لو خرج من الخندق قتل.

قال ابن رجب في شرح حديث **(لبيك اللهم لبيك)** قتل لبعضهم ولدان في الجهاد، فجاءه الناس يعزونه بهما، فبكى وقال:ما أبكي على قتلهما، ولكن كيف كان رضاهما عن الله، حين أخذتهما السيوف " انتهى كلامه.

سابعا: الجنون:

وهو فقدان العقل، وهو مانع من قبول العبادات وصحتها، فلا تصح من مجنون، لأنه لا نية له، وقد رفع عنه القلم كما قال ﷺ: **(رفع القلم عن ثلاثة عن المجنون حتى يبرأ...)** رواه أحمد وأبو داود والحاكم عن علي وعمر وابن عباس رضي الله عنهم، وقال الحاكم صحيح على شرطهما، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع، فلا يصح جهاده ولا شهادته.

ثامنا: إيذاء المسلمين في جهادهم:

لحسن الخلق بالجهاد تعلق وثيق، فالجهاد يحتاج لحسن الخلق لكي يدوم ولا يفشل، بل هو أعظم مكان يحتاج فيه إلى حسن الخلق، وذلك لأن الجهاد يحوي المشاق والمتاعب، وازدحام الناس واجتماعهم، فيحتاج إلى صبر أكبر، وشجاعة أكبر، وكرم وإيثار وليونة أكثر، واتفاق كلمة وعدم تنازع واختلاف، وخدمة ومياسرة وإحسان صحبة.

ولأن سمي السفر سفرا، لأنه يسفر عن أخلاق الرجال كما قيل، لمشقته وطول الصحبة فيه، فإن الجهاد يسفرها ويظهرها أكثر من السفر.

ولسوء الخلق على الجهاد آثار سيئة جدا، فهو يؤدي إلى المنازعة والفشل وذهاب الريح والقوة، ويؤدي إلى توقف الجهاد وعدم استمراره.

ومن أسوأ خصال سوء الخلق إيذاء المسلمين خصوصا في جهادهم، بالفساد والتضييق وعصيان الإمام وغيره، ومن جاءته منيته وهو على هذه الحال وقتل فليس بشهيد، فإيذاء المسلمين في جهادهم مانع من موانع الشهادة، والدليل عليه ما جاء عن سهل بن معاذ، عن أبيه رضي الله عنه، قال: غزونا مع النبي – ﷺ –، فضيق الناس المنازل، وقطعوا الطريق، فبعث نبي الله – ﷺ – مناديا في الناس: (**أن من ضيق منزلا، أو قطع طريقا، فلا جهاد له**) رواه أبو داود، وصححه الألباني في صحيح الجامع، وقد ذكر السيوطي في الجامع الصغير في هذا الحديث زيادة " **من ضيق منزلا أو قطع طريقا أو آذى مسلما** " ولم أجد من خرجها والله أعلم.

فتضييق المنازل وقطع الطرق من إيذاء المسلمين، وقد جعل في الحديث من فعل ذلك فلا جهاد له، أي لا أجر له على جهاده، وإذا كان لا أجر له على جهاده فلا أجر له على شهادته أيضا، فإن الأصل إذا بطل بطل الفرع، فمن قتل وهو على هذه الحال فليس بشهيد.

ومن الأدلة أيضا – ويشهد لما سبق – ما جاء عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: (**الغزو غزوان فأما من ابتغى وجه الله، وأطاع الإمام، وأنفق الكريمة، وياسر الشريك، واجتنب الفساد، فإن نومه ونبهه أجر كله، وأما من غزا فخرا ورياءً وسمعةً، وعصى الإمام،**

وأفسد في الأرض، فإنه لن يرجع بالكفاف) رواه أبو داود والحاكم، وقال صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود.

فاشترط لكون الرجل مأجورا على جهاده، كونه أطاع الإمام، وأنفق الكريمة – وهي الناقة العزيزة عليه – وياسر الشريك أي عامله باليسر والسماحة، واجتنب الفساد في الأرض، أي لم يتجاوز الحد المشروع في نحو قتل ونهب وتخريب.

قال ابن عبد البر في الاستذكار: " وأما (اجتناب الفساد) فكلمة جامعة لكل حرام وباطل والله لا يحب الفساد ". انتهى كلامه.

وكل هذه الأمور من حسن الخلق، وانظر كيف جعل عصيان الإمام والإفساد في الأرض من فعله لم يرجع من جهاده مأجورا، بل مأزورا مع عدم الأجر، وهذا هو معنى لن يرجع بالكفاف، وهذا كله من سوء الخلق، ومن إفساد جهاد المسلمين.

تاسعا: الغلول:

وهو ما أخذ من الغنيمة على وجه الكتمان، مما لم يبح الانتفاع به، مما يجب قسمته بين العسكر.

والغلول محرم وكبيرة من الكبائر بدليل الكتاب والسنة والإجماع، وقد جعل الشارع للغلول عقوبات دنيوية وأخروية فمن العقوبات الدنيوية:

أن الغال ليس بمؤمن، والدليل ما جاء عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: (حدثني عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم خيبر أقبل نفر من صحابة النبي ﷺ فقالوا: فلان شهيد، فلان شهيد، حتى مروا على رجل فقالوا فلان شهيد، فقال رسول الله ﷺ: **(كلا إني رأيته في النار في بردة غلها أو عباءة)** ثم قال رسول الله ﷺ: **(يا ابن الخطاب اذهب فناد في الناس أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون)** قال: فخرجت فناديت ألا إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون) رواه مسلم، قال ابن النحاس في المشارع: " وفي الحديث إشارة إلى أن الغال ليس بمؤمن". انتهى كلامه.

ومنها أن الغلول ما ظهر في قوم إلا ألقى الله في قلوبهم الرعب وتأخر عنهم النصر، كما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (ما ظهر الغلول في قوم إلا ألقى الله في قلوبهم الرعب) رواه مالك

بلاغا، ووصله ابن عبد البر، وروى الطبراني بإسناد جيد - كما قال ابن النحاس - عن حبيب بن مسلمة قال: سمعت أبا ذر يقول: قال رسول الله ﷺ: **(إن لم تغل أمتي لم يقم لهم عدو أبدا)** قال أبو ذر لحبيب بن مسلمة: هل يثبت لكم العدو حلب شاة ؟ فقال: نعم وثلاث شياه غزر، قال أبو ذر: غللتم ورب الكعبة ".

ومنها عند بعض العلماء أن الغال يحرق متاعه ورحله، جزاء وفاقا على غلوله من غنائم المسلمين.

وقد يعاقب الله الغال بعقوبات دنيوية أخرى سوى ما ذكر، فقد قال ابن الأثير في الكامل: "ولما فتح موسى بلاد الأندلس، سير طائفة من عسكره في البحر إلى هذه الجزيرة، سنة اثنتين وتسعين فدخلوها، وعمد النصارى إلى ما لهم من آنية ذهب وفضة، فألقوا الجميع في الميناء الذي لهم، وجعلوا أموالهم في سقف بنوه للبيعة العظمى التي لهم تحت السقف الأول، وغنم المسلمون فيها ما لا يحد ولا يوصف، وأكثروا الغلول.

فاتفق أن رجلاً من المسلمين اغتسل في الميناء، فعلقت رجله في شيء، فأخرجه فإذا صفحة من فضة، ثم دخل رجل من المسلمين إلى تلك الكنيسة، فنظر إلى حمام، فرماه بسهم، فأخطأ، ووقع في السقف، وانكسر لوح، فنزل منه شيء من الدنانير، وأخذوا الجميع، وازداد المسلمون غلولاً، فكان بعضهم يذبح الهرة ويرمي ما في جوفها، فيملأه دنانير ويخيط عليها، ويلقيها في الطريق، فإذا خرج أخذها، وكان يضع قائم سيفه على الجفن ويملأه ذهباً.

فلما ركبوا في البحر سمعوا قائلاً يقول: اللهم غرقهم، فغرقوا عن آخرهم، فوجدوا أكثر الغرقى والدنانير على أوساطهم ". انتهى كلامه.

وأما العقوبات الأخروية:

منها أن من غل شيئا، أتى به يوم القيامة يحمله على ظهره ورقبته، معذبا بحمله وثقله، ومرعوبا بصوته، ومفضوحا بإظهار خيانته على رؤوس الأشهاد، فهو يوم القيامة على أهله خزي وعار، كما قال تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ **آل عمران.**

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام فينا النبي ﷺ فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره قال: **(لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء، على رقبته فرس لها حمحمة، يقول: يا رسول الله**

أغثني، فأقول: لا أملك لك من الله شيئا، قد أبلغتك، وعلى رقبته بعير لها رغاء، يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا، قد أبلغتك، وعلى رقبته صامت، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا، قد أبلغتك، أو على رقبته رقاع تخفق، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا، قد أبلغتك) رواه البخاري.

وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يأخذ الوبرة من قصة من فيء الله فيقول: **(ما لي من هذا إلا مثل ما لأحدكم إلا الخمس، وهو مردود فيكم، فأدوا الخيط والمخيط فما فوقها، وإياكم والغلول، فإنه عار ونار وشنار على صاحبه يوم القيامة)** رواه أحمد والبزار، وقال الهيثمي: وفيه أم حبيبة بنت العرباض ولم أجد من وثقها ولا جرحها وبقية رجاله ثقات، وصححه الألباني كما في إرواء الغليل.

والشنار هو العار والعيب، وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة في هذا، وقد ذكرها ابن النحاس في المشارع.

ومن العقوبات الأخروية: أن الغلول يوجب عذاب النار، كما في حديث ابن عباس السابق في مسلم، وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: (كان على ثقل النبي ﷺ رجل يقال له كركرة فمات، فقال رسول الله ﷺ: **(هو في النار)** فذهبوا ينظرون إليه، فوجدوا عباءة قد غلها) رواه البخاري.

وستأتي إن شاء الله الأحاديث في ذلك.

ومن أعظم العقوبات، وأخسر الخسارات، وأغبن التجارات، وتقصر عن وصفه العبارات، وتضيق عنه الإشارات، وتسكب عليه العبرات، وتقضى فيه الحسرات، هو حرمان الشهادة للغال من الغنيمة.

فمن غل من الغنيمة وقتل بعد غلوله، فليس بشهيد ولا تقبل شهادته، فالغلول مانع من موانع الشهادة، والدليل عليه ما جاء عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: حدثنى عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم خيبر أقبل نفر من صحابة النبي ﷺ فقالوا: فلان شهيد فلان شهيد حتى مروا على رجل فقالوا فلان شهيد، فقال رسول الله ﷺ: **(كلا إنى رأيته في النار في بردة غلها أو عباءة)** ثم قال رسول الله ﷺ: **(يا ابن الخطاب اذهب فناد في الناس أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون)** قال: فخرجت فناديت ألا إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون"رواه مسلم.

فلما قالوا إنه شهيد قال: (**كلا**) فنفى أن يكون شهيدا، وأقسم على ذلك، بسبب كونه غل من الغنيمة، وقارن يا أخي بين تفاهة ما غل، وبين عظمة ما خسر، فحقا إن هذه الخسارة العظيمة، والخذلان الذي ليس بعده خذلان، أن يخسر الشخص منزلة الشهادة التي بها الرفعة في الدنيا والآخرة والفضائل العظيمة، بسبب متاع من الدنيا لا يساوي درهما أو درهمين أو ألفا أو ألفين، وهذا مع أنه إذا قتل لا ينتفع به، فلا هو تمتع بما غل، ولا هو ربح الشهادة والمنزلة العظيمة، بل باء بالغضب والعار والشنار والنار.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (خرجنا مع رسول الله ﷺ يوم خيبر فلم نغنم ذهبا ولا فضة إلا الأموال والثياب والمتاع، فأهدى رجل من بني الضبيب يقال له رفاعة بن زيد لرسول الله ﷺ غلاما يقال له مدعم، فوجه رسول الله ﷺ إلى وادي القرى حتى إذا كان بوادي القرى، بينما مدعم يحط رحلا لرسول الله ﷺ إذا سهم عائر فقتله، فقال الناس: هنيئا له الجنة، فقال رسول الله ﷺ: (**كلا والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارا**) فلما سمع ذلك الناس جاء رجل بشراك أو شراكين إلى النبي ﷺ فقال: (**شراك من نار أو شراكان من نار**) رواه البخاري.

قال النووي في المنهاج: " الشهداء ثلاثة أقسام شهيد في الدنيا والآخرة، وهو المقتول في حرب الكفار، وشهيد في الآخرة دون أحكام الدنيا،وهم هؤلاء المذكورون هنا – يعني المبطون والمطعون وغيره – وشهيد في الدنيا دون الآخرة، وهو من غل في الغنيمة أو قتل مدبرا ". انتهى كلامه.

قال ابن النحاس في المشارع: " الباب الثلاثون في بيان تحريم الغلول، وتغليظ الإثم فيه، والدليل على أن من غل في سبيل الله ثم قتل لا يكون شهيدا " انتهى كلامه، ثم أخذ يدلل على ذلك.

والغلول ذنب عظيم سواء أكان قليلا أو كثيرا، أو جليلا أو حقيرا، فلا يختلف في الوعيد والعقوبة، والدليل عليه حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعا عند النسائي وأحمد (**أدوا الخياط والمخيط**) وحسنه الألباني في صحيح الجامع، وأيضا الحديث السابق في الذي غل عباءة.

ومن الغلول ويدخل في حكمه الأخذ من الفيء من بيت المال، وأيضا هدايا العمال، فإن العلماء لما فسروا الغلول لم يخصوه بالأخذ من الغنيمة، بل من الفيء أيضا.

قال القرطبي في تفسيره: " ومن الغلول هدايا العمال، وحكمه في الفضيحة في الآخرة حكم الغال، روى أبو داود في سننه ومسلم في صحيحه عن أبي حميد الساعدي أن النبي ﷺ استعمل رجلا من الأزد يقال له ابن اللتبية – قال ابن السرح على الصدقة – فجاء، فقال: هذا لكم، وهذا أهدي لي، فقام ﷺ على المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وقال: (**ما بال العامل نبعثه فيجيء فيقول هذا لكم وهذا أهدي لي، ألا جلس في بيت أمه أو أبيه فينظر أيهدى إليه أم لا، لا يأتي أحد منكم بشيء من ذلك إلا جاء به يوم القيامة، إن كان بعيرا فله رغاء، وإن كانت بقرة فلها خوار، أو شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتي إبطيه**) ثم قال: (**اللهم هل بلغت اللهم فاشهد**).

وروى أبو داود عن بريدة عن النبي ﷺ قال: (**من استعملناه على عمل فرزقناه رزقا، فما أخذ بعد ذلك فهو غلول**) وروى أيضا عن أبي مسعود الأنصاري قال: بعثني رسول الله ﷺ ساعيا ثم قال: (**انطلق أبا مسعود، ولا ألفينك يوم القيامة تأتي على ظهرك بعير من إبل الصدقة له رغاء، قد غللته**) قال: إذا لا أنطلق قال: (**إذا لا أكرهك**) انتهى كلامه.

والتوبة من الغلول ترفع عقوبته وتكفر عنه، وترفع منعه للشهادة، ولكن لابد من إرجاعه إلى المغانم إن لم تكن قسمت، وإن كانت المغانم قسمت على الغانمين، فلابد من إرجاعه على الغانمين إن أمكن، بعد إخراج خمسه، وإن لم يمكن تصدق به عنهم، لأنه من حقوق الآدميين، قال القرطبي في الغلول: " وهو من حقوق الآدميين، ولابد فيه من القصاص بالحسنات والسيئات، ثم صاحبه في المشيئة " انتهى من تفسيره.

هذا وقد رأى تقي الدين السبكي – كما نقله عنه ابنه في الطبقات – أن الغلول ليس بمانع من الشهادة، بل يكون معصية يؤاخذ بها مع كونه شهيدا، وما سبق من الأدلة ومن نفي النبي ﷺ أن يكون شهيدا يرد عليه.

عاشرا: الإدبار:

وهو عكس الإقبال، وهو الهروب والفرار من القتال، وتولية الدبر للعدو، وهو حيلة الجبناء، ومأوى الدنآء، وحصن أشباه النساء، كم تسبب على المسلمين من هزيمة، وجر عليهم الويلات واللطيمة، وأزهقت به الأنفس وأخذت به الأموال وسبيت به الكريمة، وكان في آثاره العواقب الوخيمة.

والتولي يوم الزحف من أكبر الكبائر، ومن المهلكات والموبقات، وموجب لغضب الله تعالى والنار والعياذ بالله كما قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (١٥) وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ الأنفال.**

قال القرطبي في تفسيره: " والعبارة بالدبر في هذه الآية متمكنة الفصاحة لأنها بشعة على الفار ذامة له". انتهى كلامه.

وقال ﷺ: (**اجتنبوا السبع الموبقات.....– وذكر منها – التولي يوم الزحف**) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، ومعنى الزحف كما قال القرطبي في تفسيره: " الدنو قليلا قليلا، وأصله الاندفاع على الألية، ثم سمي كل ماش في الحرب إلى آخر زاحفا، والتزاحف التداني والتقارب، يقال زحف إلى العدو زحفا وأزحف القدم أي مشى بعضهم إلى بعض، والمعنى التولي حين التداني من العدو والتعاين وعند التقاء الصفوف " انتهى كلامه.

والحكمة في ذلك – والله أعلم – لما يترتب على الانهزام والإدبار من كسر نفوس المسلمين المجاهدين، والتسبب بالهزيمة، إذ هو أعظم أسبابها.

وهو أيضا مانع من موانع الشهادة، فمن قتل مدبرا فليس بشهيد، والدليل عليه ما جاء عن أبي قتادة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قام فيهم فذكر أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال، قال: فقام رجل فقال: يا رسول الله أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي كلها ؟ فقال رسول الله ﷺ: (**نعم إن قتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر**) ثم قال رسول الله ﷺ: (**كيف قلت ؟**) قال: أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي ؟ فقال رسول الله ﷺ:" **نعم وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر إلا الدين، فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك**". رواه مسلم، فاشترط لقبول الشهادة الإقبال وعدم الإدبار، فهذا يدل على أن الإدبار مانع من موانع الشهادة، وقد سبق كلام النووي أن هذا مانع من الشهادة عند الكلام على الغلول.

قال الحافظ في الفتح: " فقد يطلق الشهيد على من قتل في حرب الكفار، لكن لا يكون له ذلك في حكم الآخرة، لعارض يمنعه كالانهزام وفساد النية ". انتهى كلامه.

وإنما لا يجوز الإدبار في حالة حضور الصف والتقاء الجمعان، فإنه يكون الجهاد حينئذ فرض عين على الشخص، أما قبل ذلك فهو فرض كفاية، ولا يجب عليه.

وهناك حالات يجوز فيها الفرار والإدبار، ولو التقى الجمعان وحضر الصف، ولا يترتب عليه عقوبة ولا وعيد ولا منع من الشهادة لمن قتل بها، وهي:

١. عندما يكون العدو أكثر من مثلي المجاهدين، فإنه يجوز حينئذ الفرار، كما قال تعالى: ﴿ **الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ **الأنفال**، وروى البخاري وأبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (نزلت **(إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين)** فشق ذلك على المسلمين حين فرض الله عليهم أن لا يفر واحد من عشرة ثم إنه جاء تخفيف، فقال **(الئن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا)** قرأ أبو توبة إلى قوله **(يغلبوا مائتين)** قال: فلما خفف الله تعالى عنهم من العدة نقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم).

والصبر والثبات أفضل إذا كان فيه مصلحة، كأن يغلب على الظن الظفر، أو يكون فيه نكاية، وقد وقف جيش مؤتة وهم ثلاثة آلاف في مقابل مائتي ألف.

فإن لم يكن فيه مصلحة ولا نكاية وليس فيه إلا الهلاك المحض، فهل يجوز الفرار ؟

قال ابن النحاس في المشارع: " قال أبو القاسم الرافعي: "وإذا جاز الفرار لزيادة الكفار على الضعف، نظر، إن غلب على ظنهم أنهم لو ثبتوا ظفروا، استحب لهم الثبات، وإن غلب على ظنهم الهلاك لو ثبتوا، فهل يلزم الفرار ؟

وجهان: أحدهما نعم، لقوله تعالى: **(ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)** والثاني لا، لما روي أن رجلا قال يا رسول الله لو انغمست في المشركين فقاتلتهم حتى قتلت أإلى الجنة ؟ قال **(نعم)** فانغمس الرجل في صف المشركين، فقاتل حتى قتل.

وقال الإمام: إن كان في الثبات الهلاك المحض من غير نكاية في الكفار لزم الفرار، وإن كان فيه نكاية فيهم، ففي جواز المصابرة الوجهان، انتهى.

قال أبو زكريا النووي في الروضة: هذا الذي قاله الإمام هو الحق، وأصح الوجهين أنه لا يجب الفرار، لكن يستحب، انتهى.

ومذهب أحمد إذا كان العدو أكثر من الضعف، وغلب على ظن المسلمين الهلاك في الإقامة والنجاة في الانصراف، فالأولى لهم الانصراف، وإن ثبتوا جاز لهم حرصا في الشهادة، هكذا ذكره صاحب المغني، ولم يحك فيه خلافا عندهم، ولم يشترط النكاية في الثبات.

ولعمري إن الذي يثبت في مكان لا يؤثر أثرا في العدو البتة، وليس فيه إلا محض الهلاك، كالأعمى يثبت في مواجهة العدو بغير سلاح، أو كالواحد أو الاثنين يقفان على الساحل، ليس عليهما ما يرد السلاح، والعدو كثير في مراكبهم، تصل سهامهم إلى الساحل، ولا يصل من الثابت إليهم شيء، فثبت على ذلك حتى قتلوه أنه آثم بذلك، وداخل تحت عموم آية التهلكة، وقد تقدم في كلام الغزالي في الباب قبله التصريح بمثل ذلك، وما أظن أحدا يخالف في هذه الصورة، وأما إذا ثبت في هذه الصورة إقداما وشجاعة بنية خالصة في قصد الشهادة، وكان بحيث يمكن أن يصل إليهم أو إلى بعضهم منه شيء من رمي بنبل أو نار أو حجر ونحو ذلك، فيؤثر فيهم ويقتلوه، فهذا الذي ينظر هل الأفضل في حقه الثبات أو الفرار؟

والأدلة المتقدمة في الباب قبله مصرحة باستحباب الثبات والله أعلم.

وقد سئل شيخ الإسلام أبو حفص البلقيني الشافعي - رحمه الله - عن رجلين خرجا على نية الرباط على بعض السواحل، فخرج عليهما عدو من الكفار يزيد على عددهم مرات، فعزم أحدهما على الهرب، وقال: ليس في ثباتنا غير الهلاك المحض من غير نكاية، وقال الآخر: نقاتل وإن غلب على الظن الهلاك، فمن المصيب السا لم من الإثم ؟

أجاب: المصيب من أشار بالهرب، وكلاهما لا إثم عليه، واللّه أعلم " انتهى كلامه.

وقد روى سعيد بن منصور في سننه عن عبد الرحمن بن شماسة المهري أنهم حاصروا حصنا، فمر عقبة بن عامر برجلين يقاتلان من مكان ينالُهُم العدو ولا ينالونهم، فقال عقبة:" إن هذا ليس لكما بمُقَاتَل " فانصرف أحدهما، ومكث الآخر حتى قتل، فأبى عقبة أن يصلي عليه، وهذا إن صح نص عن صحابي في المسألة.

٢. أن يفر متحرفا لقتال، أي ينحرف عن القتال لأجل القتال، كمن يفر بين يدي عدوه مكيدة ليريه أنه قد خاف منه، فيتبعه ثم يكر عليه فيقتله، أو ينصرف ليكمن في موضع ويهجم على الكفار، أو يكون في مضيق فينصرف ليتبعه العدو إلى متسع يسهل القتال فيه، أو يتحول من مقابلة الشمس والريح ونحو هذا، كما قال تعالى: ﴿**إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ**﴾ **الأنفال**.

٣. أن يفر إلى فئة يستنجد بها ويأوي إليها ويعاونهم ويعاونوه، سواء كانت تلك الفئة قليلة أو كثيرة، قريبة أو بعيدة، وحتى ولو كان في سرية، ففر إلى أميره أو إلى الإمام الأعظم دخل في هذه الرخصة، كما قال تعالى: ﴿ **أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ**﴾ **الأنفال**.

٤. من عجز بمرض أو نحوه، أو لم يبق معه سلاح، أو مات فرسه وهو لا يقدر على القتال راجلا، أو صار في حالة لا يؤثر في العدو البتة، وليس هناك مصلحة من بقائه، وليس فيه إلا الهلاك المحض، فله الانهزام في جميع هذه الأحوال، بل يجب عليه كما سبق عن ابن النحاس، وإلا كان داخلا في إلقاء اليد إلى التهلكة، وقال المناوي في الفيض: " والسادسة (التولي) أي الإدبار من وجوه الكفار (يوم الزحف) أي وقت ازدحام الطائفتين، إلا إن علم أنه إن ثبت قتل بغير نكاية في العدو، فليس بكبيرة، بل ولا صغيرة، بل يباح، بل يجب ". انتهى كلامه.

❖ حكم الفرار في حرب العصابات:

حرب العصابات حرب معاصرة حادثة، وهي عبارة عن مباغتة العدو بضربة مفاجئة وإحداث أكبر الخسائر البشرية والمالية فيه، ثم الفرار والهرب بعدها، حتى لا يتمكن من إحداث الخسائر في صف المجاهدين، فهي عبارة عن " اضرب واهرب ".

والفرار والإدبار في هذه الحرب لا يدخل في الإدبار المحرم المنهي عنه، ولا يلحق من فر فيها وعيد ولا منع من الشهادة، وذلك لأمور:

١. أن التولي المحرم مخصوص بالتزاحف، والتقاء الصفوف ومعاينة العدو، وإستراتيجية حرب العصابات ليس فيها تزاحف ولا التقاء، بل هي ضرب مع تخفي ثم هرب، فلا يدخل في التولي يوم الزحف، كما قال تعالى: ﴿ **إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا** ﴾ **الأنفال**، وحديث أبي هريرة السابق في السبع الموبقات قال: (**والتولي يوم الزحف**).

٢. أن حرب العصابات إما أن يفر المقاتلون فيه إلى فئة مقاتلة أخرى، يستعينون بهم، أو يفرون تحرفا لقتال آخر، فيفرون من قتال فئة إلى قتال فئة أخرى من العدو، فهم في جهاد وقتال دائم، وكلا الحالين لا تعد من الفرار المحرم.

٣. أن حرب العصابات غالبا ما يكون فيه العدو أكثر من مثلي المجاهدين، وفي هذه الحال يجوز الفرار أصلا.

٤. أن الإدبار إنما حرم لأجل ما يترتب عليه من كسر نفوس المجاهدين، والتسبب عليهم بالهزيمة، وحرب العصابات مبناها على الكر والفر والضرب والهرب، وعدم تمكين العدو من المجاهدين، وعلى هذا يبنى النصر والظفر فيها، وفي الثبات تمكين للعدو من المجاهدين، وإحداث خسائر فيهم، وكسر لنفوسهم.

٥. أن المصلحة في حرب العصابات هي في الهرب بعد ضرب العدو، والثبات فيها غالبا لا مصلحة فيه، ولا نكاية لأخذ العدو احتياطاته بعد ضربه، وإنما فيه الهلاك المحض فقط، وقد سبق أن الثبات في مثل هذه الحال لا يجوز، وهو من إلقاء اليد في التهلكة.

وأقرب مثال لحرب العصابات في العهد النبوي، قصة اغتيال أبو رافع وكعب بن الأشرف، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: (بعث رسول الله ﷺ رهطا من الأنصار إلى أبي رافع ليقتلوه، فانطلق رجل منهم فدخل حصنهم، قال: فدخلت في مربط دواب لهم، قال: وأغلقوا باب الحصن، ثم إنهم فقدوا حمارا لهم، فخرجوا يطلبونه، فخرجت فيمن خرج أريهم أنني أطلبه معهم فوجدوا الحمار، فدخلوا ودخلت، وأغلقوا باب الحصن ليلا، فوضعوا المفاتيح في كوة حيث أراها، فلما ناموا أخذت المفاتيح ففتحت باب الحصن، ثم دخلت عليه فقلت: يا أبا رافع، فأجابني، فتعمدت الصوت فضربته، فصاح فخرجت ثم جئت ثم رجعت كأني مغيث، فقلت يا أبا رافع وغيرت صوتي، فقال: ما لك لأمك الويل ؟ قلت: ما شأنك ؟ قال: لا أدري من دخل علي فضربني، قال: فوضعت سيفي في بطنه، ثم تحاملت عليه حتى قرع العظم، ثم خرجت وأنا دهش، فأتيت سلما لهم لأنزل منه فوقعت، فوثئت رجلي، فخرجت إلى أصحابي، فقلت: ما أنا ببارح حتى أسمع الناعية، فما برحت حتى سمعت نعايا أبي رافع، تاجر أهل الحجاز، قال: فقمت وما بي قلبة حتى أتينا النبي ﷺ فأخبرناه) رواه البخاري.

فهل يقال بأن الصحابة لما فروا من الموقع بعد قاموا بعملية الإغتيال، أنهم فروا من الزحف، وأنهم لو قتلوا، والحالة تلك لم يكونوا شهداء؟

أبدا.

حكم من فر أصحابه وبقي في وجه العدو لوحده:

يجب أن يعلم أن الله فرض الجهاد على عباده وأمرهم به، فإذا لم يقم به أحد من المسلمين لم يسقط فرضه على العبد بل يجب أن يجاهد في سبيل الله ولو وحده، ولا يسقط كونه وحده، ولا أحد معه فرض الجهاد عليه، كما قال تعالى: ﴿ **فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ** ﴾ **النساء**، أي لا تدع جهاد العدو ولو وحدك.

وأمرهم وأوجب عليهم أيضا إذا لاقوا الكفار في الصفوف أن لا يفروا، وهذا الإيجاب والأمر لكل واحد بعينه، فلا يجوز له الفرار، ولو فر أصحابه، ولا يسقط كون الشخص وحده فرضية الثبات عليه، فمن فر أصحابه ولم يبق إلا هو لوحده، فلا يجوز له الفرار بل عليه أن يقاتل العدو ولو لوحده – خلافا للسبكي فإنه يرى استحباب الثبات كما في عون المعبود – وقد جاء في الحديث أن هذا مما يعجب ويضحك منه الرب عز وجل، فورد عند الطبراني في الكبير بإسناد حسن كما قال ابن النحاس عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(ثلاثة يحبهم الله ويضحك إليهم ويستبشر بهم الذي إذا انكشفت فئة قاتل وراءها بنفسه فإما أن يقتل وإما أن ينصره الله ويكفيه فيقول انظروا إلى عبدي كيف صبر لي بنفسه....)**.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(عجب ربنا من رجل غزا في سبيل الله فانهزم – يعني أصحابه – فعلم ما عليه، فرجع حتى أهريق دمه، فيقول الله تعالى لملائكته انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي حتى أهريق دمه)** رواه أبو داود والحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي، وصحح إسناده أحمد شاكر، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود.

وتأمل قوله **(فعلم ما عليه)** أي من الإثم في الانهزام، فهذا يفيد أن عليه إثم في الفرار والانهزام، وأنه لا عذر له في فرار أصحابه إلا أن يكون في حالة لا يبقى في ثباته مصلحة ولا نكاية في العدو، وليس فيه إلا الهلاك المحض، ففي هذه الحال للشخص الفرار كما سبق بيانه.

وهذه الأحوال السابقة ذكرها التي يجوز فيها الفرار من العدو، من قتل فيها وهو فار فهو شهيد، وليس فرار وإدباره مانعا من الشهادة، ولكن هل يكون كالشهيد الذي قتل مقبلا في الأفضلية ؟

ظاهر صنيع ابن النحاس في المشارع أن الذي يقتل مقبلا أفضل من الذي يقتل مدبرا حيث يجوز له الفرار، حيث قال بعد ذكره لمراتب النيات وتفضيله النيتين الأولى والثانية على الثالثة قال: " واعلم أن هذه النيات الثلاث كافيات في نيل المقصود، وكفيلات بدار الخلود، غير أن النية الأخيرة كالقشر بالنسبة إلى الأولى والثانية، ويلتحق بها في الرتبة من يفر من أصحاب النية الثانية حيث يجوز له الفرار فيقتل وهو مول، ويشابهما أيضا في الرتبة من قتل من أصحاب النيتين الأوليين في حال توليه متحيزا لا فارا " انتهى كلامه.

وقد ورد في ذلك حديث ضعيف جدا عند الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (**يسبق المقتول في سبيل الله مقبلا غير مدبر المقتول مدبرا بسبعين خريفا**) قال الهيثمي رواه الطبراني من رواية جويبر عن الضحاك وكلاهما ضعيف.

ولكن والله أعلم أن ذلك فيه تفصيل:

فعندما يتاح الفرار للشخص فله حالتان:

الحال الأولى: أن يكون الفرار جائزا، والثبات أفضل كما سبق بيانه، فهذا الثابت فيه أفضل من الفار، ومن قتل فارا في هذه الحال فهو أقل مرتبة ممن قتل مقبلا.

الحال الثانية: أن يكون الفرار مستحبا أو واجبا كما سبق بيانه، فهذا الفرار فيه أفضل من الثبات، ومن قتل فارا في هذه الحال لا تقل مرتبته عمن قتل مقبلا في غيره، لكون الشرع جاء بفراره في هذه الحال.

وقتلة الإدبار من شر القتلات والميتات في الشرع، وفي المروءة، وعند الناس، فأن يقتل الشخص وهو هارب مول دبره من أسوأ ما يختم به للعبد، نسأل الله العافية، ولهذا تعوذ النبي ﷺ من هذه القتلة والميتة، فقال: (**اللهم أني أعوذ بك من التردي والهدم والغرق والحرق، وأعوذ بك ان يتخبطني الشيطان عند الموت، وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبرا، وأعوذ بك أن أموت لديغا**) رواه

النسائي والحاكم عن أبي اليسر رضي الله عنه، وقال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

وقرنها بأسوأ الميتات في الحديث، وذلك لأن من قتل وهو فار قد خسر الدنيا والآخرة، فلا هو ربح الحياة ونجا بفراره، ولا هو ثبت وربح الشهادة بثباته، بل خسر الحياة الدنيا وخسر ثواب الآخرة وثواب الشهادة العظيم، وزيادة على هذا أنه باء بغضب من الله وباء بالعار عند الناس، ومأواه النار، نسأل الله العافية.

ولهذا لما علم السلف من الصحابة وغيرهم خطورة الإدبار والوعيد الشديد فيه، كان بعضهم ربما حفروا لأنفسهم عند المعركة، لكي لا يفروا عندما تحدثهم أنفسهم بذلك، أو يروا الناس يفرون، كما فعل سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنه، فروى محمد بن ثابت بن قيس بن شماس قال: لما انكشف المسلمون يوم اليمامة قال سالم مولى أبي حذيفة: ما هكذا كنا نفعل مع رسول الله ﷺ، فحفر لنفسه حفرة، وقام فيها ومعه راية المهاجرين يومئذ، فقاتل حتى قتل.

وسبب الإدبار والوقوع في هذا الذنب العظيم هو الذنوب، كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ** ﴾ **آل عمران**، فأخبر الله أن سبب توليهم واستزلال الشيطان لهم هو بعض ما كسبوا من الذنوب من قبل، فعلى من أراد أن يخرج إلى الجهاد أن يتوب إلى الله من ذنوبه السالفة جميعا، توبة لا تترك ذنبا إلا مرت عليه، حتى لا يخذل بسبب ذنوبه، فيقع في الإدبار ويقتل فيه، ويختم له بهذه الخاتمة السيئة.

قال المتنبي:

وإذا لم يكن من الموت بدٌّ ** فمن العجز أن تموت جبانا

وليزيد بن الحكم بن أبي العاص:

وعش ملكا أو مت كريما فإن تمت ** وسيفك مشهور بكفك تعذر

ولبعضهم:

محرمة أكفال خيلي على القنا ** ودامية لبّاتُها ونحورها

حرام على أرماحنا طعن مدبر ** وتندق منها في الصدور صدورها

وللّه در القائل:

وما القتل بالبيض الرقاق نقيصة ** إذا كان لا يخلو من العز والفخر

ونحن أناس لا نرى الموت سبَّة ** إذا كان بين البيض والأسل السمر

كان البهلول بن بشر أحد الأبطال كثيرا ما ينشد:

من كان يكره أن يلقى منيته ** فالموت أشهى إلى نفسي من العسل

فلا التقدم في الهيجاء يعجلني ** ولا الحذار ينجيني من الأجل

وقيل:

في الجبن عار وفي الإقدام مكرمة ** فمن يفر فلا ينجو من القدر

وقيل:

والحرب إن لاقيتها فلا يكن منك الفشل ** اصبر على أهوالها لا موت إلا بالأجل

ولبعضهم:

لئن كانت الأرزاق قسما مقدرا ** فقلة حرص المرء في الرزق أجمل

وإن كانت الأموال للترك جمعها ** فما بال متروك به المرء يبخل

وإن كانت الدنيا تعد نفيسة ** فقدر ثواب الله أعلى وأنبل

وإن كانت الأبدان للموت أنشئت ** فقتل امرئ في اللّه بالسيف أجمل

قال ابن هذيل في تحفة الأنفس " فالإقدام ليس يدني من الوفاة، ولا الإحجام يزيد في الحياة، والطعن في ثغر النحور، أكرم منه في الأعجاز والظهور، والهالك المصدور، خير من الناجي الفرور" انتهى كلامه.

قال شيخ الإسلام في المجموع: " قال الله تعالى: **(قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا)** فأخبر الله أن الفرار لا ينفع لا من الموت ولا من القتل، فالفرار من الموت كالفرار من الطاعون؛ ولذلك قال النبى ﷺ: **(إذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه)** والفرار من القتل كالفرار من الجهاد، وحرف [لن] ينفي الفعل فى الزمن المستقبل، والفعل نكرة، والنكرة فى سياق النفى تعم جميع أفرادها، فاقتضى ذلك: أن الفرار من الموت أو القتل ليس فيه منفعة أبدًا، وهذا خبر الله الصادق، فمن اعتقد أن ذلك ينفعه فقد كذب الله فى خبره.

والتجربة تدل على مثل ما دل عليه القرآن، فإن هؤلاء الذين فروا فى هذا العام لم ينفعهم فرارهم، بل خسروا الدين والدنيا، وتفاوتوا فى المصائب، والمرابطون الثابتون نفعهم ذلك فى الدين والدنيا، حتى الموت الذى فروا منه كثر فيهم، وقل فى المقيمين، فما منع الهرب من شاء الله، والطالبون للعدو والمعاقبون له لم يمت منهم أحد، ولا قتل، بل الموت قلَّ فى البلد من حين خرج الفارون، وهكذا سنة الله قديمًا وحديثًا.

ثم قال تعالى: **(وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا)** يقول: لو كان الفرار ينفعكم لم ينفعكم إلا حياة قليلة، ثم تموتون، فإن الموت لابد منه، وقد حكى عن بعض الحمقى أنه قال: فنحن نريد ذلك القليل، وهذا جهل منه بمعنى الآية، فإن الله لم يقل: إنهم يمتعون بالفرار قليلاً، لكنه ذكر أنه لا منفعة فيه أبدًا، ثم ذكر جوابًا ثانيًا: أنه لو كان ينفع لم يكن فيه إلا متاع قليل، ثم ذكر جوابًا ثالثًا: وهو أن الفار يأتيه ما قُضي له من المضرة، ويأتى الثابت ما قُضي له من المسرة، فقال: **(قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا) ونظيره قوله فى سياق آيات الجهاد (أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ) الآية** وقوله **(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)** فمضمون الأمر: أن المنايا محتومة، فكم ممن حضر الصفوف فسلم، وكم ممن فر من المنية فصادفته، كما قال خالد بن الوليد لما احتضر: لقد حضرت كذا وكذا صفًا، وإن ببدني بضعًا وثمانين، ما بين ضربة بسيف، وطعنة برمح، ورمية بسهم، وها أنا ذا أموت على فراشى كما يموت العير، فلا نامت أعين الجبناء ".

وقال أيضا " قد ذكر ـ تعالى ـ فى ضمن آيات الجهاد ذَمَّ من يخاف العدو، ويطلب الحياة، وبين أن ترك الجهاد لا يدفع عنهم الموت، بل أينما كانوا أدركهم الموت، ولو كانوا فى بروج مُشَيَّدة، فلا ينالون بترك ال جهاد منفعة، بل لا ينالون إلا خسارة الدنيا والآخرة " انتهى كلامه.

وقال صاحب أضواء البيان فيه على آية ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ البقرة**، قال: **(قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا)** وهذه أعظم آية في التشجيع على القتال، لإنها تبين أن الفرار من القتل لا ينجي منه، ولو فرض نجاته منه فهو ميت عن قريب، كما قال قعنب بن أم صاحب:

إذا أنت لاقيت في نجدة ** فلا تتهيبك أن تقدما

فإن المنية من يخشها ** فسوف تصادفه أينما

وإن تتخطاك أسبابها ** فإن قصاراك أن تهرما

وقال زهير:

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب ** تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم

وقال أبو الطيب:

وإذا لم يكن من الموت بدٌّ ** فمن العجز أن تموت جبانا

ولقد أجاد من قال:

في الجبن عار وفي الإقدام مكرمة ** والمرء بالجبن لا ينجو من القدر " انتهى كلامه

وقال بعضهم:

لا يركنن أحد إلى الإحجام ** يوم الوغى متخوفا لحمام

فلقد أراني للرماح دريئة ** من عن يميني تارة وأمامي

حتى خضبت بما تحدر من دمي ** أحناء سرجي بل عنان لجامي

ثم انصرفت وقد أصبت ولم أصب ** جذع البصيرة قارح الإقدام

وقال الشاعر:

أكان الجبان يرى أنه ** يدافع عند الفرار الأجل

فقد تدرك الحادثات الجبان ** ويسلم منها الشجاع البطل

وقال آخر:

وقد يلتقي الجمعان والموت فيهما ** فيقتل من ولَّى ويسلم من حمل

وقال جرير:

قل للجبان إذا تأخر سرجه ** هل أنت من شرك المنية ناج

وقال الشداخ:

قاتل القوم يا خزاع ولا ** يدخلكم من قتالهم فشل

فهم مثلكم لهم شعر في ** الرأس لاينشرون إن قتلوا

يقول الناس سواء فلا يخفى أحد عن أحد.

وقال المتنبي:

ولو أن الحياة تبقى لحي ** لعددنا أضلنا الشجعانا

وإذا لم يكن من الموت بد ** فمن العجز أن تموت جبانا

كل ما لم يكن من الصعب في الأنفس ** سهل فيها إذا هو كانا

وقال أبو العتاهية:

يهرب المرء من الموت وهل ** ينفع المرء من الموت الهرب

كل نفس ستقاسي مرة ** كرب الموت فللموت كرب

وقال علي رضي الله عنه:

أي يومي من الموت أفر ** يوم لا يقدر أم يوم قدر

يوم لا يقدر لا أرهبه ** ومن المقدور لا ينجي الحذر

وقال أيضا:

اشدد حيازيمك للموت ** إن الموت لاقيكا

ولا تجزع من القتل ** إذا حل بواديكا

قال يزيد بن المهلب في الحرب:

تأخرت استبقي الحياة فلم أجد ** لنفسي حياة مثل أن أتقدما

قال أعرابي: كم من ميتة سببها طلب الحياة، وحياة سببها التعرض للموت.

وقال ابن المقفع كما في عيون الأخبار: " الجبن مقتلة، فانظر فيما رأيت وسمعت، أمن قتل في الحرب مقبلا أكثر أم من قتل مدبرا ؟ " انتهى كلامه.

قال عنترة:

بكرت تخوفني الحتوف كأنني ** أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل

فأجبتها إن المنية منهل ** لا بد أن أسقى بكأس المنهل

فاقني حياءك لا أبا لك واعلمي ** أني امرؤ سأموت إن لم أقتل

الحادي عشر: الإلقاء باليد إلى التهلكة:

ومعنى التهلكة هي الموت والهلاك، وكل شيء تصير عاقبته إلى الهلاك، وقال البخاري في صحيحه: "والتهلكة والهلاك بمعنى واحد " قال الحافظ في الفتح: " وهو المشهور"انتهى، ومعنى هذا أن يلقي الشخص نفسه إلى الموت، ويتسبب على نفسه به بلا مصلحة ولا مقصد شرعي صحيح.

ومباشرة قتل النفس والانتحار محرم بالكتاب والسنة والإجماع، وهو من كبائر الذنوب، وفاعله متوعد بالنار، كما قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩) وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ النساء**.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**من قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن شرب سمًّا فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا**) رواه مسلم.

ومن تسبب على نفسه بالموت والهلاك كمن باشر قتل نفسه في الإثم والحكم، فإن القاعدة تقول: إن المتسبب له حكم المباشر، وقد قال تعالى: ﴿ **وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ البقرة**، أي لا تلقوا أنفسكم إلى موارد الهلكة والموت أو تفعلوا فعلا تصير به عاقبتكم إلى الهلاك.

وهذه الآية وإن كانت نزلت في الهلاك الديني، كما جاء عن أسلم أبي عمران، قال: (غزونا من المدينة نريد القسطنطينية، وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، والروم ملصقوا ظهورهم بحائط المدينة، فحمل رجل على العدو، فقال الناس: مه، مه، لا إله إلا الله، يلقي بيديه إلى التهلكة، فقال أبو أيوب: إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، لما نصر الله نبيه وأظهر الإسلام، قلنا: هلم نقيم في أموالنا ونصلحها، فأنزل الله تعالى (**وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة**) فالإلقاء بالإيدي إلى التهلكة أن نقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد، قال أبوعمران: فلم يزل أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى دفن بالقسطنطينية) رواه أبو داود والحاكم، وقال صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فلفظ الهلاك يشمل الهلاك الديني والهلاك الدنيوي، ولا يمنع اعتراض أبي أيوب من دخول الصورة المذكورة في الحديث في عموم آية التهلكة.

قال الشوكاني في النيل: " قوله: " فالإلقاء بأيدينا إلى التهلكة أن نقيم في أموالنا " الخ هذا فرد من أفراد ما تصدق عليه الآية، لأنها متضمنة للنهي لكل أحد عن كل ما يصدق عليه أنه من باب الإلقاء بالنفس إلى التهلكة، والاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فإذا كانت تلك الصورة التي

قال الناس إنها من باب الإلقاء، لما رأوا الرجل الذي حمل على العدو كما سلف من صور الإلقاء لغة أو شرعًا، فلا شك أنها داخلة تحت عموم الآية، ولا يمنع من الدخول اعتراض أبي أيوب بالسبب الخاص، وقد تقرر في الأصول رجحان قول من قال إن الاعتبار بعموم اللفظ، ولا حرج في اندراج التهلكة باعتبار الدين وباعتبار الدنيا تحت قوله **(وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ)** ويكون ذلك من باب استعمال المشترك في جميع معانيه، وهو أرجح الأقوال الستة المعروفة في الأصول في استعمال المشترك " انتهى كلامه.

والإلقاء باليد إلى التهلكة في الجهاد مانع من موانع الشهادة، لأن هذا الفعل ليس بمشروع أصلا ومنهي عنه، وصاحبه آثم، وقد ورد في الحديث عن سهل رضي الله عنه قال: التقى النبي ﷺ والمشركون في بعض مغازيه، فاقتتلوا فمال كل قوم إلى عسكرهم، وفي المسلمين رجل لا يدع من المشركون شاذة ولا فاذة إلا اتبعها فضربها بسيفه، فقيل يا رسول الله: ما أجزأ أحد ما أجزأ فلان، فقال: **(إنه من أهل النار)** فقالوا: أينا من أهل الجنة إن كان هذا من أهل النار ؟ فقال رجل من القوم: لأتَّبعنَّه، فإذا أسرع وأبطأ كنت معه، حتى جرح فاستعجل الموت فوضع نصاب سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل عليه، فقتل نفسه، فجاء الرجل إلى النبي ﷺ فقال: أشهد أنك رسول الله، فقال: **(وما ذاك ؟)** فأخبره، فقال: **(إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، وإنه من أهل النار، ويعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس، وهو من أهل الجنة)** رواه البخاري.

فهذا انتحر في المعركة وباشر قتل نفسه وأوجب فعله دخول النار، والمنع من الشهادة، فإن الشهيد لا يدخل النار، والملقي بنفسه إلى موارد الهلكة متسبب على نفسه بالموت، وقد سبق أن المتسبب له حكم المباشر، فيكون حكمه حكم المنتحر، فمن أقدم على فعل ألقى بنفسه فيه إلى الموت في الجهاد بلا مصلحة ولا نفع، فقتل بسبب فعله فليس بشهيد، فالتغرير بالنفس في الجهاد جائز بالاتفاق، ولكنه مقيد بالمصلحة والمنفعة، فمن غرر بنفسه بلا مصلحة فهو ملق بنفسه إلى التهلكة.

وقد روى سعيد بن منصور في سننه عن عبد الرحمن بن شماسة المهري أنهم حاصروا حصنا، فمر عقبة بن عامر برجلين يقاتلان من مكان ينالُهُم العدو ولا ينالونهم، فقال عقبة: (إن هذا ليس لكما بمُقَاتَل) فانصرف أحدهما، ومكث الآخر حتى قتل، فأبى عقبة أن يصلي عليه.

فهو أبى أن يصلي عليه لأنه ألقى بيده إلى التهلكة بلا مصلحة تذكر في العدو.

وصور إلقاء اليد إلى التهلكة لا تنحصر، فإن التغرير بالنفس بالجهاد كثير، والمشروع منها ما كان للمصلحة فقط.

ومن أمثلة الإلقاء في التهلكة تمكين الشخص العدو من نفسه مع إمكانية التحرز منه والدفاع عن النفس بلا مصلحة، ويدخل في ذلك صور كثيرة كمن خرج عليهم بلا سلاح وهم متسلحون ومتدرعون، فقتلوه بلا مصلحة في ذلك.

وهناك صور قد يتوهم أنها من الإلقاء باليد إلى التهلكة، ولكن الصحيح أنها لا تدخل في الإلقاء باليد إلى التهلكة، **منها**:

١. القتال حاسرا:

الحاسر ضد الدارع، والدارع هو الذي يلبس الدرع ليوقيه في القتال من أسلحة العدو من السيوف والسهام الرماح.

والقتال حاسرا جائز، ولا يجب لبس الدرع في القتال، فإن الصحابة لم يكونوا كلهم يقاتلون دارعين، بل بعضهم كان يقاتل حاسرا، وقد ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب قال لأخيه زيد بن الخطاب يوم أحد:)خذ درعي هذه يا أخي، فقال له: إني أريد من الشهادة مثل الذي تريد، فتركاها جميعا) رواه الطبراني في الأوسط، قال الهيثمي "ورجاله رجال الصحيح " فلو كان لبس الدرع واجبا لما تركاه.

وقد وروى ابن إسحاق في المغازي عن عاصم بن عمر بن قتادة قال: (لما التقى الناس يوم بدر قال عوف بن الحارث: يا رسول اللّه ما يضحك الرب من عبده ؟ قال: **(أن يراه غمس يده في القتال، يقاتل حاسرًا) فنزع درعه ثم تقدم فقاتل حتى قتل)** ولكنه مرسل.

وعلى ذلك فلا يكون من فعل ذلك ممن ألقى بيده إلى التهلكة بل فعله جائز.

٢. الانتحار لعدم كشف الأسرار:

فمن قتل نفسه لكيلا لا يجبر ولا يكره على كشف أسرار المجاهدين التي يترتب عليها إزهاق الأرواح وانتهاك الأعراض ونحو ذلك للعدو عندما يمسكه ويأسره، فليس داخلا في الوعيد على الانتحار ولا ملق بيده إلى التهلكة، وفعله جائز بقيوده وشروطه، وذلك درءا للمفسدة العظمى المترتبة على

الإفشاء من إزهاق الأنفس، وإراقة الدماء، وهتك الأعراض، وإضعاف المسلمين والتسلط عليهم من قبل الأعداء، وغير ذلك.

وقد بحثت المسألة وألف فيها فلتراجع.

٣. العمليات الإستشهادية:

هي نوع من العمليات التي يقوم بها فرد أو أفراد ضد عدو أكثر منهم عدداً وعدة، علماً أنهم أقدموا على العمليات مع علمهم المسبق أن مصيرهم واحد وهو الموت وهذا ما تيقنوه أو غلب على ظنهم .

وأكثر أسلوب يستخدم في عصرنا هذا للعمليات الاستشهادية هو تلغيم الجسم أو السيارة أو الحقيبة والدخول بها بين تجمعات العدو أو مناطقه الحيوية ومرافقه المهمة ومن ثم تفجيرها في الوقت والمكان المناسب، محدثة بذلك أكبر عدد من الضحايا أو الخسائر في صفوف العدو، نظراً لعنصر المفاجأة وعمق الدخول، وبطبيعة الحال فإن منفذ العملية هو أول القتلى لأنه أقربهم إلى المادة المتفجرة غالبا.

وهناك أسلوب آخر وهو أن يقتحم المجاهد المسلح ثكنات العدو أو مناطق تجمعه ويطلق النار عليهم عن قرب، علماً أنه دخل مسبقاً في هذه العملية ولم يفكر أصلاً بالخروج ولم يعد خطة للرجوع، فهدفه واحد هو أن يقتل أكبر عدد من العدو ويموت يقيناً، هذا هو أسلوب العمليات الاستشهادية الذي يستخدم في هذا العصر، وهي مسألة حادثة ومعاصرة، **وقد اختلف في شرعيتها وجوازها العلماء المعاصرون على أقوال:**

منهم من يرى حرمتها وعدم جوازها، ويدخلها في الانتحار المتوعد عليه، والأدلة على تحريم الانتحار معروفة.

منهم من يرى جوازها وشرعيتها، وأن من قتل فيها فهو شهيد، واستدلوا على ذلك بأمور:

١. حديث الغلام في قصة أصحاب الأخدود المعروفة، حيث أن الغلام لم يباشر قتل نفسه ولكنه تسبب على نفسه بالقتل حين أخبر الملك بكيفية قتله، لما يترتب على ذلك من المصلحة العظيمة من إسلام الناس، ومعلوم بالقاعدة الشرعية أن المتسبب له حكم المباشر، فكأنه بهذا الفعل باشر قتل نفسه، ومع ذلك فقد جاء الثناء عليه بعمله، ولم يعد منتحرا بهذا العمل

للمصلحة المترتبة على عمله، فكذا العلميات الاستشهادية تجوز للمصلحة المترتبة عليها، ولا يؤثر فيها مباشرة النفس بالقتل تحريما.

٢. أن الذين يحرمون العمليات الاستشهادية يستدلون بالأدلة التي فيها تحريم مباشرة قتل النفس على تحريم التسبب في قتل النفس، فهم يقررون بذلك أن المتسبب له حكم المباشر، فإذا كان هذا في التحريم، فكذلك فليكن كذلك في الجواز.

٣. إجماع العلماء أو جمهورهم على جواز الانغماس في العدو مع غلبة الظن بالقتل، إذا كان فيه مصلحة راجحة للمسلمين، ومعلوم أيضا أن المتسبب له حكم المباشر كما سبق فهذا تسبب على نفسه بالقتل واقتحم إلى العدو مع غلبة الظن بالهلاك، فكأنه باشر قتل نفسه بهذا العمل، ومع ذلك أجاز هذا الفعل العلماء للمصلحة الراجحة، فكذا يقاس عليه العمليات الاستشهادية.

٤. القياس على مسألة جواز قتل المسلمين المتترس بهم من قبل العدو للضرورة دفعا لمفسدة أكبر، فإذا جاز قتل المسلمين – وهم معصومين ونفس القاتل ليست أولى من أنفسهم – للضرورة، فكذا يجوز قتل الشخص نفسه من أجل الضرورة ودفع مفسدة بقاء العدو المحتل في أرض المسلمين، ومعلوم شدة ضرورة المجاهدين لمثل هذه العمليات، فهنا مصلحة عظيمة، ومفسدة عظيمة، ومفسدة صغيرة على قول من يرى تحريم العمليات، فالمصلحة العظيمة هي إخراج الكفار من ديار المسلمين وانتصار المسلمين عليهم والإبقاء على المسلمين وحفظ إعراضهم وإقامة دولة الإسلام بإخراج الكفار من الأرض، والمفسدة العظيمة بقاء الكفار في ديار المسلمين وهدمهم للإسلام وأهله وغير ذلك، والمفسدة الصغيرة قتل الشخص نفسه، فهنا تدفع هذه المفسدة العظمى وتستجلب تلك المصلحة العظمى بفعل المفسدة الصغرى.

٥. أن تحريم الانتحار مقيد في الآية كما سبق بمن يفعل ذلك عدوانا وظلما، والعمليات الاستشهادية لا تفعل عدوانا وظلما، إنما تزهق النفس في سبيل الله، ولأجل الله تعالى، وفرق بين الأمرين.

والأدلة على جوازها كثيرة ولكن اختصرناها.

ومنهم من يرى استحبابها وأفضليتها وليس جوازها فقط بل أنها مستحبة، وذلك لأمور:

الأول: أنها أغيظ للكفار من الأعمال الجهادية الأخرى، لما تورثه من الخسائر فيهم، مع قلة الخسائر في صف المجاهدين.

الثاني: أنها تجمع عدة أسباب من أسباب التفاضل، ففيها إقدام، ونكاية، ومخاطرة حيث الموت شبه متيقن وأشق على النفس، وشدة الحاجة إليها مع قلة المقدمين عليها، وفيها إفناء للجسد في الغالب، ويمكن أن تشترى المتفجرات أوالسيارة بمال المنفذ فيكون جهادا بالمال والنفس، وإراقة الدم وغير ذلك.

بل ويرون أنها اصطفاء أيضا، فليس كل شخص يوفق لها، بل هناك أناس يكون عندهم عملية استشهادية ويقتلون قبل أن ينفذوها، وذلك لفضل العلمية الاستشهادية، وهذا القول هو الذي تطمئن إليه النفس.

وقد بسطت هذه المسألة كثيرا وألف فيها الكتب والرسائل، فلتراجع.

٤. الإنغماس في العدو:

انغماس المجاهد في صف العدو وحده وحمله عليهم وحده جائز عند جماهير العلماء، بل نقل الإتفاق على جوازه، وقد سرد ابن النحاس في المشارع أدلة كثيرة على جوازه، بل واختار ابن النحاس استحبابه بناء على هذه الأدلة، وكذا شيخ الإسلام ابن تيمية، كما سيأتي، ومن هذه الأدلة:

١. أنه داخل في قوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ**﴾ كما فسره بذلك الصحابة.

٢. نفي الصحابة أن يكون ذلك من الإلقاء إلى التهلكة، كما نقله ابن النحاس في المشارع عنهم.

٣. انغماس أنس بن النضر يوم أحد كما سيأتي في الأحاديث.

٤. عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**عجب ربنا من رجل غزا في سبيل الله فانهزم – يعني أصحابه – فعلم ما عليه فرجع حتى أهريق دمه، فيقول الله تعالى لملائكته: انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي حتى أهريق دمه**) رواه

أبو داود والحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي، وصحح إسناده أحمد شاكر، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود.

وغير ذلك كثير، ولكن جواز الانغماس في العدو مقيد بالمصلحة، فإذا لم يكن ثَمَّ مصلحة، فلا يجوز بل يكون من الإلقاء باليد إلى التهلكة.

قال أبو حامد الغزالي في الإحياء في كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: " لا خلاف في أن المسلم الواحد له أن يهجم على صف الكفار ويقاتل وإن علم أنه يقتل، وكما أنه يجوز أن يقاتل الكفار حتى يقتل، جاز أيضا ذلك في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن لو علم أنه لا نكاية لهجومه على الكفار كالأعمى يطرح نفسه على الصف أو العاجز، فذلك حرام، وداخل تحت عموم آية التهلكة، وإنما جاز له الإقدام إذا علم أنه لا يُقتل حتى يَقتل أوعلم أنه يكسر نفوس وقلوب الكفار بمشاهدتهم جرأته، واعتقادهم في سائر المسلمين قلة المبالاة، وحبهم للشهادة في سبيل الله، فتكسر بذلك شوكتهم " انتهى كلامه.

وقال ابن خويز منداد: " فأما أن يحمل الرجل على مائة أوعلى جملة العسكر أو جماعة اللصوص والمحاربين والخوارج، فلذلك حالتان: إن علم وغلب على ظنه أنه سيَقتل من حمل عليه وينجو فحسن، وكذلك لوعلم وغلب على ظنه أنه يُقتل ولكن سينكي نكاية أو يؤثر أثرا ينتفع به المسلمون فجائز أيضا " انتهى كلامه نقلا عن المشارع.

وقال في الإنصاف: " وذكر الشيخ تقي الدين – أي ابن تيمية – أنه يسن إنغماسه في العدو لمنفعة المسلمين، وإلا نهي عنه، وهو من التهلكة " انتهى كلامه.

وقال محمد بن الحسن كما في تفسير القرطبي: " لو حمل رجل واحد على ألف رجل من المشركين وهو وحده لم يكن بذلك بأس إذا كان يطمع في نجاة أو نكاية في العدو، فإن لم يكن كذلك فهو مكروه، لأنه عرض نفسه للتلف من غير منفعة للمسلمين، فإن كان قصده تجرئة المسلمين عليهم حتى يصنعوا مثل صنيعه فلا يبعد جوازه، لأن فيه نفعا للمسلمين على بعض الوجوه، فإن كان قصده إرهاب العدو ليعلم العدو صلابة المسلمين في الدين فلا يبعد جوازه إذا كان فيه نفع للمسلمين " انتهى كلامه.

وقال الحافظ في الفتح: "وأما مسألة حمل الواحد على العدد الكثير من العدو فصرح الجمهور بأنه إن كان لفرط شجاعته وظنه أنه يرهب العدو بذلك ويجرئ المسلمين عليهم أو نحو ذلك من المقاصد الصحيحة فهو حسن، ومتى كان مجرد تهور فممنوع، ولا سيما إن ترتب على ذلك وهن في المسلمين والله أعلم " انتهى كلامه.

هذه الموانع التي وردت في النصوص، وقد ورد مانع آخر ولكنه لا يثبت، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قتل رجل على عهد رسول الله ﷺ، قال: فبكت عليه باكية، فقالت: واشهيداه، قال: فقال النبي ﷺ: (**مه ما يدريك أنه شهيد ؟ ولعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويبخل بما لا ينقصه**) رواه أبو يعلى، قال الهيثمي: وفيه عصام بن طليق وهو ضعيف.

وعن أنس رضي الله عنه قال: استشهد رجل منا يوم أحد، فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع، فمسحت أمه التراب عن وجهه وقالت: هنيئا لك يا بني الجنة، فقال النبي ﷺ: (**وما يدريك ؟ لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره**) رواه أبو يعلى، قال الهيثمي وفيه يحيى بن يعلى الأسلمي وهو ضعيف.

وقد حسنهما بعضهم بالطرق والشواهد كالألباني والله أعلم.

وهناك أمور يظن بعض الناس أنها مانع من موانع الشهادة، ولكنها ليست كذلك، ولا تمنع من قبول الشهادة، ومن قتل وهو متصف بها فهو شهيد، وهي:

١. كثرة اللعن:

ورد عند مسلم عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إن اللعانين لا يكونون شهداء ولا شفعاء يوم القيامة**).

واللعَّان هو الذي يكثر من اللعن.

وقد فهم بعضهم أن المراد بالشهداء هنا شهداء القتل في سبيل الله، وأن من أكثر اللعن لا يكون شهيدا في الآخرة، ولكن الصحيح أن المراد بالحديث هنا " أداء الشهادة " أي أنهم لا يكونون شهداء يوم القيامة على الأمم بتبليغ الرسل للرسالات إليهم كما ذكر النووي في المنهاج، وهو كقوله ﷺ: (**لا**

يصبر أحد على لأوائها فيموت إلا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة إذا كان مسلما) رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

٢. الفسق والمعاصي:

بعض الناس يظن أن الشهادة خاصة بالصالحين، وأن الفساق لا يكونون شهداء، وأن فسقهم يمنعهم من هذه المنزلة العظيمة، وهذا ليس بصحيح، فإن الفسق والمعاصي لا تمنع من قبول الشهادة، ومن قتل وهو فاسق لم يمنعه فسقه من الشهادة، والدليل على ذلك حديث عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**القتلى ثلاثة:.......... ورجل فرق على نفسه من الذنوب والخطايا جاهد بنفسه وماله في سبيل الله حتى إذا لقي العدو قاتل حتى يقتل، فتلك ممصمصة محت ذنوبه وخطاياه، إن السيف محاء للخطايا، وأدخل من أي أبواب الجنة شاء، فإن لها ثمانية أبواب ولجهنم سبعة أبواب، وبعضها أفضل من بعض...**) رواه أحمد والطبراني بإسناد جيد كما قال المنذري وابن النحاس، وقال الهيثمي: " ورجال أحمد رجال الصحيح خلا المثنى الاملوكي وهو ثقة".

وأيضا ليس هناك دليل يدل على المنع، فيبقى الأمر على الأصل وهو القبول حتى يدل دليل على المنع.

ولا يمنع من كون الشخص فاسقا أن يكون صادقا في طلب الشهادة، ولا تلازم بين الأمرين، فقد يكون الشخص صادقا في الطلب وهو فاسق، وقد يكون الشخص صالحا وهو غير صادق في الطلب، وكم من شخص خرج إلى الجهاد، وصدق مع الله في طلب الشهادة، وهو مقيم على معاصيه، واصطفاه الله بالشهادة.

ولكن الذنوب والفسق لها أثر على الشهادة، من حيث أنها تنقص درجة الشهادة وتجعله دون الشهداء الصالحين في المنزلة، كما سبق في الحديث السابق أعلاه.

قال ابن هذيل في تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس: " الباب الرابع فيما يفعله الغازي عند خروجه إلى الجهاد، يبدأ بإخلاص النية كما تقدم أولا، ويعتقد أن الجهاد في سبيل الله وقتال من كفر بالله، لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، وليكون الدين واحدا، ويؤكد صلاح النية، ونقاء الطوية، بطيب المكتسب وأكل الحلال، وتجديد التوبة من كل ما سبق من الذنوب، وإظهار الندم على ما فات من حقوق الله تعالى، وتحلل من له مظلمة في عرض أو مال أو نفس إن وجد

سبيلا إلى ذلك، وإلا فليستغفر الله عز وجل وليعمل صالحا ما استطاع، قال الله العظيم: (**فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**).

والجهاد محل لقاء الله سبحانه وباب الدار الآخرة، وكان أبو الدرداء يقول: (**يا أيها الناس عمل صالح قبل الغزو، فإنما تقاتلون بأعمالكم**) وقد روي ذلك عن عمر بن الخطاب، ومن خطب العلماء في مثل ذلك: اعلموا رحمكم الله أنه لا يصلح الجهاد بغير اجتهاد، كما لا يصلح السفر بغير زاد، فقدموا مجاهدة القلوب قبل مباشرة الحروب، ومغالبة الأهواء قبل محاربة الأعداء، وبادروا بإصلاح السرائر، فإنها من أنفس العدد والذخائر، وأوفروا صلاح الأعمال، عدة لدفع الشدائد والأهوال، فبالعمل الصالح يقبل الدعاء، ويصرف البلاء، ويأنس المؤمن في قبره، ويأمن في حشره، ثم يوطن نفسه على المرتبة العليا، والدرجة العظمى، وهي الشهادة، فبذلك يبلغ منازل الشهداء، وإن فاز بالسلامة والغنيمة " انتهى كلامه.

ورد عند البيهقي في الكبرى عن صفية بنت أبي عبيد: (أن رجلا أضاف رجلا، فافتض أخته، فجاء أخوها إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فذكر ذلك له، فأرسل إليه، فأقر به، فقال أبكر: أم ثيب ؟ قال: بكر، فجلده مائة ونفاه إلى فدك، قال: ثم إن الرجل تزوج المرأة بعد، قال: ثم قتل الرجل يوم اليمامة).

شرب عبد بن الأزور وضرار بن الأزور وأبو جندل بن سهيل بن عمرو الخمر بالشام، فأتي بهم أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، قال أبو جندل: (والله ما شربتها إلا على تأويل أني سمعت الله يقول: (**لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**) فكتب أبو عبيدة إلى عمر رضي الله عنه بأمرهم، فقال عبد بن الأزور: إنه قد حضر لنا عدونا، فإن رأيت أن تؤخرنا إلى أن نلقى عدونا غدا، فإن الله أكرمنا بالشهادة كفاك ذاك، ولم تقمنا على خزاية، وإن نرجع نظرت إلى ما أمرك به صاحبك، فأمضيته، قال أبو عبيدة رضي الله عنه: فنعم، فلما التقى الناس قتل عبد بن الأزور شهيدا، فرجع الكتاب كتاب عمر رضي الله عنه أن الذي أوقع أبا جندل في الخطيئة، قد تهيأ له فيها بالحجة وإذا أتاك كتابي هذا فأقم عليهم حدهم والسلام، فدعاهما أبو عبيدة رضي الله عنه، فحدهما، وأبو جندل له شرف ولأبيه، فكان يحدث نفسه حتى قيل إنه قد وسوس، فكتب أبو عبيدة إلى عمر رضي الله عنهما: أما بعد فإني قد ضربت أبا جندل حده، وأنه قد حدث نفسه حتى قد خشينا عليه أنه قد هلك، فكتب عمر رضي الله عنه إلى أبي جندل: أما

بعد فإن الذي أوقعك في الخطيئة قد حزن عليك التوبة بسم الله الرحمن الرحيم (**حم (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٢) غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ**) فلما قرأ كتاب عمر رضي الله عنه ذهب عنه ما كان به كأنما أنشط من عقال) رواه البيهقي.

بل أعظم من هذا طليحة الأسدي ارتد بعد وفاة النبي ﷺ، وادعى النبوة، وقاتل الصحابة وقَتل منهم، ثم تاب بعد ذلك، وجاهد أعداء الله من الفرس حتى استشهد رحمه الله.

وكذا هشام بن العاص رضي الله عنه، فروى البيهقي في السنن الكبرى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه عن أبيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما اجتمعنا للهجرة، اتعدت أنا وعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص بن وائل، وقلنا الميعاد بيننا التناضب من أضاة بني غفار، فمن أصبح منكم لم يأتها فقد حبس، فليمض صاحباه، فأصبحت عنده أنا وعياش بن أبي ربيعة، وحبس عنا هشام وفتن فافتتن، وقدمنا المدينة، فكنا نقول ما الله بقابل من هؤلاء توبة، قوم عرفوا الله وآمنوا به وصدقوا رسوله ثم رجعوا عن ذلك لبلاء أصابهم من الدنيا، وكانوا يقولون لأنفسهم، فأنزل الله عز وجل فيهم (**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ....**) **إلى قوله (مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ)** قال عمر رضي الله عنه: فكتبتها بيدي كتابا ثم بعثت بها إلى هشام، فقال هشام بن العاص: فلما قدمت علي خرجت بها إلى ذي طوى فجعلت أصعد بها وأصوب لأفهمها، فقلت: اللهم فهمنيها، وفرقت إنما أنزلت فينا لما كنا نقول في أنفسنا ويقال فينا، فرجعت فجلست على بعيري، فلحقت رسول الله ﷺ، فقتل هشام شهيدا بأجنادين في ولاية أبي بكر رضي الله عنه.

٣. الدين:

وهو دفع مال لمن ينتفع به ويرد بدله.

وقد يفهم بعض الناس أن الدين مانع من الشهادة، لأنه ورد في الحديث أن الشهيد يغفر له كل شيء إلا الدين، والعلماء اشترطوا إذن الدائن عند الخروج للجهاد، وهذا الفهم خطأ، فالدين ليس بمانع من درجة الشهادة، فمن قتل وعليه دين فهو شهيد، فإن بعض الصحابة الذين استشهدوا كان عليهم دين، ومع ذلك أخبر النبي ﷺ أنهم شهداء، كثابت بن قيس، وعبدالله بن حرام، والزبير بن العوام.

قال ابن حجر في الفتح: " وحصول التبعات لا يمنع الشهادة " انتهى كلامه.

وقال أيضا في بذل الماعون: "...إن وجود التبعات لا يمنع حصول الشهادة، لأن الشارع قد رتب الثواب على صفة معينة، فإذا حصلت للمؤمن عند موته حصل له ذلك الثواب، فضلاً من الله وإحسانًا ووفاءً بوعد الله، والله لا يخلف الميعاد، وليس للشهادة معنى إلا أن الله تعالى يثيب من حصلت له ثوابًا مخصوصًا، ويكرمه كرامة زائدة، وقد بين الحديث أنه يكفر ذنوبه المتعلقة بحقوق الله تعالى، ويتجاوز عنه الإخلال بها، بأن يترك معاقبته عليها، فإذا فرض أن الشهيد له أعمال صالحة، وقد كفرت الشهادة أعماله السيئة غير حقوق العباد، فإن أعماله الصالحة تنفعه في موازنة ما عليه من الحقوق والتبعات، فيوفى ما عليه من أعماله الصالحة بمن الله ورحمته، ولا يلزم من حصول الشهادة سقوط حقوق العباد، فإن عدم بقاء شيء من التبعات على السالم من الدين إنما هو من ضرورة الواقع، لا من جزاء الشهادة.

ومثال ذلك أن بعض خواص الملك لو ظلم آخر من أخصائه – مثلاً – فاقتص الملك منه للآخر حقه، لم يناف ذلك إكرامه لمن اقتص منه، بل الواقع أن كثيرًا منهم يبالغ في إكرام بعض أخصائه، ويستوفي مع ذلك منه حق من ليس من أخصائه، إيثارًا للعدل، ومحبة في الإنصاف، فكيف بمن " لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها " انتهى كلامه.

وقال الشوكاني في النيل: " ولا يخفى أن بقاء الدين في ذمة الشهيد لا يمنع من الشهادة، بل هو شهيد مغفور له كل ذنب إلا الدين " انتهى كلامه.

وليس هناك دليل يدل على المنع.

ولكن الدين مانع من فضل من فضائل الشهيد، وهو دخول الجنة حالا، فإن الشهيد مباشرة من حين يقتل يدخل الجنة، ومن استشهد وعليه دين حبس عن دخول الجنة حتى يقضى دينه.

والدليل على هذا ما جاء عن سمرة رضي الله عنه، قال: خطبنا رسول الله ﷺ، فقال: ((**هاهنا أحد من بني فلان ؟**) فلم يجبه أحد، ثم قال: (**هاهنا أحد من بني فلان ؟**) فلم يجبه أحد، ثم قال: (**ها هنا أحد من بني فلان ؟**) فقام رجل، فقال: أنا يا رسول الله، فقال ﷺ: (**ما منعك أن تجيبني في المرتين الأولين ؟ أما إني لم أنوه بكم إلا خيرا، إن صاحبكم مأسور بدينه**) فلقد رأيته أدى عنه حتى ما بقى أحد يطلبه) رواه أبو داود، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (**نفس المؤمن معلقة بدينه، حتى يُقضى عنه**) رواه ابن ماجه والحاكم، وقال حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه.

وعن سعد بن الأطول رضي الله عنه أن أخاه مات وترك ثلاثمائة درهم وترك عيالا، فأردت أن أنفقها على عياله، فقال النبي ﷺ: (**إن أخاك محتبس بدينه، فاقض عنه**) فقال: يا رسول الله ! قد أديت عنه إلا دينارين، ادعتهما امرأة وليس لها بينة، قال: (**فأعطها فإنها محقة**) رواه ابن ماجه، وصحح إسناده البوصيري، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه.

قال السندي في شرح ابن ماجه: " (**معلقة**) أي محبوسة عن الدخول في الجنة " انتهى كلامه، فالمعنى أن روحه محبوسة عن الصعود إلى السماء وعن دخول الجنة.

وعن محمد بن جحش رضي الله عنه قال: كنا جلوسا عند رسول الله ﷺ، فرفع رأسه إلى السماء ثم وضع راحته على جبهته، ثم قال: (**سبحان الله ماذا نزل من التشديد**) فسكتنا وفزعنا، فلما كان من الغد سألته: يا رسول الله ما هذا التشديد الذي نزل ؟ فقال: (**والذي نفسي بيده لو أن رجلا قتل في سبيل الله ثم أحيي ثم قتل ثم أحيي ثم قتل وعليه دين ما دخل الجنة حتى يقضي عنه دينه**) رواه النسائي والحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

وعن عبد الله بن جحش أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ماذا لي إن قتلت في سبيل الله ؟ قال: (**الجنة**) فلما ولى قال: (**إلا الدين سارني به جبريل عليه السلام آنفا**) قال الهيثمي: " رواه أحمد وفيه أبو كثير وهو مستور وبقية رجاله موثوقون " وقد قال الحافظ في التقريب عن أبي كثير أنه ثقة.

وعن جابر بن عبد الله أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: أرأيت إن جاهدت بنفسي ومالي فقتلت صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر أدخل الجنة ؟ قال: (**نعم**) فأعاد ذلك مرتين أو ثلاثاً قال: (**نعم إن لم يكن عليك دين ليس عندك وفاؤه**) قال الهيثمي: " رواه أحمد والبزار وإسناد أحمد حسن ".

وفي الحديث القدسي قال الله تعالى: (**أنا الملك، لا ينبغي لأحد من أهل الجنة يدخل الجنة، وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة**) رواه البخاري في الأدب المفرد عن جابر رضي الله عنه مرفوعا، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد.

والشهادة تكفر جميع الذنوب وتمحوها إلا الدين، فإنه لا يدخل في المغفرة، كما جاء عن أبي قتادة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قام فيهم فذكر أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال، قال: فقام رجل فقال: يا رسول الله أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي كلها ؟ فقال رسول الله ﷺ: (**نعم إن قتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر**) ثم قال رسول الله ﷺ: (**كيف قلت ؟**) قال: أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي ؟ فقال رسول الله ﷺ: (**نعم وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر إلا الدين، فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك**) رواه مسلم، وفي رواية الطيالسي زاد (**إلا الدين فإنه مأخوذ به**).

والحكمة في ذلك – والله أعلم – أن الشهيد يحبس عن دخول الجنة بدينه، لأنه قد يستوفي الدين والتبعات التي عليه أجوره وحسناته ولا يبقى له حسنة، فيكون تحت المشيئة وقد يدخل النار بسبب ذلك والعياذ بالله، كما في حديث (أتدرون من المفلس) وليس في الشرع شخص يدخل النار بعد دخول الجنة، بل من يدخل الجنة فإنه لا يدخل النار أبدا، ويلحق بالدين في الحكم والمنع وعدم المغفرة سائر حقوق الآدميين والتبعات، كالغصب والسرقة والقتل والضرب، فإنها أشد من الدين، فإن فعلها محرم والدين مباح.

قال الحافظ في الفتح: " وأما الحديث الآخر الصحيح " أن الشهيد يغفر له كل شيء إلا الدين فإنه يستفاد منه أن الشهادة لا تغفر التبعات، وحصول التبعات لا يمنع الشهادة، وليس للشهادة معنى إلا أن الله يثيب من حصلت له ثوابا مخصوصا، ويكرمه كرامة زائدة، وقد بين الحديث أن الله يتجاوز عنه ما عدا التبعات، فلو فرض أن للشهيد أعمالا صالحة، وقد كفرت الشهادة أعماله السيئة غير التبعات، فإن أعماله الصالحة تنفعه في موازنة ما عليه من التبعات، وتبقى له درجة الشهادة خالصة، فإن لم يكن له أعمال صالحة فهو في المشيئة، والله أعلم " انتهى كلامه.

وقال القرطبي في تفسيره: " قال علماؤنا: ذكر الدين تنبيه على ما في معناه من الحقوق المتعلقة بالذمم كالغصب وأخذ المال بالباطل وقتل العمد وجراحه وغير ذلك من التبعات، فإن كل هذا أولى ألا يغفر بالجهاد من الدين، فإنه أشد، والقصاص في هذا كله بالحسنات والسيئات حسبما وردت به السنة الثابتة " انتهى كلامه.

وقد ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها إلا الأمانة، قال: يؤتى بالعبد يوم القيامة – وإن قتل في سبيل الله – فيقال أدِّ أمانتك، فيقول: أي رب كيف وقد

ذهبت الدنيا، قال: فيقال: انطلقوا به إلى الهاوية، فينطلق به إلى الهاوية ويمثل له أمانته، كهيئتها يوم دفعت إليه، فيراها فيعرفها، فيهوي في أثرها حتى يدركها، فيحملها على منكبيه حتى إذا ظن أنه خارج زلت عن منكبيه، فهو يهوي في أثرها أبد الآبدين، ثم قال: الصلاة أمانة والوضوء أمانة و الوزن أمانة والكيل أمانة، وأشياء عددها، وأعظم ذلك الودائع، فأتيت البراء بن عازب فقلت: ألا ترى إلى ما قال ابن مسعود قال: كذا قال كذا قال: صدق أما سمعت الله يقول: (**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا**)) رواه البيهقي في الشعب، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، فهذا يؤيد ما سبق من عدم مغفرة التبعات على الشهيد، فإن الأمانة والودائع من التبعات، أما قوله في نفس الحديث " الصلاة أمانة " فهذا صحيح وتدخل في الأمانة، ولكنها تبقى من حقوق الله تعالى، والشهيد يغفر له كما سبق في الفضائل جميع الحقوق التي بينه وبين الله تعالى، أما غيره فيحاسب عليها.

وقال القرطبي في تفسيره: " فإن قيل فهذا يدل على أن بعض الشهداء لا يدخلون الجنة من حين القتل ولا تكون أرواحهم في جوف طير كما ذكرتم ولا يكونون في قبورهم فأين يكونون ؟

قلنا: قد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: (**الشهداء على نهر بباب الجنة يقال له بارق يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا**) فلعلهم هؤلاء والله أعلم " انتهى كلامه.

ويؤيد هذا وأن هذا الحديث محمول على الشهداء الذين عندهم مانع يمنعهم من دخول الجنة أنه ورد في حديث سمرة رضي الله عنه عند الطيالسي والطبراني عن النبي ﷺ: (**إن صاحبكم محبوس بباب الجنة بدين عليه**) وصححه الألباني في الصحيحة، فهذا يدل على أن من عليه دين يحبس بباب الجنة، ويدل على أن الشهداء فضلوا على غيرهم في هذا الحبس بكونهم على نهر، وخروج رزقهم إليهم بكرة وعشيا، وكونهم في قباب، والله أعلم.

قال المناوي على حديث (**الشهداء على بارق نهر**...) قال: " وهذا في الشهداء الذين حبسهم عن دخول الجنة تبعة، فلا ينافي ما (جاء في) أحاديث أخرى أن أرواحهم في جوف طيور خضر تسرح في الجنة أو في قناديل تحت العرش " انتهى كلامه، وما بين القوسين زيادة يقتضيها السياق.

فإن قيل: هل كل دين يحبس به صاحبه عن الجنة ؟

فالجواب: أنه ليس كل دين يحبس صاحبه عن الجنة، فقد يستشهد الشخص وعليه دين، ويدخل الجنة مع ذلك.

قال القرطبي في تفسيره: " الدين الذي يحبس به صاحبه عن الجنة – والله أعلم – هو الذي قد ترك له وفاء ولم يوص به، أو قدر على الأداء فلم يؤده، أو ادَّان في سرف أو في سفه ومات ولم يوفه، وأما من ادَّان في حق واجب لفاقة وعسر ومات ولم يترك وفاء، فإن الله لا يحبسه عن الجنة إن شاء الله، لأن على السلطان فرضا أن يؤدي عنه دينه، إما من جملة الصدقات أو من سهم الغارمين أو من الفيء الراجع على المسلمين، قال ﷺ: (من ترك دينا أو ضياعا فعلى الله ورسوله ومن ترك مالا فلورثته) انتهى كلامه.

وقال القرطبي في التذكرة بعد هذا الكلام: " فإن لم يؤد عنه السلطان، فإن الله يقضي عنه ويرضي خصمه " ثم ذكر الدليل قوله ﷺ: **(من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ومن أخذ يريد إتلافها أتلفه الله)** رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال الحافظ في الفتح: " قال ابن بطال: فإن لم يعط الإمام عنه من بيت المال لم يحبس عن دخول الجنة، لإنه يستحق القدر الذي عليه في بيت المال، ما لم يكن دينه أكثر من القدر الذي له في بيت المال مثلا، قلت: والذي يظهر أن ذلك يدخل في المقاصصة، وهو كمن له حق وعليه حق، وقد مضى أنهم إذا خلصوا من الصراط حبسوا عند قنطرة بين الجنة والنار يتقاصون المظالم حتى إذا هذبوا ونقوا، أذن لهم في دخول الجنة، فيحمل قوله لا يحبس أي معذبا مثلا والله أعلم" انتهى كلامه.

وقد قال ﷺ: **(من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدَّى الله عنه ومن أخذ يريد إتلافها أتلفه الله)** رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قال الحافظ في الفتح: " فقد نطق الحديث بأن الله يؤدي عنه، إما بأن يفتح عليه في الدنيا، وإما بأن يتكفل عنه في الآخرة " وقال أيضا: " قوله **(أدى الله عنه)** وفي رواية الكشميهني **(أداها الله عنه)** ولابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث ميمونة **(ما من مسلم يدين دينا يعلم الله أنه يريد أداءه إلا أداه الله عنه في الدنيا)** وظاهره يحيل المسألة المشهورة فيمن مات قبل الوفاة بغير تقصير فيه، كأن يعسر مثلا، أو يفجأه الموت وله مال مخبوء وكانت نيته وفاء دينه، ولم يوف عنه في الدنيا، ويمكن حمل حديث ميمونة على الغالب، والظاهر أنه لا تبعة عليه والحالة هذه في الآخرة، بحيث يؤخذ من

حسناته لصاحب الدين، بل يتكفل الله عنه لصاحب الدين، كما دل عليه حديث الباب، وإن خالف في ذلك ابن عبد السلام والله أعلم " انتهى كلامه.

وكذا من أدان دينا بحق وترك وفاء له وأوصى ولم يفرط في أدائه، فإنه لا يحبس صاحبه عن الجنة، والدليل على ذلك قصة عبد الله بن حرام رضي الله عنه، فإنه قد استشهد وعليه دين وترك وفاء وأوصى ابنه جابر، ومع ذلك أخبر النبي ﷺ أنه كلم الله كفاحا، فعن جابر بن عبداللّه– رضي اللّه عنهما– قال: لما حضر قتال أُحد دعاني أبي فقال: إني لا أراني إلا مقتولاً في أول مَنْ يقتل من أصحاب محمد – ﷺ – وإني واللّه ما أترك أحدًا أعزَّ عليَّ منك بعد نفس رسول الله – ﷺ – وإن عليَّ دينًا فاقض ديني واستوص بإخوتك خيرًا، قال: فأصبحنا فكان أول قتيل، قال: فدفنته مع آخر في قبر ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع آخر في قبر، فاستخرجته بعد ستة أشهر، فإذا هو كيوم وضعته غير هنيهة عند أذنه " رواه مسدد في مسنده والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم، فهذا في الوصية.

وأما في ترك الوفاء، فروى النسائي وأبو يعلى عن جابر رضي الله عنه قال: كان ليهودي على أبي دين تمر، وترك أبي حديقتين، وتمر اليهودي يستوعب الحديقتين، فقال له النبي ﷺ: **(هل لك أن تأخذ العام بعضا وتؤخر بعضا إلى قابل ؟)** فأبى اليهودي، فقال لي النبي ﷺ: **(يا جابر إذا حضر الجداد فآذِنِّي)** فآذنته، فجاء النبي ﷺ وأبو بكر وعمر فجعل يكال له من أسفل النخل والنبي ﷺ يدعو بالبركة، فوفيناه حقه، قال عمار: أراه من أصغر الحديقتين، قال: ثم أتيناهم برطب، فأكلوا وشربوا، ثم قال النبي ﷺ: **(هذا من النعيم الذي تسألون عنه)** وصحح إسناده الألباني في صحيح النسائي.

وقد جاء عن جابر بن عبد الله قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت إن جاهدت في سبيل الله صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر حتى أقتل أدخل الجنة ؟ قال: **(نعم إلا أن يكون عليك دين، ليس عندك له وفاء)** رواه أبو يعلى وأحمد والبزار، قال الهيثمي وإسناد أحمد حسن.

فإن قيل: وإذا حبس الشهيد فماذا بعد الحبس ؟

الجواب: أنه يحبس حتى يكون يوم القيامة، فيقتص الدائن من المدين بالحسنات والسيئات، فإنه يوم القيامة ليس هناك درهم ولا دينار، فإن استوفى الدين حسناته طرح عليه من سيئات الدائن حتى

يستوفي الدائن حقه ثم يكون تحت المشيئة إن شاء غفر الله له وإن شاء عذبه، لأنه لا يبقى له حسنة ولا يكون له إلا السيئات.

وذلك كما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**أتدرون ما المفلس ؟**) قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: (**إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار**) رواه مسلم.

وهذا يدل على خطورة الأمر والدين وحقوق الآدميين، فإن الشهادة مع كونها منزلة عظيمة ودرجة عالية تغفر جميع الذنوب، ولا تغفر حقوق الآدميين، وقد سبق أن النبي ﷺ أقسم أنه لو قتل الرجل ثلاث مرار، وحصلت له ثلاث شهادات، لم يدخل الجنة حتى يقضى دينه، وهذا أمر خطير فيجب على من طلب الشهادة أن يبرئ ذمته من الديون قبل طلبها، وقبل أن يخرج، حتى تغفر له جميع الذنوب ولا يحبس عن الجنة، ولا يطالبه أحد يوم القيامة، ويكون له أجره وافرا.

فإن قيل: إن ضمن أحد سداد دين الميت هل تبرأ ذمة الميت بمجرد الضمان أم لا تبرأ إلا بسداده ؟

الجواب: أنه لا تبرأ ذمة الميت بمجرد الضمان، بل لابد من السداد، وذلك لما جاء عن جابر رضي الله عنه قال: توفي رجل فغسلناه وكفناه وحنطناه، ثم أتينا به رسول الله ﷺ يصلي عليه، فقلنا: تصلي عليه ؟ فخطا خطوة، ثم قال: (**أعليه دين ؟**) قلت: ديناران، فانصرف، فتحملها أبو قتادة، فأتيناه فقال أبو قتادة: الديناران علي، فقال رسول الله ﷺ: (**قد أوفى الله حق الغريم وبرئ منها الميت ؟**) قال: نعم، فصلى عليه، ثم قال بعد ذلك بيوم: (**ما فعل الديناران ؟**) قلت: إنما مات من الأمس قال: فعاد إليه من الغد قال: قد قضيتهما، فقال رسول الله ﷺ: (**الآن بردت عليه جلدته**) رواه أحمد والبزار والحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي وإسناده حسن، وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

فإن قيل: ديون الله التي على الميت من الزكوات والكفارات وغيرها هل تغفر للشهيد ولا تمنع من دخول الجنة ؟

الجواب: قال المناوي في الفيض عند قوله ﷺ **(إلا الدين)** قال: " وظاهر أن المراد بالدين دين الآدمي لا دين الله " انتهى كلامه، وذلك أن حقوق الله مبنية على المسامحة، وحقوق الآدميين مبنية على المشاحة.

* * *

۞ الباب الرابع: فضائل الشهادة والشهداء

تمهيد:

قال المناوي في الفيض: " الفضائل جمع فضيلة، قال الراغب وهي اسم لما يحصل به الإنسان مزية على الغير، وهي أيضا اسم لما يتوصل به إلى السعادة، ويضادها الرذيلة " انتهى كلامه.

وقال القرطبي في المفهم: " الفضائل جمع فضيلة، وهي الخصلة الجميلة التي يحصل لصاحبها بسببها شرف وعلو منزلة عند الحق والخلق، والثاني لا عبرة به إلا إن أوصل إلى الأول " انتهى كلامه.

إن الشيء لا تعرف مكانته ومنزلته إلا بمعرفة فضائله التي فضل بها وارتفع وتميز بها على غيره من الأشياء وقلة عيوبه، فبحسب فضائل الشئ وقلة عيوبه تكون منزلته ومكانته في نفسه وعند الخلق، فكلما قلت الفضائل وصغرت، قلت مكانته في نفسه وفي النفوس، وكلما ازدادت فضائل الشئ وعظمت ارتفعت مكانته في نفسه وفي نفوس الخلق، وأحبته القلوب وطلبته، وكان هذا فضيلة لوحدها دالة على فضله، فمبنى مراتب الأشياء على الفضائل، وهذا عام في كل شئ، قال المتنبي:

إن كنت عن خير الأنام سائلا ** فخيرهم أكثرهم فضائلا

ألا وإن من الأمور ذات الفضائل الكثيرة والعظيمة الشهادة في سبيل الله، بل لم يرد في فضائل الأعمال مثل ما ورد في فضل الجهاد والشهادة كثرة وعظمة مطلقا، قال المناوي في الفيض " الشيء إنما يفضل ويشرف بشرف ثمرته " انتهى كلامه، وما تثمره الشهادة من الفضائل أمر عظيم فهذا يدل على فضلها وشرفها، بشرف فضائلها.

فحق لمن عرف فضائلها أن يهيم في حبها وعشقها، وأن يحترق قلبه شوقا إليها، وأن يجهد نفسه في طلبها، ويسابق غيره في تحصيلها، وهي أهل لذلك، بل لو أفنى الإنسان عمره في ذلك لكان قليلا في حقها، بل إن الشخص إذا عرف فضائلها لتتقاصر نفسه وتتحاقر عن أهليته لهذه المنزلة ذات الفضائل الكثيرة، كما تتحاقر نفس القبيح التافه عن الحسناء الجميلة الرفيعة أن يكون أهلا لها، ولولا فضل الله الواسع لما أقدم على طلبها.

هذا وقد جمعت الشهادة في فضائلها بين الكثرة والعظمة، فلم تقل ولم تصغر مع كثرتها، وهذا قلما يجتمع في الوجود.

ولكثرة فضائل الشهادة كثر عاشقوها وطالبوها، فعشقوها وفيها أبغض شيء إلى النفوس وهو الموت، وطلبوها وفيها من المتاعب والمشاق والعوائق مالا يعبِّر عنه اللسان ولا يستطيع خطه البنان، وما ذاك إلا أن فضائلها العظيمة الوفيرة قد أعمت البصر والفؤاد عن رؤية هذا الأمر، وجعلهم يستسهلون الصعاب ويستسيغون المكروه رغبة في تحصيلها، ولا تجد في الأعمال الصالحة الأخرى من يحبها كما يحب طلاب الشهادة للشهادة، وذلك لإن حبهم لها قد بلغ مرحلة عظيمة من المخاطرة بالنفس والمال في سبيل تحصيلها، فلله كم لها مِن قتيل وسليبٍ وجريح، وكم أُنفِقَ في حبها من الأموال والأرواح، وَرَضِيَ المحب بمفارقةِ فِلَذِ الأكباد والأهل، والأحباب والأوطان، مقدِّماً بين يديه أنواع المخاوف

والمتالف، والمعاطف والمشاق، وهو يستلذ ذلك كله ويستطيبه ويراه لو ظهر سلطان المحبة في قلبه أطيب من نعم المتحلية وترفهم ولذاتهم

يستعذبون مناياهم كأنهم ** لا يخرجون من الدنيا إذا قتلوا

قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة: " لكن أين هذه اللذة من اللذة بأمر إذا خالط بشاشته القلوب سلى عن الأبناء والنساء والأوطان والأموال والإخوان والمساكن، ورضي بتركها كلها والخروج منها رأسا، وعرض نفسه لأنواع المكاره والمشاق، وهو متحل بهذا منشرح الصدر به يطيب له قتل ابنه وأبيه وصاحبته وأخيه، لا تأخذه في ذلك لومة لائم، حتى إن أحدهم ليتلقى الرمح بصدره ويقول فزت ورب الكعبة، ويستطيل الآخر حياته حتى يلقي قوته من يده، ويقول إنها لحياة طويلة إن صبرت حتى أكلها، ثم يتقدم إلى الموت فرحا مسرورا " انتهى كلامه.

وقال خالد بن الوليد رضي الله عنه للفرس: لقد جئتكم برجال يحبون الموت كما تحب فارس الخمر.

وقال هو أيضا: (ما ليلة تهدى إلي فيها عروس أنا لها محب أو أبشر بغلام، أحب إلي من ليلة شديدة البرد، كثيرة الجليد، في سرية أصبح فيها العدو، فعليكم بالجهاد) رواه ابن المبارك وأبو يعلى، قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح.

قال الذهبي في السير: " وروى محمد بن عمران، عن حاتم الأصم قال: كنا مع شقيق، ونحن مصافو العدو الترك، في يوم لا أرى إلا رؤوسا تندر، وسيوفا تقطع، ورماحا تقصف، فقال لي: كيف ترى نفسك، هي مثل ليلة عرسك ؟ قلت: لا والله، قال: لكني أرى نفسي كذلك، ثم نام بين الصفين على درقته حتى غط، فأخذني تركي، فأضجعني للذبح، فبينا هو يطلب السكين من خفه، إذ جاءه سهم عائر ذبحه.

قال طليحة الأسدي لما رأى انهزاما من أصحابه في معركته مع خالد بن الوليد في حرب الردة: ما يهزمكم ؟ فقال رجل: أنا أحدثك ليس منا رجل إلا وهو يحب أن يموت صاحبه قبله، وإنا نلقى قوما كلهم يحب أن يموت قبل صاحبه " انتهى من سير أعلام النبلاء.

وأنا هنا أعجب ويزداد عجبي من شخصين:

الأول: رجل قد قرأ فضائل الشهادة ولم يَهِم بها، ولا تحركت نفسه لطلبها، وهو يدعي الإيمان بالله ورسوله ﷺ، فهو إمَّا رجل قد بلغ الحضيض في دناءة الهمة وخستها، أو رجل ميت القلب لا يشعر بما يقرأ.

الثاني: رجل يدعي عشق الشهادة وحبها، وهو لا يعرف أكثر فضائلها، بل إذا حدث عن فضائلها لم يرفع بذلك رأسا، ومن أحب أمرا حرص على معرفة أي شئ عنه، حتى ولو كان من الأوصاف التافهة، فكيف بفضائل الأمر الذي أحب.

وهذا الباب لبُّ الكتاب، والمقصود من التأليف، وغيره من الأبواب تبع له، فإن الحديث عن فضائل الشهادة هو الذي يبعث النفوس إلى حبها وطلبها والسعي في حصولها، فالحب هو المحرك للنفوس، ولا ينبعث الحب إلا بمعرفة الفضائل، فلم ينبعث أحد قبلا ولن ينبعث أحد بعدا لطلب الشهادة إلا بعد معرفة فضلها، وهذا أمر معلوم بالضرورة.

وقد حرصت على تتبع فضائل الشهادة من القرآن وأمهات كتب السنة والحديث وكلام العلماء، وفضائل الشهداء كثيرة جدا، وأنا في هذا المقام لا أدَّعي الحصر لها، ولكن سأجتهد في جمعها، وقد يفوتني بعض الفضائل فلا أذكره لكثرة فضائل الشهادة، قال ابن النحاس في المشارع: " وقد من الله سبحانه على الشهداء بفضائل لا تحصى ومآثر لا تستقصى" انتهى كلامه.

وقال ابن عبد البر في الاستذكار:"وفضائل الشهداء والشهادة كثيرة جدا " انتهى كلامه.

وقال هو أيضا في التمهيد على حديث تمني النبي ﷺ للشهادة: " وهذا الحديث إنما معناه الذي من أجله خرج فضلُ الجهادِ وفضلُ القتلِ في سبيل الله وفضلُ الشهادةِ، وقد علمنا أن ذلك لا يحيط به كتاب فكيف أن يجمع في باب والله الموفق للصواب " انتهى كلامه.

وقال صديق حسن خان في فتح البيان: " وثبت في فضل الشهداء ما يطول تعداده، ويكثر إيراده، مما هو معروف في كتب الحديث " انتهى كلامه.

وقال الشيخ عبد الله عزام في التربية الجهادية والبناء: " والشهداء لهم منازل ودرجات، ولهم مآثر ومناقب وفضائل عند ربهم كثيرة " انتهى كلامه.

وعندما بدأت أقرأ عن فضائل الشهادة وأجمع الأحاديث في ذلك بدا لي أن فضائلها عظيمة وكثيرة، ولكن عندما بدأت في تعدادها وشرحها في الكتاب أذهلتني بكثرتها وعظمتها على ما كنت متصوره عنها بأضعاف مضاعفة، فمع حرصي الشديد، قبل أن أفكر في تأليف الكتاب على معرفة ما أعد للشهيد من فضائل، لم أكن أعرف وأحفظ منها ولا ربع ما وجدته وعرفته لاحقا عند بداية التعداد والشرح.

وما أخفي عنا من فضائل الشهيد في الجنة أعظم وأعظم، قال تعالى في حق من هو أقل من الشهيد درجة (**فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**) وقد روى ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**يقول الله عزوجل: أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**) قال أبو هريرة: ومن بله ما قد أطلعكم الله عليه، اقرأوا إن شئتم (**فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**) قال: وكان أبو هريرة يقرؤها (**من قرات أعين**) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه.

قال السندي في حاشيته على ابن ماجه في معنى (بله):" قيل هو بموحدة مفتوحة وسكون لام وفتح هاء، بمعنى دع أي دع ما أطلعتم عليه من نعيم الجنة وعرفتموها من لذاتها فالذي لم يطلعكم عليه أعظم وأعلى " انتهى كلامه.

فهذه الفضائل بالنسبة لما أخفي - كما وصف - غيض من فيض، ورذاذ من وبل، ورشاش من سجل، وشرارة من نار، وقراضة من دينار، وقطرة من نهر، ووشل من بحر، ومهما تخيل المسلمون فضل الشهادة واعتقدوا فيها فهي فوق ما تخيلوا واعتقدوا، وفوق ما حفظوا من فضائلها، ويدل على ذلك ما جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**ما من نفس تموت لها عند الله خير يسرها أنها ترجع إلى الدنيا ولا أن لها الدنيا وما فيها إلا الشهيد فإنه يتمنى أن يرجع فيقتل في الدنيا لما يرى من فضل الشهادة**) رواه مسلم.

ولنضرب مثلا يوضح هذا، لو أن رجلا دخل تجارة وظن أنها سنربحه ألف دينار، ولم يعتقد الزيادة على الألف، وكان مترددا خائفا من الخسارة، فربح من جراء هذه التجارة ألف ألف، وتبين له أن لا خسارة فيها، وأنها آمنة، ماذا ستراه يتمنى ؟ سيتمنى أن لو يرجع في صفقته تلك مرة أخرى، ومرات عديدة، بل ويضاعف رأس المال كي يربح أكثر، فكذا حال الشهداء اعتقدوا فضائل معينة ومحدودة، ولم يصلوا إلى درجة عين اليقين التي يشاهدون بها ما أعد لهم من الفضائل حتى يزدادوا طمأنينة في أمان

طريق الشهادة ووصولهم إلى فضائلها، فإذا وصلوا وعاينوا أضعاف ما أعتقدوا وحفظوا من النعيم والفضائل تمنوا الرجوع كي يقتلوا أكثر من مرة.

ونحب أن ننبه على أمر، أن كل فضل ثبت لشهيد الآخرة لشهادته فهو ثابت لشهيد المعركة، وذلك لاشتراكهما في مسمى الشهادة، ورفعة شهيد المعركة عليه، ولا عكس في ذلك، فليس كل ما ثبت لشهيد المعركة فهو ثابت لشهيد الآخرة، لعلو الأول على الثاني، ونقصد بشهيد الآخرة من حصلت له شهادة الآخرة بلا سبب من أسباب التفاضل.

وفضائل الشهادة قسمان:

١ . قسم نص الشارع أنها فضيلة للشهادة.

٢.قسم شهدت له النصوص العامة أنه فضيلة للشهادة، كفضل حسن خاتمة الشهيد.

وإذا كان الحديث يحوي مجموعة فضائل فإني أقطعه على الفضائل، وأفرد كل فضيلة لوحدها، وأذكر الحديث كاملا في أول فضيلة منه.

وهذه الفضائل التي سنذكرها هي في شهادة الدنيا والآخرة، أي في شهيد المعركة، ولن نتطرق لشهادة الآخرة في ذلك، فلا يلزم أن تكون هذه الفضائل ثابتة لها أيضا.

وقد أفصل وأمهد لأصل الفضل، وأفصل في ضده، وذلك لبيان عظمة الفضل، إذ الشيء لا يظهر حسنه وفضله إلا ببيان ضده:

فالضد يظهر حسنه الضد ** وبضدها تتبين الأشياء

فمثلا فضل أن الشهيد لا يجد من ألم القتل إلا مثل القرصة، لابد أن نبين هنا سكرات الموت ونذكر ونفصِّل في شدته، حتى يظهر عظمة الفضل، وبعض الناس أصلا لا يعلم بأصل المسألة، فلا يفهم الفضل حتى تمهد له.

وفضائل الشهيد تنقسم إلى خمسة أقسام:

١ . فضائل عامة ٢. فضائل في الحياة الدنيا ٣. فضائل في حياة البرزخ ٤. فضائل في يوم القيامة والبعث ٥. فضائل في الجنة وبعد دخولها.

وقد رتبتها في الذكر على هذه الأقسام الخمسة، فبدأت بفضائل الشهيد العامة، ثم فضائل في الدنيا قبل خروج الروح، ثم فضائل البرزخ، ثم البعث، ثم الجنة ودخولها، وليعلم أن الفضائل التي تحصل للشهيد في البرزخ وغيره لا تزول عنه يوم القيامة، بل بعضها يزول إلى أفضل، وبعضها لا يزول حتى في الآخرة.

وهنا أوان الشروع في تلك الفضائل:

الفضيلة الأولى: الشهيد تثبت له فضائل الجهاد العظيمة:

الجهاد أفضل الأعمال وأحبها إلى الله تعالى، وله فضائل كثيرة وعظيمة، قال شيخ الإسلام في المجموع: " والأمر بالجهاد وذكر فضائله في الكتاب والسنة أكثر من أن يحصر " وقال أيضا عن فضائل الجهاد " وهذا باب واسع لم يرد في ثواب الأعمال وفضلها مثل ما ورد فيه " انتهى كلامه.

وللجهاد فضائل عامة تثبت لكل مجاهد، وهناك فضائل خاصة على أعمال خاصة كالحراسة والرمي وغيره وأجورها، ومعلوم أن كل شهيد فهو مجاهد، وعلى ذلك كل ما ثبت للمجاهد من الأجر والفضل فهو ثابت للشهيد بلا شك، فتكون فضائل الجهاد فضائلا للشهيد، قال القرطبي في تفسيره:" قال أبو عبيد: إن الله إذا حَمِدَ من قاتل كان من قُتِل داخلا فيه وإذا حَمِد من قُتِل لم يدخل فيه غيرهم " انتهى.

وسأذكر فضائل الجهاد باختصار، لكونها فضائلا للشهيد، وتحريضا على الجهاد، إذ هو السبيل الأعظم لنيل الشهادة:

١. ثبوت الجنة للمجاهد:

كما قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ **الصف.**

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة)** رواه أبو داود والترمذي، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

٢. المجاهد حرام على النار:

وعن عبد الرحمن بن جبر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار)** رواه البخاري.

عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(من قاتل في سبيل الله فواق ناقة حرم الله وجهه على النار)** رواه أحمد في مسنده، وقال الهيثمي: وفيه عبد العزيز بن عبيد الله وهو ضعيف.

٣. الجهاد أفضل الأعمال بعد الفرائض:

قال تعالى: ﴿ **أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩) الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ التوبة.**

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ: **(أي الأعمال أفضل ؟) قال: (إيمان بالله ورسوله)** قيل: ثم ماذا ؟ قال: **(الجهاد في سبيل الله)** قيل: ثم ماذا ؟ قال: **(حج مبرور)** متفق عليه.

وعن ماعز رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه سئل أي الأعمال أفضل ؟ قال: **(إيمان بالله وحده، ثم الجهاد، ثم حجة برَّة تفضل على سائر الأعمال كما بين مطلع الشمس إلى مغربها)** رواه الإمام أحمد، ورجاله رجال الصحيح كما قال ابن النحاس.

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ أي الأعمال أفضل ؟ قال: **(إيمان بالله وجهاد في سبيله)** متفق عليه.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله: نرى الجهاد في سبيل الله أفضل الأعمال، أفلا نجاهد ؟ قال: **(لكن أفضل الجهاد حج مبرور)** رواه البخاري.

وعن أبي قتادة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قام فيهم فذكر أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال قال: فقام رجل فقال: يا رسول الله أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي كلها ؟ فقال رسول الله ﷺ: **(نعم إن قتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر)** ثم قال رسول الله ﷺ: **(كيف قلت ؟)** قال: أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي ؟ فقال

رسول الله ﷺ: (**نعم وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر إلا الدين، فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك**) رواه مسلم.

٤. الجهاد أحب الأعمال إلى الله تعالى:

عن عبد الله بن سلام قال: (قعدنا نفر من أصحاب رسول الله ﷺ، فتذاكرنا وقلنا لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لعملناه، فأنزل الله تعالى: (**سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**) قال عبد الله فقرأها علينا رسول الله ﷺ) رواه الترمذي والحاكم، وقال الذهبي صحيح على شرط البخاري ومسلم، وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

٥. المجاهد في ضمان الله وكفالته وهدايته من حين يخرج من بيته:

كما قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾ **العنكبوت**.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه من بيته إلا الجهاد في سبيله وتصديق بكلماته أن يدخله الجنة أو يرده إلى مسكنه بما نال من أجر أو غنيمة**) رواه البخاري، وفي رواية (**انتدب الله**) وفي رواية مسلم (**تضمن الله**) ومعنى الكفالة والضمان هنا تحقيق الموعود من الله تعالى، فإن الضمان والكفالة مؤكدان لما يضمن ويتكفل به وتحقيق ذلك من لوازمها.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**ثلاثة حق على الله عونهم المجاهد في سبيل الله والمكاتب الذي يريد الأداء والناكح الذي يريد العفاف**) رواه عبد الرزاق بإسناد صحيح كما قال ابن النحاس.

٦. الجهاد ذروة سنام الإسلام:

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فقال: (**إن شئت أنبأتك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه**) قلت: أجل يا رسول الله، قال: (**أما رأس الأمر فالإسلام، وأما عموده فالصلاة، وأما ذروة سنامه فالجهاد**) رواه الحاكم ورواه الترمذي وغيره مطولا، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، قال ابن النحاس: " وإنما شبه الجهاد بذروة سنام البعير، لإن ذروة السنام

وهي أعلاه لا يعادلها شيء من أجزاء البعير، كذلك الجهاد لا يعادله شئ من أعمال الإسلام، لقوله ﷺ لما سئل ما يعدل الجهاد في سبيل الله قال: **(لا أجده)** وفي رواية **(لا تستطيعونه)** انتهى.

وقال أيضا:" وشبه الجهاد بذروة سنامه إذ كان لا ينالها إلا أطول الناس جسدا أو مالا، كذلك الجهاد لا يناله إلا أفضل المؤمنين سابقة أو مالا، كما قال ﷺ: (لا يناله إلا أفضلهم)" انتهى كلامه.

٧. الجهاد رهبانية أمة محمد ﷺ:

عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **(وإن لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله عز وجل) رواه أحمد، وفيه زيد بن العمي وهو ضعيف وقد وثق وله طرق وشواهد.**

قال ابن النحاس في المشارع:" ولما كانت الرهبانية عبارة عن تحمل أشق ما يكون على النفس، سمي الجهاد أيضا رهبانية، لأنه بذل النفس والمال، وهذا أشق ما يكون، وشتَّان بين من يجاهد نفسه مع حياتها وتناول بعض ملذوذاتها، وبين من عرضها لأعظم مكروهاتها وحرص على فنائها، وإن كان سبب بقاءها وحياتها " انتهى كلامه.

قال المناوي:" أي إلزم الجهاد فإنه رهبانية الإسلام، أي أن الرهبان وإن تخلوا عن الدنيا وزهدوا فيها، فلا تخلي وزهد أفضل من بذل النفس في سبيل الله، فكما أن الرهبانية أفضل عمل أولئك، فإن الجهاد أفضل عملنا " انتهى من الفيض.

٨. الجهاد سياحة أمة محمد ﷺ:

عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رجلا استأذن رسول الله ﷺ في السياحة فقال: **(إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله عز وجل)** رواه أبو داود والحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

قال ابن النحاس في المشارع:" لما كانت السياحة هي السير في الأرض على سبيل الفرار من الأغيار، والنظر إلى الآثار بعين الاعتبار، سمي الجهاد في سبيل الله سياحة لأنه فرار من الوجود وسير إلى المعبود على قدم الإيمان والتصديق بالموعود، ونظر للنفس بعين الإنصاف في تسليمها إلى المشتري خروجا من عالم الخلاف، وشتَّان بين من هو سائر بنفسه ينزِّهها، وبين من هو مجتهد عليها ليتلفها، هذا هو السائح يقينا، والبائع نفسه بالربح الأعظم فوزا مبينا " انتهى كلامه.

قال المناوي في فيض القدير:" إن سياحة أمتي ليست هي مفارقة الوطن، وهجر المألوفات، وترك اللّذة والجمعة والجماعات، والذهاب في الأرض والانقطاع عن النساء، وترك النكاح للتخلّي للعبادة، بل هي الجهاد في سبيل الله، أي قتال الكفار بقصد إعلاء كلمة الجبّار" انتهى كلامه.

٩. الجهاد يوجب رفعة الدرجات في الجنة:

كما قال تعالى: ﴿ **لا يستوي القاعدون من لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ النساء.**

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان كان حقا على الله أن يدخله الجنة، هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها**) قالوا: يا رسول الله أفلا ننبئ الناس بذلك ؟ قال: (**إن في الجنة مائة درجة أعدَّها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتموا الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجَّر أنهار الجنة**) رواه البخاري.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولا وجبت له الجنة**) فعجب لها أبو سعيد فقال: أعدها علي يا رسول الله، فأعادها عليه، ثم قال: (**وأخرى يرفع الله بها للعبد مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض**) قال: وما هي يا رسول الله ؟ قال: (**الجهاد في سبيل الله**) رواه مسلم.

١٠. المجاهد خير الناس وأفضل الناس:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: أي الناس أفضل ؟ قال: (**مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله**) قال: ثم من ؟ قال: (**رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شرّه**) متفق عليه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ خرج عليهم وهم جلوس في مجلس لهم، فقال: (**ألا أخبركم بخير الناس منزلا ؟**) قالوا: بلى يا رسول الله، قال: (**رجل أخذ برأس فرسه في سبيل الله حتى يموت أو يقتل، ألا أخبركم بالذي يليه ؟**) قلنا: بلى يا رسول الله، قال: (**امرؤ معتزل في شعب يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعتزل شرور الناس، أو أخبركم بشرِّ الناس ؟**) قلنا: بلى يا رسول الله، قال: (**الذي يُسأل بالله ولا يعطي**) رواه ابن المبارك والترمذي والنسائي، وصححه الألباني في الصحيحة.

١١. لا أحد يستطيع عملا يعدل الجهاد:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله ما يعدل الجهاد في سبيل الله ؟ قال: (**لا تستطيعونه**) فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثا، كل ذلك يقول: (**لا تستطيعونه**) ثم قال: (**مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد في سبيل الله**) رواه البخاري ومسلم.

قال ابن النحاس في المشارع: " فإذا كان أولوا الهمم العليَّة، والنفوس الأبيَّة، والشهامة الدينيَّة، المضاعفة أجورهم بالصحبة النبويَّة، الفائزون بالسبق إلى كلِّ كمال، الحائزون من رتب الاجتهاد كل مقام عال، لا يستطيعون عملا يعدل الجهاد، فكيف تقرُّ أعين أمثالنا من غير اجتهاد، وكيف تسكن إلى الأعمال اليسيرة بالهمم الدنيَّة الحقيرة، مع ما يشوبها من الرياء وعدم الإخلاص، والدسائس التي لا يكاد يرجى معها خلاص، اللهم أيقظنا من هذه الغفلة، ووفِّقنا للجهاد في سبيلك قبل حلول النقلة، فأنت المرجو لكل خير، ولا حول ولا قوة إلا بالله " انتهى كلامه.

١٢. الجهاد باب من أبواب الجنة:

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**جاهدوا في سبيل الله، فإن الجهاد في سبيل الله باب من أبواب الجنة، ينجي الله تعالى به من الهم والغم**) رواه عبد الرزاق في مصنفه وأحمد بإسناد جيد كما قال ابن النحاس.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**من أنفق زوجين في سبيل الله نودي في الجنة يا عبد الله هذا خير فتعال، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من**

أهل الصيام دعي من باب الريان) قال أبو بكر: بأبي أنت وأمي فما على من يدعى من تلك الأبواب كلها من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ؟ قال رسول الله ﷺ: **(نعم وأرجو أن تكون منهم)** رواه البخاري ومسلم وأحمد.

وفي رواية لأحمد صحيحة كما قال ابن النحاس: **(من أنفق زوجين في سبيل الله – أو قال – زوجين من ماله دعته خزنة الجنة: يا مسلم هذا خير هلم إليه)** فقال أبو بكر رضي الله عنه: هذا رجل لا توى عليه، فقال رسول الله ﷺ: **(ما نفعني مال قطّ إلا مال أبي بكر)** قال: فبكى أبو بكر رضي الله عنه وقال: **(وهل نفعني الله إلا بك، وهل نفعني الله إلا بك)**.

ومعنى لا توى: أي لا ضياع عليه ولا خسارة.

١٣. الجهاد يذهب الله به الهم والغم:

سبق الحديث قريبا.

١٤. الجهاد يوجب مضاعفة أجور الأعمال:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى – يعني ليلة أسري به – على قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم، كلما حصدوا عاد كما كان، فقال: **(يا جبريل من هؤلاء ؟)** قال: **(هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبع مائة ضعف)** رواه البزار والبيهقي وقال الهيثمي " ورجاله موثقون إلا أن الربيع بن أنس قال عن أبي العالية أو غيره فتابعيه مجهول".

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: **(ما من عبد يصوم يوما في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفا)** رواه البخاري ومسلم.

١٥. الجهاد يوجب المغفرة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: مر رجل بشعب فيه عيينة من ماء عذبة فقال: لو اعتزلت الناس فأقمت في هذا الشعب ؟ ولن أفعل حتى أستأذن رسول الله ﷺ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: **(لا تفعل، فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاما، ألا تحبون أن يغفر الله**

لكم ويدخلكم الجنة ؟ أغزو في سبيل الله، من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة) رواه الترمذي، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي.

١٦. المجاهدين وفد الله:

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(الغازي في سبيل الله والحاج والمعتمر، وفد الله، دعاهم فأجابوه، وسألوه فأعطاهم)** رواه ابن ماجه، وحسن إسناده البوصيري في الزوائد، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه، ورواه النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح النسائي.

١٧. قيام دولة الإسلام والخلافة ونشر الدين في الإرض والدفاع عن حرمات المسلمين ودحر الكفر وأهله وإعلاء الدين وإعزاز المسلمين لا يكون إلا بجهاد المجاهدين.

١٨. المجاهدين لهم أجور من تخلف:

فتعبد العابدين، وتعليم المعلمين، وصلاة المصلين، لا تكون إلا بعد جهاد المجاهدين، فلولا جهادهم لما أمكنهم التعبُّد لله والتفرُّغ لذلك.

قال ابن القيم في طريق الهجرتين:" الطبقة السادسة: المجاهدون في سبيل الله، وهم جند الله، الذين يقيم بهم دينه، ويدفع بهم بأْس أعدائه، ويحفظ بهم بيضة الإسلام ويحمى بهم حوزة الدين، وهم الذين يقاتلون أعداء الله ليكون الدين كله لله وتكون كلمة الله هي العليا، قد بذلوا أنفسهم في محبة الله ونصر دينه وإعلاءِ كلمته ودفع أعدائه، وهم شركاءُ لكل من يحمونه بسيوفهم في أعمالهم التى يعملونها وإن باتوا فى ديارهم، ولهم مثل أُجور من عبد الله بسبب جهادهم وفتوحهم، فإنهم كانوا هم السبب فيه، والشارع قد نزل المتسبِّب منزلة الفاعل التام فى الأجر والوزر، ولهذا كان الدَّاعي إلى الهدى والدَّاعي إلى الضلال لكل منهما بتسبُّبه مثل أجر من تبعه " انتهى كلامه.

وقد ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سألت الرسول ﷺ عن أجر الرباط **(من رابط حارسا من وراء المسلمين كان له مثل أجر من خلفه ممن صام وصلى)** رواه الطبراني في الأوسط، وقال الهيثمي ورجاله ثقات، ولكن الألباني حكم بوضعه.

قال المناوي في الفيض: " قال في المطامح " فضل الجهاد يكاد يكون بديهيا، إذ لا تنتظم العبادات والعادات إلا به " انتهى كلامه.

قال المناوي في الفيض:" فلذلك عظمت درجة المجاهد لعظم ما يلقى وكثرة حسناته، لأنه يقاتل عن كل من وراءه من المسلمين، ولولا الجهاد لوصل العدو إليهم، فكأنه ناب مناب الكل" انتهى كلامه.

١٩. مثل المجاهد كمثل الصائم القائم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إن مثل المجاهد في سبيل الله – والله أعلم بمن يجاهد في سبيله – كمثل القائم الصائم الخاشع الراكع الساجد**) رواه ابن المبارك والنسائي بإسناد صحيح كما قال ابن النحاس.

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (**مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم نهاره القائم ليله حتى يرجع متى يرجع**) رواه أحمد بإسناد رجاله رجال الصحيح كما قال ابن النحاس.

قال ابن عبد البر –رحمه الله– في الاستذكار: " هذا من أجلّ حديث روي في فضل الجهاد، لأنه مثل بالصلاة والصيام، وهما أفضل الأعمال، وجعل المجاهد بمنزلة من لا يفتر عن ذلك ساعة، فأي شيء أفضل من شيء يكون صاحبه راكباً وماشياً وراقداً ومتلذذاً بكثير – مما أبيح له – من حديثِ رفيقه وأكله وشربه وهو في ذلك كله كالمصلي التالي للقرآن في صلاته الصائم المجتهد، ولذلك قلنا إن الفضائل لا تدرك بقياس، وإنما هو تفضل من الله عز وجل " انتهى كلامه.

٢٠.السلامة من الوعيد المترتب على ترك الجهاد:

كقوله تعالى: ﴿ **إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا**﴾ **التوبة**.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: (**من لم يغز أو يجهِّز غازيا أو يخلف غازيا في أهله بخير أصابه الله بقارعة**) رواه أبو داود وابن ماجه، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه، وله طرق.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(من لقي الله بغير أثر من جهاد لقي الله وفيه ثلمة)** رواه الترمذي وابن ماجه، وقال الترمذي: هذا حديث غريب، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(من مات ولم يغز ولم يحدِّث به نفسه مات على شعبة من النِّفاق)** رواه مسلم.

هذا وللجهاد فضائل كثيرة، ولو لم يكن للشهادة أجر ولا فضيلة، لكفى المقتول فضائل الجهاد الثابتة له في إثبات فضله ورفعته، فكيف وفضائل الشهادة أعظم من فضائل الجهاد وأكثر.

الفضيلة الثانية: قصر أمل الشهيد وكثرة ذكره للموت:

أمر رسول الله ﷺ بكثرة ذكر الموت وتقصير الأمل، وذلك لما فيه من عمارة القلب بالتذكر وطرد الغفلة عنه، والمبادرة إلى عمل الصالحات، وإدراك النفس قبل خروجها، ولما يورثه أيضا طول الأمل من الغفلة والانشغال بالدنيا وحبها واللهو بها عن الأعمال الصالحة وتسويفها.

والشهيد قبل موته واستشهاده وأثناء جهاده ينتظر الموت ويتوقعه في كل لحظة ولا يغيب عن باله، فهو لا يدري من أين يأتيه الموت، فهو يرى أناسا يريدون إزهاق روحه، ويرى أشخاصا يُقتلون أمامه ويتساقطون قتلى وشهداء، فهو يستعدُّ له، بل ويرجوه أيضا، فهو سالم من مغبَّة موت الفجأة وطول الأمل، وأن يأتيه الموت وهو غير مستعدٍّ له.

قال الغزالي كما في الفيض: " فحالة القتال يُقطع عندها الطمع عن مهمات الدنيا، ويهون على القلب حياته في حب الله وطلب رضاه " انتهى كلامه.

وحري بمن هذا حاله أن يفتح الله على قلبه وينوره بأنواع المعارف الإلهية، ولذا تجد كثيرا من المجاهدين الذين أقاموا في الجهاد زمنا تجدهم قد تزكَّت نفوسهم وتربَّت بكثرة ذكر الموت وقصر الأمل، وزاد إيمانهم ويقينهم أكثر من غيرهم، وبادروا خروج أنفسهم بالأعمال الصالحة.

الفضيلة الثالثة: الشهيد من أكمل وأصدق الناس إيمانا وأعظمهم زهدا وصبرا وأصدقهم محبة وأعظمهم جودا:

أن يقدم الرجل على الموت والقتل – وهو أكره شئ للنفوس – طلبا للأجر والثواب ويتحمل المشاق في سبيل ذلك، هذا يدل على كمال إيمانه ويقينه وصدقه، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾ **الحجرات.**

قال شيخ الإسلام في المجموع: " وأخبر في كتابه أن الصدق في الإيمان لا يكون إلا بالجهاد في سبيله فقال تعالى: (**قَالَتِ الأعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا**) إلى قوله (**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**) " انتهى كلامه.

وورد عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه سئل: أي المؤمنين أكمل إيمانا ؟ قال: (**رجل يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله، ورجل يعبد الله في شعب من الشعاب قد كفى الناس شره**) رواه أبو داود والحاكم، وقال صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

ولهذا الشهيد لا يمتحن في قبره، ولا يفتن في إيمانه بسؤال الملكين، اكتفاء بثباته عند القتل وإقدامه عليه امتحانا لصدق إيمانه، والشهيد أيضا يكسى حلة الإيمان – كما سيأتي – علامة على إيمانه.

و مما يستأنس به في هذا المقام ما جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: كنت مع رسول الله ﷺ جالسا فقال: (**أنبئوني بأفضل أهل الإيمان إيمانا**) قالوا: يا رسول الله الملائكة، قال: (**هم كذلك، ويحقّ لهم ذلك، وما يمنعهم وقد أنزلهم الله المنزلة التي أنزلهم بها ؟ بل غيرهم ؟**) قالوا: يا رسول الله الأنبياء الذين أكرمهم الله برسالته والنبوة، قال: (**هم كذلك، ويحق لهم، وما يمنعهم وقد أنزلهم الله المنزلة التي أنزلهم بها ؟ بل غيرهم؟**) قالوا: يا رسول الله الشهداء الذين استشهدوا مع الأنبياء، قال: (**هم كذلك، ويحق لهم، وما يمنعهم وقد أكرمهم الله بالشهادة مع الأنبياء ؟ بل غيرهم ؟**) قالوا: فمن يا رسول الله ؟ قال: (**أقوام في أصلاب الرجال يأتون من بعدي، يؤمنون بي ولم يروني،**

ويصدقون بي ولم يروني، يجدون الورق المعلق، فيعملون بما فيه، فهؤلاء أفضل أهل الإيمان إيمانا) رواه ابو يعلى في مسنده بسند ضعيف كما ذكر البوصيري في الإتحاف.

وكذا الشهيد من أصدق الناس محبة، ولا دليل على صدق المحبة إلا التضحية بالمحبوبات، وأعظم المحبوبات هي النفس، والشهداء ضحوا بأنفسهم محبة لله تعالى وطلبا لمرضاته، قال شيخ الإسلام في المجموع: " والجهاد دليل المحبة الكاملة، قال تعالى: (**قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ) الآية، وقال تعالى في صفة المحبّين المحبوبين: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ)** فوصف المحبوبين المحبين بأنهم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، وأنهم يجاهدون في سبيل اللّه، ولا يخافون لومة لائم.

فإن المحبة مستلزمة للجهاد؛ لأن المحب يحب ما يحب محبوبه، ويبغض ما يبغض محبوبه، ويوالي من يواليه ويعادي من يعاديه، ويرضى لرضاه ويغضب لغضبه، ويأمر بما يأمر به وينهى عما ينهى عنه، فهو موافق له في ذلك " انتهى كلامه.

قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم: " فإن من تمام المحبة مجاهدة أعداء المحبوب" انتهى كلامه.

وقال ابن القيم في بدائع الفوائد: " الجنة ترضى منك بأداء الفرائض، والنار تندفع عنك بترك المعاصي، والمحبة لا تقنع منك إلا ببذل الروح (**إن الله اشترى من المؤمنين**.....).

بدم المحب يباع وصلهم ** فمن الذي يبتاع بالثمن " انتهى كلامه

وقال القاسمي في تفسيره على قوله تعالى: (**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم**...) قال القاشانيّ: لأن بذل النفس في سبيل الله لا يكون إلا عند خلوص النفس في محبة الله، إذ المرء إنما يحبّ كل ما يحبّ من دون الله لنفسه، فأصل الشرك ومحبّة الأنداد، محبّة النفس، فإذا سمح بالنفس، كان غير محب لنفسه، وإذا لم يحب نفسه فبالضرورة لم يحب شيئًا من الدنيا، وإذا كان بذله للنفس في اللّهو وفي سبيله لا للنفس، كما يقال - ترك الدنيا للدنيا- كانت محبة الله في قلبه راجحة على محبة كل شيء، فكان من الذين قال فيهم: (**والذين آمنوا أشد حبا لله**) وإذا كانوا كذلك يلزم محبة الله إياهم، لقوله (**يحبهم ويحبونه**) انتهى.

وأيضا الشهداء من أعظم الناس صبرا وزهدا، أما الصبر فهم صبروا أنفسهم على القتال والقتل، وهو أكبر شئ عليهم حتى قُتلوا، ولم يفرُّوا مع أنه بإمكانهم ذلك، ولا صبر أعظم من هذا، ومن يصبر على الموت ؟

وأما الزهد، فلا زهد في الدنيا أعظم من زهد الشهيد، ولا حتى زهد العباد، فلا يبلغون مبلغ زهد الشهيد، فالشهيد زهد في الدنيا فتركها، وأثبت دليلا على زهده، وهو تركه للحياة بأجمعها، وبحثه عن الموت، وأيضا زهد الشهيد في أعظم محبوب إلى النفوس وهو النفس وتقديمه لها لله تعالى، فلا زهد أعظم من هذا.

قال المناوي في الفيض: " ولا زهد أفضل من بذل النفس في سبيل الله " انتهى كلامه.

ويؤيد هذا ما ورد عن أبي وائل قال: (سمع عبد الله – يعني ابن مسعود – رجلا يقول: أين الزاهدون في الدنيا الراغبون في الآخرة ؟ فقال عبد الله: أولئك ذهبوا، أصحاب الجابية، اشترط خمسمائة من المسلمين أن لا يرجعوا حتى يُقتلوا، فحلقوا رؤوسهم، فلقوا العدو فقُتلوا إلا مخبرا عنهم) قال الهيثمي "رواه الطبراني وفيه علي بن عاصم وهو كثير الخطأ وبقية رجاله ثقات ".

فوسمهم بأنهم الزاهدون في الدنيا الراغبون في الآخرة لإقدامهم على الموت والشهادة في سبيل الله.

قال ابن القيم في النونية:

وشجاعة الفرسان نفس الزهد في ** نفس وذا محذور كل جبان.

وأيضا الشهيد من أعظم الناس جودا، فإن الجود يقاس بكثرة الإنفاق، ويقاس بثمن المنفق وغلائه عند صاحبه، فإن كان المنفق غاليا وقيمته ثمينة كان أعظم في الجود، وليس فوق إنفاق النفس التي هي أغلى ما يملك الإنسان منفق أعظم منها، فهي أعظم من إنفاق الأموال والممتلكات مهما بلغ ثمنها، فمن جاء بها فهو أعظم الناس جودا، قال الشاعر:

يجود بالنفس إن ضنّ الجبان بها ** والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وقال المفضل بن المهلب:

هل الجود إلا أن تجود بأنفسٍ ** على كل ماضي الشفرتين قضيب

وقد تعرض الكلابي للشهادة فلم يقتل فأنشأ يقول:

إن تدعو كريما من يجود بماله ** ومن جاد بالنفس النفيسة أجود

وإذا كان النبي ﷺ قال في المرأة التي رجمت: (**وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها الله تعالى**) أخرجه مسلم، وهي مع ذلك مستحقة لهذا الرجم، فكيف بمن تبرع بنفسه ابتداء تضحية في سبيل الله ولإعلاء كلمة الله، فلا شك أنه أعظم جودا.

وورد عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**ألا أخبركم عن الأجود، الله الأجود، وأنا أجود ولد آدم، وأجودهم من بعدي رجل علم علما فانتشر علمه يبعث يوم القيامة أمة وحده، ورجل جاد بنفسه في سبيل الله حتى يُقتل**) رواه أبو يعلى بإسناد ضعيف كما ذكر البوصيري في الإتحاف، ولكن معناه صحيح في الذي ذكرنا.

فيامن كان وصفه القعود عن الجهاد هل تجود بنفسك لله أم تبخل على نفسك، فإن الله غني عنك وعن نفسك، والمستفيد الأول والأخير من هذا هو أنت، فجهادك وتضحيتك لنفسك، أما الله تعالى فهو غني عنك، وليس بحاجة إليك ولا إلى أحد من خلقه، بل هو الغني لذاته، قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾ **العنكبوت**.

وقال: ﴿ **وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ**﴾ **محمد**.

قال شيخ الإسلام في المجموع: " ولهذا كان الجهاد سنام العمل، وانتظم سنام جميع الأحوال الشريفة، ففيه سنام المحبة، كما فى قوله (**فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ**) وفيه سنام التوكل، وسنام الصبر، فإن المجاهد أحوج الناس إلى الصبر والتوكل؛ ولهذا قال تعالى: (**وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٤٢)**) وقال (**قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**) " ثم قال: " وفى الجهاد أيضا: حقيقة الزهد فى الحياة الدنيا، وفى الدار الدنيا " انتهى كلامه.

الفضيلة الرابعة: الشهادة في سبيل الله أفضل الأعمال الصالحة وأعلى مقامات الدين:

الأعمال تتفاضل عند الله تعالى فليست على مستوى واحد في المنزلة، فهناك فاضل ومفضول، وأفضل الأعمال عند الله تعالى الجهاد في سبيل الله، كما تقدم ذكره في أول فضيلة من الفضائل والأدلة على ذلك هناك.

والشهادة في سبيل الله أفضل أعمال الجهاد، وأعظمها أجورا، وهي الثمرة العليا فيه وذروة سنامه، كما جاء عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله ما الإسلام ؟ قال: **(أن يُسلم قلبك لله عز وجل، وأن يَسلم المسلمون من لسانك ويدك)** قال: فأي الإسلام أفضل ؟ قال: **(الإيمان)** قال: وما الإيمان ؟ قال: **(تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت)** قال: فأي الإيمان أفضل ؟ قال: **(الهجرة)** قال: فما الهجرة ؟ قال: **(تهجر السوء)** قال: فأي الهجرة أفضل ؟ قال: **(الجهاد)** قال: وما الجهاد ؟ قال: **(أن تقاتل الكفار إذا لقيتهم)** قال: فأي الجهاد أفضل ؟ قال: **(من عُقر جواده وأُهريق دمه)** قال رسول الله ﷺ: **(ثم عملان هما أفضل الأعمال إلا من عمل بمثلهما حجة مبرورة أو عمرة)** رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح كما قاله ابن النحاس.

قال ابن النحاس في المشارع: " فانظر رحمك الله كيف جعل النبي ﷺ الجهاد خلاصة خلاصة الإسلام، والشهادة في سبيل الله خلاصة الجهاد وأفضل أنواعه " انتهى كلامه.

قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة: " فدرجة الرسالة والنبوة الشهادة والحب فيه والبغض فيه وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه عند الله من أفضل الدرجات " انتهى كلامه.

وليس في أعمال الجهاد عمل يعدل الشهادة في الأجر والثواب والفضل، فإذا كان مطلق أجر الجهاد في سبيل الله وأدنى ثواب فيه أفضل من الأعمال الأخرى، فكيف بالشهادة التي هي أعظم فضلا من مطلق أجر الجهاد بأضعاف مضاعفة، فلا شك أن لا يلحقها عمل في الفضل والثواب.

وقد ورد أعظم من ذلك، أن الشهادة في سبيل الله لا يلحقها أي عمل صالح في الفضل، حتى ولو كان في الأوقات الفاضلة التي تتضاعف فيها الأجور ويفضل العمل بها حتى يكون مثل الجهاد في سبيل الله في فضله في غير الأوقات الفاضلة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال:

(ما العمل في أيام أفضل منها في هذا العشر) قالوا: ولا الجهاد ؟ قال **(ولا الجهاد إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله، فلم يرجع بشئ)** رواه البخاري.

قال الحافظ في الفتح: " وفي الحديث تعظيم قدر الجهاد، وتفاوت درجاته، وأن الغاية القصوى فيه بذل النفس لله " انتهى كلامه، فهذا يفيدك أن الشهادة في سبيل الله أفضل الأعمال مطلقا، ولا يعادلها عمل.

قال ابن كثير في تفسيره في تفسير قوله تعالى **(وقاتلوا وقتلوا)**: "وهذا أعلى المقامات أن يقاتل في سبيل الله فيُعقر جواده ويُعفر وجهه بدمه وترابه " انتهى كلامه.

وقال الحافظ في الفتح: " الشهادة هي الثمرة العظمى المطلوبة في الغزو " انتهى كلامه.

وقال أيضا فيه: " قال العلماء: إن الشهادة من أعلى مراتب الأولياء " انتهى كلامه باختصار.

قال العز بن عبد السلام في كتاب الجهاد: " يشرف البذل بشرف المبذول، وأفضل ما بذله الإنسان نفسه وماله، ولما كانت الأنفس والأموال مبذولة في الجهاد، جعل الله من بذل نفسه في أعلى رتب الطائعين وأشرفها، لشرف ما بذله، مع محو الكفر، ومحق أهله، وإعزاز الدين، وصون دماء المسلمين " انتهى كلامه.

وقال المناوي في الفيض: " **(ذروة سنام الإسلام الجهاد في سبيل الله)** بقصد إعلاء كلمة الله، والذروة من كل شيء أعلاه، وسنام الشيء أعلاه، فالجمع بينهما هنا للمبالغة **(لا يناله إلا أفضلهم)** يعني أفضل المسلمين المدلول عليه بلفظ الإسلام، فإن جاد بنفسه لله فهو أفضلهم بلا نزاع " انتهى كلامه.

وقال أيضا على نفس الحديث: " وفيه إشارة إلى صعوبة الجهاد، وعلو شأنه، وتفوقه على جميع الأعمال، كيف وهو يتضمن بذل النفس والمال ".

وقال أيضا: " الجهاد فهو أعلى أنواع العبادات من حيث أن به ظهور دين المؤمنين "انتهى كلامه.

وقد وسم ابن القيم في الزاد درجة الشهداء بدرجةُ أفاضل الموحِّدين وساداتهم، وخواص الأولياء.

وروى ابن المبارك عن مقسم مولى ابن عباس قال: (بينما أنا جالس في بيت المقدس ومعي رجل، إذ أقبل إلينا رجل، فقال له صاحبي: مرحبا بأبي إسحاق، فلما جلس قلت لصاحبي: من هو ؟ قال: كعب الأحبار، فقلت: حدثنا رحمك الله، فقال: ينتهي الإثم إلى أن يشرك العبد بالله عز وجل وينتهي البرُّ إلى أن يهراق دم العبد في الله عز وجل، والشهداء ثلاثة: رجل خرج من بيته لا يحب الشهادة ويحب الرَّجعة، فيهدي الله عز وجل له سهم غرب، فذلك أول قطرة من دمه يغفر الله عز وجل له بها كل خطيئته خطئها، ويرفع بكل قطرة من دمه درجة حتى ترقأ آخر قطرة من دمه، ورجل خرج من بيته يحب الشهادة ويحب الرجعة، فباشر القتال فذلك تمس ركبته ركبة إبراهيم الخليل في الرفيع، ورجل خرج من بيته يحب الشهادة ولا يحب الرجعة، فباشر القتال، فذلك كملك شاهر سيفه في الجنة يتبوأ منها حيث شاء، ما سأل أعطي، ولمن شفع شفع) رواه ابن المبارك بإسناد صحيح كما قال ابن النحاس.

وهذا يدل على أن أعلى البرّ الشهادة في سبيل الله، وأحب الأشياء إلى الإنسان نفسه التي بين جنبيه ومن أنفق مما يحب فقد نال البرّ كما قال تعالى: ﴿ **لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ **آل عمران،** فكيف إذا أنفق الإنسان أحب ما يحب وأغلى ما يملك، فلا شك أنه نال بذلك أعلى البر، وكلما ازداد حب الإنسان لنفسه عندما يضحي بها، كلما كان أعظم لأجره، ولهذا ورد في الحديث عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ أي العمل أفضل ؟ قال: **(إيمان بالله وجهاد في سبيله)** قلت: فأي الرقاب أفضل ؟ قال: **(أغلاها ثمنا وأنفسها عند أهلها)** رواه البخاري، وذلك لزيادة المشقة.

وقد ورد في ذلك عن يحي بن سعيد أن رسول الله – ﷺ – كان جالسا وقبر يحفر بالمدينة، فاطّلع رجل في القبر فقال: بئس مضجع المؤمن، فقال رسول الله – ﷺ: **(بئسما قلت)** قال الرجل: إني لم أرد هذا، إنما أردت القتل في سبيل الله، فقال رسول الله – ﷺ – **(لا مثل للقتل في سبيل الله، ما على الأرض بقعة أحب إلي أن يكون قبري بها منها ثلاث مرات)** رواه مالك مرسلا.

قال ابن عبد البر في الاستذكار: "لا أحفظ لهذا الحديث سندا لكن معناه محفوظ في الأحاديث المرفوعة " انتهى، وهو كما قال، فالقتل في سبيل الله لا مثل له من الأعمال، وإذا كان مطلق الجهاد لا يعدله شيء من الأعمال، والذي يعدل من الأعمال من دوام الصلاة والصيام لا يقدر عليه كما ورد، فما بالك بالشهادة التي هي أعظم وأعظم، وقال أيضا "وفيه أن القتل في سبيل الله أفضل الفضائل أو من أفضل الفضائل إذا كان على سنته وما ينبغي فيه " انتهى كلامه.

ومعنى كونها أفضل الأعمال وأحب الأعمال إلى الله، أنها أكثر ثوابا وفضائلا من غيرها، قال المناوي: " أحب الأعمال إلى الله " أي أكثرها ثوابا " انتهى من الفيض، وهذا يؤيده ما سيأتي من فضل الأجر الكبير للشهيد وكثرة فضائله الآتية.

ومما يدل على أنها أفضل الأعمال وأحبها إلى الله هو فضائلها الكثيرة العظيمة التي لم ترد في غيرها من الأعمال الصالحة الأخرى.

وقد كان الصحابة يعظمون منزلة الشهادة، ويعدون من قتل شهيدا أفضل منهم، ولو بلغ المفضِّل على نفسه أقصى منازل الفضل.

فمن ذلك ما جاء في سيرة ابن هشام: حدثني أبو بكر بن الزبير أن رجلا دخل على أبي بكر الصديق وبنت لسعد بن الربيع جارية صغيرة على صدره يرشفها ويقبلها، فقال له الرجل: من هذه ؟ قال: بنت رجل خير مني سعد بن الربيع، كان من النقباء يوم العقبة، وشهد بدرا، واستشهد يوم أحد " (قال ابن كثير: هذا معضل).

وله شاهد عند الحاكم عن أم سعد بنت سعد بن الربيع (أنها دخلت على أبي بكر الصديق رضي الله عنه فألقى لها ثوبه حتى جلست عليه، فدخل عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا خليفة رسول الله ﷺ من هذه ؟ قال: هذه بنت من هو خير مني ومنك، قال: ومن هو خير مني ومنك إلا رسول الله ﷺ ؟ قال أبو بكر: رجل قبض على عهد رسول الله ﷺ تبوأ مقعده في الجنة وبقيت أنا وأنت) وهو ضعيف.

وكذا جاء عن إبراهيم أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أتي بطعام وكان صائما فقال: (قتل مصعب بن عمير وهو خير مني، كفن في بردة إن غطي رأسه بدت رجلاه وإن غطي رجلاه بدا رأسه، وأراه قال: وقتل حمزة وهو خير مني، ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط، أو قال أعطينا من الدنيا ما أعطينا، وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام) رواه البخاري.

وكذا روى ابن المبارك عن محمد بن الأسود بن خلف بن بياضة الخزاعي قال: (إنا لجلوس في الحجر وناس من قريش، إذ قيل قدم الليلة عمرو بن العاص من مصر، فما أكبر بأن دخل فابتدرناه بأبصارنا، فلما طاف دخل الحجر وصلى ركعتين، ثم قال: كأنكم قد قرضتموني بهنت، فقال القوم: لم نذكر إلا خيرا، ذكرناك وهشاما، فقال بعضنا: هذا أفضل، وقال بعضنا: هذا أفضل، فقال عمرو: سأخبركم

عن ذلك، إنا أسلمنا فأحببنا رسول الله ﷺ وناصحناه، فذكر يوم اليرموك، فقال: أخذت بعمود الفسطاط حتى اغتسل وتحنط وتكفن، ثم أخذ بعمود الفسطاط حتى اغتسلت وتحنطت وتكفنت ثم اعترضنا على الله تبارك وتعالى، فقبله، فهو خير مني ثلاث مرات، قبله فهو خير مني، قبله فهو خير مني).

قال الحافظ في الفتح في كلامه على حديث عبد الرحمن ابن عوف قوله: (هو خير مني) لعله قال ذلك تواضعا، ويحتمل أن يكون ما استقر عليه الأمر من تفضيل العشرة على غيرهم بالنظر إلى من لم يقتل في زمن النبي ﷺ، وقد وقع من أبي بكر نظير ذلك، فذكر ابن هشام أن رجلا دخل على أبي بكر وعنده بنت سعد بن الربيع وهي صغيرة، فقال: من هذه ؟ قال: هذه بنت رجل خير مني سعد بن الربيع، كان من نقباء العقبة، شهد بدرا، واستشهد يوم أحد ".

وقال أيضا وهو يتكلم عن من هو أفضل الصحابة والخلاف فيه فقال: " وذهب قوم إلى أن أفضل الصحابة من استشهد في حياة النبي ﷺ، وعين بعضهم جعفر بن أبي طالب " انتهى كلامه، وهذا القول يشعرك بعظم منزلة الشهيد.

وقد كان أنس رضي الله عنه يفتخر بكون الأنصار أكثر القبائل شهداء، وحق له ذلك، فعن أنس رضي الله عنه قال: (يا رب السبعين من الأنصار: سبعين يوم أحد، وسبعين يوم بئر معونة، وسبعين يوم مؤتة، وسبعين يوم اليمامة) رواه البيهقي في دلائل النبوة.

ويثني عليهم بذلك قتادة فيقول: (ما نعلم حيا من أحياء العرب أكثر شهيدا أعزّ يوم القيامة من الأنصار، قال قتادة: وحدثنا أنس بن مالك: أنه قتل منهم يوم أحد سبعون، ويوم بئر معونة سبعون، ويوم اليمامة سبعون، وقال: وكان بئر معونة على عهد رسول الله ﷺ ويوم اليمامة على عهد أبي بكر يوم مسيلمة الكذاب) رواه البخاري.

وما ذاك إلا لعظم منزلة الشهادة عند السلف وأنه يحق أن يفخر الشخص به.

قال ابن النحاس في المشارع: "وخرج الخطيب في تاريخ بغداد وأبو القاسم ابن عساكر في تاريخ دمشق عن محمد بن الفضيل بن عياض قال: رأيت ابن المبارك في النوم، فقلت " أي العمل وجدت أفضل ؟ " قال: الأمر الذي كنت فيه، قلت: الرباط والجهاد ؟ قال: نعم، قلت: فما صنع بك ربك ؟ قال: غفر لي مغفرة ما بعدها مغفرة " انتهى كلامه، والشهادة أعظم الجهاد.

ولما كانت الشهادة بهذه المنزلة، وبهذا العلو والعظمة، والفضائل الجمة، تقاصرت عنها النفوس حتى نفوس العظماء والعلماء أن تنالها أو أنها أهل لها، فهذا العز بن عبد السلام رحمه الله – وهو من هو – يرى نفسه أقلَّ من أن يصطفى بالشهادة وأن ينالها مع ما هو فيه من العلم والعبادة والعمل.

فذكر ابن السبكي في طبقات الشافعية عنه " ذكر كائنة الشيخ مع أمراء الدولة من الأتراك:

وهم جماعة ذكِر أن الشيخ لم يثبُت عنده أنهم أحرارٌ، وأن حكمَ الرِّق مستصحَبٌ عليهم لبيت مال المسلمين، فبلغهم ذلك فعظُم الخطبُ عندهم فيه، وأضرِم الأمر، والشيخ مصممٌ لا يصحح لهم بيعا ولا شراء ولا نِكاحا، وتعطّلت مصالحهم بذلك، وكان من جملتهم نائب السلطنة، فاستشاط غضبا فاجتمعوا وأرسلوا إليه، فقال: نعقد لكم مجلسا وينادى عليكم لبيت مال المسلمين ويحصل عِتقُكم بطريق شرعي، فرفعوا الأمر إلى السلطان فبعث إليه، فلم يرجع، فجرت من السلطان كلمة فيها غِلظة حاصلها الإنكارُ على الشيخ في دخوله في هذا الأمر، وأنه لا يتعلق به، فغضب الشيخ وحمل حوائجه على حمارٍ، وأركب عائلته على حمارٍ آخر، ومشى خلفهم خارجا من القاهرة قاصدا نحو الشام فلم يصل إلى نحو نصف بريد إلا وقد لحقه غالبُ المسلمين لم تكد امرأة ولا صبي ولا رجل لا يؤبَه إليه يتخلَّف لا سيما العلماء والصُّلحاء والتجار وأنحاؤُهم، فبلغ السلطان الخبر، وقيل له: متى راح ذهب ملكُك، فركب السلطان بنفسه ولحقه واسترضاه وطيَّب قلبه، فرجع، واتفقوا معهم على أنه ينادى على الأمراء، فأرسل إليه نائب السلطنة بالملاطفة، فلم يُفِد فيه، فانزعج النائب وقال: كيف ينادي علينا هذا الشيخ ويبيعنا ونحن ملوك الأرض، والله لأضربنَّه بسيفي هذا، فركب بنفسه في جماعته وجاء إلى بيت الشيخ والسيف مسلول في يده، فطرق الباب، فخرج ولدُ الشيخ أظنه عبد اللطيف، فرأى من نائب السلطنة ما رأى، فعاد إلى أبيه وشرح له الحال، فما اكترث لذلك ولا تغيّر وقال: يا ولدي أبوك أقلُّ من أن يُقتل في سبيل الله، ثم خرج كأنه قضاءُ الله قد نزل على نائب السلطنة، فحين وقع بصره على النائب يَبِست يدُ النائب وسقط السيف منها وأرعِدَت مفاصِلُه، فبكى وسأل الشيخ أن يدعو له، وقال: يا سيدي خبِّر أيْش تعمل ؟ قال: أنادي عليكم وأبيعكم، قال: ففيم تصرِف ثمننا ؟ قال: في مصالح المسلمين، قال: مَن يَقبِضُه ؟ قال: أنا، فتمَّ له ما أراد ونادى على الأمراء واحدا واحدا، وغالى في ثمنهم، وقبضه وصرفه في وجوه الخير، وهذا ما لم يُسمَع بمثله عن أحدٍ رحمه الله تعالى ورضي عنه " انتهى كلامه.

فيا من علت همته وأخذ يبحث في الأعمال وتفاضلها، أين أنت من الشهادة ؟ فهي والله أفضل الأعمال، ولا يعادلها شيء من الأعمال الصالحة مهما بلغت كثرة ووقعت في زمن فاضل فلا تبلغ ثواب الشهادة وأجرها وفضلها.

الفضيلة الخامسة: الشهيد عمله قليل وأجره كبير كثير:

بعض الأعمال ينال صاحبها الجهد والمشقة وطول الزمن والوقت وقد يكون مع ذلك أجره وفضله ليس بالعظيم جدا بالنسبة إلى غيره من الأعمال، والشهادة في سبيل الله مما يميّزها أن عملها قليل قد لا يتجاوز ثوان معدودة ولحظات وإن طال فهو دقائق، فخروج الروح والقتل عمل قليل في كميته وكيفيته، قد يصلي الرجل ركعتان ولا ينتهي حتى تخرج روح الشهيد المقتول.

عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء رضي الله عنه يقول: أتى النبي ﷺ رجل مقنع بالحديد فقال: يا رسول الله أقاتل أوأسلم ؟ قال: **(أسلم ثم قاتل)** فأسلم ثم قاتل فقُتل، فقال رسول الله ﷺ: **(عمل قليلا وأجر كثيرا)** رواه البخاري، وهو عند الطيالسي - بإسناد رجاله ثقات كما قال البوصيري – **(عمل قليلا وجُزي كثيرا)**.

وروى ابن المبارك بإسناد حسن عن القاسم بن عبد الرحمن أبو عبد الرحمن المسعودي قال: غزونا مع فضالة بن عبيد البر أرض الروم – ولم يغز فضالة في البر غيرها – فبينا نحن نسير إذ يسرع فضالة وهو أمير الناس، وكانت الولاة إذ ذاك يسمعون ممن استرعاهم الله عزوجل، فقال له قائل: أيها الأمير إن الناس قد تقطّعوا فقف حتى يلحقوك، فوقف في مرج فيه تلّ عليه قلعة فيها حصن، قال: فمنا الواقف، ومنا النازل، إذ نحن برجل أحمر ذي شوارب بين أظهرنا، فأتينا به فضالة فقلنا: إن هذا هبط من الحصن بلا عهد ولا عقد، فسأله ما شأنه ؟ فقال: إني أكلت البارحة لحم خنزير وشربت خمرا وأتيت أهلي، فبينا أنا نائم أتاني رجلان فغسلا بطني، وزوجاني امرأتين لا تغار إحداهما على الأخرى، وقالوا لي: أسلم، فإني لمسلم، فما كانت كلمته أسرع من أن رمينا، فأقبل يهوي حتى أصابه فوق عنقه من بين الناس، فقال فضالة: الله أكبر عمل قليلا وأُجر كثيرا، صلوا على أخيكم، فصلينا عليه ثم دفنّاه في موقفنا، وسرنا، قال عبد الرحمن يقول القاسم يذكر هذا فهذا شئ رأيته.

و نحن هنا لا ننكر مشقّة القتل على النفوس، وكراهتهم له، مع أنه لا يشعر الشهيد بألم ولا مشقّة عند القتل، كما سيأتي إن شاء الله ذكره، ومع هذا كله فأجر الشهيد على قلّة عمله عظيم كبير كثير، لا يعلم مقدار عظمه وكثرته إلا الله تعالى، فكون العمل قليلا هذه فضيلة لوحدها، وكون العمل أجره كثير كبير هذه فضيلة لوحدها، واجتماعهما فضيلة لوحدها، فكانت ثلاث فضائل مجتمعة في فضيلة واحدة، وهكذا فضائل الشهيد كثيرا ما يجتمع مجموعة فضائل في فضيلة واحدة.

قال الحافظ في الفتح: " وفي هذا الحديث أن الأجر الكثير قد يحصل بالعمل اليسير فضلا من الله وإحسانا " انتهى كلامه.

وهذا الأجر الكثير هو أجر مخصوص وثواب مخصوص للشهداء، كما قال تعالى: ﴿ **وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ**﴾ **الحديد،** أي لهم أجر أنفسهم ونور أنفسهم، فلا يشاركهم في مجموع هذا الأجر إلا من كان شهيدا، وإلا لما تميزوا عن غيرهم بشيء.

ومن عرف فضائل الشهيد العظيمة، عرف معنى قوله في الحديث السابق (**أجر كثيرا**) وما أخفي مما أعد للشهيد أعظم وأعظم كما سبق بيانه في المقدمة.

ولكي ترى يا أخي عظم أجر الشهيد، انظر إلى عمل صغير من أعمال الجهاد ليس فيه كلفة ولا مشقة وما أعد له من الأجر العظيم، قال ﷺ: (**قيام ساعة في الصف للقتال في سبيل الله خير من قيام ستين سنة**) رواه ابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وعن عمران بن الحصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**مقام الرجل في الصف في سبيل الله أفضل عند الله من عبادة رجل ستين سنة**) رواه الحاكم وقال صحيح على شرط البخاري، ووافقه الذهبي.

فإذا كان هذا مجرد القيام في الصف ساعة من الزمان، فكيف بمن قاتل، وتكلف المشاق في القتال، وخالطه الخوف والرعب، وأحاط به الخطر من كل جانب، ثم أزهقت روحه وأريق دمه وعفر وجهه؟

وخطب عثمان بن عفان رضي الله عنه الناس، فقال: يا أيها الناس ! إني سمعت حديثا من رسول الله ﷺ، لم يمنعني أن أحدِّثكم به إلا الضنُّ بكم وبصحابتكم، فليختر مختار لنفسه أو ليدع، سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**من رابط ليلة في سبيل الله سبحانه، كانت كألف ليلة، صيامها وقامها**) رواه ابن

ماجه، وحسنه الألباني، ورواه الحاكم بلفظ (**خير من ألف يوم فيما سواه**) وقال صحيح على شرط البخاري ووافقه الذهبي.

فإذا كان الرباط يوما وليلة خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل، فكيف بالشهادة في سبيل الله تعالى.

وأعظم من ذلك كله ما رواه ابن أبي شيبة عن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (**ألا أنبئكم بليلة أفضل من ليلة القدر ؟ حارس حرس في أرض خوف لعله أن لا يرجع إلى أهله**) روي مرفوعا وموقوفا، ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، وصحح إسناده الألباني في الصحيحة.

فإذا كان هذا بحراسة ليلة فكيف بالشهادة ؟

وورد أيضا حديث في الصحابي الذي أراد أن يعتزل فقال له النبي ﷺ: (**لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاما**) أخرجه الترمذي والحاكم، وصححه، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي.

وورد أيضا عن ابن عمر رضي الله عنه قال: (**سفرة في سبيل الله أفضل من خمسين حجة**) رواه ابن ابي شيبة وابن المبارك، وهو صحيح، وهذا لا يُقال من قبل الرأي، فإذا كان هذا في سفرة، فكيف بالشهادة ؟

وعن أبي هريرة قال: (إذا رابطت ثلاثا فليتعبد المتعبدون بما شاءوا) رواه ابن أبي شيبة بإسناد صحيح كما قال ابن النحاس، وهذا في الرباط فكيف بالشهادة التي هي أعظم وأعظم ؟

وعن عبد الرحمن بن جبر: أن رسول الله ﷺ قال: (**ما اغبرَّت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار**) رواه البخاري.

قال المناوي: " وإذا كان هذا في غبار قدميه فكيف بمن بذل نفسه فقاتل وقتل في سبيل الله " انتهى كلامه.

وإذا تم النظر إلى هذه العبادات ما فيها من الأجور، وما في عبادة ستين سنة وخمسين حجة من الأجور وعلو الدرجات في الجنة، والشهادة فوق هذا كله.

الفضيلة السادسة: هداية الله للشهيد:

للشهيد عند الله تعالى هدايتان، هداية قبل قتله، وهداية بعد قتله.

فأما الهداية قبل قتله، فإنه سيوفقه تعالى ذكره للعمل بما يرضى ويجدد له من أنواع الهداية إلى ما يحبه ويرضاه شيئا فشيئا إلى أن يُقتل، ويكون قد وُفِّق لأعمال كثيرة، وطاعات عظيمة.

وأما الهداية بعد مقتله في الآخرة إلى طريق الجنة ومنازلهم فيها، كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ** ﴾ **يونس.**

وفي البخاري أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذّبوا ونقّوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا**).

قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (٤) سَيَهْدِيهِمْ**﴾ **محمد.**

قال ابن القيم في شفاء العليل في تعليقه على هذه الآية: " فيحتمل أن لا يكون من هذا، وتكون الهداية في الآخرة إلى طريق الجنة، فإنه رتب هذا الجزاء على قتلهم، ويحتمل أن يكون منه ويكون قوله (**سيهديهم ويصلح بالهم**) إخبارا منه عما يفعله بهؤلاء الذين قتلوا في سبيله قبل أن يقتلوا، وأتى به بصيغة المستقبل إعلاما منه بأنه يجدد له كل وقت نوع من أنواع الهداية وإصلاح البال شيئا بعد شيء، فإن قلت فكيف يكون ذلك المستقبل خبر عن الذين قتلوا ؟ قلت الخبر قوله (**فلن يضل أعمالهم**) أي لا يبطلها عليهم ولا يترهم إياها، هذا بعد أن قتلوا، ثم أخبر سبحانه خبرا مستأنفا عنهم أنه سيهديهم ويصلح بالهم لما علم أنهم سيقتلون في سبيله، وأنهم بذلوا أنفسهم له، فلهم جزآن جزاء في الدنيا بالهداية على الجهاد، وجزاء في الآخرة بدخول الجنة، فيرد السامع كل جملة إلى وقتها لظهور المعنى وعدم التباسه وهو في القرآن كثير والله أعلم " انتهى كلامه.

وقد أخبر الله تعالى أن المجاهدين يهديهم الله إلى سبيله، كما قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾ فهذا يوافق المعنى الأول، إذ كل شهيد مجاهد.

الفضيلة السابعة: إصلاح الله لبال الشهيد:

المقصود بالبال هو الحال، والله تعالى يصلح حال الشهيد في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (٤) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ**﴾ **محمد**، وهذا عام يشمل الدنيا والآخرة.

قال ابن جرير الطبري في تفسيره: " يصلح أمرهم وحالهم في الدنيا والآخرة " انتهى كلامه.

ويشمل ذلك إصلاح حالهم في كل شيء، فيصلح حالهم قبل مقتلهم في أمور دينهم ودنياهم وأهليهم وكل شيء، ويصلح حالهم بعد مقتلهم في تنعيمهم في الجنة وإدخالهم فيها، وإصلاح حالهم في أن يَخلفهم في أهليهم وما تركوه خلفهم، ويصلح حالهم في أن يوفِّق من يسدّد ديونهم عنهم ويرضي خصومهم كما فسره بذلك غير واحد من المفسرين، ويصلح حالهم في الآخرة في تهوين الأهوال عليهم ومرورهم على الصراط وعند الميزان وفي الحساب، ويصلح حالهم في أن يرضي خصومهم عنهم في الآخرة أيضا، ويصلح حالهم في كل شيء في الدنيا وفي البرزخ وفي الآخرة، فأمورهم في صلاح إلى صلاح.

وهذا فضل عظيم شامل عام للشهيد.

الفضيلة الثامنة: الشهادة في سبيل الله سبب عظيم لنيل رحمة الله:

الشهيد من أقرب الخلق لنيل رحمة الله، فهو ضحَّى بنفسه ونال المشقّات والمتاعب في سبيل رضا الله، وأُسيلت دماه وعُفِّر وجهه بدماه وبالتراب لذلك، ورحمة الله قريب من المحسنين كما ذكر الله تعالى في كتابه، والشهيد من أعظم الناس إحسانا لحسن عمله، قال تعالى: ﴿ **وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ** ﴾ **آل عمران.**

وقد ورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**المجاهد في سبيل الله مضمون على الله، إما أن يكفته إلى مغفرته ورحمته، وإما أن يرجعه بأجر وغنيمة، ومثل المجاهد في سبيل الله،**

كمثل الصائم القائم، الذى لا يفتر، حتى يرجع) رواه ابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ فيما يحكيه عن ربه تعالى قال: **(أيّما عبد من عبادي خرج مجاهدا في سبيلي ابتغاء مرضاتي، ضمنت له أن أرجعه بما أصاب من أجر وغنيمة وأن أغفر له وأرحمه وأدخله الجنة)** رواه أحمد والنسائي، وصححه أحمد شاكر، وصححه أيضا الألباني في صحيح النسائي.

وقال المغيرة لعامل كسرى يوم فتح فارس: (ومن قتل منا صار إلى رحمة الله وجنته) رواه البيهقي في السنن الكبرى، وأصله في البخاري.

وكل ما يعاينه الشهيد من الفضائل والأجور هو من رحمة الله له، فهو أبدا تناله الرحمات وتتنزل عليه، وعندما تقسم الرحمات فله من ذلك أوفى نصيب.

الفضيلة التاسعة: أشرف الموت هو الشهادة في سبيل الله:

الميتات تختلف، فهناك ميتة سوء ينفر عنها الناس، لا في هيئتها ولا في ألمها وشدَّتها، وهناك ميتات حسنة يطلبها الناس ويتمنون أن يموتوا بها، وأشرف الموت وأفضل الميتات التي يموت بها الناس الشهادة في سبيل الله.

فعن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – أنه كان يقول في خطبته: (إن أصدق الحديث كلام الله.......... وأشرف الموت قتل الشهداء) رواه محمد بن يحي بن أبي عمر وابن أبي شيبة.

وورد حديث ضعيف عند البيهقي في الدلائل عن عقبة بن عامر رضي الله عنه مرفوعا **(وأشرف الموت قتل الشهداء)** وضعفه الألباني في الضعيفة.

وعن أنس رضي الله عنه قال: دخل رسول الله ﷺ في عمرة القضاء وعبد الله ابن رواحة آخذه بغرزه يرتجز يقول:

خلَّوا بني الكفار عن سبيله * قد أنزل الرحمن في تنزيله * بأن خير القتل في سبيله " رواه البزار ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي.

وقال الحسين كما في البداية والنهاية:

لئن كانت الدنيا تعد نفيسة ** فدار ثواب الله أعلى وأنبل

وإن كانت الأبدان للموت أنشئت ** فقتل سبيل الله بالسيف أفضل

وإنما كانت الشهادة أشرف الميتات لأمور:

١. كثرة فضائلها وعظمتها، فالفضائل التي تنبني على هذه الميتة كما سبق لا تنحصر، وهي مع ذلك عظيمة، وهذه الفضائل دائمة في جميع الدور.

٢. كونها لا ألم فيها كما سبق بيانه، ولا يحس الميت بها بألم إلا مثل القرصة كما سبق، وكفى بذلك شرفا لها.

قال شيخ الإسلام في المجموع: " فموت الشهيد أيسر من كل ميتة، وهي أفضل الميتات " انتهى كلامه.

وقال كما في جامع المسائل: " وأفضل الموت موت الشهداء " انتهى.

وقال ابن القيم في إغاثة اللهفان: " ومن المعلوم أن الخلق كلهم يموتون، وغاية هذا المؤمن أن يستشهد فى الله، وتلك أشرف الموتات وأسهلها، فإنه لا يجد الشهيد من الألم إلا مثل ألم القرصة، فليس فى قتل الشهيد مصيبة زائدة على ما هو معتاد لبنى آدم، فمن عدّ مصيبة هذا القتل أعظم من مصيبة الموت على الفراش فهو جاهل، بل موت الشهيد من أيسر الميتات وأفضلها وأعلاها، ولكن الفارّ يظن أنه بفراره يطول عمره، فيتمتع بالعيش، وقد أكذب الله سبحانه هذا الظن، حيث يقول:

(قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا). فأخبر الله أن الفرار من الموت بالشهادة لا ينفع، فلا فائدة فيه، وأنه لو نفع لم ينفع إلا قليلا، إذ لابد له من الموت، فيفوته بهذا القليل ما هو خير منه وأنفع من حياة الشهيد عند ربه. ثم قال: **(قُلْ مَنْ ذَا**

الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا).

فأخبر سبحانه أن العبد لا يعصمه أحد من الله، إن أراد به سوءا غير الموت الذى فرّ منه، فإنه من الموت لما كان يسوءه، فأخبر الله سبحانه أنه لو أراد به سوءا غيره لم يعصمه أحد من الله، وأنه قد يفر مما يسوءه من القتل فى سبيل الله، فيقع فيما يسوءه مما هو أعظم منه وإذا كان هذا فى مصيبة النفس، فالأمر هكذا فى مصيبة المال والعرض والبدن، فإن من بخل بماله أن ينفقه فى سبيل الله تعالى وإعلاء كلمته، سلبه الله إياه، أو قيض له إنفاقه فيما لا ينفعه دنيا ولا أخرى، بل فيما يعود عليه بمضرته عاجلا وآجلا، وإن حبسه وادّخره منعه التمتع به، ونقله إلى غيره، فيكون له مَهْنَؤهُ وعلى مخلِّفه وزوه، وكذلك من رَفَّه بدنه وعرضه وآثر راحته على التعب لله وفى سبيله أتعبه الله سبحانه أضعاف ذلك فى غير سبيله، ومرضاته وهذا أمر يعرفه الناس بالتجارب ".

ثم قال:" وكذلك كل من امتنع أن يذلَّ لله، أو يبذل ماله فى مرضاته، أو يتعب نفسه وبدنه في طاعته، لابد أن يذل لمن لا يسوى، ويبذل له ماله ويتعب نفسه وبدنه في طاعته ومرضاته عقوبة له، كما قال بعض السلف: "من امتنع أن يمشى مع أخيه خطوات فى حاجته أمشاه الله تعالى أكثر منها فى غير طاعته " انتهى كلامه.

٣. كون النبي ﷺ تمنى أن يموت بها، ودعا بها أيضا، وطلبها وأحبها، وأيضا مات بها كما سبق، وكفى بذلك شرفا لها.

٤. كون الموت بها يكون بالقتل، وهذا أشرف الموت عند العرب قديما، فإن العرب كانت قديما تنفر من الموت على الفراش، وتعد الموت بالقتل شرفا للميت، قال ابن عبد ربه في العقد الفريد: " وكانوا يتمادحون بالموت قعصا، ويتهاجون بالموت على الفراش، ويقولون فيه: مات فلان حتف أنفه، وأول من قال ذلك النبي عليه الصلاة والسلام، وخطب عبد الله بن الزبير الناس لما بلغه قتل مصعب أخيه فقال: إن يُقتل فقد قُتل أبوه وأخوه وعمه، إنا والله لا نموت حتفاً، ولكن نموت قعصاً بأطراف الرماح، وموتاً تحت ظلال السيوف، وإن يقتل مصعب فإن في آل الزبير خلفاً منه " انتهى كلامه.

قال السموأل:

وما مات منا سيّد في فراشه ** ولا طل منا حيث كان قتيل

تسيل على حد الظبات سيوفنا ** وليست على غير الظبات تسيل

وقال بعض بني قيس بن ثعلبة:

إنا لنرخص يوم الروع أنفسنا ** ولو نسام بها في الأمن أغلينا

بيض مفارقنا تغلي مراجلنا ** نأسوا بأموالنا آثار أيدينا

إنا لمعشر أفنى أوائلهم ** قيل الكماة ألا أين المحامونا

٥. كون من مات بهذه الميتة مشرفا عند الله، وعند ملائكته، وعند الأنبياء صلى الله عليهم وسلم، وعند المسلمين كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

قال أبو العتاهية:

يا نفس خافي الله واجتهدي له ** فقد ماتت الأيام واقترب الوعد

فخير ممات قتلة في سبيله ** وخير المعاش والخوف منه أو الزهد

وقال ابن حزم:

كفاحا مع الكفار في حومة الوغى ** وأكرم موت للفتى قتل كافر

الفضيلة العاشرة: بالشهادة يسبق اللاحق ويدرك السابق:

المؤمنون كلهم في مضمار سباق إلى رضا الله تعالى والقرب منه، وتنافس في ذلك، فيتنافسون ويتسابقون بكثرة العمل وكيفيته، كما قال تعالى: ﴿ **وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ **آل عمران.**

وقال تعالى: ﴿ **سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ** ﴾ **الحديد.**

وقال تعالى: ﴿ **وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ**﴾ **المطففين**.

وعلى قدر العمل تكون السرعة والسبق، فمن كان أحسن عملا سبق الآخر، والشهادة في سبيل الله عمل عظيم جبار له أجور عظيمة وفضائل، وبها ينال العلو والدرجات، فيسبق الشهيد بالشهادة من بعده من الناس ومن قبله ممن لم تصبه الشهادة بالدرجات والفضل، ويدرك بالشهادة من سبقه من الناس ممن قبله، فيكون في درجتهم ولا يفضلونه بشيء.

ولهذا كان بعض الصحابة الذين أسلموا متأخرين إذا أراد أن يدرك السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار في الفضل أو يقرب منهم خرج إلى الجهاد وطلب الشهادة، لما يعلم من عظم فضلها، وأنها يمكن أن يدرك بها من سبقه فمن ذلك:

مارواه ابن المبارك أن الحارث بن هشام رضي الله عنه خرج من مكة للجهاد، فجزع أهل مكة جزعا شديدا، فلم ير أحد طعم إلا خرج يشيعه، فلما كان بأعلى البطحاء وقف ووقف الناس حوله يبكون، فلما رأى جزعهم رق فبكى وقال: يا أيها الناس إني والله ما خرجت رغبة بنفسي عن أنفسكم، ولا اختيار بلد عن بلدكم، ولكن كان هذا الأمر فخرجت رجال والله ما كانوا من ذوي أنسابها ولا في بيوتاتها، فأصبحنا والله ولو أن جبال مكة ذهبا فأنفقناها في سبيل الله ما أدركنا يوما من أيامهم، والله لئن فاتونا في الدنيا لنلتمسن أن نشاركهم به في الآخرة، ولكنها النقلة إلى الله عز وجل وتوجه إلى الشام، فأصيب شهيدا.

وروى ابن المبارك والبيهقي في السنن عن ثابت أن عكرمة بن أبي جهل ترجل يوم كذا، فقال له خالد بن الوليد: (لا تفعل فإن قتلك على المسلمين شديد، فقال: خل عني يا خالد، فإنه قد كان لك مع رسول الله ﷺ سابقة، وإني وأبي كنا من أشد الناس على رسول الله ﷺ، فمشى حتى قتل).

وقصة سهيل أنه قدم المدينة في شيوخ من قريش فيهم أبو سفيان، فاستأذنوا على عمر، فأبطأ عليهم، واستأذن بعدهم فقراء من المسلمين فأذن لهم، فقال أبو سفيان: عجباً يؤذن للمساكين والموالي، وكبار قريش واقفين، فقال سهيل: اغضبوا على أنفسكم، فإن الله دعا هؤلاء فأسرعوا، ودعاكم فأبطأتم، والله إن الذي سبقوكم إليه من الخير خير من هذا الذي تنافسون فيه من هذا الباب، ولا أرى أحداً منكم يلحق بهم إلا أن يخرج إلى الجهاد لعل الله يرزقه الشهادة، فخرج سريعاً إلى الشام.

وقد رواها سعيد بن منصور بغير هذا اللفظ، فعن الحسن بن محمد قال: جاء الفتحيون سهيل بن عمرو والحارث بن هشام وحويطب بن عبد العزى يستأذنون على عمر رضي الله عنه فأخّر في إذنهم، فقال الحارث: دعي القوم ودعيتم فأبطأتم، فلما دخلوا على عمر رضي الله عنه قالوا: يا أمير المؤمنين ما لنا عندك إلا ما نرى ؟ قال: نعم، ليس إلا ما ترون، قالوا: فإنا نطلب ما هو أرفع من هذا، فغزو في سبيل الله حتى ماتوا.

فالسابق الحق هو الشهيد، وهو الذي ينافس ويسابق ويفوز في النهاية، لعظم عمله وأجره.

وسيأتي بيان أن الشهيد من المقربين، وقد بين الله تعالى أن السابقون هم المقربون، فهذا يفيد أن الشهيد من السابقين.

وقال شيخ الإسلام في المجموع وهو يتحدث عن قتل الحسين بن علي: " ووقع القتل حتى أكرم الله الحسين ومن أكرمه من أهل بيته بالشهادة رضي الله عنهم وأرضاهم، وأهان بالبغي والظلم والعدوان من أهانه بما انتهكه من حرمتهم، واستحله من دمائهم (**وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ**) وكان ذلك من نعمة الله على الحسين، وكرامته له لينال منازل الشهداء، حيث لم يجعل له في أول الإسلام من الابتلاء والامتحان ما جعل لسائر أهل بيته، كجده ﷺ وأبيه وعمه، وعم أبيه رضي الله عنهم، فإن بني هاشم أفضل قريش، وقريشًا أفضل العرب، والعرب أفضل بني آدم، كما صح ذلك عن النبي ﷺ، مثل قوله في الحديث الصحيح (**إن الله اصطفى من ولد إبراهيم بني إسماعيل، واصطفى كنانة من بني إسماعيل،واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى بني هاشم من قريش، واصطفاني من بني هاشم**).

وفي صحيح مسلم عنه أنه قال يوم غدِير خُمٍّ: (**أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي**).

وفي السنن أنه شكا إليه العباس: أن بعض قريش يحقرونهم، فقال: (**والذي نفسي بيده، لا يدخلون الجنة حتى يحبوكم لله ولقرابتي**).

وإذا كانوا أفضل الخلق، فلا ريب أن أعمالهم أفضل الأعمال، وكان أفضلهم رسول الله ﷺ الذي لا عدل له من البشر، ففاضلهم أفضل من كل فاضل من سائر قبائل قريش والعرب، بل ومن بني إسرائيل وغيرهم، ثم علي وحمزة وجعفر وعبيدة بن الحارث هم من السابقين الأولين من المهاجرين،

فهم أفضل من الطبقة الثانية من سائر القبائل، ولهذا لما كان يوم بدر أمرهم النبي ﷺ بالمبارزة لما برز عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة، فقال النبي ﷺ: **(قم يا حمزة، قم يا عبيدة، قم يا علي)** فبرز إلى الثلاثة ثلاثة من بني هاشم، وقد ثبت في الصحيح أن فيهم نزل قوله **(هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ)** الآية وإن كان في الآية عموم.

ولما كان الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وكانا قد ولدا بعد الهجرة في عزّ الإسلام، ولم ينلهما من الأذى والبلاء ما نال سلفهما الطيب، فأكرمهما الله بما أكرمهما به من الابتلاء ليرفع درجاتهما وذلك من كرامتهما عليه لا من هوانهما عنده، كما أكرم حمزة وعليا وجعفرًا وعمر وعثمان وغيرهم بالشهادة " انتهى كلامه، فأكرم الحسين بالشهادة ليلحق من سبقه بالدرجات.

الفضيلة الحادية عشر: الشهادة في سبيل الله لا يشترط لها سبق عمل بل مجرد اصطفاء:

قال ابن النحاس في المشارع وهو يعدد فضائل الشهادة:" ومنها أن الشهادة لا يشترط فيها سبق أعمال الأبرار، بل هي بسابق الإرادة والاختيار، عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: (أتى النبي ﷺ رجل مقنع بالحديد، فقال: يا رسول الله أقاتل أو أسلم ؟ قال: **(أسلم ثم قاتل)** فأسلم ثم قاتل فقتل، فقال رسول الله ﷺ: **(عمل قليلا وأجر كثيرا)**) رواه البخاري وغيره.

ورواه سعيد بن منصور في سننه ولفظه قال: (جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال وهو يقاتل: أهو خير لي أن أسلم ؟ قال: **(نعم)** قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، ثم قال: أهو خير لي أن أقاتل حتى أقتل ؟ قال: **(نعم)** قال: وإن لم أصل لله صلاة ؟ قال: **(نعم)** فحمل فقاتل، ثم اعتونوا عليه فقتل، فقال رسول الله ﷺ: **(عمل قليلا وأجر كثيرا)**" انتهى كلامه.

وعن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان في غزاة فبارز رجل من المشركين رجلا من المسلمين، فقتله المشرك، ثم برز له رجل من المسلمين فقتله المشرك، ثم جاء فوقف على النبي ﷺ فقال:على ما تقاتلون ؟ فقال: **(ديننا أن نقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وأن نفي لله بحقه)** قال: والله إن هذا لحسن آمنت بهذا، ثم تحول إلى المسلمين فحمل على المشركين فقاتل حتى قتل، فحمل فوضع مع صاحبيه الذين قتلهما قبل ذلك، فقال رسول الله ﷺ: **(هؤلاء أشد أهل الجنة تحابا)** رواه الطبراني في الأوسط بإسناد صحيح كما قال ابن النحاس وقال الهيثمي: رواه

الطبراني في الكبير والأوسط وسماع ابن المبارك من المسعودي صحيح فصحّ الحديث إن شاء الله فإن رجاله ثقات.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة خيبر، فخرجت سرية، فأخذوا إنسانا معه غنم يرعاها، فجاءوا به إلى رسول الله ﷺ فكلمه النبي ﷺ ما شاء الله أن يكلم، فقال له الرجل: إني قد آمنت بك وبما جئت به فكيف بالغنم يا رسول الله، فإنها أمانة، وهي للناس الشاة والشاتان وأكثر من ذلك ؟ قال: **(احصب وجوهها ترجع إلى أهلها)** فأخذ قبضة من حصباء أو تراب فرمى بها وجوهها، فخرجت تشتد حتى دخلت كل شاة إلى أهلها، ثم تقدم إلى الصف، فأصابه سهم فقتله، ولم يصل لله سجدة قطّ، فقال رسول الله ﷺ: **(ادخلوه الخباء)** فأدخل خباء رسول الله ﷺ حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ دخل عليه ثم خرج فقال: **(لقد حسن إسلام صاحبكم، لقد دخلت عليه وإن عنده لزوجتين له من الحور العين)** رواه الحاكم في مستدركه وصححه وفيه شرحبيل وفيه كلام.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه (أن عمرو بن أقيش كان له ربا في الجاهلية، فكره أن يسلم حتى يأخذه، فجاء يوم أحد فقال: أين بنو عمتي ؟ فقالوا: بأحد، فقال: أين فلان ؟ قالوا: بأحد، قال: أين فلان ؟ قالوا: بأحد، فلبس لامته وركب فرسه، ثم توجه قبلهم، فلما رآه المسلمون قالوا: إليك عنا يا عمرو، قال: إني آمنت، فقاتل حتى جرح، فحمل إلى أهله جريحا، فجاءه سعد بن معاذ فقال لأخته: سليه حميَّة لقومك أو غضبا لهم أم غضبا لله ورسوله ؟ فقال: بل غضبا لله ورسوله، فمات فدخل الجنة، وما صلى لله صلاة) رواه أبو داود والحاكم، وقال صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود.

وهذا يحصل كثيرا في الجهاد، أن يسلم رجل من العدو ويقتل مباشرة بلا سابق عمل قبل الشهادة، فمن ذلك ما رواه ابن المبارك عن القاسم بن عبد الرحمن أبو عبد الرحمن المسعودي قال: غزونا مع فضالة بن عبيد البر أرض الروم – ولم يغز فضالة في البر غيرها – فبينا نحن نسير إذ يسرع فضالة، وهو أمير الناس، وكانت الولاة إذ ذاك يسمعون ممن استرعاهم الله عزوجل، فقال له قائل أيها الامير إن الناس قد تقطّعوا فقف حتى يلحقوك، فوقف في مرج فيه تلّ عليه قلعة فيها حصن قال فمنا الواقف، ومنا النازل، إذ نحن برجل أحمر ذي شوارب بين أظهرنا، فأتينا به فضالة، فقلنا إن هذا هبط من الحصن بلا عهد ولا عقد، فسأله ما شأنه ؟ فقال: إني أكلت البارحة لحم خنزير وشربت خمرا وأتيت

أهلي، فبينا أنا نائم، أتاني رجلان فغسلا بطني وزوجاني امرأتين لا تغار إحداهما على الأخرى، وقالوا لي أسلم فإني لمسلم، فما كانت كلمته أسرع من أن رمينا، فأقبل يهوي حتى أصابه فوق عنقه من بين الناس، فقال فضالة: الله أكبر عمل قليلا وأجر كثيرا، صلوا على أخيكم، فصلينا عليه ثم دفناه في موقفنا وسرنا، قال عبد الرحمن يقول القاسم يذكر هذا فهذا شئ رأيته.

وما ذكره ابن الأثير في الكامل عن قائد مقدمة الروم الكفار يوم اليرموك وهو جرجة " خرج جرجة إلى بين الصفين وطلب خالداً، فخرج إليه، فآمن كل واحد منهما صاحبه، فقال جرجة: يا خالد اصدقني ولا تكذبني، فإن الحر لا يكذب، ولا تخادعني، فإن الكريم لا يخادع المسترسل، هل أنزل الله نبيكم سيفاً من السماء فأعطاكه فلا تسله على قوم إلا هزمتهم ؟ قال: لا، قال: ففيم سميت سيف الله ؟ فقال له: إن الله بعث فينا نبيه، ﷺ، فكنت فيمن كذبه وقاتله، ثم إن الله هداني فتابعته، فقال: (أنت سيف الله سله على المشركين) ودعا لي بالنصر، قال: فأخبرني إلى ما تدعوني، قال خالد: إلى الإسلام أو الجزية أو الحرب، قال: فما منزلة الذي يجيبكم ويدخل فيكم ؟ قال: منزلتنا واحدة، قال: فهل له مثلكم من الأجر والذخر؟ قال: نعم وأفضل لأننا اتبعنا نبينا وهو حي يخبرنا بالغيب ونرى منه العجائب والآيات، وحق لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا أن يسلم، وأنتم لم تروا مثلنا ولم تسمعوا مثلنا، فمن دخل بنية وصدقٍ كان أفضل منا، فقلب جرجة ترسه ومال مع خالد وأسلم، وعلمه الإسلام، واغتسل، وصلى ركعتين، ثم خرج مع خالد فقاتل الروم، وحملت الروم حملة أزالوا المسلمين عن مواقفهم إلا المحامية، عليهم عكرمة وعمه الحارث بن هشام، فقال عكرمة: قاتلت النبي، ﷺ، في كل موطن ثم أفر اليوم ! ثم نادى: من يبايع على الموت ؟ فبايعه الحارث بن هشام وضرار بن الأزور في أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم، فقاتلوا قدام فسطاط خالد حتى أثبتوا جميعاً جراحاً، فمنهم من برأ ومنهم من قتل، وقاتل خالد وجرجة قتالاً شديداً، فقتل جرجة عند آخر النهار" انتهى كلامه.

الفضيلة الثانية عشر: الشهادة من أحسن الأمور:

حسن الشهادة أمر يفوق الوصف، فهي حسنة من كل جانب، وفي كل حال ليس فيها سوء أبدا، ولا حتى في طريقة الموت فيها، فهي حسنة فلا ألم إلا كألم القرصة، ومن عرف فضائلها أثبت حسنها ولابد، قال تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ**﴾ **التوبة**، أي إما حسنى الشهادة وإما حسنى الفتح.

وعبر عن حسن الشهادة بوزن فُعلى الدال على أفعل التفضيل، وهذا يدل على أنها من أحسن الأمور، وأحسن من غيرها، وأنها أفضل من غيرها، قال القرطبي في تفسيره في كلامه على لفظ الحسنى والمقصود بها الجنة قال " لأنها في نهاية الحسن " انتهى كلامه.

وقال شيخ الإسلام في المجموع: " والحسنى المفضلة على الحسنة والواحد الأحاسن " انتهى كلامه.

وقد عبر القرآن بلفظ الحسنى عن أحسن الأمور، فمن ذلك الجنة، فقال تعالى: ﴿**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ**﴾ **يونس**، ومن ذلك أيضا الفتح وهو من أحسن الأمور كما في الآية السابقة، ومن ذلك أيضا الشهادة.

الفضيلة الثالثة عشر: افتخار الشهيد:

قد سبق أن ذكرنا ما فضل به الشهيد وشرف به على غيره من الخلق، وسنذكر أيضا في الفضائل الآتية زيادة على هذا، ولئن افتخر الشهيد بذلك على الخلق، لحق له الفخار والافتخار، والتباهي بشهادته التي نالها عليهم، فلقد عظم وشرف في فضائله وأجوره وحسناته، وعظم عند الله تعالى وخلقه، وحق لعظيم مثله أن يفتخر بما حصل له من القرب والعلو والمنزلة والكرامة.

عن عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**القتلى ثلاثة: رجل مؤمن جاهد بنفسه وماله في سبيل الله، حتى إذا لقي العدو قاتلهم حتى يقتل، فذلك الشهيد المفتخر، في خيمة الله تحت عرشه، لا يفضله النبيون إلا بفضل درجة النبوة...**) رواه أحمد والطبراني بإسناد جيد كما قال المنذري وابن النحاس، وقال الهيثمي " ورجال أحمد رجال الصحيح خلا المثنى الاملوكي وهو ثقة ".

الفضيلة الرابعة عشر: كثرة الخصائص التي خص بها الشهيد:

الخصيصة هي ما انفرد بها الشخص عن غيره، وللشهيد خصائص كثيرة كما سيأتي بإذن الله بيانها، ولهذا ورد في صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**إن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش، فاطّلع**

عليهم ربك اطّلاعة، فقال: ماذا تبغون ؟ فقالوا: يا ربنا، وأي شيء نبغي، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك ؟...).

فالشهداء قد أعطوا من الفضائل والخصائص ما لم يُعطه أحد من خلق الله على العموم، وهذه فضيلة للشهداء، فالتخصيص لوحده فضيلة، وللشهداء خصائص كثيرة وهذه فضيلة أخرى لهم، فإنه كلما علت المنزلة كلما كثرت خصائصها، ولهذا لما كان النبي ﷺ أفضل الرسل والأنبياء كان أكثرهم خصائصا، ثم موسى عليه الصلاة والسلام من أفضل الأنبياء والرسل وأكثرهم خصائصا، والصديق رضي الله عنه لما كان أفضل هذه الأمة كان أكثرهم خصائصا، وهكذا.

ولهذا لما عرف الفيروزآبادي التخصيص في قاموسه عرفه بالتفضيل، وذلك لما ينبني عليه التخصيص من التفضيل، وسيأتي إن شاء الله بيان هذه الخصائص في موضعها.

الفضيلة الخامسة عشر: الشهادة في سبيل الله خير من ملك أهل المدر والوبر:

نعيم الآخرة لا يقارن بالدنيا وملذاتها، فمقدار سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها، فكيف ببعض النعيم، فكيف به كله.

وقد جاء في النصوص المقارنة والمفاضلة بين الأعمال الصالحة ذات الأجور ونعيم الجنة وبين بعض نعيم الدنيا وبعض ملذاتها، والمقصود من تلك المقارنة والمفاضلة التقريب إلى الأفهام في عظم مقدار النعيم في الجنة وعظم قدر العمل الصالح، كما قال ﷺ: **(فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم)** رواه البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

وحمر النعم هي الأبل الحمر، وهي من أثمن وأغلى أموال العرب، وأحبها إليهم، وقيمتها عندهم عظيمة، والأجر المترتِّب على هداية رجل واحد لا يقارن أبدا بالأبل الحمر، ولا مثقال ذرة، وإنما المراد هنا التقريب إلى الأفهام، وإلا فذرة من نعيم الجنة خير من الدنيا وما فيها.

قال الحافظ في الفتح على حديث **(ولقاب قوس أحدكم في الجنة)** قال: " والحاصل أن المراد تسهيل أمر الدنيا، وتعظيم أمر الجهاد، وأن من حصل له من الجنة قدر سوط يصير كأنه حصل له أمر أعظم من جميع ما في الدنيا، فكيف بمن حصل منها أعلى الدرجات " انتهى كلامه.

وقال ابن دقيق العيد كما في الفتح على حديث (**لغدوة أو روحه في سبيل الله...**) قال: " يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون من باب تنزيل المغيب منزلة المحسوس، تحقيقا له في النفس، لكون الدنيا محسوسة في النفس، مستعظمة في الطباع، فلذلك وقعت المفاضلة بها، وإلا فمن المعلوم أن جميع ما في الدنيا لا يساوي ذرة مما في الجنة.

والثاني: أن المراد أن هذا القدر من الثواب خير من الثواب الذي يحصل لمن لو حصلت له الدنيا كلها لأنفقها في طاعة الله تعالى " انتهى كلامه.

وقد ورد في الشهادة في سبيل الله أنها أفضل من ملك أهل الوبر (وهم سكان البادية) والمدر (وهم الحاضرة) فقال ابن أبي عميرة: قال رسول الله ﷺ: (**لأن أقتل في سبيل الله أحبّ إلي من أن يكون لي المدر والوبر**) رواه أحمد بإسناد حسن كما قاله ابن النحاس، وقال الهيثمي ورجاله ثقات.

وقد أختلف في تفسير الحديث، فقيل خير لي من أن يكون أهل الوبر والمدر تحت ملكي وأن أكون ملكا عليهم، وقيل خير لي من أن يكونوا عبيدا لي فأعتقهم، وعلى كلا المعنين يدل ذلك على فضل الشهادة، وأنها على المعنى الأول خير من الملك الذي هو من أحب الأشياء إلى النفوس، وهل فنيت النفوس وأسيلت الدماء إلا فيه ؟ وعلى المعنى الثاني يدل على أن الشهادة أعظم فضلا من عتق العبيد، مهما بلغوا في الكثرة، ومهما بلغوا في الثمن والنفاسة، فإنه عم أهل الوبر والمدر بذلك.

الفضيلة السادسة عشر: الشهادة أفضل ما يؤتاه الصالحون:

أفضل ما يُؤتاه الصالحون على صلاحهم الشهادة في سبيل الله، وهذا عام يشمل كل شيء، فهو أفضل من أن يُؤتوا الدنيا وما فيها جميعا، وأفضل من أن يُؤتوا العبادات والطاعات عدا الفرائض، وأفضل من أن يُؤتوا العلم على صلاحهم، فأفضل ما يزاد على الصلاح الشهادة في سبيل الله.

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رجلا جاء إلى الصلاة ورسول الله ﷺ يصلي فقال حين انتهى إلى الصف: اللهم آتني أفضل ما تؤتي عبادك الصالحين، قال: فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال: (**من المتكلم آنفا ؟**) قال الرجل: أنا يا رسول الله، **قال: (إذا يعقر جوادك وتستشهد في سبيل الله**

!) رواه أبو يعلى والبزار والحاكم، وقال صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي وأحد إسنادي البزار رجاله رجال الصحيح خلا محمد بن مسلم بن عائذ وهو ثقة.

وذلك أن الشهادة والصلاح إذا اجتمعا في العبد أورث ذلك للعبد الدرجات العلى والمنازل العالية في الجنة، كما سيأتي بيانه في أن من أسباب التفاضل بين الشهداء كمال الإيمان وترك المعاصي وذلك من الصلاح، وهذا أعظم الفوز في الآخرة، فالصلاح يرفع منزلة الشهيد عند الله تعالى، فليس الشهيد الصالح كالشهيد الفاسق، والشهادة ترفع منزلة الصالح عند الله درجات، فليس الصالح الشهيد كالصالح غير الشهيد، مهما بلغ الثاني في العبادة، وهذا يدل على عظم منزلة الشهادة وتحريض للصالحين خصوصا على طلبها.

الفضيلة السابعة عشر: من خير معاش الناس لهم وأفضل حياة وعيش لهم طلب الشهادة:

وهذه الفضيلة في طلبها فكيف بها، فخير عيش يعشه الناس وأفضل حياة يحيونها طلب الشهادة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: **(من خير معاش الناس لهم رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله يطير على متنه كلما سمع هيعه أو فزعةً طار عليه يبتغي القتل والموت مظانّه)** رواه مسلم.

قال النووي في المنهاج: " المعاش هو العيش والحياة وتقديره والله أعلم من خير أحوال عيشهم " انتهى كلامه.

وعن محمد بن أبي يعقوب قال: أخبرني من سمع بريدة الأسلمي رضي الله عنه من وراء نهر بلخ وهو على فرس وهو يقول: " لا عيش إلا طراد الخيلِ الخيلَ " رواه سعيد بن منصور في السنن.

وحق لها أن يكون طلبها أفضل عيش، وحق لها أن يكون طلبها أحسن حياة، فهي من أفضل ما شغلت به الأوقات، وقضيت به الأعمار، ومما يؤيد أن في طلبها أفضل الحياة والعيش قوله ﷺ: **(جاهدوا في سبيل الله، فإن الجهاد في سبيل الله باب من أبواب الجنة، ينجي الله تعالى به من الهم والغم)** رواه عبد الرزاق في مصنفه وأحمد عن عبادة بن الصامت بإسناد جيد كما قال ابن النحاس، ومعلوم أن الحياة الخالية من الهم والغم من أفضل الحياة والعيش، فإن أعظم ما ينغص على المرء عيشته

هو الهم والغم، ففي حياة الجهاد وطلب الشهادة السعادة الحقيقية، وهذا شئ معلوم ومجرب عند من ذاق طعم الجهاد، وكثير هم الذين يتحدثون عن مدى سعادتهم وعظمتها في جبهات القتال، وأنهم لم يذوقوا طعم هذه السعادة من قبل، هذا سوى ما في حياة الجهاد وطلب الشهادة من الأجور والحسنات العظام التي يحصل عليها في طريق طلب الشهادة والتي لا يوازيها شئ من الأعمال، ففي طلبها لوحدها ولو بدون حصولها أعظم الفضائل وأفضل الأعمال، وهذه فضيلة للشهادة عظيمة أن يكون في طلبها ووسيلة حصولها هذه الفضائل ولو لم تحصل، فكيف بها هي ؟

وهذه تسلية لمن طلب الشهادة وإن لم تحصل له، أنه على خير عظيم وفضل جسيم فلا يدعه، وليست كبعض الأعمال التي إن لم يحصل المقصود منها لم يستفد العامل من الوسيلة، فالشهادة مقصد والجهاد وسيلته، وإذا كانت هذه منزلة الوسيلة، فكيف بالمقصد الأعظم والثمرة الكبرى منه.

الفضيلة الثامنة عشر: منَّة الشهداء على المسلمين عامة:

فللشهداء المنّة على من دخل في الإسلام، بسبب جهادهم وإراقة دمائهم، وقد رفعوا عنه كفره والظلام الذي كان فيه، فنجا من الجحيم والعذاب بالله ثم بهم، وكم من دماء للشهداء أريقت لأجل ذلك.

وللشهداء المنة على المسلمين، بما أكسبوهم من العزِّ والتمكين والرفعة بالدين، ومنعوهم من الذلّ والهوان والاستعباد.

وللشهداء المنة على المسلمين، بحفظهم لعوراتهم، وحراستهم لهم ولأبنائهم ونسائهم، وسهرهم على رعايتهم وصونهم من أي عدو دخيل، وكم من دماء الشهداء أريقت لأجل ذلك.

وللشهداء المنة على المسلمين، بإذلالهم الكفر وأهله، وقمعهم واسترقاق أهل الكفر، وتسخيرهم لأهل الإسلام، وجعله كلمة الكفر خاضعة للإسلام وأهله، وكم من دماء الشهداء أريقت لأجل ذلك.

وللشهداء المنة على المسلمين، بإغنائهم لهم مما غنموه من الأموال والأراضي، وما سبوه من الرقيق والعبيد وتسخيرهم لمصلحة المسلمين، والتي ترفع الغلاء عن الأسعار وينتشر المال، وكم من دماء الشهداء أريقت لأجل ذلك.

وللشهداء المنة على المسلمين، بنشرهم الإسلام في الأرض، وإكثارهم عدد المسلمين، وإدخالهم الناس في دين الله أفواجا، وتسخيرهم الناس لخدمة الدين، وكم من دماء الشهداء أريقت لأجل ذلك.

وللشهداء المنة على المسلمين، بإسقاطهم فرض الجهاد عنهم، بقيامهم بالفرض دونهم، وتعبهم في ذلك مع راحة المسلمين.

وللشهداء المنة على المسلمين، بنصرهم المستنصرين منهم، ورفع الظلم عن المظلومين فيهم، ورد العدوان والاعتداء عليهم من أي متربص بهم.

وللشهداء المنة على المسلمين في حفظ دينهم عليهم وعلى أبنائهم وذراريهم، فلولا الله ثم هم لما بقوا على هذا الدين، وثبتوا عليه، عند تسلط الكفار عليهم، ولأكره الكفار الناس على الكفر، وأكرهوا أبناءهم حتى لا يبقى في الأرض مسلما، كما هو في بعض الأماكن التي ضعف فيها الجهاد.

وللشهداء المنة على المسلمين، بإزالة الكفر من الأرض، ومحو آثاره فيها، وهدم أصنامه وأعلامه وإحراق كتبه وآثاره.

وللشهداء المنة على المسلمين، بقتلهم لأئمة الكفر ورؤوس الطواغيت وأعلام أهله وأقويائهم، وتطهير الأرض منهم.

وللشهداء المنة على المسلمين، فما هم فيه من النعمة والأمن والرخاء والرفاهية وعدم الخوف هو بعد الله من بذل الشهداء.

وللشهداء المنة على المسلمين، في تعبّدهم وتعلّمهم وتعليمهم وما يقدّمونه لدينهم ولأنفسهم هو بعد الله من بذل الشهداء، فلولا الله ثم هم لما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، فهم تفرغوا لذلك، لتفرغ الشهداء لأعظم من ذلك.

وللشهداء المنة على المسلمين، في شفاعتهم لهم يوم القيامة، سواء الشفاعة العامة أم الخاصة، وأنعم بها من منّة.

وللشهداء المنة على المسلمين، في سؤالهم رفع المتوفين بالطاعون إلى درجاتهم كما سبق بيانه.

وللشهداء المنة على المسلمين، في سؤالهم الله تعالى أن يبلغ المسلمين ما هم فيه من النعيم، لكي يلحقوا بهم، ويقفوا أثرهم، كما سيأتي بيانه بالأدلة.

وكل ذلك أصلا من منة الله ثم منة الشهداء، ولو أخذنا في تعداد منة الشهداء على المسلمين، وما يقدمه الشهداء من تضحيات ومن بذل، وما يترتب على هذه التضحيات من نعم لا تحصى، وفضائل قصوى، وآثار لا تستقصى، لطال بنا المقام، وكثر فيه الكلام، وفيما أشرنا إليه الكفاية.

قال الشيخ عبد الله عزام في كتاب التربية الجهادية والبناء: " هؤلاء الشهداء صناع التاريخ، بناة الأمم، صانعوا المجد، شادة العزة، هؤلاء يبنون للأمم كيانها يخطون للأمة عزتها، جماجمهم صرح العزة، أجسادهم بنيان الكرامة، دماؤهم ماء الحياة لهذا الدين وإلى يوم الدين، هم شهداء يشهدون أن المبادئ أغلى من الحياة، وأن القيم أثمن من الأرواح، وأن الشرائع التي يعيش الإنسان لتطبيقها أغلى من الأجساد، وأمم لا تقدم الدماء لا تستحق الحياة، ولن تعيش.." انتهى كلامه.

فحقيق بنا معشر المسلمين أن نعرف لهم فضلهم ومنزلتهم، وأن نكافئهم على معروفهم ومنّتهم علينا، بالدعاء لهم، ومعرفة حقهم، وخلافتهم في أهليهم، والدفاع عنهم، وشكرهم، وإحاطتهم بالنصح والمحبة والإعانة وغير ذلك، وأن ننفّذ وصاياهم، وأن نسدّد ديونهم، ونقتصّ لهم ممن قتلهم وننتقم، ونثني عليهم، ونعظّمهم ونقدّرهم، وهذا أقل ما يمكن أن نكافئهم به على منتهم علينا نحن المسلمين، وهم حقيقون بذلك وأكثر.

قال ابن النحاس في المشارع: " قال رسول الله ﷺ: **(من أتى إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تجدوا فادعوا له حتى تعلموا أن قد كافأتموه)** رواه أبو داود والنسائي وابن حبان والطبراني ولفظه **(من اصطنع إليكم معروفا فجازوه، فإن عجزتم عن مجازاته فادعوا له حتى تعلموا أن قد شكرتم، فإن الله شاكر يحب الشاكرين)**.

فممّا على كل مسلم من الحقوق، أن يرى ما هو فيه من النعم ويشكر من كان السبب فيها. ويجتهد في الدعاء لمن بذل نفسه في سبيل الله حتى وصل هو مع ضعفه إليها، ويشهد وفور عجزه وقصور همته عن الاقتداء بهم في بذل ماله ومهجته.

ويعلم يقيناً أنه لولا من أقامهم الله من الصحابة والتابعين ومن اقتفى سنَنَهم من الغزاة والمجاهدين، أنصار الدين وحماته، وشجعان الإسلام وكماته، رجال الطعن والضرب، وفاتحوا الشرق والغرب، وما

استنجدوه من جنودهم، وحشدوه من حشودهم، وما جمعوه من الجحافل الحافلة، وأنفقوا من الحواصل المتواصلة، وما دافعوه من القساور القاسرة، وواقعوه من العساكر الكاسرة، إلى أن ردوا المرتدين عن ملة الإسلام إليها، واستنزلوا ملوك الروم والفرس عن أسِرّتِهم وعلوا عليها، واستلبوا ثياب عزّهم عن أجسامهم، واجتذبوا تيجانهم عن هامهم، واستعذبوا شرب دمائهم بشفاه شفارهم، وألسنة أسنّتهم وسهامهم، ومزّقوا منهم الجسوم والرسوم، وألحقوا الموجود منهم بالمعدوم، وأدخلوا جموع الباقين منهم، وإن كانوا ألوف الألوف كثرة في باب القلّة، وأنزلوا شم الأنوف العالين منهم على رغم الأنوف أرض الهوان والذلة، وأقاموا على محصن حصونهم ومدنهم بالمجانيق حدود الرجم المشروع، لما كنا قاطنين في أطلال نعمهم بغمّهم فيها وهمّهم، ولما عشنا آمنين في ظلال هممهم، بجودهم بأنفسهم وكرمهم، إلى أن جهلنا بمؤانسة العوائد ما اجتهدوا عليه، وذهلنا عن مقايسة المعاند والخروج إليه، واستغنينا بما أسدوا إلينا عن شرب كؤوس الحتوف، في الاكتساب بالرماح والسيوف واستعنَّا بالرفاهية في ذلك والنعيم، على منع ما أوجبه البيع القديم علينا من التسليم، وقنعنا بما نحن فيه من الأنشاب والأسباب، وغبطنا أنفسنا بالزائل من المنازل والأحباب، وركنا إلى الدنيا ركون الظمآن إلى شراب السراب، وسكنا إلى دار الغرور سكون من ليس له عنها انقلاب ولا مآب، وأعرضنا عن الجهاد إذ لا فقر ولا فرق يدعو إليه، وأخلدنا من أوج الجلاد إلى حضيض الكسل إذ لا أحد يذكر الغزو ولا يحض عليه، فأخلق الجديد مع الأمان ثوب الجهاد بعد أن كان جديداً بهياً، وذوى بالهوى والهوان غصنه بعد أن كان نضيداً زهياً، وهوى نجمه من سماء عزة بعد أن كان مشرقاً سنياً، وانمحى رسمه واسمه كأن لم يكن له من قبل سمياً، فضعف الدين لذلك بعد أن كان أيداً قوياً، ووهى ركن المسلمين بعد أن كان مؤيداً محمياً.

فصرنا نتخطف بأيدي العدو الغائر براً وبحراً، ونلتقط كما يلتقط الطائر الحب سراً وجهراً، ونؤخذ جمعاً وفرادى بالمواسط والسواحل، فلا تتحرك القلوب لذلك كأنهم على الحق ونحن على الباطل.

فلا تنكر أيها الأخ ما بنا من فساد الأحوال، وما إليه أمرنا من النقص آل بعد الكمال، إذ تركنا من الدين شعيرته العظمى، وأهملنا من أمور المشركين ما به كُلّفنا، وأقبلنا على بناء المساكن والدور، ورغبنا من دار الشرور في كل محذور، فلا يمر بنا الجهاد أبداً على بال، ولا نرى مندوحة عن الاجتهاد في طول الآمال، وكنز الأموال والكتمان لما نحن فيه أولى من المقال، ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فما لهم من دونه من وال " انتهى كلامه.

الفضيلة التاسعة عشر: الشهيد أمين الله على خلقه:

ومن فضل الشهيد وشرفه أنه جُعل أمينا لله تعالى على خلقه في الأرض، فعن محمد بن زياد الألهاني قال: ذكر عند أبي عنبة الخولاني الشهداء، فذكروا المبطون والمطعون والنفساء، فغضب أبو عنبة وقال: حدثنا أصحاب نبينا عن نبينا ﷺ أنه قال: (**إن شهداء الله في الأرض أمناء الله في الأرض في خلقه قتلوا أو ماتوا**) رواه أحمد، وقال الهيثمى رجاله ثقات، وصححه الألباني في الصحيحة.

وخرج ابن المبارك عن خالد بن معدان أن رسول الله ﷺ قال: (**الشهداء أمناء الله عز وجل قتلوا أو ماتوا على فرشهم**) وهذا مرسل.

والمعنى – والله أعلم – في هذا الحديث أن الشهداء جعلوا أمنة لأهل الأرض، فوجودهم في الأرض أمان لهم من عقاب الله تعالى، وأن يعذبهم على ذنوبهم بعقاب عام، سواء كانوا قتلوا وكانوا من الشهداء في الدنيا والآخرة، أو ماتوا على فرشهم وكانوا من شهداء الآخرة.

قال المناوي في الفيض: " (**شهداء الله في الأرض هم أمناء الله على خلقه**) سواء (**قتلوا**) في الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله (**أو ماتوا**) على فرشهم من غير قتال، فإنهم شهداء أي في حكم الآخرة " انتهى كلامه.

وذلك كحديث (**النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون**) رواه مسلم عن أبي موسى رضي الله عنه مرفوعا، فالأمنة هنا جمع أمين، وهو الحافظ كما قال ابن الأثير في نهايته.

الفضيلة العشرون: هدي النبي ﷺ مع الشهادة والشهداء:

نعم فهدي النبي ﷺ مع الشهادة والشهداء لوحده فضل عظيم، ولو قسمنا هديه وأفعاله مع الشهادة والشهداء، لظهر لنا فضائل كثيرة للشهيد والشهادة، فقد كان هديه فيهما خير الهدي وأكمله، وكل عمل لوحده في هديه فضيلة لوحدها، وإليك أخي بيان هديه:

١. تمنّي النبي ﷺ للشهادة، وحبه لها، ودعاؤه بها، وطلبه لها، مع تعوذه من بعض أنواع الشهادة الأخرى:

يكفي لثبوت فضل الشهادة، أن النبي ﷺ تمنّى هذه الميتة، وأرادها بالطلب، وأحبها، وما ذاك إلا لما علم ﷺ من عظمة ثوابها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((**والذي نفسي بيده وددت أني أقاتل في سبيل الله فأقتل، ثم أحيا ثم أقتل، ثم أحيا ثم أقتل، ثم أحيا ثم أقتل**) فكان أبو هريرة يقولهن ثلاثا أشهد بالله) رواه البخاري.

وهذا أيضا فضل داخل فضل، أنه ﷺ لم يتمنّاها مرة فقط، بل أربع مرات أيضا، وأكد ذلك بالقسم، وهذا من عظم أجر الشهادة، ومن شدة حبه وتمنّيه لها.

قال القرطبي في تفسيره على هذا الحديث: " وفيه فضل الشهادة على سائر أعمال البر؛ لأنه عليه السلام تمناها دون غيرها، وذلك لرفيع منزلتها وكرامة أهلها، فرزقه الله إياها؛ لقوله (**ما زالت أكلة خيبر تعادني الآن أوان قطعت أبهري**) " انتهى كلامه.

وورد أيضا عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول إذا ذكر أصحاب أحد (**أما والله لوددت أني غودرت مع أصحاب نحص الجبل –يعني سفح الجبل–**) رواه أحمد والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع.

قال ابن النحاس في المشارع: " قوله (**غودرت معهم**) أي استشهدت قاله الهروي في الغريبين، ونحص الجبل بضم النون وإسكان الحاء المهملة بعدها صاد مهملة هو أصله " انتهى كلامه، وقال ابن الأثير في النهاية " النحص بالضم أصل الجبل وبسفحه، تمنى أن يكون استشهد معهم يوم أحد " انتهى كلامه.

ومعنى هذا أنه تمنّى لو أنه استشهد مع شهداء أحد ونال الشهادة معهم، وهذا سوى تمنيه في الحديث الأول، فهذا يدل على تكرار تمنيه ﷺ للشهادة، وأنه لم يتمنها مرة بل أكثر.

والرسول ﷺ لا يتمنى أي شيء، بل لا يتمنى إلا ما فيه خير عظيم، ولم يتمن ﷺ من الأعمال شيئا وخير الآخرة مثل تمنيه للشهادة.

وقد روي أنه ﷺ دعا بها فقال: (**إني أسألك الفوز في العطاء (ويروى في القضاء)، ونزل الشهداء، وعيش السعداء، والنصر على الأعداء**) رواه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي.

قال ابن الأثير في النهاية: " النُّزْل في الأصل: قِرى الضيف، وتُضَمّ زايُه، يريد ما للشهداء عند اللَّه من الأجر والثواب " انتهى كلامه.

وقد طلبها جهده، ولم تمنعه عوائق الدنيا وشهواتها عن طلبها، وكانت خاتمته شهادة الآخرة، مع تعوذه من بعض أنواع الشهادات الأخرى كما سبق في أنواع الشهادة، وهذا من أعظم الشرف للشهادة والفضل لها، التمني والدعاء والطلب لها من قبل النبي ﷺ.

٢. تحريض النبي ﷺ أصحابه على الشهادة:

فقد كان يحرضهم في المعارك والغزوات على طلب الجنة بالشهادة، كما قال النبي ﷺ يوم بدر: (**قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض**) قال: يقول عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله جنة عرضها السماوات والأرض ؟ قال: (**نعم**...) رواه مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

وكان يخبرهم بما أعد الله للشهداء من الأجر العظيم في البرزخ والآخرة، لكي يطلبوا ذلك، والأحاديث على ذلك كثيرة، وذلك لحرصه على أمّته أن تسلك سبل الخير، ولما علم من فضل الشهادة العظيم، وأراد أن لا يفوت أمّته هذا الفضل، وأن ينهلوا منه أعظم منهل، وكفى بهذا شرفا للشهادة، فالنبي ﷺ لن يحرض ويدعو ويحث ويؤكد بتكرار الفضائل إلا على أمر عظيم.

٣. تبشير النبي ﷺ لبعض الصحابة بالشهادة:

والبشارة تكون لما يسرّ في الأصل، والنبي ﷺ لن يبشّر إلا بما يستحق التبشير، وبما يسرّ السرور الحقيقي، وبما فيه الخير، وكفى بهذا شرفا للشهادة أن يجعل النبي ﷺ من أعماله تبشير أصحابه بها، سواء الشهادة الدنيوية والآخروية، أم الأخروية فقط.

كما في حديث ابنة ثابت بن قيس أن النبي ﷺ قال لثابت: (**تعيش حميدا، وتقتل شهيدا، وتدخل الجنة**) رواه أبو يعلى والطبراني، قال الهيثمي: وبنت ثابت بن قيس لم أعرفها وبقية رجاله رجال الصحيح والظاهر أن بنت ثابت بن قيس صحابية فإنها قالت: سمعت أبي والله أعلم.

وكذا بشّر عمر وعثمان رضي الله عنهما، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن نبى الله ﷺ صعد أحدا، فتبعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، فضربه نبى الله ﷺ برجله وقال: (**اثبت أحد فإنما عليك نبى وصديق وشهيدان**) رواه البخاري.

وعن جابر رضي الله عنه أن طلحة مر على النبي ﷺ فقال: (**شهيد يمشى على وجه الأرض**) رواه ابن ماجه والترمذي.

وكذا ما جاء عن أم ورقة بنت عبد الله بن نوفل الأنصارية رضي الله عنها (أن النبي ﷺ لما غزا بدرا، قالت: قلت له يا رسول الله ائذن لي في الغزو معك أمرض مرضاكم، لعل الله أن يرزقني شهادة، قال: (**قري في بيتك، فإن الله تعالى يرزقك الشهادة**) قال: فكانت تسمى الشهيدة، قال: وكانت قد قرأت القرآن، فاستأذنت النبي ﷺ أن تتخذ في دارها مؤذنا، فأذن لها، قال: وكانت قد دبرت غلاما لها وجارية، فقاما إليها بالليل، فغماها بقطيفة لها حتى ماتت، وذهبا، فأصبح عمر فقام في الناس فقال: من كان عنده من هذين علم أو من رآهما فليجئ بهما، فأمر بهما فصلبا، فكانا أول مصلوب بالمدينة) رواه أبو داود، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود.

وغير ذلك كثير.

٤. استماعه ﷺ لرؤى الشهداء، ورؤيته لهم في المنام، وتعبيره النبي ﷺ لبعض أصحابه رؤاهم بالشهادة وآخرين بعدم الشهادة:

فكل هذه الأمور يدل على اهتمام النبي ﷺ بهم وبالشهادة، فمن ذلك عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ تعجبه الرؤيا الحسنة، فربما قال: (**هل رأى أحد منكم رؤيا ؟**) فإذا رأى الرجل رؤيا سأل عنه، فإن كان ليس به بأس كان أعجب لرؤياه إليه، قال: فجاءت امرأة فقالت: يا رسول الله رأيت كأني دخلت الجنة، فسمعت بها وجبة ارتجّت لها الجنة، فنظرت فإذا قد جيء بفلان بن فلان، وفلان بن فلان، حتى عدت أثنى عشر رجلا – وقد بعث رسول الله ﷺ سرية قبل ذلك – قالت: فجيء بهم عليهم ثياب طلس (أي خلِقة)، تشخب أوداجهم، قال فقيل: اذهبوا بهم إلى نهر البيدخ

أو قال إلى نهر البيدج، قال: فغمسوا فيه، فخرجوا منه وجوههم كالقمر ليلة البدر، قال: ثم أتوا بكراسي من ذهب فقعدوا عليها، وأتي بصحفة أو كلمة نحوها فيها بسرة فأكلوا منها، فما يقلبونها لشق الا أكلوا من فاكهة ما أرادوا، وأكلت معهم، قال: فجاء البشير من تلك السرية، فقال: يا رسول الله كان من أمرنا كذا وكذا، وأصيب فلان وفلان، حتى عد الأثني عشر الذين عدّتهم المرأة، قال رسول الله ﷺ: **(علي بالمرأة)** فجاءت، قال: **(قصي على هذا رؤياك فقصت)** قال: هو كما قالت لرسول الله ﷺ " رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي.

وعن أبي أمامة في رؤيا النبي ﷺ الطويلة وفيها **(إذا أنا بثلاثة نفر يشربون من خمر لهم، قلت: من هؤلاء ؟ قال: هؤلاء جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة)** رواه الحاكم وابن حبان، وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **(رأيت جعفر بن أبي طالب ملكا يطير في الجنة، ذا جناحين يطير منها حيث شاء، مقصوصة قوادمه بالدماء)** رواه الطبراني بإسنادين أحدهما حسن كما قال ابن النحاس.

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **(دخلت البارحة الجنة فنظرت فيها، فإذا حمزة متكيء على سرير)** رواه الطبراني في الكبير، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

وقد عبر لآخرين بعدم الشهادة، فلم يحصلوها، كحديث ابن سلام عند مسلم في رؤياه فقال: (فأتى بي جبلا فقال لي: اصعد قال: فجعلت إذا أردت أن أصعد خررت على استي، قال: حتى فعلت ذلك مرارا... فأتيت النبي ﷺ، فقصصتها عليه، فقال: **(أما الطرق التي رأيت عن يسارك فهي طرق أصحاب الشمال، قال: وأما الطرق التي رأيت عن يمينك فهي طرق أصحاب اليمين، وأما الجبل فهو منزل الشهداء ولن تناله، وأما العمود فهو عمود الإسلام، وأما العروة فهي عروة الإسلام، ولن تزال متمسكا بها حتى تموت))**.

٥. دعاء النبي ﷺ لأمّته ولأصحابه بالشهادة وربما أبى الدعاء لبعضهم بها:

وهذا من حرص النبي ﷺ على أمّته وأصحابه على الشهادة، وأن ينالوا الدرجات العالية من الجنة والفضائل العظيمة، وكفى بهذا فضلا للشهادة، أن يجعل النبي ﷺ جزءا من دعائه لها، فقد دعا لأمته بها.

فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**اللهم اجعل فناء أمتي قتلا في سبيلك بالطعن والطاعون**) رواه أحمد، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

وقد دعا أيضا لأصحابه، فمن ذلك عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه أنه قال: (خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة بني أنمار، قال جابر: فبينا أنا نازل تحت شجرة إذا رسول الله ﷺ أقبل، فقلت: يا رسول الله هلمّ إلى الظلّ، قال: فنزل رسول الله ﷺ فقمت إلى غرارة لنا، فالتمست فيها شيئا، فوجدت فيها جرو قثاء، فكسرته ثم قرّبته إلى رسول الله ﷺ، فقال: (**من أين لكم هذا ؟**) قال: فقلت خرجنا به يا رسول الله من المدينة، قال جابر: وعندنا صاحب لنا نجهزه يذهب يرعى ظهرنا، قال: فجهزته ثم أدبر يذهب في الظهر وعليه بردان له قد خلقا، قال: فنظر رسول الله ﷺ إليه، فقال: (**أما له ثوبان غير هذين ؟**) فقلت: بلى يا رسول الله له ثوبان في العيبة كسوته أياهما، قال: (**فادعه فمره فليلبسهما**) قال: فدعوته فلبسهما ثم ولّى يذهب، قال: فقال رسول الله ﷺ: (**ماله ضرب الله عنقه، أليس هذا خيرا له ؟**) قال: فسمعه الرجل فقال: يا رسول الله في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: (**في سبيل الله**) قال: فقتل الرجل في سبيل الله) رواه مالك والبزار بأسانيد ورجال أحد الأسانيد رجال الصحيح كما قال الهيثمي.

وعن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى على عمر قميصا أبيض فقال: (**جديد قميصك أو غسيل ؟**) قال: حسبت أنه قال: غسيل، فقال النبي ﷺ: (**البس جديدا وعش حميدا ومت شهيدا**) رواه ابن ماجه، وصححه إسناده البوصيري وقال الهيثمي رواه أحمد والطبراني ورجالهما رجال الصحيح.

وقد أبى أن يدعو لبعض الصحابة بها، فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: أنشأ رسول الله ﷺ غزوة، فأتيته، فقلت: يا رسول الله ادع الله لي بالشهادة، فقال: (**اللهم سلّمهم وغنّمهم**) قال: فسلمنا وغنمنا، قال: ثم أنشأ رسول الله ﷺ غزوا ثانيا، فأتيته فقلت: يا رسول الله ادع الله لي بالشهادة، **فقال: الله سلّمهم وغنّمهم**، ثم أنشأ غزوا ثالثا، فأتيته فقلت: يا رسول الله إني أتيتك مرتين قبل مرتي

هذه، فسألتك أن تدعو الله لي بالشهادة، فدعوت الله عز وجل أن يسلّمنا ويغنّمنا، فسلمنا وغنمنا، يا رسول الله فادع الله لي بالشهادة، فقال: (**اللهم سلّمهم وغنّمهم**) قال: فسلمنا وغنمنا، ثم أتيته، فقلت: يا رسول الله مرني بعمل، قال: (**عليك بالصوم فإنه لامثل له**) قال: فما رئي أبو أمامة ولا امرأته ولا خادمه إلا صياما، قال: فكان إذا رئي في دارهم دخان بالنهار قيل اعتراهم ضيف، نزل بهم نازل، قال: فلبث بذلك ما شاء الله ثم أتيته، فقلت: يا رسول الله أمرتنا بالصيام، فأرجو أن يكون قد بارك الله لنا فيه يا رسول الله، فمرني بعمل آخر، قال: (**اعلم أنك لن تسجد لله سجدة إلا رفع الله لك بها درجة، وحطّ عنك بها خطيئة**) رواه أحمد والطبراني في الكبير، قال الهيثمي ورجاله رجال الصحيح.

وعن ابن ثعلبة رضي الله عنه أنه أتى رسول الله ﷺ وقال: (ادع الله لي بالشهادة، فقال النبي ﷺ: (**اللهم إني أحرّم دم ابن ثعلبة على المشركين والكفار**) قال: فكنت أحمل في عظم القوم، فيتراىء لي النبي ﷺ خلفهم، فقالوا: يا ابن ثعلبة إنك لتغرر وتحمل على القوم ! فقال: إن النبي ﷺ يتراىء لي خلفهم، فأحمل عليهم حتى أقف عنده، ثم يتراىء لي عند أصحابي فأحمل حتى أكون مع أصحابي، قال: فعمّر زمانا من دهره) رواه الطبراني في الكبير، وحسن إسناده الهيثمي، وضعفه الألباني، والله أعلم بالحكمة في ذلك.

٦. عدم منع النبي ﷺ أحدا من أصحابه من طلب الشهادة ولو كان معذورا:

هذا والنبي ﷺ رحيم بالمؤمنين، وحريص عليهم، ويحب اليسر في الأمور كلها ويأمر أمته بالأخذ برخص الله، ولكن الشهادة لها شأن آخر، ففوتها خسارة كبيرة، وحصولها فوز عظيم، فكان النبي ﷺ لا يمنع أحد من الخروج إلى طلب الشهادة، ولو كان ممن عذره الله بالقعود وعدم الطلب كالأعرج.

فعن عكرمة مولى بن عباس قال: (كان عمرو بن الجموح شيخا من الأنصار، أعرجا، فلما خرج النبي ﷺ إلى بدر، قال لبنيه: أخرجوني، فذُكر للنبي عرجه وحاله، فأذن له في المقام، فلما كان يوم أحد خرج الناس، فقال لبنيه: أخرجوني، فقالوا: قد رخّص لك رسول الله ﷺ وأذن، قال: هيهات منعتموني الجنة ببدر وتمنعونيها بأحد، فخرج، فلما التقى الناس، قال لرسول الله ﷺ: أرأيت إن قتلت اليوم أطأ بعرجتي هذه الجنة ؟ قال: (**نعم**) قال: فوالذي بعثك بالحق لأطأنّ بها الجنة اليوم إن شاء الله، فقال لغلام له كان معه يقال له سليم: ارجع إلى أهلك، قال: وما عليك أن أصيب اليوم خيرا معك، قال:

فتقدّم إذا، قال: فتقدم العبد فقاتل حتى قتل، ثم تقدم وقاتل هو حتى قتل) رواه ابن المبارك في الجهاد، وفيه إرسال.

وروى البيهقي في السنن عن ابن إسحاق: حدثني والدي إسحاق بن يسار، عن أشياخ من بني سلمة قالوا: (كان عمرو بن الجموح أعرج شديد العرج، وكان له أربعة بنون شباب يغزون مع رسول الله ﷺ إذا غزا، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يتوجه إلى أحد، قال له بنوه: إن الله عز وجل قد جعل لك رخصة، فلو قعدت فنحن نكفيك، فقد وضع الله عنك الجهاد، فأتى عمرو بن الجموح رسول الله ﷺ فقال له: يا رسول الله، إن بني هؤلاء يمنعونني أن أخرج معك، ووالله إني لأرجو أن أستشهد معك فأطأ بعرجتي هذه في الجنة، فقال له رسول الله ﷺ: **(أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد)** وقال لبنيه: **(وما عليكم أن تدعوه لعل الله عز وجل يرزقه الشهادة)** فخرج مع رسول الله ﷺ فقتل يوم أحد شهيدا) وفيه جهالة ولكن يشهد له ما قبله.

وعن عامر بن سعد عن أبيه قال: (رأيت أخي عمير بن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله للخروج إلى بدر يتوارى، فقلت: ما لك يا أخي ؟ فقال: إني أخاف أن يراني رسول الله فيستصغرني فيردني، وأنا أحب الخروج، لعل الله يرزقني الشهادة، قال: فعُرض على رسول الله فاستصغره فقال: **(ارجع)** فبكى عمير، فأجازه رسول الله ﷺ، قال سعد: فكنت أعقد له حمائل سيفه من صغره، فقتل في بدر وهو ابن ستة عشر سنة، وقتله عمرو بن عبد ود) رواه ابن سعد في الطبقات وفيه الواقدي.

٧. استخبار النبي ﷺ عن الشهداء بعد المعركة وبحثه عنهم وقيامه عليهم:

فقد كان بعد المعركة يبحث عن الشهداء الذين قُتلوا فيها ويسأل عنهم، وربما أرسل بعض أصحابه ليبحث له وينظر خبرهم، وكان يقوم عليهم، ويرى ماهم عليه، وما خبرهم وكيف أحوالهم، وما جراحهم وهيئتهم، وما عملوه في المعركة، وما ذلك إلا لمنزلة الشهداء الكريمة عنده ﷺ وحبه لهم وعظمتهم عنده.

كما ورد عند ابن المبارك قال وأخبرني أيضا قال أخبرني محمد بن سعد أن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة قال: قال رسول الله ﷺ: (**(من ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع ؟)** فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله، قال: فخرج يطوف في القتلى حتى وجد سعدا جريحا قد أثبت بآخر

رمق...) وذلك يوم أحد بعد المعركة، وقد رواه الحاكم عن زيد بن ثابت رضي الله عنه وصححه، ووافقه الذهبي، وله شواهد.

وورد عن أبي برزة رضي الله عنه (أن النبي ﷺ كان في مغزى له، فأفاء الله عليه فقال لأصحابه: **(هل تفقدون من أحد ؟)** قالوا: نعم فلانا وفلانا وفلانا، ثم قال: **(هل تفقدون من أحد ؟)** قالوا: نعم فلانا وفلانا وفلانا، ثم قال: **(هل تفقدون من أحد ؟)** قالوا: لا، قال: **(لكني أفقد جليبيبا فاطلبوه)** فطلب في القتلى، فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه، فأتى النبي ﷺ فوقف عليه، فقال: **(قتل سبعة ثم قتلوه هذا مني وأنا منه هذا مني وأنا منه) قال: فوضعه على ساعديه، ليس له إلا ساعدا النبي ﷺ، قال: فحفر له ووضع في قبره، ولم يذكر غسلا)** رواه مسلم.

عن كعب بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم أحد: **(من رأى مقتل حمزة ؟)** فقال رجل أعزل: أنا رأيت مقتله، قال: **(فانطلق فأرناه)** فانطلق حتى وقف على حمزة ؟ فرآه قد شرط بطنه وقد مثل به فقال: يا رسول الله مثل به والله، فكره رسول الله ﷺ أن ينظر إليه، ووقف بين ظهراني القتلى، قال: **(أنا شهيد على هؤلاء القوم، لفوهم في دمائهم، فإنه ليس جريح يجرح إلا جرحه يوم القيامة يدمي لونه لون الدم وريحه ريح المسك، قدموا أكثر القوم قرآنا، اجعلوه في اللحد)** رواه ابن أبي شيبة، قال البوصيري في الإتحاف إسناد رجاله ثقات، وقال الهيثمي رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

٨. أمر النبي ﷺ برد القتلى إلى مضاجعهم التي قتلوا فيها:

وهذا من اهتمامه بشأنهم، وحفاظه على بقاء فضائلهم كاملة لهم ووافرة، وقد سبقت الأدلة والكلام في ذلك والعلة من ذلك في الأحكام.

٩. أمر النبي ﷺ أن يُدفن الشهداء في دمائهم، وأن لا يُغسلّوا، وأن ينزع عنهم الجلود والحديد، وإذا جمعهم في قبر قدّم أكثرهم قرآنا، وربما يخبر بأنه شهيد عليهم بأنهم شهداء، وتعاهده الشهداء عند الدفن، وقيامه عليهم، وربما دفنهم بنفسه وعطفه عليهم، وتوسيده لهم بذراعيه حتى يحفر قبره، وبعضهم يوسدهم قدمه الشريفة حتى يموت وتخرج روحه، وتكفينه لبعضهم في جبته ﷺ، واستبشاره إذا رأى لهم كرامات وفضائل، ودعائه لهم عند استشهادهم:

وهذا من اهتمامه بالشهداء، وحبه لهم وعظمة منزلتهم عنده، ومن الذي جمع له ذلك كله من النبي ﷺ غير الشهداء، وكفى بهذا شرفا لهم وفضلا وعظمة وقدرا، والأحاديث في ذلك كثيرة، وقد مضى بعضها في الأحكام، وفيما سبق من الهدي، ومن الأحاديث:

عن أبي برزة في حديث مقتل حليبيب قال: (قال: فوضعه على ساعديه ليس له إلا ساعدا النبي ﷺ، قال: فحفر له ووضع في قبره، ولم يذكر غسلا) رواه مسلم.

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن إبراهيم ابن الحارث التيمي أن عبدالله بن مسعود كان يحدث قال: قمت من جوف الليل وأنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك قال: فرأيت شعلة من نار في ناحية العسكر، قال: فاتّبعتها أنظر إليها، فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر، وإذا عبدالله ذو البجادين المزني قد مات، وإذا هم قد حفروا له ورسول الله ﷺ في حفرته، وأبو بكر وعمر يدنيانه إليه، وهو يقول: **(أدنيا إليّ أخاكما)** فدلّياه إليه، فلما هيأه لشقه قال: (اللهم إني أمسيت راضيا عنه فارض عنه) قال: يقول عبدالله بن مسعود **(يا ليتني كنت صاحب الحفرة)** وفيه انقطاع، وهذا قد مات في سبيل الله فهو شهيد.

عن يزيد بن السكن (أن رسول الله ﷺ لما لحمه القتال يومئذ - يعني يوم أحد - وخلص إليه، وكان رسول الله ﷺ قد ثقل، وظاهر بين درعين يومئذ، ودنا منه العدو، فذبّ عنه المصعب بن عمير حتى قتل، وأبو دجانة سماك بن خرشة حتى كثرت فيه الجراحة، وأصيب وجه رسول الله ﷺ، وثلمت رباعيته، وكلمت شفته وأصيبت وجنته، فقال عند ذلك: **(من رجل يبيع لنا نفسه)** فوثب فتية من الأنصار خمسة، فيهم زياد بن السكن فقُتلوا حتى كان آخرهم زياد بن السكن، فقاتل حتى أثبت، ثم ثاب إليه ناس من المسلمين، فقاتلوا عنه حتى أجهضوا عنه العدو، فقال رسول الله ﷺ: **(ادن مني)** وقد أثبتته الجراحة، فوسده رسول الله ﷺ قدمه حتى مات عليها وهو زياد بن السكن) رواه ابن المبارك بإسناد حسن كما قال ابن النحاس.

عن أنس رضي الله عنه: أن رجلا أسود أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني رجل أسود، منتن الريح، قبيح الوجه، لا مال لي، فإن أنا قاتلت هؤلاء حتى أقتل فأين أنا ؟ **قال**: **(في الجنة)** فقاتل حتى قُتل، فأتاه النبي ﷺ فقال: **(قد بيَّض الله وجهك، وطيب ريحك، وأكثر مالك)** وقال لهذا أو لغيره **(لقد رأيت زوجته من الحور العين نازعته جبّة له من صوف، تدخل بينه و بين جبّته)** رواه الحاكم في

المستدرك، وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الترغيب والترهيب.

وعن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ مر بخباء أعرابي وهو في أصحابه يريدون الغزو، فرفع الأعرابي ناحية من الخباء، فقال: من القوم ؟ فقيل له: رسول الله ﷺ وأصحابه يريدون الغزو، فقال: هل من عرض الدنيا يصيبون ؟ قيل له: نعم يصيبون الغنائم ثم تقسم بين المسلمين، فعمد إلى بكر له فاعتقله، وسار معهم، فجعل يدنو بكره إلى رسول الله ﷺ، وجعل أصحابه يذودون بكره عنه، فقال رسول الله ﷺ: (**دعوا لي النجدي، فوالذي نفسي بيده إنه لمن ملوك الجنة**) قال: فلقوا العدو، فاستشهد، فأخبر بذلك النبي ﷺ، فأتاه، فقعد عند رأسه مستبشرا أو قال: مسرورا يضحك، ثم أعرض عنه، فقلنا: يا رسول الله رأيناك مستبشرا تضحك ثم أعرضت عنه ؟ فقال: (**أما ما رأيتم من استبشاري أو قال: سروري فلما رأيت من كرامة روحه على الله تعالى، و أما إعراضي عنه فإن زوجته من الحور العين الآن عند رأسه**) رواه البيهقي في الشعب بإسناد حسن كما قاله المنذري وابن النحاس والألباني.

عن أبي موسى رضي الله عنه قال في قصة مقتل أبو عامر الأشعري رضي الله عنه " دعا النبي ﷺ بماء، فتوضأ به، ثم رفع يديه فقال: (**اللهم اغفر لعبيد أبي عامر**) ورأيت بياض إبطيه فقال: (**اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك من الناس**) رواه البخاري، وذلك بعدما استشهد.

عن كعب بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم أحد: (**من رأى مقتل حمزة ؟**) فقال رجل أعزل: أنا رأيت مقتله، قال: (**فانطلق فأرناه**) فانطلق حتى وقف على حمزة ؟ فرآه قد شُرط بطنه وقد مثّل به، فقال: يا رسول الله مثّل به والله، فكره رسول الله ﷺ أن ينظر إليه، ووقف بين ظهراني القتلى قال: (**أنا شهيد على هؤلاء القوم، لفّوهم في دمائهم، فإنه ليس جريح يجرح إلا جرحه يوم القيامة يدمي لونه لون الدم وريحه ريح المسك، قدّموا أكثر القوم قرآنا، اجعلوه في اللحد**) رواه ابن أبي شيبة، قال البوصيري في الإتحاف إسناد رجاله ثقات، وقال الهيثمي رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

وعن أبي قتادة، رضي الله عنه، قال: بعث رسول الله ﷺ جيشًا واستعمل عليهم زيد بن حارثة فقال: (**إن أصيب زيد فجعفر، وإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة**) قال: فوثب جعفر فقال: يا رسول

الله ما كنت لأرهب أن تستعمل علي زيدا، قال: (**امض، فإنك لا تدري أي ذلك خير**) فقال: فقام النبي ﷺ فخطب الناس فقال: (**ألا أخبركم عن جيشكم هذا الغازي، إنهم انطلقوا حتى لقوا العدو، فأصيب زيد شهيدًا، فاستغفروا له، ثم أخذ اللواء جعفر، فشدَّ على القوم حتى قتل شهيداً، أشهد له بالشهادة، فاستغفروا له، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة، فأثبت قدميه حتى أصيب شهيدًا، فاستغفروا له، ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد، ولم يكن من الأمراء**) رواه أبو بكر بن أبي شيبة والنسائي في الكبرى بسند رواته ثقات كما قال البوصيري.

وروى الطبراني في الكبير ثنا يحي بن عبد الحميد بن رافع بن خديج عن جدته وهي امرأة رافع (أن رافعا رُمي مع رسول الله ﷺ يوم أحد أو يوم خيبر - شك عمرو - بسهم في ثندوته، فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله انزع السهم، قال: (**يا رافع إن شئت نزعت السهم والقطبة جميعا، وإن شئت نزعت السهم وتركت القطبة، وشهدت لك يوم القيامة إنك شهيد**) قال: فنزع رسول الله ﷺ السهم وترك القطبة، فعاش بها حتى كان في خلافة معاوية رضي الله عنه، فانتقض به الجرح، فمات بعد العصر، فأتي ابن عمر، فقيل: يا أبا عبد الرحمن مات رافع بن خديج، فترح عليه، قال: إن مثل رافع لا يخرج به حتى يُؤذن من حول المدينة من القرى، فلما خرجنا بجنازته فصلّي عليه، جاء ابن عمر حتى جلس على رأس القبر، فصرخت مولاة لنا، فقال ابن عمر: ما للسفيهة من أحد لا تؤذي الشيخ، فإنه لا يدين له بعذاب الله ؟) قال الهيثمي وامرأة رافع إن كانت صحابية وإلا فإني لم أعرفها وبقية رجاله ثقات.

عن شداد بن الهاد في حديث الرجل الذي قال له النبي ﷺ: (**إن تصدق الله يصدقك**) (ثم نهضوا في قتال العدو، فأتي به النبي ﷺ يُحمل، قد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبي ﷺ: (**أهو هو ؟**) قالوا: نعم، قال (**صدق الله فصدقه**) ثم كفنه النبي ﷺ في جبة النبي ﷺ، ثم قدَّمه، فصلى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته (**اللهم هذا عبدك خرج مهاجرا في سبيلك، فقتل شهيدا، أنا شهيد على ذلك**) رواه عبد الرزاق والنسائي، وصححه الألباني في صحيح النسائي.

ومعنى الشهادة لهم، أي يشهد لهم بأنهم شهداء، وفي شهادته لهم ﷺ شرف لهم ورفعة.

١٠. نعيه للشهداء وحزنه ﷺ ووجده وبكائه عليهم وحزنه لأهل الشهيد رحمة بهم ودعاؤه على قتلة الشهداء:

وما ذاك إلا لمنزلتهم العظيمة عنده، وحبّه الشديد لهم حتى إنه يبكي على فقدهم، ويحزن عليهم وعلى أهلهم رحمة منه، وشفقة لهم، ويدعو على من قتلهم.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (دعا رسول الله ﷺ على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين غداة، على رعل، وذكوان، وعصية عصت الله ورسوله) رواه البخاري وفي رواية (فما رأيته وجد على أحد ما وجد عليهم) أي حزنه على الشهداء القراء الذين قُتلوا.

عن أنس رضي الله عنه قال: (قنت رسول الله ﷺ شهرا حين قتل القراء، فما رأيت رسول الله ﷺ حزن حزنا قط أشدّ منه) رواه البخاري.

عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ نعى زيدا وجعفرا وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال: **(أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذ جعفر فأصيب ثم أخذ ابن رواحة فأصيب)** وعيناه تذرفان **(حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم)** رواه البخاري.

عن جابر رضي الله عنه (لما بلغ النبي ﷺ قَتلُ حمزة بكى، فلما نظر إليه شهق) رواه البزار والحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي، قال الهيثمي رواه البزار وفيه عبد الله بن محمد بن عقيل وهو حسن الحديث على ضعفه.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لما قُتل زيد بن حارثة أبطأ أسامة عن النبي ﷺ، فلم يأته، ثم جاءه بعد ذلك، فقام بين يدي النبي ﷺ، فدمعت عيناه، فبكى رسول الله ﷺ، فلما نزفت عبرته، قال النبي ﷺ: **(لِمَ أبطأت عنا، ثم جئت تحزننا)** قال: فلما كان الغد جاءه فلما رآه النبي ﷺ مقبلا قال: **(إني للاق منك اليوم ما لقيت منك أمس)** فلما دنا دمعت عينه، فبكى رسول الله ﷺ" رواه عبد الرزاق.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (لما جاء النبي ﷺ قتل ابن حارثة وجعفر وابن رواحة جلس يُعرفُ فيه الحزن) رواه البخاري.

١١. تعاهده ﷺ قبور الشهداء بالزيارة، ودعاؤه لهم، واستغفاره لهم، وأمره الناس أن يستغفروا لهم، وتسميتهم إخوانه:

وهذا أيضا يدلّك على عظمة منزلة الشهداء عنده، وحبّه لهم، واهتمامه بهم، ومن الأحاديث في ذلك:

عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ يريد قبور الشهداء، حتى إذا أشرفنا على حرة واقم (**الحرة ارض ذات حجارة سود وواقم اسم لأطم من اطام المدينة**) فلما تدلّينا منها، وإذا قبور بمحنية، قال: قلنا يارسول الله أقبور إخواننا هذه ؟ قال: (**قبور أصحابنا**) فلما جئنا قبور الشهداء قال: (**هذه قبور إخواننا**) رواه أبو داود، وجود إسناده ابن المديني في العلل، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

وعن نافع قال: رأيت ابن عمر رضي الله عنه إذا ذهب إلى قبور الشهداء على ناقته ردها هكذا وهكذا، فقيل له في ذلك، فقال: (إني رأيت رسول الله ﷺ في هذا الطريق على ناقته، فقلت: لعل خفّي يقع على خفّه) رواه البيهقي في الكبرى.

وعن أبي قتادة رضي الله عنه، قال: بعث رسول الله ﷺ جيشًا واستعمل عليهم زيد بن حارثة، فقال: (**إن أصيب زيد فجعفر، وإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة**) قال: فوثب جعفر فقال: يا رسول الله ما كنت لأرهب أن تستعمل علي زيدا، قال: (**امض، فإنك لا تدري أي ذلك خير**) فقال: فقام النبي ﷺ فخطب الناس فقال: (**ألا أخبركم عن جيشكم هذا الغازي، إنهم انطلقوا حتى لقوا العدو، فأصيب زيد شهيدًا، فاستغفروا له، ثم أخذ اللواء جعفر فشدَّ على القوم حتى قتل شهيداً، أشهد له بالشهادة، فاستغفروا له، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة فأثبت قدميه حتى أصيب شهيدًا، فاستغفروا له، ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد، ولم يكن من الأمراء**) رواه أبو بكر بن أبي شيبة والنسائي في الكبرى بسند رواته ثقات كما قال البوصيري.

وعن عائشة رضي الله عنها في حديث وفاة النبي ﷺ قالت: (فوجد راحة فخرج فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، واستغفر للشهداء من أصحاب أحد، ودعا لهم) رواه ابن حبان والدارمي وعبد الرزاق.

وعن كعب بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ: (قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه واستغفر للشهداء الذين قتلوا يوم أحد...) قال الهيثمي رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

١٢. مواساته ﷺ أسر الشهداء، وزيارته وتعاهده لهم، وخلافته في أهليهم خيرا، وإخباره لهم بما أعد الله لشهدائهم:

وهذا أيضا يدلك على علو قدر الشهيد عند النبي ﷺ، ورفعة منزلته، حتى أنه ليرتفع شأن أهله عند رسول الله ﷺ برفعة شأن شهيدهم، ومن الأحاديث في ذلك:

عن أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ لم يكن يدخل بيتا بالمدينة غير بيت أم سليم إلا على أزواجه، فقيل له، فقال: (**إني أرحمها قتل أخوها معي**) رواه البخاري.

وعند الطبراني بإسناد حسن – كما قاله الحافظ في الفتح – عن ابن جعفر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: (**هنيئا لك أبوك يطير مع الملائكة في السماء**).

وعن بشر بن عقربة أن أباه استشهد فقال النبي ﷺ: (**أما ترضى أن أكون أنا أبوك وعائشة أمك**) رواه البخاري في التاريخ، وصححه الألباني.

عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما في حديث غزوة مؤتة ونعي النبي ﷺ لهم قال: (ثم أمهل آل جعفر ثلاثا أن يأتيهم، ثم أتاهم، فقال: (**لا تبكوا على أخي بعد اليوم أو غد إليّ ابني أخي**) قال: فجئ بنا كأنا أفرخ، فقال: (**ادعو إلى الحلاق**) فجئ بالحلاق، فحلق رؤوسنا، ثم قال: (**أما محمد فشبيه عمنا أبي طالب، وأما عبد الله فشبيه خَلْقي وخُلُقي**) ثم أخذ بيدي فأشالها فقال: (**اللهم اخلف جعفرا في أهله، وبارك لعبدالله في صفقة يمينه**) قالها ثلاث مرار، قال: فجاءت أمّنا فذكرت له يتمنا وجعلت تفرح له، فقال: (**العيلة تخافين عليهم، وأنا وليّهم في الدنيا والآخرة**) رواه أحمد والطبراني والطيالسي وقال البوصيري رواته ثقات، وقال الهيثمي ورجاله رجال الصحيح.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: لقيني رسول الله ﷺ فقال لي: (**يا جابر ما لي أراك منكسرا ؟**) قلت: يا رسول الله استشهد أبي قتل يوم أحد، وترك عيالا ودينا، قال: (**أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك ؟**) قال: قلت: بلى يا رسول الله، قال: (**ما كلّم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب وأحيا أباك فكلّمه كفاحا، فقال: يا عبدي تمنّ علي أعطك، قال: يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية، قال الرب عز وجل: إنه قد سبق منِّي أنهم إليها لا يُرجعون، قال وأنزلت هذه الآية (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا) الآية**) رواه الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن أم الربيع بنت البراء وهي أم حارثة بن سراقة أتت النبي ﷺ فقالت: يا نبي الله ألا تحدثني عن حارثة – وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب – فإن كان في الجنة صبرت وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء ؟ قال: (**يا أم حارثة إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى**) رواه البخاري.

عن الفضل بن الحسن الضمرى، أن أم الحكم، أو ضباعة ابنتي الزبير بن عبد المطلب حدثته، عن إحداهما أنها قالت: أصاب رسول الله ﷺ سبيا، فذهبت أنا وأختى وفاطمة بنت رسول الله ﷺ فشكونا إليه ما نحن فيه، وسألناه أن يأمر لنا بشئ من السبي، فقال رسول الله ﷺ: (**سبقكن يتامى بدر**) رواه أبو داود، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

١٣. إخباره عن بعض الذين يُقتلون بأنهم ليسوا بشهداء لمانع فعلوه أو غير ذلك:

وذلك حفظا للشهداء أن يدخل في زمرتهم من ليس منهم وتكريما لهم عن ذلك.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: افتتحنا خيبر ولم نغنم ذهبا أو فضة، إنما غنمنا البقر والإبل والمتاع والحوائط، ثم انصرفنا مع رسول الله ﷺ إلى وادي القرى ومعه عبد له يقال له مدعم، أهداه له أحد بني الضباب، فبينما هو يحطُّ رحل رسول الله ﷺ، إذ جاءه سهم عائر حتى أصاب ذلك العبد، فقال الناس: هنيئا له الشهادة، فقال رسول الله ﷺ: (**بل والذي نفسي بيده إن الشملة التي أصابها يوم خيبر من المغانم، لم تصبها المقاسم، لتشتعل عليه نارا**) متفق عليه، وقد سبق كثير من الأحاديث في هذا في مانع الغلول.

❖ وآخر حاله أنه مات شهيدا شهادة آخرة، ليُجمع له بين فضل النبوة والشهادة، وذلك لما أكل من شاة اليهودية يوم خيبر المسمومة، فعن أبي هريرة أنه قال: (لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سمّ، فقال رسول الله ﷺ: (**اجمعوا لي من كان ها هنا من اليهود**) فجمعوا له، فقال لهم رسول الله ﷺ: (**إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقي عنه ؟**) فقالوا: نعم يا أبا القاسم... فقال: (**هل جعلتم في هذه الشاة سما ؟**) فقالوا: نعم، فقال: (**ما حملكم على ذلك ؟**) فقالوا: أردنا إن كنت كذّابا نستريح منك، وإن كنت نبيّا لم يضرك) رواه البخاري.

قالت عائشة رضي الله عنها: كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: (**يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت إنقطاع أبهري من ذلك السمّ**) رواه البخاري.

(**انقطاع**) قرب انقطاعه، (**أبهري**) عرق مرتبط بالقلب إذا انقطع مات الإنسان.

وعن ابن عباس ر ضي الله عنهما (أن النبي ﷺ احتجم وهو محرم من أكلة أكلها من شاة مسمومة، سمّتها امرأة من أهل خيبر) رواه أحمد وحسن إسناده الألباني في صحيح أبي داود.

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال: (لأن أحلف تسعا أن رسول الله ﷺ قُتل قتلا أحب إلي من أن أحلف واحدة إنه لم يُقتل، وذلك أن الله عز وجل اتخذه نبيا واتخذه شهيدا) رواه أحمد والحاكم، وقال صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي ورجاله رجال الصحيح.

قال ابن القيم في الزاد وهو يتكلم عن معالجة النبي ﷺ من الشاة المسمومة بالحجامة "ولما احتجم النبيُّ ﷺ، احتجمَ فى الكاهل، وهو أقربُ المواضع التى يمكن فيها الحجامة إلى القلب، فخرجت المادةُ السُّمِيَّة مع الدم لا خُروجاً كُليّاً، بل بَقِيَ أثرُها مع ضعفه لما يُريد الله سبحانه من تكميلِ مراتبِ الفضل كُلِّها له، فلما أراد الله إكرامَه بالشهادة، ظهر تأثيرُ ذلك الأثر الكامِن من السُّم ليَقضىَ اللهُ أمراً كان مفعولاً، وظهر سِرُّ قوله تعالى لأعدائه من اليهود (**أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ**) فجاء بلفظ (**كذبتم**) بالماضى الذى قد وقع منه، وتحقق، وجاء بلفظ (**تقتلون**) بالمستقبل الذى يتوقَّعونه ويَنتظرونه.. والله أعلم " انتهى كلامه.

وكفى بهذا شرفا للشهادة أن يكون النبي ﷺ في عداد الشهداء وزمرتهم، فهنيئا لهم وأنعم به من فضل وشرف وعلو ورفعة، فحري بنا أن نقتفي أثره، وأن نكون في زمرة الشهداء معه إن لم نستطع أن نكون في زمرة الأنبياء.

وإنما لم يمت النبي ﷺ بشهادة الدنيا لحكم منها:

الأولى: البشاعة الصورية في القتل.

الثانية: إظهار قدرة الله في حفظ نبيه ﷺ كما تكفل له بذلك.

الثالثة: أنه قد يترتب عليه ضعف لبعض ضعاف الإيمان وقد يترتب عليه قوة للأعداء وإذا كان موت النبي ﷺ عقبه ردة كثير من العرب فماذا سيترتب على قتله لو قتل ؟

إلى غير ذلك من الحكم التي لا يعلمها إلا الله تعالى، ونقل المباركفوري في مرعاة المفاتيح عن القاري قوله " وإنما عصمه الله من الشهادة الحقيقية للبشاعة الصورية ولإظهار القوة الكاملة بحفظه من بين أعداءه من شرّ البشرية " انتهى كلامه.

ومن شرف الشهيد والمجاهدين أيضا أن كل من قتل في سبيل الله وعلى دين رسول الله ﷺ، فهو مقتول مع الرسول ﷺ، ومقاتل معه، ولو كان هذا بعد عهده ووفاته ﷺ، يقول شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى على قوله تعالى (**وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ**) قال: " فكون النبي قاتل معه أو قُتل معه ربيون كثير، لا يستلزم أن يكون النبي معهم فى الغزاة، بل كل من اتبع النبي وقاتل على دينه فقد قاتل معه، وكذلك كل من قُتل على دينه، فقد قُتل معه، وهذا الذى فهم الصحابة، فإن أعظم قتالهم كان بعد وفاته ﷺ حتى فتحوا البلاد شاما ومصرا وعراقا ويمنا وعربا وعجما وروما ومغربا ومشرقا، وحينئذ فظهر كثرة من قُتل معه، فإن الذين قاتلوا وأصيبوا وهم على دين الأنبياء كثيرون ويكون فى هذه الآية عبرة لكل المؤمنين إلى يوم القيامة، فإنهم كلهم يقاتلون مع النبى ﷺ على دينه، وإن كان قد مات، والصحابة الذين يغزون فى السرايا والنبى ليس معهم كانوا معه يقاتلون، وهم داخلون فى قوله (**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ**) الآية، وفي قوله (**وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ**) الآية، ليس من شرط من يكون مع المطاع أن يكون مشاهدا للمطاع ناظرا اليه " انتهى كلامه.

هذا وهدي النبي ﷺ مع الشهادة، ليستدعي مؤلفا لوحده، لكثرة الأحاديث والأدلة فيه وفيما ذكرناه هنا كفاية لبيان الفضيلة.

الفضيلة الحادية والعشرون: الشهيد من النبي ﷺ والنبي ﷺ من الشهيد:

في بعض الأعمال المحرمة يخبر النبي ﷺ من بغضه لها تبرؤه ممن عملها ومقاطعته له وعدم الولاء الكامل له فيقول:(**أنا بريء من كذا أو ممن فعل كذا**) أو يقول: (**ليس منا من فعل كذا**) كقوله (**من رغب عن سنتي فليس مني**) رواه البخاري.

وفي بعض الأعمال الصالحة يخبر النبي ﷺ من حبه لها كمال موالاته ومحبته لمن عملها، حتى كأنه بضعة منه، وإليه يُنسب، لإنه على طريقته ومنهجه، ومن ذلك عندما يجمع العبد بين الشهادة في سبيل الله مع الإثخان في الأعداء، فقد ورد عن أبي برزة أن النبي ﷺ كان في مغزى له، فأفاء الله عليه، فقال لأصحابه: (**هل تفقدون من أحد ؟**) قالوا: نعم فلانا وفلانا وفلانا، ثم قال: (**هل تفقدون من أحد ؟**) قالوا: نعم فلانا وفلانا وفلانا، ثم قال: (**هل تفقدون من أحد ؟**) قالوا: لا، قال: (**لكنّي أفقد

جليبيبا فاطلبوه) فطُلب في القتلى، فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه، فأتى النبي ﷺ فوقف عليه، فقال: **(قتل سبعة ثم قتلوه هذا مني وأنا منه، هذا مني وأنا منه)** قال: فوضعه على ساعديه ليس له إلا ساعدا النبي ﷺ، قال: **(فحفر له ووضع في قبره، ولم يذكر غسلا)** رواه مسلم.

فانظر إلى قوله **(هذا مني وأنا منه)** فهو من النبي ﷺ لأنه على طريقته ومنهجه ولولائه له، والنبي ﷺ منه لكمال موالاته ﷺ ومحبته له.

قال المناوي في الفيض: " قال الزمخشري معنى قولهم هو مني أي هو بعضي والغرض الدلالة على شدة الاتصال، وتمازج الأهواء، واتحاد المذاهب ومنه **(فمن تبعني فإنه مني)**" انتهى كلامه.

وقال شيخ الإسلام في المجموع: " قال النبي ﷺ لعلي: **(أنت مني وأنا منك)** كما قال الله سبحانه: **(بعضكم من بعض)** أي أنتم نوع واحد، متفقون في القصد والهدى، كالروحين اللتين تتفقان في صفاتهما " انتهى كلامه، وهو في نفس المعنى الذي نحن بصدده.

وانظر إلى تأكيده لهذا المعنى مرتين، وكونه من جهتين، وكفى بذلك شرفا للشهيد المثخن في الأعداء أن يكون من النبي ﷺ ينسبه إلى نفسه، ويَنسب النبي ﷺ نفسه إلى ذاك الشهيد، ولم لا يكون من النبي ﷺ ويكون النبي ﷺ منه والنبي ﷺ من زمرة الشهداء وقد مات شهيدا مثله ؟ فهما على طريقة واحدة.

الفضيلة الثانية والعشرون: شدة محبة النبي ﷺ للشهيد وقرب الشهيد منه:

محبة النبي ﷺ للناس متفاوتة بحسب التقوى والإيمان والتضحية للإسلام، والشهيد من أحب الناس إلى النبي ﷺ لما قام به من نصرة دينه الذي بُعث به ونصرة دين الله تعالى وتضحيته من أجل ذلك، ولذا فإن الشهيد أقرب إلى النبي ﷺ من غيره، وكفى بهذا شرفا للشهيد وفضلا له أن يحبه النبي ﷺ ويكون أقرب إليه من غيره.

فعن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ يريد قبور الشهداء حتى إذا أشرفنا على حرة واقم (الحرة أرض ذات حجارة سود، وواقم اسم لأطم من آطام المدينة) فلما تدلّينا منها، وإذا قبور بمحنية، قال قلنا: يارسول الله أقبور إخواننا هذه ؟ قال: **(قبور أصحابنا)** فلما جئنا

قبور الشهداء قال: (**هذه قبور إخواننا**) رواه أبو داود، وجود إسناده ابن المديني في العلل، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

فخصَّ الشهداء بمزيد من الإخوَّة والمحبة، وإلا فالجميع أصحابه وإخوانه، وكلهم محبوبون له، ولكن وصف الأولين بالصحبة وغلَّبها عليهم، ووصف الشهداء بالأخوَّة وغلَّبها عليهم، لأن الأخوَّة أشد وأقوى في الأئتلاف والمودة من الصحبة.

ولا يشكل عليه ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال: (**السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أنا قد رأينا إخواننا**) قالوا: أو لسنا إخوانك يارسول الله ؟ قال: (**أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد**) رواه مسلم.

لأن المقصود هنا التمييز بين الصحبة والأخوَّة، فالذين يأتون بعد النبي ﷺ لهم الأخوَّة المجردة، وأصحاب النبي ﷺ لهم الأخوَّة والصحبة، وقد قال ﷺ عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: (**لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر ولكن أخوة الإسلام ومودته**) رواه البخاري، وفي رواية (**لاتخذت أبا بكر ولكن أخي وصاحبي**) وفي رواية (**ولكن أخوة الإسلام أفضل**).

قال الحافظ في الفتح: " ولا يعكّر على ذلك اشتراك جميع الصحابة في هذه الفضيلة، لأن رجحان أبي بكر عرف من غير ذلك، وأخوّة الإسلام ومودته متفاوتة بين المسلمين في نصر وإعلاء كلمة الحق وتحصيل كثرة الثواب، ولأبي بكر من ذلك أعظمه وأكثره والله أعلم " انتهى كلامه.

ولمحبة النبي ﷺ للشهيد مظاهر منها:

١. هدي النبي ﷺ مع الشهداء كما سبق يعرفك منزلتهم عنده وحبه العظيم لهم.
٢. ما سبق من ذكر أن الشهيد من النبي ﷺ والنبي ﷺ من الشهيد، وهذا قمة في الإتحاد والمحبة.
٣. ما ذكر ها هنا من أخوة النبي ﷺ للشهداء أكثر من غيرهم.

الفضيلة الثالثة والعشرون: قرب الشهيد من درجة النبوة ومشابهته لهم في خصائصهم:

الأنبياء أفضل البشر، ومنازلهم ودرجاتهم أعلى الدرجات والمنازل، ويأتي من بعدهم الصدّيقين، ومن بعدهم الشهداء في الفضل، وليس بين درجة النبوة ودرجة الشهادة إلا الصدّيقية.

قال الحافظ في الفتح: " أكمل النوع الانساني الأنبياء ثم الأولياء والصدّيقون والشهداء" انتهى كلامه.

وقال ابن القيم في الزاد: " فإنَّ الشهادة درجة عالية عند الله، مقرونة بدرجة الصِّدِّيقية" انتهى كلامه.

وقال أيضا في مفتاح دار السعادة: " فإن أفضل الدرجات النبوة، وبعدها الصديقية، وبعدها الشهادة وبعدها الصلاح، وهذه الدرجات الأربع هي التي ذكرها الله تعالى في كتابه في قوله (**وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**) "انتهى كلامه.

قال شيخ الإسلام في المجموع: " وقد قال تعالى: (**أُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ**) وهذه الأربعة هي مراتب العباد: أفضلهم الأنبياء ثم الصديقون ثم الشهداء ثم الصالحون " انتهى كلامه.

وهذا يدل على علو الشهيد ومقاربته لدرجة النبوة.

وبعض الشهداء لا يفضله النبيون إلا بدرجة النبوة فقط، ولا يفضلونه بشيء آخر، فليس بينه وبين الأنبياء إلا درجة النبوة، فهو في منازل الصدّيقين ودرجتهم، فلا يفضله الصدّيقون بشيء، وهذا في خواص الشهداء، كما جاء عن عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**القتلى ثلاثة: رجل مؤمن جاهد بنفسه وماله في سبيل الله، حتى إذا لقي العدو قاتلهم حتى يقتل، فذلك الشهيد الممتحن، في خيمة الله تحت عرشه، لا يفضله النبيون إلا بفضل درجة النبوة...**) رواه أحمد والطبراني بإسناد جيد كما قال المنذري وابن النحاس، وقال الهيثمي " ورجال أحمد رجال الصحيح خلا المثنى الاملوكي وهو ثقة ".

قال ابن النحاس: " اعلم أن الشهادة رتبة عظيمة، ومنزلة جسيمة، لا يلقاها إلا ذو حظ عظيم، ولا ينالها إلا من سبق له القدر بالفوز المقيم، وهي الرتبة الثالثة من مقام النبوة كما قال تعالى: (**فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**)

وقد صحّ من حديث عتبة بن عبد أن الشهيد لا يفضله النبيّون إلا بفضل درجة النبوة كما سيأتي، ولعل ذلك في خواص الشهداء، والآية في عامتهم، والله أعلم " انتهى كلامه.

وقد ورد في رواية الطبراني في الكبير في حديث عتبة بلفظ **(لا يُفضلون إلا بدرجة النبوة)** ومعنى هذا أنه لا أحد أفضل منهم إلا الأنبياء، ويشهد لهذا ما روي عن عمر رضي اللّه عنه قال: " كنت عند رسول الله ﷺ وعنده قبص من الناس فأتاه رجل فقال: يا رسول الله أي الناس خير منزلة عند اللّه يوم القيامة بعد أنبيائه وأصفيائه ؟ فقال: **(المجاهد في سبيل الله بنفسه وماله حتى تأتيه دعوة اللّه وهو على متن فرسه وآخذ بعنانه) قال: (وامرؤ بناحية أحسن عبادة ربه تعالى وترك الناس من شره)** رواه الطيالسي وضعفه البوصيري في الإتحاف.

وكل هذا يدل على علو منزلة الشهيد ودرجاته عند الله، وأنه يقارب درجة النبوة، وقد اشترك الشهيد في بعض خصائصه مع خصائص الأنبياء، كما سيأتي إن شاء الله، وهذا يدل على أمرين:

الأول: أن هذا شرف عظيم للشهيد أن يعطى بعض خصائص الأنبياء، قال المناوي: " وقال الزين العراقي أن هذا تشريف عظيم للشهداء لشبههم بالأنبياء حيث يدفن النبي في الموضع الذي مات فيه، فأُلحق بهم الشهداء في الخصيصة " انتهى كلامه، وقد سبق الكلام على هذه الخصيصة في الأحكام وسيأتي مزيد بيان لها إن شاء الله.

الثاني: أن ذلك يدلُّ على رفعة منازلهم، وعلو درجاتهم، ومقاربتهم للأنبياء، إذ شاركوهم في بعض خصائصهم.

ومما يدل على قرب الشهيد أيضا، أنه في كثير من النصوص الشرعية يقرن بين ذكر الأنبياء والصدّيقين والشهداء، وسيأتي كثير من هذه النصوص في فضيلة الفردوس الأعلى للشهيد، ومن هذه النصوص قوله تعالى: ﴿ **فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ النساء.**

وعن أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **(يحمل الناس على الصراط يوم القيامة، فتقادع بهم جنبة الصراط تقادع الفراش في النار، قال: فينجى الله تبارك وتعالى برحمته من يشاء، قال: ثم يؤذن للملائكة والنبيين والشهداء أن يشفعوا، فيشفعون ويخرجون، ويشفعون ويخرجون، ويشفعون ويخرجون – وزاد عفان مرة – فقال أيضا: ويشفعون ويخرجون من كان في قلبه ما يزن**

ذرة من إيمان) رواه أحمد وابن أبي شيبة، قال البوصيري في الإتحاف ورواته ثقات، وقال الهيثمي ورجاله رجال الصحيح.

وكذا في حديث أبي بكر الطويل في الشفاعة وفيه (... **ثم يقال: ادعوا الصدّيقين، فيشفعون، ثم يقال: ادعوا الأنبياء، قال: فيجيء النبي ومعه العصابة، والنبي ومعه الخمسة والستة، والنبي وليس معه أحد، ثم يقال: ادعوا الشهداء، فيشفعون لمن أرادوا، وقال: فإذا فعلت الشهداء ذلك، قال: يقول الله عز وجل: أنا أرحم الراحمين، ادخلوا جنتي من كان لا يشرك بي شيئا، قال: فيدخلون الجنة**...) رواه أحمد، وقال الهيثمي ورجاله ثقات.

وعن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **(التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء)** رواه الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **(إن من عباد الله لأناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى)** قالوا: يارسول الله تخبرنا من هم ؟ قال: **(هم قوم تحابّوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم على نور، لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس، وقرأ هذه الآية (أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ))** رواه أبو داود، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، وهذا الحديث يدل على عظم منزلة الشهادة وعلوّها، حيث أنه ﷺ أراد أن يذكر أعلى الناس، وأعظمهم منزلة، وأنهم لم يحصل لهم ذلك الفضل والخصيصة على علو منزلتهم، فذكر الأنبياء والشهداء.

وعلى بعض الأقوال في قوله تعالى: **﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ الزمر**، فبعض المفسرين حمل الآية على المقتولين في سبيل الله وفي هذا فضيلة وشرف لهم.

وسيأتي إن شاء الله في فضيلة أن الشهيد في الفردوس الأعلى ذِكْر أن الأنبياء والصديقين والشهداء مسكنهم في الجنة واحد، وهو الفردوس الأعلى وجنة عدن، وذلك يدل على التقارب الشديد.

قال إسحاق بن أبي فروة: " أُقرب الناس من درجة النبوة العلماء وأهل الجهاد، والعلماء دلّوا الناس على ما جاءت به الرسل، وأهل الجهاد جاهدوا على ما جاء به الرسل " ذكره ابن القيم في مفتاح دار السعادة.

وقرب الشهيد من درجة النبوة فضل عظيم يدل على عظم منزلته ومكانته.

الفضيلة الرابعة والعشرون: مشروعية سؤال الشهادة وتمنيها خلافا للموت:

لا يجوز تمني الموت ولا الدعاء به شرعا، لما جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **(لا يتمنّينّ أحدكم الموت من ضرّ أصابه، فإن كان لا بد فاعلا فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي، وتوفّني إذا كانت الوفاة خيرا لي)** رواه البخاري.

وأما في الشهادة فيُشرع سؤالها والدعاء بها وتمنّيها، فأباح الشارع ذلك، بل واستحبّه، ورغّب فيه وخص ذلك من عموم النهي، لما في الشهادة من الفضائل والكرامات والسعادة الأبدية في الدنيا والآخرة.

الفضيلة الخامسة والعشرون: الشهيد المقتول أفضل من السالم المنتصر:

الذي يجاهد ويقتل شهيدا أفضل عند الله تعالى وأعظم ثوابا من الذي يجاهد الأعداء وينتصر عليهم ويغلبهم ويرجع سالما إلى أهله.

فحصول مقصد الشهادة للمجاهد أعظم من حصول مقصد الانتصار والغلبة والفتح، وإن كان الجميع مقصودا كما قال تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ**﴾ **التوبة**، أي إما الشهادة وإما الفتح والنصر، فالشهادة هي الثمرة العليا من الجهاد، وهي أعظم أعمال الجهاد كما سبق، بل أعظم أعمال الأسلام على الإطلاق غير الفرائض.

قال ابن بطال في شرح البخاري: " وإذا كانت الحرب سجالا- أي بين المسلمين والكفار - فذلك إحدى الحسنيين؛ لأنها إن كانت علينا فهى الشهادة، وهى أكبر الحسنيين، وإن كانت لنا فهى الغنيمة، وهى أصغر الحسنيين " انتهى كلامه.

ومما يدل على هذا الفضل ما سبق من الأدلة على أن الشهادة أفضل الأعمال على الأطلاق، ومما يدل عليه أيضا قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ **النساء**، فقدم القتل على الغلبة.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**ثلاثة يحبهم الله ويضحك إليهم ويستبشر بهم، الذي إذا انكشفت فئة قاتل وراءها بنفسه، فإما أن يقتل وإما أن ينصره الله ويكفيه...**)) رواه الطبراني في الكبير بإسناد حسن كما قال ابن النحاس، فقدم القتل لأنه أفضل من النصر والفتح.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**مثل المجاهد في سبيل الله – والله أعلم بمن يجاهد في سبيله – كمثل الصائم القائم، وتوكّل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفّاه أن يدخله الجنة، أو يرجعه سالما مع أجر أوغنيمة**) رواه البخاري، فإنه قدّم القتل على الغلبة والتوفّي على الرجوع في الذكر، والأوّلية لها تأثير في الأولوية فما قدّمها إلا أنها أفضل.

ومما يدل أيضا ما رواه ابن المبارك عن محمد بن الأسود بن خلف بن بياضة الخزاعي قال: (إنّا لجلوس في الحجر وناس من قريش، إذ قيل قدم الليلة عمر بن العاص من مصر، فما أكبر بأن دخل فابتدرناه بأبصارنا، فلما طاف دخل الحجر، وصلى ركعتين، ثم قال: كأنكم قد قرضتموني بهنت، فقال القوم: لم نذكر إلا خيرا ذكرناك وهشاما، فقال بعضنا: هذا أفضل، وقال بعضنا: هذا أفضل، فقال عمرو: سأخبركم عن ذلك: إنا أسلمنا فأحببنا رسول الله ﷺ، وناصحناه، فذكر يوم اليرموك، فقال: أخذت بعمود الفسطاط حتى اغتسل وتحنّط وتكفّن، ثم أخذ بعمود الفسطاط حتى اغتسلت وتحنّطت وتكفّنت، ثم اعترضنا على الله تبارك وتعالى، فقبله فهو خير مني ثلاث مرات، قبله فهو خير مني، قبله فهو خير مني) فقد فضله عمرو على نفسه بكونه قتل، وأنه لم يقتل مع كونه غلب.

ومما ذُكِر مِن الأدلّة في ذلك أيضا أن النبي ﷺ قال: (**وددت أن أغزو فأقتل...**) **الحديث**، فهو تمنّى وقال أن أغزو فأقتل، ولم يتمنّى ويقل أن أغزو فأنتصر، فهذا يدلّك على فضل الشهيد على المنتصر.

وقد قال تعالى في سورة الصف: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ**

الْمُؤْمِنِينَ﴾ فذكر أولا الجهاد في سبيل الله وما يترتب عليه من دخول الجنات وتكفير السيئات وقد نسب حبه لأهله في أول السورة إلى نفسه،ثم ذكر بعد ذلك الفتح والنصر، ونسب حبها إليهم بسياق يفضل المقصد الأول على الثاني.

وأيضا مما يدل على التفضيل ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (**ما العمل في أيام أفضل منها في هذا العشر**) قالوا: ولا الجهاد ؟ قال: (**ولا الجهاد إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشئ**) رواه البخاري، فدل على أن من لم يرجع أفضل ممن رجع.

وعن سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه أن عبدالله بن جحش قال له يوم أحد: (ألا تدعو الله، فخلوا في ناحية، فدعا سعد فقال: يا رب إذا لقيت العدو، فلقّني رجلا شديدا بأسه، شديدا حرده، أقاتله ويقاتلني، ثم ارزقني الظفر عليه حتى أقتله وآخذ سبله، فأمّن عبدالله بن جحش، ثم قال: اللهم ارزقني رجلا شديدا حرده، شديدا بأسه، أقاتله فيك ويقاتلني، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني، فإذا لقيتك غدا قلت: من جدع أنفك وأذنك ؟ فأقول: فيك وفي رسولك ﷺ، فتقول: صدقت، قال سعد: يا بني كانت دعوة عبدالله بن جحش خيرا من دعوتي، لقد رأيته آخر النهار، وإن أنفه وأذنه لمعلّقان في خيط) رواه الطبراني والحاكم، وقال صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي، ففضل سعد دعوة ابن جحش بالشهادة وحاله على الظفر الذي حصل له ودعوته به.

قال ابن النحاس في المشارع: " الشهيد في سبيل الله أفضل ممن انتصر ورجع سالما " ثم سرد الأدلة السابقة في فضل الشهادة، وأنها أعلى مقامات الدين، ثم قال: " وفي هذه الأحاديث أوضح دليل على بطلان قول من قال إن الغالب أفضل من القتيل " انتهى كلامه.

وقال المناوي في الفيض على حديث العامل على الصدقة كالغازي في سبيل الله " وفيه أن الساعي كالغازي الغانم، وليس كالغازي الشهيد " انتهى كلامه أي أنه دون الغازي الشهيد في المنزلة.

قال الشاعر:

فتى مات بين الطعن والضرب ميتة ** تقوم مقام النصر إن فاته النصر

تردى ثياب الموت حمرا فما دجا ** لها الليل إلا وهي سندس خضر

ونحن نقول بل إنها أفضل من النصر.

الفضيلة السادسة والعشرين: الشهداء أفضل من العلماء:

هذه المسألة كثر الكلام فيها عند العلماء، وكثر الأخذ والرد فيها، هل الشهداء أفضل أم العلماء ؟ وأحببنا الكلام عليها مفردة، وما سنتوصل إليه من أن الشهداء أفضل من العلماء، هذا فضل لوحده فأدخلناه في الفضائل، فإن العلماء كما سيأتي فضلهم عظيم عند الله تعالى، ولهم قدر معروف وفضائل معروفة، وعندما تفضل الشهداء عليهم مع فضلهم المعروف يظهر أن الشهداء فضلهم عظيم، حتى أنهم فُضّلوا على العلماء – على فضلهم وقدرهم – فنقول:

اختلف العلماء في هذه المسألة: من أفضل الشهداء أم العلماء على قولين:

القول الأول: أن الشهداء أفضل من العلماء وأعلى منزلة منهم واستدلوا بما يلي:

١. أنه ورد في الشهداء من الفضائل والخصائص ما لم يرد في العلماء لا كثرة ولا عظمة، وقد سبق بيان ذلك وما سيأتي أيضا إن شاء الله، ففضائل الشهيد العظيمة والكثيرة، لم يرد كثير منها في العلماء.

٢. عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**ما من نفس تموت لها عند الله خير، يسرها أنها ترجع إلى الدنيا ولا أن لها الدنيا وما فيها إلا الشهيد، فإنه يتمنى أن يرجع فيقتل في الدنيا لما يرى من فضل الشهادة**) رواه مسلم، والنفس هنا تعم العالم.

٣. قرب الشهداء من منزلة النبوة كما سبق، ولا فضل أعلى من ذلك.

٤. أن الجهاد الموصل إلى الشهادة – على القول الصحيح – أفضل من طلب العلم الموصل إلى درجة العالِمية، فإذا كان هذا التفاضل في الوسيلة فينبغي أن يكون كذا في الثمرة، ومن أسباب أفضلية الوسيلة أصلا هو ما تؤدي إليه من الثمرة العظيمة وهي الشهادة.

٥. ومما استُدِلّ به أن العلم يحصّله العبد في الحياة الدنيا ليتقرّب به إلى الله زلفى والأجر في الآخرة يلقى، والشهادة تحصل للعبد عند خروج روحه من بدنه فهي ثواب الله الذي لا يبلغ أحد أقصى

أمده، فالعلم مثاب عليه، والشهادة من الثواب، وفي تفاضل الثواب والمثاب عليه نظر لا يخفى على أولي الألباب، نقله المناوي في فيض القدير.

٦. ومما استُدِل به أن الشهادة عنده سبحانه وتعالى درجة، والعلم يحصله العبد في الدنيا ليكمل به عمله وإيمانه، والشهادة متى اتّصف بها العبد حصلت له الدرجة العالية بيقين، والعلم قد يتّصف به من لا يكون من المتقين، فيرجع علمه وبالا عليه، ولا يرغب بحق فيما لديه، نقله المناوي في الفيض.

٧. ومما استُدِل به أن الشهادة اسم مدح في كل حال، والمتّصف بها مخصوص بالأجر الذي لا تنقطع دونه الأماني وتنتهي إليه الآمال، والعلم في نفسه ينقسم إلى محمود ومذموم، والمتّصف بالممدوح مثاب ومرحوم، نقله المناوي في الفيض.

٨. ما تقدم ذكره من أن أفضل ما يؤتاه الصالحون هو الشهادة، ولم يقل العلم، فلو كان للعلم فضل على الشهادة لقال العلم.

بل إن من قرأ فضائل الشهيد جمعاء، وعرف ما له عند الله تعالى من القرب والشرف والفضل والكرامة والمحبة، وعرف ما شرف به على الخلق وعند الملائكة والبشر وما خُصَّ به من الفضائل العظيمة، وقرأ فضائل العلم لينقدح في نفسه بعد ذلك أن الشهادة أرفع من العلم.

أما ما ورد من الأحاديث في تفضيل العلماء على الشهداء، فكلها ضعيفة بل ضعيفة جدا وبعضها موضوع، فمن ذلك:

ذكر الغزالي في الإحياء عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفا: (عليكم بالعلم قبل أن يرفع ورفعه هلاك العلماء، فوالذي نفسي بيده ليودن رجال قتلوا في سبيل الله شهداء، أن يبعثهم الله علماء، لما يرون من كرامتهم، وإن أحدا لم يولد عالما وإنما العلم بالتعلم) ولم أقف على من خرجه.

وحديث عثمان بن عفان رضي الله عنه مرفوعا: **(يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء)** رواه ابن ماجه، وحكم عليه الألباني بالوضع كما في ضعيف ابن ماجه.

وحديث أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ: **(يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء)** رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم.

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**للأنبياء على العلماء، فضل درجتين، وللعلماء على الشهداء فضل درجة**) رواه ابن عبد البر والسمعاني في أدب الإملاء.

وحديث أبي هريرة وأبو ذر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (**إذا جاء الموت طالب العلم، وهو على حاله مات شهيدا**) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم.

القول الثاني: أن العلماء أفضل من الشهداء، واستدلوا بالأدلة الضعيفة السابقة، واستدلوا أيضا بما ورد من فضائل العلماء وطلب العلم.

القول الثالث: قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة وهو يتكلم عن هذه المسألة والخلاف فيها: " فإن قيل فماذا حكمه في هذه المسألة التي ذكرتموها ؟ قيل: هذه المسألة كثر فيها الجدال واتسع المجال، وأدلى كل منهما بحجّته، واستعلى بمرتبته، والذي يفصل النزاع، ويعيد المسالة إلى مواقع الإجماع، الكلام في أنواع مراتب الكمال، وذكر الأفضل منهما، والنظر في أي هذين الأمرين أولى به وأقرب إليه، فهذه الأصول الثلاثة تبيّن الصواب، ويقع بها فصل الخطاب، فأما مراتب الكمال فأربع النبوة والصديقية والشهادة والولاية، وقد ذكرها الله سبحانه في قوله: (**وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا * ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا**) وذكر تعالى هؤلاء الأربع في سورة الحديد، فذكر تعالى الإيمان به وبرسوله، ثم ندب المؤمنين إلى أن تخشع قلوبهم لكتابه ووحيه، ثم ذكر مراتب الخلائق شقيّهم وسعيدهم (**إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ * وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ**) وذكر المنافقين قبل ذلك فاستوعبت هذه الآية أقسام العباد شقيّهم وسعيدهم، والمقصود أنه ذكر فيها المراتب الأربعة، الرسالة، والصدّيقية، والشهادة، والولاية، فأعلا هذه المراتب النبوّة والرسالة، ويليها الصدّيقية، فالصدّيقون هم أئمة أتباع الرسل ودرجتهم أعلا الدرجات بعد النبوّة، فإن جرى قلم العالم بالصديقية وسال مداده بها كان أفضل من دم الشهيد الذي لم يلحقه في رتبة الصدّيقية، وإن سال دم الشهيد بالصديقية وقطر عليها كان أفضل من مداد العالم الذي قَصُر عنها، فأفضلهما صدّيقهما، فإن استويا في الصديقية استويا في المرتبة، والله أعلم، والصديقية هي كمال الإيمان بما جاء به الرسول علما وتصديقا وقياما، فهي راجعة إلى نفس العلم، فكل من كان أعلم بما جاء به الرسول وأكمل تصديقا له كان أتم صدّيقية،

فالصدّيقية شجرة أصولها العلم، وفروعها التصديق، وثمرتها العمل، فهذه كلمات جامعة في مسألة العالم والشهيد، وأيهما أفضل " انتهى كلامه.

القول الرابع: قال المناوي في فيض القدير: "والتحقيق أنه لا يمكن إطلاق القول بتفضيل العلم ولا الشهادة وأن ذلك لا يقاس بتفضيل عبادة على عبادة " انتهى كلامه.

الفضيلة السابعة والعشرين: شراء الله لنفس الشهيد:

عقد الله عقد بيع بينه وبين الشهداء، فاشترى منهم أنفسهم وأموالهم، بأن يُزهقوها ويُفنوها في سبيله، وجعل ثمن ذلك عنده الجنة، فالبائع هو الشهيد، والمشتري هو الله تعالى، والثمن الجنة، والسلعة هي النفس، كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ **التوبة**.

وكفى بذلك شرفا للشهيد أن يشتري الملك الجبار منه نفسه ويقبلها عنده، فالبائع عندما يبيع سلعته ويشتريها منه عظيم بثمن عظيم، ليس كمن باعها على تافه من الناس بثمن بخس، خصوصا إذا كانت هذه السلعة لها تعلّق به وتنسب إلى البائع، فكذا الشهيد هاهنا اشترى الله منه نفسه، وهذه النفس أصلا ملكا له عز وجل، لكن أراد أن يشرفه بهذا العقد، وأن يتفضل عليه وينعم به.

وقد جعل ثمنه غاليا، قال الحسن البصري: (بايعهم والله فأغلى ثمنهم) فإن الثمن هو الجنة، وهي غالية كما قال ﷺ: (**ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة**) رواه الترمذي عن أبي هريرة، وهذا يدل على أن للشهيد قدر عند الله تعالى ومنزلة، وأن نفسه مكرمة عنده، ولذلك أغلى ثمنه فجعله جنة عرضها السموات والأرض، ولم يكتف بذلك بل في أعالي الجنة، ولم يكتف بذلك أيضا، فزاده من المكارم والفضائل في أحواله ما أعظم به والله ثمنه أعظم وأعظم.

وهذا العقد الحاصل هو التجارة التي تنجي من العذاب الأليم، وهو الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ**

ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ الصف.

قال القرطبي في تفسيره:" أصل الشراء بين الخلق، أن يعوّضوا عما خرج من أيديهم ما كان أنفع لهم أو مثل ما خرج عنهم في النفع، فاشترى الله سبحانه من العباد إتلاف أنفسهم وأموالهم في طاعته وإهلاكها في مرضاته، وأعطاهم سبحانه الجنة عوضا عنها إذا فعلوا ذلك، وهو عوض عظيم لا يدانيه المعوّض ولا يقاس به، فأجرى ذلك على مجاز ما يتعارفونه في البيع والشراء، فمن العبد تسليم النفس والمال، ومن الله الثواب والنوال، فسمي هذا شراء... ثم قال: " وأنشد الأصمعي لجعفر الصادق رضي الله عنه:

أثامن بالنفس النفيسة ربها ** وليس لها في الخلق كلهم ثمن

بها تشترى الجنات إن أنا بعتها ** بشيء سواها إن ذلكم غبن

لئن ذهبت نفسي بدنيا أصبتها ** لقد ذهبت نفسي وقد ذهب الثمن " انتهى كلامه.

وقد أكد الله تعالى هذا البيع والعقد الحاصل وتوفيته بعدة مؤكدات في الآية، وهي كما ذكرها ابن القيم في حادئ الأرواح على النحو التالي:

أحدها: إخباره سبحانه وتعالى بصيغة الخبر المؤكد بأداة أن.

الثاني: الإخبار بذلك بصيغة الماضي الذي قد وقع وثبت واستقر.

الثالث: إضافة هذا العقد إلى نفسه سبحانه وأنه هو الذي اشترى هذا المبيع.

الرابع: أنه أخبر بأنه وعد بتسليم هذا الثمن وعدا لا يخلفه ولا يتركه.

الخامس: أنه أتى بصيغة (على) التي للوجوب إعلاما لعباده بأن ذلك حق عليه أحقه هو على نفسه.

السادس: أنه أكد ذلك بكونه حقا عليه.

السابع: أنه أخبر عن محل هذا الوعد وأنه في أفضل كتبه المنزلة من السماء وهي التوراة والإنجيل والقرآن.

الثامن: إعلامه لعباده بصيغة استفهام الإنكار وأنه لا أحد أوفى بعهده منه سبحانه.

التاسع: أنه سبحانه وتعالى أمرهم أن يستبشروا بهذا العقد، ويبشّر به بعضهم بعضا بشارة من قد تم له العقد ولزم، بحيث لا يثبت فيه خيار ولا يعرض له ما يفسخه.

العاشر: أنه أخبرهم إخبارا مؤكدا بأن ذلك البيع الذي بايعوه به هو الفوز العظيم، والبيع ههنا بمعنى المبيع الذي أخذوه بهذا الثمن وهو الجنة وقوله **(بايعتم به)** أي عاوضتم و ثامنتم به.

قال ابن القيم في الزاد: "فليتأمل العاقِد مع ربه عقد هذا التبايع ما أعظم خطره وأجله، فإن الله عز وجل هو المشتري، والثمن جنَّاتُ النعيم، والفوزُ برضاه، والتمتع برؤيته هناك، والذى جرى على يده هذا العقدُ أشرفُ رسله وأكرمُهم عليه مِن الملائكة والبَشر، وإن سلعة هذا شأْنُها لقد هُيِّئَتْ لأَمرٍ عَظِيمٍ وخَطْبٍ جسيم:

قد هيؤك لأمر لو فطنت له ** فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

مَهْرُ المحبةِ والجَنَّةِ بذلُ النفس والمال لمالكهما الذى اشتراهما من المؤمنين، فما للِجبان المعرِضِ المفْلِس وسَوْمِ هذه السلعة، باللَّهِ ما هُزِلَتْ فيستامها المفلسون، ولا كَسَدَت، فيبيعَهَا بالنسيئة المعْسِرُونَ، لقد أقيمت للعرض فى سوق مَن يُرِيد، فلم يرضَ رَبُّهَا لها بثمن دون بذل النفوس، فتأخر البطَّالون، وقام المحبُّونَ ينتظرون أيُّهُم يصلُح أن يكون نفسُه الثمن، فدارت السِّلعة بينهم، ووقعت فى يد ﴿ **أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ المائدة.**

لما كَثُرَ المدَّعون للمحبة، طُولِبُوا بإقامة البيِّنة على صحة الدعوى، فلو يُعطى الناسُ بدعواهم، لادَّعى الخَلِيُّ حِرْفَةَ الشَّجِيِّ، فتنوع المدعون فى الشهودِ، فقيل: لا تثبُت هذه الدعوى إلا بِبينَّةٍ ﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ آل عمران،** فتأخر الخلقُ كُلُّهم، وثبت أتباعُ الرسول فى أفعالِهِ وأقوالِهِ وهديه وأخلاقِه، فطُولِبُوا بعدالة البَيِّنة، وقيل: لا تُقبَلُ العدالةُ إلا بتزكية ﴿ **يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾ المائدة.**

فتأخر أكثرُ المدّعين للمحبة، وقام المجاهِدونَ، فقيل لهم: إن نفوسُ المحبِّين وأموالهم ليست لهم، فسلِّموا ما وقع عليه العقد، فإن الله اشترى مِن المؤمنين أنفسَهم وأموالَهُم بأن لهم الجنَّةَ، وعقدُ التبايع يُوجِبُ التسليمُ مِن الجانبين، فلما رأى التجار عظمة المشترى وقَدْرَ الثمن، وجَلالةَ قَدْرِ مَن جرى عقدُ التبايع

على يديه، ومِقدارَ الكتاب الذى أُثْبِتَ فيه هذا العقدُ، عرفُوا أن للسلعة قدراً وشأناً ليس لِغيرها من السِّلع، فرأوا مِن الخُسران البَيِّن والغَبْنِ الفاحش أن يبيعوها بثمن بَخْسٍ دَرَاهِمَ معدودة، تذهب لذَّتُـهَا وشهوتُـهَا، وتبقى تَبِعَتُـهَا وحسرَتُهَا، فإن فاعل ذلك معدود فى جملة السفهاء، فعقدوا مع المشتري بيعةَ الرِّضوان رضىً واختياراً مِن غير ثبوت خيار، وقالوا: والله لا نَقِيلُكَ ولا نَسْتَقِيلُكَ.

فلما تمَّ العقدُ، وسلَّموا المبيعَ، قيل لهم: قد صارت أنفُسكم وأموالُكم لنا، والآن فقد رددناها عليكم أوفرَ ما كانت وأضعافَ أموالكم معها ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾ **آل عمران،** لم نبتع منكم نفوسَكم وأموالكم طلباً للربح عليكم، بل لِيظهر أثرُ الجود والكرم فى قبول المعيب والإعطاء عليه أجلَّ الأثمان، ثم جمعنا لكم بين الثمن والمثمَّنِ.

تأمل قصةَ جابر بن عبد الله " وقد اشترى منه ﷺ بعيرَه، ثمَّ وفَّاهُ الثَمَنَ وزادَهُ، ورَدَّ عليه البعير" وكان أبوه قد قُتِلَ مع النبيِّ ﷺ فى وقعةِ أُحُد، فذكَّره بهذا الفعلِ حالَ أبيه مع الله، وأخبره (**أنَّ الله أحياه، وكلَّمهُ كِفَاحاً وقَالَ: يَا عَبْدِى تَمَنَّ عَلَيَّ**) فسبحان مَنْ عَظُمَ جودُه وكرمُه أن يُحيط به علمُ الخلائق، فقد أعطى السلعةَ، وأعطى الثمنَ، ووفَّقَ لتكميلِ العقد، وقبل المبيعَ على عيبه، وأعاض عليه أجلَّ الأثمانَ، واشترى عبدهَ من نفسه بماله، وجمع له بين الثَّمَنِ والمثَمَّنِ، وأثنى عليه، ومدحه بهذا العقد، وهو سبحانه الذى وفَّقه لهُ، وشاءه منه " انتهى كلامه.

وقال ابن كثير في البداية والنهاية: " قال السهيلي: في هذا الحديث إشارة إلى ما كان أخبر به رسول الله ﷺ جابر بن عبد الله أن الله أحيا والده وكلمه فقال له تمنّ علي، وذلك أنه شهيد وقد قال الله تعالى: (**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ**) وزادهم على ذلك في قوله (**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ**) ثم جمع لهم بين العوض والمعوض، فرد عليهم أرواحهم التي اشتراها منهم فقال: (**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**) والروح للإنسان بمنزلة المطية، كما قال عمر بن عبد العزيز، قال: فلذلك اشترى رسول الله ﷺ جابر جمله وهو مطيّته، فأعطاه ثمنه ثم ردّه عليه وزاده مع ذلك، قال: ففيه تحقيق لما كان أخبره به عن أبيه، وهذا الذي سلكه السهيلي هاهنا إشارة غريبة وتخيل بديع والله سبحانه وتعالى أعلم " انتهى كلامه.

قال ابن النحاس في المشارع: " فمن المعلوم أن الخلق كلهم ملك لله وعبيد، وأن الله يفعل في ملكه وملكه ما يريد (**لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ**) ولا يُقال لما لم يُرد، لم لا يكون، ومع هذا اشترى من المؤمنين نفوسهم لنفاستها لديه إحسانا منه وفضلا، ورقم ذلك العقد الكريم في كتابه القديم فهو

يُقرأ أبداً بألسنتهم ويُتلى فقال تعالى مبينا للزوم هذا العقد أزلا في محكم الفرقان **(إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ)**.

ثم أرشد من اشترى منهم نفوسهم إلى الوفاء بالتسليم وحضّهم عليه ببيان مالهم فيه من الربح الجزيل والفضل العميم، فقال تعالى: **(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)**.

وخاطب المقرّين بالبيع المماطلين بالتسليم خطابا بل عتابا وتوبيخا يُقرأ أبدا في محكم التنزيل، فقال تعالى: **(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ)**.

ثم حذّرهم من الإصرار على المماطلة وتوعّدهم على التسويف بعد وجوب النفي، فقال سبحانه: **(إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)**.

اعلموا إخواني أن الدين على التحقيق هو المعاملة، وأن سبيل اليقين هي الطريق الفاضلة، والسلعة تشرف بالمساوم والمشتري، والمماطل بعد لزوم العقد هو الظالم والمفتري، وليُّ الواجد يحل عرضه وعقوبته، ومن حرم التوفيق فقد عظمت مصيبته " انتهى كلامه.

وقال أيضا: " نفاسة السلعة تعرف بثلاثة أشياء، بعظم المشتري، لأن العظيم القدر لا يباشر في العادة مشترى الأشياء الخسيسة بنفسه، ولا ينسب إليه شراؤها، وتعرف بجلالة الدلّال، لأن الدلّال الكبير لا يسمسر على الأشياء الحقيرة، وتعرف بعظم الثمن، لأن الشيء الحقير لا يدفع فيه الثمن الخطير، فانظر إلى نفوس الشهداء والمجاهدين كيف اشتراها سبحانه بنفسه الشريفة، وجعل السمسار عليها أشرف خلقه أجمعين، وجعل ثمنها الجنة في جوار رب العالمين، وناهيك بهذا شرفا لم ينله غيرهم، وفضلا لم يصل إليه سواهم.

قال بعض العارفين النفوس ثلاثة: نفس لم يقع عليها البيع لحريتها، وهي نفوس الأنبياء عليهم السلام، ونفوس لم يقع عليها البيع لخسّتها، وهي نفوس الكفار، ونفوس وقع عليها البيع لكرامتها، وهي نفوس المؤمنين " انتهى كلامه.

وقال أيضا: " لطيفة:

لما أخبر سبحانه بأنه اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم، فكأنهم قالوا: ربنا ما الثمن في هذا البيع ؟ قال الله تعالى: (**بأن لهم الجنة**) فكأنهم قالوا: ربنا فكيف نسلّم هذه السلعة التي وقع عليها البيع ؟ قال: (**يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون**) فإذا فعلتم ذلك فقد سلّمتم السلعة، ووفّيتم بما لزمكم في هذه الصفقة، ووجبت لكم الجنة، فكأنهم قالوا: ربّنا مضت سنة فضلك بأن تشهد ملائكتك بما تنعم على عبيدك، وقلت في كتابك القديم (**وأشهدوا إذا تبايعتم**) وأمرت بكتابة الوثائق بين المتبايعين، فمن أشهدت في هذا البيع ؟ فقال تعالى: (**وعدا عليه حقا في التوراة والأنجيل والقرآن**) فأنتم يا عبادي تثقون بوثيقة واحدة، فهذه ثلاث وثائق، وتثقون بشاهدين، فقد أشهدت على من أنزلتها عليهم، وهم ثلاث أمم كل أمّة لا تحصى، فكأنهم قالوا ربنا أنت تمحو ما تشاء وتثبت ولا تسأل عما تفعل، فربما تمحو هذا، فنرجع من الثمن خائبين، فقال سبحانه: (**ومن أوفى بعهده من الله**) أي لا أحد أوفى بعهده مني، اللهم إني على ذلك من الشاهدين وبه من المؤمنين.

ثم لما كان من البيع ما يعقبه الندم إذا تبين صاحبه الخسران، أو نقصا في الثمن، ومنه ما يعقب الفرح والسرور، لما يظهر من الربح والغبطة وحسن الوفاء، قال سبحانه: (**فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم**) وأكد ذلك بقوله تعالى (**وذلك هو الفوز العظيم**)" انتهى كلامه.

وقال ابن هذيل في تحفة الأنفس: " فطوبى لمن بذل في سبيل الله قراضه وتجره، واحتسب عند من لا يضيع عنه مثقال حبة من خردل أجره، ووجّه إلى مرضات الله مقاصده وأغراضه، وجعل الجهاد في سبيله قبلته وإمامه، وصيره بداته وختامه، وترك التسويف والتعليل، واشترى الكثير بالقليل "انتهى كلامه.

قال ابن الأثير في الكامل: " في هذه السنة سار ملك الألمان من بلاده في خلق كثير، وجمع عظيم من الفرنج، عازماً على قصد بلاد الإسلام، وهو لا يشكّ في ملكها بأيسر قتال لكثرة جموعه، وتوفر أمواله وعُدده، فلما وصل إلى الشام قصده من به من الفرنج وخدموه، وامتثلوا أمره ونهيه، فأمرهم

بالمسير معهم إلى دمشق ليحصرها ويملكها بزعمه، فساروا معه ونازلوها وحصروها، وكان صاحبها مجير الدين أبق بن نوري بن طغدكين، وليس له من الأمر شيء، وإنما الحكم في البلد لمعين الدين أنر مملوك جده طغدكين، وهو الذي أقام مجير الدين؛ وكان معين الدين عاقلاً، عادلاً خيراً، حسن السيرة، فجمع العساكر وحفظ البلد.

وأقام الفرنج يحاصرونهم، ثم إنهم زحفوا سادس ربيع الأول بفارسهم وراجلهم، فخرج إليهم أهل البلد والعسكر فقاتلوهم، وصبروا لهم، وفيمن خرج للقتال الفقيه حجة الدين يوسف بن دي ناس الفندلاوي المغربي، وكان شيخاً كبيراً، فقيهاً عالماً، فلما رآه معين الدين، وهو راجل، قصده وسلمعليه، وقال له: ياشيخ أنت معذور لكبر سنك، ونحن نقوم بالذب عن المسلمين؛ وسأله أن يعود، فلم يفعل وقال له: قد بعت واشترى مني، فوالله لا أقلته ولا استقلته؛ فعنى قول الله تعالى: (**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ**) وتقدّم فقاتل الفرنج حتى قتل عند النيرب نحو نصف فرسخ عن دمشق... وعاد الفرنج الألمانية إلى بلادهم، وهي من وراء القسطنطينية، وكفى الله المؤمنين شرهم.

وقد ذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر في تاريخ دمشق:" أن بعض العلماء حكى له أنه رأى الفندلاوي في المنام، فقال له: ما فعل الله بك، وأين أنت؟ فقال: غفر لي، وأنا في جنات عدن على سرر متقابلين " انتهى كلامه.

الفضيلة الثامنة والعشرون: الفوز العظيم في الشهادة:

الفوز هو الظفر بالخير والربح والنجاة، وهو يختلف بحسب المفوز به، فإن كان عظيما عظم الفوز والظفر، وإن كان حقيرا صغر الفوز.

والشهيد في سبيل الله فائز أعظم الفوز وأكبره، ولهذا سمى الله فوزه الفوز العظيم، كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ **التوبة**، وقد أكده في الآية بالضمير بقوله (هو) فهو ظفر بأعظم الفضائل والخصال والكرامات، ونجا من العذاب والحساب والأهوال والمهالك.

فوزه عظيم لا يقدّر قدره من عظمته، والعظيم لا يعظم أي شيء، ولا يعظم إلا العظيم حقا.

وإذا كان الله عز وجل قد سمّى فوز المؤمنين في دخولهم الجنة وتكفير سيئاتهم بالفوز العظيم، كما قال تعالى: ﴿ **لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا**﴾ **الفتح**، فكيف بفوز الشهيد الذي لا يقارن بفوز عامة المؤمنين، لا في الفضائل ولا في النجاة من المهالك وغيرها، فلا شك أنه من أعظم الفوز عند الله تعالى.

ولهذا لما طعن حرام بن ملحان قال: (فزت ورب الكعبة) فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (لما طعن حرام بن ملحان – وكان خاله – يوم بئر معونة قال بالدم هكذا، فنضحه على وجهه ورأسه، ثم قال: فزت ورب الكعبة) رواه البخاري، إشارة إلى أنه فاز بالشهادة وفضائلها الجمة.

وقد قال تعالى عن فضل: (**فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ**) وهذا فضل من فضائل الشهيد العظيمة الوفيرة – وهو النجاة من النار ودخول الجنة – فماذا نقول عن فوز الشهيد ؟

الفضيلة التاسعة والعشرون: أجر الشهيد ثابت موفور لا يضاع ولا يبطل:

لما كانت الشهادة فيها إزهاق للروح والموت المكروه إلى النفوس، وهذا فيه مخاطرة بالنفس، وإقدام على أمر خطير فيه حياة وموت، وفي هذه الحال قد يوسوس الشيطان إلى العبد بأنه قد يقتل ويُضاع عليه عمله ولا يُؤجر عليه، فيكون قد خسر الدنيا وخسر الأجر، فأكد الله تعالى على عدم إضاعة أجر الشهيد مرتين في كتابه، وأنه سيؤتيه أجره كاملا موفرا، لا ظلم فيه ولا بخس، بل وأضعافا مضاعفة، قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ**﴾ **محمد**، وقال تعالى عن الشهداء: ﴿ **يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ **آل عمران**.

قال ابن كثير في تفسيره: "لن يذهبها، بل يكثرها وينميها ويضاعفها، ومنهم من يجري عليه عمله في طول برزخه" انتهى كلامه.

والمقصود بالذي ينمي له عمله في برزخه المرابط، فقد ورد ذلك في الأحاديث الثابتة في فضله، وقد ورد أيضا أنه (**من مات مرابطا مات شهيدا**) كما سبق، لكن هذا الإنماء مخصوص بالمرابط، ولا

يشمل هذا الفضل شهداء المعارك فهم في أجر عظيم لكن يتوقف عملهم من مقتلهم، والدليل عليه ما ورد في مسند أحمد وسنن أبي داود عن عبيد بن خالد – رجل من بني سليم — قال: آخى رسول الله ﷺ بين رجلين، فقُتل أحدهما ومات الآخر بعده، فصلينا عليه، فقال رسول الله ﷺ **(ما قلتم ؟)** قالوا: دعونا له أن يغفر له وأن يرحمه وأن يُلحقه بصاحبه، فقال رسول الله ﷺ: **(فأين صلاته بعد صلاته وعمله بعد عمله أو صيامه بعد صيامه؟)** قال: **(إن ما بينهما كما بين السماء والأرض)** صححه الألباني في صحيح أبي داود، فلو كان عمله يجري عليه لما فَضُل عليه.

ولا قياس في الفضائل حتى يقاس الشهيد على المرابط، وإن كان الشهيد المقتول في المعركة أعلى رتبة من الذي يموت في الرباط.

قال المناوي في الفيض: " قال القرطبي: وقد جاء في المرابط الذي هو أقل رتبة من الشهيد، أنه لا يفتن " انتهى كلامه.

قال ابن النحاس في المشارع: " وقد ثبت أن المرابط في سبيل الله لا يفتن في قبره، فالشهيد أولى وأحرى، لأنه أفضل منه " انتهى كلامه.

ولا يضير الشهيد عدم كون أجره يسري وينمي في برزخه، فإنه قد استغنى بعظم أجر شهادته وفضائله العظيمة الكثيرة عن ذلك.

وقال ابن القيم في الزاد في كلامه على الآية السابقة: " أي أنه لا يبطلها عليهم ولا يترهم إياها " انتهى كلامه.

فالمشركون دماؤهم هدر وباطلة الأجر، بل النار لهم والوزر، ولهذا قال الله تعالى في نفس سورة محمد: ﴿ **الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ**﴾ **محمد**، ثم ذكر الشهداء بعد ذلك وأخبر أنه لن يضل أعمالهم فقال: ﴿ **وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ**﴾ **محمد**، وذلك كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أن عمر رضي الله عنه رد على أبي سفيان يوم أحد فقال: (قال عمر: لا سواء، قتلانا في الجنة، وقتلاكم في النار) رواه أحمد والحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي وفيه عبد الرحمن بن أبي الزناد وقد وثق على ضعفه، وصححه الألباني في فقه السيرة.

الفضيلة الثلاثون: الشهيد لا يشعر بآلآم القتل ولا سكرات الموت:

للموت ولخروج الروح من الجسد الذي ألفته آلآم موجعة، وكروب شديدة، وقد يُغشى على صاحبها بسبب هذه الآلآم، ويسمى هذا بسكرات الموت.

قال ابن قدامة في مختصر منهاج القاصدين: " اعلم أن الموت أشد من ضرب السيف، وإنما يصيح المضروب ويستغيث لبقاء قوته، وأما الميت عند موته فإنه ينقطع صوته من شدة ألمه، لإن الكرب قد بالغ فيه وغلب على قلبه، وعلى كل موضع منه، وضعف كل جارحة فيه، فلم يبق منه قوة الاستغاثة، ويود لو قدر على الاستراحة بالأنين والصياح والاستغاثة، وتجذب الروح من جميع العروق، ويموت كل عضو من أعضائه تدريجيا، فتبرد أولا قدماه ثم ساقاه ثم فخذاه حتى تبلغ الحلقوم فعند ذلك ينقطع نظره إلى الدنيا وأهلها " انتهى كلامه.

وقد اختلفت عبارات السلف في وصف الموت وآلآمه، فمنهم من يقول كغصن كثير الشوك أدخل في جوف رجل، فأخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب، فأخذ ما أخذ وبقي ما بقي، ومنهم من يقول كشاة تسلخ وهي حية، ومنهم من يقول إنه أشد من ضرب بالسيوف، ونشر بالمناشير، وقرض بالمقاريض.

ولما احتضر الرسول ﷺ، عانى من سكرات الموت، وكان يدعو بأن يعينه الله تعالى عليها، ففي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان بين يديه ركوة أو علبة فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء، فيمسح بهما وجهه ويقول:**(لا إله إلا الله إن للموت سكرات)** وورد أيضا أنه كان يُغشى عليه من سكرات الموت.

والمتعارف عليه عند الناس أن الموت الطبيعي أهون من القتل من حيث ألم الموت، فالقتل أشد ألما، ولكن الشهيد يهون عليه الأمر، فلا يجد من ألم القتل وسكرات الموت إلا كما يجد أحدنا من ألم القرصة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة)** رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وقال الألباني: (حسن صحيح) في صحيح الترمذي، وصححه أحمد شاكر.

والقرصة قيل: هي عضة النملة، وقيل: هو أخذ لحمة الإنسان بأصبعيك حتى تؤلمه، ولسع البراغيث، وكلها ألمها متقارب، لا يكاد يُذكر، ولا يجزع منه حتى الطفل.

قال المناوي في الفيض: " وعبر بإداة الحصر دفعا لتوهم أن ألمه يفضل على ألمها، وهذا تسلية لهم عن هذا الحادث العميم والخطب الجسيم، وتهييج للصبر على وقع السيوف والحتوف ".

وقال أيضا: " يعني أن الله تعالى يهون عليه ويكفيه سكراته وكربه، بل رب شهيد يتلذّذ ببذل نفسه في سبيل الله طيبة بها نفسه، كقول خبيب حين قتل: ولست أبالي حين أقتل مسلما على أي شق كان في الله مصرعي ".

وقال أيضا بعد أن وصف شدة الموت بالنسبة للناس: " ويستثنى من ذلك الشهيد فإنه إنما يجد ألمه كما يجد غيره ألم القرصة " انتهى كلامه.

قال ابن النحاس في المشارع:" ولو لم يكن في القتل الذي تفر منه إلا الراحة من سكرات الموت لكان في ذلك ما يوجب الثبات، وإن لم تنظر إلى ما بعده وهو الفوز العظيم، وما أحسن قول من قال:

وإنا لتستحلي المنايا نفوسنا ** ونترك أخرى مُرة نذوقها " انتهى كلامه

وهذا الحديث عام في أي طريقة يقتل بها الشهيد، فلو قُطّعت أطرافه، أو أُحرق جسده، أو تمزّق أشلاء وتقطّع إربا، أو أنصف جسده، أو خرّقه الرصاص، أو قُطع رأسه وحُزّ، أو أي قتلة قتل بها الشهيد فهو لا يجد إلا كألم القرصة، وهذا فضل عظيم لا تعرف مكانته إلا عند الموت، وعند ذوق الألم والسكرات، فحينئذ يندم المرء ولات ساعة مندم، ويتمنى أن لو قتل في سبيل الله تعالى ألف مرة ولا ذاق هذا الألم وهذه الميتة.

ومن قرأ فضائل الشهيد التي تكون له عند احتضاره في الدنيا وقبل خروج روحه، من رؤيته لمقعده في الجنة، وهذا فضل كاف في أن يصرف عنه ألم القتل ولا يحس به، فكيف إذا انضاف إليه تظليل الملائكة عليه، وإكرامهم له عند موته، فكيف إذا انضاف إلى ذلك نزول الحور العين وحضورهن لاحتضاره، فهل يبقى ألم بعد ذلك ؟ كلا، فلن تجده إلا متمتعا سعيدا غاية السعد، وحق له ذلك، ولئن كانت النساء عندما رأين نبي الله يوسف قطّعن أيديهن ولم يحسسن بالألم مع ذلك لرؤيتهن جمال يوسف عليه الصلاة والسلام، فكذا الشهيد لا يحس بألم القتل مع رؤيته لمقعده والحور والملائكة الكرام التي تبشره بما له عند الله من الزلفى.

والقصص الواقعية للشهداء تشهد بهذا، فمن ذلك:

ذكر ابن النحاس: " أن بعضهم كان يقول: اللهم اخدعني عني – يريد خذني بغته من غير أن أقاسي ألما – فخرج يوما للنزهة ونام في بستان، ففاجأه قوم من الكفار وحزّوا رأسه، فرآه بعض معارفه في النوم وسأله عن حاله، فقال: نمت في البستان، ففتحت عيني فإذا أنا في الجنة " انتهى.

وكذا أحمد بن نصر الخزاعي الذي قتله الواثق لكي يقول بخلق القرآن فأبى، قال عنه الذهبي في السير: " وقيل: رئي في النوم، فقيل: ما فعل الله بك ؟ قال: ما كانت إلا غفوة حتى لقيت الله، فضحك إلي " انتهى كلامه.

قال الشيخ عبد الله عزام في كتاب التربية الجهادية والبناء: " هذا من المدينة خالد الكردي من طيبة الطيبة، أصيب بلغم فطارت قدمه وانبعجت بطنه واندلقت أقتابه، وكان معهم الدكتور صالح، فأقبل الدكتور صالح يلملم بيديه اقتابه، ويضم أحشاءه ويدخلها بطنه ويلفها ببطانية معهم، فقال وهو يبكي: أصيب خالد بجروح بيده، فنظر إلى الدكتور صالح قال: يا دكتور آلام بسيطة وجروح طفيفة إنها في يدي، لماذا تبكي ؟ لا يدري أن قدمه قد طارت، وأن بطنه قد شق، وأن أمعاءه قد خرجت، وبقي يسليه ويحدثه يقول: والله إن الشهادة حبيبة إلى قلبي، طيبة على نفسي، ولكن بعد أن تشيب هذه اللحية، ويشيب شعر رأسي في الجهاد، وبقي ثلاث ساعات يحدّثهم وهو بكامل قواه العقلية، ولقي الله وفاضت روحه وفاح المسك وهو لا يعلم أن قدمه قد طارت وأن بطنه قد شق، لا يجد الشهيد من القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة " انتهى كلامه.

ذكر الشيخ حارث النضاري في فضائل الشهادة هذه القصة فقال: " يذكر لي أحد الإخوة عن جميل العنبري –رحمه الله، تقبله الله في الصالحين، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبله في الصالحين وأن يرفع درجته في المهديين–، قُتِل بقصف أمريكي استهدفه – تقبله الله في الصالحين– فبعد استشهاده رآه أحد الإخوة قال: ما الذي حدث ؟ يعني يسأله صف لي كيف الانتقال من العالم هذا إلى العالم الآخر، ما تفاصيل الذي حدث، ما هي القصة التي حدثت لك ؟ قال: كنت جالس وبجواري فواز الصنعاني، التفت فواز إلى السماء فرأى الصاروخ، رأيناه سويًا، رأينا الصاروخ مقبل علينا، أخي فواز حاول أن ينوء بجسده قليلاً عن الصاروخ، حاول أن يهرب قليلاً، يميل، قال: فجاء الصاروخ وسقط على ركبتي فارتفعت، وأنظر إلى الأسفل، لحظات يسيرة، ارتفع بعدي أخي فواز، هذا كل الذي

حدث، هذه القصة مِن مَن؟ هذه القصة من جميل العنبري تقبله الله تبارك وتعالى بعد أن قُتِل، يصف لنا اللحظات الأخيرة، وتفاصيل الاستشهاد الذي حصل لهما".

وقال أيضا: " شخص آخر هو أمين العثماني – تقبله الله سبحانه وتعالى في الشهداء ورفع درجته في المهديين–، نفَّذ عملية استشهادية، رآه أحد الإخوة في المنام، قال: ها كيف عملية الانتقال من الدنيا إلى الآخرة ؟ أيش اللي حصل ؟ ماذا شعرت ؟ أيش اللي حسيته في الانتقال من الدنيا إلى الآخرة؟ قال: كأني نمت، بعد أن ضغطت الزر كأني نمت.

ومعلوم أنَّ الإنسان إذا نام يشعر بألم ؟ بالعكس يشعر بالراحة في فترة الغفوة التي هي بداية النوم الانتقال من اليقظة إلى المنام بالعكس هي لحظة مريحة ولحظة ممتعة فترة الغفوة والانتقال من اليقظة إلى المنام " انتهى.

وهذا الفضل قد يلحق بعض الجرحى إكراما من الله تعالى، فلا يحس بألم الجرح ولو كان شديدا والواقع يشهد بهذا، ولكن ليس لكل الجرحى، بل بعضهم قد يحسّ بالألم.

قال ابن النحاس في المشارع: " واعلم أن الجريح في سبيل الله لا يجد من ألم الجراح ما يجده غيره، فإنه قد صح في الحديث أن القتيل في سبيل الله لا يجد ألم القتل إلا كمس القرصة، وإذا كان هذا حال القتيل فكيف بما دونه من الجراح، وهذا أمر مستقر لا يجحده إلا من لم يجرّب، وما تقدم من أخبار الجرحى يؤيد ذلك، مع أن العقل لا يستبعد ذلك، فإن سورة الغضب والحمية إذا اشتدت وحكمت وجد الإنسان في نفسه من الشدة والقوة والصبر والاحتمال وقلّة المبالاة بالمكروه وعدم الإحساس بالألم ما لم يكن يجده قبل ذلك، حتى ربما يقع بين المتخاصمين بالشجاج المؤلمة والجراح البالغة ولا يحسون بذلك إلا بعد إنفصالهم مما هم فيه، هذا وكل منهم مجتهد في الدفع عن نفسه، كاره للموت أن ينزل به، فكيف بمن يشتدّ غضبه لله، ويخرج عن نفسه إلى الله، ويتمنّى الشهادة عند الله، ويعدّ ما أصابه من فضل الله، ويشهد بقوة نور الإيمان ما أعد الله للشهداء والجرحى في سبيله من الفضل الجزيل شهودا محقّقا لا علما مجرّدا " انتهى كلامه.

الفضيلة الحادية والثلاثون: الشهيد أحسن الناس خاتمة، وسلامته من سوء الخاتمة:

الأمور بالخواتيم، والحكم النهائي في الدنيا والآخرة مبني على الخواتيم، فمن ختم له بعمل أهل السعادة فهو من أهلها في الدنيا والآخرة، وإن أمضى عمره بعمل أهل الشقاوة، والعكس صحيح.

وحسن الخاتمة وأن يختم للرجل بعمل صالح أو بخير أعماله هي الغاية التي شمر إليها المشمرون، وأقضّت مضاجع الصالحين، وأهمّت قلوبهم، فإن الميت يبعث على ما مات عليه، إن خيرا فخير وإن شرا فشر.

ولا خاتمة أفضل مطلقا من الشهادة في سبيل الله، فإنها أعظم الأعمال أجرا وأعلاها وأحبها إلى الله تعالى، ولا تقع إلا في آخر العمر، فهي أفضل من أن يختم للرجل بموته حاجا أو ساجدا أو صائما أو غير ذلك من الخواتيم الحسنة، بل إنها أفضل من خاتمة الموت في المدينة التي وردت الأحاديث الكثيرة في فضل الموت بها.

وقد ورد في ذلك عن يحيى بن سعيد أن رسول الله – ﷺ – كان جالسا وقبر يحفر بالمدينة، فاطلع رجل في القبر فقال: بئس مضجع المؤمن، فقال رسول الله – ﷺ: **(بئسما قلت)** قال الرجل: إني لم أرد هذا، إنما أردت القتل في سبيل الله، فقال رسول الله – ﷺ –**(لا مثل للقتل في سبيل الله، ما على الأرض بقعة أحب إلي أن يكون قبري بها منها ثلاث مرات)** رواه مالك مرسلا، ولكن القاري نقل الإجماع في مرقاة المفاتيح في شرحه للحديث على أن الشهادة في سبيل الله أفضل من مجرد الموت بالمدينة.

وللشهادة أثر يبقى على صاحبها يبعث عليه من الدماء ونحو ذلك، وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله تعالى.

فمن ختم له بالشهادة فهو السعيد حقا ولا خوف عليه ولا هو يحزن، والشهيد أيضا سالم من سوء الخاتمة، وميتة السوء التي كان النبي ﷺ يستعيذ منها، وخافها الصالحون على أنفسهم، وأن يموت على حالة يكرهها الله ويكرهها الناس.

قال أبو حامد الغزالي في الإحياء: " ولأجل شرف ذكر الله عز وجل عظمت رتبة الشهادة، لأن المطلوب الخاتمة، ونعني بالخاتمة وداع الدنيا والقدوم على الله والقلب مستغرق بالله عز وجل منقطع العلائق عن غيره، فإن قدرَ عبد على أن يجعل همه مستغرقا بالله عز وجل فلا يقدر على أن يموت على تلك الحالة إلا في صف القتال، فإنه قطع الطمع عن مهجته وأهله وماله وولده، بل من الدنيا كلها،

فإنه يريدها لحياته وقد هوّن على قلبه حياته في حب الله عز وجل وطلب مرضاته، فلا تجرد لله أعظم من ذلك؛ ولذلك عظم أمر الشهادة وورد فيه من الفضائل ما لا يحصى... ثم القتل سببُ الخاتمة على مثل هذه الحالة، فإنه لو لم يقتل وبقي مدة ربما عادت شهوات الدنيا إليه وغلبت على ما استولى على قلبه من ذكر الله عز وجل؛ ولهذا عظم خوف أهل المعرفة من الخاتمة، فإن القلب وإن ألزم ذكر الله عز وجل فهو متقلب لا يخلو عن الالتفات إلى شهوات الدنيا ولا ينفك عن فترة تعتريه، فإذا تمثل في آخر الحال في قلبه أمر من الدنيا واستولى عليه وارتحل عن الدنيا والحالة هذه فيوشك أن يبقى استيلاؤه عليه فيحنّ بعد الموت إليه ويتمنى الرجوع إلى الدنيا وذلك لقلة حظه في الآخرة إذ يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه، فأسلم الأحوال عن هذا الخطر خاتمة الشهادة، إذ لم يكن قصد الشهيد نيلَ مال أو أن يقال شجاع أو غير ذلك، بل حب الله عز وجل وإعلاء كلمته، فهذه الحالة هي التي عبر عنها: "إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة" ومثل هذا الشخص هو البائع للدنيا بالآخرة، وحالة الشهيد توافق معنى قولك لا إله إلا الله، فإنه لا مقصود له سوى الله عز وجل وكل مقصود معبود وكل معبود إله، فهذا الشهيد قائل بلسان حاله لا إله إلا الله إذ لا مقصود له سواه " انتهى كلامه.

فيا من أهمّه حسن الخاتمة، ودعا الله بها، وأشغل فكره فيها، أين أنت من الشهادة ؟ فهي والله أحسن خواتيم أهل السعادة، فإن أنت فزت بها فزت مع حسن الخاتمة بالدرجة الرفيعة والأجور العظيمة فتكون قد حصلت الأمرين معا، وهذا والله أعظم الفوز.

وبعض المجاهدين لا يقتصر على القتل والشهادة في حسن الخاتمة مع كونها كافية، بل يضيف إليها خاتمة حسنة أخرى ويموت مع الشهادة على عبادة أخرى.

فبعضهم عندما يشعر بقرب مقتله يصوم ويقتل وهو صائم، وهذا كثير في المجاهدين فمن ذلك ما رواه ابن المبارك وابن أبي شيبة عن ابن عمر رضي الله عنه قال: أتيت على عبد الله بن مخرمة عام اليمامة فوقفت عليه فقال: يا عبد الله بن عمر هل أفطر الصائم ؟ قلت: لا، قال: فاجعل لي في هذا المجن ماء لعلي أفطر، قال: فأتيت الحوض وهو مملوء دما، فضربته بجحفته، ثم اغترفت منه، فأتيته فوجدته قد قضى رضي الله عنه.

وروى الطبراني بإسناده عن محمد بن الحنفية قال: رأيت أبا عمرو الأنصاري وكان بدريا عقبيا أحديا وهو صائم يتلوى من العطش وهو يقول لغلامه: ويحك ترسني، فترسه الغلام حتى نزع بسهم نزعا

ضعيفا حتى رمى بثلاثة أسهم، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من رمى بسهم في سبيل الله قصر أو بلغ كان له نورا يوم القيامة) فقُتل قبل غروب الشمس رضي الله عنه.

قال ابن النحاس في المشارع: " وقد كان كثير من السلف يصومون في الجهاد ويقاتلون ولا يفطرون، احتسابا لذلك عند الله، وطلبا لمرضاته، ورغبة في جزيل ثوابه " انتهى كلامه.

وبعضهم يتمنى أن يقتل وهو ساجد، ويدعو الله بذلك، فعندما يأتيه الموت والقتل ويكون عند الاحتضار يخرّ ساجدا لله، وتخرج روحه على هذه الحال، والقصص في ذلك معروفة عند المجاهدين، ومن ذلك ما جاء في كتاب قصص الشهداء العرب عن طبرناك الجزائري الذي استشهد في البوسنة " وهكذا بدأت المعركة وأصيب طبرناك بطلقة في قلبه وخر ساجدا لله شكرا وفاضت روحه على تلك السجدة وحين حملوه إخوانه إذ بوجهه تملأه الحمرة والإشراقة والابتسامة " انتهى.

الفضيلة الثانية والثلاثون: الشهيد تغفر له جميع الذنوب:

أعظم سبيل لمغفرة الذنوب، وتكفير السيئات، ومحو الخطايا، والخروج من الدنيا والقدوم على الله تعالى بلا أوزار محمولة ولا آثام مكسوبة هو الجهاد والشهادة في سبيل الله تعالى.

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى " من كان كثير الذنوب فأعظم دوائه الجهاد " انتهى كلامه.

ولا يوجد عمل صالح يكفِّر الذنوب كما تفعله الشهادة، فالشهادة تأتي على جميع الذنوب والخطايا صغيرها وكبيرها، قليلها وكثيرها، قديمها وحديثها، فتحرقها كأن لم تكن بالأمس، وتجعل الصحيفة بيضاء خالية من الذنوب، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ **الصف.**

وقال تعالى: ﴿ **فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ**

سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ آل عمران.

وقال تعالى: ﴿ **وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ آل عمران.**

وعن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(للشهيد عند الله سبع خصال: يغفر له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويحلى حلَّة الإيمان، ويزوّج اثنين وسبعين زوجة من الحور العين، ويُجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويُوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويشفّع في سبعين إنساناً من أهل بيته)** رواه أحمد، وحسنه ابن القطان، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

وهذه كناية عن سرعة مغفرة ذنوب الشهيد، وأنها تقع في الدنيا.

وعن سهل بن حنيف رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(أول ما يهراق من دم الشهيد يغفر له ذنبه كله إلا الدين)** رواه البيهقي في الكبرى والحاكم والطبراني في الكبير، وقال الهيثمي ورجاله رجال الصحيح.

وعن عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(القتلى ثلاثة: رجل مؤمن جاهد بنفسه وماله في سبيل الله، حتى إذا لقي العدو قاتلهم حتى يُقتل، فذلك الشهيد الممتحن، في خيمة الله تحت عرشه، لا يفضله النبيّون إلا بفضل درجة النبوّة، ورجل فرق على نفسه من الذنوب والخطايا، جاهد بنفسه وماله في سبيل الله، حتى إذا لقي العدو قاتل حتى يُقتل، فتلك ممصمصة، محت ذنوبه وخطاياه، إن السيف محّاء للخطايا، وأدخل من أي أبواب الجنة شاء، فإن لها ثمانية أبواب، ولجهنم سبعة أبواب وبعضها أفضل من بعض، ورجل منافق جاهد بنفسه وماله، حتى إذا لقي العدو قاتل في سبيل الله عز وجل حتى يُقتل، فذلك في النار إن السيف لا يمحو النفاق)** رواه أحمد والطبراني بإسناد جيد كما قال المنذري وابن النحاس، وقال الهيثمي " ورجال أحمد رجال الصحيح خلا المثنى الاملوكي وهو ثقة ".

وقوله (**ممصمصة**) قال ابن الأثير في النهاية: " أي مطهرة من دنس الخطايا، يقال مصمص إناءه إذا جعل فيه الماء وحركه ليتنظّف " انتهى كلامه.

قال ابن النحاس في معناه في المشارع: " والمعنى أن القتل في سبيل الله يطهّر من الذنوب كما يمصمص الإناء بالماء، وقوله (فرق) بكسر الراء أي خاف وجزع " انتهى كلامه.

وعن أبي قتادة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قام فيهم فذكر أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال، قال: فقام رجل فقال: يا رسول الله أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفّر عني خطاياي كلها ؟ فقال رسول الله ﷺ: (**نعم إن قتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر**) ثم قال رسول الله ﷺ: (**كيف قلت ؟**) قال: أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفّرعني خطاياي ؟ فقال رسول الله ﷺ: (**نعم وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر إلا الدَّين، فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك**) رواه مسلم.

وقد ورد في قتل الصبر أن رسول الله ﷺ قال فيه: (**قتل الصبر لا يمرّ بذنب إلا محاه**) رواه البزار عن عائشة رضي الله عنها، وقال الهيثمي رجاله ثقات، وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه كما عند الطبراني: (إذا جاء القتل محا كل شيء) قال الهيثمي وفيه راو لم يسم وبقية رجاله ثقات، وسكت عنه الحافظ في الفتح، فإذا كان هذا في مجرد قتل الصبر ومطلق القتل ولو لم يكن في سبيل الله، فكيف إذا كان ذلك في سبيل الله تعالى.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: (القتل يغسل الدرن، والقتل قتلان كفارة ودرجة) رواه عبد الرزاق في المصنف عن معمر عن الزهري عن أبي إدريس الخولاني عنه وهذا إسناد صحيح، والدرن هو الوسخ أي وسخ الذنوب التي اكتسبها الشخص، والمقصود بقتل الكفارة هو عموم القتل سواء في سبيل الله أم مطلق القتل، والمقصود بقتل الدرجة هو القتل في سبيل الله وهو الذي به تنال درجة الشهادة.

وقد كان الصحابة إذا سمعوا الرسول ﷺ دعا لشخص مّا بالمغفرة، أيقنوا أنه سيُستشهد، لإن الشهادة هي أمثل طريق لمغفرة الذنوب، فعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه – في قصة طويلة في غزوة خيبر وفيها – قال: (حتى خرجنا إلى خيبر مع رسول الله ﷺ قال: فجعل عمي عامر يرتجز بالقوم:

تالله لولا الله ما اهتدينا   ولا تصدّقنا ولا صلّينا

ونحن عن فضلك ما استغنينا فثبّت الأقدام إن لاقينا

وأنزلن سكينة علينا

فقال رسول الله ﷺ: **(من هذا ؟)** قال: أنا عامر، قال: **(غفر لك ربك)** قال: وما استغفر رسول الله ﷺ لإنسان يخصه إلا استشهد، قال: فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له: يا نبي الله لولا ما متّعتنا بعامر، قال: فلما قدمنا خيبر قال خرج ملكهم مرحب يَخطُر بسيفه ويقول:

قد علمت خيبر أني مرحب

شاكي السلاح بطل مجرّب

إذا الحروب أقبلت تلهّب

قال: وبرز له عمي عامر فقال:

قد علمت خيبر أني عامر شاكي السلاح بطل مغامر

قال: فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب في ترس عامر، وذهب عامر يسفل له، فرجع سيفه على نفسه، فقطع أكحله فكانت فيها نفسه، قال سلمة: فخرجت فإذا نفر أصحاب النبي ﷺ يقولون: بطل عمل عامر قتل نفسه، قال: فأتيت النبي ﷺ وأنا أبكي، فقلت: يا رسول الله بطل عمل عامر، قال رسول الله ﷺ: **(من قال ذلك ؟)** قال قلت: ناس من أصحابك، قال: **(كذب من قال ذلك بل له أجره مرتين)** رواه مسلم.

وقد كان الصحابة إذا وقع أحد منهم في خطيئة واستعظمها، لم ير طريقا أمثل وأفضل من الشهادة في سبيل الله في تكفير خطيئته التي وقع فيها، فيذهب ليطلبها ليكفّر ما أسلف.

فقد روى ابن اسحاق في سيرته فقال: وحدثني العباس بن عبدالله بن معبد عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما (أن النبي ﷺ قال لأصحابه يومئذ: **(إني قد عرفت أن رجالا من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرها، ولا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحدا من بني هاشم فلا يقتله، ومن لقي أبا البختري بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله، فإنه إنما أخرج مستكرها) قال: فقال أبوحذيفة: أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخوتنا وعشيرتنا ونترك العبّاس، والله لئن لقيته لألحمنه السيف**

– قال ابن هشام: ويقال لألجمنه السيف – قال: فبلغت رسول الله ﷺ فقال لعمر بن الخطاب (يا أبا حفص – قال عمر: والله إنه لأول يوم كنّاني فيه رسول الله ﷺ بأبي حفص – أيضرب وجه عم رسول الله ﷺ بالسيف ؟) فقال عمر: يا رسول الله دعني فلأضرب عنقه بالسيف، فوالله لقد نافق، فكان أبو حذيفة يقول: ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذ ولا أزال منها خائفا إلا أن تكفّرها عنّي الشهادة، فقُتل يوم اليمامة شهيدا) رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم.

وذلك لما علموه عن الشهادة من أنها يغفر بها جميع الذنوب الكبير منها والصغير، ولا يزال هذا الأمر وهو طلب مغفرة الذنوب بالشهادة لمن وقع في الذنوب وأسرف على نفسه مستمر من بعد الصحابة على مر الأزمان إلى وقتنا المعاصر، فكثير هم الذين ينفرون إلى الجهاد وطلب الشهادة لكي تغفر ذنوبهم السالفة، وخصوصا ممن أسرف على نفسه، وقد ذكر رسول الله ﷺ في حديث عتبة بن عبد السابق من أنواع الشهداء الذي يخرج فرقا من ذنوبه أي خوفا منها وأنه أسرف على نفسه بالذنوب، ومن القصص في ذلك:

❖ خرج ابن عساكر – كما قال ابن النحاس – عن الليث عن موسى بن أبي إسحق الأنصاري، أنه حدثه، أن علي بن أسد كان قد قتل وصنع أمورا عظاما، فمر ليلة بالكوفة، فإذا برجل يقرأ من جوف الليل **(قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله)** إلى آخر الآية، فقال علي: أعد، فأعاد، ثم قال: أعد، فأعاد، ثم قال: أعد، فأعاد، فعمد فاغتسل ثم غسل ثيابه، فتعبّد حتى عمشت عيناه من البكاء، وصارت ركبتاه كركبتي البعير، فغزا البحر فلقي الروم، فقرنوا مراكبهم بمراكب العدو، قال علي: لا أطلب الجنة بعد اليوم أبدا، فاقتحم بنفسه في سفائنهم، فما زال يضربهم، وينحازوا ويضربهم وينحازوا حتى مالوا في شق واحد فانكفأت عليهم السفينة، فغرق وعليه درع الحديد ".

❖ الشاعر عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي رحمه الله تعالى كان في أوائل عمره مسرفا على نفسه ويتغزل ويتشبب بالنساء، فلما كبر ووصل عقد السبعين أو الثمانين بحث عن طريق لتكفير ما سلف من عمره فغزا في البحر، فأحرق العدو سفينتهم هو وأصحابه فاحترق رحمه الله تعالى ونرجو أن يكون حصل الشهادتين وفضل الغزو في البحر وأن تكون غفرت ذنوبه.

❖ قال الحافظ في الدرر الكامنة: " أيدمر الشمس – القشاش تأمر في أيام المنصور، وولي الشرقية ثم الغربية، وكان شديدا على المفسدين، وكان الوزير ابن السلعوس في سلطنة الأشرف يغضّ منه فلا

يمكنه منه السلطان، ويقال إنه قتل زيادة على اثني عشر ألف نفس، فلم يزل على ولايته إلى أن حدث له وجع المفاصل، فطلب الإعفاء، وأقام بالقاهرة إلى أن خرج العسكر إلى شقحب، فخرج معهم، فلما وقع القتال ركب فرسا وبه من ورم رجليه وضربانها أشد الألم، فلاموه في ذلك فقال: أريد أن أتخلص من الذي تقدم لي، وتقدّم فقاتل حتى قُتل في شهر رمضان سنة ٧٠٢ " انتهى كلامه.

❖ قال في شذرات الذهب في الوزير ابن هبيرة:" قال ابن الجوزى كان الوزير يتأسف على ما مضى من زمانه، ويندم على ما دخل فيه، ثم صار يسأل الله عز وجل الشهادة، ونام ليلة الأحد ثالث عشر جمادي الأولى في عافية، فلما كان وقت السحر حضر طبيب كان يخدمه فسقاه شيئا، فيقال أنه سم فمات، وسقي الطبيب بعده بنحو ستة أشهر، فكان يقول سقيت كما سقيت " انتهى.

❖ وقال في الشذرات: " وفيها — أي مات ـ الطيار الأمير الكبير سيف الدين المنصوري أدركته التتار بنواحي غزة، فقاتل عن حريمه حتى قُتل، وحصلت له الشهادة والخير بذلك، فإنه كان مسرفا على نفسه " انتهى.

❖ وقال ابن العماد في الشذرات في ترجمة جمال الدين يوسف بن أحمد البيري الحلبي: " قال ابن حجر: ولقد رأيت له مناما صالحا بعد قتله، حاصله أني ذكرت وأنا في النوم ما كان فيه وما صار إليه، وما ارتكب من الموبقات، فقال لي قائل: إن السيف محاء للخطايا، فلما استيقظت اتفق أني نظرت هذا اللفظ بعينه في صحيح ابن حبان في أثناء حديث، فرجوت له بذلك الخير" انتهى، وهذا الرجل المترجم له كان وزيرا وله عدة وظائف كبار ولم يبق فوق منصبه إلا الملك ثم آل أمره إلى أن قُتل.

والشهادة في سبيل الله يشمل تكفيرها للكبائر ولو كثرت وعظمت، ومعلوم أن الأعمال الصالحة والحسنات يذهبن ويكفرن السيئات كما ورد، ولكن في الصغائر فقط، أما الشهادة فهي عمل صالح يكفر بها جميع الذنوب صغيرها وكبيرها ولو كثرت.

قال ابن عبد البر في الاستذكارعلى حديث (**إلا الدين**): " وفي هذا الحديث أن القتل في سبيل الله على الشرط المذكور لا تكفر به تبعات الآدميين – والله أعلم – وإنما يكفر ما بين العبد وبين ربه من

كبيرة وصغيرة، لأنه لم يستثن فيه خطيئة صغيرة ولا كبيرة إلا الدين الذي هو من حقوق بني آدم " انتهى كلامه.

قال المناوي في الفيض:" شهيد البر يغفر له كل ذنب عمله من الكبائر والصغائر إلا الدين " انتهى.

ولمغفرة الذنوب بالشهادة مَزِيدُ مزيّة، وهي أنها تقع في الدنيا، فإنها مع أول دفعة دم تخرج من الشهيد، وتقع في آخر لحظة من العمر، فلا تؤخر في الآخرة، ولا يلحقها ذنب بعد وقوعها، فيقدم الشخص على الله تعالى نقيا من الذنوب آمنا من العذاب، وليست كالمغفرة التي تقع في الآخرة فيكون صاحبها غير آمن من العذاب قبل ذلك أوالمغفرة التي تقع في أثناء العمر فقد يلحقها ذنوب بعد وقوعها.

وفضيلة مغفرة الذنوب للشهيد فضيلة عظيمة، ينبني عليها فضائل عظيمة أخرى ستأتي مفصّلة إن شاء الله تعالى من الأمن من العذاب وغير ذلك.

ويُستثنى من الأمور التي لا تغفر للشهيد الدين، فلا يغفر للشهيد، فإنه من حقوق الآدميين المبنية على المشاحّة، كما في حديث أبي قتادة الذي مضى قريبا، وقد مضى الكلام على تفاصيل ذلك في الشروط والموانع، ويقاس عليه بقية الحقوق الغصب والسرقة والغيبة وغير ذلك.

الفضيلة الثالثة والثلاثون: دم الشهيد نور ونار:

نعم فدم الشهيد نار على أعداء الله وعذاب وصغار، فهو نار عليهم في الدنيا، بسفك الشهيد لدمائهم، وأخذه لأموالهم، واسترقاقه لأنفسهم وأبنائهم، وأخذه لأراضيهم، وفرضه حكم الإسلام عليهم، وإلزامهم بالذل والصغار.

ونار عليهم في الآخرة، لأنه بقتله لهم على كفرهم يعجل لهم القدوم إلى مأواهم ومصيرهم وهو النار، نسأل الله العافية.

ونار عليهم في الآخرة إذا قتلوه، فحرمة دم المسلم عند الله عظيمة، وليس لها جزاء إلا النار والخلود فيها، نسأل الله العافية.

ودم الشهيد أيضا نور على المسلمين، فبدمه وبذله يُعزّ الإسلام وأهله، وتُحفظ به حوزة الإسلام، ويُحمى به المسلمين، وينتشر حكم الإسلام في الأرض، وهل ارتوت شجرة الدين إلا بدمائهم.

وبدمه يحيي الله قلوبا عميا، وآذانا صما، كانت على الكفر فدخلت في الإسلام بسببه، وعجب الله إلى قوم يدخلون الجنة بالسلاسل.

وبدمه يحيي الله أهله وأقاربه ومعارفه، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بدمه، بل وقد يُلحقهم به بدمه، فكم من الشهداء بعد مقتلهم تأثّر بهم أهلهم وذويهم ومعارفهم، ورجعوا إلى درب الهدى بعد فسقهم ومعاصيهم وبعضهم التحق بهم، وسلك دربهم، وفاز بالشهادة بعدهم، وهذا كثير ومستفيض ومعروف بين أسر الشهداء.

ودم الشهيد نور على أقاربه يوم القيامة، بالشفاعة لهم، فإنه يشفع في سبعين من أهل بيته.

قال سيد قطب رحمه الله في الظلال: " وكم من شهيد ما كان يملك أن ينصر عقيدته ودعوته ولو عاش ألف عام، كما نصرها باستشهاده، وما كان يملك أن يودع القلوب من المعاني الكبيرة، ويحفز الألوف إلى الأعمال الكبيرة، بخطبة مثل خطبته الأخيرة التي يكتبها بدمه، فتبقى حافزاً محركاً للأبناء والأحفاد، وربما كانت حافزاً محركاً لخطى التاريخ كله مدى أجيال " انتهى كلامه.

قال الشيخ عبد الله عزام في كتابه عشاق الحور: " وكم من شهيد قد استشهد، فامتشق أقاربه أسنتهم ومضوا على جادة الرائد الذي ما كذبهم ، فأبو جهاد (أحمد أبو غوش) مضى إلى الله وإذا بأخيه ينتضل حسامه ويمضي على طريق العزة والكرامة، وأبو قتيبة السوري يمضي إلى الله فيأتي والده وينزل إلى جلال آباد " انتهى كلامه.

الفضيلة الرابعة والثلاثون: قدر دم الشهيد العظيم العالي:

دم الإنسان بشكل عام مستقذر عند الناس، ولا يحبون منظره، وليس له رائحة طيبة، وهو نجس عند أكثر الفقهاء، وتجب إزالته، ولا يجوز الصلاة به.

ولكن الشهيد له وضع آخر، وفي جانب معاكس، فدمه طاهر وليس بنجس خلافا لبقية الموتى والبشر ويستحب إبقاءه بل يجب، فلا يغسل عنه دمه إذا قتل، بل يبقى عليه، بل إن الملابس التي تزال عن الموتى عند موتهم، لا تزال عن الشهيد من أجل الدم، وحفاظا عليه لعلو قدره وعظمته.

قال شيخ الإسلام في شرح العمدة: " والدم كله نجس، وكذلك المدة، والقيح، والصديد، وماء القروح المتغير على ما ذكرناه من العفو عن يسيره، إلا الدماء المأكولة كالكبد، والطحال، وما بقي على اللحم بعد السفح، ودم السمك رواية واحدة وإلا الدماء التي ليست سائلة كدم الذباب والبق والبراغيث في أقوى الروايتين، إلا دم الشهيد ما دام عليه لأن الشارع أمر بإبقائه عليه مع كثرته فلو حمله مصل لم تبطل صلاته " انتهى كلامه.

وقال أيضا:" ولا ينجس الشهيد كما لا ينجس دمه " انتهى كلامه.

فهذا الدم هو خير شاهد على تضحيته، وخير شاهد على عظمة عمله، وخير شاهد على شرفه وعلو قدره، وخير شاهد له على خصمه وحجة عليه.

وهذا الدم أحب شيء إلى الله، فكيف يزال وهو ليس محبوب فقط، بل أحب شيء إلى الله، كما في حديث أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**ليس شيء أحب إلى الله من قطرتين، وأثرين، قطرة من دموع في خشية الله، وقطرة دم تهراق في سبيل الله، وأما الأثران، فأثر في سبيل الله، وأثر في فريضة من فرائض الله**) رواه الترمذي، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي.

وقوله (شيء) نكرة في سياق نفي، فتعم كل شيء، فإذا كانت القطرة على صغر حجمها أحب شيء إلى الله فكيف بالدماء الكثيرة السائلة من الشهيد، فلا شك أنها أعظم محبة وأشد، وأعلى قدرا عند الله وأعظم جزاء.

ومن علو قدر دم الشهيد وما خص به عن دماء الخلق، أن رائحة دماه زكية طيبة، فرائحتها فواحة بأطيب الطيب وهو المسك، كما سيأتي بيانه إن شاء الله وشرف ذلك في فضيلة حسن مبعث الشهيد.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كلم، لونه لون دم، وريحه مسك**) رواه مسلم.

وعن أبي هريرة عن النبي – ﷺ – قال: (**لا يكلم أحد في سبيل الله – والله أعلم بمن يكلم في سبيله – إلا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب دما، اللون لون دم، والريح ريح المسك**) رواه النسائي، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

قال الحافظ في الفتح:" ولأصحاب السنن وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم من حديث معاذ بن جبل (**من جرح جرحا في سبيل الله أو نكب نكبة، فإنها تجئ يوم القيامة كأغزر ما كانت، لونها الزعفران وريحها المسك**) " انتهى.

بل إن كثيرا من الشهداء تشم منه هذه الرائحة وهو في الدنيا قبل دفنه.

ومن علو قدر دم الشهيد وما خص به عن دماء الخلق، أن لون دمه هو بلون الزعفران، كما في حديث معاذ السابق، وقد صححه الألباني في صحيح الترمذي.

ومن علو قدر دم الشهيد ومحبة الله له، أنه سبب لتفاضل الشهداء عند الله تعالى، كما سيأتي بيانه إن شاء الله، فالشهيد الذي يقتل بإراقة دمه أفضل من الشهيد الذي يقتل بدون ذلك.

ومن علو دم الشهيد أن بعض الفضائل معلقة ذكرا بخروجه كما قال ﷺ: (**للشهيد عند الله سبع خصال: يغفر له في أول دفعة من دمه**...) رواه أحمد في مسنده عن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه، وحسنه ابن القطان في بيان الوهم والإيهام، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

الفضيلة الخامسة والثلاثون: الشهيد يرى مقعده من الجنة قبل أن يموت:

الجنة ونعيمها وما أعد للشخص فيها أمر غيبي لا يرى إلا بعد الموت.

والمؤمن بعد موته يعرض عليه مقعده فيها ومنزلته في قبره بالغداة والعشي ويراها.

وأما الشهيد فإنه يرى مقعده من الجنة قبل موته، فعن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**للشهيد عند الله سبع خصال: يغفر له في أول دفعة من دمه ويرى مقعده من الجنة**...) رواه أحمد، وحسنه ابن القطان في بيان الوهم والإيهام، وصححه الألباني.

والمقعد هو المنزلة ومحل قعود الشخص ونزوله في الجنة، ومن رأى ذلك هان عليه الموت مع أنه يهون على الشهيد أصلا، ولعل هذا الأمر من أسباب ابتسام كثير من الشهداء عند الاحتضار.

وهذا أنس بن النضر رضي الله عنه، قبل أن يقتل بقليل يشم ريح الجنة، فقال: (يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحد) رواه البخاري ومسلم عن أنس.

وهذه الفضيلة هي رؤية حقيقية يرونها عيانا قبل موتهم ولا منامية ولا خيالية، وتعجل للشهداء قبل موتهم وخروج أرواحهم، ثم بعد ذلك يغدون إلى الجنة حقيقة بأجساد غير أجسادهم.

وهذا الفضل غير ما يقع من تبشير الملائكة للميت عند خروج روحه، فهو يحصل أيضا للشهيد لعموم الأدلة فيه، ولكن هذا فضل زائد عليه أنه يرى ما بشر به بعينه قبل أن يموت، والمؤمن إنما يرى مقعده ويعرض عليه بعد خروج روحه وبعد السؤال والامتحان في القبر، والشهيد يراه قبل ذلك وقبل الموت، وهذا مما يميز الشهيد عن غيره.

قال تقي الدين السبكي في فتاواه: " فلما بذل الشهيدُ نفسَه التي هي أعز الأشياء إليه، وباعها لله تعالى طلباً لإعلاء كلمته فاقتطع دونها – وبعينه تعالى ما يتحمل المتحملون من أجله – ولا شيء أعظم مما يتحمله الشهيد – جازاه سبحانه وتعالى وهو أكرم الأكرمين بما تقصر عقول البشر عنه، وأول ذلك أنه لم يخرجه من الدنيا حتى أشهده ما له من الكرامة جملة وإن لم يدرك العقل والطرف تفصيلها، فيرى بعينه من حيث الإجمال ما أعد الله له من الكرامة والخير ولذلك سمي شهيدا " انتهى كلامه.

قال الشيخ حارث النضاري في فضائل الشهادة: " حدّثني أحد الإخوة من المجاهدين كان في أفغانستان وشهد (تورا بورا)، قال: كان هناك أحد الشباب المقاتلين في اشتباك، وكان متسترٌّ بحاجز، متترِّس بحاجز، لا أذكر تراب أو حجارة، متترِّس بشيء، ثم إذا أراد أن يقاتل العدو يرفع رأسه ليرى العدو ثم يطلق، وينخفض مرة أخرى، وكلما يريد أن يرمي على العدو يرفع رأسه حتى يرى العدو ثم يطلق وينخفض يختبئ بينما هو يفعل هكذا رفع رأسه فأصابته طلقة في رأسه مباشرة، فارق على إثرها الحياة، بمجرد أن رفع رأسه أصابته طلقة في رأسه فارق الحياة، رُؤي بعدها في المنام قال له: ها ما الذي حدث؟ قال: ما أدري أنا كنت أرفع رأسي أطلق على العدو وأنخفض، في إحدى المرات رفعت رأسي

فرأيت الدنيا خضراء كلها أشجار خضراء، هذا الذي شاهدت، لعلَّه والله أعلم رأى منزله من الجنة رأى مقعده من الجنة والله أعلم".

الفضيلة السادسة والثلاثون: حضور الحور للشهيد عند خروج روحه:

ما أجمل الحور والحديث عنها، فإنه يجذب النفوس، ويشد الأسماع، ويوقظ الأذهان، كيف لا ؟ وصفاتها تهيم الأفئدة، وتجلب الغرام، وتثير الأشواق، وتسكر العشاق:

في جنة طابت وطاب نعيمها ** من كل فاكهة بها زوجان

أنهارها تجري لهم من تحتهم ** محفوفة بالنخل والرمان

غرفاتها من لؤلؤ وزبرجد ** وقصورها من خالص العقيان

قصرت بها للمتقين كواعبا ** شبهن بالياقوت والمرجان

بيض الوجوه شعورهن حوالك ** حمر الخدود عواتق الأجفان

فلج الثغور إذا ابتسمن ضواحكا ** هيف الخصور نواعم الأبدان

خضر الثياب ثديهن نواهد ** صفر الحلي عواطر الأردان

طوبى لقوم هن أزواج لهم ** في دار عدن في محل أمان

يسقون من خمر لذيذ شربها ** بأنامل الخدام والولدان

لو تنظر الحوراء عند وليها ** وهما فويق الفرش متكئان

يتنازعان الكأس في أيديهما ** وهما بلذة شربها فرحان

ولربما تسقيه كأسا ثانيا ** وكلاهما برضابها حلوان

يتحدثان على الأرائك خلوة ** وهما بثوب الوصل مشتملان

فطوبى لمن كان لهن، وطوبى ألف طوبى لمن كن له، فهي والله من ألذ وأعظم نعيم الجنة بعد رؤية الله.

وللمجاهدين والشهداء بالحور تعلق وعشق أكثر من غيرهم من العباد، فالشهيد يزوج من الحور أكثر من غيره من الناس، وهذا التعلق أمر مشهور بل كثير من المجاهدين لا يخرجه إلى طلب الشهادة إلا شوقه وعشقه للحور وبعضهم إذا تأخرت عنه الشهادة اهتم واغتم واحترق من شدة شوقه إليهن.

ومما يدلل على أن بين المجاهد والشهيد وبين الحور علاقة وثيقة، أن النبي ﷺ قال: (**لروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم من الجنة أو موضع قيد – يعني سوطه – خير من الدنيا وما فيها**) ثم قال بعدها بعدما حرض على الجهاد: (**ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الدنيا، لأضاءت ما بينهما، ولملأته ريحا، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها**) رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه، فهو حرض على الجهاد وذكر بعده الحور العين وصفتهن، لكي يحرض المؤمنين على طلبهن بالجهاد والشهادة.

ولذا لما كتب البخاري في صحيحه كتاب الجهاد والسير أدخل فيه بابا أسماه باب الحور العين وصفتهن، وذكر فيه الأحاديث في ذلك.

وللحور أيضا بالمجاهدين والشهداء تعلق وعشق، فهن يهمن ويتعلقن بزوجهن أكثر إذا كان مجاهدا، ولا يعرف في شئ من الأعمال الصالحة ما تتراءى فيه الحور لأزواجهن في الدنيا وتظهر مثل الجهاد والشهادة.

فبعض المجاهدين تتراءى له الحور في منامه، وتحثه على طلب الشهادة، لكي يقدم عليها، وقد يخبرنه بموعد قدومه عليهن واستشهاده، وبعضهم تتراءى له الحور عيانا وتتكلم معه شوقا إليه وحثا له على طلب الشهادة، وقد يخبرنه بموعد قدومه وشهادته، وقد يطول الزمن بين رؤيته واستشهاده، ولكن الغالب لمن حصل له ذلك أن يقتل قريبا من حين رؤيته، وبعضهم تتراءى له الحور عندما يجرح لقربه من الشهادة.

وعند التحام الصفوف، تفتح أبواب السماء للحور، فيرقبن خطو أزواجهن في معمعات الحرب، ويدعنّ له بالنصر، ويحثنه على الإقدام، حتى إذا استشهد زوجهن، وسالت دماه بالشهادة، فمن شدة شوقهن إلى زوجهن الشهيد، لا يتمالكن أنفسهن، ولا ينتظرن حتى يرفع إليهن، بل ينزلن إليه ويمسحن التراب عن وجهه، ويقلن عفر الله من عفرك، ويباشرن الشهيد، ويدخلن في ثيابه، ويكتنفنه ويحطن به

من كل جانب عناقا ومباشرة وغير ذلك، ويقلن له: مرحبا قد حان لك، ويقول لهن: مرحبا قد حان لكما، وذلك إكراما من الله للشهيد.

فوالله لا يجف دم الشهيد حتى تلقاه، وتستمع بشهود نورها عيناه، حوراء عيناء، جميلة حسناء، بكر عذراء، كأنها الياقوت المرجان، لم يطمثها أنس قبله ولا جان، كلامها رخيم، وقدها قويم، وشعرها بهيم، وقدرها عظيم، جفنها فاتر، وحسنها باهر، وجمالها زاهر، ودلالها ظاهر، كحيل طرفها، جميل ظرفها، عذب نطقها، عجب خلقها، حسن خلقها، زاهية الحلي بهية الحلل، كثيرة الوداد عديمة الملل، قد قصرت طرفها عليك فلم تنظر سواك، وتحببت إليك بكل ما وافق هواك، لو برز ظفرها لطمس بدر التمام، ولو ظهر سوارها ليلا لم يبق في الكون ظلام، ولو بدا معصمها لسبى كل الأنام، ولو اطلعت بين السماء والأرض لملأت ما بينهما ريحا، ولو تفلت في البحر المالح عاد كأعذب الماء، كلما نظرت إليها ازدادت في عينك حسنا، وكلما جالستها زادت إلى ذلك الحسن حسنا، ثم بعد حضورهن لخروج روحه يصعدن بروحه إلى الجنة، وهناك يزوج باثنتين وسبعين حورية كما سيأتي إن شاء الله تعالى، وهذه الأدلة على ذلك:

- عن يزيد بن شجرة رضي الله عنه قال: (يا أيها الناس، اذكروا نعمةّ اللّه عليكم، ما أحسن نعمة اللّه عليكم ! ترى من بين أخضر وأحمر وأصفر وفي الرحال ما فيها، وكان يقول: إذا صف الناس للصلاة وصفوا للقتال فتحت أبواب السماء وأبواب الجنة وأبواب النار، وزين الحور العين واطلعن، فإذا أقبل الرجل قلن: اللهم انصره، وإذا أدبر احتجبن منه وقلن: اللهم اغفر له، فأنهكوا وجوه القوم فدى لكم أبي وأمي، ولا تخزوا الحور العين، فإن أول قطرة تنضح من دمه تكفر عنه كل شيء عمله، وتنزل إليه زوجتان من الحور العين تمسحان التراب عن وجهه، وتقولان: قد آن لك، ويقول هو: قد آن لكما، ثم يكسى مائة حلة ليس من نسج بني آدم، ولكن من نبت الجنة لو وضعن بين أصبعين لوسعن، وكان يقول: نبئت أن السيوف مفاتيح الجنة) رواه الطبراني والبزار قال الهيثمي " رواه الطبراني في طريقين رجال أحدهما رجال الصحيح " وجود إسناده المنذري في الترغيب والترهيب والبوصيري في الإتحاف، وصحح إسناده الألباني في الصحيحة.

وفي رواية ابن أبي شيبة عن مجاهد قال: قام يزيد بن شجرة في أصحابه فقال: (إنها أصبحت عليكم وأمست من بين أحمر وأخضر وأصفر وفي (البيوت) ما فيها، فإذا لقيتم العدو غدا فقدمًا قدمًا، فإني سمعت رسول الله – ﷺ – يقول: (ما تقدم رجل من خطوة إلا تقدم إليه الحور العين، فإن تأخر

استأخرت منه، وإن استشهد كانت أول نضحة كفارة خطاياه، وتنزل إليه ثنتان من الحور العين، فتنفضان عنه التراب وتقولان: مرحبا قد آن لك، ويقول هو: مرحبا قد آن لكما) وفي رواية (قد أنى لك).

ومعنى (أنى) أي حان لك، وفي رواية عند البزار (آن) أي قرب، والأولى هي الصواب.

قال ابن الأثير في النهاية: "وحديث يزيد بن شجرة (أنهكوا وجوه القوم ولا تخزوا الحور العين) أي لا تجعلوهن يستحيين من تقصيركم في الجهاد " انتهى كلامه.

وهذا الحديث وإن كان موقوفا لكن له حكم الرفع، فإن يزيد بن شجرة صحابي ومثل هذا لا يقال بالرأي، وفي رواية ابن أبي شيبة صرح بالرفع والله أعلم.

- عن أنس رضي الله عنه: أن رجلا أسود أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني رجل أسود، منتن الريح، قبيح الوجه، لا مال لي، فإن أنا قاتلت هؤلاء حتى أقتل فأين أنا ؟ قال: **(في الجنة)** فقاتل حتى قتل، فأتاه النبي ﷺ فقال: **(قد بيض الله وجهك، وطيب ريحك، وأكثر مالك)** وقال لهذا أو لغيره **(لقد رأيت زوجته من الحور العين نازعته جبة له من صوف، تدخل بينه و بين جبته)** رواه الحاكم في المستدرك وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الترغيب والترهيب.

- عن ابن عمر أن النبي ﷺ مر بخباء أعرابي وهو في أصحابه يريدون الغزو، فرفع الأعربي ناحية من الخباء، فقال: من القوم ؟ فقيل له: رسول الله ﷺ وأصحابه يريدون الغزو، فقال: هل من عرض الدنيا يصيبون ؟ قيل له: نعم يصيبون الغنائم ثم تقسم بين المسلمين، فعمد إلى بكر له فاعتقله، وسار معهم، فجعل يدنو بكره إلى رسول الله ﷺ وجعل أصحابه يذودون بكره عنه، فقال رسول الله ﷺ:**(دعوا لي النجدي فوالذي نفسي بيده إنه لمن ملوك الجنة)** قال: فلقوا العدو فاستشهد، فأخبر بذلك النبي ﷺ، فأتاه فقعد عند رأسه مستبشرا، أو قال: مسرورا يضحك ثم أعرض عنه، فقلنا: يا رسول الله رأيناك مستبشرا تضحك ثم أعرضت عنه ؟ فقال: **(أما ما رأيتم من استبشاري أو قال: سروري فلما رأيت من كرامة روحه على الله تعالى، وأما إعراضي عنه، فإن زوجته من الحور العين الآن عند رأسه)** رواه البيهقي في الشعب بإسناد حسن كما قال المنذري وابن النحاس والألباني.

- وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة خيبر، فخرجت سرية، فأخذوا إنسانا معه غنم يرعاها، فجاءوا به إلى رسول الله ﷺ، فكلمه النبي ﷺ ما شاء الله أن يكلم، فقال له الرجل: إني قد آمنت بك وبما جئت به، فكيف بالغنم يا رسول الله فإنها أمانة وهي للناس الشاة والشاتان وأكثر من ذلك ؟ قال: (**احصب وجوهها ترجع إلى أهلها**) فأخذ قبضة من حصباء أو تراب فرمى بها وجوهها، فخرجت تشتد حتى دخلت كل شاة إلى أهلها، ثم تقدم إلى الصف فأصابه سهم فقتله، ولم يصل لله سجدة قط، فقال رسول الله ﷺ: (**ادخلوه الخباء**) فأدخل خباء رسول الله ﷺ حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ دخل عليه، ثم خرج فقال: (**لقد حسن إسلام صاحبكم، لقد دخلت عليه وإن عنده لزوجتين له من الحور العين**) رواه الحاكم في مستدركه وصححه وفيه شرحبيل وفيه كلام.

- وعن عمار رضي الله عنه أنه قال يوم صفين: (من أراد أن تكتنفه الحور العين فليقدم بين الصفين) رواه ابن أبي شيبة.

ومعنى الاكتناف الإحاطة به من كل جانب، وهذا لا يقال من قبل الرأي فله حكم الرفع، وقاله في قتال بين المسلمين يوم صفين، فكيف بالقتال مع الكفار والجهاد.

وقد رود عن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي قال: (إذا التقى الصفان، اهبط الله الحور العين إلى السماء الدنيا، فإذا رأين الرجل يرضين مقدمه، قلن اللهم ثبته، فإن نكص احتجبن منه، فإن هو قتل نزلتا إليه فمسحتا التراب عن وجهه وقالتا: اللهم عفر من عفره وترب من تربه) رواه ابن المبارك وعبد الرزاق موقوفا عليه، وإسنادهما صحيح، وعبد الله تابعي مشهور، وهذا فضل عظيم زائد على ما تقدم.

وقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ذكر الشهداء عند النبي ﷺ فقال: (**لا تجف الأرض من دم الشهيد حتى تبتدره زوجتاه كأنهما ظئران أضلتا فصيليهما في براح من الارض، وفى يد كل واحدة منهما حلة، خير من الدنيا وما فيها**) رواه ابن ماجه وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجه.

قال ابن النحاس في المشارع: " الظئر بكسر الظاء المعجمة بعدها همزة ساكنة وراء هي المرضع، والفصيل ولد الناقة قبل أن ينفصل عنها، والبراح بفتح الباء الموحدة وبالحاء المهملة هي الأرض

المتسعة التي ليس فيها زرع ولا شجر، ومعناه أن زوجتي الشهيد من الحور العين تبتدرانه قبل أن يجف دمه، كما تبتدر الناقة المرضع ولدها الضال إذا وجدته مع شدة شوقها إليه في أرض متسعة ليس فيها شيء يحول بينه وبينها من بناء ولا غيره وقوله: أضلتا بالضاء كما تقدم معناه وقال بعضهم بالظاء، ومعناه أن زوجتيه من الحور العين تحنوان عليه وتظلانه كما تحنو الناقة المرضع على فصيلها، وتظله من الشمس وغيرها في أرض ليس فيها ما يقيه ذلك الحر من بناء أو شجر ونحو ذلك والله أعلم " انتهى كلامه.

قال الذهبي في السير: " سعد بن إبراهيم الزهري عن أبيه، عمن حدثه: سمع عمارا بصفين يقول: أزفت الجنان، وزوجت الحور العين، اليوم نلقى حبيبنا محمدا ﷺ " انتهى.

روى ابن أبي الدنيا في صفة الجنة عن خالد بن معدان قال حدثت أن الحور العين إذا كان زحف تزين وتطيبن ونزلن حتى يكن كالصفوف قال فتقول لصويحباتها: أما ترين زوجي كيف غلب أزواجكن فإن حمل عليه فانكشف استحيت وغطت وجهها وقالت واسوأتاه. وإن قتل أخذته فلم تدع قطرة من دمه إلا جعلته في كفها ثم ضمته إلى نحرها.

حقا إنها فضيلة عظيمة لا يعرفها إلا من عرف الحور وفضلها.

ومن القصص التي تشهد لهذه الفضيلة:

- ❖ قال ابن النحاس في المشارع: " وخرج البيهقي وأبو الفرج الجوزي في كتابه مثير الغرام الساكن بإسنادهما إلى قاسم بن عثمان الخزاعي قال: رأيت في الطواف حول البيت رجلا فتقربت منه فإذا هو لا يزيد على قوله: اللهم قضيت حاجة المحتاجين وحاجتي لم تقض، فقلت له: ما لك لا تزيد على هذا الكلام ؟ فقال: أحدثك كنا سبعة رفقاء من بلدان شتى غزونا أرض العدو، فاستؤسرنا كلنا، فاعتزل بنا بعض الروم إلى موضع ليضرب أعناقنا، فنظرت إلى السماء فإذا سبعة أبواب مفتحة فيها سبع جوار من الحور العين مع كل حوراء طست ومناديل.

فقدم الرجل منا فضربت عنقه، فرأيت جارية في يدها منديل قد هبطت الأرض فمسحت دمه، حتى ضربت أعناق ستة، وبقيت أنا وبقي باب وجارية، فلما قدمت لتضرب عنقي استوهبني بعض رجاله

فوهبني له، فسمعتها تقول: أي شيء فاتك يا محروم، وأغلقت الباب وأنا يا أخي متحسر على ما فاتني، قال قاسم بن عثمان: أراه أفضلهم لأنه رأى ما لم يروه وترك يعمل على الشوق ".

❖ قال ابن النحاس: " وشبيه بهذه الحكاية، ما حكاه لي بعض الإخوان الأخيار قال: كنت وأنا شاب آوي مع الرماة بثغر الإسكندرية إلى قاعة السلاح المنسوبة إلى سيدي أبي الفتح الواسطي رحمه الله، فورد علينا رجل مغربي فكان لا يظهر لنا يده أبدا، ولا يزال محترزا على إخفائها، وربما أظهر رؤوس أصابعه، ولم يكشف يده، وكنا نؤاكله ونشاربه، فوقع في قلوبنا شيء من ستر يده، وظننا أن بها عاهة، فما زلنا نتوقع رؤيتها إلى أن كان في بعض الأيام انكشفت يده، فرأينا في ساعده بياضا مثل أثر الأصابع فظنناه برصا.

فلما جاء وقت الأكل تأخرنا عن الأكل معه فقال لنا رجل كان معه: ما لكم تأخرتم ؟ فذكرنا له سر ما رأينا في البياض في ساعده، فقال: كلوا ولا تخافوا فإنه ليس ببرص، وإذا خلوتم به فسلوه عن قصته، فتقدمنا وأكلنا، فلما كان في بعض الأيام سألوه عن قصته، فلم يتمالك عبرته، وتغير حاله، وبكى بكاء شديدا وقال: يا سيدي ما حملك على أن تذكرني ذلك، فألح عليه، وقال له: لابد من ذلك.

فقال: إن بلدي في المغرب قريب من بلاد الفرنج، وما نزال نخرج إليهم فنغير عليهم ويغيرون علينا، فخرجنا مرة عشرين رجلا قاصدين بلاد العدو، وكان من عادتنا أن نسافر ليلا ونكمن بالنهار، فلما توسطنا الطريق بين بلادنا وبلاد العدو، وطلع علينا النهار، فأوينا إلى غار في جبل لنكمن فيه.

فبينما نحن فيه سمعنا فيه حسا، وإذا بعلج قد خرج من داخله، فلما رآنا رجع وإذا برفقائه قد خرجوا معه، وهم مائة من علوج الفرنج شغلهم شغلنا، قد خرجوا من بلادهم يريدون الغارة على بلادنا، وقد أدركهم النهار فأووا إلى ذلك الغار، فلما وقعت العين في العين لم يبق إلا القتال، لأن العادة قد جرت بيننا وبينهم أن كلا منا إذا ظفر بعدوه لا يبقيه فقاتلناهم قتالا شديدا إلى أن قتل منا أحد عشر وقتل منهم خمسة وأربعون، ثم شدوا علينا شدة رجل واحد فلم يبق من العشرين غيري، وتكاثرت علي الجراح، فوقعت بين القتلى فبينا أنا كذلك، وإذا بنسوة قد نزلن من السماء لم أر مثل حسنهن وجمالهن، فبقيت كل واحدة منهن تذهب إلى واحد من قتلى المسلمين، فتقول: هذا نصيبي وتأخذ بيده فينهض معها، إلى أن جاءتني واحدة منهن وقالت: وهذا نصيبي وأخذت بيدي فحين أحست

بيدي روحا أفلتتني من يدها فلتة غضب وقالت: وأنت إلى الساعة، ثم ذهبت وتركتني، فكشف لنا عن ساعده فإذا أثر قبضتها وأصابعها الخمس أبيض شديد البياض مثل الحليب " انتهى باختصار.

❖ قال الشيخ عبد الله عزام في كتاب التربية الجهادية والبناء:

كثير منهم كانوا يودعون إخوانهم على أساس أنهم اليوم سيستشهدون، لأنهم يرون في المنام الحور العين، وأنتم سمعتم الشيخ تميم يحدث عن خير محمد أو خير الله، حدثه قال له: لقد جرح أمامي — من قادة جلال الدين خير الله – أحد المجاهدين وبدء يلفظ أنفاسه قال: يا خير الله: تعال أنظر الحور العين، وصلت الحور العين، نعم رأى الحور العين، كثير منهم يودعون، يرون الحور العين في المنام، أو إخوانهم يرون لهم الشهادة.

❖ قال الشيخ الشهيد أبو يحيى الليبي في الأربعين في فضل الشهادة " طريفة: حينما كنَّا في السجن حدَّثني أحد إخواننا السجناء العُبَّاد حديثاً سمعته أُذناي ووعاه قلبي، وذلك أن الأمريكان قد أخذوه في يومٍ شاتٍ شديد البرد في كابل، فأدخلوه غرفة اسمنتية ضيقة وفجأةً سكبوا عليه ماءً بارداً وبدؤوا يركلونه بأرجلهم ثم خنقه أحد أشقيائهم خنقاً وجد معه ريح الموت، فأغمي عليه أو كاد ففي تلك الحالة رأى امرأتين غايةً في الجمال تنزلان بسرعةٍ من السماء نحوه فضربه أحد الجنود ضربةً أفاقته وأيقظته فانقطع عنه ما رأى وإذا به لم يزل بين خانقيه من الحُمُر المستنفِرة، ونسأل الله أن يفرِّج عنه وعن سائر أسرى المسلمين " انتهى كلامه.

❖ جاء في مجلة صوت الجهاد في قصة إحدى المواجهات التي وقعت في جزيرة العرب " كان بعض الإخوة يُغطّون انسحابنا، وبفضل الله تمكّنت مجموعةُ التغطيةِ من اللحاق بنا وصعدنا جميعاً الجدار ونزلنا في فناء المنزل المقابل، وانتقلنا منه إلى مبنى شعبي ثم إلى بنايةٍ مازالت تُبنى ولما توسّطنا بها أتت طلقة الغدر والخيانة، لتستقر في ظهر أحد الإخوة (إبراهيم النفيسة رحمه الله) فأتى إليه أبو ناصر – أحمد الدخيل – مسرعاً وأمسك بيده فإذا به يقول: الحور.. الحور.. الحور ثم فاضت روحه، وشاهده جميع الإخوة " انتهى.

وأما قصص تراءي الحور للمجاهدين قبل استشهادهم فكثير فمن ذلك:

التراءي في اليقظة:

❖ روى ابن المبارك عن عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية قال: (قال رجل ونحن نسير بأرض الروم: أخبر أبا حازم شأن صاحبنا الذي رأى في العنب ما رأى قال الرجل لعبد الرحمن: أخبره أنت فقد سمعت منه الذي سمعت، قال عبد الرحمن بن يزيد: مررنا بكرم فقلنا له خذ هذه السفرة فاملأها من هذا العنب ثم أدركنا به في المنزل، قال: فلما دخل الكرم نظر الى امرأة على سرير من ذهب من الحور العين، فغض عنها بصره، ثم نظر في ناحية الكرم فإذا هو بأخرى مثلها، فغض عنها، فقالت له: انظر فقد حل لك النظر، فإني والذي رأيت زوجتاك من الحور العين، وأنت آتينا من يومك هذا، فرجع الى أصحابه ولم يأتهم بشيء فقلنا له: ما لك أجننت ؟ ورأينا به حالا غير الحال التي فارقنا عليها من نور وجهه وحسن حاله، فسألناه: ما منعك من ذلك ؟ فاعتجم علينا حتى أقسمنا عليه، فقال: إني لما دخلت الكرم، فقص القصة، فما أدري أكان ذلك أسرع أن استنفر الناس للغزو، فأمرنا به إنسانا يمسك دابته علينا، حتى أسرجنا جميعا، ثم ركب وركبنا، رجاء أن يصيب الشهادة فتقدم بين أيدينا، فكان أول الناس استشهد يومئذ).

❖ روى أبو بكر الشافعي في فوائده عن سعيد قال: (لانعلم أحدا رأى الحور عيانا إلا في المنام إلا ما كان من أبي مخرمة، فإنه دخل كرما لبعض حاجته، فرأى الحور عيانا في قبتها، وعلى سريرها، فلما رآها صرف وجهه عنها، فقالت: إلي يا أبا مخرمة، فإني أنا زوجتك، وهذه زوجة فلان، فانصرف إلى أصحابه فأخبرهم، فكتبوا وصاياهم، ولم يكتب أحد وصيته إلا استشهد).

وروى أيضا عن ابن أبي زكريا أن رجلا مر بكرم بأرض الروم فقال لغلامه: أعطني مخلاتي حتى آتيكم من هذا العنب، فأخذها ثم دفع فرسه، فبينا هو في الكرم إذ هو بامرأة على مَثَلٍ ير مثلها قط فلما رآها صد عنها، فقالت: لا تصد عني، فإني زوجتك، فامض أمامك، فسترى ما هو أفضل مني، فمضى فإذا هو بأخرى، فقالت له مثل ذلك، وأظنه أبا مخرمة.

قال عبد الرحمن بن يزيد: فأخبرني عطاء بن قرة السلولي، قال: كنا مع أبي مخرمة فما غدا أن جاءنا من العنب فوضعه ودعا بقرطاس ودواة فكتب وصيته فلما رآه أبو كريب الغساني كتب وصيته، ثم قام مقاتل الليثي فكتب وصيته، ثم قام عمار بن أبي أيوب وكتب وصيته ثم قام عوف اللخمي، فكتب وصيته، ثم لقينا برجان، فما فما بقي من هؤلاء الخمسة إلا قتل، ولم نكتب نحن وصايانا، فلم نقتل.

❖ وقريب من هذه القصة ما قاله ابن عساكر في تاريخ دمشق: " أبو كرب العراقي، قدم دمشق غازيا واستشهد في قتال حرران عام حاصر مسلمة بن عبد الملك القسطنطينية، له ذكر، قال

محمد بن عائذ: قال الوليد: وقد كنت سمعت عبد الرحمن بن يزيد بن جابر يذكر أن نفرا من أهل دمشق كان يسميهم بأسمائهم، فيهم رجل كنيته أبو كرب، كان أصاب دما بالعراق، فاستفتى جماعة من الفقهاء، فاجتمع قولهم أنهم لا يعرفون وجها إذا لم يعرف ولي الدم إلا إن يجاهد في سبيل الله حتى يقتل، فلم تزل تلك حاله يغزو ويطلب القتل في الله، حتى خرج هؤلاء النفر وساروا، حتى إذا كانوا في بعض طريقهم، خرج خارج منهم ليأتي بعنب، فإذا بقبة ذهب عليها جلال أخضر حرير، وإذا فيها حوراء كان يخبر عما رأى من حسنها، فقالت: إلي فأنا زوجتك، وأنت قادم علينا يوم كذا ومعك فلان وفلان، وسمت أولئك النفر، فانصرف الرجل ولم يأت بعنب، وأخبرهم بما رأى، فكتب وصيته وكتبوا، وكان مع شراحيل بن عبيدة وأصحابه، فكان من مصيبتهم ما كان ثم أمر بانصراف الناس الى المرج الذي رجعت إليهم فيه برجان، فاقتتلوا قتالا شديدا، فقتل هؤلاء النفر جميعا فيهم أبو كرب، وأرسلت برجان النار على ذلك المرج وعلى قتلى المسلمين، فحرقت ما حرقت، وانتهت إلى أبي كرب وأصحابه، فأطافت بهم ولم تأكل النار منهم أحدا ".

❖ جاء في كتاب قصص الشهداء العرب في الشهيد أبي زيد القطري الذي استشهد في البوسنة " تحرك المجاهدون باتجاه الجبهة للقيام بواجب الحراسة، وبينما هو يحرس ذات يوم والسماء صافيه والثلوج تملأ الأرض وفي آخر الليل كان أمير الخط يتجول على الخنادق، فرأى أبا زيد مشخص البصر للسماء وينظر باستغراب شديد إليها، فناداه الأمير: يا أبا زيد...أبو زيد...أبو زيد، فلم يرد عليه، حتى اقترب منه الأمير وهزه: ماذا بك ؟ قال: لا شئ، قال: والله لتخبرني، قال: والله لقد رأيت السماء وكأنها انفتحت، واذا بامرأة من أجمل من رأيت في حياتي، تشير لي بيدها وتسلم علي، كتم الأمير ذلك الأمر وواصلا الحراسة، واقتربت معركة الفتح المبين، واستعد الأسود لخوض هذه المعركة الهامة والحاسمة والتي يقول عنها الخبراء العسكريين: إن المنطقه- الجبهة – لا تفتح إلا بالطيران الحربي، وقد جرب الجيش البوسنوي فتح المنطقة من قبل، وباءت كل محاولاته بالفشل، تقدم المجاهدون إلى تلك المنطقة الحصينة وكل منهم لسان حاله يقول:

سأحمل روحي على راحتي *** وألقي بها في مهاوي الردى

وكل يتمنى الشهادة بصدق من قلبه بعد أن يثخن في أعداء الله الصرب ويذيقهم العذاب في الدنيا قبل الآخرة، وعندما بدأت المعركة وتعالت صيحات التكبير، سقط أخونا أبو زيد القطري رحمه الله

شهيدا مقبلا غير مدبر، نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحدا ... فرحم الله ذالك البطل الصغير في عمره الكبير في أفعاله ذو السبعة عشر عاما ..." انتهى.

أما التراءي في المنام:

❖ قال ابن النحاس في المشارع: " وروى بكر بن مضر أن عبد الكريم بن الحارط حدثه عن رجل أنهم كانوا مرابطين حصنا، فخرج رجلان من الجيش، فقال أحدهما: هل لك أن تغتسل لعل الله يعرضنا للشهادة ؟ فقال صاحبه: ما أريد أن اغتسل، فاغتسل صاحبه فلما فرغ أقبل على الحصن، فأصابته صخرة قال: فمررت به وهو يجرونه إلى خيامهم فسألتهم ما شأنه ؟ فأخبروني الخبر، فانصرفت إلى أصحابي ثم رجعت إليهم، فأقمت عندهم، وهم يشكون هل مات ؟ إذ عادت فيه الروح، فبينما هم كذلك، إذ ضحك، فقلنا: إنه حي، ثم مكث مليا ثم ضحك، ثم مكث مليا ثم بكى، وفتح عينيه، فقلنا: أبشر يا فلان فلا بأس عليك، وقلنا قد رأينا منك عجبا نحن نظن أنك قد مت، إذ ضحكت ثم مكثت مليا إلى آخره.

قال: إنه لما أصابني ما أصابني، أتاني رجل فأخذ بيدي ومضى بي إلى قصر من ياقوت فوقف بي على الباب، فخرج إلي غلمان مشمرون لم أر مثلهم، فقالوا: مرحبا بسيدنا، فقلت: من أنتم بارك الله فيكم، قالوا: نحن خلقنا لك ثم مضى بي حتى أتى قصرا آخر، وخرج منه غلمان هم أفضل من الأولين، فقالوا: مرحبا بسيدنا فقلت: من أنتم بارك الله فيكم ؟ فقالوا: نحن خلقنا لك، ثم مضى بي إلى بيت لا أدري من ياقوت أو زبرجد أو لؤلؤ فخرج إلي غلمان سوى الأولين، فقالوا مثل ما قال الأولون وقلت لهم مثل ذلك.

ووقف بي على باب البيت، فإذا هو مبسوط وفيه فرش موضوعة بعضها فوق بعض، ونمارق مبسوطة، فأدخلني البيت، وله بابان فألقيت نفسي بين وسادتين، فقال: أقسمت عليك إلا ألقيت نفسك على هذه الفرش، فإنك قد نصبت في يومك هذا، فقمت فانضجعت على تلك الفرش على وطاء لم أضع جنبي على مثله قط، فبينما أنا كذلك إذ سمعت حسا من أحد البابين، فإذا أنا بإمرأة لم أر مثل ما عليها من الحلي والثياب، ولا مثل جمالها، فأقبلت لم تتخط في تلك النمارق، ولكن أقبلت بين السماطين حتى وقفت وسلمت علي، فرددت عليها السلام وقلت: من أنت بارك الله فيك ؟ قالت: أنا زوجك من الحور العين، فضحكت فرحا بها، فأقامت تحدثني وتذاكرني أمر نساء أهل الدنيا، كأن ذلك معها في كتاب.

فبينما أن كذلك إذ سمعت حسا من الشق الآخر، فإذا بإمرأة لم أر مثلها قط، ولا مثل جمالها وحليها، فأقبلت كنحو ما صنعت الأولى حتى وقفت علي وحادثتني وأقصرت الأخرى وفرغتني لها، فأهويت بيدي إلى إحديهما، فقالت: كما أنت، إن ذلك لم يأن، آن ذلك مع صلاة الظهر قال: ما أدري أقالت ذلك أم رمي بي إلى صحراء، لم أر منهم أحد، فبكيت عند ذلك.

قال الرجل: فما صليت الظهر أو عند الظهر حتى قبضه الله عز وجل " انتهى كلامه.

❖ قال ابن الجوزي في صفة الصفوة:" محمد بن المبارك الصوري قال: سمعت الوليد بن مسلم يقول: غزا المسلمون غزوة فيهم الديلمي، فأسرته الروم، وصلبوه على الدقل، فلما رآه المسلمون مصلوبا، حملوا على الروم حملة، فأخذوا المركب الذي فيه الشيخ فأنزلوه عن الدقل، فقال لهم: أعطوني ماء أصب علي، فقالوا: لم تصب عليك ؟ فقال: إني جنب، لأنهم لما صلبوني أخذتني نفسة فرأيت نفسي كأني على نهر فيه وصائف، فمددت يدي إلى واحدة منهن، فافترعتها فأصابتني جنابة " انتهى.

وسيأتي إن شاء الله في باب قصص الشهداء قصص في هذا الموضوع.

وقال ابن النحاس في المشارع: " واعلم أن الحور العين قد يتراءين للجريح المثخن، لقربه من منزل الشهادة، ومن ذلك ما حكاه الإمام العارف سيدي عبد اللّه اليافعي رحمه اللّه تعالى في كتابه روض الرياحين، عن بعضهم، قال: كنت في بلاد الروم فَصَحِبَنَا رجل، فرأيناه لا يأكل ولا يشرب، فقلت له: ما رأيتك تأكل شيئا من القوت منذ أحد عشر يوما ؟ فقال: إذا دنا فراقي منكم حدثتكم، فلما دنا الفراق قلت له: حدثنا ما وعدتنا، قال: غزونا في أربع مائة فخرج علينا العدو فقتل أصحابي وجرحت أنا فكنت بين القتلى، فلما كان وقت الغروب، أحسست برائحة فائحة من قبل الجو، ففتحت عيني فإذا بجَوَارٍ عليهن ثياب ما رأيت مثلها، وفي أيديهن كأسات يصببن في أفواه القتلى، فغمضت عيني حتى وصلن إلي، فقالت واحدة منهن: أصببن في حلق هذا، وعجلن قبل أن تغلق أبواب السماء فنبقى في الأرض، فقالت أخرى: أأسقيه وفيه رمق ؟ فقالت لها الأخرى: لا بأس عليك يا أختي، فصبت في حلقي، فأنا منذ شربت ذلك الشراب لا أحتاج إلى طعام ولا شراب " انتهى كلامه.

ولأجل هذا اللقاء وهذا الحضور التي تحضره الحور عند خروج روح الشهيد، كان بعض المجاهدين ربما تجمل واغتسل، وتحنط واكتحل، وتطيب قبل خروجه إلى القتل، استعدادا لهذا اللقاء واستعدادا للحور العين:

فقد بوب البخاري باب التحنط عند القتال وروى فيه عن موسى بن أنس قال وذكر يوم اليمامة قال: أتى أنس ثابت بن قيس، وقد حسر عن فخذيه، وهو يتحنط، فقال: يا عم ما يحبسك أن لا تجيء ؟ قال: الآن يا ابن أخي، وجعل يتحنط – يعني من الحنوط – ثم جاء فجلس فذكر في الحديث انكشافا من الناس، فقال: هكذا عن وجوهنا حتى نضارب القوم، ما هكذا كنا نفعل مع رسول الله ﷺ بئس ما عودتم أقرانكم.

وروى ابن المبارك عن محمد بن الأسود بن خلف بن بياضة الخزاعي قال: (إنا لجلوس في الحجر وناس من قريش، إذ قيل قدم الليلة عمرو بن العاص من مصر، فما أكبر بأن دخل، فابتدرناه بأبصارنا، فلما طاف دخل الحجر وصلى ركعتين، ثم قال: كأنكم قد قرضتموني بهنت، فقال القوم: لم نذكر إلا خيرا ذكرناك وهشاما، فقال بعضنا: هذا أفضل، وقال بعضنا: هذا أفضل، فقال عمرو: سأخبركم عن ذلك، إنا أسلمنا فأحببنا رسول الله ﷺ وناصحناه، فذكر يوم اليرموك فقال: أخذت بعمود الفسطاط حتى اغتسل وتحنط وتكفن، ثم أخذ بعمود الفسطاط حتى اغتسلت وتحنطت وتكفنت، ثم اعترضنا على الله تبارك وتعالى، فقبله فهو خير مني ثلاث مرات، قبله فهو خير مني، قبله فهو خير مني).

وقال المقري في نفح الطيب في ليلة معركة الزلاقة بين المسلمين والنصارى في الأندلس: " وبعد مضي جزء من الليل انتبه الفقيه الناسك أبو العباس أحمد ابن رميلة القرطبي – وكان في محلة ابن عباد – فرحا مسرورا يقول إنه رأى النبي تلك الليلة في النوم، فبشره بالفتح والموت على الشهادة في صبيحة تلك الليلة، فتأهب ودعا وتضرع ودهن رأسه وتطيب..." ثم قال: " واستشهد في ذلك اليوم جماعة من الفضلاء والعلماء وأعيان الناس مثل ابن رميلة صاحب الرؤيا المذكورة وقاضي مراكش أبي مروان عبدالملك المصمودي وغيرهما رحمهم الله تعالى" انتهى كلامه.

قال أبو عبيدة المقدسي في كتاب شهداء في زمن الغربة في سيرة الشهيد عزام المغربي: " وفوق تباب جومل ألقى عزام بعصا تسياره، وودعت الأيام مسرعة بعضها بعضا لتحط به على أعتاب يوم الجمعة الأخيرة له فوق سطح هذه البرية... حدثني الأخ سفيان عن ذلك اليوم قائلا: " اغتسل عزام غسل الجمعة وقد بدت على محياه النضارة والرفاهية، وخاطبني في ذاك اليوم قائلا:" الآن قد أنجزت عمل

سنن الفطرة وإني على استعداد لأن تحتضني الحور " وما أن أسدل الظلام أستاره حتى جاء خبر قدوم تسع سيارات للعلوج الصليبية وقد أجمعوا أمرهم على المبيت بالقرب من القرية التي تحوي بين جنباتها ليوث التوحيد المهاجرين... وما أن طرق الخبر مسامع القوم حتى انتفضوا يعدون العدة للانقضاض على تلك القافلة اللعينة، وفي تلك الأثناء كانت المفاجأة فقد استدعاني عزام إلى خيمته وراح يوصيني... وما أن أتم حديثه حتى أسر لي برقم هاتف أخيه قائلا: " بلغ أخي خبر استشهادي " هكذا وبصيغة الأمر وكأن الله قد ألقى في روعه أنه لن يرجع ثانية إلى الدنيا.

وعلى أمواج شوق نزال الغزاة تحرك الركب المبارك، وقبل المغادرة نظر عزام إلى رفيق دربه وودعه قائلا:" نلتقي في الجنة يا سفيان " وهناك في نقطة الكمين المعدة كمن عشاق الردى.

وبعد طول انتظار وصلت قافلة ورثة قيصر، وما أن وطأت أقدامها منطقة القتل حتى انهالت عليهم قذائف الموحدين ورصاص الله أكبر... وسعى الموت بينهم يتخطفهم وراحت ألسنة اللهب تلتف على أجسادهم وسياراتهم... وفي تلك اللحظات التفت بعض سيارات الصليب وأهل الردة على تلك الكوكبة الربانية، وزرعت أجسادها الطاهرة برصاص غدرها وجبنها... وبين تلك الروابي والقفار نال عزام ما تمنى، ومضى إلى ربه فريدا ماجدا بعد أن نعاه المجد... وحق لعيون الدار البيضاء أن تبكي سيدها " انتهى.

الحور تهتف بهجة زف الشهيد ** والحور تأبى أن تزف إلى البليد

وجنات عدن لا ينال رحابها ** إلا شهيد طاب مسعاه الحميد

بالروح نفدي ديننا ورسوله ** والدين ينصر بالدماء وبالحديد

وسبيلنا بذل النفوس لخالق ** وجزاؤنا جنات خلد لا تبيد

والحور فيها تشرئب لقادم ** وهتافها وافرحتاه زف الشهيد

الفضيلة السابعة والثلاثون: من الشهداء من يعجب منهم الرب عز وجل:

العجب صفة ثابتة لله تعالى تليق بجلاله وعظمته، تثبت له على ظاهرها، بلا تأويل ولا تمثيل ولا تعطيل.

والله تعالى يعجب من عبده إذا أتى من عبادته بأعلى ما يحب، مع إحاطة الشهوات به، وتربص الشيطان والنفس وتكالبهم عليه، وكثرة العوائق عنده، وقوة المنازع فيه، والشهيد الذي يأبى الفرار عندما يفر أصحابه ويقاتل حتى يقتل ممن يتعجب منهم الرب تعالى، وكفى بذلك شرفا له، إعجاب الله تعالى بصنيعه وفعله.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(عجب ربنا من رجل غزا في سبيل الله فانهزم – يعني أصحابه – فعلم ما عليه، فرجع حتى أهريق دمه، فيقول الله تعالى لملائكته: انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي حتى أهريق دمه)** رواه أبو داود والحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي، وصحح إسناده أحمد شاكر، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود.

فهذا الرجل قد أقدم على العدو مع عدم المعين وقوة المنازع إلى الهرب، حتى استشهد في رضا الله تعالى، فيتعجب الله منه، حتى إنه من تعجبه يباهي به ملائكته ويثني عليه بحسن صنيعه عندهم فيقول: **(انظروا الى عبدي)** وهذا التعجب الذي يكون من الله عز وجل يجعل الرب تعالى يضحك كما سيأتي ويرضى عن العبد أيضا.

والمؤمن يهمه أن ينظر الله إليه نظرة رضا، فكيف إذا نظر إليه بتعجب ورضا وضحك فما أعظمه من فضل وشرف.

الفضيلة الثامنة والثلاثون: من الشهداء من يضحك من فعله الرب عز وجل:

الضحك من صفات الله تعالى التي تثبت على ظاهرها بلا تأويل ولا تعطيل ولا تمثيل.

والعبد إذا أتى من الطاعة والعبادة بأعلى ما يحب الله تعالى، ضحك الله منه ضحكا يليق بجلاله وعظمته.

وهذا الضحك ضحك رضا وتعجب مما صنعه وفعله العبد، ولذا الشهيد يضحك منه الرب عز وجل، فقد ورد عند الطبراني في الكبير بإسناد حسن – كما قال ابن النحاس – عن أبي الدرداء رضي الله

عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**ثلاثة يحبهم الله ويضحك إليهم ويستبشر بهم الذي إذا انكشفت فئة قاتل وراءها بنفسه، فإما أن يقتل، وإما أن ينصره الله ويكفيه، فيقول: انظروا إلى عبدي كيف صبر لي بنفسه، والذي له امرأة حسنة وفراش لين حسن، فيقوم من الليل، فيقول: يذر شهوته ويذكرني ولو شاء رقد، والذي إذا كان في سفر وكان معه ركب فسهروا ثم هجعوا، فقام في السحر في ضراء وسراء**).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (**يضحك الله إلى رجلين، يقتل أحدهما الآخر، يدخلان الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله، فيقتل ثم يتوب الله على القاتل، فيستشهد**) رواه البخاري.

فهؤلاء الاثنين كلاهما قد استشهدا وكلاهما ضحك الله إليه.

وورد أيضا أن النبي ﷺ قال: (**أفضل الشهداء الذين يقاتلون في الصف الأول، فلا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا، أولئك يتلبطون في الغرف العلى من الجنة، يضحك إليهم ربك، فإذا ضحك ربك إلى عبد في موطن فلا حساب عليه**) رواه أحمد والطبراني عن نعيم بن هبار رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الجامع، وقال البوصيري في الإتحاف والهيثمي في المجمع ورواته ثقات، وصحح إسناده المناوي في التيسير.

وروى ابن أبي الدنيا وأبو يعلى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه سأل جبريل عليه السلام عن هذه الآية (**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ**) من الذي لم يشأ الله أن يصعقوا ؟ قال (**هم الشهداء يبعثهم الله متقلدين أسيافهم حول عرشه، تتلقاهم ملائكة من المحشر بنجائب من ياقوت، أزمتها الدر الأبيض برحال الذهب، أعنتها السندس والإستبرق، وزمامها ألين من الحرير، مد خطاها مد أبصار الرجال يسيرون في الجنة على خيول، يقولون عند طول النزهة: انطلقوا بنا إلى ربنا تبارك وتعالى ننظر إليه كيف يقضي بين خلقه، يضحك الله إليهم، وإذا ضحك الله عز وجل إلى عبد في موطن فلا حساب عليه**) وفيه ضعف.

وهذا فضل عظيم أن يضحك الله من العبد وشرف جسيم، فإن من يضحك هو الخالق العظيم عز وجل وفي هذا شرف وأي شرف، ولئن كان الناس يتزلفون ويتقربون إلى من يعظمونه بإضحاكه، ويعدونه شرف لهم ويفرحون بذلك، فإن الشهيد أسعد بهذا الأمر وأفرح وأشرف بعظمة الضاحك عز وجل.

وأيضا فإن هذا الضحك يثمر الرضا والخير والإنعام والعلو للمضحوك منه وزيادة على هذا، فإنه يثمر فضلا عظيما سيأتي الكلام عليه، وهو رفع الحساب عن العبد المضحوك منه، وقد تقدم ذلك في الحديث السابق، ولذا ورد عن أبي رزين رضي الله عنه قال: (قال رسول الله ﷺ: **(ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره)** قال قلت: يا رسول الله أو يضحك ربنا ؟ قال: **(نعم)** قلت: لن نعدم من رب يضحك خيرا) رواه ابن ماجه، وذكره الألباني في الصحيحة، ويشهد له حديث لقيط بن عامر عند الطبراني وغيره، فقد فهم الصحابي من ضحك الله تعالى أنه يثمر الخير وأقره النبي ﷺ، وهذا ما ورد فيما يثمره ضحك الله إلى الشهيد من الفضائل، وما سكت عنه مما يثمره الضحك أعظم وأعظم.

قال شيخ الإسلام في المجموع: " فجعل الأعرابي العاقل بصحة فطرته ضحكه دليلا على إحسانه وإنعامه، فدل على أن هذا الوصف مقرون بالإحسان المحمود، وأنه من صفات الكمال " انتهى كلامه.

جاء في سلسلة شهداء الجزيرة عن مؤسسة الملاحم في سيرة الشهيد أبي خيثمة الحضرمي: " وقد كان يطلب بإلحاح من الشيخ أسامة بن لادن حفظه الله أن يرسله لينفذ عملية استشهادية، وكان من دعائه رحمه الله " اللهم ارزقني شهادة تضحك بها مني ".

ولما عاد من أفغانستان إلى اليمن في بداية شهر ٩ / ٢٠٠١ م طلبته سلطات العمالة اليمنية ليسجنوه بتهمة الجهاد والدفاع عن الحرمات، ففر بدينه، وبقي مطاردا فترة تزيد على العام، وكان رحمه الله ذا همة عالية وعطاء متواصل، لا يكل ولا يمل، فكان يحرض ويدرب إخوانه المجاهدين الذين لم يتمكنوا من النفير إلى أرض الجهاد برغم مشاغله الكثيرة في تلك الفترة، وكان متواضعا ناصحا لا تأخذه في الله لومة لائم.

وفي أكتوبر ٢٠٠٢ م وبعد أكثر من سنة من مطاردة عملاء الصليب: " حكومة علي عبد الله صالح وجنوده " وفق الله عز وجل بطلنا أبا خيثمة لتنفيذ العملية الاستشهادية مع أخيه أبي الحارث البدوي على حاملة النفط الفرنسية " ليمبورج " قبالة سواحل مدينة المكلا بولاية حضرموت، فأثخنا في أعداء الله الصليبيين، وانتشرت أشلاؤهما في البحر ليبعثا يوم القيامة من بطون الكائنات البحرية " انتهى.

الفضيلة التاسعة والثلاثون: محبة الله للشهيد:

الله تعالى يحب الشهيد محبة عظيمة، تشهد لها كثرة فضائله وعظمتها، وتشهد لها تقريبه للشهيد في جميع أحواله، وتشهد لها اصطفاؤه له واختياره من بين الناس، وتشهد لها الكرامات التي يقدمها للشهيد وتولي إكرامه بنفسه، وتشهد لها عظم قدره ومنزلته عند الله تعالى، ويشهد لها محبة الخلق للشهيد فلا تجد مسلما إلا وهو يحب الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله ويعظمهم ويقدرهم ولو كانوا أعداؤه، فإن الله تعالى إذا أحب عبدا جعل له المحبة والقبول في قلوب عباده.

فمحبة الله للشهيد أمر ظاهر لا يخفى، ومن أجل ذا اختصه وأكرمه وقربه، فقد ورد عند الطبراني في الكبير بإسناد حسن – كما قال ابن النحاس – عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**ثلاثة يحبهم الله ويضحك إليهم ويستبشر بهم الذي إذا انكشفت فئة قاتل وراءها بنفسه، فإما أن يقتل، وإما أن ينصره الله ويكفيه، فيقول: انظروا إلى عبدي كيف صبر لي بنفسه، والذي له امرأة حسنة وفراش لين حسن، فيقوم من الليل، فيقول: يذر شهوته ويذكرني ولو شاء رقد، والذي إذا كان في سفر، وكان معه ركب فسهروا ثم هجعوا، فقام في السحر في ضراء وسراء**).

وقال تعالى: (**وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاء**) والاتخاذ هو الاصطفاء عن محبة، قال السهيلي في الروض الأنف: " وفيه فضل عظيم للشهداء، وتنبيه على حب الله إياهم حيث قال: (**وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاء**) ولا يقال: اتخذت، ولا اتخذ إلا في مصطفى محبوب، قال سبحانه: (**مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ**) **وقال**: (**مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا**) فالاتخاذ إنما هو اقتناء واجتباء..." انتهى كلامه.

قال ابن القيم في الزاد: " ثم ذكر حكمة أخرى، وهي اتخاذه سبحانه منهم شهداء، فإنه يحب الشهداء من عباده، وقد أعد لهم أعلى المنازل وأفضلها، وقد اتخذهم لنفسه، فلابد أن ينيلهم درجة الشهادة وقوله (**وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**) تنبيه لطيف الموقع جدا على كراهته وبغضه للمنافقين الذين انخذلوا عن النبي ﷺ يوم أحد، فلم يشهدوه، ولم يتخذ منهم شهداء، لأنه لا يحبهم، فأركسهم وردهم ليحرمهم ما خص به المؤمنين في ذلك اليوم، وما أعطاه من استشهد منهم، فثبط هؤلاء الظالمين عن الأسباب التي وفق لها أولياؤه وحزبه " انتهى كلامه.

وقال أيضا: " ومنها أن الشهادة عنده من أعلى مراتب أوليائه، والشهداء هم خواصه والمقربون من عباده، وليس بعد درجة الصديقية إلا الشهادة، وهو سبحانه يحب أن يتخذ من عباده شهداء تراق

دماؤهم في محبته ومرضاته ويؤثرون رضاه ومحابه على نفوسهم، ولا سبيل إلى هذه الدرجة إلا بتقدير الأسباب المفضية إليها من تسليط العدو" انتهى كلامه.

والله تعالى يحب المجاهدين بشكل عام، والشهداء منهم بشكل خاص، كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ**﴾ **الصف**.

وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ **المائدة**.

وغير ذلك، فأنعم به من فضل، وأنعم به من شرف، فليس الشأن في أن تحب الله، ولكن الشأن في أن يحبك الله، فالفوز بمحبة الله هو المقصد الذي سمى إليه المحبون، واجتهد من أجله العابدون وعمل له الصالحون.

الفضيلة الأربعون: من الشهداء من يباهي الله تعالى به ملائكته ويثني عليه عندهم:

وهذا في الشهيد الذي يثبت بعد فرار أصحابه حتى يقتل وهذا من عظم قدر الشهيد عند الله تعالى أن يرضى عن فعله، ومن حسن فعله يباهي به ملائكته، ويثني عليه عندهم بفعله، وما ذاك إلا لعظمة ما فعل.

والمباهاة عند الملائكة لا تقع بأي فعل، ولا تقع إلا بما عظم من الأفعال، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(عجب ربنا من رجل غزا في سبيل الله فانهزم – يعني أصحابه – فعلم ما عليه، فرجع حتى أهريق دمه، فيقول الله تعالى لملائكته: انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي حتى أهريق دمه)** رواه أبو داود والحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي، وصحح إسناده أحمد شاكر، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود.

قال شيخ الإسلام في المجموع: " والمباهاة لا تكون إلا بالأفاضل " انتهى كلامه.

الفضيلة الحادية والأربعون: تظليل الملائكة على الشهيد:

للشهيد منزلة ومكانة عند الله تعالى وعند ملائكته، وعندما يقتل الشهيد ويعرج بروحه إلى الجنة، ويبقى جسده على الأرض، فمن كرم الشهيد على الله وعلى ملائكته لا يبقى جسده هكذا بل تظله الملائكة عن الشمس وغيرها، إكراما له، ولجسده الذي ضحى به من أجل رضا ربه عز وجل حتى يرفع جسده ويدخل في قبره.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لما قتل أبي جعلت أكشف الثوب عن وجهه أبكي وينهوني عنه والنبي ﷺ لا ينهاني، فجعلت عمتي فاطمة تبكي، فقال النبي ﷺ: **(تبكين أو لا تبكين، ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه)** رواه البخاري.

وهذا كما حصل لداود عليه الصلاة والسلام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **((كان داود النبي فيه غيرة شديدة، وكان إذا خرج أغلقت الأبواب، فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع، قال: فخرج ذات يوم وغلقت الدار فأقبلت امرأته تطلع إلى الدار، فإذا رجل قائم وسط الدار، فقالت لمن في البيت: من أين دخل هذا الرجل الدار والدار مغلقة ؟ والله لتفتضحن بداود، فجاء داود فإذا الرجل قائم وسط الدار، فقال له داود: من أنت ؟ قال: أنا الذي لا أهاب الملوك ولا يمتنع مني شيء، فقال داود: أنت والله ملك الموت، فمرحبا بأمر الله، فرمل داود مكانه حيث قبضت روحه، حتى فرغ من شأنه، وطلعت عليه الشمس، فقال سليمان للطير: أظلي على داود فأظلت عليه الطير، حتى أظلمت عليهما الأرض، فقال لها سليمان اقبضي جناحا جناحا)** قال أبو هريرة يرينا رسول الله ﷺ كيف فعلت الطير، وقبض رسول الله ﷺ وغلبت عليه يومئذ المصرحية) رواه أحمد، وقال الهيثمي وفيه المطلب بن عبد الله بن حنطب وثقه أبو زرعة وغيره وبقية رجاله رجال الصحيح.

وكفى بهذا شرفا للشهيد أن يكرم كما أكرم نبي الله داود عليه الصلاة والسلام.

وقد فسره العلماء بنوع آخر من الإكرام، فقال القرطبي في المفهم: "كون الملائكة تظله بأجنحتها إنما ذلك لاجتماعهم عليه، وتزاحمهم على مبادرة لقائه، والصعود بروحه الكريمة الطيبة، ولتبشره بما له عند الله تعالى من الكرامة والدرجة الرفيعة " انتهى كلامه.

وقال الحافظ في الفتح:" معناه أنه مكرم بصنيع الملائكة وتزاحمهم عليه لصعودهم بروحه ".

وقال أيضا:" لكن تقدم في أوائل الجنائز من رواية شعبة تبكي أو لا تبكي، وتقدم شرحه على التخيير، ومحصله أن هذا الجليل القدر الذي تظله الملائكة بأجنحتها، لا ينبغي أن يبكى عليه بل يفرح له بما يصار إليه " انتهى كلامه.

وقال القاضي عياض:" يحتمل أن ذلك لتزاحمهم عليه، لبشارته بفضل الله ورضاه عنه، وما أعد له من الكرامة ازدحموا عليه، إكراما له وفرحا به، أو أظلوه من حر الشمس لئلا يتغير ريحه وجسمه " انتهى من المنهاج للنووي.

وقد بوب البخاري على هذا الحديث: " باب ظل الملائكة على الشهيد " فيفهم منه التعميم.

وقد جاء في سعد بن معاذ وكان قد استشهد بجراحه من غزوة الخندق أن النبي ﷺ قال فيه: (لقد نزل لموت سعد بن معاذ سبعون ألف ملك، ما وطئوا الأرض قبلها) رواه البزار عن ابن عمر رضي الله عنه وجود إسناده الألباني في الصحيحة.

وروى الترمذي والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي عن أنس رضي الله عنه قال: (لما حملت جنازة سعد بن معاذ قال المنافقون: ما أخف جنازته، وذلك لحكمه في بني قريظة، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: (إن الملائكة كانت تحمله)) وصححه الألباني في المشكاة، ومقصد المنافقين من ذلك الطعن فيه رضي الله عنه بسبب حكمه في يهود بني قريظة.

جاء في سيرة الشهيد عامر الشهري رحمه الله الذي جرح في إحدى المواجهات في جزيرة العرب واستمر جريحا فترة من الزمن حتى مات رحمه الله " وعندما حانت الساعة العاشرة من صباح يوم الجمعة أتى إليه الإخوة لكي يغيروا لجرحه فلما دخلوا عليه تفاجئوا بإشراقةٍ رائعةٍ لوجهه الطاهر وتفاجئوا أيضاً بأن رائحة الجرح قد انقطعت تماماً !!، وكانوا قد اعتادوا أن يرفعوا يده فوق وساده لتغيير الجرح، فلما أرادوا أن يرفعوا يده حصلت له كرامةٌ عظيمة ذكرتنا بما حصل لسعد بن معاذ رضي الله عنه، فقد شخص ببصره إلى السماء وأخذ يقلب بصره وكأنه يشاهد زواراً غرباء، ثم أخذ ينزل ببصره رويداً رويداً ويلتفت يمنةً ويسرة فلما رفع الإخوة يده رفعها عالياً ولم يضعها على الوسادة وبدأ يحرك سبابته بالشهادة وهو طيب النفس مطمئن وحالته أبعد ما تكون عن حالة شخصٍ يحتضر.

سبحان الله لقد تأملت حديث النبي ﷺ: **(إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان**

الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان قال فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض قال فيصعدون بها فلا يمرون يعني بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الطيب فيقولون فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا...) الحديث، أخرجه أحمد.

لقد تأملتُ هذا الحديث فوجدته يشابه وضع عامر حال احتضاره رحمه الله – نحسبه والله حسيبه –، فقد صعدت روحه الطاهرة إلى بارئها ولم نشعر به، سبحان الله، لقد كان موقفاً عظيماً انعقدت فيه الألسنة، وتحجر الدمع في المحاجر، وخيمت الدهشة الممزوجة بالفرح لهذه النهاية على رؤوس الإخوة فسبحان من أكرمه بهذا..

ولكن المفاجأة كانت عندما أتى أحد الإخوة ليقترب منه فإذا به لا يستطيع الاقتراب!!، حاول الأخ أكثر من مرة ولكنه يحس بمثل الزحام حول السرير، ذهل الأخ أيما ذهول وحاول الاقتراب أكثر من مرة ولكنه لم يستطع، وعندما أتى الإخوة بكاميرا لتصوير الأخ فإذا بالزحام ينقشع واستطاعوا أن يقتربوا من سريره رحمه الله.

الله أكبر، والله لولا أن الموقف حدث أمام أعيننا لما صدقنا، ولقد تذكرنا بعض أصحاب النبي ﷺ الذين كانت الملائكة تحضر جنائزهم ورجونا له مثل هذه المنزلة الرفيعة نحسبه والله حسيبه ولا نزكي على الله أحداً، ولما أتى الإخوة ليغسلوه كانوا يغسلون يده ويقبضون أصابعه لغسلها فكانت أربعٌ من أصابعه تنثني وتعود السبابة فتنتصب على هيئتها يوم رفعها متشهداً قبل خروج روحه، كرر الإخوة المحاولة ولكنها كانت كلما ثُنيت عادت فلله الحمد على ذلك.." انتهى.

الفضيلة الثانية والأربعون: تغسيل الملائكة للشهيد:

وأيضا من كرم الشهيد على الله تعالى وملائكته، أنه إذا استشهد مجنبا غسلته الملائكة، وكفى بذلك شرفا للشهيد أن تغسله ملائكة الرحمن قبل عروج روحه إلى السماء، لكي يفد على الله تعالى طاهرا مطهرا.

والدليل عليه ما روى ابن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول عن قتل حنظلة بن أبي عامر بعد أن التقى هو وأبو سفيان بن الحارث، حين علاه شداد بن الأسود بالسيف فقتله، فقال رسول الله ﷺ: **(إن صاحبكم تغسله الملائكة)** فسألوا صاحبته، فقالت: إنه خرج لما سمع الهائعة وهو جنب، فقال رسول الله ﷺ: **(لذلك غسلته الملائكة)** رواه ابن حبان والحاكم وجود إسناده النووي في خلاصة الأحكام وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة.

وروى الحاكم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (افتخر الحيان من الأنصار الأوس والخزرج فقالت الأوس: منا من اهتز لموته عرش الرحمن: سعد بن معاذ، ومنا من حمته الدبر: عاصم بن ثابت بن الأفلح، و منا من غسلته الملائكة: حنظلة ابن الراهب، ومنا من أجيزت شهادته بشهادة رجلين خزيمة بن ثابت، وقال الخزرجيون: منا أربعة جمعوا القرآن لم يجمعه غيرهم: أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد) ورواه أبو يعلى والبزار بإسناد حسن كما قال البوصيري في الإتحاف، وقال الألباني حديث حسن صحيح.

قال المناوي في فيض القدير معلقا على تغسيل الملائكة للشهيد: " وكفى بهذا شرفا " انتهى كلامه.

ولهذا شرف بذلك بنو حنظلة فكان يقال لهم بنو غسيل الملائكة أو بنو الغسيل.

بل أعظم من هذا أن الملائكة قد تغسل الشهيد ولو لم يكن جنبا، حرصا من الملائكة على إكرامه وإعظامه، كما ورد عند ابن سعد عن محمود بن لبيد رضي الله عنه قال: "لما أصيب أكحل سعد يوم الخندق فثقل، حولوه عند امرأة يقال لها رفيدة، وكانت تداوي الجرحى، فكان النبي ﷺ إذا مر به يقول: (**كيف أمسيت ؟**) وإذا أصبح قال: (**كيف أصبحت ؟**) فيخبره، حتى كانت الليلة التي نقله قومه فيها، فثقل، فاحتملوه إلى بني عبد الأشهل إلى منازلهم، و جاء رسول الله ﷺ، كما كان يسأل عنه، و قالوا: قد انطلقوا به، فخرج رسول الله ﷺ، وخرجنا معه، فأسرع المشي حتى تقطعت شسوع نعالنا وسقطت أرديتنا عن أعناقنا، فشكا ذلك إليه أصحابه: يا رسول الله أتعبتنا في المشي، فقال: **(إني أخاف أن تسبقنا الملائكة إليه فتغسله، كما غسلت حنظلة)** فانتهى رسول الله ﷺ إلى البيت وهو يغسل وأمه تبكيه وهي تقول:

ويل أم سعد سعدا... حزامة وجدا، فقال رسول الله ﷺ: **(كل نائحة تكذب إلا أم سعد)** ثم خرج به، قال يقول له القوم أو من شاء الله منهم: يا رسول الله ما حملنا ميتا أخف علينا من سعد، فقال: **(ما يمنعكم من أن يخف عليكم وقد هبط من الملائكة كذا وكذا – وقد سمى عدة كثيرة لم أحفظها– لم يهبطوا قط قبل يومهم قد حملوه معكم)** وقال الألباني وإسناده صحيح رجاله ثقات.

وأما كيفية التغسيل فهي أيضا عظيمة وشريفة إن صحت، وليس ذلك على الله بعزيز، ولا على الشهيد ببعيد، فقد ورد عند ابن سعد كما في الجامع الصغير عن خزيمة بن ثابت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **(إنى رأيت الملائكة تغسل حنظلة بن أبى عامر بين السماء والأرض بماء المزن فى صحاف الفضة)** وضعفه الألباني في ضعيف الجامع.

وهذا التغسيل تغسيل غيبي لا يعرف كنهه في وقوعه على الروح والجسد أم على الروح فقط.

الفضيلة الثالثة والأربعون: الشهيد لا يفتن في قبره:

الفتنة هي الامتحان، والمسلمون عندما يموتون ويقبرون تعاد أرواحهم إلى أجسادهم لكي يمتحنون عن صدق إيمانهم في الدنيا، فيأتي الرجل في قبره ملكان ويمتحنانه ويسألانه من ربك ؟ ومن نبيك ؟ وما دينك ؟ فأما المؤمن فيجيب إجابة الصادق في إيمانه، فيقول: ربي الله، ونبيي محمد، وديني الإسلام، وأما المنافق والفاجر فيقول: ها ها لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته، فيضرب بمرزبة من حديد فيصيح لأجل ذلك صيحة يسمعه كل شئ إلا الثقلان.

وأما الشهيد فله وضع آخر، فهو كريم على الله تعالى أن يمتحنه في إيمانه، فإن جهاده في سبيل الحق وتضحيته بنفسه في ذلك وثباته عند رؤية الموت وبارقة السيوف وتمزق الأشلاء كاف في امتحانه والحكم بصدق إيمانه، فلا يمتحن لأجل ذلك.

عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن رجلا قال: يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد ؟ قال: **(كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة)** رواه النسائي، وحسنه ابن القطان في بيان الوهم والإيهام، وصححه الألباني في صحيح النسائي.

ومعنى بارقة السيوف أي لمعانها كما أخرج الطبراني بسند صحيح - كما قال الحافظ - عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما أنه قال يوم صفين: (الجنة تحت الأبارقة).

قال الحافظ في الفتح: " الصواب البارقة وهي السيوف اللامعة " انتهى كلامه.

قال المناوي في الفيض: " **(ببارقة السيوف)** أي بلمعانها، قال الراغب البارقة لمعان السيوف **(على رأسه)** يعني الشهيد **(فتنة)** فلا يفتن في قبره ولا يسأل، إذ لو كان فيه نفاق لفر عند إلتقاء الجمعين، فلما ربط نفسه لله تعالى في سبيله، ظهر صدق ما في ضميره " انتهى كلامه.

وتسمى هذه المساءلة فتنة القبر، وهذه الفتنة عظيمة، ولذا شبهها النبي ﷺ بفتنة المسيح الدجال كما في البخاري، لعظمتها، وقد تعوذ منها النبي ﷺ كما جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يدعو بهؤلاء الكلمات: **(اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار وعذاب النار وعذاب القبر وفتنة القبر ومن شر فتنة الغنى...)** متفق عليه.

وأيضا ما ورد من استعاذته ﷺ في الصلاة **(أعوذ بك من فتنة المحيا والممات)** رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها، فقد فسرت فتنة الممات بسؤال الملكين، والمراد أنه يستعيذ من شر ذلك، وفسره المناوي في الفيض بالتحير في جواب منكر ونكير.

قال ابن النحاس في المشارع: " معنى **(كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة)** أن الفتنة في القبر بسؤال الملكين، إنما هي لاختبار ما عند المرء من حقيقة الإيمان والتصديق، ولا شك بأن من وقف للقتال ورأى السيوف تلمع وتقطع، والأسنة تبرق وتخرق، والسهام ترشق وتمرق، والرؤوس تندر، والدماء تثعب، والأعضاء تتطاير، والناس بين قتيل وجريح وطريح، فثبت على ذلك، ولم يول الدبر ولم ينهزم، وجاد بنفسه لله تعالى إيمانا به وتصديقا بوعده ووعيده كما وصف الله المؤمنين في قوله تعالى: **(وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا)** فيكفيه هذا امتحانا لإيمانه واختبارا له وفتنة، إذ لو كان عنده شك أو ارتياب لولى الدبر وذهل عما هو واجب عليه من الثبات وداخله الشك والارتياب كما قال تعالى **(وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلا غُرُورًا)** فيكفي الشهيد هذا الامتحان من سؤال الفتان والله أعلم " انتهى كلامه.

الفضيلة الرابعة والأربعون: الشهيد لا يعذب في قبره:

عذاب القبر هو عذاب البرزخ، أضيف إلى القبر لأنه الغالب، وقد أثبتته النصوص الشرعية، وباتفاق أهل السنة أنه يقع للجسد الروح جميعا كالنعيم وهو غيبي.

ويعذب فيه أصحاب الذنوب على اختلاف أنواعها، وأنواع العذاب تختلف بحسب الذنوب، فمنهم من يشتعل عليه القبر نارا، ومنهم من يضيق عليه في قبره، ومنهم من يضرب بصخرة كبيرة، ومنهم من يشلخ شدقيه حتى يدمي، إلى غير ذلك من أنواع العذاب التي يعذب بها الشخص حتى يبعث يوم القيامة نسأل الله العافية.

وقد سبق أن ذكرنا أن الشهيد يغفر جميع ذنوبه من أول دفعة من دمه، فتخرج روحه وهو طاهر من الذنوب، ومن لا ذنوب عليه فلا عذاب عليه، فلا يعذب الشهيد في قبره أبدا، بل هو في نعيم دائم في البرزخ من حين تخرج روحه، وهذا من فضائل الشهيد أنه لا يعذب في قبره، فعن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (**للشهيد عند الله سبع خصال**...وذكر منها (**ويُجار من عذاب القبر**)) رواه أحمد، وحسنه ابن القطان في بيان الوهم والإيهام، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، وسبق الحديث بطوله.

ومعنى (**يُجار**) أي يُحفظ ويُؤمن.

فالأمن من عذاب القبر نعمة عظيمة وفضل عظيم، ومن قرأ عن أنواع العذاب في القبر عرف صحة ذلك، وقد كان ﷺ يستعيذ منه كما سبق في الفضيلة التي قبل هذه.

ولكن للقبر ضغطة لا يسلم منها أحد، وهذه الضغطة غير عذاب القبر الذي يجار منه الشهيد، إنما هي أن يعصر الميت ويضيق عليه في القبر، ويلتقي جانبيه على الميت، ثم يفرج عنه سريعا، وهذه الضغطة تعم الشهيد وغيره، فقد ورد عن عائشة عن النبي ﷺ قال: (**للقبر ضغطة لو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ**) وقال الهيثمي رواه أحمد عن نافع عن عائشة وعن نافع عن إنسان عن عائشة وكلا الطريقين رجالها رجال الصحيح، وصححه الألباني في الصحيحة، وله طرق صحيحة أخرى.

قال المناوي في فيض القدير: " وإذا كان هذا لسعد بن معاذ زعيم الأنصار المقتول شهيدا بسهم وقع في أكحله في غزوة الخندق فما بالك بغيره ؟ ".

وقال أيضا: " **(إن للقبر ضغطة)** أي ضيقا لا ينجو منه صالح ولا طالح، ولكن الكافر يدوم ضغطه والمؤمن لا " انتهى كلامه.

وقيل في الحكمة في هذه الضغطة كما ذكر المناوي في الفيض: " أن الأرض أمهم منها خلقوا، فغابوا عنها طويلا، فتضمهم ضمة والدة غاب عنها ولدها، فالمؤمن برفق والعاصي بعنف غضبا عليه " انتهى كلامه.

وحال المؤمن في حياة البرزخ في قبره له أثره على ما بعده، فإنه أول منازل الآخرة، فإذا كان الشخص منعما في قبره آمنا من العذاب فما بعده أهون منه من البعث والنشور والأهوال والمحشر والموقف إلى الجنة، وإن كان الشخص في عذاب وهوان في قبره وبرزخه فما بعده أشد منه من العذاب والأهوال والموقف والحساب وغير ذلك إلى جهنم، نسأل الله العافية.

والدليل عليه عن هانئ مولى عثمان قال: كان عثمان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتبكي من هذا ! فقال: إن رسول الله ﷺ قال: **(إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه)** قال: وقال رسول الله ﷺ: **(ما رأيت منظرا قط إلا القبر أفظع منه)** رواه الترمذي والحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

قال المناوي في الفيض: " **(إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا)** الميت **(منه)** أي من القبر أي من عذابه ونكاله **(فما بعده)** من أهوال المحشر والموقف والحساب والصراط والميزان وغيرها **(أيسر)** عليه **(منه)** **(وإن لم ينج منه)** أي من عذابه **(فما بعده)** مما ذكر **(أشد منه)** عليه فما يراه الإنسان فيه عنوان ما سيصير إليه، ولا ينافيه قوله تعالى **(وإنما توفون أجوركم يوم القيامة)** أي على طاعتكم ومعصيتكم يوم القيامة، لأن كلمة التوفية يزيل هذا الوهم، إذ المعنى أن توفية الأجور وتكميلها يكون ذلك اليوم، وما يكون قبل ذلك فبعض الأجور ذكره في الكشاف " انتهى كلامه.

ويشهد له أيضا قوله تعالى: ﴿ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** ﴾ **غافر**، فذكر العرض في البرزخ، ثم ذكر ما بعده أنهم يدخلون أشد العذاب،

وهذا أشد من البرزخ، وللشهيد في البرزخ والقبر أتم حياة وأكملها وأنعمها، فما بعده يوم القيامة والبعث أيسر وأكمل منه في البرزخ.

الفضيلة الخامسة والأربعون: الشهيد حي عند الرب عز وجل في البرزخ:

قسم الله الدور إلى ثلاثة دور: ١. دار الدنيا ٢. دار البرزخ ٣.دار الآخرة.

وجعل لكل دار خصائص، فدار الدنيا أول الدور، وهي أنقص الدور، ودار ابتلاء وامتحان، وتختص بالأحياء وبمن روحه في جسده، ثم دار البرزخ وهي فاصل بين الدنيا والآخرة، وتختص بمن فارقت روحه جسده، ثم دار الآخرة وهي دار الجزاء الكامل من الثواب أو العقاب وإعادة الروح إلى أجسادها والحياة الكاملة التي لا يلحقها فناء ولا موت.

وجعل لكل دار حياة تناسبها، فدار الدنيا أنقص الدور لها أنقص الحياة وأضعفها، ولذا تلحقها الآفات والأمراض والنوم الذي هو أخو الموت والموت والتنغيص، ولهذا لا يقدر على رؤية الله تعالى في هذه الدار، لأن الحياة فيها ضعيفة، ورؤية الرب تعالى تحتاج إلى حياة أقوى من ذلك، ثم دار البرزخ، وهي أكمل حياة من الحياة الدنيا وأعظم نعيما ولذة.

قال ابن القيم في المدارج:" المرتبة الرابعة: حياة الحيوان الذي لا يتغذى بالطعام والشراب، كحياة الملائكة وحياة الأرواح بعد مفارقتها لأبدانها، فإنها حياتها أكمل من حياة الحيوان المغتذي، ولهذا لا يلحقها كلال ولا فتور ولا نوم ولا إعياء، قال تعالى: **(يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ)** " انتهى كلامه.

وقال أيضا:" المرتبة التاسعة من مراتب الحياة: "حياة الأرواح بعد مفارقتها الأبدان وخلاصها من هذا السجن وضيقه، فإن من ورائه فضاء وروحا وريحانا وراحة، نسبة هذه الدار إليه كنسبة بطن الأم إلى هذه الدار أو أدنى من ذلك، قال بعض العارفين: لتكن مبادرتك إلى الخروج من الدنيا كمبادرتك إلى الخروج من السجن الضيق إلى أحبتك والاجتماع بهم في البساتين المونقة، قال الله تعالى في هذه الحياة: **(فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ)** ويكفي في طيب هذه الحياة مرافقة الرفيق الأعلى، ومفارقة الرفيق المؤذي المنكد، الذي تنغص رؤيته ومشاهدته الحياة فضلا عن مخالطته

وعشرته إلى الرفيق الأعلى الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، في جوار الرب الرحمن الرحيم.

قلت إذ مدحوا الحياة فأسرفوا ** في الموت ألف فضيلة لا تعرف

منها أمان لقائه بلقائه ** وفراق كل معاشر لا ينصف

ولو لم يكن في الموت من الخير إلا أنه باب الدخول إلى هذه الحياة، وجسر يعبر منه إليها لكفي به تحفة المؤمن.

جزى الله عنا الموت خيرا فإنه ** أبر بنا من كل بر وألطف

يعجل تخليص النفوس من الأذى ** ويدني إلى الدار التي هي أشرف

فالاجتهاد في هذا العمر القصير والمدة القليلة والسعي والكدح وتحمل الأثقال والتعب والمشقة إنما هو لهذه الحياة، والعلوم والأعمال وسيلة إليها، وهي يقظة وما قبلها من الحياة نوم، وهي عين وما قبلها أثر، وهي حياة جامعة بين فقد المكروه وحصول المحبوب، في مقام الأنس وحضرة القدس حيث لا يتعذر مطلوب ولا يفقد محبوب، حيث الطمأنينة والراحة والبهجة والسرور، حيث لا عبارة للعبد عن حقيقة كنهها، لأنها في بلد لا عهد لنا به، ولا إلف بيننا وبين ساكنه، فالنفس لإلفها لهذا السجن الضيق النكد زمانا طويلا، تكره الانتقال منه إلى ذلك البلد، وتستوحش إذا استشعرت مفارقته.

وحصول العلم بهذه الحياة إنما وصل إلينا بخبر إلهي على يد أكمل الخلق وأعلمهم وأنصحهم، فقامت شواهدها في قلوب أهل الإيمان حتى صارت لهم بمنزلة العيان، ففرت نفوسهم من هذا الظل الزائل والخيال المضمحل والعيش الفاني المشوب بالتنغيص وأنواع الغصص رغبة في هذه الحياة وشوقا إلى ذلك الملكوت، ووجدا بهذا السرور وطربا على هذا الحد واشتياقا لهذا النسيم الوارد من محل النعيم المقيم.

ولعمر الله إن من سافر إلى بلد العدل والخصب والأمن والسرور وصبر في طريقه على كل مشقة وإعواز وجدب، وفارق المتخلفين أحوج ما كان إليهم وأجاب المنادي إذا نادى به حي على الفلاح، وبذل النفس في الوصول بذل المحب بالرضى والسماح، وواصل السير بالغدو والرواح، فحمد عند الوصول مسراه، وإنما يحمد المسافر السري عند الصباح، وعند الصباح يحمد القوم السرى وفي الممات

يحمد القوم اللقا، وما هذا والله بالصعب ولا بالشديد مع هذا العمر القصير، الذي هو بالنسبة إلى تلك الدار كساعة من نهار (**كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ**) **الأحقاف**، ﴿ **وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ**﴾ **يونس**، ﴿**كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا**﴾ **النازعات**، ﴿**وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ**﴾ **الروم**، ﴿ **قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ (١١٣) قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ **المؤمنون**.

فلو أن أحدنا يجر على وجهه يتقي به الشوك والحجارة إلى هذه الحياة لم يكن ذلك كثيرا ولا غبنا في جنب ما يوقاه، فواحسرتاه على بصيرة شاهدت هاتين الحياتين على ما هما عليه، وعلى همة تؤثر الأدنى على الأعلى، وما ذاك إلا بتوفيق من أزمة الأمور بيديه، ومنه ابتداء كل شيء وانتهاؤه إليه، أقعد نفوس من غلبت عليهم الشقاوة عن السفر إلى هذه الدار، وجذب قلوب من سبقت لهم منه الحسنى وأقامهم في الطريق وسهل عليهم ركوب الأخطار، فأضاع أولئك مراحل أعمارهم مع المتخلفين، وقطع هؤلاء مراحل أعمارهم مع السائرين، وعقدت الغبرة وثار العجاج فتوارى عنه السائرون والمتخلفون، وسينجلي عن قريب فيفوز العاملون ويخسر المبطلون.

ومن طيب هذه الحياة ولذتها، قال النبي صلى اله عليه وسلم: (**ما من نفس تموت لها عند الله خير يسرها أن ترجع إلى الدنيا وأن لها الدنيا وما فيها إلا الشهيد فإنه يتمنى الرجوع إلى الدنيا لما يرى من كرامة الله له**) يعني ليقتل فيه مرة أخرى... إلى أن قال: " وبالجملة من نظر في الموجودات ولم يقنع بمجرد النظر إليها وحدها، وجدها دالة على أن وراء هذه الحياة حياة أخرى أكمل منها، وأن هذه الحياة بالنسبة إليها كالمنام بالنسبة إلى اليقظة وكالظل بالنسبة إلى الشخص وسمعها كلها تنادي بما نادى به ربها وخالقها وفاطرها (**يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ**) وتنادى بلسان الحال بما نادى به ربها بصريح المقال: (**وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا**) **وقال تعالى: (إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ**

كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) **وقال تعالى: (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ)** ثم ندبهم إلى المسابقة إلى الدار الآخرة الباقية التي لا زوال لها، فقال: **(سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)**... ".

إلى أن قال: " فصل وفي هذه المرتبة تعلم حياة الشهداء، وأنهم عند ربهم يرزقون، وأنها أكمل من حياتهم في هذه الدنيا وأتم وأطيب، وإن كانت أجسادهم متلاشية ولحومهم متمزقة وأوصالهم متفرقة وعظامهم نخرة، فليس العمل على الطلل وإنما الشأن في الساكن، قال الله تعالى: **(وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)** **وقال تعالى: (وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ)** وإذا كان الشهداء إنما نالوا هذه الحياة بمتابعة الرسل وعلى أيديهم، فما الظن بحياة الرسل في البرزخ، ولقد أحسن القائل ما شاء:

فالعيش نوم والمنية يقظة ** والمرء بينهما خيال ساري

فللرسل وللشهداء والصديقين من هذه الحياة التي هي يقظة من نوم الدنيا أكملها وأتمها، وعلى قدر حياة العبد في هذا العالم يكون شوقه إلى هذه الحياة وسعيه وحرصه على الظفر بها والله المستعان.

فصل المرتبة العاشرة من مراتب الحياة:

الحياة الدائمة الباقية بعد طي هذا العالم وذهاب الدنيا وأهلها في دار الحيوان، وهي الحياة التي شمر إليها المشمرون، وسابق إليها المتسابقون، ونافس فيها المتنافسون، وهي التي أجرينا الكلام إليها ونادت الكتب السماوية ورسل الله جميعهم عليها، وهي التي يقول من فاته الاستعداد لها ﴿**كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (٢٥) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ**﴾ **الفجر**، وهي التي قال الله عز وجل فيها: ﴿ **وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ﴾ **العنكبوت**، والحياة المتقدمة كالنوم بالنسبة إليها، وكل ما تقدم من وصف السير ومنازله وأحوال السائرين

وعبوديتهم الظاهرة والباطنة فوسيلة إلى هذه الحياة إنما الحياة الدنيا بالنسبة إليها كما قال النبي صلى اله عليه وسلم: **(ما الدنيا في الآخرة إلا كما يدخل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم ترجع).**

وكما قيل تنفست الآخرة فكانت الدنيا نفسا من أنفاسها، فأصاب أهل السعادة نفس نعيمها، فهم على هذا النفس يعملون، وأصاب أهل الشقاوة نفس عذابها، فهم على ذلك النفس يعملون، وإذا كانت حياة أهل الإيمان والعمل الصالح في هذه الدار حياة طيبة، فما الظن بحياتهم في البرزخ وقد تخلصوا من سجن الدنيا وضيقها، فما الظن بحياتهم في دار النعيم المقيم الذي لا يزول وهم يرون وجه ربهم تبارك وتعالى بكرة وعشيا ويسمعون خطابه " انتهى كلامه.

وإنما ذكرنا هذا الكلام بطوله لإنه يُحتاج إليه في معرفة حياة الشهيد، وقد كتب الله تعالى الموت على جميع الخلائق وهو خروج الروح من الجسد، وبخروج الروح ينتقلون إلى دار البرزخ وحياتها وتبقى أرواحهم مجردة بلا أجساد إلى يوم القيامة.

ولكن هناك صنف من الخلائق انطلقوا في الحياة الدنيا مضحين بحياتهم وبأنفسهم، وطلبوا الموت ابتغاء مرضاة الله تعالى، وأزهقوا أرواحهم وتمزقت أجسادهم من أجله، فأعاضهم – وهو الشكور تعالى – بعد خروج أرواحهم بحياة هي أكمل وأطيب وألذ من حياتهم في الدنيا وأنعم، فلو لم يكن بعد ذلك حياة أكمل من حياتهم لما أرادوا عنها تحولا ولا نقلا.

وأبدلهم عن أجسادهم التي تمزقت بأجساد أخرى، طير خضر، وجعل أرواحهم فيها، فميزت على أجسادها في الدنيا بالطيران، فهي تطير في الجنة حيث شاءت، والجزاء من جنس العمل، وهؤلاء هم الشهداء.

فإن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون في حياة البرزخ، وأرواحهم في جوف طير خضر، وليسوا كبقية الأموات، قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ**﴾ **البقرة.**

وقال تعالى: ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾ **آل عمران،** عن مسروق قال: سألنا عبد الله — يعني ابن مسعود – عن هذه الآية **(وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)** قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك – يعني رسول الله ﷺ — فقال: **(أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة**

حيث شاءت، ثم تأوى إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة، فقال: هل تشتهون شيئا ؟ قالوا: أي شئ نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا) رواه مسلم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **(لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مطعمهم، ورأوا حسن منقلبهم، قالوا: ياليت إخواننا يعلمون ما أكرمنا الله به وما نحن فيه، لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا ينكلوا عند الحرب، فقال الله: أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله تبارك وتعالى: (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله))** رواه أبو داود والحاكم، وصححه، والبيهقي في السنن الكبرى، وفي رواية الحاكم (وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش) وصححه أحمد شاكر، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

ومعنى الآيتين: أي لا تقولوا ولا تظنوا أن الشهداء كبقية الأموات، فهم وإن خرجت أرواحهم من أجسادهم، ومزقت أجسادهم، فقد أبدلوا بأجساد أخرى - وهي الطيور - يحيون بها ويتنعمون ويرزقون، وهذا معنى حياة الشهيد الصحيح الذي عليه معظم العلماء، والذي جاءت به الأدلة السابقة في تفسير الآية وحياة الشهيد، حيث أن الشهيد إذا قتل وخرجت روحه من جسده الأول، أتي بجسد آخر وهو طير أخضر، وجعلت روحه فيه، ثم عرج به إلى الجنة وأتيح له فيها الطيران والتنعم والأكل والشرب والجماع وغير ذلك، فالشهيد يعطى هذا الجسد وتوضع فيه روحه لأمرين:

١. أن يكون ذلك لتنعمه وتلذذه بالمحسوسات من المأكولات والمشروبات والمنكوحات والملبوسات وغيرها وزيادة في تنعمه بها.

٢. أن يكون ذلك الجسد صيانة لروحه وحفظا لها وتشريفا وإكراما، قال القرطبي في المفهم في كلامه على حديث الطير الخضر " قد تضمن هذا الحديث تفسير قوله تعالى **(أحياء عند ربهم يرزقون)** وأن معنى حياة الشهيد: أن لأرواحهم من خصوص الكرامة ما ليس لغيرهم، بأن جعلت في جوف طير كما في هذا الحديث، أو في حواصل طير أخضر كما في الحديث الآخر، صيانة لتلك الأرواح ومبالغة في إكرامها " انتهى كلامه.

وقال ابن النحاس في المشارع: " الذي يظهر لي – والله أعلم – من الحكمة في جعل أرواحهم في هذه الأجساد، أنهم لما جادوا بأجسادهم الكثيفة لله تعالى، وبذلوها في حبه، وعرضوها للآلآم والمشاق الشديدة، وسمحوا بها للفناء امتثالا لأمر الله وطلبا لمرضاته، عوضهم عنها أجسادا لطيفة في دار النعيم الباقي، يأكلون بها ويشربون ويسرحون في الجنة حيث يشاؤون، ولما كان ألطف الحيوانات أجساما الطير، وألطف الألوان الأخضر، وألطف الجمادات الشفافة الزجاج كما قال تعالى: (**الزجاجة كأنها كوكب دري**) وإن كانت من ذهب كما في حديث ابن عباس فهو المفرح طبعا وخاصية وناهيك بذهب الجنة مفرحا، فلذلك – والله أعلم – جعل أرواح الشهداء في ألطف الأجساد وهو الطير، الملون بألطف الألوان وهو الخضرة، يأوي إلى ألطف الجمادات وهي القناديل المنورة والمفرحة في ظل عرش اللطيف الرحيم، لتكمل لها لذة النعيم في جوار الرب الكريم، فكيف يظن أنها محصورة ؟ كلا والله إن هذا لهو الفوز العظيم، لمثل هذا فليشمر المشمرون وعليه فليجتهد المجتهدون " انتهى كلامه.

قال العز في كتابه أحكام الجهاد وفضائله: " أحيا القتلى فيه بعد مماتهم، وعوضهم عن حياتهم التي بذلوها لأجله بحياة سرمدية، لا يصفها الواصفون ولا يعرفها العارفون، وكذلك لما فارقوا الأهل والأوطان أسكنهم في جواره وآنسهم بقربه بدلا من أنس من فارقوه من أحبائهم لأجله، فطوبى لمن حصل على هذا الأجر الجزيل في جوار الرب الجليل " انتهى كلامه.

وهناك أقوال أخرى في تفسير حياة الشهيد، فقيل: إن معنى كونهم أحياء أنهم يكتب لهم في كل سنة ثواب غزوة، ويشركون في كل جهاد كان بعدهم إلى يوم القيامة.

وقيل: لأن أرواحهم تركع وتسجد تحت العرش إلى يوم القيامة كأرواح المؤمنين الذين باتوا على وضوء.

وقيل: لأن الشهيد لا يبلى في القبر ولا تأكله الأرض فهو حي بهذا الاعتبار.

وقيل غير ذلك، والصحيح القول المقدم ذكره، وهو الذي صرحت به الأدلة، وأنها – كما صحح القرطبي في تفسيره – حياة محققة، وأنهم أحياء في الجنة يرزقون كما أخبر الله تعالى، وأرواحهم في جوف طير خضر ويرزقون ويتنعمون كأن حياة الدنيا دائمة لهم، وهذا الذي يشهد به النقل والذي عليه المعظم.

ولو قارنا بين ما يتاح للحي في الدنيا، وما يتاح للشهيد الحي في البرزخ، لعلمنا أن حياة الشهيد أكمل وأقوى وأطيب، فالشهيد في البرزخ يتاح له ما يتاح للحي وزيادة بأضعاف.

ولا يلزم من كونه في جوف طير أخضر أن يكون مضيقا عليه في الجسد أو محبوسا، فإن الآدمي في الدنيا تكون روحه في جسده ولا يشعر بالضيق، قال المناوي في الفيض:" **(إن أرواح الشهداء في طير خضر)** أي يكون الطائر ظرفا لها لقوله في خبر أبي داود **(في أجواف طير)** وليس هذا بحصر ولا بحبس، لأنها إما أن توسع عليها كالفضاء، أو يجعل في تلك الحواصل من النعيم ما لا يوجد في فضاء واسع " انتهى كلامه.

ثم يكون الشهيد على هذه الحال والنعيم، ويبقى في هذا الجسد إلى حين ينفخ في الصور النفخة الثانية، فتعاد الأرواح إلى أجسادها الأولى، ويبعثون ليوم القيامة بحياة أخرى أكمل من حياتهم في البرزخ، وأكمل من حياتهم في الدنيا، وأما بقية الأموات فإنهم عند خروج أرواحهم تبقى أرواحهم بلا أجساد ولا رزق إلى يوم القيامة، على خلاف بين العلماء في الرزق لهم وفي دخولهم الجنة مباشرة من موتهم.

قال ابن القيم في قصديته النونية:

فالشأن للأرواح بعد فراقها *** أبدانها والله أعظم شان

إما عذاب أو نعيم دائم *** قد نعمت بالروح والريحان

وتصير طيرا سارحا مع شكلها *** تجني الثمار بجنة الحيوان

وتظل واردة لأنهار بها *** حتى تعود لذلك الجثمان

لكن أرواح الذين استشهدوا *** في جوف طير أخضر ريان

فلهم بذاك مزية في عيشهم *** ونعيمهم للروح والأبدان

بذلوا الجسوم لربهم فأعاضهم *** أجسام تلك الطير بالإحسان

ولها قناديل إليها تنتهي *** مأوى لها كمساكن الإنسان

فالروح بعد الموت أكمل حالة *** منها بهذي الدار في جثمان

ومن مظاهر حياة الشهيد في البرزخ:

١. أنه لا يفقده الأهل والأحباب والإخوان عندما يقتل، ولا يبكونه ويحزنون عليه كحزنهم على بقية الأموات، بل إن بعضهم يفرح بذلك ويهنئ ويستبشر، فهم كالأحياء في حكم الفقد، والأحياء لا يفقدون، وهذا أمر معروف ومشهور، وأقرب صورة توضح هذا: متمم بن نويرة لما قتل أخوه مالك حزن عليه ورثاه بأنواع من المراثي، وقد رثاه مرة عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأجهش بالبكاء، فقام إليه عمر بن الخطاب فقال له: (لوددت أنك رثيت زيداً أخي بمثل مارثيت به مالكاً أخاك، فقال متمم: يا أبا حفص والله لو علمت أن أخي صار بحيث صار أخوك مارثيته، فقال عمر: ماعزاني أحد عن أخي بمثل تعزيته) وذلك أن زيد رضي الله عنه قتل شهيدا في اليمامة.

قال الشاعر:

فالدمع ليس على الأبطال نسدله *** ولا على من سرت بالمجد رجلاه

ولا على من علت بالزحف صيحته *** وخط بالسيف وسط الحرب مثواه

الدمع أحرى بمن تغريه لذته *** ويلعق الذل لهفاً خلف دنياه

٢. أنهم يعطون أجسادا تكون أرواحهم فيها، ويحيون بها كما الأحياء لهم أجساد يحيون بها، واختير لأجسادهم التي يعطونها اللون الأخضر الذي هو أفضل الألوان، والذي يدل على الحياة، فإن الأرض إذا حيت أصبحت خضراء.

٣.أنهم في الجنة يرزقون، فيأكلون ويشربون ويتنعمون ويجامعون أزواجهم، ويتاح لهم ما يتاح للحي وأكثر، قال القرطبي في تفسيره: " وأنهم – أي الشهداء – يرزقون ولا يرزق إلا حي " انتهى كلامه، وقال أيضا:" وفضلوا بالرزق من الجنة من وقت القتل حتى كأن الحياة الدنيا دائمة لهم " انتهى كلامه، وسيأتي مزيد تفصيل لهذا الأمر إن شاء الله تعالى.

٤. أنهم لا يغسلون ولا يصلى عليهم عند بعض العلماء، ويدفنون في ثيابهم، لإنهم كالأحياء في الحكم، والأحياء لا يغسلون ولا يصلى عليهم، فالغسل تطهير لجسد الميت، وهم أطهار بما فيهم من حياة، وثيابهم في الحياة على الأرض ثيابهم في القبر، لإنهم مازالوا أحياء.

٥.أنهم لا يصعقون ولا يفزعون عندما ينفخ في الصور، وذلك لكمال حياتهم، وسيأتي مزيد تفصيل لذلك.

٦.أنهم يقدرون على رؤية الله تعالى في حياتهم في البرزخ، وذلك لكمال حياتهم وقوتها، فلا أحد يقدر على رؤية الله تعالى في الدنيا لضعفهم عن ذلك، فإن الجبل لما تجلى له الله تعالى – وهو جبل– تدكدك، مع أن لم يظهر له إلا مقدار أقل من كف اليد.

٧. أن حياتهم في البرزخ متصلة دائمة، لا يلحقها موت ولا آفة ولا مرض ولا ضعف ولا نوم حتى يعاد إلى جسده الأول عند النفخ في الصور.

٨. أنهم منعمين في حياتهم، ولا يلحق حياتهم تنغيص ولا هم ولا نكد ولا حزن ولا خوف.

٩.أنهم يتاح لهم الطيران بأجسادهم، ويسرحون في الجنة حيث شاؤوا جوا وأرضا.

١٠. أنهم يفرحون ويسرون ويستبشرون، وهذا من صفات الأحياء، نقل القرطبي في التذكرة عن شيخه أحمد بن عمر أنه قال: " إن الشهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء عند ربهم يرزقون فرحين مستبشرين، وهذه صفة الأحياء في الدنيا " انتهى كلامه.

١١. ومن مظاهر حياتهم الذكر الجميل الخالد الذي لهم عند الله تعالى وعند الخلق، فالله تعالى خلد ذكرهم الجميل في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ يقرأ ويتلى مدى الدهر، وكذا ذكرهم الجميل المخلد عند الخلق فلا يزال المسلمون على مر العصور يذكرون الشهداء بالخير وحسن الفعال، وبما قدموه للإسلام، وبما لهم أيضا من الفضائل، ويدعون لهم ويترحمون عليهم، ومن كان كذلك فليس بميت، كما قال الشاعر:

قد مات قوم وما ماتت مكارمهم *** وعاش قوم وهم في الناس أموات

وقال الآخر:

إن قيل مات فلم يمت من ذكره *** حي على مر الأيام باقي

قال القشيري في لطائف الإشارات في الشهداء " فاتتهم الحياة فى الدنيا ولكن وصلوا إلى الحياة الأبدية فى العقبى، فهم فى الحقيقة أحياء، يجدون من الله فنون الكرامات.

ويقال هم أحياء لأن الخلف عنهم الله ومن كان الخلف عنه الله لا يكون ميتا، قال قائلهم فى مخلوق:

إن يكن عنّا مضى بسبيله فما ** مات من يبقى له مثل خالد

ويقال هم أحياء بذكر الله لهم، والذي هو مذكور الحق بالجميل يذكره السرمدي ليس بميت "انتهى كلامه.

١٢. أن أجسادهم التي قتلوا بها لها نوع حياة وتعلق بها تفيد إداركا ما، ولهذا لا تأكل الأرض أجسادهم ولا يبلون في قبورهم، وتبدو أجسادهم كأنها حية في حرارتها وليونتها وجريان الدم بها، وليست كأجساد الموتى المعروف عنها أنها تتخشب وتيبس وتبرد بعد الموت ويتجمد الدم بها، فالنعيم ينال أرواحهم وأجسادهم الطير وأجسادهم في قبورهم، قال ابن النحاس في المشارع: " الذي يظهر لي – والله أعلم – أن أجساد الشهداء تتميز عن أجساد الموتى بصفة من صفات الحياة تفيد إدراكا ما... ثم قال:" وها أنا أذكر بعض شئ مما روي في حياة أجسادهم:

روى مالك رحمه الله عن عبدالرحمن بن أبي صعصعة أن بلغه أن عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو الأنصاريين كانا قد حفر في السيل قبرهما، وكان قبرهما مما يلي السيل، وكانا في قبر واحد، وهما ممن استشهد يوم أحد، فحفر عنهما ليغيرا من مكانهما، فوجدا لم يتغيرا كأنما ماتا بالأمس، وكان أحدهما قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك، فأميطت يده عن جرحه ثم أرسلت، فرجعت كما كانت، وكان بين يوم أحد وبين يوم حفر عنهما ست وأربعون سنة.

قال ابن عبد البر هذا الحديث لم يختلف عن مالك في انقطاعه، وهو حديث متصل من وجوه صحاح عن جابر.

قال المؤلف: كأنه يشير إلى ما رواه ابن المبارك وعبد الرزاق في مصنفه كلاهما عن ابن عيينة عن أبي الزبير قال: سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: لما أراد معاوية أن يجري الكظامة قال: من كان له قتيل فليأت قتيله – يعني قتلى أحد – فأخرجهم رطابا يتثنون، قال: فأصابت المسحاة رجل رجل منهم فانفطرت دما.

الكظامة – بكسر الكاف والظاء المعجمة – قال الجوهري: هي بئر إلى جنبها بئر وبينهما مجرى في بطن الوادي.

وعن عبد الصمد هو ابن علي بن عبد الله بن عباس قال: أتيت قبر عمي حمزة رضي الله عنه وقد كاد السيل يكشفه، فاستخرجته من قبره كهيئته وعليه النمرة التي كفنه رسول الله ﷺ بها والاذخر على قدميه، فوضعت رأسه في حجري، فكان كهيئة المرجل، فأمرت بالقبر فأعمق، ووضعت عليه أكفانا، وأعيد إلى حفرته. خرجه ابن عساكر.

وروى عبد الرزاق عن ابن عيينة عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال: روى بعض أهل طلحة بن عبيد الله أنه رآه في النوم فقال: إنكم قد دفنتموني في مكان قد آذاني فيه الماء، فحولوني منه، فحولوه فأخرجوه كأنه سلفة لم يتغير منه شيء إلا شعرات من لحيته.

السلفة – بضم السين وإسكان اللام وبالفاء – قال صاحب العباب – ومن أصله بخطه نقلت – السلفة: جلد رقيق يجعل بطانة للخفاف وربما كان أحمر وأصفر " انتهى.

وقال ابن الأثير في أسد الغابة:" روى حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبيه أن رجلا رأى في منامه أن طلحة بن عبيد الله قال: حولوني عن قبري فقد آذاني الماء، ثم رآه أيضا حتى رآه ثلاث مرات، فأتى ابن عباس فأخبره، فنظروا فإذا شقه الذي يلي الأرض قد اخضر من نز الماء، فحولوه فكأني أنظر إلى الكافور في عينيه لم يتغير إلا عقيصته فإنها مالت عن موضعها، فاشتروا له دارا من دور أبي بكرة بعشرة آلاف، فدفنوه فيها " انتهى.

وروى الترمذي قصة أصحاب الأخدود فيه: أن الغلام الذي قتله الملك دفن، قال: فيذكر أنه أخرج في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وإصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل " قال الترمذي: حديث حسن.

قال المؤلف: وقصة أصحاب الأخدود في صحيح مسلم، وكانت في الفترة بين عيسى وسيدنا محمد صلى الله عليهما وسلم.

قال القرطبي في التذكرة: وقد روى كافة أهل المدينة أن جدار قبر النبي ﷺ لما انهدم أيام خلافة الوليد بن عبد الملك، وولاية عمر بن عبد العزيز على المدينة، بدت لهم قدم، فخافوا أن تكون قدم رسول الله ﷺ، فجزع الناس، فجاء سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، فعرف أنها قدم جده عمر رضي الله عنه، وكان قتل شهيدا " انتهى.

وقصة ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه مشهورة حكاها جماعة من أهل التفسير والمؤلفين في الصحابة وغيرهم قالت ابنته: لما أنزل الله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ)** الآية، دخل أبي بيته وأغلق عليه بابه وطفق يبكي، ففقده رسول الله ﷺ، فسأله فأخبره فقال: أنا رجل شديد الصوت، أخاف أن يكون حبط عملي، فقال: **(لست منهم بل تعيش بخير، وتموت بخير)** فقالت: ثم أنزل الله تعالى: **(إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ)** فأغلق عليه بابه وطفق يبكي، ففقده النبي ﷺ فأرسل خلفه فأخبره بما أنزل عليه وقال: إني أحب الجمال وأحب أن أسود قومي، فقال: **(لست منهم بل تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة)** فلما كان يوم اليمامة خرج خالد بن الوليد إلى مسيلمة، فلما لقوا العدو وانكشفوا فقال ثابت وسالم مولى أبي حذيفة: ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله ﷺ، فحفر كل واحد منهما له حفرة وثبتا فيها حتى قتلا، وعلى ثابت يومئذ درع له نفيس، فمر به رجل من المسلمين فأخذه، فبينما رجل من المسلمين نائم إذ أتاه ثابت في منامه فقال: إني موصيك بوصية فإياك أن تقول هذه حلم فتضيعها: إني لما قتلت أمس مر بي رجل من المسلمين، فأخذ درعي ومنزله في أقصى الناس، وعند خبائه فرس يستن في طوله، وقد كفأ على الدرع برمة وفوق البرمة رحل، فائت خالد بن الوليد فمره أن يبعث إلى درعي، فيأخذه فإذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله ﷺ فقل له: إن علي من الدين كذا وكذا، وفلان من رقيقي عتيق، وإياك أن تقول: هذا حلم فتضيعه.

فأتى الرجل خالدا فأخبره فبعث إلى الدرع، فأتي به، وحدث أبا بكر برؤياه، فأجاز وصيته فلم نعلم أحدا أجيزت وصيته بعد موته غير ثابت.

ويقرب من هذه القصة ما ذكره الجزولي في مناقب أبي محمد عبد الله بن أبي زيد المالكي قال: حدث عنه الثقات أنه خرج عام الخندق إلى الجهاد في زمن عبد الرحمن الناصر الأندلسي وكانوا أربعين ألف فارس وعشرين ألف راجل، فانكسر المسلمون، وتفرق الناجون إلى غير جهة، فقال: فكنت أكمن نهارا وأسير ليلا، فمشيت ذات ليلة، فإذا بعسكر نازل وخيول مربوطة ونيران موقدة وقرآن يقرأ، فقلت: الحمد لله هذا عسكر المسلمين فقصدتهم، فإذا أنا بشاب وفرسه مربوط وهو يقرأ سورة بني إسرائيل، فسلمت عليه، فرد علي السلام، فقال لي: يا هذا أنت من الناجين ؟ فقلت: نعم قال: اجلس نسترح، فأعطاني عنقود عنب في غير أوانه، ورغيفين من خبز وكوز ماء، ما أكلت ولا شربت

ألذ منهما، فقال: لعلك تريد النوم ؟ فقلت: نعم، فرقدني على فخذيه، فغلبني النوم حتى ضربتني الشمس، فلم يوجد في الوادي أحد، وإذا برأسي على عظم ابن آدم، فعلمت أنهم الشهداء.

فكمنت ذلك اليوم، فلما جن الليل، وإذا أنا بعساكر تجوز علي ويسلمون علي، وهم يذكرون الله وإذا في آخر القوم رجل تحته فرس أعرج، فأدركني فسلم علي، فقلت: يا أخي من هؤلاء ؟ قال: هم الشهداء مضوا إلى زيارة أهليهم، فقلت: ما بال فرسك يعرج ؟ فقال لي: بقي علي من ثمنه ديناران، فقلت: والله لئن رجعت إلى بلاد الإسلام لأقضينهما عنك.

فانطلق الفرس حتى لحق بالقوم، ثم رجع إلي فأردفني، فلما صرخ الديك وصلنا إلى مدينة سا لم، وبيننا وبين الموضع الذي حملني منه مسيرة عشرة أيام، فقال: أدخل هذه المدينة فإني كنت بها فاسأل عن دار محمد بن يحيى الغافقي، وادع زوجتي واسمها فاطمة بنت سا لم، وسلمعليها، وقل لها في الطاقة جرة فيها خمسمائة دينار، ردي منها دينارين بقيت من ثمن الفرس لفلان بن فلان، ففعلت ما أمرني به، فاستخرجت المرأة الجرة، فأعطتني طعاما، وأعطتني عشرة دنانير، وقالت: استعن بها على سفرك.

ذكر هذه الحكاية الجزولي في شرح ديباجة الرسالة.

قال المؤلف: وقد سمعت من غير واحد أن المجاورين لمؤتة يرون الشهداء من بعد في المعترك في كثير من الأوقات، يذهبون ويجيئون كرا وفرا، ويشاهدونهم بأعينهم غير مرة ليلا ونهارا، وقد كنت توجهت إلى الاسكندرية في سنة إحدى وثمانمائة، فمررت برشيد فرافقني جماعة من أعياننا فمررنا بتل من غربيها يعرف بتل بوري، وقد كان حصل فيه معترك بين المسلمين والفرنج، واستشهد به جماعة، فحكوا لي وبعضهم يصدق بعضا عن رجل من أهل رشيد أثنوا عليه خيرا أنه مر ليلة بهذا التل، فوجد به عسكرا وخياما ونيرانا، فظن أنه اليزك جاء من القاهرة، ونزل هناك قالوا: فدخل بينهم أو قالوا: فخرج رجل من العسكر، فأخذه بيده وأدخله بينهم، فسألوه إلى أين متوجه ؟ فأخبرهم أنه متوجه إلى القاهرة، فقال له بعضهم: إني مرسل معك كتابا إلى أهلي، فأوصله إليهم، ثم كتب كتابا ودفعه إليه، وعرفه أمارة بينه وبين أهله، قال: فلما وصلت إلى القاهرة سألت عن البيت، فأرشدت إليه، فلما طرقت الباب، قالوا: ما تريد ؟ قلت: معي كتاب من فلان، فقالوا لي: أنت مجنون ؟ إن فلانا قتل بالوقيعة برشيد منذ سنين، فلما ذكرت لهم الأمارة عرفوا صدقي، ودفعت إليهم الكتاب، فتعجبوا لذلك غاية العجب أو كما حكوا.

قال المؤلف: وهذه الحكاية مشهورة عند أهل رشيد يزيدون فيها وينقصون، وقد اتفقت في زماننا هذا والله أعلم.

وحكى الإمام العارف عبد الله اليافعي رحمه الله في كتابه روض الرياحين: عن محمود الوراق قال: كان رجل أسود يعمل في المباح وكنا نقول له: ألا تتزوج يا مبارك ؟ فيقول: أسأل الله أن يزوجني من الحور العين، قال: فغزونا بعض المغازي، فخرج العدو علينا، فقتل مبارك، فمررنا به ورأسه في ناحية وبدنه في ناحية وهو منكب على بطنه ويداه تحت صدره، فوقفنا عليه، وقلنا له: يا مبارك كم زوجك الله من الحور العين ؟ فأخرج يده من تحت صدره وأشار إلينا بثلاث أصابع يقول: ثلاثا رضي الله عنه.

وقال صاحب كتاب شوق العروس وأنس النفوس: قال سعيد الأعجمي: خرجنا يوما في غزاة البحر وكان معنا شاب من أحسن الناس عبادة، فلما اشتد القتال جعل يقاتل، فلم يلبث قليلا حتى ضربت عنقه فقام رأسه على الماء، واستقبل المركب وجعلوا يتلوا هذه الآية (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين).

وخرج ابن عساكر بإسناده عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي مسلمة قال: بينا رجل في أندر له بالشام – قال أبو سعيد: الاندر البيدر – ومعه زوجته، وكان له ابن استشهد قبل ذلك بما شاء الله، إذ رأى الرجل فارسا قد أقبل فقال لامرأته: ابني وابنك يا فلانة، قالت له: اخس عنك الشيطان ابنك قد استشهد منذ حين وأنت مفتون، قال: فأقبل على عمله واستغفر الله.

قال: ثم نظر فرأى الفارس فقال: ابنك والله يا فلانة، ونظرت فقالت: هو والله هو، فوقف عليها فقال له أبوه: أليس قد استشهدت يا بني ؟ قال: بلى ولكن عمر بن عبد العزيز توفي في هذه الساعة من هذا اليوم، واستأذن الشهداء ربهم تعالى في شهوده، فكنت فيهم فاستأذنته في السلام عليكما قال ثم دعا لهما وانصرف.

قال: فمات عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه تلك الساعة، وما كان لأهل القرية علم يعني بموته إلا بتحديث الشيخ.

ونظير هذه القصة ما رواه العلامة أبو علي الحسين بن يحيى البخاري الزندويشتي في كتابه روضة العلماء قال: حدثنا الإمام بإسناد له عن إبراهيم بن سليمان قال قال أبو زهدم: كان قوم يغزون الروم، فيمرون بأهل الكوفة يغزوا معهم، فجاءوا مرة، فنزلوا منزلهم الذي كانوا ينزلون، وبعثوا إلى

الرجل، فجاءهم فقالوا الجهاد فقال: اغزوا على اسم الله ليس معي ما أغزوا: فقالوا: عندنا قليل نفقة وراحلة، قال: فخرج معهم حتى أتوا الدرب، فوجدوهم قد أدربوا، فأجمع رأيهم على أن يقيموا في بعض السواحل، قال: فجعلوا الكوفي راعي الدواب، فلما كان يوم الرحيل خرج الكوفي بالدواب حتى أتى مرجا ترك الدواب ترعى، فلما وضعت رؤوسها ترعى وضع الرجل رأسه، لينام فأتاه آت: فقال أجب صاحب القصر، فإذا هو بقصر، فقام فانطلقنا حتى إذا دنيا من القصر، فإذا هو بجوار يمددن ويقلن قد جاء، قد جاء، فسار في القصر، فإذا هو بسرير عليه جارية عليها من الحلي والحلل والحسن ما يعجز النظر، وهي تقول: مرحبا يا ولي الله، فأخذت بيده وأجلسته بجنبها، وجعلت تكلمه وترحبه حتى طمع فيها الفتى، فأراد أن يعانقها، فقالت: إنما أحل لك بالعشاء فقال: أطعميني شيئا فأتت بقدح من لبن، فقالت: اشرب من هذا، فشرب فقام من عندها فخرج وهو محزون، فلما خرج من القصر التفت فلم ير من القصر شيئا فقال: قد خولطت في عقلي.

فلم يزل مغتما حتى رجع بالدواب إلى أصحابه، فرأوا فيه تغيرا، فلم يزالوا يسألونه ما لنا نراك متغيرا ؟ حتى أفشى لهم من أمره، فقال بعضهم لبعض: قد خولط في عقله، وحزنوا لذلك، فقال: هل تعلمون بحضرتنا لبنا ؟ قالوا: لا، قال: فإنها سقتني قدحا من لبن، فاستقاء حتى نظروا إلى اللبن فلما صلوا العتمة، وأخذ كل واحد منهم مصلاه، وكان الفتى يصلي في المسجد بإزاء البحر، فجاءت سفينة فيها العدو، فدخلوا المسجد وهو يصلي فقتلوه، فلما أصبح الناس إذا هو مقتول فصلوا عليه وواروه.

فرجعوا إلى الكوفة، فعزوا أباه وذكروا ما كان من أمره، قال: فبينما والده في برية يرعى غنما إذا هو بفارس قد أقبل نحوه على أفره دابة تكون وأحسن الثياب حتى دنا منه وسلمعليه، فإذا هو ابنه قال: يا بني ألست قد قتلت وكان من أمرك كيت وكيت ؟ قال: نعم يا أبتي ولكن نودي في الشهداء أن قوموا فصلوا على هذا العبد الصالح، قال: من هو ؟ قال: عمر بن عبد العزيز قال: فنظروا فإذا هو قد مات في ذلك اليوم..." إلى أن قال: " وأعجب منها: ما رواه صاحب كتاب المعصومين قال: حدثني علي اليزيدي بطرسوس، قال: حدثني أبي وكان من أول من سكن طرسوس حين بنائها قال: كان يغازينا من الشام ثلاثة إخوة فرسانا شجعانا، وكانوا لا يخالطون أهل العسكر، وكانوا يسيرون وحدانا وينزلون كذلك، فإذا رأوا العدو لم يقاتلوا ما كفوا، فغزوا مرة، فلقيهم الطاغية في جمع كثير من البطارقة، فقاتل المسلمون قتالا شديدا، فقال بعضهم لبعض: قد ترون ما نزل بالمسلمين، وقد وجب علينا الآن بذل أنفسنا، فتقدموا وقالوا لمن بقي من المسلمين كونوا من ورائنا وخلوا بيننا وبين القتال نكفكم إن

شاء الله، فقاتلوا حتى هزموا الروم، فقال ملك الروم لمن معه من البطارقة: من جاءني برجل من هؤلاء قدمته، فشدت الروم عليهم، فأخذتهم أسرى لم يصب أحد منهم جرح، فقال ملكهم: لا فتح ولا غنيمة أفضل من هؤلاء، فارتحل حتى أتى بهم القسطنطينية، فعرض عليهم دين النصرانية وقال: إني أجعل فيكم الملك فأبوا عليه، فأقبل عليهم الملك وقال: إن أنتم أجبتموني وإلا غليت قدورا حتى إذا بلغت ألقيت كل واحد منكم في قدر، قال: فأبوا عليه فأمر بثلاثة قدور فنصبت ثم صب فيها الزيت ثم أمر بالوقود، فوقد تحتها ثلاثة أيام كل ذلك يعرض عليهم في كل يوم ويقفهم على القدور، قال: فأبوا أن يجيبوه وأقاموا على الإسلام.

قال: فنادى الأكبر في اليوم الثالث، ودعاه إلى الرجوع إلى دينه، وقال: إني ملقيك في هذا القدر فأبى، فألقاه في القدر فما هو إلا أن سقط فيها ارتفعت عظامه تلوح، ثم فعل بالثاني مثل ذلك، فلما رأى صبرهما على ما فعل بهما ندم، وقال: فعلت هذا بقوم لم أر أشجع منهما، وإنما أردت أن يكون منهما في الروم بقية، فأمر الصغير فأدني منه، فجعل يفتنه عن دينه، فقام إليه علج من علوجه فقال: أيها الملك ما تجعل لي إن أنا فتنته ؟ قال: أبطرقك، قال: قد رضيت، قال الملك: بماذا تفتنه ؟ قال: قد علم الملك أن العرب أسرع شيء إلى النساء، وقد علمت الروم أنه ليس فيهم امرأة أجمل من ابنتي فلانة، فادفعه إلي حتى أخليه معها، فإنها ستفتنه، فضرب الملك بينه وبين العلج أجلا أربعين يوما.

قال: ودفعه إليه فجاء به فأدخله مع ابنته، وأخبرها بالذي فارق عليه الملك، وبالأجل الذي بينه وبينه، قالت: دعه قد كفيت أمره، فأقام معها ليله قائما ونهاره صائما، لا يفتر من العمل في ليله ونهاره من دعاء وذكر، حتى مضى أكثر الأجل، فسأل الملك العلج: ما حال الرجل ؟ فرجع إلى ابنته فقال: ما صنعت ؟ قالت: ما صنعت شيئا هذا رجل فقد أخويه في هذه البلدة، وأخاف أن يكون امتناعه من أجل أخويه كلما رأى آثارهما، ولكن استزد الملك في الأجل وابعثني وإياه إلى غير هذا البلد الذي قتل فيه أخواه.

فسأل الملك العلج فزاده في الأجل أياما، وأذن له في خروجهما، فأخرجهما إلى منزل كان لأخوال الجارية، فمكث على ذلك أياما والفتى على حاله قائم ليله صائم نهاره لا يفتر، حتى أتى من الأجل أياما.

قالت الجارية في ليلة من الليالي: يا هذا إني أراك تعبد ربا عظيما، وقد دخلت معك في دينك وتركت النصرانية، فلم يثق منها حتى أعادت عليه، فقال لها: كيف الحيلة في النجاة مما نحن فيه؟ قالت: أنا

أحتال لك، فجاءت بدواب، فقالت: قم بنا نهرب إلى بلادك، فركبا فكانا يسيران بالليل ويكمنان النهار، فبينما هم يسيران ذات ليلة، إذ سمعت وقع حوافر الخيل فقالت: أيها الرجل ادع ربك الذي صدقته أن يخلصنا من عدونا، قال: فالتفت فإذا هو بأخويه ومعهما ملائكة، فسلم وسألهما عن حالهما فقالا: ما كانت إلا الغطيسة التي رأيت حتى خرجنا إلى الفردوس، إن الله تعالى أرسلنا إليك لنشهد تزويجك بهذه الفتاة، فزوجوه ورجعوا، وخرج إلى بلاد الشام فكانا مشهورين بذلك معروفين به " والحكايات في حياة الشهداء كثيرة وفيما ذكرناه كفاية والله أعلم " انتهى كلامه.

ويشهد لهذا ما نقله المناوي في الفيض قال: " (عجيبة) رأيت في تذكرة المقريزي بخطه في ترجمة الشاطبي عن السهيلي أن رجلا من أشياخ البلد جاءه، فقال: أخبرك يا أستاذ بعجيبة، مات لي جار، فرأيته البارحة في النوم، فقلت له: ما لقيت ؟ قال: خيرا، فأعلمك أن زوجتي يكتب صداقها غدا وتحضره أنت وأنا، قلت: كيف تحضر وأنت ميت ؟ قال: إذا مشيت لحضور الصداق تجد في وسط الدار شجرة ريحان، فإذا رأيت على غصن منها طيرا أخضر فهو أنا، فلما أصبحت جاءني رجلان فقالا: جارك فلان يزوج ابنته، فدخلت الدار فرأيت الشجرة، وجلست حذاءها، وكتبت الصداق، ووقع خلاف في بعض الشروط، وإذا طائر صغير أخضر نزل على أغصانها ثم ذهب، فقال أهل المجلس: مالك لا تصلح بين الجماعة، فقلت: شغلني أمر عجيب فأخبرتهم، فحلفت المرأة أن لا تزوجت أبدا " انتهى كلامه.

وقال ابن عبد البر في الاستذكار: " وروى ابن وهب عن عطاء بن أبي خالد قال حدثتني خالتي وكانت من العوابد، وكانت كثيرا ما تركب إلى الشهداء، قالت: صليت يوما على قبر حمزة بن عبد المطلب، فلما قمت قلت: السلام عليكم، فسمعت أذناي رد السلام يخرج من تحت الأرض أعرفه كما أعرف أن الله خلقني، وما في الوادي داع ولا مجيب، قالت: فاقشعرت له كل شعرة مني" انتهى كلامه.

وقد ورد عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه كان يرجع من ضيعته فيمر بقبور الشهداء فيقول: السلام عليكم وإنا بكم للاحقون، ثم يقول لإصحابه: (ألا تسلمون على الشهداء فيردون عليكم) رواه ابن أبي شيبة عن ابن أبي ذئب عن قرة بن خالد عن عامر بن سعد عن أبيه وإسناده صحيح.

ويؤيده – لو كان ثابتا – ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (بينما رسول الله ﷺ جالس وأسماء بنت عميس قريبة منه، إذ رد السلام، ثم قال: (**يا أسماء هذا جعفر بن أبي طالب مع جبريل**

وميكائيل وإسرافيل سلموا علينا، فردي عليهم السلام، وقد أخبرني أنه لقي المشركين يوم كذا وكذا – قبل مَمَرِّه على رسول الله ﷺ بثلاث أو أربع – فقال: لقيت المشركين فأصبت في جسدي من مقاديمي ثلاثا وسبعين بين رمية وطعنة وضربة، ثم أخذت اللواء بيدي اليمنى فقطعت، ثم أخذت بيدي اليسرى فقطعت، فعوضني الله من يدي جناحين أطير بهما مع جبريل وميكائيل، أنزل من الجنة حيث شئت، وآكل من ثمارها ما شئت) فقالت أسماء: هنيئا لجعفر ما رزقة الله من الخير، ولكن أخاف أن لا يصدق الناس، فاصعد المنبر فأخبر به، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (**يا أيها الناس إن جعفرا مع جبريل وميكائيل له جناحان عوضه الله من يديه، سلم علي**) ثم أخبرهم كيف كان أمره حيث لقي المشركين، فاستبان للناس بعد اليوم الذي أخبر رسول الله ﷺ أن جعفر لقيهم، فلذلك سمي الطيار في الجنة) رواه الحاكم في مستدركه والطبراني في الأوسط، لكن قال الهيثمي: وفيه سعدان بن الوليد لم أعرفه وبقية رجاله ثقات.

وقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**مر بي جعفر الليلة في ملأ من الملائكة، وهو مخضب الجناحين بالدم**) أخرجه الترمذي والحاكم بإسناد على شرط مسلم – كما قال الحافظ في الفتح – وهذا يحتمل أنه رؤية حقيقية ويحتمل أنها رؤيا منامية.

وذكر ابن الجوزي في صفة الصفوة: " روح بن سلمة الوراق قال: سمعت عفيرة العابدة تقول: بلغني أن معاذة العدوية لما احتضرها الموت بكت ثم ضحكت، فقيل لها: مم بكيت ثم ضحكت فمم البكاء ومم الضحك ؟ قالت: أما البكاء الذي رأيتم فإني ذكرت مفارقة الصيام والصلاة والذكر فكان البكاء لذلك، وأما الذي رأيتم من تبسمي وضحكي، فإني نظرت إلى أبي الصهباء قد أقبل في صحن الدار وعليه حلتان خضراوان، وهو في نفر والله ما رأيت لهم في الدنيا شبها فضحكت إليه، ولا أراني أدرك بعد ذلك فرضا، قال: فماتت قبل أن يدخل وقت الصلاة " وأبو الصهباء هو زوجها صلة بن أشيم وكان قد استشهد.

قال الشيخ عبد الله عزام في كتاب فضائل الجهاد:

الشهداء أحياء:

وقد رأينا بعض الآيات البينات التي تدل حسا أن الشهداء أحياء.

حدثني عمر حنيف، قال: فتحت بيدي اثني عشر قبرا للشهداء فما وجدت شهيدا واحدا تغير جسده، ورأيت بعضهم قد نبتت لحاهم، وطالت أظافرهم في القبور.

وقصة الدكتور بابرك الذي استشهد في الأورغون وجاءوا به إلى بابي، بيشاور، وعندما عاد أولاده من المدرسة ووقفوا عند رأسه بكى وسالت دموعه على وجهه.

وقال في كتاب التربية الجهادية والبناء:

لقد حدثني عمر حنيف وهو رجل ثقة صادق ثبت على أنني فتحت اثني عشر قبراً بيدي بعد سنتين وثلاث – لأن الأفغان كانوا يدفنون شهداءهم في أرض المعركة حتى إذا حرروا الأرض نقلوهم إلى المقابر العادية – قال: فتحت اثني عشر قبراً بيدي فوالله ما وجدت واحداً متغيراً، ووجدت بعضهم وقد كان حليقا في الدنيا نبتت لحيته في القبر، وطالت أظافرهم في القبر، ولأجسادهم روائح طيبة ما رأيت مثلها في الدنيا " انتهى كلامه.

وهذا لا ينافي ما جاء في الأدلة أنهم لا يرجعون إلى الدنيا، فإن هذا ليس رجوعا كليا بالروح والجسد، وليست حياة كحياة الدنيا.

وقد ورد عن أنس رضي الله عن النبي ﷺ أنه قال: **(الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون)** رواه أبو يعلى، قال الهيثمي ورجاله ثقات، وصححه البيهقي وابن الملقن في البدر المنير والألباني في صحيح الجامع.

وروى النسائي عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ: (مر على موسى عليه الصلاة والسلام وهو يصلي في قبره) وصححه الألباني في صحيح النسائي.

وعن أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي)** فقال رجل: يا رسول الله ! كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ يعني بليت، قال: **(إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء)** رواه أبو داود والحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه ابن خزيمة كما في الفتح، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

وقد صلى النبي ﷺ بالأنبياء ليلة الإسراء، وهذا يدل على إن لأجسادهم نوع حياة وإدراك.

وليس معنى هذا الكلام أن أجسادهم حية حياة كاملة كما كانوا في الدنيا، ولكن المراد إثبات حصول نوع من الحياة والإدراك لأجسادهم، ولا يجوز أن يتخذ هذا ذريعة لدعائهم والاستغاثة بهم بعد مماتهم، فإن هذا شرك أكبر، إذ الدعاء والاستغاثة لا تجوز إلا بالله تعالى، وهذا أمر لم يفعله الصحابة ولا السلف.

وهذه المظاهر تدل على أن حياتهم في البرزخ أكمل من حياتهم في الدنيا وأطيب وأقوى كما سبق بيانه، وهذه الحياة لا يدركها الناس ولا يعلمون حقيقتها وكنهها، ولهذا قال الله عز وجل: **(بل أحياء ولكن لا تشعرون)** أي لا تعلمون، وقال تعالى: **(بل أحياء عند ربهم)** قال المناوي في الفيض: " فائدة التقييد بالعندية الإشارة إلى أن حياتهم ليست بظاهرة عندنا، وهي كحياة الملائكة " انتهى كلامه.

وهنا مسألة هل يجوز أن يقال عن الشهيد أنه ميت ؟ وماذا يجاب عن هذه الآية **(ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء)** ؟

الجواب: أن إطلاق ذلك على اعتبارين:

الأول: أن يطلق عليه ذلك بمعنى أنه كبقية الموتى في حالهم في البرزخ، أو أن أرواحهم ليست حية، أو لا يعطون أجسادا يتنعمون فيها تنعم الأحياء، فهذا الذي نهى عنه القرآن، فليس حالهم كحال بقية الموتى في البرزخ، بل حالهم أسمى وأشرف، وهم في حياة في البرزخ كما سبق بيانه.

الثاني: أن يطلق عليه ذلك بمعنى أنه خرجت روحه من جسده، وخرج من الدنيا، وكان له حكم الأموات من قسم الميراث وغيره، فهذا جائز، وقد ورد عند ابن المبارك عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة قال: قال رسول الله ﷺ **(من ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع ؟)** فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله، قال: فخرج يطوف في القتلى حتى وجد سعدا جريحا قد أثبت بآخر رمق، فقال يا سعد إن رسول الله ﷺ أمرني أن أنظر له أمن الأحياء أنت أم في الأموات ؟ قال: فإني في الأموات، أبلغ رسول الله ﷺ مني السلام، وقل له: إن سعدا يقول لك: جزاك الله عنا خير ما جزى نبيا عن أمته، وأبلغ قومك عني السلام، وقل لهم إن سعدا يقول لكم: إنه لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف "وهذا مرسل، وقد رواه الحاكم عن عبد الله بن عبد الرحمن عن

أبيه مختصرا، ورواه الحاكم أيضا عن زيد بن ثابت رضي الله عنه بلفظ آخر، وصححه، ووافقه الذهبي، وله شواهد.

قال ابن الجوزي في زاد المسير في معرض كلامه على آية البقرة السابقة " فإن قيل: فنحن نراهم موتى، فما وجه النهي ؟

فالجواب: أن المعنى: لا تقولوا هم أموات لا تصل أرواحهم إلى الجنات، ولا تنال من تحف الله ما لا يناله الأحياء، بل هم أحياء، أرواحهم في حواصل طير خضر تسرح في الجنة، فهم أحياء من هذه الجهة، وإن كانوا أمواتاً من جهة خروج الأرواح ذكره ابن الأنباري " انتهى كلامه.

قال شيخ الإسلام في المجموع:" فالقلب إذا كان حيًا فمات الإنسان بفراق روحه بدنه كان موت النفس فراقها للبدن، ليست هي في نفسها ميتة بمعنى زوال حياتها عنها، ولهذا قال تعالى: (**وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء**) وقال تعالى: (**وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ**) مع أنهم موتى داخلون في قوله (**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**) وفي قوله: (**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ**) وقوله: (**وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ**) فالموت المثبت غير الموت المنفي، المثبت: هو فراق الروح البدن، والمنفي: زوال الحياة بالجملة عن الروح والبدن " انتهى كلامه.

قال ابن عاشور في التحرير والتنوير: " وقد أثبت القرآن للمجاهدين موتا ظاهرا بقوله (**قتلوا**) ونفى عنهم الموت الحقيقي بقوله (**بل أحياء عند ربهم يرزقون**) فعلمنا أنهم وإن كانوا أموات الأجسام فهم أحياء الأرواح حياة زائدة على حقيقة بقاء الأرواح، غير مضمحلة، بل هي حياة بمعنى تحقق آثار الحياة لأرواحهم من حصول اللذات والمدركات السارة لأنفسهم ومسرتهم بإخوانهم، ولذلك كان قوله (**عند ربهم**) دليلا على أن حياتهم حياة خاصة بهم، ليست هي الحياة المتعارفة في هذا العالم، أعني حياة الأجسام وجريان الدم في العروق، ونبضات القلب، ولا هي حياة الأرواح الثابتة لأرواح جميع الناس " انتهى كلامه.

قال أبو العتاهية:

وما الموت إلا رحلة غير أنها ** من المنزل الفاني إلى المنزل الباقي

الفضيلة السادسة والأربعون: من الشهداء من لا تأكله الأرض ولا يتعفن:

كتب الله على ابن آدم عند موته أن يتعفن جسده، وتأكله الأرض والديدان، ولا يبقى شئ من جسده إلا عجب الذنب، وعند بعث الأجساد من قبورها يركب الجسد من هذا العظم وهو عجب الذنب حتى يكتمل وتبعث الأجساد بعد ذلك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب**) رواه مسلم.

وهناك أناس أكرمهم الله واختصهم بكون الأرض لا تأكل أجسادهم بعد موتهم، ولا تسلط عليهم، وتبقى أجسادهم باقية على حالها إلى يوم البعث بلا نقص ولا تعفن، بل تتثنى كأنها جسد حي، ولا يتغير منها شئ، ويحفظها الله تعالى إلى يوم القيامة، ومن هؤلاء الأنبياء.

فعن أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الانبياء**) رواه أبو داود والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه ابن خزيمة كما نقله الحافظ في الفتح، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

ومن هؤلاء أيضا - وهو موضوع كلامنا - الشهداء، فإن الأرض لا تأكل أجسادهم، ولا تسلط عليهم، ولا تتعفن أجسادهم وهذا في الجملة ولا يلزم من ذلك الحكم لهم بالشهادة الأخروية كما لا يلزم من عدمه الحكم بعدم قبول الشهادة فقد يحصل هذا وهذا.

ولعل هذا من حكمة أن رسول الله ﷺ أمر بدفن الشهيد بثيابه ودمائه وعدم نزعها عنه وغسله، لكي يبقى على هذه الهيئة ثم يبعث على هذا الأثر الذي يحبه الله يوم القيامة.

وأيضا فإن الشهيد حي ولحياته تعلق بجسده، فانظر إلى الصحابة الذين قتلوا في زمن النبي ﷺ كشفت قبورهم ووجدت أجسادهم محفوظة لم ينلها أي تغير، كما رواه ابن المبارك وعبد الرزاق في مصنفه كلاهما عن ابن عيينة عن أبي الزبير قال: سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: (لما أراد معاوية أن يجري الكظامة قال: من كان له قتيل فليأت قتيله – يعني قتلى أحد – فأخرجهم رطابا يتثنون، قال فأصابت المسحاة رجل رجل منهم فانفطرت دما) وإسناده صحيح.

الكظامة – بكسر الكاف والظاء المعجمة – قال الجوهري: هي بئر إلى جنبها بئر وبينهما مجرى في بطن الوادي.

وعن عبد الصمد هو ابن علي بن عبد الله بن عباس قال: (أتيت قبر عمي حمزة رضي الله عنه وقد كاد السيل يكشفه، فاستخرجته من قبره كهيئته، وعليه النمرة التي كفنه رسول الله ﷺ بها والاذخر على قدميه، فوضعت رأسه في حجري، فكان كهيئة المرجل، فأمرت بالقبر فأعمق، ووضعت عليه أكفانا وأعيد إلى حفرته) خرجه ابن عساكر.

وروى عبد الرزاق عن ابن عيينة عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال: روى بعض أهل طلحة بن عبيد الله أنه رآه في النوم فقال: إنكم قد دفنتموني في مكان قد آذاني فيه الماء، فحولوني منه، فحولوه فأخرجوه كأنه سلفة لم يتغير منه شيء إلا شعرات من لحيته.

قال الذهبي في السير: " وروى سعيد بن عامر الضبعي، عن المثنى بن سعيد قال: أتى رجل عائشة بنت طلحة فقال: رأيت طلحة في المنام، فقال: قل لعائشة تحولني من هذا المكان ! فإن النز قد آذاني، فركبت في حشمها، فضربوا عليه بناء واستثاروه، قال: فلم يتغير منه إلا شعيرات في إحدى شقي لحيته، أو قال رأسه، وكان بينهما بضع وثلاثون سنة، وحكى المسعودي أن عائشة بنته هي التي رأت المنام" انتهى.

عن أنس رضي الله عنه، قال: (إن أبا طلحة قرأ سورة براءة فأتى على هذه الآية (انفروا خفافا وثقالا) فقال: ألا أرى ربي يستنفرني شابا وشيخا، جهزوني، فقال له بنوه: قد غزوت مع رسول الله ﷺ حتى قبض، ومع أبي بكر حتى مات، ومع عمر، فنحن نغزو عنك قال: جهزوني، فجهزوه، فركب البحر، حتى مات فلم يجدوا له جزيرة يدفنوه فيها إلا بعد سبعة أيام، فلم يتغير) رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي.

والقصص في هذا كثيرة جدا، ومن القصص:

❖ قال ابن السبكي في طبقات الشافعية " قلت وبلغني – وما أراه إلا فى تاريخ الحاكم – أن بعض الأمراء خرج يتصيد، فألقاه السير على أرض، فنزل بها، فبحث بعض غلمانه فى التراب فحفر حتى رأى ميتا فى قبره طريا، وهو فى ناحية ورأسه فى ناحية، وفى أذنه رقعة عليها شئ مكتوب، فأحضر من قرأه، فإذا هو بسم الله الرحمن الرحيم هذا رأس أحمد بن نصر الكلمات السابقة، فعلموا أنه

رأس أحمد الخزاعى، فدفن ورفع سنام قبره، وكان هذا فى زمن الحاكم أبى عبد الله الحافظ، وهو على طراوته، وكيف لا وهو شهيد رحمه الله ورضي عنه " انتهى.

❖ قال الشيخ عبد الله عزام في كتاب عشاق الحور عن الشهيد حذيفة المدني محمد شحاته:

وبدأ حذيفة يحدث: عن إحساسه الداخلي بقرب الشهادة، وبدأ يقص رؤيا رآها عن أخيه الميت وكان أخاه يستحث خطاه إليه.

وقال عنه أيضا: ورأيت حذيفة بعد ثلاثة أيام، ودمه لزج، وجسده لم يحصل له أي تغيير رغم أن الشيوعيين مسودة وجوههم، منتفخة أجسادهم، والصديد يسيل من أنوفهم وأفواههم " انتهى كلامه.

وقد قرر العلماء هذا المعنى، فقال المناوي في الفيض في شرح حديث أبي هريرة السابق " **(وليس من الإنسان)** غير النبي والشهيد **(شيء إلا يبلى)** بفتح أوله أي يفنى " انتهى كلامه.

وقال شيخ الإسلام في المجموع: " وقد عرف أن أبدانا كثيرة لا يأكلها التراب، كأبدان الأنبياء وغير الأنبياء من الصديقين، وشهداء أحد، وغير شهداء أحد، والأخبار بذلك متواترة " انتهى كلامه.

وقال الحافظ في الفتح على حديث إخراج جسد عبد الله بن حرام: " وفيه كرامته بوقوع الأمر على ما ظن، وكرامته بكون الأرض لم تبل جسده مع لبثه فيها، والظاهر أن ذلك لمكان الشهادة " انتهى كلامه.

وقال القرطبي في التذكرة: " باب لا تأكل الأرض أجساد الأنبياء ولا الشهداء وأنهم أحياء " ثم أخذ يدلل على ذلك.

وقال: " وهكذا من تقدمنا من الأمم ممن قتل شهيدا في سبيل الله، أو قتل على الحق كأنبيائهم، وفي الترمذي في قصة أصحاب الأخدود: أن الغلام الذي قتله الملك دفن، قال: فيذكر أنه أخرج في زمن عمر بن الخطاب واصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل " قال حديث حسن غريب... " ثم قال القرطبي: " وهذا أشهر في الشهداء من أن يحتاج إلى إكثار " انتهى كلامه.

وقال الشيخ عبد الله عزام في آيات الرحمن: " أصبح من المتواتر أنّ كثيراً من أجساد الشّهداء لا تتغير ولا تتعفن " انتهى.

وأما الحكمة في كون الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء والشهداء، هي ما ذكره المناوي في الفيض قال: " قال أبو الحسن المالكي في شرح الترغيب حكمة عدم أكل الأرض أجساد الأنبياء ومن ألحق بهم، أن التراب يمر على الجسد فيطهره، والأنبياء لا ذنب لهم، فلم يحتج إلى تطهيرهم بالتراب " انتهى كلامه، وكذا الشهداء لا ذنب لهم، فقد غفرت ذنوبهم كلها، وعلى هذه الحكمة فهي تعضد وتقوي كون الشهداء لا تأكلهم الأرض لعدم الذنوب لديهم.

الفضيلة السابعة والأربعون: الشهيد يدخل الجنة حالا من حين يقتل ويدخلها مآلا في الآخرة:

أعد الله الجنة لعباده المؤمنين جزاء لهم على أعمالهم، وجعل فيها من أصناف النعيم وأنواعه ما لا يحده الوصف، ولا يخطر على قلب بشر، والشهيد له مع الجنة حال آخر، ووضع خاص وكرامة عظيمة، فهو من حين يقتل يدخل الجنة حالا ومباشرة، ويعجل له دخولها ونعيمها قبل يوم القيامة، ويبقى فيها إلى أن ينفخ في الصور نفخة البعث وترجع الأرواح إلى أجسادها، وذلك لكرامته على الله، ولعلو منزلته عنده، فالجنة تثبت للشهيد حالا، والأدلة على ذلك كثيرة منها:

- قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ **التوبة**.

فهو اشترى منهم نفوسهم، وأعاضهم عنها الجنة، وليس المراد مطلق دخول الجنة، فإن ذلك ثابت لعامة المؤمنين في الآخرة، فلم يكن لتخصيص الشهيد بدخول الجنة زيادة فضل، ولكن المراد أن الشهيد يدخل الجنة حالا دخولا خاصا مميزا بحياة خاصة.

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (**تكفل الله لمن جاهد في سبيله – لا يخرجه من بيته إلا الجهاد في سبيله وتصديقا بكلماته – أن يدخله الجنة، أو يرده إلى مسكنه بما نال من أجر أو غنيمة**) رواه البخاري، وفي رواية (**انتدب الله**) وفي رواية مسلم (**تضمن الله**).

قال الحافظ في الفتح: " قوله (**تضمن الله، وتكفل الله، وانتدب الله**) بمعنى واحد، ومحصله تحقيق الوعد المذكور في قوله تعالى (**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ**) وذلك

التحقيق على وجه الفضل منه سبحانه وتعالى، وقد عبر ﷺ عن الله سبحانه وتعالى بتفضله بالثواب بلفظ الضمان ونحوه مما جرت به عادة المخاطبين فيما تطمئن به نفوسهم " وقال أيضا: " قوله **(أن يدخله الجنة)** أي بغير حساب ولا عذاب، أو المراد أن يدخله الجنة ساعة موته كما ورد أن أرواح الشهداء تسرح في الجنة، وبهذا التقرير يندفع إيراد من قال ظاهر الحديث التسوية بين الشهيد والراجع سالما، لإن حصول الاجر يستلزم دخول الجنة، ومحصل الجواب أن المراد بدخول الجنة دخول خاص " انتهى كلامه.

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (قال النبي ﷺ يوم بدر **(قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض)** قال: يقول عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله جنة عرضها السماوات والأرض ! قال: **(نعم)** قال: بخ بخ، فقال رسول الله ﷺ: **(ما يحملك على قولك بخ بخ ؟)** قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: **(فإنك من أهلها)** فأخرج تمرات من قرنه، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، قال: فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل) رواه مسلم.

- عن ابن عباس رضي الله عنه أن عمر رضي الله عنه رد على أبي سفيان يوم أحد فقال: (قال عمر: لا سواء، قتلانا في الجنة، وقتلاكم في النار) رواه أحمد والحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي وفيه عبد الرحمن بن أبي الزناد وقد وثق على ضعفه، وصححه الألباني في فقه السيرة.

- روى البخاري عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه في حواره مع عامل كسرى قال: (وأخبرنا نبينا ﷺ عن رسالة ربنا أنه من قتل منا صار إلى الجنة في نعيم لم ير مثلها قط).

- عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: **(يضحك الله إلى رجلين، يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل، ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد)** رواه البخاري.

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن أم الربيع بنت البراء وهي أم حارثة بن سراقة أتت النبي ﷺ فقالت: يا نبي الله ألا تحدثني عن حارثة – وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب – فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء ؟ قال: **(يا أم حارثة إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى)** رواه البخاري.

- عن جابر رضي الله عنه قال: قال رجل: أين أنا يا رسول الله إن قتلت ؟ قال: (**في الجنة فألقى تمرات كن في يده ثم قاتل حتى قتل**) رواه مسلم.

- وعن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه قال: (خطب رسول اللّه – ﷺ – فذكر الجهاد، فلم يفضل عليه شيئًا إلا المكتوبة، فقام رجل فقال: يا رسول اللّه، أرأيت إن قتلت في سبيل اللّه– تعالى– أين أنا ؟ فقال رسول اللّه ﷺ كفه (**إن قتلت في سبيل الله صابرًا محتسبًا مقبلا غير مدبر فأنت في الجنة**) قال: ورأينا أنه ينزل عليه، فلما أدبر الرجل دعاه فقال له: (**إلا أن يكون عليه دين ؟ فإنه مأخوذ بدينه، كذلك زعم جبريل– عليه السلام**)) رواه عبد بن حميد في مسنده، ورواه مسلم بغير هذا اللفظ.

- وقال تعالى: (**وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**) عن مسروق قال سألنا عبد الله – يعني ابن مسعود– عن هذه الآية (**وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**) قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك – يعني رسول الله ﷺ – فقال: (**أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوى إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة، فقال: هل تشتهون شيئا ؟ قالوا: أي شئ نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا**) رواه مسلم.

- وعن سهل بن حنيف رضي الله عنه في حديث صلح الحديبية وفيه (فجاء عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله ألسنا على الحق وهم على الباطل ؟ فقال: (**بلى**) فقال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار ؟ **قال**: (**بلى**) رواه البخاري.

- عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال: (لما ارتد من ارتد على عهد أبي بكر أراد أبو بكر أن يجاهدهم، فقال له عمر: أتقاتلهم وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله حرم ماله ودمه إلا بحقه وحسابه على الله**) فقال له أبو بكر: ألا أقاتل من فرق بين الصلاة والزكاة والله لأقاتلن من فرق بينهما حتى أجمعهما، فقال عمر: فقاتلنا معه، فكان والله رشدا، فلما ظفر بمن ظفر به منهم، قال: اختاروا بين خطتين إما الحرب المجلية، وإما الخطة

المخزية، قالوا: هذه الحرب المجلية قد عرفناها فما الخطة المخزية ؟ قال: تشهدون على قتلانا أنهم في الجنة، وعلى قتلاكم أنهم في النار ففعلوا) رواه ابن أبي شيبة.

- ورد عن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري قال: (سمعت أبي بحضرة العدو يقول: قال رسول الله ﷺ: **(إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف)** فقال رجل من القوم رث الهيئة: أأنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ يذكره ؟ قال: نعم، فرجع إلى أصحابه فقال: أقرأ عليكم السلام، وكسر جفن سيفه فضرب به حتى قتل) رواه مسلم والترمذي.

وورد عن ابن أبي أوفى عن النبي ﷺ قال: **(الجنة تحت ظلال السيوف)** رواه البخاري.

ومثله ما ورد عن عمار بن ياسر عند الطبراني بسند صحيح – كما قال الحافظ – أنه قال يوم صفين: (الجنة تحت الأبارقة) قال الحافظ في الفتح " والصواب البارقة وهي السيوف اللامعة ".

ومعنى ذلك أن القتل والشهادة سبب لنيل الجنة، وذلك يكون عندما يعلو سيف العدو على المؤمن المجاهد لكي يقتله العدو، وحينئذ يكون للسيوف ظل على المؤمن المجاهد، ويكون ذلك سبب لدخول الجنة، فيدخل الجنة إلى نعيم عظيم مقيم لم يسبق أن مر عليه أو على أحد قبله مهما بلغ في النعيم، كما قال المغيرة: (إلى جنة ونعيم لم ير مثله قط) وهذا كقوله ﷺ عن الله تعالى: **(أعددت لعبادي ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)**.

إلى غير ذلك من الأدلة الكثيرة الدالة على أن الشهيد يكون في الجنة حالا من حين يقتل.

وقد أكد الله هذا الفضل للشهيد بعدة مؤكدات:

١. أنه كتبه وعدا على نفسه يوفيه لعباده المؤمنين في ثلاث كتب، في التوراة والانجيل والقرآن كما في آية شراء أنفس المؤمنين السابقة.

٢. أنه ذكر ذلك أنه لا أحد أوفى بعهده من الله، فلا يخاف من عدم الوفاء إذا كان من وعد هو الله، فإنه يوفي بما وعد أتم الوفاء وأزيد.

٣. أنه أمر بالاستبشار بالمبايعة والسرور بها، فإنها ستتم كما وعد.

٤. أنه أتى في حديث أبي هريرة السابق بلفظ الضمان والكفالة والانتداب، وكلها تتضمن الوفاء بما ضمن وكفل.

وهذا هو القول الصحيح الحق في المسألة والذي عليه أكثر العلماء، وأن روح الشهيد في الجنة حالا من حين يقتل.

وروي عن مجاهد أنه قال: ليس الشهداء في الجنة، ولكنهم يرزقون منها، فروى آدم ابن أبي إياس حدثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى: ((**وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ)** الآية قال يقول: أحياء عند ربهم يرزقون من ثمر الجنة وليسوا فيها) رواه الطبراني وابن أبي حاتم في التفسير.

وروى ابن المبارك عن ابن جريج عن مجاهد قال: ليس هم في الجنة، ولكن يأكلون من ثمارها ويجدون ريحها.

وقد يستدل لهذا القول بما روى الإمام أحمد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (**الشهداء على بارق نهر بباب الجنة، في قُبة خضراء، يَخْرُج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا)** ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي رجال أحمد ثقات.

وبارق هنا اسم للنهر الذي على باب الجنة قاله مجموعة من العلماء منهم الشيخ عبد الله عزام في أحد كتبه، وقال في كتاب التربية والبناء في تفسير بارق: " أي نهر له بريق من صفائه وحسنه يلمع كالنور على بارق نهر، يعني على نهر بارق لامع بباب الجنة " انتهى كلامه.

فهذا الحديث يفيد أن النهر خارج الجنة، وأن الشهداء عليه.

وهذا القول من مجاهد مردود بالأدلة الكثيرة السابقة، وأما بالنسبة لحديث ابن عباس فقد أجيب عنه بأجوبة منها:

١. أن هذا الحديث في الشهداء الذين عندهم ما يحبسهم عن الجنة كالدين، فإنهم يكونون على هذا النهر، ولا يدخلون الجنة، ويفضلون على بقية المؤمنين بأنهم يكونون عند باب الجنة ويرزقون منها، وهذا القول هو المرجح، وقد سبق بيانه في الشروط والموانع.

٢.أن هذا الحديث محمول على شهداء الآخرة، ممن أطلق عليه لفظ الشهيد بسبب من الأسباب غير القتل في سبيل الله كالمبطون والمطعون وغيره، فإن الأحاديث السابقة التي تثبت دخول الشهيد للجنة كلها في المقتول في سبيل الله.

٣. أن الشهداء أقسام منهم من تسرح أرواحهم في الجنة، وهم خواص الشهداء، ومنهم من يكون على هذا النهر بباب الجنة، وهم عوام الشهداء.

قال ابن النحاس في المشارع: " والظاهر أن أرواحهم عند الله على رتب في المكان كما أنهم في على رتب في المكانة، فمنهم من روحه في جوف طير أخضر يرعى في الجنة ويأوي إلى قناديل في ظل العرش كما يأتي ذلك في الأحاديث الصحيحة إن شاء الله، ومنهم من هو على بارق نهر بباب الجنة ويخرج إليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا كما تقدم في حديث ابن عباس، ومنهم من يطير مع الملائكة في السماء وفي الجنة حيث يشاء كما يأتي إن شاء الله في جعفر بن أبي طالب، ومنهم من هم على أسرة في الجنة كما يأتي في حديث ابن رواحة وصاحبيه، وإنما تفاوتت منازل أرواحهم لتفاوت رتب إخلاصهم وسماحة أنفسهم بأنفسهم، وما كانوا عليه قبل حصول الشهادة من رتب الإسلام والإيمان والإحسان " انتهى كلامه، ولكن الأحاديث السابقة عامة في جميع الشهداء فترد هذا القول.

٤. قال ابن كثير في تفسيره: " وقد يحتمل أن يكون منتهى سيرهم إلى هذا النهر يجتمعون هناك ويغدى عليهم برزقهم ويراح والله أعلم " انتهى كلامه.

وأما أرواح عامة المؤمنين فقد اختلف العلماء فيها على قولين:

١. أن أرواحهم تكون في الجنة من حين موتهم، وتكون طائرا يعلق ويأكل من ثمر الجنة حتى يبعثه الله يوم القيامة ويرجع إلى جسده، ويستدلون بما رواه كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: **(إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله تبارك وتعالى إلى جسده يوم يبعثه)** رواه أحمد وإسناده صحيح، ومعنى يعلق: أي يأكل.

وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية كما في الفتاوى، واستدلوا أيضا بأدلة أخرى ليس هذا موضع بسطها.

وأصحاب هذا القول يفرقون بين عامة المؤمنين والشهداء في دخول الجنة، فلا يجعلون عامة المؤمنين في الجنة كحال الشهداء فيها، بل الشهداء أفضل حالا وأنعم وأكمل منهم من وجوه كثيرة وفيرة.

قال ابن كثير في تفسيره بعد ذكر حديث (**نسمة المؤمن**) قال: " وفي هذا الحديث أن روح المؤمن تكون على شكل طائر في الجنة، وأما أرواح الشهداء فكما تقدم في حواصل طير خضر، فهي كالكواكب بالنسبة إلى أرواح عموم المؤمنين، فإنها تطير بنفسها " انتهى كلامه.

قال ابن رجب في أهوال القبور: " والفرق بين حياة الشهيد وغيرهم من المؤمنين الذين أرواحهم في الجنة من وجهين:

أحدهما: أن أرواح الشهداء يخلق لها أجساد وهي الطير التي تكون في حواصلها، ليكمل بذلك نعيمها، ويكون أكمل من نعيم الأرواح المجردة عن الأجساد، فإن الشهداء بذلوا أجسادهم لتقتل في سبيل الله فعوضوا عنها بهذه الأجساد في البرزخ.

الثاني: أنهم يرزقون من الجنة وغيرهم لم يثبت له في حقه مثل ذلك، فإنه جاء أنهم يعلقون في شجر الجنة وروي يعلقون بفتح اللام وضمها فقيل: إنهما بمعنى، وأن المراد الأكل من الشجر قاله ابن عبد البر، وقيل رواية الضم معناها الأكل، ورواية الفتح معناها التعليق ذكره ابن الجوزي، وبكل حال فلا يلزم مساواتهم للشهداء في كمال تنعمهم في الأكل والله أعلم " انتهى كلامه.

٢. وذهب بعض العلماء إلى أن أرواح المؤمنين لا تكون في الجنة، ولا تدخل الجنة إلا في الآخرة، وإنما يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي، ولا يدخل الجنة في البرزخ إلا الأنبياء والشهداء، واستدلوا بما روى أحمد والبخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: (**إذا مات أحدكم عرض عليه معقده غدوة وعشية إن كان من أهل الجنة فمن الجنة، وإن كان من أهل النار فمن النار، يقال هذا مقعدك حتى تبعث إليه يوم القيامة**).

وأصحاب هذا القول اختلفوا أين تكون أرواحهم، فقيل: إنها تستقر على أفنية القبور، وقيل: أنها تكون في برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت، وقيل غير ذلك، وحملوا حديث نسمة المؤمن على الشهيد، لورود التقييد به في بعض الروايات، وعلى هذا القول يظهر فضل الشهيد على غيره من عامة المؤمنين أكثر.

ومما يستأنس به في هذا المقام ما قاله المناوي في الفيض: " حكى النووي في بستانه أن الفقيه محمد النووي مات، فقرأ له ختمة قرآن، فرآه فقال: له أنت في الجنة ؟ قال: اليوم لا ندخلها بل نتنعم في غيرها، وإنما ندخلها بعد الساعة، فلا يدخلها اليوم إلا الأنبياء والشهداء " انتهى كلامه.

وهذا الفضل غير الفضل السابق ذكره أنه يرى مقعده من الجنة، فرؤية المقعد تكون قبل الموت، وهذا الفضل يكون بعد الموت، ويكون رؤية ومباشرة داخل الجنة.

وأيضا فالشهيد يدخل الجنة مآلا في الآخرة، فإنه إذا ثبتت الجنة للشهيد حالا فهي ثابتة له في المآل وفي الآخرة، فهو مقطوع له أيضا بدخول الجنة في الآخرة، ولا شك في ذلك، والأدلة على ذلك هي الأدلة السابقة فهي عامة تدل على دخولها في الحال والمآل.

قال ابن النحاس في المشارع: " ومنها – أي من فضائل الشهيد – أن الشهادة الخالصة في سبيل الله توجب دخول الجنة قطعا..." ثم أخذ يسرد الأدلة في ذلك، ودخول الجنة للشهيد دخول مميز لا يكون معه حساب ولا عذاب، ودخول سريع فهو من أوائل من يدخلون، ودخول عالي في الدرجة، وسيأتي بيانه إن شاء الله.

قال الطبري في تاريخه في أحداث مائة وثلاث عشرة: " فمما كان فيها من ذلك هلاك عبد الوهاب بن بخت –وهو مع البطال عبد الله– بأرض الروم، فذكر محمد بن عمر عن عبد العزيز بن عمر أن عبد الوهاب بن بخت غزا مع البطال سنة مائة وثلاثة عشر، فانهزم الناس عن البطال وانكشفوا، فجعل عبد الوهاب يكر فرسه وهو يقول: ما رأيت فرسا أجبن منه وسفك الله دمي إن لم أسفك دمك، ثم ألقى بيضته عن رأسه وصاح: أنا عبد الوهاب بن بخت أمن الجنة تفرون ؟ ثم تقدم في نحور العدو فمر برجل وهو يقول واعطشاه، فقال تقدم الري أمامك، فخالط القوم فقتل وقتل فرسه "انتهى.

قال ابن الخطيب في الإحاطة في أخبار غرناطة عن سليمان بن موسى الكلاعي: " كان أبداً يقول إن منتهى عمره سبعون سنة لرؤيا رآها في صغره، فكان كذلك، واستشهد في الكائنة على المسلمين بظاهر أنيشة على نحو سبعة أميال منها؛ لم يزل متقدماً أمام الصفوف زحفاً على الكفار، مقبلاً على العدو، ينادي بالمنهزمين من الجند: أعن الجنة تفرون ؟ حتى قتل صابراً محتسباً، غداة يوم الخميس لعشر بقين من ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وستمائة " انتهى.

الفضيلة الثامنة والأربعون: الشهيد يرزق في الجنة:

قد أعد الله في الجنة من أنواع النعيم من المأكولات والمشروبات والأرزاق والثمار والأنهار شيئا يعجز اللسان عن وصفه، فهناك أنهار الخمر، وهناك أنهار العسل، وأنهار اللبن، وأنهار الماء، وهناك الأشربة الطيبة، والعيون الجارية من شراب التسنيم والكافور والزنجبيل وغيرها، وهناك الأشجار الدانية، واللحوم الناعمة المشتهاة، والفواكه المتخيرة والكبيرة كما ورد أنها كقلال هجر وإذا قطفت أبدلت أخرى مكانها مباشرة، فلا تنقطع، وأنها من شجر عظام فيها من النعيم والظل ما لا يحيطه الوصف، فقد ورد أن الشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها، وهناك سائر المتع وغير ذلك مما لا يحده الكلام ولا الكتاب.

والشهيد حي عند ربه وهو في الجنة، ومع كونه فيها فهو ينال من أرزاقها ما يشاء، فيشرب من أنهارها وينغمس فيها، ويأكل من ثمارها، وأنواع لذاتها ما تشتهيه نفسه وتلتذ به، كما قال تعالى: ﴿**بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾ **آل عمران.**

ومما جاء من الأحاديث في رزق الشهيد حديث ابن عباس الذي سبق قال ﷺ: (**لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مطعمهم ورأوا حسن منقلبهم...**) رواه أبو داود والحاكم، وصححه، وصححه أحمد شاكر، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**بينا أنا نائم إذ أتاني رجلان... ثم انطلق بي فإذا بغلمان يلعبون بين نهرين فقلت: من هؤلاء ؟ قال: هؤلاء ذراري المؤمنين ثم شرف لي شرف فإذا أنا بثلاثة نفر يشربون من خمر لهم قلت: من هؤلاء ؟ قال: هؤلاء جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة**) رواه الحاكم، وقال صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

وروى ابن المبارك عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: (الشهداء في قباب من رياض بفناء الجنة، يبعث لهم حوت وثور يعتركان، فيلهون بهما، فإذا اشتهوا الغداء عقر أحدهما صاحبه، فأكلوا من لحمه، يجدون في لحمه طعم كل طعام في الجنة، وفي لحم الحوت طعم كل شراب) وإسناده حسن.

وعن أنس رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ تعجبه الرؤيا الحسنة، فربما قال: **(هل رأى أحد منكم رؤيا ؟)** فإذا رأى الرجل رؤيا سأل عنه، فإن كان ليس به بأس كان أعجب لرؤياه إليه، قال: فجاءت امرأة فقالت: يا رسول الله رأيت كأني دخلت الجنة، فسمعت بها وجبة ارتجت لها الجنة، فنظرت فإذا قد جيء بفلان بن فلان وفلان بن فلان، حتى عدت اثنى عشر رجلا، وقد بعث رسول الله ﷺ سرية قبل ذلك، قالت: فجيء بهم عليهم ثياب طلس تشخب أوداجهم، قال فقيل: اذهبوا بهم إلى نهر البيدخ أو قال إلى نهر البيدج، قال: فغمسوا فيه، فخرجوا منه وجوههم كالقمر ليلة البدر، قال: ثم أتوا بكراسي من ذهب فقعدوا عليها وأتي بصحفة أو كلمة نحوها فيها بسرة فأكلوا منها، فما يقلبونها لشق إلا أكلوا من فاكهة ما أرادوا، وأكلت معهم، قال: فجاء البشير من تلك السرية، فقال: يا رسول الله كان من أمرنا كذا وكذا، وأصيب فلان وفلان، حتى عد الاثنى عشر الذين عدتهم المرأة، قال رسول الله ﷺ: **(علي بالمرأة)** فجاءت، قال: **(قصي على هذا رؤياك)** فقصت، قال هو كما قالت لرسول الله ﷺ) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي، فقد انغمسوا في هذا النهر، وأكلوا من الفاكهة ما أرادوا.

إلى غير ذلك من الأحاديث التي فيها ذكر رزق الشهيد في الجنة، فالشهيد يتقلب في أرزاق الجنة من شراب إلى شراب آخر، ومن مأكل إلى مأكل آخر، ومن متاع إلى متاع آخر، إلى أن يبعثه الله يوم القيامة، فلله درهم ما أحسن وأجمل فضائلهم وهم يجدون طيب أرزاقهم ولذتها، فإنها ليست كأرزاق الدنيا، بل أرزاق الجنة التي فيها ما لذ وطاب، لا مقطوعة ولا ممنوعة، ولا فاسدة ولا كاسدة، وهي دانية قريبة سهلة المتناول والأخذ.

وقد حكى ابن العربي في سراج المريدين الإجماع على أنه لا يتعجل الأكل والنعيم إلا الشهيد في سبيل الله، وفي هذا الإجماع نظر، وعلى حديث **(إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله تبارك وتعالى إلى جسده يوم يبعثه)** رواه أحمد، إن قلنا إنه محمول على الشهيد زال الإشكال بالنسبة لهذا الإجماع، وإن قلنا إن المقصود به روح المؤمن فيشكل على هذا الإجماع ويخالفه لأن الحديث يفيد أن روح المؤمن تأكل من شجر الجنة، وقد أجيب عنه بحمله على رواية فتح اللام في " يعلَق " ومعناه يسرح، قال ابن النحاس في المشارع: " فيكون المعنى أن روح المؤمن تطير في شجر الجنة وتسرح بينها إلى يوم القيامة، لا أنها على شكل طائر يأكل ويشرب، بخلاف روح الشهداء فإنها في

جوف طير أخضر أو على صورة طير أخضر تأكل وتشرب وتتنعم وتأوي إلى قناديل في ظل العرش كما تقدم، وهذا لم أر من ذكره، وهو يجمع بين الأحاديث المتقدمة كلها والله أعلم " انتهى كلامه.

وقال ابن عبد البر: " وفي قول ابن مسعود (تسرح في الجنة) ما يعضد رواية من روى (تعلَق) بفتح اللام، لأن معنى ذلك تسرح، ومن روى تعلق بضم اللام فالمعنى فيه عند أهل اللغة تأكل وترعى ونحو هذا " انتهى كلامه.

وأما الرواية الأخرى التي بالضم ففيها إشكال كبير، وذلك أن أرواح المؤمنين تكون بلا أجساد إلى يوم القيامة، والأرواح لوحدها لطيفة لاترتزق ولا تأكل ولا تشرب، فكيف يحمل على الأكل من ثمار الجنة.

الفضيلة التاسعة والأربعون: الشهيد يطير ويسرح في الجنة حيث شاء:

قد سبق أن ذكرنا أن الشهيد حي مرزوق في الجنة، وأنه يعطى جسد الطير وتوضع فيه روحه، وفي هذه الفضيلة نتكلم عن إتاحة الطيران للشهيد في الجنة، وأن يسرح في أي جناتها شاء.

كما جاء في حديث ابن مسعود السابق (**أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل**) رواه مسلم.

فالشهيد يسرح حيث شاء في الجنة، يسرح في قصورها ودورها، ويسرح في جناتها وبساتينها، ويسرح في أشجارها وثمارها، ويسرح في خضرتها وروضاتها، ويسرح في جوها وسمائها، ويسرح مع إخوانه الشهداء، ويطير بجناحيه حيث شاء، بلا مانع ولاحابس ولا حد، ولا تعب ولا مشقة ولا بطء في الطيران، بل هو حر طليق يطير بمرح ونشاط وفرح واغتباط، هذا مع كونه مرزوقا في كل مكان.

فمع كونه أعطي جسد الطير، أعطي الطيران، ولم يحبس في موضع واحد، ولا في جنة واحدة بل جنان، فيتاح لهم زيارة إخوانهم ممن هم أسفل منهم في المنزلة والاجتماع بهم، وبعضهم يطير مع الملائكة ومع جبريل وميكائيل في السماوات وفي الجنة كجعفر رضي الله عنه.

قال الحافظ في الفتح: " عبد الله بن جعفر قال: قال لي رسول الله ﷺ: (**هنيئا لك أبوك يطير مع الملائكة في السماء**) أخرجه الطبراني بإسناد حسن.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**رأيت جعفر بن أبي طالب يطير مع الملائكة**) أخرجه الترمذي والحاكم، وفي إسناده ضعف، لكن له شاهد من حديث علي عند ابن سعد.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**مر بي جعفر الليلة في ملأ من الملائكة، وهو مخضب الجناحين بالدم**) أخرجه الترمذي والحاكم بإسناد على شرط مسلم.

وأخرج أيضا هو والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا (**دخلت البارحة الجنة فرأيت فيها جعفرا يطير مع الملائكة**) وفي طريق أخرى عنه (**أن جعفرا يطير مع جبريل وميكائيل له جناحان عوضه الله من يديه**) وإسناد هذه جيد.

وطريق أبي هريرة في الثانية قوى إسناده على شرط مسلم " انتهى كلامه.

وقد روى البخاري أن ابن عمر رضي الله عنهما كان إذا سلم على ابن جعفر قال: (السلام عليك يا ابن ذي الجناحين).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (**رأيت جعفر بن أبي طالب ملكا يطير في الجنة، ذا جناحين يطير منها حيث شاء، مقصوصة قوادمه بالدماء**) رواه الطبراني بإسنادين أحدهما حسن كما قال ابن النحاس.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (**مر بي جعفر الليلة في ملأ من الملائكة وهو مخضب الجناحين بالدم، أبيض الفؤاد**) رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي وابن حجر.

وإبقاء الدم هنا على جناحيه إبقاء لهذا الأثر وشرف له على الخلق، قال ابن النحاس في المشارع: " قوادم الطير مقاديم ريشه وهي عشرة في كل جناح، الواحدة قادمة " انتهى كلامه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (بينما رسول الله ﷺ جالس وأسماء بنت عميس قريبة منه، إذ رد السلام ثم قال: (**يا أسماء هذا جعفر بن أبي طالب مع جبريل وميكائيل وإسرافيل سلموا علينا فردي عليهم السلام، وقد أخبرني أنه لقي المشركين يوم كذا وكذا – قبل مره على رسول الله ﷺ بثلاث أو أربع – فقال: لقيت المشركين فأصبت في جسدي من مقاديمي ثلاثا وسبعين بين رمية وطعنة وضربة، ثم أخذت اللواء بيدي اليمنى فقطعت، ثم أخذت بيدي اليسرى فقطعت،**

فعوضني الله من يدي جناحين أطير بهما مع جبريل وميكائيل أنزل من الجنة حيث شئت، وآكل من ثمارها ما شئت) فقالت أسماء: هنيئا لجعفر ما رزقة الله من الخير، ولكن أخاف أن لا يصدق الناس فاصعد المنبر فأخبر به، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (**يا أيها الناس إن جعفر مع جبريل وميكائيل له جناحان عوضه الله من يديه سلم علي)** ثم أخبرهم كيف كان أمره حيث لقي المشركين، فاستبان للناس بعد اليوم الذي أخبر رسول الله ﷺ أن جعفر لقيهم، فلذلك سمي الطيار في الجنة) رواه الحاكم في مستدركه والطبراني، قال الهيثمي وفيه سعدان بن الوليد لم أعرفه وبقية رجاله ثقات.

وروى الطبراني عن سالم بن أبي الجعد قال: (أريهم النبي ﷺ في النوم، فرأى جعفرا ملكا ذا جناحين مضرجان بالدماء، وزيد مقابله على السرير) قال الهيثمي هو مرسل ورجاله رجال الصحيح.

فإن قيل ما الفرق بين جعفر وإعطاؤه للجناحين يطير بهما وبين طيران الشهيد بجسده الطائر ؟

الجواب: أن جعفر ميز على عامة الشهداء لفقده يديه في سبيل الله بإعطائه الجناحين، فهذا يدل على أن الجناحين اللذان أعطيهما جعفر أفضل من جسد الشهيد الطائر، وإن كان الجميع يطير، وإن كان الجميع في فضل، لكن جناحي جعفر أفضل لمزيد تضحيته على مطلق تضحية الشهيد، ولهذا خص في الحديث بطيرانه مع الملائكة أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع ويزيد الله في الخلق ما يشاء والذين عرفوا بكبر الأجنحة وعظمتها وكثرتها أيضا.

وهذا يكون في الدنيا في تمايز الطيور، فطيران الصقر وجناحيه ليس كطيران طير الحمامة وجناحيها، وهذا لا ينقص فضل الشهيد في طيرانه ولكن لتقريب الصورة، وإلا فطيران الشهيد كاف لوحده فضيلة كيف كان هذا الطيران، فكيف إذا كان بجسد من الجنة وفي الجنة.

وهذه الفضيلة غير فضيلة الحياة والجسد الذي يعطاه الشهيد بل أمر زائد عليهما، فيالها من فضيلة عظيمة.

الفضيلة الخمسون: الشهيد يأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في العرش:

بعد أن ذكرنا لك يا أخي أن الشهيد يطير ويسرح في الجنة حيث شاء، نذكر لك فضيلة أخرى عظيمة تدل على عظم منزلة الشهيد ومحبة الله تعالى وتشريفه له، حيث أنه يأوي في ختام سرحانه وطيرانه في الجنة إلى مساكن من ذهب تكون معلقة في عرش الرحمن الذي هو أقرب المخلوقات إليه وأعظمها خلقا، ليحصل له بذلك القرب من الله تعالى، وينالوا الشرف العظيم في أن تكون مساكنهم في عرش الإله الذي يستوي عليه، وزيادة على هذا أن هذه المساكن من ذهب.

كما جاء في حديث ابن مسعود السابق في الشهداء: **(أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوى إلى تلك القناديل)** رواه مسلم، وفي حديث ابن عباس السابق في الشهداء **(وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش)** رواه أبو داود والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

وقوله في الرواية الأخرى في حديث ابن عباس **(في ظل العرش)** لاينافي أنها معلقة في العرش فإنها تعلق تحت العرش، وتكون في هذه الحال في ظل العرش.

وعبر عنها بالقناديل من شدة نورها وإضاءتها.

فياله من فضل لو كان للناس عقل، فهذه المساكن والقرب أعظم من نعيم الجنة بأسرها، ولو لم يكن للشهيد في البرزخ فضل إلا هو لكفى به فضلا وتشريفا، فكيف بالفضائل والكرامات الأخرى التي لا تعد ولا تحصر، ويالحسن ذلك الختام الذي يختم به الشهيد جولته وسرحانه وتنعمه في الجنة، وهذه القناديل هي سوى ما أعد له من القصور والدور، بل هي فضل آخر سواها يكون له في البرزخ.

قال الإمام ابن القيم –رحمه الله– في كتاب الروح:"...إن منازل الشهداء ودورهم وقصورهم التي أعد الله لهم ليست هي تلك القناديل التي تأوي إليها أرواحهم في البرزخ قطعًا، فهم يرون منازلهم ومقاعدهم من الجنة، ويكون مستقرهم في تلك القناديل المعلقة بالعرش، فإن الدخول التام الكامل إنما يكون يوم القيامة، ودخول الأرواح الجنة في البرزخ أمر دون ذلك..." انتهى.

الفضيلة الحادية والخمسون: الشهيد يرى الله تعالى ويجتمع مع الرسول ﷺ والأنبياء في البرزخ:

من عقيدة أهل السنة والجماعة أن رؤية الله تعالى في الدنيا أمر ممتنع على بني آدم كما قال تعالى خطابا لموسى عندما طلب منه الرؤية **(لن تراني)**.

وقال ﷺ: **(تعلمون أنه لن يرى أحد منكم ربه حتى يموت)** رواه مسلم والترمذي عن بعض أصحاب النبي ﷺ.

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أيضا أن الله تعالى يرى في الآخرة، ويراه المؤمنون في الجنة رؤية نعيم ولذة، والأدلة على ذلك كثيرة جدا، وقد سردها ابن القيم وغيره.

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أن الله تعالى قد يرى في حياة البرزخ، ويدل على ذلك الحديث السابق في قوله **(لن يرى أحد منكم ربه حتى يموت)** فهو علق غاية الرؤية بالموت، فيدل على أن الرؤية قد تقع بعد الموت وقبل الآخرة، ويدل أيضا على ذلك ما سيأتي من أدلة رؤية الشهيد لله تعالى.

قال ابن كثير في تفسيره على قوله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ** ﴾ الشورى، قال: " في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لجابر بن عبد الله: **(ما كلم الله أحدا إلا من وراء حجاب وإنه كلم أباك كفاحا)** الحديث وكان أبوه قد قتل يوم أحد ولكن هذا في عالم البرزخ، والآية إنما هي في دار الدنيا " انتهى كلامه.

ورؤية الله تعالى أعظم نعيم أهل الجنة وألذه، ولا يقارن به أي نعيم من القصور والحور والولدان وغيرها، فإن أهل الجنة إذا رأوا الله تعالى وتجلى لهم نسوا ما كانوا فيه من النعيم، كما قد جاءت بذلك الأحاديث والأدلة، فلا نعيم يوازيه ويساويه، وهذه هي الغاية التي سما إليها المحبون، واحترق لأجلها المشتاقون، وضحى لها بالنفوس والأموال المجاهدون، فياله من نعيم ما ألذه وأطيبه، ففيه رؤية الجميل الذي يحب الجمال، وخالق الجمال، ومعطي الجمال، ومن أعظم فضائل الشهيد في البرزخ هو أنه يتاح له رؤية الجميل الجليل، ويعطى ذلك قبل الآخرة وترفع الحجب له حتى يرى الله تعالى.

والدليل على ذلك ما جاء عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: لقيني رسول الله ﷺ فقال لي: **(يا جابر ما لي أراك منكسرا ؟)** قلت: يا رسول الله استشهد أبي، قتل يوم أحد، وترك عيالا ودينا، قال **(أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك ؟)** قال قلت: بلى يا رسول الله قال: **(ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب، وأحيا أباك فكلمه كفاحا فقال: يا عبدي تمن علي أعطك، قال: يا رب تحييني**

فأقتل فيك ثانية، قال الرب عز وجل: إنه قد سبق مني أنهم إليها لا يرجعون قال: وأنزلت هذه الآية (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا) الآية) رواه الترمذي، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي.

فهذا فضل ناله الشهيد عبد الله بن حرام رضي الله عنه، وكلمه الله تعالى مواجهة ورؤية بلا حجاب ولا واسطة، والصحيح عدم خصوصية عبد الله بن حرام بهذا الفضل، بل يعم هذا الفضل غيره من الشهداء لأدلة أخرى.

فقد ورد أدلة أخرى تدل على عموم هذا الفضل للشهداء، فمن ذلك حديث ابن مسعود المتقدم وفيه (فقال: **(أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوى إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة، فقال: هل تشتهون شيئا ؟ قالوا: أي شئ نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا)** رواه مسلم.

فقوله في الحديث **(فاطلع إليهم ربهم اطلاعة)** يفيد أنه يظهر لهم ويرونه، فإن الاطلاع والطلع يفيد في اللغة الظهور والرؤية، قال القرطبي في المفهم " قوله **(فاطلع إليهم ربهم اطلاعة)** أي تجلى لهم برفع حجبهم، وكلمهم مشافهة بغير واسطة، مبالغة في الإكرام وتتميما للإنعام " انتهى كلامه، وهذا يفيد الاطلاع على عموم الشهداء، وأيضا الخطاب الذي خوطب به هؤلاء الشهداء على العموم هو نفس الخطاب الذي وجه لابن حرام.

ومما يدل على عموم رؤية الشهداء لله تعالى في البرزخ، ما جاء عن أنس رضي الله عنه قال (بعث النبي ﷺ أقواما من بني سليم إلى بني عامر في سبعين، فلما قدموا قال لهم خالي: أتقدمكم فإن أمنوني حتى أبلغهم عن رسول الله ﷺ، وإلا كنتم مني قريبا، فتقدم فأمنوه، فبينما يحدثهم عن النبي ﷺ إذ أومؤوا إلى رجل منهم فطعنه فأنفذه، فقال: الله أكبر فزت ورب الكعبة، ثم مالوا على بقية أصحابه فقتلوهم إلا رجلا أعرج صعد الجبل – قال همام فأراه آخر معه – فأخبر جبريل عليه السلام النبي ﷺ أنهم قد لقوا ربهم فرضي عنهم وأرضاهم، فكنا نقرأ: أن بلغوا قومنا أن لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا) رواه البخاري.

فقوله في الحديث (لقينا ربنا) و (لقوا ربهم) يفيد أنه رأوا الله تعالى، فإن اللقاء في اللغة لا يطلق إلا مع الرؤية بالعين، ولهذا استدل شيخ الإسلام وابن القيم بالأدلة التي فيها ذكر لقاء الله تعالى في القرآن على إثبات رؤية الله تعالى يوم القيامة.

قال شيخ الإسلام في المجموع: " أما اللقاء فقد فسره طائفة من السلف والخلف بما يتضمن المعاينة والمشاهدة بعد السلوك والسير، وقالوا إن لقاء الله يتضمن رؤيته سبحانه وتعالى، واحتجوا بآيات اللقاء على من أنكر رؤية الله في الآخرة من الجهمية كالمعتزلة وغيرهم " انتهى كلامه.

وقال ابن القيم في حادي الأرواح: " الدليل الثاني قوله تعالى **(واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه)** وقوله تعالى: **(تحيتهم يوم يلقونه سلام)** وقوله تعالى: **(فمن كان يرجو لقاء ربه)** وقوله تعالى: **(قالوا الذين يظنون انهم ملاقوا الله)** وقوله تعالى: **(فمن كان يرجو لقاء ربه)** وأجمع أهل اللسان على أن اللقاء متى نسب إلى الحي السليم من العمى والمانع اقتضى المعاينة والرؤية " انتهى.

وهذا من أعظم الفضائل والكرامات أن يكرم الشخص ويعجل له رؤية الله تعالى في البرزخ ويتلذذ بذلك مع تلذذه بنعيم الجنة الذي لا يقارن بلذة رؤية الله تعالى.

وأيضا من فضائل الشهيد العظيمة الشريفة والتي يشرف بها لقياه واجتماعه بخير الخلق محمد ﷺ والأنبياء في البرزخ في الجنة، وذلك أن الشهيد حي يرزق في الجنة في حياة البرزخ، والأنبياء كذلك أحياء يرزقون في الجنة كما سبق بيانه في فضيلة الحياة فيمكن الشهيد من الاجتماع بهم ولقياهم ورؤيتهم ومرافقتهم في الجنة في البرزخ قبل الآخرة، وكفى بذلك شرفا للشهيد وفضيلة وعظمة له أن يرى الرسول ﷺ أفضل الخلق ومحبوبهم ويجتمع به وبالأنبياء ويطفئ جمرة شوقه برؤيتهم، ويتشرف بلقياهم ومرافقتهم، وقد قال عمار بن ياسر رضي الله عنهما يوم صفين في اليوم الذي أصيب فيه " اليوم نلقى الأحبة، محمدا وحزبه " رواه الطبراني في الأوسط.

فأين من قال فيهم رسول الله ﷺ: **(من أشد أمتي لي حبا، ناس يكونون بعدي، يود أحدهم لو رآني بأهله وماله)** رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وأين الغافلين عن الشهادة، أين العشاق، أين المحب والمشتاق، أين الحنين والأشواق، أين الموقنين من الأعماق، أين أنتم من الشهادة ؟

فيها يلقى المحب حبيبه ويراه، ويقرب منه ويسمع كلامه وخطابه في علاه، وينال من بره وإحسانه أكثر مما تمناه، وتطفئ جمرة الشوق برؤية الحبيب ولقاه.

الفضيلة الثانية والخمسون: الرب يخاطب الشهيد في البرزخ ويسمع الشهيد كلامه:

بعد أن ذكرنا لك يا أخي أن الشهيد يرى الله في البرزخ بلا حجاب نذكر لك فضلا زائدا وعظيما للشهيد في البرزخ، وهو أن الله تعالى يخاطبه ويسمع الشهيد كلامه بلا واسطة بينهما ولا حجاب بل مع الرؤية، والدليل على ذلك حديث ابن مسعود المتقدم في الشهداء وفيه (فقال: (**أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة، فقال: هل تشتهون شيئا ؟ قالوا: أي شئ نشتهى ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة اخرى، فلما رأى ان ليس لهم حاجة تركوا**) رواه مسلم.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: لقيني رسول الله ﷺ فقال لي: (**يا جابر ما لي أراك منكسرا ؟**) قلت: يا رسول الله استشهد أبي، قتل يوم أحد، وترك عيالا ودينا، قال: (**أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك ؟**) قال قلت: بلى يا رسول الله، قال: (**ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب، وأحيا أباك فكلمه كفاحا فقال: يا عبدي تمن علي أعطك، قال: يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية، قال الرب عز وجل: إنه قد سبق مني أنهم إليها لا يرجعون) قال: وأنزلت هذه الآية) ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا) الآية)** رواه الترمذي، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي.

فيا له من فضل عظيم، أن يخاطبك العظيم الجبار الجميل الجليل بنفسه، ويوجه إليك خطابه بنفسك بلا واسطة ولا رسول ولا ملك ولا وحي وتسمع كلامه وصوته، فيا لذة الأسماع بسماع ذلك الكلام والصوت والخطاب.

ولكي يتم معرفة عظمة هذا الفضل انظر إلى موسى ﷺ اختص على البشر في الدنيا بكونه كلم الله في الدنيا، وكلمه الله بلا واسطة، حتى سمي كليم الله لهذا، وذلك لعظمة هذه المنزلة.

وإذا كان الصحابة يفرحون حتى يبكون من الفرح، لأن الله تعالى سماهم لنبيه ﷺ بأسمائهم لشرف ذلك، كما حصل لأبي بن كعب رضي الله عنه، فكيف بمن يخاطبه الله بنفسه ويسمع كلامه، فيا لعظمة ذلك الفضل ويالشرف المكلَم وعظمة منزلته.

وهذا الخطاب الموجه للشهيد خطاب إنعام وتفضل ومزيد إعطاء وود، وهذا يزيد في عظمة هذا الفضل، فإنه يقول لهم في خطابه: **(هل تشتهون شيئا)** ويقول: **(تمن علي عبدي)** فيا لله ما أعظمه من خطاب وألذه.

وتقريبا لفهم عظم هذا الفضل، لننظر إلى ما قاله ابن القيم في مفتاح دار السعادة قال: " وأما نعيم أهل الجنة فشيئان: أحدهما النظر الى الله تعالى، والثاني سماع خطابه وكلامه، كما رواه عبد الله بن أحمد في المسند وغيره كأن الناس يوم القيامة لم يسمعوا القرآن إذا سمعوه من الرحمن عز وجل " ومعلوم أن سلامه عليهم وخطابه لهم ومحاضرته إياهم كما في الترمذي وغيره لا يشبهها شيء قط، ولا يكون أطيب عندهم منها، ولهذا يذكر سبحانه في وعيد أعدائه أنه لايكلمهم كما يذكر احتجابه عنهم ولا يرونه، فكلامه أعلا نعيم أهل الجنة " انتهى كلامه.

الفضيلة الثالثة والخمسون: رضا الله عن الشهيد:

من أعظم وأفضل ما يعطاه المؤمن في الجنة – وهو أعظم من الجنة ونعيمها – هو حصولهم على رضا الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ **التوبة**، أي أن رضوان الله أكبر وأجل من نعيم الجنة.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة ؟ فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم ؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك ؟ فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبدا)** رواه البخاري.

قال الحافظ في الفتح: " فيه أن الخير كله والفضل والاغتباط إنما هو في رضا الله سبحانه وتعالى وكل شئ ما عداه وإن اختلفت أنواعه فهو من أثره " انتهى كلامه.

وإذا كان الأمر كذلك، ظهر فضل الشهيد العظيم في أن الله تعالى يرضى عنه من حين يقتل ويلقاه الله تعالى بالرضا، فقد ورد حديث أنس في شهداء بئر معونة السابق (فأخبر جبريل عليه السلام النبي ﷺ أنهم قد لقوا ربهم فرضي عنهم وأرضاهم، فكنا نقرأ أن بلغوا قومنا أن لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا) رواه البخاري.

وهذا مثل قوله تعالى: ﴿**رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ**﴾ **المائدة**.

ورضا الله ينبني عليه جميع نعيم الجنة والخير، فإن هذا كله من آثار رضا الله تعالى، ومن فاز برضا الله ماذا يريد غيره ؟ وماذا يبغي ؟ وإنما تعبد العابدون، وقام المتهجدون، وصام الصائمون، وتصدق المنفقون ابتغاء رضوان الله، والشهادة في سبيل الله ترضي الله عن عبده وعن عمله وتضحيته، ولو كان أتى من الذنوب ما يسخطه ويغضبه، فإن الشهادة تثبت الرضا وترفع السخط ولا يبقى للذنب أثر معها.

ومما يميز رضا الله عن الشهيد أن هذا الرضى يكون في البرزخ قبل يوم القيامة ويسبق لهم من الله الرضا قبل الآخرة، أما بقية المؤمنين فقد سبق في الحديث أنه يحل عليهم رضوانه إذا دخلوا الجنة يوم القيامة.

الفضيلة الرابعة والخمسون: رضا الشهيد عن الله:

عندما يقتل الشهيد وتزف روحه إلى الجنة يعطى هناك من الفضائل، ويتحف بأنواع الكرامات والخصائص حتى ترضى نفسه عن الله وعطائه، بحيث إنه لا يطلب المزيد على ما هو فيه ولا يسأل الله زيادة من الفضل، مع أن الله يعطيه جميع ما يطلبه ويسأله لو سأل، ويعرض عليه ذلك، بل ويكرر عليه، ومع ذلك لا يجد الشهيد ما يسأله ويطلبه منه، لأنه أعطي جميع ما يتمناه ويطلبه بل وأضعاف ذلك، لا من الحور، ولا من الملك والقصور، ولا من النعيم والأرزاق، ولا من القرب والمحبة، ولا من الرؤية والكلام، ولا من أي شئ يخطر على البال.

عن أنس رضي الله عنه قال: (بعث النبي ﷺ أقواما من بني سليم إلى بني عامر في سبعين، فلما قدموا قال لهم خالي: أتقدمكم فإن أمنوني حتى أبلغهم عن رسول الله ﷺ، وإلا كنتم مني قريبا، فتقدم فأمنوه، فبينما يحدثهم عن النبي ﷺ إذ أومؤوا إلى رجل منهم فطعنه فأنفذه، فقال: الله أكبر فزت ورب الكعبة، ثم مالوا على بقية أصحابه فقتلوهم إلا رجلا أعرج صعد الجبل – قال همام فأراه آخر معه – فأخبر جبريل عليه السلام النبي ﷺ أنهم قد لقوا ربهم فرضي عنهم وأرضاهم، فكنا نقرأ أن بلغوا قومنا أن لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا) رواه البخاري.

وفي حديث ابن مسعود المتقدم في الشهداء (**فقال أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوى إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة، فقال: هل تشتهون شيئا ؟ قالوا: أي شئ نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا**) رواه مسلم.

قال النووي: " قوله ﷺ: (**فقال لهم الله تعالى هل تشتهون شيئا ألخ**) هذه مبالغة في إكرامهم وتنعيمهم، إذ قد أعطاهم الله ما لا يخطر على قلب بشر، ثم رغبهم في سؤال الزيادة فلم يجدوا مزيدا على ما أعطاهم، فسألوه حين رأوه أنه لابد من سؤال أن يرجع أرواحهم إلى أجسادهم ليجاهدوا ويبذلوا أنفسهم في سبيل الله تعالى ويستلذوا بالقتل في سبيله والله أعلم " انتهى كلامه من المنهاج.

وقد جاء في رواية الترمذي (**فاطلع إليهم ربك إطلاعة، فقال: هل تستزيدون شيئا فأزيدكم ؟ قالوا: ربنا وما نستزيد ونحن في الجنة نسرح حيث شئنا**).

وقال ابن القيم في الزاد في الحكم المستفادة من غزوة أحد:" ثم عزى نبيه وأولياءه عمن قتل منهم في سبيله أحسن تعزية وألطفها وأدعاها إلى الرضى بما قضاه لها، فقال: (**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**) فجمع لهم إلى الحياة الدائمة منزلة القرب منه وأنهم عنده، وجريان الرزق المستمر عليهم، وفرحهم بما آتاهم من فضله، وهو فوق الرضى بل هو كمال الرضى، واستبشارهم بإخوانهم الذين باجتماعهم بهم يتم سرورهم ونعيمهم، واستبشارهم بما يجدد لهم كل وقت من نعمته وكرامته " انتهى كلامه.

وهذا ينبيك عن ما يعطى الشهيد من الفضل، وفي هذا الفضل كرامة أخرى أن الذي يسأله الطلب وما يشتهي هو الله تعالى بنفسه، وكفى بذلك شرفا للشهيد، وأنه لا يوكّل بذلك أحدا لا ملكا ولا غيره، بل الله تعالى هو الذي يتولى سؤالهم عن ما يريدون ويشتهون، ويؤكد عليهم السؤال إكراما لهم.

الفضيلة الخامسة والخمسون: الشهيد يزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين:

قد ذكرنا لك فيما سبق يا أخي علاقة الشهيد بالحور، وعلاقة الحور بالشهيد، وأن من أول فضائل الشهيد عندما ينال الشهادة هو حضور الحور لخروج روحه وذهابهن بها معهن إلى الجنة.

وهنا فضيلة عظيمة للشهيد في البرزخ وهي أنه يزوج عند دخوله الجنة عددا كثيرا من الحور العين الباهرات الحسن والجمال، لا واحدة ولا اثنتين ولا ثلاث، بل اثنتين وسبعين حورية، وهذا أقل ماله، وإلا فقد يعطى أكثر من اثنتين وسبعين حورية أيضا بحسب عمله ومنزلته.

فعن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(للشهيد عند الله سبع خصال...ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين)** رواه أحمد، وحسنه ابن القطان في بيان الوهم والإيهام، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

فيا لله ما أعظم هذا الفضل حين يكون للرجل اثنتين وسبعين امرأة وجميعهن من أفضل النساء وأجملهن خلقا وخلقا، بلا نقص ولا عيب، ولم يرد هذا العدد إلا في الشهيد فقط.

وأما غيرهم، فقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: **(أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين على إثرهم كأشد كوكب إضاءة، قلوبهم على قلب رجل واحد، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، لكل امرئ منهم زوجتان، كل واحدة منهما يرى مخ ساقها من وراء لحمها من الحسن...)** رواه البخاري.

والمراد بهذا الحديث أن أقل مالأهل الجنة زوجتان، والشهيد أقل ماله اثنتين وسبعين زوجة، فانظر إلى الفرق بينهما تعرف ما للشهيد من الفضل والكرامة عند الله عز وجل.

قال القاري في مرقاة المفاتيح على حديث المقدام " في التقييد بالثنتين والسبعين إشارة إلى أن المراد به التحديد، لا التكثير، ويحمل على أن هذا أقل ما يعطى ولا مانع من التفضل بالزيادة " انتهى كلامه.

وزيادة على هذا أيضا أن حوريات الشهيد ليست كحوريات عامة المؤمنين في الجمال وغيره، فصفات حوريات الشهيد أعظم من صفات حوريات عامة المؤمنين كما سيأتي بيانه إن شاء الله في فضل المقربين.

فحق لمن عرف هذا الفضل أن يجهد نفسه ويتعبها في طلب الشهادة، وأن يشغل وقته في كيفية الحصول عليها.

وهنا مسألة هل يتاح للشهيد التمتع بالحور العين وجماعهن في البرزخ أم لا يتاح له ذلك إلا في الآخرة ؟

الجواب: ظواهر النصوص الشرعية تدل على أن الشهيد يتاح له التمتع بالحور العين في البرزخ، والدليل على ذلك ما سبق بيانه في فضل حضور الحور لخروج روحه من حديث يزيد بن شجرة وفيه (وتنزل إليه ثنتان من الحور العين فتنفضان عنه التراب وتقولان: مرحبا قد آن لك، ويقول هو: مرحبا قد آن لكما) وفي رواية (أنى) ومعنى (أنى) أي حان لك، ومعنى (آن) أي قرب، والأولى هي الصواب، أي حان لك ويقول حان لكما، والذي حان في هذا الوقت هو التمتع بالحور وأن يتمتعن هن به، فهن قبل كن ممنوعات من ذلك، وهو كان ممنوعا من ذلك، ولم يحل التمتع بهن إلا بالشهادة، ولا يقال إن المراد هنا من الذي قد حان رؤية الحور لأن الشهيد يرد عليهن ويقابلهن بنفس الكلام وهن كن يرينه من قبل هذا كما مر نفس حديث يزيد بن شجرة.

وأيضا فإن الشهيد في البرزخ يعطى كل ما يشتهي ويطلب غير أنه لا يعطى الرجوع إلى الدنيا، ومما يشتهي الشهيد ويطلب التمتع بالحور.

وأيضا تزويج الشهيد بالحور يقع من حين يقتل، ولا يؤخر تزويجه إلى الآخرة، كما في حديث يزيد بن شجرة السابق وفيه: " وتنزل إليه زوجتان من الحور العين تمسحان التراب عن وجهه وتقولان: قد آن لك، ويقول هو: قد آن لكما " فسماهن زوجتين.

وحديث الرجل الأسود الذي استشهد وفيه (**لقد رأيت زوجته من الحور العين نازعته جبة له من صوف تدخل بينه و بين جبته**) وقد سبق.

ومعنى التزويج هنا ليس مجرد عقد النكاح بل الإقران والضم فقد نقل ابن القيم في الحادي فقال: (وقوله تعالى: (**وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ**) قال أبو عبيدة: جعلناهم أزواجا كما يزوج النعل بالنعل،

جعلناهم اثنين اثنين، وقال يونس: قرناهم بهن وليس من عقد التزويج، قال: والعرب لا تقول تزوجت بها و إنما تقول تزوجتها، قال ابن نص: هذا والتنزيل يدل على ما قاله يونس وذلك قوله تعالى: (**فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا**) ولو كان على تزوجت بها لقال زوجناك بها، وقال ابن سلام: تميم تقول: تزوجت امرأة وتزوجت بها، وحكها الكسائي أيضا، وقال الأزهري: تقول العرب زوجته امرأة وتزوجت امرأة وليس من كلامهم تزوجت بامرأة، وقوله تعالى: (**وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ**) أي قرناهم، وقال الفراء: هي لغة في ازدشنؤة قال الواحدي: وقال أبي عبيدة في هذا احسن لأنه جعله من التزويج الذي هو بمعنى جعل الشيء زوجا لا بمعنى عقد النكاح، ومن هذا يجوز أن يقال كان فردا فزوجته بآخر كما يقال شفعته بآخر، و إنما تمتنع الباء عند من يمنعها إذا كان بمعنى عقد التزويج، قلت: ولا يمتنع أن يراد الأمران معا فلفظ التزويج يدل على النكاح كما قال مجاهد أنكحناهم الحور ولفظ الباء تدل على الاقتران والضم وهذا ابلغ من حذفها والله أعلم) انتهى.

وانظر إلى حال الشهيد قبل خروج روحه وهو في الدنيا كما سبق فإنه تنزل إليه الحوريات ويكلمنه ويباشرنه والمباشرة من الاستمتاع.

وقد أعطي الشهيد الجسد ليحصل له التنعم والتلذذ باللذات الجسدية من الأكل والشرب ومن ضمنها أيضا النكاح، ولا ينافي كون جسده طيرا أن يتمتع بالحور العين.

وظاهر كلام القرطبي في المفهم أنه لا يتاح للشهيد التمتع، فإنه قال: " أما اللذات الجسمانية فإذا أعيدت تلك الأرواح إلى أجسادها استوفت من النعيم جميع ما أعد الله لها " انتهى كلامه.

ولكن الصحيح ما ذكرناه آنفا للأدلة السابقة.

قال ابن القيم في النونية:

فاسمع صفات عرائس الجنات ثم اخـ *** ـتر لنفسك يا أخا العرفان

حور حسان قد كملن خلائقا *** ومحاسنا من أجمل النسوان

حتى يحار الطرف في الحسن الذي *** قد ألبست فالطرف كالحيران

ويقول لما أن يشاهد حسنها *** سبحان معطي الحسن والإحسان

والطرف يشرب من كؤوس جمالها *** فتراه مثل الشارب النشوان

كملت خلائقها وأكمل حسنها *** كالبدر ليل الست بعد ثمان

والشمس تجري في محاسن وجهها ** والليل تحت ذوائب الأغصان

فتراه يعجب وهو موضع ذاك من *** ليل وشمس كيف يجتمعان

فيقول سبحان الذي ذا صنعه *** سبحان متقن صنعة الإنسان

لا الليل يدرك شمسها فتغيب عن *** ـد مجيئه حتى الصباح الثاني

والشمس لا تأتي بطرد الليل بل *** يتصاحبان كلاهما أخوان

وكلاهما مرآة صاحبه إذا *** ما شاء يبصر وجهه يريان

فيرى محاسن وجهه في وجها *** وترى محاسنها به بعيان

حمر الخدود ثغورهن لآلئ *** سود العيون فواتر الأجفان

والبرق يبدو حين يبسم ثغرها *** فيضيء سقف القصر بالجدران

ولقد روينا أن برقا ساطعا *** يبدو فيسأل عنه من بجنان

فيقال هذا ضوء ثغر صاحبك *** في الجنة العليا كما تريان

لله لاثم ذلك الثغر الذي *** في لثمه إدراك كل أمان

ريانة الأعطاف من ماء الشبا *** ب فغصنها بالماء ذو جريان

لما جرى ماء النعيم بغصنها *** حمل الثمار كثيرة الألوان

فالورد والتفاح والرمان في *** غصن تعالى غارس البستان

والقد منها كالقضيب اللدن في *** حسن القوام كأوسط القضبان

في مغرس كالعاج تحسب أنه *** عالي النقا أو واحد الكثبان

لا الظهر يلحقها وليس ثديها *** بلواحق للبطن أو بدوان

لكنهن كواعب ونواهد *** فثديهن كألطف الرمان

والجيد ذو طول وحسن في بيا *** ض واعتدال ليس ذا نكران

يشكو الحليّ بعاده فله مدى الـ *** أيام وسواس من الهجران

والمعصمان فإن تشأ شبههما *** بسبيكتين عليهما كفان

كالزبد لينا في نعومة ملمس *** أصداف در دورت بوزان

والصدر متسع على بطن لها *** حفت به خصران ذا أثمان

وعليه أحسن سرة هي مجمع الـ *** ـخصرين قد غارت من الأعكان

حق من العاج استدار وحوله *** حبات مسك جل ذو الإتقان

وإذا انحدرت رأيت أمرا هائلا *** ما للصفات عليه من سلطان

لا الحيض يغشاه ولا بول ولا *** شيء من الآفات في النسوان

فخذان قد حفا به حرسا له *** فجنابه في عزة وصيان

قاما بخدمته هو السلطان بيـ *** ـنهما وحق طاعة السلطان

وهو المطاع أميره لا ينثني *** عنه ولا هو عنده بجبان

وجماعها فهو الشفا لصبها *** فالصبّ منه ليس بالضجران

وإذا يجامعها تعود كما أتت *** بكرا بغير دم ولا نقصان

فهو الشهي وعضوه لا ينثني *** جاء الحديث بذا بلا نكران

ولقد رأينا أن شغلهم الذي *** قد جاء في يس دون بيان

شغل العروس بعرسه من بعدما *** عبثت به الأشواق طول زمان

بالله لا تسأله عن أشغاله *** تلك اليالي شأنه ذو شان

واضرب لهم مثلا بصب غاب عن *** محبوبه في شاسع البلدان

والشوق يزعجه إليه وما له *** بلقائه سبب من الإمكان

وافى إليه بعد طول مغيبه *** عنه وصار الوصل ذا إمكان

أتلومه أن صار ذا شغل به *** لا والذي أعطى بلا حسبان

يا رب غفرا قد طغت أقلامنا *** يا رب معذرة من الطغيان

أقدامها من فضة قد ركبت *** من فوقها ساقان ملتفان

والساق مثل العاج ملموم يرى *** مخ العظام وراءه بعيان

والريح مسك والجسوم نواعم *** واللون كالياقوت والمرجان

وكلاهما يسبي العقول بنغمة *** زادت على الأوتار والعيدان

وهي العروب بشكلها وبدرها *** وتحبب للزوج كل أوان

وهي التي عند الجماع تزيد في *** حركاتها للعين والأذنان

لطفا وحسن تبعل وتغنج *** وتحبب تفسير ذي العرفان

تلك الحلاوة والملاحة أوجبا *** إطلاق هذا اللفظ وضع لسان

فملاحة التصوير قبل غناجها *** هي أول وهي المحل الثاني

فإذا هما اجتمعا لصب وامق *** بلغت به اللذات كل مكان

روى ابن أبي شيبة في المصنف عن نعيم ابن أبي هند قال: قال رجل يوم القادسية: اللهم إن حدبة سوداء بذيئة، فزوجني اليوم من الحور العين، ثم تقدم فقتل، قال: فمروا عليه وهو معانق رجل عظيم " أي قد قتله، وكأن حدبة هذه زوجته أو أمته.

الفضيلة السادسة والخمسون: الشهيد فرح بفضل الله تعالى:

الفرح هو السرور، والشهيد يعطى في الجنة من الفضل والنعيم ما يفرح نفسه ويسرها، ولو كان في البرزخ موت لمات من شدة فرحه بما آتاه الله من فضله.

قال تعالى عن الشهداء: ﴿ **فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾ **آل عمران**.

فهم في أبد برزخهم وحياتهم فرحين ومسرورين بما يرون من النعيم والفضائل والكرامات، ولا يزال النعيم يتجدد عليهم في كل حال، فلا يزال فرحهم متواصلا إلى يوم القيامة، لا يداخلهم حزن ولا ملل، ولا كآبة ولا كلل، ولا تنغيص ولا علل، فهم أبد دهرهم فرحين، ولو كانت عندهم هموم الدنيا وتراكمت عليهم أحزانها وغمومها قبل استشادهم فهم بعد الشهادة وبعد رؤيتهم لفضل الله لا يشعرون بتلك الهموم والأحزان، بل هم فرحين أشد الفرح كأن لم تمر بهم تلك الهموم ولا ساعة من نهار.

وقد قال تعالى عن الشهداء أنهم: ﴿ **وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ **آل عمران**، فهم يستبشرون لإخوانهم إذا استشهدوا بأنهم لا حزن عليهم، ولا يلحقهم حزن في برزخهم على ما خلفوا خلفهم، فإن الله سيحسن خلافتهم فيه، وما سيرونه من المفرحات تنسيهم حزنهم مهما بلغ عظمة، قال ابن كثير في تفسيره في تفسيره:" **(فلا خوف عليهم)** أي: بالنسبة إلى ما يستقبلونه **(ولا هم يحزنون)** أي: بالنسبة إلى ما فاتهم وتركوه وراء ظهورهم من أمر الدنيا وصنيعها، الله وليهم فيما خلفوه، وحافظهم فيما تركوه " انتهى كلامه.

فيكون هذا حال الشهداء أنهم لا يحزنون أبدا، بل إنهم في فرح دائم.

ومن عظم الفرح الذي هم فيه والنعيم أنه لا يفكر فيما خلفه من أمر الدنيا مهما كانت الظروف من فقر وغيره يلحق أهله، ولذلك إذا سئل ما يشتهي ؟ لا يذكر شيئا من أمر الدنيا وأنه خلف ذرية وأهلا أو غير ذلك، ولا يسأل الله لهم، وما ذاك إلا لما عاين من عظم النعيم، ولعلمه بأن الله سيخلفه خير خلافة، ولو أعطي في الدنيا دعوة مستجابة قبل مقتله لسأل لأهله وذريته.

وفرحهم بما آتاهم الله يدل على أنهم لا يؤتيهم الله إلا ما يحبون ويرغبون فيه ويعظم في نفوسهم، وإلا لما فرحوا به، قال ابن القيم في المدارج: " فإن فرح العبد بالشئ عند حصوله له على قدر محبة له ورغبته

فيه، فمن ليس له رغبة لا يفرحه حصوله له ولا يحزنه فواته، فالفرح تابع للمحبة والرغبة " انتهى كلامه.

وقال أيضا فيه: " والفرح بالشيء فوق الرضا به، فإن الرضا طمأنينة وسكون وانشراح، والفرح لذة وبهجة وسرور، فكل فرح راض، وليس كل راض فرحا، ولهذا كان الفرح ضد الحزن، والرضا ضد السخط، والحزن يؤلم صاحبه، والسخط لا يؤلمه إلا إن كان مع العجز عن الإنتقام، والله أعلم " انتهى كلامه.

قال ابن الخطيب في الإحاطة في أخبار غرناطة عن الشهيد محمد بن يحيى المالقي: " فقد في مصاب المسلمين يوم الناجزة بطريف شهيداً محرضاً، زعموا أن بغلة كان عليها كبت به، وأفاق رابط الجأش، مجتمع القوى، وأشار عليه بعض المنهزمين بالركوب فلم يكن عنده قوة عليه، وقال: انصرف هذا يوم الفرح، إشارة إلى قوله تعالى في الشهداء ﴿ **فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾ " انتهى كلامه.

الفضيلة السابعة والخمسون: استبشار الشهيد:

قال ابن القيم في المدارج في معنى الاستبشار: "وأما الاستبشار: فهو استفعال من البشرى. والبشارة: هي أول خبر صادق سار، و" البشرى " يراد بها أمران: أحدهما: بشارة المخبر، والثاني: سرور المخبر".

وقال أيضا فيه في التفريق بين الاستبشار والفرح: " والفرق بينه وبين الاستبشار: أن الفرح بالمحبوب بعد حصوله، والاستبشار يكون به قبل حصوله إذا كان على ثقة من حصوله، ولهذا قال تعالى: **(فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ)**" انتهى كلامه.

فهذه الفضيلة غير الفضيلة السابقة في فرح الشهيد، للفرق الذي ذكره ابن القيم بين الاستبشار والفرح.

وللشهيد ثلاث استبشارات وردت له في القرآن، ولا شك أن للشهيد أكثر، لكن نتكلم عن الوارد، فاستبشار واحد في الدنيا واثنين في البرزخ.

أما الذي في الدنيا فهو في قوله تعالى: ﴿ **فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ**﴾ في آية الشراء في التوبة فأمر الله من أراد أن يدخل في هذه الصفقة أن يستبشر بها وبالبيع الذي سيحصل ويسر، لإنه

سيثمر له النعيم والفوز العظيم في الدنيا والآخرة، قال ابن كثير في تفسيره: " فليستبشر من قام بمقتضى هذا العقد ووفى بهذا العهد بالفوز العظيم والنعيم المقيم " انتهى كلامه.

وأما الذي في البرزخ، فالأول قوله تعالى: ﴿ **وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ **آل عمران**، فالشهداء عندما يقتلون ويجدون ما هم فيه من النعمة والفضل، يتمنون هذا الفضل لأصحابهم ومعارفهم الذين في الدنيا ويحبون لهم ما يحبون لأنفسهم، فينشغلون بمصائرهم ويهتمون لها، ومن كتب الله أنه سيموت شهيدا من أصحابهم ويلحقهم في رتبتهم فإنه قد يطلع ذلك على الشهداء الذين عنده، فيستبشرون ويسرون بإخوانهم الذين لم يلحقوا بهم ولم يرزقوا الشهادة بعد بأنهم سيحصلون على الشهادة ويقدمون عليهم، وذلك بإطلاع الله لهم على ذلك.

قال السدي:" يؤتى الشهيد بكتاب فيه يقدم عليك فلان يوم كذا وكذا، ويقدم عليك فلان يوم كذا وكذا، فيسر بذلك كما يسر أهل الدنيا بقدوم غيابهم ".

وقال ابن عاشور في التحرير والتنوير على هذه الآية: " وفي هذا دلالة على أن أرواح هؤلاء الشهداء منحت الكشف على ما يسرها من أحوال الذين يهمهم شأنهم في الدنيا، وأن هذا الكشف ثابت لجميع الشهداء في سبيل الله " انتهى كلامه.

وهذا التفسير يوافق تفسير ابن القيم للاستبشار.

ومما يستأنس به في هذا المقام ما قاله أبو يحيى الليبي رحمه الله – كما في إصدار ريح الجنة في سيرة الشهيد أبي الليث الليبي رحمه الله – قال " قبل أن ننهي الجلسة نذكر بعض الرؤى التي حدثني بها الشيخ أبو الليث قبل مقتله بأشهر، من بين هذه الرؤى ولعلي ذكرتها لكم من قبل ، كان هناك أحد الأفراد الذين عاشوا معه مدة طويلة وهو الأخ عبد السلام التركستاني وكان الشيخ أبو الليث يحبه كثيراً ويمدحه في عقله وفي أخلاقه وفي خدمته أيضاً، فقتل أخونا عبد السلام التركستاني قبل الشيخ أبي الليث بثمانية أشهر تقريباً فتأثر بعد ذلك كثيراً، وقبل أن يقتل الشيخ أبو الليث بشهرين فقط قال لي: أنا رأيت رؤيا، قال لي: ولا أدرى إن كانت رؤيا أو حديث نفس، قال لي: ولكن اسمعها، فذكر الرؤيا، قال: رأى عبد السلام التركستاني – رحمه الله – وهو في السماء الدنيا وقال سألته وقلت

له: أنت ماذا تفعل هنا ؟ أنت ألست في الجنة ؟ قال لي: نعم أنا في الجنة ومنزلتي عالية فيها، قال: ولكني سمعت أنك ستأتينا قريباً وأنا جالسٌ أنتظرك " انتهى.

وقيل في معنى الآية: استبشارهم بأنهم يقولون إخواننا الذين تركنا خلفنا في الدنيا يقاتلون في سبيل الله مع نبيهم، فيستشهدون فينالون من الكرامة مثل ما نحن فيه، فيسرون ويفرحون لهم بذلك.

وهذا الاستبشار من الشهيد يدل على عظيم موضع الشهادة وفضلها الذي يلقاه الشهيد، ولهذا فإنه عندما يرى هذا الفضل العظيم يستبشر ويسر لإخوانه الذين لم يستشهدوا بعد بالفضل الذي سيلقونه إذا هم استشهدوا، ومثال ذلك لو أن رجلا كان هو وأصحابه في سفر ومشقة وصحراء وعطش وتقدم هو أصحابه وسبقهم في الطريق حتى انتهى به الطريق إلى مدينة عظيمة فيها من الخيرات وصنوف النعيم والأكل والشراب وطيب القصور والمقام الشيء العظيم، أليس إذا جاءها يفرح هو أولا لنفسه بوصوله إليها ؟ ثم يفرح لأصحابه الذين سبقهم وهم يلحقونه في الطريق ولم يصلوا بعد بما سيلقونه من النعيم والخيرات في تلك المدينة ؟ فهذا حال الشهيد، ولو أن صاحبهم الذي تقدمهم وسبقهم انتهى إلى ماء وحل وثمر قليل وظل يسير لما استبشر ذاك الاستبشار وفرح ذاك الفرح.

وقيل: إن الإشارة بالاستبشار للذين لم يلحقوا بهم إلى جميع المؤمنين وإن لم يقتلوا، ولكنهم لما عاينوا ثواب الله وقع اليقين بأن دين الإسلام هو الحق الذي يثيب الله عليه، فهم فرحون لأنفسهم بما آتاهم الله من فضله، مستبشرون للمؤمنين بأن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وأما الاستبشار الثاني في البرزخ فقوله تعالى: ﴿ **يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ **آل عمران**، فهم يستبشرون ويسرون بنعمة الله التي تتجدد عليهم كل وقت، وما يأتيهم من الإكرام الجديد كل حين، وما يأتيهم من الزيادة من الفضل الجسيم كل آن، فهذا الاستبشار في النعم المتجددة عليهم، وهذا يدل على فضل عظيم وعلى عدم ملل الشهيد في الجنة لتجدد النعم والفضائل عليه كل وقت وأنه لا يثبت على فضل واحد بل نعم وفضائل متجددة نسأل الله من فضله.

قال القرطبي في التفسير: " (**وفضل**) هذا لزيادة البيان والفضل داخل في النعمة، وفيه دليل على اتساعها وأنها ليست كنعم الدنيا، وقيل جاء الفضل بعد النعمة على وجه التأكيد " انتهى كلامه.

وعلى تفسير ابن القيم للاستبشار يدل على أنهم في كل وقت تتجدد عليهم النعم والفضل ويزيد، فهم يستبشرون بهذا التجديد والزيادة قبل حصوله وأن النعمة والفضل الذي يستبشرون به غير ماهم فيه بل نعيم جديد وزائد.

فما أعظم هذا الفضل، وما أجدر الشهادة بالطلب والاجتهاد في تحصيلها، ولو ملئت طريقها بالأنصاب والمتاعب، والمشقات والمهالك والمصاعب، أو كان فيها المخاوف والمراعب، أو انبنى على طلبها ترك الدنيا والملاهي والملاعب، فكل ذلك يهون في سبيل الحصول عليها والفوز بها.

وبالنسبة للاستبشار بعدم ضياع أجر المؤمنين فسيأتي الكلام عليه إن شاء الله.

الفضيلة الثامنة والخمسون: انغماس الشهيد في أنهار الجنة وعومانه فيها:

أنهار الجنة وما أدراك ما أنهار الجنة، أكثر ما تذكر الجنة في القرآن تذكر معها الأنهار، ولا يذكر معها شيء من النعيم سواها، وهذا يدل على أن الأنهار التي في الجنة شيء عظيم، ومن أعظم النعيم.

وهي أربعة أنهار، فأنهار من عسل مصفى، وأنهار من ماء غير آسن، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنى تكون في الدنيا هذه الأنهار ؟ وهناك أنهار أخرى كنهر الحياة ونهر البيدخ وغيرها.

وهي تجري في الجنة بقدرة الله من غير أخدود، وحوافها قباب اللؤلؤ، وأين هذه في الدنيا ؟

وعندما يقتل الشهيد ويؤذن له بدخول الجنة يغمس في نهر البيدخ – وهو من أنهار الجنة – غمسة ثم يخرج، وهذا النهر له أثر على المنغمس فيه بأنه يزيل ما على الشهيد من آثار الدنيا وآثار القتل، ويلقي عليه البهاء والجمال والنور، فيخرج منه ووجهه كالقمر ليلة البدر.

والدليل عليه ما جاء عن أنس رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ تعجبه الرؤيا الحسنة، فربما قال: **(هل رأى أحد منكم رؤيا ؟)** فإذا رأى الرجل رؤيا سأل عنه، فإن كان ليس به بأس كان أعجب لرؤياه إليه، قال: فجاءت امرأة فقالت: يا رسول الله رأيت كأني دخلت الجنة، فسمعت بها وجبة ارتجت لها الجنة، فنظرت فإذا قد جيء بفلان بن فلان وفلان بن فلان، حتى عدت أثنى عشر رجلا، وقد بعث رسول الله ﷺ سرية قبل ذلك، قالت: فجيء بهم، عليهم ثياب طلس، تشخب أوداجهم،

قال فقيل: اذهبوا بهم إلى نهر البيدخ أو قال إلى نهر البيدج، قال: فغمسوا فيه فخرجوا منه وجوههم كالقمر ليلة البدر، قال: ثم أتوا بكراسي من ذهب فقعدوا عليها وأتي بصحفة أو كلمة نحوها فيها بسرة فأكلوا منها، فما يقلبونها لشق الا أكلوا من فاكهة ما أرادوا وأكلت معهم، قال: فجاء البشير من تلك السرية فقال: يا رسول الله كان من أمرنا كذا وكذا، وأصيب فلان وفلان، حتى عد الأثنى عشر الذين عدتهم المرأة، قال رسول الله ﷺ: **(علي بالمرأة)** فجاءت، قال: **(قصي على هذا رؤياك)** فقصت، قال: هو كما قالت لرسول الله ﷺ) رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي.

وقد أقر النبي ﷺ هذه المرأة على هذه الرؤيا وهذا الفضل، بل واستمع إليها مرتين.

وظاهر الحديث أن الانغماس يقع للروح والجسد للمقتول، وفي هذا إشكال، فإنا نرى الجسد في الدنيا باق على أثره من الدماء وغيره.

وحل هذا الإشكال أن هذا أمر غيبي وقدرة الله تعالى فوق كل شيء، فقد يحصل الإنغماس للجسد في البرزخ بكيفية غيبية لا نعلمها نحن، أو لعل هذا الإنغماس في هذا النهر يقع للشهيد في الآخرة عندما يدخل الشهداء الجنة بأرواحهم وأجسادهم الأصل، ويكون عليهم حينئذ الدماء، فتزال عنهم بانغماسهم.

وقد ورد أيضا أن الشهيد يعوم في أنهار الجنة ويغوص تنعما وتلذذا.

كما جاء عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لعامر بن الأكوع: (انزل يا عامر فأسمعنا من هنياتك) فنزل وهو يرتجز:

والله لولا الله ما اهتدينا ** ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا ** وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الألى قد بغوا علينا

فقال له رسول الله ﷺ: **(يرحمك الله ربك)** فقال له عمر رضى الله تعالى عنه: يا نبي الله بأبي أنت هلا متعتنا من ابن الأكوع، فصبحنا خيبر الغد، فكان من خبر عامر أن حال عليه سيفه فقتله، فقال الناس: قتل عامر نفسه، فذهب سلمة إلى رسول الله ﷺ فقال: كان من منية عامر أن حال عليه

سيفه فقتله، فزعم الناس أنه قتل نفسه، فقال: (**كذبوا والذي نفسي بيده لكأني أنظر إليه في الجنة يعوم عومان الدعموص**) رواه الطبراني في الكبير.

والدعموص دويبة تغوص في الماء غوصا سهلا.

وهذا من زيادة النعيم أنه لا يشرب فقط من هذه الأنهار ولا ينغمس فقط بل يعوم ويغوص، وليست كأنهار الدنيا التي فيها الغرق والوسخ والطحالب والنباتات المزعجة والأسماك المفترسة، بل في أمان بلا خوف يلحقه، وأنهار طاهرة مطهرة، ولا شيء يزعجه فيها، فما أعظم هذا النعيم لمن تأمله، وزيادة على هذا إذا كان الشهيد في الفردوس الأعلى حيث الأنهار تتفجر من هنالك، فيا له من فضل أعظم وأنعم.

روى ابن أبي الدنيا في الهواتف عن أحمد بن خالد، سمعت سهلا الخراساني، أو غيره قال: (كنا في غزاة فمن الله على شاب بالشهادة فجعل يقول: اسقوني شربة من ماء الفرات فسمعوا صوتا بل نسقيك من ماء غير آسن ومن لبن لم يتغير طعمه ومن عسل مصفى ومن خمر لذة للشاربين).

الفضيلة التاسعة والخمسون: الشهيد وجهه كالقمر ليلة البدر:

العرب إذا أرادت أن تشبه الشئ في الجمال والبهاء والنور والضياء والبياض وبلغ المشبه أقصى الدرجات في ذلك شبهته بالقمر ليلة البدر.

قال الحافظ في الفتح: "جرى التعارف في أن التشبيه بالشمس إنما يراد به غالبا الإشراق والتشبيه بالقمر إنما يراد به الملاحة " انتهى كلامه.

والشهيد عندما يقتل ويغمس في نهر البيدخ، يلقى على وجهه الجمال والضياء والنور والبياض حتى يكون كأن وجهه القمر ليلة البدر، كما سبق في حديث أنس عند أحمد (فقيل اذهبوا بهم إلى نهر البيدخ أو قال إلى نهر البيدج قال: فغمسوا فيه فخرجوا منه وجوههم كالقمر ليلة البدر) ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي.

وهذا أفضل ما يكون في جمال أهل الجنة، فقد ورد أن أول زمرة تدخل الجنة وهم السبعون ألف يدخلون بغير حساب ولا عذاب – وهم من أفاضل أهل الجنة – تكون وجوههم كالقمر ليلة البدر،

وأن الزمرة التي تأتي بعدهم – وهم دونهم في الفضل والرتبة – تكون وجوههم كأضوء نجم في السماء، وهذا دون نور القمر بكثير.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: **(أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين على إثرهم كأشد كوكب إضاءة، قلوبهم على قلب رجل واحد، لا اختلاف بيينهم ولا تباغض، لكل امرئ منهم زوجتان، كل واحدة منهما يرى مخ ساقها من وراء لحمها من الحسن، يسبحون الله بكرة وعشيا، لا يسقمون ولا يتمخطون ولا يبصقون، آنيتهم الذهب والفضة، وأمشاطهم الذهب وقود مجامرهم الألوة – قال أبو اليمان يعني العود – ورشحهم المسك)** رواه البخاري.

قال المناوي في الفيض " **(أول زمرة)** بضم الزاي طائفة أو جماعة والأفواج المتفرقة بعضها إثر بعض **(تدخل الجنة على صورة القمر)** أي على صورة مثل صورة القمر **(ليلة البدر)** ليلة تمامه وكماله في الحسن والإضاءة " انتهى كلامه.

والشهيد يعطى أفضل ما يعطى أهل الجنة من الضياء والنور والجمال والبياض، وهذا فضل عظيم للشهيد، ويؤيده ما سيأتي في فضل نور الشهيد، وأن نوره عظيم، ويؤيده أيضا ما ورد سابقا في حديث الرجل الأسود الذي استشهد مع النبي ﷺ فقال عنه النبي ﷺ بعد استشهاده: **(قد بيض الله وجهك)** رواه الحاكم في المستدرك، وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الترغيب والترهيب، وهذا يفيد تبييض وجه الشهيد، وأن من فضائله ذلك، وأنه يكون بياضه كالقمر ليلة البدر كما ورد في الحديث الآخر، ولو كان في الأصل قد بلغ الغاية في السواد.

ومما يؤيد أيضا حديث أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **(فإذا نحن برجال أحسن شيء وجها، وأحسنه لبوسا، وأطيبه ريحا، كأن وجوههم القراطيس، قلت من هؤلاء ؟ قال: هؤلاء الصديقون والشهداء والصالحون)** وجود إسناده الحافظ في الفتح، وقال الهيثمي ورجاله رجال الصحيح.

والقراطيس جمع قرطاس وهي الصحيفة التي يكتب فيها، شبههم بالقراطيس لشدة بياضهم، فهذا يؤيد المعنيين السابقين في بياض وحسن وجوه الشهداء.

وبعض الشهداء تكون وجوههم كالقمر وتجمل وتنير عند مقتلهم كرامة لهم، فتكتحل عيونهم، وتزداد وسامتهم وجمالهم، ويزداد نور وجوههم، وهذا أمر مشاهد من بعض الشهداء.

قال الشيخ عبد الله عزام في كتاب عشاق الحور وهو يذكر كرامة للشهيد ياسين حمدان عبد الشقور الحمايدة:

وفي مقبرة الشهداء، وعلى مقربة من قبر والدتي شق قبر ياسين، ونزلت الحفرة لأشرف بوضعه في اللحد، وحملته مع أبي خالد وكشف عن وجهه ولقد لفت انتباهي ثلاث كرامات له:

١. لقد رأيت إشراقة نور وصفاء عجيبا وبهاء منيرا على وجهه، فما تمالكت نفسي عندما رأيت وجهه إلا أن قلت: سبحان الله.

٢. لقد وجدت بدنه دافئا بل ساخنا وعهدي بالأموات أن أجسادهم باردة.

٣. لقد وجدت أن جسده لين يتثنى كأنه نائم.

وقال الشيخ عبد الله عزام في كتاب التربية الجهادية والبناء عن مأسدة الأنصار:

يحدثني شاكر الزنداني، نحن كنا بعيدين في الخط الثاني والشباب هؤلاء في الخط الأول، يحدثني لما أصيب أبو حفص الأردني سقط على وجهه، قال: فظهر التراب الأبيض على وجهه فاقتربنا لنمسح التراب الأبيض ونحمله، وإذا بالتراب الأبيض نور، قد استنار وجهه كالبدر، حملناه في (الباتو) الباتو الشال الأفغاني (القطيفة) هذا الذي يضعوه على أكتافهم، انهال عليهم الرصاص من كل مكان، رمينا أبا حفص فجاء ساجداً، تركناه، رجعنا إليه في اليوم الثاني وجدناه ساجداً كما هو، والإنسان عندما يموت يتخشب، يتصلب، يتثنى كالنائم مدوا رجليه، مدوا يده، دفنوه، النور يخرج من مكان دمه.

وقد ذكر الشيخ في موضع آخر أن أبا حفص هذا كان أسمر البشرة.

الفضيلة الستون: الشهيد يجلس على كراسي الذهب:

مقاعد ومجالس الجنة تختلف بحسب المنازل، كما أن المنابر تختلف بحسب المراتب، فهناك منابر النور والذهب والياقوت والزبرجد وغيرها، ومن أفضل مجالس أهل الجنة كراسي الذهب فجنات الذهب أعلى الجنات وأفضلها.

والشهداء في الجنة تكون مجالسهم التي يجلسون عليها كراسي من ذهب، وذلك لإكرامهم ولعلو مرتبتهم عند الله تعالى.

والدليل عليه ما سبق من حديث أنس في رؤيا المرأة في الشهداء الذين قتلوا وفيه (فقيل اذهبوا بهم إلى نهر البيدخ أو قال إلى نهر البيدج قال فغمسوا فيه فخرجوا منه وجوههم كالقمر ليلة البدر، قال ثم أتوا بكراسي من ذهب فقعدوا عليها) رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي.

الفضيلة الحادية والستون: إعطاء الشهداء سؤلهم ومشتهاهم في البرزخ:

من كرم الشهداء على الله تعالى أنهم يعطون جميع ما يسألونه، ويوفر لهم جميع ما يشتهونه في حياتهم البرزخية في الجنة قبل الآخرة، ويتولى ذلك الله تعالى بنفسه، إكراما لهم، ولو كان الشئ المسؤول له تعلق بالحياة الدنيا وخارجا عن الجنة.

فقد جاء عن مسروق قال: سألنا عبد الله – يعني ابن مسعود – عن هذه الآية (**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**) قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك – يعني رسول الله ﷺ – فقال: (**أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوى إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة، فقال: هل تشتهون شيئا ؟ قالوا: أي شئ نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا**) رواه مسلم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (**لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مطعمهم، ورأوا حسن منقلبهم، قالوا: ياليت إخواننا يعلمون ما**

أكرمنا الله به وما نحن فيه، لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عند الحرب، فقال الله: أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله تبارك وتعالى: (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله)) رواه أبو داود والحاكم، وصححه، وصححه أحمد شاكر، وصححه أيضا الألباني في صحيح الجامع.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: لما قتل عبد الله بن عمرو بن حرام، يوم أحد، لقيني رسول الله ﷺ، فقال: (**يا جابر ألا أخبرك ما قال الله لأبيك ؟**) وقال يحيى في حديثه فقال: (**يا جابر ما لى أراك منكسرا ؟**) قال، قلت: يا رسول الله استشهد أبي وترك عيالا ودينا، قال: (**أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك ؟**) قال: بلى يا رسول الله، قال: (**ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب، وكلم أباك كفاحا، فقال: يا عبدي ؟ تمن علي أعطك، قال: يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية، فقال الرب سبحانه: إنه سبق مني أنهم إليها لا يرجعون، قال: يا رب فأبلغ من ورائي، قال فأنزل الله تعالى: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ))** رواه الترمذي وابن ماجه، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي.

فهذه الآيات التي أنزلت وأصبحت قرآنا يتلى إلى يوم القيامة، إنما نزلت استجابة لسؤال الشهداء ذلك ومن أجلهم وإكراما لهم.

وهذا الإعطاء في كل شيء لا يخص منه شيء إلا سؤال الإعادة إلى الدنيا، كما جاء في الحديث السابق، وأما غيرهم من عامة المؤمنين فإنهم يكون لهم ذلك في الآخرة عند دخول الجنة، كما قال تعالى: ﴿ **لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ** ﴾ **ق**.

وقال تعالى: ﴿ **نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ**﴾ **فصلت**، ويشاركهم في ذلك أيضا الشهداء وغيرهم وجميع أهل الجنة.

وأما إعطاء الشهداء ما يسألون وما يشتهون من نعيم الجنة وزينتها وتوفيره لهم في البرزخ، فذاك الذي لا يسأل عنه، فهو أصل ثوابهم وأجرهم فلا منتهى له.

الفضيلة الثانية والستون: إكرام الله للشهيد:

للشهيد عند الله قدر ومنزلة، فروح الشهيد كريمة على الله تعالى وعزيزة عنده، وعظيمة القدر لديه.

كما جاء عن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ مر بخباء أعرابي وهو في أصحابه يريدون الغزو، فرفع الأعرابي ناحية من الخباء، فقال: من القوم ؟ فقيل له: رسول الله ﷺ وأصحابه يريدون الغزو، فقال: هل من عرض الدنيا يصيبون ؟ قيل له: نعم يصيبون الغنائم ثم تقسم بين المسلمين، فعمد إلى بكر له فاعتقله وسار معهم، فجعل يدنو بكره إلى رسول الله ﷺ، وجعل أصحابه يذودون بكره عنه، فقال رسول الله ﷺ: (**دعوا لي النجدي، فوالذي نفسي بيده إنه لمن ملوك الجنة**) قال: فلقوا العدو فاستشهد، فأخبر بذلك النبي ﷺ فأتاه، فقعد عند رأسه مستبشرا أو قال: مسرورا يضحك ثم أعرض عنه، فقلنا: يا رسول الله رأيناك مستبشرا تضحك ثم أعرضت عنه ؟ فقال: (**أما ما رأيتم من استبشاري أو قال: سروري فلما رأيت من كرامة روحه على الله تعالى، وأما إعراضي عنه، فإن زوجته من الحور العين الآن عند رأسه**)) رواه البيهقي في الشعب بإسناد حسن كما قاله المنذري وابن النحاس والألباني.

ومن أجل ذا أكرمه بأنواع الفضائل وعظمه بكثرتها وعظمتها، فجميع فضائل الشهيد وخصائصه هي من إكرام الله له وكرامة روحه عنده.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه يحدث عن النبي ﷺ قال: (**ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وأن له ما على الأرض من شئ غير الشهيد، فإنه يتمنى أن يرجع فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة) رواه مسلم**، فهو يتمنى الرجوع لما يرى من الكرامة والإكرام الذي أعد له.

قال القرطبي في المفهم على حديث ابن مسعود في أرواح الشهداء: " هذا كلُه يدلُّ على أن لمنزلة الشهادة من خصوص الإكرام ما ليس لغيرها من أعمال البِرّ، كما قال في الحديث الآخر (**ليس أحد له عند الله خير يتمنى أن يرجعَ إلى الدنيا إلا الشهيد؛ لما يرى من فضل الشهادة**) " انتهى كلامه.

ومن رزقه الله الشهاده فقد أكرمه إكراما عظيما، ولهذا الصحابة يصفون من يرزق الشهادة بأنه أُكرم.

فروى البخاري أن أبان بن سعيد أقبل إلى النبي ﷺ فسلم عليه، فقال أبو هريرة: (يا رسول الله هذا قاتل ابن قوقل، فقال أبان لأبي هريرة: واعجبا لك وبر تدأدأ من قدوم ضأن ينعى علي امرأ أكرمه الله بيدي ومنعه أن يهينني بيده).

وقد جعل علي بن أبي طالب حصول الشهادة من مواطن البشرى والكرامة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال علي: (يا رسول الله إنك قلت لي يوم أحد – حين أخرجت عن الشهادة واستشهد

من استشهد – **(إن الشهادة من ورائك) قال: (كيف صبرك إذا خضبت هذه من هذه)** – وأهوى بيده إلى لحيته ورأسه – ؟ فقال علي: أما بينت ما بينت، فليس ذلك من مواطن الصبر، ولكن هو من مواطن البشرى والكرامة) رواه الطبراني في الكبير، قال الهيثمي: وفيه عبد الله بن كيسان المروزي وهو ضعيف.

وفي حديث الملحمة التي تقع في آخر الزمان بين المسلمين والنصارى في مرج دابق عند أبي داود والحاكم عن ذي مخبر مرفوعا إلى النبي ﷺ وفيه: **(ويثور المسلمون إلى أسلحتهم، فيقتتلون، فيكرم الله تلك العصابة بالشهادة)** وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

ومن إكرام الله للشهيد الكرامات والخوارق التي تحصل له، سواء قبل موته أو عند موته أو بعد موته، وهي كثيرة جدا، بل لا يعرف في شئ من أمور الدين في كثرة الكرامات والخوارق فيه كالجهاد والشهادة، وهي أيضا متنوعة ومختلفة.

فبعضهم يكرم بخروج رائحة المسك من دمه بعد قتله، وهذا متواتر بين المجاهدين والشهداء وكثير جدا، فكم من الشهداء من شم من دمائهم رائحة المسك، وليس كأي مسك، بل رائحة طيبة جدا وباردة، والقصص في ذلك كثيرة جدا فمن ذلك:

❖ قال الشيخ عبد الله عزام في كتاب عشاق الحور وهو يتكلم عن الشهيد أحمد التونسي (نبيل مبارك): لقد حدثني عنك شيرين جمال – قائد الجبهة – ومنصور وعثمان أنهم شموا رائحتك الزكية التي فاحت من دمائك.

❖ وقال أيضا فيه: يقول أبو عمار: كنا أربعة نطلق قذائف الهاون على مركز العدو، وكان أبو مصعب الفلسطيني يلقم الهاون بالقذائف، وكنت أناوله، وكان حمزة اليماني (هشام بن الدكتور عبد الوهاب الديلمي) يمسك بأرجل الهاون، وفي القذيفة الخامسة بالضبط وبدلا أن تنطلق على مراكز العدو تفجر المدفع ذاته وحملت أبا مصعب الفلسطيني وألقته على بعد مترين أو ثلاثة حيث أسلم الروح لخالقها وعلى الفور.

وأما حمزة اليماني فقد مكث عشر دقائق ثم فاضت الروح الطاهرة إلى مولاها، وجرح سياف المصري.

رائحة المسك:

ولففت أبا مصعب الفلسطيني ببطانية، وبدأت رائحة المسك تفوح في الأرجاء، ويقسم أبو عمار عدة أقسام أنني لم أرح (أشم) عرفا (رائحة) أطيب من هذه في حياتي، وللمرة الثانية إذ كانت الأولى هي التي استنسمتها من دماء خالد الكردي الذي استشهد في ذي الحجة قبل شهر تقريبا.

دماء الشهداء حياة شجرة الإسلام: وعدت لأحمل حمزة اليماني الذي يسكن سويداء قلبي، والذي ملك حبه على نفسي ومشاعري وشد إليه إحساسي وأنفاسي، حمزة الذي عرفته في صنعاء وكم طعمت في بيته وهو صائم، وكم تعلمت منه ومن والده ! ورائحة المسك تعبق مسكا في الأرجاء، وفاح الطيب وطاب من طيب الدم المكان كله ووقعت قطرة من دم حمزة على قميصي، وأخذت الرائحة طريقها إلى أنوف كل الحاضرين، وصرت أشهد كل من أرى على طيب رائحة الدماء الزكية التي روت أرض المأسدة، لتروي بدورها عروق شجرة الإسلام التي كادت تجف عندما انقطع رواؤها بانقطاع ماء حياتها وهو دم أبنائها.

ثم أوصلت سياف إلى المستشفى (بارشنار) وعدت في الثامنة مساء إلى المأسدة، والكل يتحدث عن الدماء الزكية والأرواح النقية.

الكل يلهج بذكر رائحة المسك وأصبحت القضية من المسلمات لدى العرب والأفغان ولا يناقش في صحتها إنسان، لأنها تتكرر فلم يعد لمنكر مبرر، ولا لعلماني محيص أو مهرب.

وفي الصباح عدت إلى اليرموك – الموقع الذي استشهد به الأخوان – وغمست إصبعي في دمائهم، لا زال الدم سائلا لم يجمد، ولازال المسك عبقا لا ينفد، وصار أحمد البيشي وجنود اليرموك يرددون ويؤكدون طيب الدماء وطيب الأشلاء وانهال الثناء، وضرعت الأكف بالرجاء إلى فاطر الأرض والسماء أن يتقبل الشهداء وأن يلحق بهم الأحياء.

وبعضهم يكرم بحماية جسده وحفظه، كما أكرم عاصم بن ثابت رضي الله عنه، وقد كان عاهد الله أن لا يمس مشركا ولا يمسه.

❖ فورد عن بريدة بن سفيان الأسلمي أنه قال: (أن رسول الله ﷺ بعث عاصم بن ثابت وزيد بن دثنة أحد بني بياضة وخبيب بن عدي ومرثد بن أبي مرثد إلى بني لحيان بالرجيع فقاتلوهم حتى أخذوا لأنفسهم عقدا إلا عاصم فإنه أبى وقال: لا أقبل اليوم عهدا من مشرك ودعا عند ذلك وقال: اللهم إني أحمي لك اليوم دينك فاحم لي لحمي فجعل يقاتل ويقول:

ما علتي وأنا جلد نابل * تزل عن صفحتي المعابل * الموت حق والحياة باطل *

ويقول وهو يحرض نفسه:

أبو سليمان وريش المقعد * وضالة كالجحيم الموقد * إذا النواحي ارتعشت لم أرعد *

فلما قتلوه كان في قليب لهم، فقال بعضهم لبعض:هذا الذي آلت فيه المكية وهي السلافة أحد بني الأفلح بن عمرو بن عوف وكان عاصم يوم أحد قتل لها نفرا ثلاثة كلهم صاحب لواء قريش يومئذ وهم من بني عبد الدار فجعل يرمي . وكان راميا . ويقول: خذها وأنا ابن الأفلح فتؤتى به فتقول كلما أتيت بإنسان: من قتله ؟ فيقولون: ما ندري غير أنا سمعنا رجلا وهو يقول: خذها وأنا ابن الأفلح، فقالت: أفلحنا، فحلفت لئن قدرت على رأسه لتشربن في قحفة الخمر، فأرادوا أن يحتزوا رأسه ليذهبوا به إليها، فبعث الله رجلا من دبر فلم يستطيعوا أن يحتزوا رأسه...) رواه سعيد بن منصور في سننه.

ومعنى قوله (رجلا من دبر) أي جماعات وطائفة عظيمة من النحل والزنابير.

قال الحافظ في الفتح على حديث بئر معونة وحماية عاصم وقتل خبيب ودعاء عاصم: "وفيه استجابة دعاء المسلم وإكرامه حيا وميتا وغير ذلك من الفوائد مما يظهر بالتأمل، وإنما استجاب الله له في حماية لحمه من المشركين ولم يمنعهم من قتله لما أراد من إكرامه بالشهادة ومن كرامته حمايته من هتك حرمته بقطع لحمه " انتهى كلامه.

فلما أراد المشركون أخذ جسده أرسل الله إليه الدبر فحمت جسده فما استطاعوا أخذه.

وروى الحاكم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:" افتخر الحيان من الأنصار الأوس والخزرج فقالت الأوس: منا من اهتز لموته عرش الرحمن: سعد بن معاذ، ومنا من حمته الدبر: عاصم بن ثابت بن الأفلح " قال البوصيري في الإتحاف رواه أبو يعلى الموصلي والبزار والطبراني في الكبير بإسناد حسن، وقال الألباني حديث حسن صحيح.

وبعضهم يكرم برفع جسده إلى السماء كما أكرم بذلك عامر بن فهيرة، فعن عروة بن الزبير قال: (لما قتل الذين ببئر معونة وأسر عمرو بن أمية الضمري قال له عامر ابن الطفيل: من هذا ؟ فأشار إلى قتيل، فقال له عمرو بن أمية: هذا عامر بن فهيرة فقال: لقد رأيته بعد ما قتل رفع إلى السماء حتى إني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض ثم وضع) رواه البخاري.

وبعضهم يكرم برؤية النور عليه عند قتله قال الذهبي في السير عن خالد بن سعيد بن العاص: " ويروى أن خالدا رضي الله عندما استشهد، فقال الذي قتله بعد أن أسلم: من هذا الرجل ؟ فإني رأيت نورا له ساطعا إلى السماء " انتهى كلامه.

وبعضهم يكرم برؤية النور عند قبره، والقصص على ذلك كثيرة، وقد بوب أبو داود في سننه " باب النور يرى عند قبر الشهيد وأتى فيه بحديث عائشة، قالت: لما مات النجاشي كنا نتحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور" مع أن النجاشي لم يمت شهيدا، ولكن لعل أبا داود سمع في زمنه بكرامات للشهداء في مثل هذا الذي حصل للنجاشي، فأراد أن يدلل على إمكانية وقوعه لأولياء الله من الشهداء.

جاء في سير شهداء الشيشان في سيرة الشهيد أبي ذر الطائفي " ومما يكرم الله به عباده المؤمنين وأولياءه الصالحين ما يكون لهم من الكرامات التي يؤمن بها أهل السنة و الجماعة دون إفراط ولا تفريط، فلقد كان لذلك الشهيد كرامة شهدها أحد الإخوة الأنصار الثقاة وشهد بها، حيث أقسم الأخ أن الليلة التي دفن فيها أبو ذر –رحمه الله – رأى القبر في أثناء حراسته بالليل وقد خرج منه نور ارتفع إلى السماء فبدأ الأخ يكبّر وهو مذهول من ذلك المنظر العجيب " انتهى.

قال الشيخ عبد الله عزام في كتاب التربية الجهادية والبناء:

الحقيقة القصص كثيرة، قصص إخواننا العرب، يعني سعود البحري الذي هو سعد الرشود وعبد الوهاب الغامدي، فسعد الرشود شهد لي عبد المتين وهو القائد الأفغاني قال: بعد ثمانية عشر ساعة من استشهاده جاء مولوي يقرأ القرآن فوق رأسه فبدأ ينتفض خوفاً من القرآن، الشهيد صار ينتفض من الخشية بعد ثمانية عشر ساعة من استشهاده، ودفنوهم، فالنور كان يخرج من قبورهم، وقد رآهم كثير من الأفغان، أما العرب رآهم الأخ أبو داود قال: ذهبت وراقبت النور الساعة الحادية عشر إلا الربع بدأ النور يخرج من الأرض إلى السماء ثم ينزل، فقلت له: يعني مثل هذه الشعلة – كان أمامي سراج أو شمعة – قال: والله مثل النيون، عبد الله الغامدي هنا في جمكني عند (نظر محمد) جاء (نظر محمد) مع مجموعة من قادته وأنا سألته هنا في هذا المكان هنا في صدا، قلت له: ماذا عن عبد الله الغامدي سمعنا أن التكبير يخرج من قبره ؟ قال: نعم، قلت لهم سمعتموه ! قالوا: إن شئت أن تسمعه فتعال معنا في جمكني.

ويقول أيضا عن الشهيد سبع الليل اليمني: كراماته:

يشهد لي أولاً طبيب مختص يتعجب يرى دمه يقطر بعد هذه الفترة، وقال: هذا علمياً لا يمكن يبقى دمه يسيل ويتقطر بعد حوالي أربعة وعشرين ساعة أو بعد حوالي عشرين ساعة، هذا لا يمكن لأن الدم يتجمد، شمّ كثير من الإخوة منه رائحة المسك، شهد لي حوالي أربعة أو خمسة من الإخوة أنهم شموا رائحة المسك، منهم الأخ أبو أحمد والأخ صالح اليماني عدو الطواغيت فيما أذكر في هذا الوقت، وقد خرج لأخينا كرامات منها.

أولا: بقي دمه سائلا يتقطر.

ثانيا: خرج لدمه رائحة تفوح كالمسك، ويقول الأخ أبو أحمد: أنا ما شممت من قبل رائحة دم شهيد، فأول مرة أشم الرائحة العطرية من الدم.

والكرامة الثالثة: أنه رغم شدة الحر في هذه الأيام، حيث تصل درجة الحرارة في بيشاور خمسة وأربعين مئوية، تقريباً من أربعين إلى خمسة وأربعين مئوية، يقول لي الإخوة أنه كالنائم، ومبتسماً، كان مبتسماً، فرحم الله أخانا سبع.

وقال الشيخ عبد الله عزام في كتاب عشاق الحور عن كرامات حصلت للشهيد أبي شهاب شاكر القرشي:

كرامة عجيبة: حصلت لشاكر كرامات عجيبة منها:

١. أنه عندما أسلم الروح كان واضعا يده على جرحه فأنزلها الإخوة واسبلوها على جانبه ثم تركوه لشدة المعركة ولتعبهم، وبعد ثلاثة أيام عادوا إليه فوجدوه قد أعاد يده ووضعها على مكان الجرح.

٢. عادوا إليه بعد ثلاثة أيام وكان الزمهرير شديدا والبرد قارسا، والمفروض أن الميت بعد قليل يتصلب فكيف في جو يتجمد فيه الماء في لحظات، فوجدوه لينا يتثنى كأنه نائم.

٣. رآه أحد الإخوة العرب في المنام مدفونا على يمين رسول الله ﷺ فحلفت الشاب الذي رآه في المنام على صدق الرؤيا فحلف على ذلك.

وبعضهم يكرم... وبعضهم يكرم... والكرامات في ذلك لا تحصر فهي كثيرة جدا وكلها من إكرام الله للشهيد.

وإذا كانت هذه بعض الكرامات في الدنيا، فكيف بالآخرة، فلا شك أن للشهيد عند الله من الكرامات فيها أعظم وأكثر.

وهذه الكرامات تحصل لبعض الشهداء وليس لكلهم، وليست هي دليلا على التفضيل أو على الحكم بالشهادة، بل قد يستشهد الشخص ولا تحصل له كرامة وهو عند الله أفضل من كثير من الشهداء، ولكن الله يرسل هذه الكرامات إكراما للشهيد وبيان فضله عند الناس وكرامته على الله وتحريضا للناس على سلوك مسلكه وتقوية لإيمانهم ولإقامة الحجة عليهم.

وهنا نتكلم عن المنهج الصحيح في الكرامات لأهميته:

١. ينبغي عدم العجب والاغترار بالكرامات لمن حصلت له، فإنه قد يكون استدراجا من الله للعبد وفتنة له.

٢. عدم الاستدلال بها على صحة الطريق والمنهج، فلا يستدل إلا بالكتاب والسنة إجماع الأمة والأدلة المذكورة في أصول الفقه.

٣.عدم المبالغة في الاهتمام بالكرامات والانصراف إليها، حتى إن بعضهم يخرج للجهاد بسبب الكرامات.

٤. وجوب الإيمان بالكرامات والتصديق بها وثبوتها للأولياء.

الفضيلة الثالثة والستون: الشهيد طيب الريح:

روائح الجنة الطيبة ليست كأطياب الدنيا مهما بلغت من طيب الرائحة ولا مقارنة أصلا، وأقرب دليل على ذلك قوله ﷺ عن الجنة: **(وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما)** رواه البخاري بل في جاء في بعض الروايات (**خمسمائة عام**).

وروائح الدنيا الطيبة مهما بلغت قوتها لاتصل ولا عشرة أمتار، أو قل مائة متر، أو قل ألف متر، فكل ذلك لا يساوي شيئا عند مسيرة خمسمائة عام.

وقد وعد الله الشهداء بأنهم يدخلون الجنة وأنه يطيبها لهم كما قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (٤) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (٥) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ**﴾ **محمد**.

فقد فسر التعريف في هذه الآية بالتطييب، مأخوذ من العرف وهو الرائحة الطيبة، وجنة الشهداء ريحها ليست كريح جنة عامة المؤمنين، لأنه كلما علت الجنة كلما علا نعيمها وما فيها، وجنان الشهداء في العوالي.

وقد ورد عن أنس رضي الله عنه: أن رجلا أسود أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني رجل أسود، منتن الريح، قبيح الوجه، لا مال لي، فإن أنا قاتلت هؤلاء حتى أقتل فأين أنا ؟ قال: (**في الجنة**) فقاتل حتى قتل، فأتاه النبي ﷺ فقال: (**قد بيض الله وجهك وطيب ريحك و أكثر مالك**...) رواه الحاكم في مستدركه، وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الترغيب والترهيب.

وقد سبق الحديث، فهذا الصحابي قد استشهد مع النبي ﷺ وأخبر بأنه قد طيب الله ريحه بعد نتنها بكونه استشهد، فالشهيد عند الله طيب الريح، وبعض الشهداء قد تشم منه الرائحة الطيبة والمسك الذي هو أطيب الطيب وهو في الدنيا بعد مقتله، وهذا أمر مستفيض كما تقدم.

ومما يدل على طيب ريح جنة الشهيد أن أنس بن النضر رضي الله عنه الشهيد في غزوة أحد شم رائحة الجنة وهو في الدنيا وهي في السماء السابعة على بعد المسافات فتتجاوز الخمسائة عام بأضعاف مضاعفة، ومع ذلك شمها، وهذه الرائحة التي شمها هي رائحة جنة الشهداء، فإن أنس بن النضر قتل شهيدا في أحد فقال رضي الله عنه: (يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أحد) رواه البخاري ومسلم عن أنس.

وكذا مما يدل على طيب ريح الشهيد، وأنه من أطيب أهل الجنة ريحا حديث أبي أمامة عند الطبراني مرفوعا إلى النبي ﷺ قال: (**فإذا نحن برجال أحسن شيء وجها، وأحسنه لبوسا، وأطيبه ريحا، كأن وجوههم القراطيس قلت: من هؤلاء ؟ قال: هؤلاء الصديقون والشهداء والصالحون**) وجود

إسناده الحافظ في الفتح، وقال الهيثمي ورجاله رجال الصحيح، وصيغة التفضيل هنا تعم روائح الدنيا وروائح الجنة.

جاء في كتاب قصص الشهداء العرب في قصة الشهيد أبي عمير الجداوي الذي استشهد في البوسنة " نادى الأمير على المجاهدين أن استعدوا لخوض معركة كبيرة، تتكون من عمليتين على قمتي جبل وتلك العملية هي عملية سمولين، والخطة كانت أن تقسم مجموعة المجاهدين إلى مجموعتين تقتحم الأولى الجبل الأول وترتاح وتكمل المجموعة الأخرى العملية على الجبل الآخر، فأصر رحمه الله أن يدخل كلا العمليتين، فرفض الأمير وكان معروفا بلياقته البدنية العالية، فألح على الأمير وأدخل الواسطات تلو الواسطات حتى قبل الأمير أن يدخل كلا المعركتين، فكانت فرحته لا توصف، وسعادته بهذا القبول لا توصف، قبل المعركة بليلة أخذ يوزع تركته، ماله وملابسه وما يملكه على الشباب، وكان يقول لإخوانه أنني أشم رائحة طيب، أيوجد أحد منكم متطيب ؟ فردوا بالنفي، وأتوا له بكل العطورات التي كانت بحوزتهم، هل هذه هي الرائحة التي تشمها أم لا ؟ حتى داروا على كل العطورات وهو يقول لا بل غيرها وأفضل منها، قبل المعركة كذلك قال لصاحبه البوسنوي درويش: غدا بعد العملية عندي لك مفاجأة سارة إن شاء الله، وسكت وأخبر الشباب إن قتل فإن ساعته الكاسيو لدرويش البوسنوي، أتى يوم المعركة وهو يشم رائحة الطيب ملازمة له، وبدأت المعركة وتقدم المجاهدون واقتحموا أول جبل فسقط ولم يتقدم البوسنويون من الجهات الأخرى فانحصر المجاهدون العرب ومن معهم بين القمتين، التفت أبو عمير على من وراءه وابتسم ابتسامة غريبة عجيبة ملؤها الفرح والسرور فأتته طلقة في قلبه مباشرة فسقط بعدها قتيلا شهيدا إن شاء الله، انحاز المجاهدون ورجعوا، فإذا بصاحب أبي عمير درويش البوسنوي: أين أبو عمير ؟ فأخرجوا له ساعته وقالوا: هذه المفاجأة التي وعدك بها أبو عمير، إنه قتل، فخر درويش على ركبتيه يبكي كبكاء الأطفال، بل كل قد بكى على فراقه ولكنها مشيئة الله سبحانه " انتهى كلامه.

الفضيلة الرابعة والستون: الشهيد ملك من ملوك أهل الجنة:

أدنى درجة لأهل الجنة يجعل لأصحابها مثل ملك من ملوك الدنيا وعشرة أمثاله وأضعافه، لا في مساحة ملكه في الجنة، ولا في النعيم والترف والخدم والأملاك والأموال، كما قال تعالى عن الأبرار وهم دون المقربين ﴿ **وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا**﴾ **الإنسان**.

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **((سأل موسى ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال: هو رجل يجئ بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: أدخل الجنة، فيقول: أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك ملك من ملوك الدنيا ؟ فيقول: رضيت رب، فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيت رب، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك، فيقول: رضيت رب، قال: رب فأعلاهم منزلة ؟ قال: أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدى، وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولن يخطر على قلب بشر، قال: ومصداقه في كتاب الله عز وجل" فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) الآية)** رواه مسلم.

وإذا كان هذا في أدنى أهل الجنة منزلة، فكيف بملك الشهيد الذي هو من أعلى أهل الجنة منزلة، فلا شك أنه أعظم ملكا بأضعاف مضاعفة، بل لا يمكن حصر الفارق بينهما، إذ كلما علت الجنة كلما اتسعت واتسع ملكها، وبين الدرجة والدرجة كما بين السماء والأرض، والجنة مائة درجة، والشهيد في أعلى الدرجات، فما ظنك بالبعد والفرق الذي بينه وبين أدنى الدرجات ؟ البعد والفرق والسعة لا يوصف.

قال ابن النحاس في المشارع: " وقد صح أن الله سبحانه يعطي لآخر من خرج من النار ويدخل الجنة مثل الدنيا منذ خلقها الله إلى يوم فنائها وعشرة أضعافه، وإذا كان هذا ما لأدناهم فكيف بما لأعلاهم ؟ وإذا كان هذا ما لأسفلهم درجة، فكيف بالمجاهد الذي يرفعه الله مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ؟ بل كيف بالشهيد عند ذي الجلال والإكرام من الفضل الجزيل والإنعام ؟ والله لا يحصر ماله عند الله فهم، ولا يكفيه وهم، ولا يحيط به عقل، وناهيك قول الله سبحانه فيمن هو دون رتبة الشهداء **(فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)** " انتهى كلامه.

وقد جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ مر بخباء أعرابي وهو في أصحابه يريدون الغزو، فرفع الأعرابي ناحية من الخباء، فقال: من القوم ؟ فقيل له: رسول الله ﷺ وأصحابه يريدون الغزو، فقال: هل من عرض الدنيا يصيبون ؟ قيل له: نعم يصيبون الغنائم ثم تقسم بين المسلمين، فعمد إلى بكر له فاعتقله، وسار معهم، فجعل يدنو بكره إلى رسول الله ﷺ، وجعل أصحابه يذودون بكره عنه، فقال رسول الله ﷺ: **(دعوا لي النجدي، فوالذي نفسي بيده إنه لمن ملوك الجنة)** قال: فلقوا العد

فاستشهد، فأخبر بذلك النبي ﷺ فأتاه، فقعد عند رأسه مستبشرا أو قال: مسرورا يضحك ثم أعرض عنه، فقلنا: يا رسول الله رأيناك مستبشرا تضحك ثم أعرضت عنه ! فقال: **(أما ما رأيتم من استبشاري أو قال: سروري فلما رأيت من كرامة روحه على الله تعالى، وأما إعراضي عنه فإن زوجته من الحور العين الآن عند رأسه)** رواه البيهقي في الشعب بإسناد حسن كما قاله المنذري وابن النحاس والألباني.

فهذا يدل على أن الشهيد من ملوك أهل الجنة، فهو ملك في درجته ومنزلته وأرضه وقصوره وداره، فيتحكم فيها بما يشاء، ويفعل فيها ما يشاء، لا يمنعه مانع، ولا ينازعه منازع، مع اتساع درجته ومنزلته وأرضه بما لا تحصر مساحته من سعتها، وأيضا مع كثرة الدور والقصور وتنوعها والعيون والأنهار والبساتين والأشجار.

وهو ملك على خدمه وولدانه، وحوره ونسوانه، يعامل معاملة الملوك وأكثر، ويغدى عليه ويُراح، ويخدم ويُراح، ويلقى الترحيب والطاعة والتعظيم والوجوه الملاح، لا يكدر عليه صفوه مكدر، ولا ينازعه ملك ولا مدبر.

وهو ملك في رفعته ومنزلته وعظمته عند أهل الجنة والملائكة، فيجل ويعظم، ويرفع ويكرم، ويعرف له قدره ومنزلته، ويستأذن عليه كما يستأذن على الملوك.

وهو ملك في شكله وهيئته، قد جعلت له العروش والأسرة من ذهب، وكلل بالتيجان ووضعت على رأسه كما توضع على الملوك وألبس لباسهم.

وهو ملك في فضائله وخصائصه، لا ينافسه عليها منافس، ولا تسلب منه ولا يفقدها أو يخاف عليها.

وقد سبق في حديث أنس في الرجل الأسود الذي استشهد مع النبي ﷺ أنه قال فيه بعدما استشهد: **(قد بيض الله وجهك وطيب ريحك وأكثر مالك)** رواه الحاكم في المستدرك، وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الترغيب والترهيب، والمال عبارة عن جميع ما يتملكه الشخص، وهذا يدلك يا أخي على كثرة ما يتملكه الشهيد وكثرة أمواله.

ولو قارنت بين ملك الدنيا وملك الشهيد في الآخرة، لما استطعت المقارنة لكثرة الفروق وبعدها وعظمتها، لكن نعطيك بعض المقارنة، فملك الدنيا زائل ومحدود وقليل، والمنازع عليه كثير، والمنغصات فيه كثيرة، والأعداء والمتربصون كثر، والحفاظ عليه صعب، ويخالطه هموم وغموم وأحزان وشدائد، وتحتاج إلى حسن تدبير وإدارة وحرس وحماية إلى غير ذلك، وأما ملك الشهيد فملك دائم لا يزول وغير محدود ولا يحصر، وملك عظيم بلا منازع ولا حاسد ولا منغصات ولا أعداء، بل نعيم وفرح، ولا يحتاج إلى حرس وحماية وإدارة، بل هو مدار ومريح، ولا يسعني في ختام هذا الفضل إلا أن أقول إن الأمر لا يحتاج إلى تحريض وتعليق.

الفضيلة الخامسة والستون: الشهيد يتمنى العود إلى الدنيا لأجل القتل:

قد سبق وأن ذكرنا لك أن حياة البرزخ أكمل وأنعم من الحياة الدنيا بالنسبة للمؤمن، ومن ذاق تلك الحياة والنعيم ودخل الجنة لا يود أن يخرج منها ويعود إلى الدنيا المليئة بالمصائب والمنغصات والبلايا والآفات ولو جعلت له الدنيا بأجمعها.

ولو خرج شخص من سجن فيه من أنواع العذاب والنكال والبلايا إلى الدنيا، وفتحت له الدنيا أبوابها وزهرتها، هل يمكن أن يرجع أو يفكر في الرجوع إلى السجن؟ لا.

ولكنما الشهيد له خاصية أخرى وله حال آخر، فهو ليس كبقية الناس في هذا، فإنه إذا قتل ونال الشهادة ورأى ما أعد له هناك من الفضائل والكرامات العظيمة، وقارن ذلك بما عمل والقتل وجد أن القتل أمر بسيط وعمل قليل بالنسبة لما أعد له، وود أن لو يرجع إلى الدنيا على ما فيها من المصائب والبلايا ويترك الجنة كي يرزق القتل مرة أخرى لما يرى من فضل الشهادة.

فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في الشهداء: (**أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة، فقال: هل تشتهون شيئا ؟ قالوا: أي شئ نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا**) رواه مسلم.

وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: (**ما من نفس تموت لها عند الله خير يسرها أنها ترجع إلى الدنيا ولا أن لها الدنيا وما فيها إلا الشهيد، فإنه يتمنى أن يرجع فيقتل في الدنيا لما يرى من فضل الشهادة**) رواه مسلم.

بل بلغ النص في ذلك أنه يتمنى أن يرجع فيقتل عشر مرار، لينال أجر الشهادة عشر مرار، لما يرى من الكرامة وفضل الشهادة.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وأن له ما على الأرض من شئ غير الشهيد، فإنه يتمنى أن يرجع فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة**) رواه مسلم.

وهذا الحديث من أعظم فضائل الشهيد على إبهامه، فإنه يفيد أن للشهيد فضلا عظيما وعظيما، يتمنون معه القتل عشر مرار والرجوع إلى الدنيا من أجل ذلك.

قال ابن بطال: " هذا الحديث أجل ما جاء في فضل الشهادة " انتهى من الفتح.

وقال النووي في المنهاج: " هذا من صرائح الأدلة في عظيم فضل الشهادة " انتهى.

وقال الشيخ أبو يحي الليبي في كتاب الأربعين في فضل الشهادة معلقا على الحديث: " أن للشهادة من الفضل والكرامة – مع كل ما ذُكر عنها في الكتاب والسنة – ما لا عين رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر، وأن شأنها فوق ما يتصوره عقلٌ، فلما عاينوا تلك الكرامة – التي لم تكن لهم على بالٍ – تمنّوا المزيد منها بتكرار القتل " انتهى كلامه.

وقال أيضا: " أن تمني عودتهم للدنيا لا لزيارة حبيب، ولا لرؤية قريب، ولا لطلب ملك، ولا تحصيل جاه، ولا لجمعِ مالٍ، وإنما فقط لنيل القتل مرة بل مراتٍ، فما عاينوه من الكرامة أنساهم كلَّ ذلك وجعل همتهم في طلب القتل (الشهادة) والذي صار بعد ملابستهم له لا يعدله شيءٌ عندهم، قال الملا على القاري: " وفيه إيماء إلى أنه لا يتمنى شيئاً من شهوات الدنيا إلا الشهادة، وهي ليست منها فيكون من قبيل: ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم"اه" انتهى كلامه.

والنفس في الحديث تعم الصديق والأولياء والصالحين والعلماء وغيرهم على فضلهم وعظم منزلتهم، فإنهم لا يتمنون الرجوع إلى الدنيا ولا يودون ذلك.

وأما الأنبياء فقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **((والذي نفسي بيده وددت أني أقاتل في سبيل الله فأقتل، ثم أحيا ثم أقتل، ثم أحيا ثم أقتل، ثم أحيا ثم أقتل) فكان أبو هريرة يقولهن ثلاثا أشهد بالله)** رواه البخاري.

فهو تمنى أن يقتل ويعود أربع مرار، وذلك لما علمه ﷺ من فضل الشهادة، وتمنى أربع مرار فقط اكتفاء بفضل النبوة، بخلاف عامة الشهداء فإنهم يتمنون القتل عشر مرار.

وعن أبي رافع قال: (وجه عمر جيشًا إلى الروم وفيهم عبد الله بن حذافة فأسروه ، فقال له ملك الروم: تنصر أشركك في ملكي، فأبى، فأمر به فصلب، وأمر برميه بالسهام فلم يجزع، فأنزل وأمر بقدر فصب فيها الماء وأغلى عليه وأمر بإلقاء أسير فيها، فإذا عظامه تلوح، فأمر بإلقائه إن لم يتنصر، فلما ذهبوا به بكى، قال: ردوه، فقال: لم بكيت ؟ قال: تمنيت أن لي مائة نفس تلقى هكذا في الله، فعجب، فقال: قبل رأسي وأنا أخلي عنك، فقال: وعن جميع أسارى المسلمين، قال: نعم، فقبل رأسه فخلى بينهم، فقدم بهم على عمر، فقام عمر فقبل رأسه) رواه البيهقي وقال الحافظ في الإصابة " وأخرج ابن عساكر لهذه القصة شاهدا من حديث ابن عباس موصولا وآخر من فوائد هشام بن عثمان من مرسل الزهري" انتهى، فهذا الصحابي يتمنى أن يقتل في سبيل الله مائة مرة.

وهذا الفضل يدل على فضل شهيد الدنيا والآخرة على شهيد الآخرة فقط، لأنه ما تمنى العود إلا لأجل القتل فقط، وهو غير موجود في شهيد الآخرة.

ولعظمة ما يرى الشهيد من الفضائل التي حصلت له، فإنه من أحب من يحب في الجنة قاتله إذا أسلم ومات على الإسلام، ولا يلتفت إلى كونه قتله أو أدخل عليه الضرر وأراق دمه، بل يحبه حبا شديدا لكونه كان سببا في حصوله على تلك الفضائل العظيمة الجليلة، كما ورد في حديث أبي موسى رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان في غزاة، فبارز رجل من المشركين رجلا من المسلمين فقتله المشرك، ثم برز له رجل من المسلمين فقتله المشرك، ثم جاء فوقف على النبي ﷺ فقال: على ما تقاتلون ؟ فقال: **(ديننا أن نقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأن نفي لله بحقه)** قال: والله إن هذا لحسن، آمنت بهذا، ثم تحول إلى المسلمين فحمل على المشركين فقاتل حتى قتل، فحمل فوضع مع صاحبيه الذين قتلهما قبل ذلك، فقال رسول الله ﷺ: **(هؤلاء أشد أهل الجنة تحابا)** رواه الطبراني في الأوسط بإسناد صحيح كما قال ابن النحاس، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير والأوسط وسماع ابن المبارك من المسعودي صحيح فصح الحديث إن شاء الله فإن رجاله ثقات.

وقال ابن النحاس في المشارع: " قوله (**تحابا**) من المحبة أي: أنهم أشد أهل الجنة فيما بينهم محبة، لأن المقتول منهم يرى أن قاتله كان السبب لما هو فيه من النعيم العظيم والثواب الجسيم " انتهى كلامه.

وفي معنى هذا الإحسان قال ابن الأثير في أسد الغابة في ضرار بن الخطاب: " قال يوما لأبي بكر رضي الله عنه: نحن كنا لقريش خير منكم أدخلناهم الجنة وأوردتموهم النار – يعني أنني قتلت المسلمين منهم وأنتم قتلتم المشركين –.

واختلف الأوس والخزرج فيمن كان أشجع يوم أحد، فمر بهم ضرار بن الخطاب فقالوا: هذا شهدها وهو عالم بها فسألوه عن ذلك فقال: لا أدري ما أوسكم من خزرجكم، لكني زوجت يوم أحد منكم أحد عشر رجلا من الحور العين " انتهى.

الفضيلة السادسة والستون: الشهيد لا يتمنى ولا يريد العودة إلى الدنيا بدون أن يقتل:

قد سبق أن بينا أن من دخل الجنة ورأى نعيمها لا يود أن يرجع إلى الدنيا ولو جعلت له الدنيا بحذافيرها بل يود البقاء في الجنة، والشهيد كذلك عندما يدخل الجنة في البرزخ لا يود أن يرجع إلى الدنيا أبدا، فإن ما أعد له أعظم من غيره من عامة المؤمنين والصالحين، ولا يود أن يرجع إلا لأجل القتل فقط، أما بدونه فلا يود أبدا ولا يسره ذلك.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خطب النبي ﷺ فقال: ((**أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب، ثم أخذها خالد بن الوليد عن غير إمرة ففتح له وقال: ما يسرنا أنهم عندنا**) قال أيوب أو قال (**ما يسرهم أنهم عندنا**) **وعيناه تذرفان**) رواه البخاري.

وعلى الروايتين يظهر فضل الشهيد.

فعلى الرواية الثانية هؤلاء الصحابة الذين قتلوا أخبر النبي ﷺ أنهم لا يسرهم أنهم موجودون عندنا في الدنيا، وذلك لما رأوه وباشروه من النعيم، فما يريدون من الدنيا الفانية المنغصة ؟

قال الحافظ في الفتح: قوله (**ما يسرهم أنهم عندنا**) أي لما رأوا من الكرامة بالشهادة، فلا يعجبهم أن يعودوا إلى الدنيا كما كانوا من غير أن يستشهدوا مرة أخرى، وبهذا التقرير يحصل الجمع بين حديثي

الباب ودليل ما ذكرته من الاستثناء ما سيأتي بعد أبواب من حديث أنس أيضا مرفوعا (**ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا إلا الشهيد**) الحديث " انتهى كلامه.

وقال القسطلاني في إرشاد الساري (**ما يسرهم أنهم عندنا**) لتحققهم خيرية ما حصلوا عليه من السعادة العظمى والدرجة العليا " انتهى كلامه.

وعلى الرواية الأولى فإن هؤلاء الصحابة الذين قتلوا وكانوا من أفاضل الصحابة وأحبهم إلى رسول الله ﷺ حتى إنه حزن على فراقهم حزنا شديدا وبكى لأجله كما جاء في الأحاديث، أخبر النبي ﷺ أنه لا يسره أنهم يكونون عنده الآن بعد استشهادهم ونيلهم درجة الشهادة لعلمه ﷺ بما أفضوا إليه من الفضائل العظيمة بالشهادة، قال ابن بطال في شرح البخاري " وفيه عظيم فضل الشهادة، ولذلك قال ﷺ: (**وما يسرنا أنهم عندنا**) لعلمه بما صاروا إليه من رفيع المنزلة " انتهى كلامه.

وإذا كان هذا حال الشهيد إذا قتل، فما بقاؤك في هذه الدنيا يا أخي وأنت ترى الشهيد لا يود أن يرجع إلى الدنيا أبدا مهما كانت اللذات ومهما كانت الظروف ؟ لا يود أن يرجع مهما أعطي من الدنيا، ومهما كانت المغريات، لا يود أن يرجع مهما اشتد الحال على من بعده ومن خلفه، لا يود الرجوع أبدا، ولا يود البقاء إلا في الجنة، ولو لم يكن بعد حياة البرزخ حياة أعظم وأفضل لود أن لو بقي على هذه الحال أبد الآباد خالدا مخلدا، ولكنه وعد بحياة أعظم وأفضل، فيرجع إلى جسده ثم يدخل الجنة بحياة أعظم ونعيم أعظم، فلماذا لا تطلب عيشته وحياته وتنال ما ناله؟

الفضيلة السابعة والستون: الشهيد يكسى مائة حلة من نبت الجنة:

الحلة هي إزار ورداء بردا أوغيره، ولا تكون حلة إلا من ثوبين أو ثوب له بطانة، سميت حلة لأن كل واحد من الثوبين حل على الآخر.

وحلل الجنة ليست كحلل الدنيا، لا في نعومتها، ولا في جمالها وألوانها، ولا في شكلها ورقتها وخفتها، ولا في بقائها وعدم بلائها، ولا في جدتها، ولا في كل شئ فيها، فحلل لا تشبه حلل الدنيا، وليس بينهما تشابه إلا في الأسماء، أما في الحقائق فلا وجه شبه.

والشهيد من حين يقتل يكسى مائة حلة من الجنة إكراما له كما جاء في حديث يزيد بن شجرة السابق ذكره في الشهيد وفيه (**وتنزل إليه زوجتان من الحور العين تمسحان التراب عن وجهه وتقولان: قد آن لك، ويقول هو: قد آن لكما، ثم يكسى مائة حلة ليس من نسج بني آدم، ولكن من نبت الجنة، لو وضعن بين أصبعين لوسعن**) رواه البزار والطبراني قال الهيثمي " رواه الطبراني في طريقين رجال أحدهما رجال الصحيح" وجود إسناده المنذري في الترغيب والترهيب والبوصيري في الإتحاف، وصحح إسناده الألباني في الصحيحة.

وهذه المائة حلة تتميز بأمور: فإنها ليست كحلل الدنيا كما سبق، فتتميز بأنها ليست مما ينسج الآدمي بل إنها من مما تنبت الجنة، وتتميز برقتها وخفتها ونعومتها حتى لو وضعت بين أصبعين من أصابع الشهيد لوسعته وهي مائة حلة، وهذا الوصف فكيف المنظر، وكيف الملبس.

بل إن لباس الشهيد في الجنة جميعه من أحسن لباس أهل الجنة، فقد جاء في حديث أبي أمامة رضي الله عنه عند الطبراني مرفوعا إلى النبي ﷺ: (**فإذا نحن برجال أحسن شيء وجها، وأحسنه لبوسا، وأطيبه ريحا، كأن وجوههم القراطيس، قلت: من هؤلاء ؟ قال: هؤلاء الصديقون والشهداء والصالحون**) جود إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح، وقال الهيثمي ورجاله رجال الصحيح.

وصيغة التفضيل هنا في قوله (**أحسنه لبوسا**) تعم أهل الجنة إلا الأنبياء.

الفضيلة الثامنة والستون: الشهيد يكسى حلة الإيمان:

قد سبق وأن ذكرنا لك يا أخي أن الحلة هي الإزار والرداء معا، وأن حلل الجنة تختلف عن حلل الدنيا ولا تتفق إلا في الأسماء.

وهنا فضل جديد من فضائل الشهيد في اللباس، أنه يكسى من حلل الجنة حلة خاصة تسمى حلة الإيمان، فعن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**للشهيد عند الله سبع خصال: يغفر له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويحلى حلة الإيمان**...) رواه أحمد، وحسنه ابن القطان في بيان الوهم والإيهام، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

وسميت هذه الحلة حلة الإيمان لإنها دالة على إيمان صاحبها، وأنه قد أتى بعمل يثبت قوة إيمانه.

قال السندي في شرح ابن ماجه: " وإضافة الحلة إلى الإيمان بمعنى أنها علامة لإيمان صاحبها، أو بمعنى أنها مسببة عنه " انتهى كلامه.

فهي تخصيص وتشريف لهم عندما يلبسونها عند أهل الجنة، بأنهم أعطوا تلك الحلة وخصوا بها لقوة إيمانهم، هذا إضافة إلى أنها من أفضل ملبوسات الجنة، فلبسهم لتلك الحلة نعيم ولذة، وتخصيصهم بها تشريف وفضل، فما أعظم حظهم، وما أعلى نصيبهم، وما أرفع مقامهم، وما أكثر فضائلهم، وما أسعد نفوسهم، فلله درهم اللهم ارزقنا عيشهم ونزلهم.

الفضيلة التاسعة والستون: دار الشهداء من أفضل وأحسن الدور:

جنان الشهداء ودارهم التي أعدت لهم ليست كجنان عامة المؤمنين ودارهم، بل هي أعلى وأرفع وأفضل في النعيم والمساكن والحور والقصور والعلو والارتفاع وغير ذلك.

وقد ثبت عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال: (**من رأى منكم الليلة رؤيا ؟**) قال: فإن رأى أحد قصها فيقول ما شاء الله، فسألنا يوما فقال: (**هل رأى أحد منكم رؤيا ؟**) قلنا: لا، قال: (**لكني رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي فأخرجاني إلى الأرض المقدسة، فإذا رجل جالس ورجل قائم بيده – قال بعض أصحابنا عن موسى – كلوب من حديد يدخله في شدقه حتى يبلغ قفاه، ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك ويلتئم شدقه هذا، فيعود فيصنع مثله، قلت: ما هذا ؟ قالا: انطلق، فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه، ورجل قائم على رأسه بفهر أو صخرة فيشدخ به رأسه، فإذا ضربه تدهده الحجر، فانطلق إليه ليأخذه، فلا يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسه وعاد رأسه كما هو، فعاد إليه فضربه، قلت: من هذا ؟ قالا: انطلق، فانطلقنا إلى ثقب مثل التنور، أعلاه ضيق، وأسفله واسع، يتوقد تحته نارا، فإذا اقترب ارتفعوا حتى كاد أن يخرجوا، فإذا خمدت رجعوا فيها، وفيها رجال ونساء عراة، فقلت: من هذا ؟ قالا: انطلق، فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم، وعلى وسط النهر رجل بين يديه حجارة، فأقبل الرجل الذي في النهر، فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر في فيه فرده حيث كان، فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر فيرجع كما كان، فقلت: ماهذا ؟ قالا: انطلق، فانطلقنا حتى انتهينا إلى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة، وفي**

أصلها شيخ وصبيان، وإذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها، فصعدا بي في الشجرة وأدخلاني دارا لم أر قط أحسن منها، فيها رجال شيوخ وشباب ونساء وصبيان، ثم أخرجاني منها فصعدا بي الشجرة فأدخلاني دارا هي أحسن وأفضل فيها شيوخ وشباب، فقلت: طوفتماني الليلة فأخبراني عما رأيت ؟ قالا: نعم، أما الذي رأيته يشق شدقه فكذاب يحدث بالكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيصنع به ما رأيت إلى يوم القيامة، والذي رأيته يشدخ رأسه فرجل علمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار يفعل به إلى يوم القيامة، والذي رأيته في الثقب فهم الزناة، والذي رأيته في النهر آكلوا الربا، والشيخ في أصل الشجرة إبراهيم عليه السلام والصبيان حوله فأولاد الناس، والذي يوقد النار مالك خازن النار، والدار الأولى التي دخلت دار عامة المؤمنين، وأما هذه الدار فدار الشهداء، وأنا جبريل وهذا ميكائيل فارفع رأسك، فرفعت رأسي، فإذا فوقي مثل السحاب قالا ذاك منزلك قلت: دعاني أدخل منزلي، قالا: إنه بقي لك عمر لم تستكمله فلو استكملت أتيت منزلك) رواه البخاري.

وعن سمرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **(رأيت الليلة رجلين أتياني فصعدا بي الشجرة فأدخلاني دارا هي أحسن وأفضل لم أر قط أحسن منها قالا أما هذه الدار فدار الشهداء)** رواه البخاري.

قال ابن علان في دليل الفالحين: " **(هي أحسن وأفضل)** حذف المفضل عليه إيماء إلى تفخيم الدار وشرفها " انتهى كلامه.

فإذا كانت دار عامة المؤمنين كما قال ﷺ: **(لم أر دارا قط أحسن منها)** فكيف بدار الشهداء التي صرح النبي ﷺ أنها أفضل وأحسن من دار عامة المؤمنين، فتلك دارهم ومستقرهم، قد زينت بأنواع النعيم وأرفعه، وهيئت لهم خصيصا، ميزوا بها عن غيرهم، وزيدوا على غيرهم بالفضائل والمكارم حتى ظهر شرفهم وعلوهم وبانت عظمتهم، فيا لغبطتهم بما هم فيه، ويا لفرحهم وسرورهم.

الفضيلة السبعون: الشهيد يتوج بتاج الوقار في الجنة:

نعم فالشهيد ملك في الجنة كما سبق، فيتوج كما يتوج الملوك، وليس بأي تاج، بل تاج الوقار والعظمة والكرامة الدال على عظمة صاحبه، وأنه مكرم عند الله تعالى وعند ملائكته وخلقه، فإن الشهيد عظيم عند الله تعالى وعند الخلق، وكريم على الله تعالى وعلى الخلق.

وهذا التاج مكون ومرصع بالياقوت، والياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، فكيف به كله قال ﷺ: **(للشهيد عند الله سبع خصال: يغفر له في أول دفعة من دمه... ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها)** رواه أحمد في مسنده عن المقدام بن معد يكرب، وحسنه ابن القطان في بيان الوهم والإيهام، وصححه الألباني في الترغيب والترهيب، وفي رواية عبد الرزاق **(تاج الكرامة)** بدل الوقار.

قال الشهيد أبو يحيى الليبي رحمه الله في الأربعين في فضل الشهادة: " لما سعى الشهيد في بذل روحه لإعزاز الدِّين ورفعته وتعظيمه، كافأه الله بإلباسه تاج الوقار الذي هو سبب العزة والعظمة والشرف، ففيه معنى الجزاء من جنس العمل" انتهى كلامه.

يخص بهذا التاج العظماء من أهل الجنة، ومنهم الشهيد، فهو ما بين حلة وتاج، وحور وقصور، وبساتين وجنان، وأنوار وأنهار، وعيون و... و... إلى آخر النعيم الذي ماله آخر.

الفضيلة الحادية والسبعون: الشهيد يتكئ في الجنة على الأسرة:

من نعيم الجنة – وكلها نعيم ولذة –: الأسرة التي يتكئ عليها ويجلس ويضطجع، وعليها تكون الحور العين وفيها قرارها.

وقد جاء في صفات أسرة الجنة عامة بأنها سرر مصفوفة بعضها إلى جانب بعض، لا بعيدة عن بعضها ولا مبعثرة، وأنها سرر مرفوعة، وكلما ارتفع السرير كان أعظم لذة ونعيما، وليس ارتفاعها كارتفاع أسرة الدنيا بل هي أرفع وأرفع، في جنة واسعة عالية، وأجساد طويلة.

وهي أيضا سرر موضونة، أي منسوجة مضاعفة متداخلة بعضها على بعض، فهي في مضاعفة النسج والتركيب كما يقول العوام: مدبلة، وهذه السرر عليها الفرش، وبطانة هذه الفرش من الاستبرق، فكيف بظهارة الفراش، وعلى السرر الحجال وهي الغطاء الذي يعلق فوق السرير فيغطيه بكامله بألوان زاهية.

وفوق هذا كله، هذه السرر هي متكؤ ومضطجع الحور العين، ذات الجمال واللين، كما قال تعالى: **﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (٥٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**

(٥٥) فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ فقوله **(فيهن)** أي في هذه الفرش، ولهذا لما ذكر الله تعالى السرر المصفوفة في القرآن قرنها بذكر الحور لارتباطهما.

وللشهيد من هذه الأسرة ومن هذه الفضيلة الحظ الأسمى، فإن الشهداء - كما سيأتي إن شاء الله - من المقربين، وقد ورد للمقربين في السرر والفرش ما لم يرد لأصحاب اليمين الذين هم عامة أهل الجنة.

وأيضا فالشهيد قد خص بما سبق ذكره من التزويج بالحور العين كما وكيفا، وارتباطه بالحور شديد، وبهذا يمكن أن يخص أيضا بما هو أعظم متعلق بالحور العين وهي السرر والفرش والأرائك التي هو منزل ومستقر الحور العين في الجنة كما وكيفا أيضا عن غيره من أهل الجنة، فلابد لكل زوجة وعروس من جهاز وأسرة، وكما اختلفت الزوجات في الشكل فلابد أن تختلف الأسرة والفرش أيضا، فمن لازم الحور السرر والفرش، قال ابن القيم في الحادي: " وقال تعالى: **(إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا عربا وأترابا لأصحاب اليمين)** أعاد الضمير إلى النساء ولم يجر لهن ذكر لان الفرش دلت عليهن اذ هي محلهن " انتهى.

وقد جاء أن الشهداء على الأسرة يتكئون، فقد ورد عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **(دخلت البارحة الجنة فنظرت فيها فإذا حمزة متكيء على سرير)** رواه الحاكم، وصححه، ورواه الطبراني في الكبير، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

وحمزة رضي الله عنه قد قتل شهيدا، وهذا الوصف إنما هو في البرزخ وقد أتيح للشهيد في البرزخ ما لم يتح لغيره كما سبق، وأبهم وصف السرير تعظيما له.

الفضيلة الثانية والسبعون: الشهادة في سبيل الله تزيل العيوب والنقائص التي كانت في الدنيا وتلغي الفوارق الدنيوية:

نعم فمن قتل في سبيل الله وكان به عيب أو نقص، من عمى أو نتن ريح أو فقر أو سواد أو عرج أو شلل أو غير ذلك، فإن الشهادة في سبيل الله تزيل جميع تلك العيوب والنقائص، بل ويكون صاحبها أكمل ما يكون من الصفات المعاكسة لتلك العيوب.

فمثلا السواد، يبيض الله وجه الأسود في الجنة بالشهادة، وليس كأي بياض، بل أكمل بياض، وهكذا، وقد ورد عن أنس رضي الله عنه: أن رجلا أسود أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني رجل أسود، منتن الريح، قبيح الوجه، لا مال لي، فإن أنا قاتلت هؤلاء حتى أقتل فأين أنا ؟ قال: (**في الجنة**) فقاتل حتى قتل، فأتاه النبي ﷺ فقال: (**قد بيض الله وجهك، وطيب ريحك، وأكثر مالك**) وقال لهذا أو لغيره: (**لقد رأيت زوجته من الحور العين نازعته جبة له من صوف تدخل بينه وبين جبته**) رواه الحاكم في المستدرك، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الترغيب والترهيب.

عن عكرمة مولى بن عباس قال: (كان عمرو بن الجموح – شيخ من الأنصار – أعرجا، فلما خرج النبي ﷺ إلى بدر قال لبنيه: أخرجوني، فذكر للنبي ﷺ عرجه وحاله، فأذن له في المقام، فلما كان يوم أحد خرج الناس، فقال لبنيه: أخرجوني، فقالوا: قد رخص لك رسول الله ﷺ وأذن، قال: هيهات منعتموني الجنة ببدر وتمنعونيها بأحد، فخرج، فلما التقى الناس قال لرسول الله ﷺ: أرأيت إن قتلت اليوم أطأ بعرجتي هذه الجنة ؟ قال: (**نعم**) قال: فوالذي بعثك بالحق لأطأن بها الجنة اليوم إن شاء الله، فقال لغلام له كان معه – يقال له سليم – ارجع إلى أهلك، قال: وما عليك أن أصيب اليوم خيرا معك، قال: فتقدم إذا، قال: فتقدم العبد فقاتل حتى قتل، ثم تقدم وقاتل هو حتى قتل) رواه ابن المبارك في الجهاد، وهو مرسل ولكن يشهد له ما بعده.

روى البيهقي في السنن عن ابن إسحاق: حدثني والدي إسحاق بن يسار، عن أشياخ من بني سلمة قالوا: (كان عمرو بن الجموح أعرج شديد العرج، وكان له أربعة بنون شباب يغزون مع رسول الله ﷺ إذا غزا، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يتوجه إلى أحد قال له بنوه: إن الله عز وجل قد جعل لك رخصة، فلو قعدت فنحن نكفيك، فقد وضع الله عنك الجهاد، فأتى عمرو بن الجموح رسول الله ﷺ فقال له: يا رسول الله، إن بني هؤلاء يمنعونني أن أخرج معك، ووالله إني لأرجو أن أستشهد معك فأطأ بعرجتي هذه في الجنة، فقال له رسول الله ﷺ: (**أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد**) وقال لبنيه: (**وما عليكم أن تدعوه لعل الله عز وجل يرزقه الشهادة**) فخرج مع رسول الله ﷺ فقتل يوم أحد شهيدا) وفيه جهالة ولكن يشهد له ما قبله وما بعده.

روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي قتادة رضي الله عنه أنه حضر ذلك قال: (أتى عمرو بن الجموح إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، أرأيت إن قاتلت في سبيل الله حتى أقتل أمشي برجلي هذه

صحيحة في الجنة ؟ وكانت رجله عرجاء، فقال رسول الله ﷺ: **(نعم)** فقتلوا يوم أحد هو وابن أخيه ومولى لهم، فمر عليه رسول الله ﷺ فقال: **(كأني أنظر إليك تمشي برجلك هذه صحيحة في الجنة)** فأمر رسول الله ﷺ بهما وبمولاهما فجعلوا في قبر واحد) قال الهيثمي ورجاله رجال الصحيح غير يحيى بن نصر الأنصاري وهو ثقة، وحسن إسناده الحافظ في الفتح.

والشهادة في سبيل الله تلغي الفوارق الدنيوية بين الناس، فلا يبقى لأحد فضل دنيوي أو فارق دنيوي مهما كان على الشهيد.

عن سعيد بن عثمان البلوي عن جدته أنيسة بنت عدي رضي الله عنها أنها جاءت إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله ابني عبد الله بن سلمة – وكان بدريا – قتل يوم أحد، أحببت أن أنقله فآنس بقربه، فأذن لها رسول الله ﷺ، فعدلته بالمجذر بن زياد على ناضح له في عباءة، فمرت بهما، فعجب لهما الناس، فنظر إليهما رسول الله ﷺ فقال: **(سوى بينهما عملهما)** وكان عبد الله رجلا جسيما ثقيلا، وكان المجذر قليل اللحم " رواه الطبراني في الكبير، قال الهيثمي: ورجاله ثقات، وحسن إسناده الحافظ في الإصابة، والمجذر استشهد أيضا يوم أحد.

الفضيلة الثالثة والسبعون: الشهيد لا يصعق ولا يفزع عند النفخ في الصور:

عندما تقترب الساعة ينفخ في الصور، فيصعق ويفزع ويموت جميع الخلائق إلا من شاء الله، ثم ينفخ النفخة الثانية، فتبعث الأجساد من قبورها وتحيا، فهما نفختان نفخة فزع وصعق ونفخة بعث، وقيل إنهما ثلاث نفخات نفخة فزع ونفخة صعق ونفخة بعث والله أعلم.

وقد دل على هذه النفخات قوله تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ**﴾ **النمل.**

وقال تعالى: ﴿ **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ** ﴾ **الزمر.**

وقد استثنى الله تعالى في الآيتين السابقتين خلقا من الصعق والفزع، فلا يصعقون ولا يفزعون من النفخة، وهؤلاء المستثنون هم الشهداء.

فقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن رسول الله ﷺ أنه سأل جبريل عليه السلام عن هذه الآية **((ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله) من الذين لم يشإ الله أن يصعقهم ؟ قال: هم شهداء الله عز وجل)** رواه الحاكم وأبو يعلى، وصححه الحاكم، وقال الذهبي على شرط البخاري ومسلم، وقال الحافظ في الفتح ورواته ثقات، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

وعلى كلا القولين السابقين في عدد النفخات يظهر فضل الشهيد.

وإنما لم يصعقوا ولم يموتوا لإنهم أحياء كما سبق، ومن كمال حياتهم أن لا يصعقوا ولا يفزعوا ولا موت بعد حياتهم، وإنما هو البعث والحياة الأخرى حياة الآخرة، وهذا فضل عظيم للشهيد وشرف له أن يستثنى من الفزع والصعق، فلا يفزع ولا يصعق.

وقد ورد حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي ﷺ: **(لا تخيروني على موسى، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأصعق معهم فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش جانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي أو كان ممن استثنى الله ؟)** رواه البخاري.

قال الحافظ في الفتح: " قوله **(فلا أدري أكان ممن صعق فأفاق قبلي أو كان ممن استثنى الله)** أي فلم يكن ممن صعق، أي فإن كان أفاق قبلي فهي فضيلة ظاهرة، وإن كان ممن استثنى الله فلم يصعق فهي فضيلة أيضا " انتهى كلامه.

فالصعق يشمل الخلائق أجمع لا في السموات ولا في الأرض، الملائكة والناس وجميع الأحياء يصعقون إلا من استثنى الله ومنهم الشهداء، فهذا فضل عظيم وتخصيص يشرف الشهيد.

الفضيلة الرابعة والسبعون: حسن مبعث الشهيد وشرفه:

عندما يبعث الناس يوم القيامة من قبورهم يبعثون على ما ماتوا عليه من الحال في الدنيا من خير أو شر، وما مات عليه من العمل كما في حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(من مات على شيء بعثه الله عليه)** رواه الحاكم، وقال صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

وروى الحاكم وصححه عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **(من مات على مرتبة من هذه المراتب بعث عليها يوم القيامة)** وقال الهيثمي رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات في أحد السندين.

فمن مات عاصيا فاسقا وعلى معصية بعث عليها، ومن مات على طاعة وبر وخير بعث عليه، ومن مات سكرانا بعث سكرانا، ومن مات مغنيا بعث مغنيا، ومن مات حاجا بعث حاجا وملبيا، ومن مات صائما بعث صائما، ومن مات مطيعا بعث على طاعته.

فإن كانت الحالة التي مات عليها والعمل الذي مات عليه سيئا بعث عليها، إشهارا له على رؤوس الأشهاد وفضيحة له في العرصات والمحشر، وعلامة له على مآله، فإن الأعمال بالخواتيم، وإن كانت الحالة حسنة كانت له شرفا ورفعة على رؤوس الأشهاد والناس، وإظهارا لمنزلته وعلوه، وعلامة له في العرصات والمحشر على مآله.

ومبعث الشهيد من قبره من أفضل وأحسن المباعث التي يبعث بها الناس، فإن خاتمته أفضل الخواتيم كما سبق بيانه، فالشهيد عندما يقتل يكون عليه أثر الدماء على جسده وملابسه، فلا يزال هذا الأثر لأن الله يحبه ولأنه سيبعث عليه يوم القيامة، فلا يغسل جسده ولا تنزع ملابسه بل يدفن بها، لكي يبعث يوم القيامة وعليه الدم يسيل كهيئته يوم كلم وجرح بلون الدم وريح المسك إظهارا لشرفه على رؤوس الأشهاد في أنه ضحى بنفسه وسالت دماه من أجل رضا الله تعالى، ولكي يلقى الله بهذا الأثر الذي يحبه والذي سال من أجله، ولا أحد مهما بلغ عمله يشابه الشهيد في هذا المبعث.

كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم عن النبي ﷺ: **(والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كلم لونه لون دم وريحه مسك)**.

وعن أبي هريرة عن النبي – ﷺ – قال: **(لا يكلم أحد في سبيل الله – والله أعلم بمن يكلم في سبيله – إلا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب دما اللون لون دم والريح ريح المسك)** رواه النسائي وصححه الألباني في صحيح الجامع.

ومعنى **(يثعب)**: أي يجري ويسيل.

وجاء عند أحمد عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ: **(لا تغسلوهم – أي قتلى أحد – فإن كل جرح أو كل دم يفوح مسكا يوم القيامة، ولم يصل عليهم)** سكت عنه الحافظ في الفتح، وقال الشوكاني في النيل وهي رواية لا مطعن فيها، وصححه الألباني في السلسلة الضعيفة.

فيظهر حينئذ منزلته على رؤوس الأولين والآخرين والملائكة والنبيين.

قال الحافظ في الفتح: " والحكمة في كون الدم يأتي يوم القيامة على هيئته أنه يشهد لصاحبه بفضله، وعلى ظالمه بفعله، وفائدة رائحته الطيبة أن تنتشر في أهل الموقف إظهارا لفضيلته أيضا، ومن ثم لم يشرع غسل شهيد المعركة " انتهى كلامه.

قال العراقي في طرح التثريب: " دم الشهيد اللون لون دم والريح ريح مسك، فلا جرم لا يجوز غسله " انتهى كلامه.

وأيضا يبعث بهذا الدم ويبقى عليه ولا يغسل ليكون حجة له وشاهدا له على خصمه وقاتله يوم القيامة، قال العراقي في طرح التثريب: " إن دم الشهيد حجة له على خصمه " انتهى كلامه.

وعلى هذا كلما ازداد نزيف الدم وسيلانه كلما كان ذلك أفضل للشهيد، ولعل لهذا الفضل ولهذا الأثر الذي يحبه الله وكون الشهيد يبعث يوم القيامة دمه بريح المسك لما قتل حرام بن ملحان نضح الدم على رأسه ووجهه الذي هو أشرف شيء في الجسد، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: لما طعن حرام بن ملحان – وكان خاله – يوم بئر معونة قال بالدم هكذا، فنضحه على وجهه ورأسه، ثم قال (فزت ورب الكعبة) رواه البخاري.

قال الإمام كمال الدِّين الزملكاني في كتابه (المسمَّى تحقيق الأولى من أهل الرفيق الأعلى): " فإن قيل: فقد قال النَّبي ﷺ: (لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك) ودم الشهيد ريحه ريح المسك، وما كان أطيب من ريح المسك كان أعلى مما ريحه ريح المسك؛ قلتُ: الفرق بين الموضعين من وجوه:

أحدها: أنَّ هذا الخلوف قال فيه: عند الله تعالى، ودم الشهيد ريحه ريح المسك عند النَّاس، ولم يذكر كيف هو عند الله تعالى، فلا جامع بين الأمرين، ولا يخرج هذا عن أن يكون خصوصيَّة للشهيد.

الثاني: أنَّ الخلوف لم يتغيَّر عن رائحته المكروهة عند النَّاس، لكن الله تعالى أخبر أنَّ ذلك الذي يكرهونه يعامله معاملَة من حصل له ما هو أطيب من المسك، ودم الشهيد أحاله الله تعالى طيبًا، ريحه ريح المسك، وأين ما أحيل طَيِّبًا إلى ما عومل معاملة الطَّيِّب، مع بقائه على حاله؟

الثالث: أنَّ طيب الخلوف ينقطع بانقطاع الخلوف، إذ الخلوف يزول بزوال سببه، وهو الصوم، ودم الشَّهيد يحصل له الطيب بعد انقضاء سببه، فَتَرَجَّحَ من هذا الوجه " انتهى من قوت المغتذي على جامع الترمذي.

وأيضا فإن الشهيد مات مجاهدا مقاتلا لأعداء الله مجهدا نفسه في ذلك، فيبعث مجاهدا متقلدا للسلاح كما مات.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (**إذا وقف العباد للحساب جاء قوم واضعي سيوفهم على رقابهم تقطر دما، فازدحموا على باب الجنة، فقيل: من هؤلاء ؟ قيل: الشهداء كانوا أحياء مرزوقين**) رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن كما قال المنذري وابن النحاس، وقال الهيثمي: ورجاله وثقوا على ضعف يسير في بعضهم.

ويستأنس بما روى أبو يعلى وابن أبي الدنيا عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه سأل جبريل عليه السلام عن هذه الآية (**فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله" من الذي لم يشإ الله أن يصعقوا ؟ قال: هم الشهداء يبعثهم الله متقلدين أسيافهم حول عرشه، تتلقاهم ملائكة من المحشر بنجائب من ياقوت، أزمتها الدر الأبيض برحال الذهب، أعنتها السندس والإستبرق، وزمامها ألين من الحرير، مد خطاها مد أبصار الرجال يسيرون في الجنة على خيول، يقولون عند طول النزهة: انطلقوا بنا إلى ربنا تبارك وتعالى ننظر إليه كيف يقضي بين خلقه، يضحك الله إليهم، وإذا ضحك الله عز وجل إلى عبد في موطن فلا حساب عليه**) وفيه ضعف.

وقد ذكر الذهبي في التذهيب عن أبي عبد الله الجوزجاني رفيق السيد الجليل إبراهيم بن أدهم قال: غزا إبراهيم في البحر، فقدم أصحابنا فأخبروني: أنه اختلف في الليلة التي توفي فيها إلى الخلاء خمسا وعشرين مرة كل ذلك يجدد الوضوء للصلاة، فلما أحس بالموت قال: أوتروا لي قوسي وقبض قوسه فقبض الله روحه والقوس في يده.

قال ابن النحاس في المشارع: " ما أراه فعل ذلك إلا رجاء أن يبعثه الله يوم القيامة على الهيئة التي قبض عليها " انتهى كلامه.

وفي هذا أيضا شرف آخر للشهيد ومبعث حسن له، وإن لم يكن فيه دماء، فكيف مع الدماء.

وأيضا من حسن مبعث الشهيد إنه لا يبعث عاريا كغيره، لأنه قد دفن بملابسه وثيابه التي أصابها الدم، فيبعث بها يوم القيامة كما روى أبو سعيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إن الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها**) رواه أبو داود والحاكم، وصححه، وصححه أيضا الألباني في صحيح أبي داود.

قال الحافظ في الفتح: " ولأصحاب السنن وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم من حديث معاذ بن جبل (**من جرح جرحا في سبيل الله أو نكب نكبة فإنها تجئ يوم القيامة كأغزر ما كانت لونها الزعفران وريحها المسك**) وعرف بهذه الزيادة أن الصفة المذكورة لا تختص بالشهيد، بل هي حاصلة لكل من جرح، ويحتمل أن يكون المراد بهذا الجرح هو ما يموت صاحبه بسببه قبل اندماله، لا ما يندمل في الدنيا، فإن أثر الجراحة وسيلان الدم يزول، ولا ينفي ذلك أن يكون له فضل في الجملة، لكن الظاهر أن الذي يجيء يوم القيامة وجرحه يثعب دما من فارق الدنيا وجرحه كذلك، ويؤيده ما وقع عند ابن حبان من حديث معاذ المذكور (**عليه طابع الشهداء**) وقوله (**كأغزر ما كانت**) لا ينافي قوله (**كهيئتها**) لأن المراد لا ينقص شيئا بطول العهد، قال العلماء: الحكمة في بعثه كذلك أن يكون معه شاهد بفضيلته ببذل نفسه في طاعة الله تعالى " انتهى كلامه.

فما أعظم شرف الشهيد وقدره فهو في كل حال مشرف، في الدنيا مشرف عند المسلمين، فمن قتل شهيدا أعظم في أعين المسلمين قدرا، حتى إنه ليلحق التشريف والتعظيم والتقدير أهله وأولاده، فيقال هؤلاء أولاد الشهيد فلان أو إخوته أو أبوه، وما أعظم شرفه ومنزلته عند الله وملائكته، فهو مكرم في السماء ومشرف في البرزخ عندهم، وما أعظم شرفه إذا بعث وحشر عند الخلائق الأولين والآخرين المسلمين والمشركين أجمعين، فيظهر فضله وتخصيصه عليهم، وما أعظم فضله وشرفه إذا دخل الجنة عند أهلها وعند الملائكة، فهو أرفع منهم درجة ويخص دونهم بكثير من الفضائل والخصائص ويظهر شرفه عليهم، فهو الشريف في الدنيا، والشريف في البرزخ، والشريف في البعث والقيامة، والشريف في الجنة، فهو أبدا شريف مشرف.

الفضيلة الخامسة والسبعون: الشهيد يبعث ويحشر آمنا يوم القيامة:

ليوم القيامة أهوال وشدائد عظام، وقد وصف الله ذلك اليوم باليوم العظيم والثقيل والعسير والعبوس وغير ذلك من الأوصاف المروعة الهائلة.

فمن شدة أهوالها تذهل كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، وفيه تشخص الأبصار وتقنع الرؤوس، ولا يرتد الطرف والأفئدة هواء خالية من كل شيء من شدة الهول، يوم يجعل الولدان شيبا، والقلوب واجفة، والأبصار خاشعة، ويفر الخلائق من بعضهم البعض من شدة الخوف، فيفر المرء من أبيه وأخيه وأمه وصاحبته وبنيه، ولا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا، ويود الكافر لو يفتدي من العذاب بكل شيء ولو بالأرض جميعا ومثله معه وبأهله وولده وأخيه وفصيلته التي تؤيه ومن في الأرض جميعا لكي ينجو.

وفيه يطول الزمان بأهله حتى يقارنوا بقاءهم في الدنيا بمقدار ساعة عند يوم القيامة، فأهوال ذلك اليوم شديدة عظيمة، ومن هذه الأهوال أن السماء تطوى، وتقبض الأرض، وتمور السماء، وتتشقق وتنفطر، وتكور الشمس، ويخسف القمر، وتتناثر النجوم، وتدك الأرض، وتنسف الجبال وتسير فتكون قاعا صفصفا لا عوج فيها ولا أمتا، وتفجر البحار وتشتعل نارا، وتبدل الأرض والسماء، وتدنوا الشمس من رؤوس الخلائق بمقدار ميل، فيصيب الناس الحر الشديد ويكون العرق منهم على قدر أعمالهم، فمنهم من هو إلى كعبيه، ومنهم من هو إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاما، ويغضب الله غضبا لم يغضب قبله مثله، وتسجر جهنم وتزفر زفراتها، يوم عظيم ما أهوله وما أشده والأهوال أكثر، ولكن المقام لا يتسع لذكرها.

والشهيد يبعث آمنا في يوم القيامة، فقد سبقت له من الله الحسنى والسعادة ورضي عنه قبل أن تقوم القيامة، وقد غفرت جميع ذنوبه، وقد أعطي الأمن في ذلك اليوم فهو لا يخاف إذا خاف الناس ولا يحزن إذا حزن الناس، قال تعالى: ﴿ **وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ **آل عمران.**

فهم استبشروا لأصحابهم بأنهم إذا استشهدوا لا خوف عليهم مما أمامهم، بل هم في أمن وعافية كما فعل بهم، فلا خوف على الشهيد أبدا.

وقد روى المقدام بن معد يكرب قال: قال ﷺ: (**للشهيد عند الله سبع خصال... ويأمن الفزع الأكبر**) رواه أحمد، وحسنه ابن القطان في بيان الوهم والإيهام، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

وأقرب التفسيرات لمعنى الفزع الأكبر هو تفسير ابن عباس أنه أهوال يوم القيامة والبعث، فإنه التفسير الذي يتماشى مع روايات الحديث، فإن جميع السياقات التي جاء فيها ذكر الأمن من الفزع تفيد أن ذلك الفزع يكون يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿ **لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ** ﴾ **الأنبياء**، فلا يكون قبل يوم القيامة ولا بعد يوم القيامة عند دخول أهل الجنة الجنة كما في بقية الأقوال التي فسر بها الفزع الأكبر.

وفي رواية في الحديث (**ويأمن يوم الفزع الأكبر**) وهذا يشير إلى أنه يأمن يوم القيامة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (**من مات مرابطا في سبيل الله أجري عليه أجر عمله الصالح الذى كان يعمل، وأجري عليه رزقه، وأمن من الفتان، وبعثه الله يوم القيامة آمنا من الفزع**) رواه ابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه.

وقوله تعالى: ﴿ **وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ**﴾ **النمل**.

وقال تعالى: ﴿ **أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾ **فصلت**.

وهذا يفيد أمن الشهيد يوم القيامة ومن أهوالها وأفزاعها، ومعلوم أن يوم القيامة يكون من البعث من القبور إلى دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار والفراغ من الحساب.

قال الحافظ في الفتح: " والحاصل أن يوم القيامة يطلق على ما بعد نفخة البعث من أهوال وزلزلة وغير ذلك إلى آخر الاستقرار في الجنة أو النار" انتهى كلامه.

فيكون الشهيد آمنا فيه كما سبق في الأحاديث.

ويؤيده ما سبق من عدم خوف الشهيد في قوله تعالى: ﴿ **وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ**﴾ **آل عمران**.

ومن أمن الشهيد يوم القيامة أمنه من الأهوال والزلازل والمفزعات والكرب التي تحدث يوم القيامة ومن ذلك أيضا أمنه من العذاب وأمنه من العرق الذي يصيب الناس من دنو الشمس بل زيادة على أمن الشهيد من الأهوال والعرق الذي يصيب الناس، أنه مع سلامته من العرق – لعدم الذنوب التي يعرق لأجلها – أن ريحه المسك هناك في العرصات، حيث الأهوال والأفزاع والعرق وماذا ينتجه العرق من الروائح الكريهة.

قال الحافظ في الفتح على حديث دنو الشمس من الخلائق وعرق الناس: " قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: ظاهر الحديث تعميم الناس بذلك، ولكن دلت الأحاديث الاخرى على أنه مخصوص بالبعض وهم الأكثر، ويستثنى الأنبياء والشهداء ومن شاء الله، فأشدهم في العرق الكفار، ثم أصحاب الكبائر، ثم من بعدهم، والمسلمون منهم قليل بالنسبة إلى الكفار " انتهى كلامه.

ومن الأدلة التي تدل على أمن الشهيد يوم القيامة من الأهوال وتهوينه عليه ما جاء عن هانئ مولى عثمان قال: كان عثمان إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتبكي من هذا ؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال: **(إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه)** قال: وقال رسول الله ﷺ: **(ما رأيت منظرا قط إلا القبر أفظع منه)** رواه الترمذي والحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

وهذا يدل على أن الشخص إذا كان في قبره منعما ومكرما ومرضيا عنه فما بعده من الأهوال والمحشر والحساب وغير ذلك أهون، وإن عذب الشخص في قبره فما بعده أشد منه، قال المناوي في الفيض في شرحه لهذا الحديث قال: **(إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا)** الميت **(منه)** أي من القبر أي من عذابه ونكاله فما بعده من أهوال المحشر والموقف والحساب والصراط والميزان وغيرها أيسر عليه **(منه)** **(وإن لم ينج منه)** أي من عذابه **(فما بعده)** مما ذكر **(أشد منه)** عليه فما يراه الإنسان عنوان ما سيصير إليه " انتهى كلامه.

وحال الشهيد في قبره وبرزخه من أفضل أحوال أهل الجنة، بل لم يرد في حال أحد في برزخه أفضل مما ورد في الشهيد، وعلى هذا الحديث يكون حاله يوم القيامة أيسر عليه من قبره.

وقد ورد حال بعض الناس في يوم القيامة في بعض الأحاديث، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (**إن المقسطين عند الله على منابر من نور يوم القيامة بين يدي الرحمن بما أقسطوا في الدنيا**) رواه مسلم والنسائي.

وورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**للمهاجرين منابر من ذهب يجلسون عليها يوم القيامة قد أمنوا من الفزع**) رواه ابن حبان وذكره الألباني في الصحيحة.

فلا عجبا أن يكون الشهيد أيضا آمنا من الفزع وحاله أحسن حال.

وقد قيل في معنى الفزع الأكبر أقوال أخرى، لكن السياقات وظواهر النصوص لا تقوي هذه الأقوال بل تخالفها، فقيل: هو الموت، وقيل: النفخة في الصور، وقيل: حين يؤمر بالعبد إلى النار، وقيل: حين تطبق النار على أهلها، وقيل: ذبح الموت بين الجنة والنار، وقيل غير ذلك.

فما أعظم هذا الفضل حين يأمن الشهيد من هذه الأهوال العظيمة السابقة فلا تخيفه لسابق علمه بحب الله له وعظيم منزلته عنده، فلما أخاف نفسه وخاض الحروب وأوردها المخاوف جازاه الله من جنس عمله، فجازاه بالأمن في الدارين، دار البرزخ ودار الآخرة، فلا خوف يلحقه ولا تعب ولا فزع، فهو يتقلب من أمن إلى أمن، وإنما يخاف المذنب والمسيء، والشهيد قد أحسن عملا ولا ذنب عليه، والله تعالى لن يعذبه بغير ذنب، فمما يخاف ؟ ولو لم يكن في الشهادة إلا هذا الفضل لكفى.

الفضيلة السادسة والسبعون: الشهيد قريب من الله تعالى في المحشر:

ما أعظم فضل الشهيد ومكانته عند الله فهو يحبه ويقربه في جميع أحواله، ففي البرزخ قريب، وفي القيامة قريب، وفي الجنة قريب، وفي زيارة الله قريب، فهو في كل حال مقرب إلى الله.

وقد وردت أحاديث وآثار لا تثبت بنفسها تفيد قرب الشهداء من الله عند المحشر، ولكن يؤخذ من مجموعها أن لذلك أصلا وفضل الله واسع.

فمن ذلك ما روى ابن أبي الدنيا وأبو يعلى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه سأل جبريل عليه السلام عن هذه الآية ((**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ**) **من الذي لم يشإ الله أن يصعقوا ؟ قال: هم الشهداء يبعثهم الله متقلدين أسيافهم حول**

عرشه، تتلقاهم ملائكة من المحشر بنجائب من ياقوت، أزمتها الدر الأبيض برحال الذهب، أعنتها السندس والإستبرق، وزمامها ألين من الحرير، مد خطاها مد أبصار الرجال يسيرون في الجنة على خيول، يقولون عند طول النزهة: انطلقوا بنا إلى ربنا تبارك وتعالى ننظر إليه كيف يقضي بين خلقه، يضحك الله إليهم، وإذا ضحك الله عز وجل إلى عبد في موطن فلا حساب عليه) وفيه ضعف.

ويشهد لأول هذا الحديث ما رواه ابن المبارك وعبد الرزاق عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿ **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ**﴾ **الزمر**، قال: (هم الشهداء ثنية الله عز وجل حول العرش متقلدين السيوف) ومعنى " ثنية الله " أي الذين استثناهم الله عز وجل.

وما رواه ابن المبارك أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (يجيء الله تبارك وتعالى في ظلل من الغمام والملائكة، ثم ينادي مناد: سيعلم أهل الجمع لمن الكرم اليوم، فيقول: عليكم بأوليائي الذين أهراقوا دماهم ابتغاء مرضاتي فينطلقون حتى يدنون) وفيه شهر بن حوشب يعتبر بحديثه.

وروى أبو بكر الشافعي في الغيلانيات عن أبي بن كعب قال (الشهداء يوم القيامة بفناء العرش، في قباب ورياض، بين يدي الله تعالى) وإسناده ضعيف.

فكل هذه الأحاديث تشهد لبعضها البعض في المعنى وهو قرب الشهداء يوم القيامة من الله تعالى.

الفضيلة السابعة والسبعون: الشهيد يجار من عذاب جهنم:

عذاب جهنم وما أدراك ما عذاب جهنم، عذاب شديد أليم مقيم، يفزع القلوب ويرهبها، فلا عذاب يمر على الخلق كذلك العذاب.

فيه الوجوه تشوى، والأجساد تحرق وتكوى، وتسقى بماء المهل حتى تروى، وتضرب بمقامع الحديد بأشد الضرب وأقوى.

وعذاب النار والكلام حوله أمر معروف.

والشهيد يجار من عذاب جهنم، فلا يدخلها أبدا، وذلك أنه ورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إن أول ثلة تدخل الجنة الفقراء المهاجرون الذين تتقى بهم المكاره، إذا أمروا سمعوا وأطاعوا، وإن كانت لرجل منهم حاجة إلى السلطان لم تقض له حتى يموت وهي في صدره، وإن الله تعالى يدعو يوم القيامة الجنة فتأتي بزخرفها وزينتها فيقول: أين عبادي الذين قاتلوا في سبيل الله، وقتلوا في سبيلي، وأوذوا في سبيلي، وجاهدوا في سبيلي ؟ ادخلوا الجنة، فيدخلونها بغير حساب و لا عذاب**...) رواه أحمد والحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي، ورواه الطبراني وقال الهيثمي ورجال الطبراني رجال الصحيح غير أبي عشانة وهو ثقة، وصححه أحمد شاكر، وصحح إسناده الألباني في الصحيحة.

ففي هذا الحديث صرح بأن الشهداء يدخلون الجنة بغير عذاب وأنه لا يسبق دخولهم للجنة عذاب جهنم.

وكذلك الشهيد يجار من عذاب القبر كما سبق، ومن أجير من عذاب القبر أجير من عذاب جهنم، لأن القبر أول منازل الآخرة كما سبق بيانه، فإذا كان لا عذاب فيه ونجا منه صاحبه فما بعده أهون منه فلا عذاب عليه في الآخرة، وإن لم ينج منه فما بعده أشد، قال المناوي في شرحه لحديث (**من قتله بطنه لم يعذب في قبره**) في الفيض: " (**لم يعذب في قبره**) وإذا لم يعذب فيه لم يعذب في غيره، لأنه أول منازل الآخرة، فإن كان سهلا فما بعده أسهل، وإلا فعكسه " انتهى كلامه.

وقد ورد في الحديث عن سهل رضي الله عنه قال: التقى النبي ﷺ والمشركون في بعض مغازيه فاقتتلوا، فمال كل قوم إلى عسكرهم، وفي المسلمين رجل لا يدع من المشركين شاذة ولا فاذة إلا اتبعها فضربها بسيفه، فقيل: يا رسول الله ما أجزأ أحد ما أجزأ فلان، فقال: (**إنه من أهل النار**) فقالوا: أينا من أهل الجنة إن كان هذا من أهل النار ؟ فقال رجل من القوم: لأتبعنه، فإذا أسرع وأبطأ كنت معه، حتى جرح فاستعجل الموت، فوضع نصاب سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه، فجاء الرجل إلى النبي ﷺ فقال: أشهد أنك رسول الله فقال: (**وما ذاك ؟**) فأخبره، فقال: (**إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، وإنه من أهل النار، ويعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة**) رواه البخاري.

قال الحافظ في الفتح: " وفيه إشارة إلى أن الشهيد لا يدخل النار، لأنه ﷺ قال: **(إنه من أهل النار)** ولم يتبين منه إلا قتل نفسه، وهو بذلك عاص لا كافر، لكن يحتمل أن يكون النبي ﷺ اطلع على كفره في الباطن، أو أنه استحل قتل نفسه " انتهى كلامه.

وأيضا الشهيد يدخل الجنة حالا من حين يقتل، ومن دخل الجنة أمن من دخول النار، إذ ليس في الشرع أن شخصا يدخل الجنة ثم يدخل النار.

وأيضا الشهيد قد غفرت ذنوبه كلها، ومن لا ذنوب عليه لا عذاب عليه، وإنما يعذب المذنبون والعصاة.

وهنا فضل مميز أن الشهيد مهما كثرت وكبرت ذنوبه ومعاصيه ولو مات مصرا عليها فهو مجار من عذاب جهنم إذا ختم له بالشهادة، لأن الشهادة يغفر بها سالف الذنوب جميعا، بخلاف بقية العصاة والذين يموتون وهم مصرون على الذنوب، فإنهم ليسوا في أمان من عذاب جهنم.

ومما يدل أيضا على أمان الشهيد من عذاب جهنم أن الشهيد كريم على الله ومنزلته عظيمة عنده فلن يعذب الله من أحبه وأعد له الدرجات العالية والمكارم العظيمة.

ومما يدل أيضا أن الشهيد كما سبق يرضى الله عنه في البرزخ، ويسبق له الرضى من الله تعالى قبل يوم القيامة، والله تعالى لا يعذب من يرضى عنه.

وقد استدل ابن النحاس في المشارع باستدلال دقيق جدا فقال: " المؤمنون عبيد الله تعالى، والعبد لا يملك شيئا يبيعه لسيده، فمتى أعتق صح بيعه، وفي شرائه سبحانه من عباده المؤمنين إشارة إلى أنه ما اشترى إلا ممن سبق قضاؤه بعتقهم، فكل من وفقه لتسليم نفسه إليه بشهادة أو جهاد أو حراسة في موقع خوف بشرط الإخلاص في جميع ذلك، علمنا أن البيع صدر منه أزلا وأن الله قد أعتقه بفضله من النار" انتهى كلامه.

ويؤيد ذلك قوله ﷺ: **(من قاتل في سبيل الله وجبت له الجنة)**.

وقوله: **(حرمت على النار عين سهرت في سبيل الله)** وأشباه ذلك.

وهذا من أعظم فضائل الشهيد في الآخرة أن يجار ويؤمن من عذاب جهنم وعذاب النار، فإنما هي إحدى دارين دار نعيم أو دار شقاء، فمن أمن الدخول في دار الشقاء دخل دار النعيم، ومن عرف ما

أعد لأهل النار من عذاب عرف عظمة هذا الفضل وقدره، وهل كان ديدن الرسول ﷺ إلا سؤال الله الجنة والاستعاذة من عذاب النار، وكان يكثر من ذلك، وهل أقظ مضاجع الصالحين وأسهر ليلهم وأظمأهم في الهواجر وأشغل بالهم وأحزنهم وأبكاهم إلا الخوف من النار ؟

الفضيلة الثامنة والسبعون: الشهيد من أعظم الناس نورا في يوم القيامة وفي الجنة وأولهم مرورا على الصراط وأسرعهم في ذلك:

بعد فصل القضاء يذهب الناس إلى المرور على الصراط – ودون الصراط ظلمة – فيعطون النور ليمروا على الصراط، ويتفاوت النور بحسب تفاوت أعمالهم وإيمانهم.

كما قال ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿ **يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ**﴾ **الحديد**، قال: (على قدر أعمالهم يمرون على الصراط، منهم من نوره مثل الجبل، ومنهم من نوره مثل النخلة، ومنهم من نوره مثل الرجل القائم، وأدناهم من نوره في إبهامه يتقد مرة ويطفأ مرة) رواه ابن أبي شيبة، والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين، وقال الذهبي: على شرط البخاري.

ويكون الصراط منصوبا على متن جهنم وسرعة المارين عليه يكون بحسب أعمالهم ونورهم أيضا، فمنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كطرف العين، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالطير، ومنهم كأجاويد الخيل الركاب، ومنهم من يمشي مشيا، ومنهم من يحبو حبوا، ومنهم من يسقط في جهنم – والعياذ بالله –.

والشهيد يعطى يوم القيامة نورا عظيما، وذلك لأن عمل الشهادة من أعظم الأعمال وأفضلها أجرا، وقد قال تعالى: ﴿ **وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ**﴾ **الحديد**، أي أجر أنفسهم ونور أنفسهم، وهذا يدل على أن للشهداء في نورهم مزية وفضل وخصوصية، وإلا لما أضاف النور إليهم وخصصه بالذكر من بين فضائلهم.

وقد سبق ذكر فضل كون الشهداء وجوههم كالقمر ليلة البدر في النور والضياء، وأن هذا من أعظم ما يكون من نور أهل الجنة.

وجاء أيضا كما سبق ذكره أن أول زمرة تدخل الجنة وأولهم مرورا على الصراط وجوههم كالقمر ليلة البدر في نورهم والذين يلونهم كأضوء نجم في السماء، والشهداء في أول ثلة تدخل الجنة كما سيأتي إن شاء الله ووجوههم كالقمر ليلة البدر في النور والضياء كما سبق بيانه في فضيلة الشهيد وجهه كالقمر ليلة البدر، وهذا يفيد أن نور الشهداء وضياءهم من أعظم النور الذي يحصل للناس يوم القيامة، وهذا فضل عظيم للشهيد حيث يرى طريقه في الظلام به، وحيث تكون سرعته في مروره على الصراط بحسب قوة نوره.

ولهذا يكون الشهيد من أوائل الناس مرورا على الصراط وأسرعهم لعظمة نوره، ولأنه يدخل الجنة بغير حساب كما سيأتي.

وأيضا فإنه شرف عظيم للشهيد على نظر الناس والخلائق أجمع في رؤيتهم لنوره.

وأيضا فإن نور الشهيد في الجنة من أعظم النور وأضوءه، والأدلة على ذلك ما سبق من قوله تعالى: ﴿ **وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ**﴾ فإن هذه الآية تعم نورهم في القيامة، ونورهم في الجنة، وأيضا ما سبق من أن وجوههم كالقمر ليلة البدر في النور والضياء والبهاء والجمال وأن ذلك يكون في الجنة.

فما أعظم هذا الفضل للشهيد حيث يكون عظيم النور في القيامة وفي الجنة، وزيادة على هذا تكون جنته أيضا عظيمة النور، فإن الشهيد درجته عالية في الجنة، وقد ذكر ابن القيم في الفوائد أنه كلما اقتُرب من العرش كلما عظم النور، فإن العرش هو أنور الكائنات، ولهذا أهل الجنة يتراءون أهل الغرف العليا – ومنهم الشهداء كما سيأتي بيانه إن شاء الله – كالكوكب الغابر مع بعد ما بينهم من الدرجات والمسافات، فكيف لو اقترب منهم ماذا يكون النور ؟ ولو قدر أن البصر ينطمس هناك لانطمس من شدة نور الشهيد ونور جنته، وهو أهل لهذا الفضل بتضحيته في سبيل الله تعالى.

الفضيلة التاسعة والسبعون: الشهيد يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب:

الحساب هو أن يوقف الله عباده بين يديه يوم القيامة ثم يسائلهم عن أعمالهم، فيوقف الله عباده بين يديه المؤمن والكافر والمطيع والعاصي ويعرفهم بأقوالهم وأعمالهم ثم يجازيهم بحسب أعمالهم الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة والسيئة بمثلها.

ومشهد الحساب يوم القيامة مشهد عظيم لما فيه من الخوف والهول والرعب، فهناك تطيش عقول الناس وتصاب بالرعب الشديد مما ترى في صحائف الأعمال من مثاقيل الذر من حقوق العباد، قال تعالى: ﴿ **وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**﴾ **الكهف**.

وقال تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ (٢٧) وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ **الجاثية**.

وعن عائشة زوج النبي ﷺ أنها كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه وأن النبي ﷺ قال: **(من حوسب عذب)** قالت عائشة فقلت: أوليس يقول الله تعالى: **(فسوف يحاسب حسابا يسيرا)** قالت: فقال: **(إنما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب يهلك)** رواه البخاري.

ومن الناس من يتأخر دخوله إلى الجنة مئات الأعوام بسبب الحساب.

وهناك أناس يدخلون الجنة بغير حساب، فعندما يأذن الله بالقضاء بين عباده وحسابهم بعد طول الموقف، يؤمر بهم بدخول الجنة من الباب الأيمن من أبواب الجنة المخصص لمن لا حساب عليه، والناس في الحساب ماكثين إلى أن يفرغ منهم، ومن هؤلاء الشهداء فإنهم يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وإليك الأدلة على ذلك:

١. عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(إن أول ثلة تدخل الجنة الفقراء المهاجرون الذين تتقى بهم المكاره، إذا أمروا سمعوا وأطاعوا، وإن كانت لرجل منهم حاجة إلى السلطان لم تقض له حتى يموت وهي في صدره، وإن الله تعالى يدعو يوم القيامة الجنة فتأتي بزخرفها وزينتها فيقول: أين عبادي الذين قاتلوا في سبيل الله وقتلوا في سبيلي وأوذوا في سبيلي وجاهدوا في سبيلي ؟ ادخلوا الجنة، فيدخلونها بغير حساب ولا عذاب، فتأتي الملائكة فيقولون: ربنا نحن نسبح لك الليل والنهار ونقدس لك من هؤلاء**

الذين آثرتهم علينا ؟ فيقول الرب تبارك وتعالى: هؤلاء الذين قاتلوا في سبيلي وأوذوا في سبيلي، فتدخل عليهم الملائكة من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) رواه أحمد والحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي، ورواه الطبراني وقال الهيثمي ورجال الطبراني رجال الصحيح غير أبي عشانة وهو ثقة، وصححه أحمد شاكر، وصحح إسناده الألباني في الصحيحة.

وروى الحاكم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله ﷺ: **(أتعلم أول زمرة تدخل الجنة من أمتي ؟)** قال: الله ورسوله أعلم فقال **(المهاجرون يأتون يوم القيامة إلى باب الجنة ويستفتحون، فيقول لهم الخزنة: أو قد حوسبتم ؟ فيقولون: بأي شيء نحاسب وإنما كانت أسيافنا على عواتقنا في سبيل الله حتى متنا على ذلك ؟ قال: فيفتح لهم فيقيلون فيه أربعين عاما قبل أن يدخلها الناس)** وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الصحيحة.

فهم عللوا عدم حسابهم بكونهم يقاتلون في سبيل الله حتى ماتوا على ذلك، وانظر إلى قول: **(ادخلوا الجنة فيدخلونها بغير حساب)** وإلى قوله: **(فيقيلوا فيه أربعين عاما قبل أن يدخلها الناس)** تعرف به عظم هذا الفضل وثبوته للشهيد.

٢. قوله ﷺ: **(أفضل الشهداء الذين يقاتلون في الصف الأول فلا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا، أولئك يتلبطون في الغرف العلى من الجنة، يضحك إليهم ربك، فإذا ضحك ربك إلى عبد في موطن فلا حساب عليه)** رواه أحمد والطبراني عن نعيم بن هبار رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الجامع، وقال البوصيري في الإتحاف والهيثمي في المجمع ورواته ثقات، وصحح إسناده المناوي في التيسير.

٣. عن أنس ابن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **(إذا وقف العباد للحساب جاء قوم واضعي سيوفهم على رقابهم تقطر دما، فازدحموا على باب الجنة، فقيل: من هؤلاء ؟ قيل: الشهداء كانوا أحياء مرزوقين، ثم نادى مناد ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة، ثم نادى الثالثة ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة، قال ومن ذا الذى أجره على الله فليدخل الجنة، فقام كذا وكذا ألفا فدخلوها بغير حساب)** رواه الطبراني في الأوسط ورجاله وثقوا على ضعف يسير في بعضهم قاله الهيثمي، وحسن إسناده المنذري وابن النحاس.

٤. وأيضا الشهداء قد غفرت ذنوبهم كلها في الدنيا من أول قطرة من دمائهم، فماذا يحاسبون عليه وقد قدموا على الله يوم القيامة بلا ذنوب ؟

وروى أبو يعلى وابن أبي الدنيا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه سأل جبريل عليه السلام عن هذه الآية (**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ**) **من الذي لم يشإ الله أن يصعقوا ؟ قال: (هم الشهداء، يبعثهم الله متقلدين أسيافهم حول عرشه، تتلقاهم ملائكة من المحشر بنجائب من ياقوت، أزمتها الدر الأبيض برحال الذهب، أعنتها السندس والإستبرق، وزمامها ألين من الحرير، مد خطاها مد أبصار الرجال يسيرون في الجنة على خيول، يقولون عند طول النزهة: انطلقوا بنا إلى ربنا تبارك وتعالى ننظر إليه كيف يقضي بين خلقه، يضحك الله إليهم، وإذا ضحك الله عز وجل إلى عبد في موطن فلا حساب عليه)** وفيه ضعف.

فما أعظم هذا الفضل لمن تأمله، فالشهيد يرتاح من هول الحساب ويرتاح من البقاء والانتظار في الموقف لأجل الحساب، فهو في الجنات منعم والناس في العرصات يحاسبون.

خرج ابن عساكر بإسناده كما في المشارع عن يوسف بن سعيد قال: سمعت علي بن بكار يقول: (الناس يوم القيامة في الحساب وأهل الجهاد حلق حلق يتذاكرون الجهاد).

وهنا فضلان داخلان في هذا الفضل وهو أن الشهيد مع كونه لا يحاسب ولا يعذب فإنه لا يوقف للميزان ولا توزن أعماله وأيضا لا يوقف في القنطرة.

وقال المناوي في الفيض: " قال القرطبي: فيه أن الميزان حق ولا يكون في حق كل أحد فمن لا حساب عليه لا يوزن عليه ".

وقال أيضا: " وذكر حجة الإسلام أن الذين لا يحاسبون لا يرفع لهم ميزان " انتهى كلامه.

وقد ذكر الحافظ في الفتح أن الذين يدخلون الجنة بغير حساب يستثنون من القنطرة بعد الصراط فلا يوقفون فيها.

وهذان فضلان عظيمان وهو السلامة من الميزان وعدم الوقوف عنده وكذا السلامة من القنطرة.

فإن قيل: إن عدد الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب سبعون ألفا، وقد ورد أيضا أن مع ألف سبعون ألفا، وإذا جمع العدد لا يصل إلى عدد الشهداء الذين يقتلون في المعارك على مر الزمان في الواقع بل الشهداء أكثر ؟

فالجواب: أنه ورد أيضا في نفس حديث السبعين ألفا قال ﷺ: (**وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفا وثلاث حثيات من حثيات ربي**) رواه أحمد والترمذي عن أبي أمامة رضي الله عنه وصححه الألباني في صحيح الجامع.

وكفى بهذا كثرة ووفرة للعدد أن يحثى منهم بكفي الجبار العظيم، فهذا يأتي على جميع الشهداء وزيادة، على أن بعض العلماء يرى أن تحديد العدد بالسبعين ألف المقصود بها المبالغة في التكثير وليس خصوص العدد.

وقد ورد أيضا في رواية أحمد وغيره (**مع كل واحد سبعون ألفا**) وقد صححها الألباني وذكر لها شواهد، وعلى القول بالصحة يرتفع الإشكال لكثرة العدد في هذه الرواية.

ولا يشكل عليه أيضا ما ورد في صفة السبعين ألفا من أنهم (**لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون**) فإن هذا لا يمنع كون الشهداء ممن يدخل الجنة بغير حساب بالأدلة الأخرى.

فإن قلت: ورد عند الطبراني في الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (**يؤتى بالشهيد يوم القيامة فينصب للحساب**...) الحديث، فهذا يفيد أن الشهيد يحاسب يوم القيامة ؟

الجواب: أن هذا الحديث ضعف إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة، وهو مخالف لما تقدم من الأحاديث الثابتة.

وأما كون الشهيد يدخل الجنة بلا عذاب، فهذا قد سبق الكلام عليه في فضل أن الشهيد يجار من عذاب جهنم.

الفضيلة الثمانون: الشهيد من أوائل من يدخل الجنة:

عندما يؤذن للناس في دخول الجنة، لا يدخلون في آن واحد جميعا، بل يدخلونها على زمر وجماعات متفرقة، وهناك أوائل وأواخر في دخول الجنة، وبينهم من الوقت زمان طويل، ففي بعض الأحاديث أربعين عاما، وفي بعضها خمسمائة عام، والمانع من الدخول في الأوائل هو الوقوف للحساب والموازين والقنطرة وضعف الأعمال.

ومن لا حساب عليه كالفقراء والسبعون ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب والشهداء يكونون من أوائل من يدخلون الجنة من أمة محمد ﷺ التي تتقدم على باقي الأمم أيضا في دخول الجنة، فالشهداء من أوائل من يدخل الجنة، فإنهم لا حساب عليهم كما تقدم، ومن لا حساب عليه يدخل الجنة مباشرة حين يشرع الله في الفصل بين العباد.

كما في حديث طلب الناس الشفاعة من الأنبياء للقضاء بين الناس قال النبي ﷺ: (**فانطلق فآتي تحت العرش، فأقع ساجدا لربي، ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه لأحد قبلي، ثم قال: يا محمد ارفع رأسك، سل تعطه، اشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال: يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب**) رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وعن أبي الزبير أنه سمع جابر بن عبدالله يُسأل عن الورود فقال: (نجيء نحن يوم القيامة عن كذا وكذا انظر أي ذلك فوق الناس، قال: فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد الأول فالأول، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك، فيقول: من تنظرون ؟ فيقولون: ننظر ربنا، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: حتى ننظر إليك، فيتجلى لهم يضحك، قال: فينطلق بهم ويتبعونه، ويعطي كل إنسان منهم منافق أو مؤمن نورا، ثم يتبعونه، وعلى جسر جهنم كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله، ثم يطفأ نور المنافقين، ثم ينجو المؤمنون، فتنجو أول زمرة وجوهم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفا لا يحاسبون، ثم الذين يلونهم كأضوأ نجم في السماء ثم كذلك...) رواه مسلم.

وهم أيضا من أسرع الناس مرورا على الصراط كما سبق، ولا يعوقهم شيء في طريقهم إلى الجنة، فهم في الجنات يتنعمون، والناس في العرصات ينتظرون ويحاسبون، وبينهما من الوقت السنين الطوال لا سنة ولا سنتين ولا عشر ولا عشرين، بل أربعين عاما، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إن أول ثلة تدخل الجنة الفقراء المهاجرون، الذين تتقى بهم**

المكاره، إذا أمروا سمعوا و أطاعوا، وإن كانت لرجل منهم حاجة إلى السلطان لم تقض له حتى يموت وهي في صدره، وإن الله تعالى يدعو يوم القيامة الجنة فتأتي بزخرفها وزينتها فيقول: أين عبادي الذين قاتلوا في سبيل الله وقتلوا في سبيلي وأوذوا في سبيلي وجاهدوا في سبيلي ؟ ادخلوا الجنة، فيدخلونها بغير حساب ولا عذاب، فتأتي الملائكة فيقولون: ربنا نحن نسبح لك الليل والنهار ونقدس لك، من هؤلاء الذين آثرتهم علينا ؟ فيقول الرب تبارك وتعالى: هؤلاء الذين قاتلوا في سبيلي وأوذوا في سبيلي، فتدخل عليهم الملائكة من كل باب، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) رواه أحمد والحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي، ورواه الطبراني، وقال الهيثمي: ورجال الطبراني رجال الصحيح غير أبي عشانة وهو ثقة، وصححه أحمد شاكر، وصحح إسناده الألباني في الصحيحة.

وروى الحاكم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: **(أتعلم أول زمرة تدخل الجنة من أمتي ؟)** قال: الله ورسوله أعلم، فقال: **(المهاجرون، يأتون يوم القيامة إلى باب الجنة ويستفتحون، فيقول لهم الخزنة: أو قد حوسبتم ؟ فيقولون: بأي شيء نحاسب وإنما كانت أسيافنا على عواتقنا في سبيل الله حتى متنا على ذلك ؟ قال: فيفتح لهم، فيقيلون فيه أربعين عاما قبل أن يدخلها الناس)** وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الصحيحة.

فانظر إلى قول: **(ادخلوا الجنة فيدخلونها بغير حساب)** وإلى قوله: **(فيقيلوا فيه أربعين عاما قبل أن يدخلها الناس)** تعرف به عظم هذا الفضل وثبوته للشهيد.

وقد بوب عليه الشيخ أبو يحيى الليبي في كتابه الأربعين في فضل الشهادة " باب القتيل في سبيل الله مع أول زمرة تدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب " انتهى.

فقد ذكر في هذا الحديث أنهم في أول ثلة يدخلون الجنة، وقد ورد أن أول زمرة يدخلون الجنة وجوههم كالقمر ليلة البدر، وهي صفة للشهداء أيضا كما سبق، فهذا يدل على أن الشهداء من أوائل من يدخلون الجنة، وهذا فضل عظيم وشرف جسيم، وقد ورد في هذه الزمرة أنه ﷺ قال فيها: **(قلوبهم على قلب رجل واحد، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، لكل امرئ منهم زوجتان، كل واحدة منهما يرى مخ ساقها من وراء لحمها من الحسن، يسبحون الله بكرة وعشيا، لا يسقمون ولا**

يتمخطون ولا يبصقون، آنيتهم الذهب والفضة، وأمشاطهم الذهب، وقود مجامرهم الألوة – قال أبو اليمان يعني العود – ورشحهم المسك) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقد ورد حديث يؤيد أولية دخول الجنة للشهيد، ولكن فيه ضعف وقد حسنه بعضهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(عرض علي أول ثلاثة يدخلون الجنة، وأول ثلاثة يدخلون النار، فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة: فالشهيد، وعبد مملوك أحسن عبادة ربه ونصح لسيده، وعفيف متعفف ذو عيال، وأما أول ثلاثة يدخلون النار فأمير مسلط، وذو ثروة من مال لا يؤدي حق الله في ماله، وفقير فجور)** رواه الحاكم.

وورد أيضا عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **(إذا وقف العباد للحساب، جاء قوم واضعي سيوفهم على رقابهم تقطر دما، فازدحموا على باب الجنة، فقيل: من هؤلاء ؟ قيل: الشهداء كانوا أحياء مرزوقين، ثم نادى مناد ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة، ثم نادى الثالثة ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة، قال: ومن ذا الذى أجره على الله فليدخل الجنة فقام كذا وكذا الفا، فدخلوها بغير حساب)** رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله وثقوا على ضعف يسير في بعضهم قاله الهيثمي، وحسن إسناده المنذري وابن النحاس.

وورد أيضا أن الشهداء يذهبون ليحضروا حساب الخلائق لكونهم دخلوا الجنة قبلهم، فروى أبو يعلى وابن أبي الدنيا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه سأل جبريل عليه السلام عن هذه الآية **(فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) من الذي لم يشإ الله أن يصعقوا ؟ قال: هم الشهداء، يبعثهم الله متقلدين أسيافهم حول عرشه، تتلقاهم ملائكة من المحشر بنجائب من ياقوت، أزمتها الدر الأبيض برحال الذهب، أعنتها السندس والإستبرق، وزمامها ألين من الحرير، مد خطاها مد أبصار الرجال يسيرون في الجنة على خيول، يقولون عند طول النزهة: انطلقوا بنا إلى ربنا تبارك وتعالى ننظر إليه كيف يقضي بين خلقه، يضحك الله إليهم، وإذا ضحك الله عز وجل إلى عبد في موطن فلا حساب عليه)** وفيه ضعف.

قال ابن القيم في النونية وهو يتكلم عن أوائل من يدخل الجنة من الخلق:

وكذا الشهيد فسبقه متيقن ** وهو الجدير بذلك الإحسان

وللشهداء في سبق دخولهم إلى الجنة مزية زائدة على غيرهم، فإنهم مع سبق دخولهم تحصل لهم الرفعة في منازلهم، فقد جمعوا بين سبق الناس في الدخول وبين الرفعة عليهم في المنازل، ولم تقتصر مزيتهم على سبق الدخول كبعض السابقين إلى الدخول.

قال المناوي في الفيض: " لكن ينبغي أن يعلم أن سبق الدخول لا يستلزم رفع المنزلة، فقد يكون بعض المتأخرين أرفع درجة من السابقين، يرشد إليه أن ممن يحاسب أفضل من السبعين ألفا الداخلين بغير حساب، فالمزية مزيتان مزية سبق ومزية رفعة، وقد يجتمعان وينفردان، ويحصل لواحد السبق والرفعة، ويعدمها آخر، ويحصل لآخر واحد فقط بحسب المقتضى " انتهى كلامه.

وأدلة سبق الشهداء ذكرناها في هذا المقام، وأدلة رفعة الشهيد سيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى.

الشهداء في النعيم يتلذذون، والناس في العرصات يتذللون، الشهداء إلى ربهم ينظرون، والناس في الموقف ينتظرون، الشهداء في الجنة يتجولون وعن إخوانهم يتساءلون، والناس في الحساب وعن أعمالهم يسألون، الشهداء إلى الحور يزفون، والناس في الأهوال يفزعون.

الفضيلة الحادية والثمانون: الشهيد يدخل من أي أبواب الجنة الثمانية شاء:

للجنة ثمانية أبواب: باب للجهاد، وباب للصلاة، وآخر للصدقة، وآخر للصوم، وغير ذلك وبعض هذه الأبواب أفضل من بعض، فمن كان من أهل الجهاد دخل من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دخل من بابها وهكذا.

وهناك أناس يدعون للدخول من جميع الأبواب أيها شاؤوا، ويشرفون بذلك على الناس فلا يختصون بباب.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**من أنفق زوجين في سبيل الله نودي في الجنة: يا عبد الله هذا خير فتعال، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان**) قال أبو بكر: بأبي أنت وأمي فما على من يدعى من تلك

الأبواب كلها من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ؟ قال رسول الله ﷺ: **(نعم، وأرجو أن تكون منهم)** رواه البخاري ومسلم وأحمد.

وفي رواية لأحمد صحيحة – كما قال ابن النحاس – **(من أنفق زوجين في سبيل الله أو قال: زوجين من ماله دعته خزنة الجنة: يا مسلم هذا خير هلم إليه)** فقال أبو بكر رضي الله عنه: هذا رجل لا توى عليه، فقال رسول الله ﷺ: **(ما نفعني مال قط إلا مال أبي بكر)** قال: فبكى أبو بكر رضي الله عنه وقال: **(وهل نفعني الله إلا بك، وهل نفعني الله إلا بك)**.

ومعنى توى: أي لا ضياع عليه ولا خسارة.

وللشهيد فضل الدخول من أي أبواب الجنة الثمانية شاء، ولا يختص دخوله بباب واحد، بل من جميع الأبواب وإن لم يكن من أهل ذلك العمل، وهذا فضل عظيم للشهيد وتشريف له.

فعن عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(القتلى ثلاثة: رجل مؤمن، جاهد بنفسه وماله في سبيل الله، حتى إذا لقي العدو قاتلهم حتى يقتل، فذلك الشهيد الممتحن في خيمة الله تحت عرشه، لا يفضله النبيون إلا بفضل درجة النبوة، ورجل فرق على نفسه من الذنوب والخطايا، جاهد بنفسه وماله في سبيل الله، حتى إذا لقي العدو قاتل حتى يقتل، فتلك ممصمصة محت ذنوبه وخطاياه، إن السيف محاء للخطايا، وأدخل من أي أبواب الجنة شاء، فإن لها ثمانية أبواب، ولجهنم سبعة أبواب وبعضها أفضل من بعض، ورجل منافق، جاهد بنفسه وماله، حتى إذا لقي العدو قاتل في سبيل الله عز وجل حتى يقتل، فذلك في النار، إن السيف لا يمحو النفاق)** رواه أحمد والطبراني بإسناد جيد كما قال المنذري وابن النحاس، وقال الهيثمي " ورجال أحمد رجال الصحيح خلا المثنى الاملوكي وهو ثقة ".

فإذا كان هذا يعطى لأدنى الشهداء – وما فيهم دنيء – فكيف بأعلاهم ؟ فيدعى الشهيد يوم القيامة للدخول من كل باب: يا فلان هلم، أي للدخول من هذا الباب، وهذا إكرام زائد وبالغ للشهيد.

الفضيلة الثانية والثمانين: علو درجة الشهيد في الجنة:

الجنة درجات بعضها أعلى من بعض، وهي مائة درجة ما بين كل درجة ودرجة كما بين السماء والأرض، وفيها ربض – وهو أسفل الجنة – ووسط وأعلى، وكلما علت الدرجة اتسعت وعظمت فضائلها وقصورها وحورها وأنهارها وغير ذلك.

قال المناوي في الفيض: " وكلما علت الجنة اتسعت، فعاليها أوسع مما دونه " انتهى كلامه.

وقال الحافظ في الفتح: " ورفعة الدرجات تدل على الفضل، إذ المراد به كثرة الثواب، وبها ترتفع الدرجات " انتهى كلامه.

وبلوغ الدرجات يكون بحسب الاعمال، ودرجة الشهيد في الجنة عالية، فلا شهيد في الربض وأسفل الجنة أبدا، بل الشهيد إما أن يكون في وسط الجنة والدرجات الوسطى من الجنة، وإما أن يكون في أعلى الجنة والدرجات العلية من الجنة، ومن الأدلة على ذلك، وعلى علو الشهيد ما يلي:

١. ما ورد في حديث سمرة رضي الله عنه في رؤيا النبي ﷺ في دار الشهداء وفيه (**فصعدا بي في الشجرة وأدخلاني دارا لم أر قط أحسن منها، فيها رجال شيوخ وشباب ونساء وصبيان، ثم أخرجاني منها، فصعدا بي الشجرة، فأدخلاني دارا هي أحسن وأفضل فيها شيوخ وشباب**) رواه البخاري وقد سبق، وفي تكملة الحديث أن الدار الأولى التي دخلها هي دار عامة المؤمنين، والدار الثانية التي دخلها هي دار الشهداء، ويراجع الحديث في فضيلة دار الشهداء.

فهو صعد في الشجرة ودخل دار المؤمنين، ثم خرج وصعد في الشجرة أعلى ودخل دار الشهداء، وهذا يفيد أن منازل الشهداء أعلى من دار عامة المؤمنين.

قال القسطلاني في إرشاد الساري على حديث سمرة هذا: " وهو يدل على أن منازل الشهداء أرفع المنازل " انتهى كلامه.

٢. قال ﷺ: (**من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه**) رواه مسلم عن سهل بن حنيف رضي الله عنه، وهذا يفيد أن منازل الشهداء أعلى، فإنه قال: (**بلغه**) والتبليغ يفيد أن منازلهم بعيدة تحتاج إلى تبليغ، والبعد في الجنة يكون بالعلو.

٣. ومن الأدلة على علو الشهداء قوله ﷺ: (**أفضل الشهداء الذين يقاتلون في الصف الأول، فلا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا، أولئك يتلبطون في الغرف العلى من الجنة، يضحك إليهم**

ربك، فإذا ضحك ربك إلى عبد في موطن فلا حساب عليه) رواه أحمد والطبراني عن نعيم بن هبار، وصححه الألباني في صحيح الجامع، وقال البوصيري في الإتحاف والهيثمي في المجمع ورواته ثقات، وصحح إسناده المناوي في التيسير.

ومعنى يتلبطون: أي يضطجعون، وقيل: يتمرغون.

فقوله (**في الغرف العلى**) يفيد أنهم في عوالي الجنان، وقد ورد في صفة هذه الغرف وعلوها عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: (**إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم) قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: (بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين)** رواه البخاري.

٤. ومن الأدلة أيضا على علو الشهيد كون بعض الشهداء كما سيأتي في الفردوس الأعلى الذي هو أعلى درجة في الجنة.

٥. ومن الأدلة أيضا كون الشهداء أرفع من المؤمنين والصالحين وأفضل، وأن الله فضلهم عليهم فهذا يدل على علوهم عليهم.

٦.ومن الأدلة أيضا أن الله تعالى أعد للمجاهدين مائة درجة، وأعلى درجة فيها هي الفردوس الأعلى، كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: (**من آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة، وصام رمضان كان حقا على الله أن يدخله الجنة هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها)** قالوا: يا رسول الله أفلا ننبئ الناس بذلك ؟ قال: (**إن في الجنة مائة درجة أعدها للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله، فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة)** رواه البخاري.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**من رضي بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ رسولا، وجبت له الجنة)** فعجب لها أبو سعيد فقال: أعدها علي يا رسول الله، فأعادها عليه، ثم قال: (**وأخرى يرفع الله بها للعبد مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض)** قال: وما هي يا رسول الله ؟ قال: (**الجهاد في سبيل الله)** رواه مسلم.

قال شيخ الإسلام في المجموع: " فهذا ارتفاع خمسين ألف سنة في الجنة لأهل الجهاد " انتهى كلامه.

فهذا يدل على أن مطلق الجهاد مما يرفع الدرجات بل من أعظم ما يرتفع به العبد درجات في الجنة، وأعظم الجهاد الشهادة.

وقد أخبر أيضا في الحديث الآخر أن الدرجة الواحدة من هذه الدرجات تنال بإبلاغ السهم في سبيل الله، فعن أبي نجيح السلمي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(من بلغ بسهم في سبيل الله فهو له درجة في الجنة، فبلغت يومئذ ستة عشر سهما)** رواه النسائي والحاكم، وقال صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

فإذا كان إبلاغ سهم في سبيل الله يبلغ بالمجاهد درجة، وهذا من أدنى أعمال الجهاد، فكيف بالشهادة التي هي أعظم أعمال الجهاد أجورا وفضائلا، فلا شك أنه سيبلغ بها الشخص درجات ودرجات حتى يبلغ الفردوس الأعلى.

٧. ومن الأدلة أيضا قوله تعالى: ﴿ **لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) النساء**، فإذا كان المجاهد بشكل مطلق فضل على القاعد بالدرجات – التي يكون بها العلو في الجنة – فكيف بالمجاهد الشهيد.

٨. ومن الأدلة أيضا ما روى أحمد والنسائي بسند حسن – كما قال الحافظ في الفتح – عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(يختصم الشهداء والمتوفون على فرشهم إلى ربنا في الذين يتوفون من الطاعون، فيقول الشهداء: إخواننا قتلوا كما قتلنا، ويقول الذين ماتوا على فرشهم: إخواننا ماتوا على فرشهم كما متنا، فيقول الله تعالى: " انظروا إلى جراحهم فإن أشبهت جراح المقتولين فإنهم منهم، فإذا جراحهم أشبهت جراحهم)** أي فإذا جراح المطعونين أشبهت جراح المقتولين، وفي رواية **(فيلحقون بهم)**.

فهذا يدل على علو منزلة الشهداء على عامة المؤمنين، فإن هؤلاء المتوفون بالطاعون ألحقوا بالشهداء، وما هذا إلا لعلوهم، وكذا طلب المؤمنين اللحاق بهم، وما هذا إلا لعلوهم.

وقد روى ابن المبارك عن كعب الأحبار قال: (والله ما ينظر الناس إلى الشهداء يوم القيامة إلا هكذا ثم رفع بصره إلى السماء).

قال شيخ الإسلام في العقيدة الأصفهانية: " منزلة الشهادة منزلة علية في الجنة " انتهى كلامه.

قال الذهبي في السير: " أبو نعيم: حدثنا أبو أحمد الحاكم، حدثنا ابن خزيمة، حدثنا عمران بن موسى، حدثنا عبد الوارث، حدثنا محمد بن جحادة، عن نعيم بن أبي هند، عن أبي حازم، عن حسين بن خارجة الاشجعي قال: لما قتل عثمان، أشكلت علي الفتنة، فقلت: اللهم أرني من الحق أمرا أتمسك به، فرأيت في النوم الدنيا والآخرة بينهما حائط، فهبطت الحائط، فإذا بنفر، فقالوا: نحن الملائكة، قلت: فأين الشهداء ؟ قالوا: اصعد الدرجات، فصعدت درجة ثم أخرى، فإذا محمد وإبراهيم، صلى الله عليهما وسلم، وإذا محمد يقول لإبراهيم: استغفر لأمتي، قال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنهم أهراقوا دماءهم، وقتلوا إمامهم، ألا فعلوا كما فعل خليلي سعد ؟ قال: قلت: لقد رأيت رؤيا، فأتيت سعدا، فقصصتها عليه، فما أكثر فرحا، وقال: قد خاب من لم يكن إبراهيم عليه السلام خليله، قلت: مع أي الطائفتين أنت ؟ قال: ما أنا مع واحد منهما، قلت: فما تأمرني ؟ قال: هل لك من غنم ؟ قلت: لا، قال: فاشتر غنما، فكن فيها حتى تنجلي " انتهى، والشاهد منه قوله اصعد الدرجات لما سأل عن الشهداء، وهذا مما يستأنس به.

فلله درهم علت هممهم، وعلت نفوسهم، وعلت أعمالهم، فعلت منزلتهم ودرجاتهم، وعلا قدرهم وجاههم، فهم أبدا في علو، ومن علو إلى علو.

الفضيلة الثالثة والثمانون: الشهيد في الفردوس الأعلى والغرف العليا من الجنة:

الجنة كما سبق مائة درجة، وأعلى درجة منها الفردوس الأعلى، ويسمى أيضا بجنة عدن، ولهذه الدرجة فضائل ومزايا، فإنه أعلى وأوسط وأفضل الجنة وأقرب الجنة إلى العرش، حيث أن العرش سقف الفردوس.

ومن الفردوس تتفجر أنهار الجنة إلى باقي الجنان، وهو قريب من الله تعالى جدا، حيث ليس بينه وبينها إلا العرش.

وفضل أيضا بكون الله تعالى هو الذي بناه بيده، وغرس كرامته بيده، وجعل فيه من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وفضل بكونه أوسع الجنان، فإن الجنة كلما علت الدرجة فيها اتسعت الجنة واتسع ملكها وأرجاؤها.

وفضل أيضا بأنه يعطى أهلها أعظم النور والإضاءة في الجنة، فيشرفون على غيرهم بعظم النور كما جاء عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: **(إن الرجل من أهل عليين ليشرف على أهل الجنة، فتضئ الجنة لوجهه كأنها كوكب درى)** رواه أبو داود، وضعفه الألباني، ولكن رواه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **(إن الرجل من أهل عليين يشرف على أهل الجنة كأنه كوكب دري، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما)** وقال الهيثمي ورجاله رجال الصحيح غير سلم بن قتيبة وهو ثقة.

قال المناوي: " يريد أنهم يضيئون لأهل الجنة إضاءة الكواكب لأهل الأرض " انتهى كلامه.

وفضل أيضا أنه أنور الجنة وأعلاها في الإضاءة، أي أن درجة الفردوس في نفسها مضيئة إضاءة عظيمة، أعظم في الإضاءة والنور من غيرها من الجنان.

قال ابن القيم في الفوائد: " أنزه الموجودات وأظهرها وأنورها وأشرفها وأعلاها ذاتا وقدرا وأوسعها عرش الرحمن عز وجل، ولذلك صلح لاستوائه عليه، وكل ما كان أقرب الى العرش كان أنور وأنزه وأشرف مما بعد عنه، ولهذا كانت جنّة الفردوس أعلى الجنان وأشرفها وأنورها وأجلّها لقربها من عرش الرحمن الذي هو سقفها، وكل ما بعد عنه كان أظلم وأضيق، ولهذا كان أسفل سافلين شرّ الأمكنة وأضيقها وأبعدها من كل خير" انتهى كلامه.

وهذه الفضيلة غير ما سبق من إضاءة أهلها، فهذه في المكان وتلك في أهلها الساكنين فيها.

وفضل أيضا بأن النعيم الذي فيه أعظم من غيره من الجنان من الحور والقصور والأكل والشرب وغيره كما سيأتي في فضل أن الشهيد من المقربين إن شاء الله.

قال ابن القيم في حادي الأرواح: " وقال بكر عن أشعث عن الحسن إنما سميت عدن لأن فوقها العرش، ومنها تفجر أنهار الجنة، وللحور العدنية الفضل على سائر الحور" انتهى كلامه.

وفضل أيضا بأنه لا يسكنه إلا أعالي الناس، فلا يسكنه إلا نبي أو صديق أو شهيد، كما سنبينه هنا إن شاء الله.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: (**من آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة، وصام رمضان كان حقا على الله أن يدخله الجنة، هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها**) قالوا: يا رسول الله أفلا ننبئ الناس بذلك ؟ قال: (**إن في الجنة مائة درجة، أعدها للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتموا الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة**) رواه البخاري.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن**) رواه البخاري.

قال السندي في شرحه للحديث بعد أن ذكر الوجوه في معناه: " وعلى الوجهين فالحديث مسوق لإفادة كمال قرب أهل جنة عدن منه تعالى " انتهى من شرح ابن ماجه.

وكل من في الفردوس فهو مقرب، إذ الفردوس أقرب الجنان إلى الله.

قال القرطبي في تفسيره: " (**عينا يشرب بها المقربون**) أي يشرب منها أهل جنة عدن – وهم أفاضل أهل الجنة – صرفا، وهي لغيرهم مزاج " انتهى كلامه.

ومن فضائل الفردوس ما جاء عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**سأل موسى ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال: هو رجل يجئ بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: أدخل الجنة، فيقول: أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم، وأخذوا أخذاتهم ؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلك مَلك من ملوك الدنيا ؟ فيقول**: رضيت رب، **فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة**: رضيت رب، **فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك، فيقول**: رضيت رب، **قال: رب فأعلاهم منزلة: قال أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدى، وختمت عليها، فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولن يخطر على قلب بشر قال: ومصداقه في كتاب الله عزوجل (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) الآية**) رواه مسلم.

قال المناوي في الفيض عن جنة عدن: " فاصطفاها لنفسه، وخصها بالقرب من عرشه، قال بعضهم فهي سيدة الجنان، وهو سبحانه وتعالى يختص من كل نوع أمثله وأفضله " انتهى كلامه.

وهذه الدرجة أعدها الله لبعض الشهداء أو خاصة الشهداء، والأدلة على ذلك:

١. عن عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**القتلى ثلاثة: رجل مؤمن، جاهد بنفسه وماله في سبيل الله، حتى إذا لقي العدو قاتلهم حتى يقتل، فذلك الشهيد الممتحن في خيمة الله تحت عرشه، لا يفضله النبيون إلا بفضل درجة النبوة، ورجل فرق على نفسه من الذنوب والخطايا، جاهد بنفسه وماله في سبيل الله، حتى إذا لقي العدو قاتل حتى يقتل، فتلك ممصمصة محت ذنوبه وخطاياه، إن السيف محاء للخطايا، وأدخل من أي أبواب الجنة شاء، فإن لها ثمانية أبواب، ولجهنم سبعة أبواب، وبعضها أفضل من بعض، ورجل منافق، جاهد بنفسه وماله، حتى إذا لقي العدو، قاتل في سبيل الله عز وجل حتى يقتل، فذلك في النار، إن السيف لا يمحو النفاق**) رواه أحمد والطبراني بإسناد جيد كما قال المنذري وابن النحاس، وقال الهيثمي: " ورجال أحمد رجال الصحيح خلا المثنى الاملوكي وهو ثقة "، وفي رواية للحديث لابن حبان " في جنة الله تحت عرشه ".

فالشهيد الأول هو أفضل الشهداء جعل منزلته في الجنة تحت عرش الرحمن، والذي تحت العرش هو الفردوس الأعلى كما سبق بيانه وهذا من أصرح الأدلة.

٢. ومن الأدلة أيضا: أن الفردوس هو مسكن الأنبياء والصديقين والشهداء، والأدلة على ذلك ما يأتي:

أ. عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: (في الجنة قصر يدعى عدن، حوله الروح والروح، له خمسة آلاف باب، لا يسكنه أو لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد أو إمام عادل) رواه ابن أبي شيبة، ورجاله ثقات كما قال ابن النحاس.

وروى أيضا عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: (في الجنة قصر يدعى عدن، حوله المروج والمروج، له خمسة آلاف باب، لا يسكنه أو لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد أو إمام عادل).

وروى أيضا عن كعب الأحبار: (إن في الجنة ياقوتة ليس فيها صدع ولا وصل، فيها سبعون ألف دار، في كل دار سبعون ألفا من الحور العين، لا يدخلها إلا نبي أو صديق أو شهيد أو إمام عادل أو محكم في نفسه، قال: قلنا: يا كعب ! وما المحكم في نفسه ؟ قال: الرجل يأخذه العدو فيحكمونه بين أن يكفر أو يلزم الاسلام فيقتل).

وروى أيضا عن مجاهد قال: (في الجنة دار لا ينزلها إلا نبي، أو صديق، أو شهيد، أو إمام عدل، أو مخير بين القتل والكفر يختار القتل على الكفر، فيختار أن يلزم الاسلام).

وروى ابن المبارك عن الحسن قال: قال عمر بن الخطاب: حدثني يا كعب عن جنات عدن، قال: نعم يا أمير المؤمنين، قصور في الجنة لا يسكنها إلا نبي أو صديق أو شهيد أو حكم عدل، فقال عمر: أما النبوة فقد مضت لأهلها، وأما الصديقون فقد صدقت الله ورسوله: وأما الحكم العدل فإني أرجو الله أن لا أحكم بشيء إلا لم آل فيه عدلا، وأما الشهادة فأنى لعمر بالشهادة " وفيه انقطاع.

وروى ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: قرأ عمر على المنبر (جنات عدن) فقال: أيها الناس ! هل تدرون ما (جنات عدن) ؟ قصر في الجنة له عشرة آلاف باب، على كل باب خمسة وعشرون ألفا من الحور العين، لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد " وفيه انقطاع.

وورد عن الحسن البصري - بإسناد صحيح عند سعيد بن منصور - أنه قال: (جنات عدن، وما يدريك ما جنات عدن ؟ قصر من ذهب لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد أو حكم عدل) وعزاه السيوطي في الدر المنثور للمصنف وابن المنذر من كلام كعب.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**إن الله عزوجل يفتح الذكر في ثلاث ساعات يبقين من الليل، في الساعة الأولى منهن ينظر في الكتاب الذى لا ينظر فيه أحد غيره، فيمحو ما يشاء ويثبت، ثم ينزل في الساعة الثانية إلى جنة عدن، وهي داره التى لم ترها عين، ولم تخطر على قلب بشر، وهي مسكنه، ولا يسكن معه من بنى آدم غير ثلاثة: النبيين والصديقين والشهداء، ثم يقول طوبى لمن دخلك، ثم ينزل في الساعة الثالثة إلى السماء الدنيا بروحه وملائكته، فتنتفض روحه وملائكته، فيقول: قومي بعزتي، ثم يطلع على عباده، فيقول: من يستغفرني أغفر له، من يسألني أعطه، من يدعوني فأستجيب له حتى يطلع الفجر، فذلك يقول: " وقرآن الفجر إن قرآن**

الفجر كان مشهودا " فيشهده الله وملائكة الليل وملائكة النهار) رواه ابن جرير والبزار وهو ضعيف.

فهذه الأخبار- وإن كان بعضها ضعيفا لكن بعضها يشهد لبعض وما سيأتي يشهد أيضا – قد أفادت أن جنة عدن أعدت للأنبياء والصديقين والشهداء، وأن الشهداء ممن يسكن هذه الجنة، وقد سبق أن جنة عدن هي الفردوس الأعلى، إذ صفاتهما الواردة في الأحاديث واحدة، وقد قرر هذا شيخ الإسلام وغيره من العلماء، فقال في المجموع " والعرش فوق جميع المخلوقات، وهو سقف جنة عدن التي هي أعلا الجنة، كما ثبت في الصحيحين " انتهى كلامه، وأتى بحديث أبي هريرة السابق في الفردوس الأعلى.

ب. ويؤيد أن الفردوس هو مسكن الأنبياء والصديقين والشهداء، أنهم في أعلى الدرجات ولا درجة أعلى من الفردوس، فهذا يؤيد اجتماعهم فيه.

وكفى بهذا شرفا للفردوس الأعلى أنه مسكن الأنبياء والصديقين والشهداء، وكفى بهذا فضلا وشرفا للشهيد أن يكون معهم في الدرجة، وأن يكون جيرانه الأنبياء والصديقين، وهؤلاء هم الرفيق الأعلى كما سيأتي بيانه إن شاء الله، وهؤلاء هم الذين اختصوا بجوار الله تعالى لقربهم من العرش الذي هو موضع استواء الرب تعالى.

ت. ويؤيده أيضا عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(أتاني جبريل عليه السلام وفي يده مرآة بيضاء، فيها نكتة سوداء، فقلت: ما هذه يا جبريل ؟ قال: هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولقومك من بعدك، تكون أنت الأول وتكون اليهود والنصارى من بعدك، قال: مالنا فيها ؟ قال: لكم فيها خير، لكم فيها ساعة من دعا ربه فيها بخير هو له قسم إلا أعطاه إياه، وليس له بقسم إلا وادخر له ما هو أعظم منه، أو تعوذ فيها من شر هو مكتوب إلا أعاذه من أعظم منه، قلت: ما هذه النكتة السوداء فيه ؟ قال: هذه الساعة تقوم يوم الجمعة، وهو سيد الأيام عندنا، ونحن ندعوه في الآخرة يوم المزيد، قال قلت: لم تدعونه يوم المزيد ؟ قال: إن ربك عز وجل اتخذ في الجنة واديا أفيح من المسك أبيض، فإذا كان يوم الجمعة نزل تبارك وتعالى من عليين على كرسيه حتى حف الكرسي بمنابر من نور، وجاء النبيون حتى يجلسوا عليها، ثم حف المنابر بكراسي من ذهب، ثم جاء الصديقون الشهداء حتى يجلسوا**

عليها، ثم يجئ أهل الجنة حتى يجلسوا على الكثيب، فيتجلى لهم تبارك وتعالى حتى ينظروا إلى وجهه وهو يقول: أنا الذى صدقتكم وعدي، وأتممت عليكم نعمتي، هذا محل كرامتي، فسلوني، فيسألوه الرضا، فيقول الله عزوجل: رضائي أحلكم داري وأنالكم كرامتي، فسلوني، فيسألوه حتى تنتهى رغبتهم، فيفتح لهم عند ذلك مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، إلى مقدار منصرف الناس يوم الجمعة، ثم يصعد تبارك وتعالى على كرسيه، فيصعد معه الشهداء والصديقون، أحسبه قال ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم، درة بيضاء لا قصم فيها ولا فصم، فيها ثمارها، فيها أزواجها وخدمها، فليسوا إلى شئ أحوج منهم إلى يوم الجمعة، ليزدادوا فيه كرامة، وليزدادوا فيه نظرا إلى وجهه تبارك وتعالى ولذلك دعي يوم المزيد) رواه البزار والطبراني في الأوسط.

ورواه أبو يعلى بلفظ **(أتاني جبريل بمثل المرآة البيضاء فيها نكتة سوداء قلت: يا جبريل: ما هذه ؟ قال: هذه الجمعة جعلها الله عيدا لك ولأمتك، فأنتم قبل اليهود والنصارى، فيها ساعة لا يوافقها عبد يسأل الله فيها خيرا إلا أعطاه إياه، قال: قلت: ما هذه النكتة السوداء ؟ قال: هذا يوم القيامة تقوم في يوم الجمعة، ونحن ندعوه عندنا المزيد قال: قلت ما يوم المزيد ؟ قال: إن الله جعل في الجنة واديا أفيح، وجعل فيه كثبانا من المسك الأبيض، فإذا كان يوم الجمعة ينزل الله فيه فوضعت فيه منابر من ذهب للأنبياء، وكراسي من در للشهداء، وينزلن الحور العين من الغرف، فحمدوا الله ومجدوه، قال: ثم يقول الله: اكسوا اعبادي فيكسون، ويقول: أطعموا عبادي فيطعمون، ويقول: اسقوا عبادي فيسقون، ويقول: طيبوا عبادي فيطيبون، ثم يقول: ماذا تريدون ؟ فيقولون: ربنا رضوانك قال: يقول: رضيت عنكم، ثم يأمرهم فينطلقون، وتصعد الحور العين الغرف، وهي من زمردة خضراء ومن ياقوتة حمراء)** وإسناده صحيح كما قال البوصيري في الإتحاف.

وفي رواية الحارث بن أبي أسامة **(فيشهد لهم أنه قد رضي عنهم، ويعطيهم ما سألوا وفوق رغبتهم، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ويرتفع النبيون والصديقون والشهداء وذلك مقدار منصرفهم من الجمعة)**.

قال المنذري عن رواية الطبراني في الأوسط " إسنادها جيد "، وصححه الالباني في الترغيب والترهيب وقال أيضا: رواه ابن أبي الدنيا والطبراني في الأوسط بإسنادين أحدهما جيد قوي وأبو يعلى مختصرا ورواته رواة الصحيح.

وقد جمع شيخ الإسلام طرق الحديث وتكلم عليها ومال إلى تقويتها في مجموع الفتاوى، وقال ابن القيم في حادي الأرواح: " هذا حديث كبير الشأن رواه أئمة السنة وتلقوه بالقبول وجمل به الشافعي مسنده "، وقال الذهبي في العلو: " وله طرق يعضد بعضها بعضا ".

وهو يفيد أن الأنبياء والصديقون والشهداء عندما يعودون إلى منازلهم يصعدون معا ويرتفعون بخلاف بقية المؤمنين.

ث. ومن أعظم الأدلة على ذلك أيضا ما رود في حديث سمرة رضي الله عنه عند الطبراني في رؤيا النبي ﷺ وفيه: (**قالا لي: انطلق حتى أتيا بي وسط شجرة، فإذا منازل حسان فقلت: ماهذا ؟ قالا لي: انطلق، فانطلقا بي، حتى أتيا بي أعلى الشجرة، فإذا منازل هي أحسن منها وإذا غرف ثلاثة، قلت: ما هذا ؟ قالا على رسلك... وأما المنازل التي رأيت وسط الشجرة فتلك منازل المؤمنين عامة، وهذه منازل النبيين والصديقين والشهداء، وهذه الغرفة لك**) وأصل الحديث في البخاري بغير هذا اللفظ، وقد سبق في دار الشهداء.

فيكون المقصود برواية البخاري (**دار الشهداء**) أي دار النبيين والصديقين والشهداء، وتكون رواية البخاري اقتصرت على أحد الأصناف، وأن دار الشهداء هذه هي جنة عدن.

قال الحافظ في الفتح على حديث سمرة: " وفيه فضل الشهداء وأن منازلهم في الجنة أرفع المنازل " انتهى، ومعلوم أن أرفع المنازل هو الفردوس الأعلى.

وقال أيضا: " قال الكرماني: كما نبه بمن ذكر من أهل الثواب وأنهم أربع درجات: درجات النبي، ودرجات الأمة أعلاها الشهداء، وثانيها من بلغ، وثالثها من كان دون البلوغ " انتهى كلامه.

وقال ابن القيم في الزاد: " الجهاد ذروة سنام الإسلام وقبَّته، ومنازل أهله أعلى المنازل فى الجنة، كما لهم الرِّفعة فى الدنيا، فهم الأعلون فى الدنيا والآخرة " انتهى كلامه، وقال المناوي في الفيض: " ولا

أحد أنفس ممن بذل أنفس ما عنده فيكون في أرفع منازل الجنان، وناهيك بذلك فضلا " انتهى كلامه، وأرفع منازل الجنان هو الفردوس الأعلى.

ج. ومما يؤيد أيضا حديث أبي أمامة عند الطبراني مرفوعا إلى النبي ﷺ **(فإذا نحن برجال أحسن شيء وجها، وأحسنه لبوسا، وأطيبه ريحا، كأن وجوههم القراطيس، قلت: من هؤلاء ؟ قال: هؤلاء الصديقون والشهداء والصالحون)** فقد رآهم النبي ﷺ جميعا وفي مكان واحد، فهذا يدل على أنهم في جميعا في مسكن واحد.

ح. ومما يدل على ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**﴾ **النساء.**

وهؤلاء المذكورون في الآية هم الرفيق الأعلى كما ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(ما من نبي يمرض إلا خير بين الدنيا والآخرة)** وكان في شكواه الذي قبض فيه أخذته بحة شديدة فسمعته يقول: **(مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ)** رواه البخاري.

وقد ورد أيضا عند النسائي في الكبرى في نفس الحديث (فإذا بصره قد شخص وهو يقول: **(بل الرفيق الأعلى من الجنة)** فهذا يدل على أنهم مترافقين في الجنة.

وتفسير هذا الترافق هو كما ورد في الأحاديث السابقة من أن مسكنهم واحد وهو الفردوس الأعلى وجنة عدن، والنصوص الشرعية يفسر بعضها بعضا.

والأدلة التي جاءت في المرافقة والمعية في الجنة تدل كلها على الترافق في المنزلة والدرجة وليس في أصل الدخول، فمن ذلك ما جاء عن أبي موسى رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ أعرابي فأكرمه، فقال: " ائتنا "، فأتاه فقال رسول الله ﷺ: **(سل حاجتك)** فقال: ناقة نركبها وأعنز يحلبها أهلي، فقال رسول الله ﷺ: **(أعجزتم أن تكونوا مثل عجوز بني إسرائيل ؟)** فقال: **(إن موسى لما سار ببني إسرائيل من مصر ضلوا الطريق، فقال: ما هذا ؟ فقال علماؤهم: إن يوسف لما حضره الموت أخذ علينا موثقا من الله أن لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا، قال: فمن يعلم موضع قبره ؟ قال: عجوز من بني إسرائيل، فبعث إليها فأتته، فقال: دليني على قبر يوسف، قالت: حتى تعطيني حكمي، قال: وما حكمك ؟ قالت: أكون معك في الجنة، فكره أن يعطيها ذلك فأوحى الله إليه: أعطها**

حكمها، فانطلقت بهم إلى بحيرة موضع مستنقع ماء، فقالت: انضبوا هذا المكان فأنضبوه، قالت: احتفروا واستخرجوا عظام يوسف، فلما أقلوها إلى الأرض إذ الطريق مثل ضوء النهار) رواه أبو يعلى والحاكم، وقال صحيح على شرط البخاري ومسلم، ووافقه الذهبي، ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي، وصححه الألباني في الصحيحة.

وعن ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ، فأتيته بوضوئه وحاجته، فقال لي: (**سل**) فقلت: اسألك مرافقتك في الجنة، قال: (**أو غير ذلك**) قلت: هو ذاك، قال: (**فأعني على نفسك بكثرة السجود**) رواه مسلم.

وعن عبد الله: أن النبي – ﷺ – أتاه بين أبي بكر وعمر وعبد الله يصلي، فافتتح النساء فسحلها، فقال النبي – ﷺ –: (**من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد) ثم تقدم يسأل، فجعل النبي – ﷺ – يقول: (سل تعطه، سل تعطه ، [سل تعطه]**) فقال فيما سأل: اللهم إني أسألك إيمانا لا يرتد، ونعيما لا ينفد، ومرافقة نبيك محمد – ﷺ – في أعلى جنة الخلد، قال: فأتي عمر عبد الله ليبشره، فوجد أبا بكر قد سبقه، فقال: إن فعلت لقد كنت سباقا بالخير. رواه الإمام أحمد وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند.

ومما يستأنس به هنا على ضعفه مارواه أبو نعيم في الحلية عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**أوحى الله عز وجل إلي: يا أخا المرسلين، يا أخا المنذرين، أنذر قومك أن لا يدخلوا بيتا من بيوتي إلا بقلوب سليمة وألسن صادقة وأيد نقية وفروج طاهرة، ولا يدخلوا بيتا من بيوتى ولأحد من عبادي عند أحد منهم ظلامة فإني ألعنه ما دام قائما بين يدي يصلي حتى يرد تلك الظلامة إلى أهلها، فإذا فعل ذلك أكون سمعه الذي يسمع به، وأكون بصره الذي يبصر به، ويكون من أوليائي وأصفيائي ويكون جاري مع النبيين والصديقين والشهداء في الجنة**) والشاهد منه آخر الحديث في قوله (**ويكون من أوليائي**...) فهذا يفيد أنهم في مسكن واحد إذ أهل الفردوس هم جيران الله تعالى وأقربهم مكانا من الله تعالى.

فإن قيل: يلزم من هذا استواء الأنبياء وغيرهم في الدرجة ؟

فالجواب: أنهم يتساوون هم وغيرهم في أصل الدرجة وهي الفردوس، ولكن الفردوس أيضا درجات.

والدليل عليه ما جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: (**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له الشفاعة**) رواه مسلم.

فهذا الحديث يدل على أن الوسيلة أرفع درجة في الجنة، وهي خاصة بالنبي ﷺ، وقد سبق أن الفردوس الأعلى أعلى درجة في الجنة، وليس فوقه إلا العرش، فهذا يدل على أن الفردوس درجات، وأن الوسيلة أعلى درجة فيها.

وعلى ذلك لا يلزم الاستواء في الدرجة، وكذا لا يلزم من الاستواء في أصل الدرجة الاستواء في كل شيء من الفضل والنعيم والخصائص، فقد يكون الرجلان متساويين في درجة الفردوس وبينهما فارق في النعيم والفضل بعمله.

قال المناوي بعد كلامه على أن الفردوس أعلى درجة في الجنة قال: " واستشكل بخبر أحمد عن أبي هريرة مرفوعا: (**إذا صليتم علي فاسألوا لي الوسيلة أعلى درجة في الجنة لا ينالها إلا رجل واحد وأرجو أن أكون أنا هو**) وفي حديث آخر (**الوسيلة درجة عند الله ليس فوقها درجة فاسألوا لي الوسيلة**) ؟

فقضيته أن الوسيلة أعلى درجات الجنة وهي خاصة به، فهي أعلى الفردوس، وجمع بأن الفردوس أعلى الجنة، وفيه درجات أعلاها الوسيلة، ولا مانع من انقسام الدرجة الواحدة إلى درجات بعضها أعلى من بعض " انتهى كلامه.

وقد ورد ما يدل على أنه يمكن أن يساوي غير الأنبياء الأنبياء في أصل الدرجة، في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: (**إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم**) قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟ قال: (**بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين**) رواه البخاري.

فإن النبي ﷺ أقرهم على قولهم أن تلك منازل الأنبياء، وأثبت أن هناك أناس يبلغونها وينالونها معهم، وهم رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين.

قال الحافظ في الفتح: " ويمكن توجيه **(بلى)** بأن التقدير نعم هي منازل الأنبياء بإيجاب الله تعالى لهم ذلك، ولكن قد يتفضل الله تعالى على غيرهم بالوصول إلى تلك المنازل ".

وقال أيضا: " قال ابن التين قيل: إن المعنى أنهم يبلغون درجات الأنبياء، وقال الداودي: يعني أنهم يبلغون هذه المنازل التي وصف، وأما منازل الأنبياء فإنها فوق ذلك، قلت: وقع في حديث أبي هريرة عند أحمد والترمذي **(قال: بلى والذي نفسي بيده وأقوام آمنوا بالله ورسوله)** هكذا بزيادة الواو العاطفة ففسد تأويل الداودي، والله المستعان " انتهى كلامه.

٣. وأيضا من الأدلة أن المائة درجة – التي أعلاها الفردوس – أعدها الله تعالى للمجاهدين في سبيله كما سبق في حديث أبي هريرة، فيكون الفردوس مما أعد للمجاهدين.

وجاء عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله – ﷺ – يقول: **(أنا زعيم – والزعيم الحميل – لمن آمن بي وأسلم وهاجر ببيت في ربض الجنة وببيت في وسط الجنة، وأنا زعيم لمن آمن بي وأسلم وجاهد في سبيل الله ببيت في ربض الجنة وببيت في وسط الجنة وببيت في أعلى غرف الجنة، فمن فعل ذلك فلم يدع للخير مطلبا ولا من الشر مهربا، يموت حيث شاء أن يموت)** رواه النسائي والحاكم، وقال الذهبي صحيح على شرط البخاري ومسلم، وصححه الألباني في صحيح النسائي.

فيدل هذا أن أعلى درجة من الجنة – وهي الفردوس – مما أعد للمجاهدين، وأفضل المجاهدين هم الشهداء، فلابد أن يكون منهم خلق في هذه الدرجة.

٤. ومن الأدلة أيضا على أن الشهيد في الفردوس الأعلى قوله ﷺ: **(أفضل الشهداء الذين يقاتلون في الصف الأول، فلا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا، أولئك يتلبطون في الغرف العلى من الجنة، يضحك إليهم ربك، فإذا ضحك ربك إلى عبد في موطن، فلا حساب عليه)** رواه أحمد والطبراني عن نعيم بن هبار رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الجامع، وقال البوصيري في الإتحاف والهيثمي في المجمع ورواته ثقات، وصحح إسناده المناوي في التيسير.

وقد ورد أن الغرف العلى في الجنة هي أعلى الجنة درجة ومنزلة وأنها هي عليون.

كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: (**إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم**) قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: (**بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين**) رواه البخاري، وفي رواية الطبراني في الأوسط (**أهل عليين**) بدل أهل الغرف.

وفي رواية الطبراني عن جابر بن سمرة (**أهل الدرجات العلى**) بدل أهل الغرف، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

قال المناوي في الفيض: " (**إن أهل عليين**) أعلى الجنة وأشرفها، وكلما علا الشيء وارتفع عظم قدره، ولذا قال تعالى معظما قدره (**وما أدراك ما عليون**) " انتهى كلامه.

ونقل المناوي في الفيض عن الراغب قال: " عليون اسم أشرف الجنان".

وقال أيضا في الفيض: " (**أهل الغرف**) جمع غرفة وهو بيت صغير فوق الدار والمراد هنا القصور العالية في الجنة " انتهى كلامه.

٥. ومن الأدلة أيضا عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن أم الربيع بنت البراء – وهي أم حارثة بن سراقة – أتت النبي ﷺ فقالت: يا نبي الله ألا تحدثني عن حارثة – وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب – فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء ؟ قال (**يا أم حارثة إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى**) رواه البخاري.

قال الحافظ في الفتح: " (أتاه سهم غرب) أي لا يعرف راميه أو لا يعرف من أين أتى أو جاء على غير قصد من راميه قاله أبو عبيد " انتهى كلامه.

فهذا حارثة استشهد يوم بدر، وأخبر النبي ﷺ أنه في الفردوس الأعلى.

وهذه الدرجة هي أعلى منازل الشهداء ودرجاتهم ودرجات المجاهدين، والدرجة والمنزلة بمعنى واحد كما ذكر ذلك المناوي في الفيض، ونقله الحافظ في الفتح عن أبي عبيدة في تفسير الدرجات قال: " أي منازل ".

قال الطيبي كما في المرقاة: " منزلة درجة الشهيد الذي نال من درجات الشهادة أقصاها وغايتها هو الفردوس الأعلى " انتهى كلامه.

وإنما قلنا إن الفردوس الأعلى لبعض الشهداء وليس لكلهم، لما ورد من أن الشهداء يتفاضلون وليسوا على درجة واحدة كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

وقد ورد في مسند أحمد وسنن أبي داود عن عبيد بن خالد رجل من بني سليم قال: آخى رسول الله ﷺ بين رجلين، فقتل أحدهما ومات الآخر بعده، فصلينا عليه فقال رسول الله ﷺ: **(ما قلتم ؟)** قالوا: دعونا له أن يغفر له، وأن يرحمه، وأن يلحقه بصاحبه، فقال رسول الله ﷺ: **(فأين صلاته بعد صلاته، وعمله بعد عمله، أو صيامه بعد صيامه ؟) قال: (إن ما بينهما كما بين السماء والأرض)** وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

فهذا الرجل قد استشهد وعلاه الآخر بدرجة، لأنه قال: **(ما بينهما كما بين السماء والأرض)** وهذا مقدار درجة في الجنة كما ورد في الأحاديث الأخرى إن ما بين الدرجة والدرجة كما بين السماء والأرض، ومعلوم أن الفردوس الأعلى أعلى درجة في الجنة، وليس فوقه درجة، وليس فوقه إلا العرش، فلو كان الرجل الذي استشهد في الفردوس الأعلى لما علاه الآخر بدرجة.

وأيضا عن عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(القتلى ثلاثة: رجل مؤمن، جاهد بنفسه وماله في سبيل الله، حتى إذا لقي العدو قاتلهم حتى يقتل، فذلك الشهيد الممتحن في خيمة الله تحت عرشه، لا يفضله النبيون إلا بفضل درجة النبوة، ورجل فرق على نفسه من الذنوب والخطايا، جاهد بنفسه وماله في سبيل الله، حتى إذا لقي العدو قاتل حتى يقتل، فتلك ممصمصة محت ذنوبه وخطاياه، إن السيف محاء للخطايا، وأدخل من أي أبواب الجنة شاء، فإن لها ثمانية أبواب، ولجهنم سبعة أبواب، وبعضها أفضل من بعض، ورجل منافق، جاهد بنفسه وماله، حتى إذا لقي العدو قاتل في سبيل الله عز وجل حتى يقتل، فذلك في النار، إن السيف لا يمحو النفاق)** رواه أحمد والطبراني بإسناد جيد كما قال المنذري وابن النحاس، وقال الهيثمي " ورجال أحمد رجال الصحيح خلا المثنى الاملوكي وهو ثقة ".

فالشهيد الأول في الفردوس والثاني أدون منه فلا يكون فيها.

قال الشيخ عبد الله عزام في كتاب التربية الجهادية والبناء: " وبعض الشهداء يردون الفردوس أعلى الجنة، لقد سألت أم حارثة رسول الله ﷺ أين ابني ؟ فقال: **(إنه في الفردوس الأعلى)** رواه البخاري" انتهى كلامه.

فما أعظم هذا الفضل وما أجله، فضل عظيم يحوي فضائل عظيمة، ومزايا عالية وسمات بارزة، فما ظنك بجنة غرسها الرحمن وبناها بيده، وشرفها بذلك كما شرف آدم عليه السلام، وقربها منه فما بينها وبينه إلا الحجاب يرفع، وجعل فيها من أنواع النعيم واللذات ما لم يجعله في باقي الجنان، فليست القصور هناك كباقي القصور، وليست الحور هناك كباقي الحور، وليست البساتين والخضرة هناك كباقي الجنات، بل فيها أفضل النعيم وأفضل الحياة والعيش وأفضل الرزق بجوار الرب تعالى، وفيها الأنهار تتفجر إلى باقي الجنان، ومن عظمة هذه الدرجة أنه لا يسكنها إلا خاصة الشهداء، فيا أخي إن اللسان يعجز عن وصفها وما بلغ معشاره، ويكفيك يا أخي دليلا على عظمة فضائلها أنه أبهم وصفها ولم يفصله في حيث المغيرة السابق ذكره عند مسلم في " أعلى أهل الجنة منزلة ".

الفضيلة الرابعة والثمانون: الشهيد من المقربين:

قسم الله تعالى عباده إلى ثلاثة أقسام: سابق ومقتصد وظالم لنفسه، كما قال تعالى: ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ**﴾ **فاطر.**

فأفضلهم السابق ثم المقتصد ثم الظالم لنفسه، وجعلهم في الجزاء قسمين: مقربين وهم السابقين، وأصحاب يمين وهم المقتصد والظالم لنفسه، كما قال تعالى: ﴿ **فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ** ﴾ **الواقعة.**

وجزاء وجنات السابقين أفضل من أصحاب اليمين بأمور كثيرة منها:

١. أن السابقين مقربين من الله تعالى، وهذا من أعظم الفضل وهو القرب من الله تعالى، فهم أقرب إلى الله من أصحاب اليمين.

٢. أنه ورد أن السابقين يرون الله كل يوم مرتين كما جاء عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (**إن أدنى أهل الجنة منزلة لينظر في ملكه ألفي سنة، يرى أقصاه كما يرى أدناه، ينظر إلى أزواجه وخدمه، وإن أفضلهم منزلة لينظر في وجه الله تعالى كل يوم مرتين**) رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني، وفي أسانيدهم ثوير بن أبي فاختة، وهو مجمع على ضعفه، ولكن يؤيده ويشير إليه حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه: كنا عند النبي ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: (**أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا لا تضامون أو لا تضاهون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا**، ثم قال (**وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا**)) رواه البخاري.

قال شيخ الإسلام في المجموع: " فلما كان في حديث ابن عمر المتقدم وعد أعلاهم (غدوة وعشيا) والرسول ﷺ قد جعل صلاتي الغداة والعشي سببا للرؤية، وصلاة الجمعة سببا للرؤية في وقتها مع ما في الصلاة من مناسبة الرؤية، كان العلم بمجموع هذه الأمور يفيد ظنا قويا أن هاتين الصلاتين سبب للرؤية في وقتهما في الآخرة والله أعلم بحقيقة الحال " انتهى كلامه.

وقال ابن القيم في النونية:

هذا وأعلاهم فناظر ربه ** في كل يوم وقته الطرفان

٣. أن حور السابقين أفضل من حور أصحاب اليمين كما قال تعالى عن حور المقربين – ولم يقل مثل ذلك في أصحاب اليمين – (**فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (٥٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٧) كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ**).

٤. أن جنات السابقين من ذهب، وجنات أصحاب اليمين من فضة، والذهب أفضل من الفضة، كما جاء عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه – قال حماد لا أعلمه إلا قد رفعه – قال: (**جنتان من ذهب للمقربين، ومن دونهما جنتان من ورق لأصحاب اليمين**) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم ورجاله ثقات كما قال الحافظ في الفتح.

٥. أن جنات السابقين أفضل من حيث العيون، فقال تعالى عن عيون المقربين: (**فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ**) وقال عن عيون أصحاب اليمين: (**فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ**) والجارية أفضل من

النضاحة، وقال تعالى عن عيون المقربين: ﴿ **إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا**﴾ **الإنسان**، فعباد الله هنا هم المقربين وهم الذين يفجرون تلك العين ويشربون منها صرفا والأبرار هنا هم أصحاب اليمين.

٦. أن جنات السابقين أفضل من حيث العلو، فهي أعلى من جنات أصحاب اليمين، وإلا لما نالوا القرب من الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ **وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ** ﴾ **الرحمن**، وهذه الجنتان هي لأصحاب اليمين ومعنى ذلك أنهما دون الجنتين الأوليين اللتين هما جنات المقربين.

٧. أن جنات السابقين أفضل من حيث المطعومات والأشربة، كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا** ﴾ **الإنسان**، فالأبرار يشربونها ممزوجة، والمقربين يشربونها صرفا، وقال تعالى: ﴿ **يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ**﴾ **المطففين**، فالأبرار يشربونها ممزوجة والمقربين يشربونها محضا صرفا.

٨. أن جنات السابقين أفضل من حيث الخضرة والبساتين والفاكهة، كما قال تعالى عن جنات المقربين: ﴿ **فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ**﴾ **الرحمن**.

وقال أيضا عنهم: ﴿ **يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (١٨) لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ (١٩) وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ**﴾ **الواقعة**.

وقال أيضا عنها: ﴿**ذَوَاتَا أَفْنَانٍ**﴾ **الرحمن**.

وقال عن جنات أصحاب اليمين: ﴿ **فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ** ﴾ **الرحمن**، والوصف الأول أعظم.

٩. أن جنات السابقين أفضل من حيث الأسرة والفرش، كما قال تعالى: ﴿ **مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ**﴾ **الرحمن، وقال:** ﴿ **عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ (١٥) مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ** ﴾ **الواقعة**.

وهذه فضائل عظيمة للمقربين، ولا شك أن المميزات التي تميز المقربين عن أصحاب اليمين أكثر من ذلك.

وكون الشهيد من السابقين المقربين هذا فضل عظيم ينبني عليه فضائل عظيمة له سوى ما ذكر له من الفضائل، وقد دلت بعض النصوص الواردة في فضل الشهيد على أنه من المقربين، فمن ذلك:

١. قوله تعالى: ﴿ **بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ**﴾ **آل عمران**، وقال تعالى: ﴿ **وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ**﴾ **الحديد**.

قال القرطبي: " **(عند)** هنا تقتضي غاية القرب، فهي كـ" لدى" ولذلك لم تصغر فيقال عنيد قاله سيبويه " انتهى كلامه.

وقال في لسان العرب: " وأما عند فحضور الشيء ودنوه، وفيها ثلاث لغات عِند وعَند وعُند، وهي ظرف الزمان والمكان، ثم قال: " قال الأزهري وهي بلغاتها الثلاث أقصى غاية القرب ولذلك لم تصغر " انتهى من اللسان.

وقال النسفي في تفسيره (مدارك التنزيل): " **(أحياء عند ربهم)** مقربون عنده ذوو زلفى " انتهى كلامه.

وهذا يتضمن أن الشهداء قد أعطوا أقصى القرب وغايته، فقد كررت العندية في حقهم مرتين.

وما ورد في فضائل الشهيد يشهد بذلك، فإنهم في جميع أحوالهم قريبون غاية القرب من الله تعالى، ففي البرزخ قناديلهم معلقة بالعرش فهم قريبون غاية القرب، وفي القيامة قريبون غاية القرب فهم حول العرش كما سبق، وفي الجنة قريبون غاية القرب فهم في الفردوس الأعلى الذي سقفه عرش الرحمن وفي الدرجات العالية من الجنة، فهم من قرب إلى قرب إلى قرب.

وفي قوله تعالى: ﴿**وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ**﴾ قدم العندية على الأجر في الذكر، وأضاف العندية إليهم لمزيد قرب الشهداء من الله تعالى، والتنبيه على فضل القرب لهم، وفي غيرهم أضاف العندية للأجر، وقدم الأجر على العندية، فقال تعالى في غير ما آية ﴿ **فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ**﴾.

قال الدوسري في تفسيره صفوة الآثار والمفاهيم: " وقوله تعالى: **(عند ربهم يرزقون)** يدل على أن القرب من الله والزلفى عنده أشرف من الرزق " انتهى كلامه، وذلك لأنه قدمه في الذكر على الرزق.

٢. أن الشهداء هم خاصة الله تعالى من خلقه فقد اتخذهم واصطفاهم لنفسه وحازهم إليه كما قال تعالى: ﴿**وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ**﴾ وجعلهم عنده.

قال ابن القيم في الزاد: "ومنها: أن الشهادة عنده من أعلى مراتب أوليائه، والشهداء هم خواصه والمقربون من عباده، وليس بعد درجة الصديقية إلا الشهادة، وهو سبحانه يحب أن يتخذ من عباده شهداء، تراق دماؤهم في محبته ومرضاته، ويؤثرون رضاه ومحابه على نفوسهم، ولا سبيل إلى نيل هذه الدرجة إلا بتقدير الأسباب المفضية إليها من تسليط العدو " انتهى كلامه.

وقد أضيف الشهداء إلى الله تعالى إضافة تشريف وتخصيص وإكرام، فسموا بشهداء الله، كما جاء عند أحمد عن رجال من الصحابة قال رسول الله ﷺ: (**شهداء الله فى الأرض، أمناء الله على خلقه، قتلوا أو ماتوا**) قال الهيثمى: رجاله ثقات، وصححه المناوي في التيسير في شرح الجامع الصغير، وصححه الألباني في الصحيحة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن رسول الله ﷺ: (**أنه سأل جبريل عليه السلام عن هذه الآية (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله) من الذين لم يشإ الله أن يصعقهم ؟ قال: هم شهداء الله عز وجل**) رواه الحاكم وأبويعلى، وصححه الحاكم، وقال الذهبي على شرط البخاري ومسلم، وقال الحافظ في الفتح ورواته ثقات، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

قال المناوي في الفيض: " وفي إضافة الشهداء إلى الله غاية التشريف " انتهى كلامه.

قال ابن القيم في الزاد: " فكل ما أضافه الرب تعالى إلى نفسه فله من المزية والاختصاص على غيره ما أوجب له الاصطفاء والاجتباء، ثم يكسوه بهذه الإضافة تفضيلا آخر وتخصيصا وجلالة زائدا على ما كان له قبل الإضافة " انتهى كلامه.

قال الحافظ في الفتح: " لأن الإضافة تقع على صفة تقوم بالموصوف، كالعلم والقدرة، وعلى ما ينفصل عنه كبيت الله وناقة الله، فقوله روح الله من هذا القبيل الثاني، وهي إضافة تخصيص وتشريف، وهي فوق الإضافة العامة التي بمعنى الإيجاد، فالإضافة على ثلاث مراتب: إضافة إيجاد وإضافة تشريف وإضافة صفة " انتهى كلامه.

٣. ما ورد أن الشهداء يجلسون على كراسي الذهب كما سبق في فضيلة لوحدها، وجنات الذهب خاصة بالمقربين كما سبق بيانه.

وقد قرر العلماء رحمهم الله كون الشهداء من المقربين، فقال ابن القيم في الزاد: " أن الشهادة عند من أعلى مراتب أوليائه، والشهداء هم خواصه المقربون من عباده، وليس بعد درجة الصديقية إلا الشهادة " انتهى كلامه.

وقال أيضا: ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ فجمع لهم إلى الحياة الدائمة منزلة القرب منه وأنهم عنده..." انتهى كلامه.

والقرب قربان، قرب في المكان، وقرب في المكانة والمنزلة عند الله تعالى، والأول مبني على الثاني، وقد أتيح للشهيد عند الله تعالى القربان.

وهذا الفضل من أعظم فضائل الشهيد، إذ أنه ينبني عليه فضائل عظام، كل فضيلة منها أفضل وأعظم من الأخرى، ومن حاز درجة المقربين فقد حاز أعالي الفضل والنعيم، ويكفيه القرب، وهكذا الشهادة كثيرا ما تتحفنا بفضائل داخل فضائل، وفضائل لا يحيط بها الوصف.

الفضيلة الخامسة والثمانون: إيثار الله تعالى للشهيد على الملائكة وتقديمه عليهم في المنزلة وتحية الملائكة لهم بالسلام:

وهذا فضل عظيم للشهيد وتشريف عظيم له أن يقدمه الله تعالى على ملائكته المقربين الكرام في المنزلة والقربة والكرامة، هذا وهم الملائكة الذين هم خيرة خلق الله تعالى لا يعصون الله تعالى ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ويسبحون بالليل والنهار لا يفترون، ومع ذلك يقدم عليهم الشهيد، بل وتؤمر الملائكة أن يحبوهم ويكرموهم، فتدخل عليهم الملائكة من كل باب، وتحييهم بالسلام من كل باب وتقول لهم: سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إن أول ثلة تدخل الجنة الفقراء المهاجرون، الذين تتقى بهم المكاره، إذا أمروا سمعوا وأطاعوا، وإن كانت**

لرجل منهم حاجة إلى السلطان لم تقض له حتى يموت وهي في صدره، وإن الله تعالى يدعو يوم القيامة الجنة فتأتي بزخرفها وزينتها فيقول: أين عبادي الذين قاتلوا في سبيل الله وقتلوا في سبيلي وأوذوا في سبيلي وجاهدوا في سبيلي ؟ ادخلوا الجنة، فيدخلونها بغير حساب ولا عذاب، فتأتي الملائكة فيقولون: ربنا نحن نسبح لك الليل والنهار ونقدس لك، من هؤلاء الذين آثرتهم علينا ؟ فيقول الرب تبارك وتعالى: هؤلاء الذين قاتلوا في سبيلي وأوذوا في سبيلي، فتدخل عليهم الملائكة من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) رواه أحمد والحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي، ورواه الطبراني، وقال الهيثمي: ورجال الطبراني رجال الصحيح غير أبي عشانة وهو ثقة، وصححه أحمد شاكر، وصحح إسناده الألباني في الصحيحة.

وهذا من أعظم فضائل الشهيد الدال على عظمة منزلته عند الله تعالى، وأنه أعظم من منزلة الملائكة عند الله تعالى.

ومعنى ﴿ **سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ** ﴾ **الرعد**، أي قد سلمتم من الآفات والمحن، ودعاء لهم بدوام السلامة، وهذه الكرامات بصبركم، فنعم عاقبة الدار التي كنتم فيها عملتم فيها ما أعقبكم هذا الذي أنتم فيه، فالدار هنا هي الدنيا.

وإذا فضل الشهيد على الملائكة، فهم أفضل الخلق مطلقا بعد الأنبياء والصديقين، وأكرم الخلق عند الله تعالى، وبعض الشهداء لا يفضلون إلا بدرجة النبوة كما سبق.

الفضيلة السادسة والثمانون: إكرام الملائكة للشهيد في الجنة:

لما كان الشهيد عند الله تعالى بالمحل الأعلى والمنزلة العظمى، وتولى إكرامهم بنفسه سبحانه، سخر أيضا من هم من أفضل مخلوقاته وأعظمهم وأطهرهم لإكرام الشهيد وخدمته وإظهار شرفه، وهم الملائكة الكرام البررة، فيدخلون على الشهيد في منزلته ومقامه من كل باب، ويهنئونه على صبره وعلى ثوابه وأجره، ويدعون له بالسلامة من الآفات والبليات.

كما في الحديث عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما السابق وفيه: **(فتأتي الملائكة فيقولون: ربنا نحن نسبح لك الليل والنهار ونقدس لك، من هؤلاء الذين آثرتهم علينا ؟ فيقول الرب تبارك**

وتعالى: هؤلاء الذين قاتلوا في سبيلي وأوذوا في سبيلي، فتدخل عليهم الملائكة من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) رواه أحمد والحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي، ورواه الطبراني، وقال الهيثمي: ورجال الطبراني رجال الصحيح غير أبي عشانة وهو ثقة، وصححه أحمد شاكر، وصحح إسناده الألباني في الصحيحة.

وقد ورد أنهم يدخلون معهم بالهدايا والتحف للشهيد، فقد روى ابن المبارك عن المطلب بن حنطب قال: (إن للشهيد غرفة كما بين صنعاء والجابية أعلاها الدر والياقوت وجوفها المسك والكافور، قال: فتدخل عليه الملائكة بهدية من ربه، فما تخرج حتى تدخل عليه ملائكة آخرون من باب آخر بهدية من ربه تعالى).

وهذا وإن كان مقطوعا، فإن كرم الله وفضله لا حدود له.

وقد سبق ذكر شيء من إكرام الملائكة للشهيد في الدنيا من تظليله وتغسيله وغير ذلك.

الفضيلة السابعة والثمانون: للشهيد شفاعة يوم القيامة:

في يوم القيامة وعند الجزاء تكون الشفاعة، فيكرم الله تعالى صنفا من عباده بأن يجعلهم يشفعون في قوم استحقوا النار أن لا يدخلوها، وفي قوم دخلوا النار أن يخرجوا منها، وقد أثبت القرطبي في التذكرة أن المؤمنين يشفعون في قوم استحقوا النار أن لا يدخلوها.

وكل ذلك إكراما للشافع وتشريفا له على الناس، وإلا فالله تعالى قادر على إخراجه بلا شفاعة.

ومن هؤلاء الذين يكرمون بالشفاعة يوم القيامة الشهداء، فالشهداء أبدا مكرمون عند الله تعالى، ومن ذلك أنه يكرمهم بشفاعتين يوم القيامة:

شفاعة خاصة، وشفاعة عامة.

أما الشفاعة الخاصة، فإنه ورد أن الشهيد يشفع في سبعين من أقاربه كما قال ﷺ: **(للشهيد عند الله سبع خصال: يغفر له في أول دفعة من دمه... ويشفع في سبعين إنساناً من أهل بيته)** وفي رواية

(من أقاربه) رواه أحمد في مسنده عن المقدام بن معد يكرب، وحسنه ابن القطان في بيان الوهم والإيهام، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

وعن نمران بن عتبة الذمارى، قال: دخلنا على أم الدرداء ونحن أيتام، فقالت: أبشروا، فإني سمعت أبا الدرداء يقول: قال رسول الله ﷺ: **(يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته)** رواه أبو داود، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

وهذا العدد قد يراد به الخصوص والتعيين وأنه يشفع في سبعين، وقد يراد به التكثير، فإن هذا العدد وهو السبعين والسبعمائة يستعملان في لغة العرب عادة في المبالغة في التكثير، ولا يراد به الخصوص.

قال القرطبي كما في الفتح: " ورد ذكر السبعين لإرادة التكثير كثيرا " انتهى كلامه.

فيكون المراد أنه يشفع في عدد كثير من أقاربه.

وهذه الشفاعة مخصوصة بالأقارب على ظاهر الأحاديث والروايات السابقة.

قال المناوي في الفيض:" **(من أهل بيته)** شمل الأصول والفروع والزوجات وغيرهم من الأقارب، ويحتمل أن المراد بالسبعين التكثير، وفيه إن الإحسان إلى الأقارب أفضل منه إلى الأجانب " انتهى كلامه.

وهناك شفاعة عامة للشهيد، فعن أبي بكرة عن النبي ﷺ قال: **(يحمل الناس على الصراط يوم القيامة، فتتقادع بهم جنبتا الصراط تقادع الفراش في النار، قال: فينجي الله تبارك وتعالى برحمته من يشاء، قال: ثم يؤذن للملائكة والنبيين والشهداء أن يشفعوا، فيشفعون ويخرجون، ويشفعون ويخرجون، ويشفعون ويخرجون – وزاد عفان مرة فقال أيضا:– ويشفعون ويخرجون من كان في قلبه ما يزن ذرة من إيمان)** رواه أحمد وابن أبي شيبة، ورجاله ثقات كما قال الحافظ ابن حجر والبوصيري في الإتحاف، وقال الهيثمي رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: أصبح رسول الله ﷺ ذات يوم، فصلى الغداة ثم جلس، حتى إذا كان من الضحى ضحك رسول الله ﷺ، ثم جلس مكانه حتى صلى الأولى والعصر والمغرب، كل ذلك لا يتكلم حتى صلى العشاء الآخرة، ثم قام إلى أهله، فقال الناس لأبي بكر: ألا تسأل رسول الله ﷺ ما شأنه صنع اليوم شيئا لم يصنعه قط ؟ قال: فسأله، فقال: **(نعم، عرض علي ما هو كائن من**

أمر الدنيا وأمر الآخرة، فجمع الأولون والآخرون بصعيد واحد، ففظع الناس بذلك حتى انطلقوا إلى آدم عليه السلام، والعرق يكاد يلجمهم، فقالوا: يا آدم أنت أبو البشر، وأنت اصطفاك الله عز وجل، اشفع لنا إلى ربك، قال: لقد لقيت مثل الذي لقيتم، انطلقوا إلى أبيكم بعد أبيكم إلى نوح (إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين) قال: فينطلقون إلى نوح عليه السلام فيقولون اشفع لنا إلى ربك، فأنت اصطفاك الله واستجاب لك في دعائك، ولم يدع على الأرض من الكافرين ديارا، فيقول: ليس ذاكم عندي، انطلقوا إلى إبراهيم عليه السلام، فإن الله عز وجل اتخذه خليلا، فينطلقون إلى إبراهيم، فيقول: ليس ذاكم عندي، ولكن انطلقوا إلى موسى عليه السلام، فإن الله عز وجل كلمه تكليما، فيقول موسى عليه السلام: ليس ذاكم عندي، ولكن انطلقوا إلى عيسى ابن مريم، فإنه يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى، فيقول عيسى: ليس ذاكم عندي، ولكن انطلقوا إلى سيد ولد آدم، فإنه أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة، انطلقوا إلى محمد ﷺ، فيشفع لكم إلى ربكم عز وجل، قال: فينطلق، فيأتي جبريل عليه السلام ربه، فيقول الله عز وجل: ائذن له وبشره بالجنة، قال: فينطلق به جبريل، فيخر ساجدا قدر جمعة، ويقول الله عز وجل: ارفع رأسك يا محمد، وقل يسمع، واشفع تشفع، قال: فيرفع رأسه، فإذا نظر إلى ربه عز وجل، خر ساجدا قدر جمعة أخرى، فيقول الله عز وجل: ارفع رأسك، وقل يسمع، واشفع تشفع، قال: فيذهب ليقع ساجدا، فيأخذ جبريل عليه السلام بضبعيه، فيفتح الله عز وجل عليه من الدعاء شيئا لم يفتحه على بشر قط، فيقول: أي رب خلقتني سيد ولد آدم ولا فخر، وأول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر، حتى أنه ليرد على الحوض أكثر مما بين صنعاء وأيلة، ثم يقال: ادعوا الصديقين، فيشفعون، ثم يقال: ادعوا الأنبياء، قال: فيجيء النبي ومعه العصابة، والنبي ومعه الخمسة والستة، والنبي وليس معه أحد، ثم يقال: ادعوا الشهداء، فيشفعون لمن أرادوا، وقال: فإذا فعلت الشهداء ذلك، قال: يقول الله عز وجل: أنا أرحم الراحمين، ادخلوا جنتي من كان لا يشرك بي شيئا، قال: فيدخلون الجنة، قال: ثم يقول الله عز وجل: انظروا في النار هل تلقون من أحد عمل خيرا قط، قال: فيجدون في النار رجلا، فيقول له: هل عملت خيرا قط ؟ فيقول: لا غير أني كنت أسامح الناس في البيع والشراء، فيقول الله عز وجل: اسمحوا لعبدي كإسماحه إلى عبيدي، ثم يخرجون من النار رجلا، فيقول له: هل عملت خيرا قط ؟ فيقول: لا غير أني قد أمرت ولدي إذا مت، فاحرقوني بالنار، ثم اطحنوني حتى إذا كنت مثل الكحل فاذهبوا بي إلى البحر فاذروني في الريح، فوالله لا يقدر علي رب العالمين أبدا، فقال

الله عز وجل: لم فعلت ذلك ؟ قال: من مخافتك، قال: فيقول الله عز وجل: انظر إلى ملك أعظم ملك، فإن لك مثله وعشرة أمثاله، قال: فيقول: لم تسخر بي وأنت الملك، قال: وذاك الذي ضحكت منه من الضحى) رواه أحمد، وقال الهيثمي " ورجاله ثقات ".

وهذه الشفاعة غير مخصوصة بالأقارب بل هي عامة فيمن أراد الشهيد الشفاعة له بعد رضى الله عن المشفوع له في أن يخرج من النار إذ الحديث أعمها ولم يخصصها، بل علقها بمن أراد الشهيد، وذلك يعم القرابات وغيرهم، وتفيد كثرة المشفوع لهم في هذه الشفاعة إذ كرر الشفاعة في حقهم أربع مرات كما في حديث أبي بكرة.

وهاتان الشفاعتان إكرام للشهيد عند الله تعالى في أن يقبل وساطته في أن يرفع العذاب أو يدفعه عمن استحقه.

وهل يدخل في شفاعة الشهيد الخاصة غير الأقارب وأن يشفع في غير الأقارب ؟

نعم، ففضل الله واسع، وإنما حدده في الحديث لبيان أنهم أولى من يستحق الشفاعة للرحم الذي بينهم وبين الشهيد، ولأنهم عانوا أكثر من عانى بفقد الشهيد وقتله، فعوضوا عن ذلك بالشفاعة.

وهذا العدد – سبعين – على القول بأنه للتحديد والتعيين المراد منه أنه أقل ما يشفع الشهيد في سبعين ولا حد لأكثره.

وهذا من فضائل الشهيد العظيمة التي تسطر وتسجل بماء الذهب، فخير الشهيد وفضله ليس مقصورا عليه، بل إن فضله ليصل إلى أقاربه وأهل بيته أجمع.

الفضيلة الثامنة والثمانون: الشهيد في خيمة الله تعالى:

في الجنة خيام للإقامة والسكنى ليست كخيام الدنيا ولا مقارنة، بل هي كالقصور بل هي أعظم من القصور.

وهذا مثال عليها، عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: (**إن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة، عرضها ستون ميلا، في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين، يطوف عليهم المؤمنون**) رواه البخاري.

وقال تعالى: ﴿ **حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ** ﴾ **الرحمن**.

فهذا الوصف أعظم من قصور الدنيا أجمع، بل أعظم من الدنيا كلها، بل ولا مقارنة، وللشهيد في الجنة خيمة مشرفة، خيمة عظيمة أبهم وصفها من عظمته، لكن يكفي في شرفها إضافتها إلى الله تعالى ويكفي ذلك في شرفها وعلوها.

وعن عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**القتلى ثلاثة: رجل مؤمن، جاهد بنفسه وماله في سبيل الله، حتى إذا لقي العدو قاتلهم حتى يقتل، فذلك الشهيد الممتحن، في خيمة الله تحت عرشه، لا يفضله النبيون إلا بفضل درجة النبوة...**) رواه أحمد والطبراني بإسناد جيد كما قال المنذري وابن النحاس، وقال الهيثمي:" ورجال أحمد رجال الصحيح خلا المثنى الاملوكي وهو ثقة".

وفي لفظ ابن أبي عاصم في كتاب الجهاد: (**في خيمة من خيام الله في الجنة...**).

فإذا كانت الخيمة من خيام الجنة جاء وصفها كما سبق من العظمة والبهاء، فكيف بخيمة الله التي تحت عرشه للشهيد، وكفى بهذا فضلا عظيما للشهيد.

وقد روى ابن المبارك عن المطلب بن حنطب قال: (إن للشهيد غرفة كما بين صنعاء والجابية، أعلاها الدر والياقوت، وجوفها المسك والكافور، قال: فتدخل عليه الملائكة بهدية من ربه فما تخرج حتى تدخل عليه ملائكة آخرون من باب آخر بهدية من ربه تعالى) فما أعظم مسكن الشهيد ومنزله في البرزخ وفي الآخرة.

وذهب ابن الأثير في نهايته إلى غير هذا المعنى فقال: " (**الشهيد في خيمة الله تحت عرشه**) الخيمة معروفة ومنه خيم بالمكان أي أقام فيه وسكنه، فاستعارها لظل رحمة الله تعالى ورضوانه وأمنه، ويصدقه الحديث الآخر (**الشهيد في ظل الله وظل عرشه**) " انتهى كلامه.

والمعنى الأول أظهر وأوضح ويؤيده النصوص، وما استشهد به لا يصح سندا.

جاء في كتاب شهداء في زمن الغربة عن الشهيد عبد الله الليبي الذي قال عنه أبو الليث الليبي: " وفي ليلة من لياليه المباركة - كما أردف قائلا أبو الليث - وبينما هو مستلق على سريره وقد جافاه النوم، وإخوانه بجواره يغطون بنوم عميق رأى أن قصرا عظيما بدأ ينزل عليه من السماء وكلما نزل ازداد عظمة حتى غطى الأفق، وهنا راح عبد الله يتحسس نفسه لعله في حلم ولكن دون جدوى، إنه في عالم المحسوسات واليقظة، ولم يجر على أودية لسانه في تلك اللحظة سوى التكبير، وكلما كبر علا القصر حتى غاب في أفق السماء، واستيقظ الزبير المغربي على تكبيرات أخيه، وسرعان ما سأله مستفسرا عن كنه الأمر فقص عليه ما شاهده، وكانت المفاجأة للزبير الذي عاد وغط في نومه مندهشا متعجبا..." انتهى.

وجاء فيه أيضا في سيرة الشهيد مسلم التونسي رحمه الله: " حدثني الأخ منصور الحربي عن رؤيا رآها مسلم - أي التونسي - قبل الشهادة قائلا: " رأى مسلم نفسه قبل الشهادة واقفا أمام الجنة، وبعد ذلك فتح له باب من أبواب الجنة، ودخل مسلم فرأى سهولا خضراء، وفيها أحجار تلمع، وهو طائر في الجنة، ثم رأى قصرا جميلا لبنة من ذهب وأخرى من فضة... وسمع صوتا يقول هذا بيتك في الجنة".

ولم يمض شهر على تلك الرؤيا حتى كانت الإغارة على مراكز الردة بانتظاره... فقد جهز نفسه، وانطلق مع ثلة من ثلل التوحيد، وفي الطريق الطويل شاءت الأقدار أن تشتبك تلك الثلة مع حراس إحدى القرى بالخطأ، ظنا منهم أنهم من أبناء الصليب... وما أن غرد الرصاص حتى أقبلت الرصاصة التي سرعان ما وجدت عاشقها الذي احتضنها، وفاضت الروح إلى بارئها ونعت العبادة ابنها... ونقل الجسد الطاهر إلى إحدى العيادات وفاحت رائحة المسك من الدم الزاكي وعبقت في الأنوف، وعرف الناس من تلك الرائحة أنه مجاهد شهيد، وتحققت الرؤيا، ونال ذاك القصر الذي بشر به من قبل إن شاء الله" انتهى.

الفضيلة التاسعة والثمانون: تمني أهل الجنة للشهادة بعد دخولهم:

عندما يموت المؤمن ويدخل الجنة ممن لم يستشهد في الدنيا، ويرى ما أعد للشهداء هناك من الفضائل العظيمة والأجور الكبيرة، ويعلم ما فاته من الشهادة في الدنيا، يتمنى أن لو يرجع إلى الدنيا كي يستشهد عشر مرار لما يرى من فضائل الشهيد عند الله تعالى.

والدليل عليه ما روى أحمد والنسائي بسند حسن – كما قاله الحافظ في الفتح – عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**يختصم الشهداء والمتوفون على فرشهم إلى ربنا في الذين يتوفون من الطاعون، فيقول الشهداء: إخواننا قتلوا كما قتلنا، ويقول الذين ماتوا على فرشهم: إخواننا ماتوا على فرشهم كما متنا، فيقول الله تعالى: انظروا إلى جراحهم، فإن أشبهت جراح المقتولين فإنهم منهم، فإذا جراحهم أشبهت جراحهم**) أي فإذا جراح المطعونين أشبهت جراح المقتولين، وفي رواية (**فيلحقون بهم**).

وكما سبق أن ذكرنا أن مقصود الشهداء بذلك إلحاق المطعون معهم ورفع درجته إلى درجاتهم، وأما الأموات على الفرش فلعله ليس مقصودهم أصالة أن لا ترفع درجة المطعون إلى درجات الشهداء، فإن ذلك حسد مذموم وهو منزوع عن القلوب في ذلك الدار، وإنما مرادهم أن ينالوا درجات الشهداء كما نال المطعون مع موته على الفراش، فمعنى قولهم: (**إخواننا ماتوا على فرشهم كما متنا**) أي فإن نالوا مع ذلك درجات الشهداء ينبغي أن ننالها أيضا.

فهؤلاء المتوفون على فرشهم وهم عامة المؤمنين يطلبون أن يلحقوا بالشهداء كما ألحق بهم المتوفون بالطاعون، وذلك لما رأوا من فضل الشهادة.

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**يؤتى بالرجل من أهل الجنة يوم القيامة، فيقول الله عز وجل: يا ابن آدم كيف وجدت منزلك ؟ فيقول: يا رب خير منزل، فيقول: سل وتمنه، فيقول: ما أسأل وأتمنى إلا أن تردني إلى الدنيا فأقتل في سبيلك عشر مرات، لما يرى من فضل الشهادة**) رواه أحمد والحاكم، وقال صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، والألباني في الصحيحة.

قال ابن النحاس معلقا على الحديث: " فإذا كان أهل الجنة يتمنون الشهادة ويسألونها، وقد حصلوا على ما حصلوا عليه من الفوز العظيم، ووصلوا إلى ما وصلوا إليه من النعيم المقيم، فكيف لا يتمناها من هو الآن في دار المحن والغرور، والأحزان والشرور، لا يدري إلى الجنة يصير، أو إلى النار وبئس المصير " انتهى كلامه.

ويصح أن نطلق على عامة المؤمنين ممن لم يستشهدوا أنهم خسروا نسبيا، وإن كانوا ربحوا دخول الجنة، أي أنهم خسروا فضل الشهادة.

قال الحافظ في الفتح: " وكل من قل ثوابه، فهو خاسر بالنسبة بالنسبة لمن كثر ثوابه " انتهى كلامه.

وهذا الفضل غير الفضل المذكور قبل من تمني الشهداء العود لأجل القتل، فهذا فيمن هو من أهل الجنة ولم يستشهد في الدنيا، وذاك فيمن استشهد، وكلا الأمرين يدلان على عظم أجر الشهادة وفضائلها، وأن التمني ليس مقصورا على الشهداء الذين استشهدوا، بل حتى عامة أهل الجنة يتمنون الشهادة.

الفضيلة التسعون: قرب الشهيد من الله تعالى يوم الزيارة وارتفاعهم على منابر الذهب وغيرها:

هذا آخر فضل للشهيد في الجنة نذكره هنا، وهو من أعظم الفضائل، وهي الغاية التي اشتاق لها المحبون، ودأب بالعمل لأجلها الصالحون، وهي أعظم نعيم الجنة في الآخرة، ولا أعظم من نعيم رؤية الله تعالى كما سبق بيانه.

وهذه الرؤية والقرب ليست مثل رؤية البرزخ، بل هي أعظم وأعلى، ففيها جميع أهل الجنة يرون الله تعالى، ويخص أهل الدرجات العليا – ومنهم الشهداء – بمزيد من الإكرام والتشريف والقرب والعلو، فيقربون ويجلسون على المنابر والكراسي من الذهب والدر، ودونهم بقية أهل الجنة على الكثيب، وإليك يا أخي الحديث فهو أبلغ في الوصف:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(أتاني جبريل عليه السلام، وفى يده مرآة بيضاء فيها نكتة سوداء، فقلت: ما هذه يا جبريل ؟ قال: هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولقومك من بعدك، تكون أنت الأول، وتكون اليهود والنصارى من بعدك، قال: مالنا فيها ؟ قال: لكم فيها خير، لكم فيها ساعة من دعا ربه فيها بخير هو له قسم إلا أعطاه إياه، وليس له بقسم إلا وادخر له ما هو أعظم منه أو تعوذ فيها من شر هو مكتوب إلا أعاذه من أعظم منه، قلت: ما هذه النكتة السوداء فيه ؟ قال: هذه الساعة تقوم يوم الجمعة، وهو سيد الأيام عندنا، ونحن ندعوه في الآخرة يوم المزيد، قال قلت: لم تدعونه يوم المزيد ؟ قال: إن ربك عز وجل اتخذ في الجنة واديا أفيح من المسك أبيض، فإذا كان يوم الجمعة نزل تبارك وتعالى من عليين على كرسيه، حتى حف الكرسي بمنابر من نور وجاء النبيون حتى يجلسوا عليها، ثم حف المنابر بكراسي من ذهب ثم جاء الصديقون والشهداء حتى يجلسوا عليها، ثم يجئ أهل الجنة حتى يجلسوا على الكثيب، فيتجلى لهم تبارك وتعالى حتى ينظروا إلى وجهه وهو يقول: أنا الذى**

صدقتكم وعدي، وأتممت عليكم نعمتي، هذا محل كرامتي فسلوني، فيسألوه الرضا، فيقول الله عزوجل: رضائي أحلكم دارى وأنالكم كرامتي، فسلوني، فيسألوه حتى تنتهى رغبتهم، فيفتح لهم عند ذلك مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر إلى مقدار منصرف الناس يوم الجمعة، ثم يصعد تبارك وتعالى على كرسيه، فيصعد معه الشهداء والصديقون، أحسبه قال ويرجع اهل الغرف إلى غرفهم، درة بيضاء، لا قصم فيها ولا فصم، فيها ثمارها، فيها أزواجها وخدمها، فليسوا إلى شئ أحوج منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا فيه كرامة، وليزدادوا فيه نظرا إلى وجهه تبارك وتعالى، ولذلك دعى يوم المزيد) رواه البزار والطبراني في الأوسط.

ورواه أبو يعلى بلفظ **(أتاني جبريل بمثل المرآة البيضاء فيها نكتة سوداء، قلت: يا جبريل: ما هذه ؟ قال: هذه الجمعة جعلها الله عيدا لك ولأمتك، فأنتم قبل اليهود والنصارى، فيها ساعة لا يوافقها عبد يسأل الله فيها خيرا إلا أعطاه إياه، قال: قلت: ما هذه النكتة السوداء ؟ قال: هذا يوم القيامة تقوم في يوم الجمعة، ونحن ندعوه عندنا المزيد، قال: قلت: ما يوم المزيد ؟ قال: إن الله جعل في الجنة واديا أفيح، وجعل فيه كثبانا من المسك الأبيض، فإذا كان يوم الجمعة ينزل الله فيه، فوضعت فيه منابر من ذهب للأنبياء، وكراسي من در للشهداء، وينزلن الحور العين من الغرف، فحمدوا الله ومجدوه قال: ثم يقول الله: اكسوا اعبادي، فيكسون، ويقول: أطعموا عبادي، فيطعمون، ويقول: اسقوا عبادي، فيسقون، ويقول: طيبوا عبادي، فيطيبون، ثم يقول: ماذا تريدون ؟ فيقولون: ربنا رضوانك، قال: يقول: رضيت عنكم، ثم يأمرهم فينطلقون، وتصعد الحور العين الغرف، وهي من زمردة خضراء ومن ياقوتة حمراء)** وإسناده صحيح كما قاله البوصيري في الإتحاف.

وفي رواية الحارث بن أبي أسامة **(فيشهد لهم أنه قد رضي عنهم، ويعطيهم ما سألوا وفوق رغبتهم، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ويرتفع النبيون والصديقون والشهداء، وذلك مقدار منصرفهم من الجمعة)** قال المنذري عن رواية الطبراني في الأوسط " إسنادها جيد " وصححه الألباني في الترغيب والترهيب وقال أيضا: رواه ابن أبي الدنيا والطبراني في الأوسط بإسنادين أحدهما جيد قوي وأبو يعلى مختصرا ورواته رواة الصحيح.

وقد جمع شيخ الاسلام طرق الحديث، وتكلم عليها، ومال إلى تقويتها في مجموع الفتاوى.

وقال ابن القيم في حادئ الأرواح: " هذا حديث كبير الشأن رواه أئمة السنة وتلقوه بالقبول وجمل به الشافعي مسنده ".

وقال الذهبي في العلو: " وله طرق يعضد بعضها بعضا ".

فيالله ما أعظم هذا الفضل وأجدره بالطلب، فهو قد حوى فضائل جمة:

١. رؤية الله تعالى.

٢. إكرامهم وإعطاؤهم ما يطلبون.

٣. قربهم في الزيارة.

٤. ارتفاعهم على كراسي الذهب أو كراسي الدر.

٥. سماعهم لكلام الله تعالى.

٦. رضى الله عنهم.

قال شيخ الإسلام في المجموع: " وفي هذا الحديث أن الصالحين هم الذين يرجعون إلى أهليهم فأما النبيون والصديقون والشهداء فلا يرجعون حينئذ " انتهى كلامه.

وقال أيضا: " وبدليل أن فيه عند منصرف الناس من الجمعة رجوع الصالحين إلى منازلهم ورجوع الأنبياء والصديقين والشهداء إلى ربهم " انتهى كلامه.

فما أعظم هذه الفضائل وما أحسنها، وما أحسن هذا الختام للشهيد الذي ختم به جولة فضائله بهذه الفضائل العظيمة، فهو في فضائله العظيمة خالد مخلد، لا يموت ولا تزول فضائله ولا ترفع، بل يزداد كرامة وفضلا.

❖ وقد تتساءل يا أخي في نهاية هذه الفضائل، لماذا كان للشهادة كل هذه الفضائل ؟ ولماذا كانت الشهادة أفضل الأعمال ؟ فالجواب:

لما كانت النفس أعظم ما يملك الإنسان، والحياة أحب إليه من كل شيء، والموت أبغض إليه من كل شيء، وأشق شيء على النفوس، فضحى بهذا كله في سبيل الله، وأقدم على الموت في سبيله، جعل الله له هذه الفضائل العظيمة، وإليك أخي أقوال العلماء في ذلك:

قال المناوي في الفيض: " ولا أحد أنفس ممن بذل أنفس ما عنده، فيكون في أرفع منازل الجنان وناهيك بذلك فضلا " انتهى كلامه.

وقال المناوي في الفيض: " تنبيه: الجهاد من الجهد، وهو المشقة، فإنه سفر عن الوطن والسفر قطعة من العذاب، مع ما فيه من المخاطرة بالنفس، فلذلك عظمت درجة المجاهد، لعظم ما يلقى، وكثرت حسناته لأنه يقاتل عن كل من وراءه من المسلمين، ولولا الجهاد لوصل العدو إليهم، فكأنه ناب مناب الكل " انتهى كلامه.

وقال المناوي في الفيض وهو يتحدث على العلة في فضل الجهاد على غيره: " لما فيه من الصبر على بذل الروح في رضى الرب وأي شيء يضاهي ذلك أو يقاربه ؟ " انتهى كلامه.

وقال المناوي في الفيض على حديث الشهداء على بارق نهر بباب الجنة: " وفي هذا الخبر كما قبله تنبيه على فضل الجهاد، كيف لا، وهو بيع النفس من الله، ولا أحب إلى الإنسان من نفسه، فبذلها لله أعظم الاحتساب " انتهى كلامه.

قال ابن دقيق العيد كما في الفتح: " والقياس يقتضي أن يكون الجهاد أفضل الأعمال التي هي وسائل، لأن الجهاد وسيلة إلى إعلان الدين ونشره، وإخماد الكفر ودحضه، ففضيلته بحسب فضيلة ذلك " انتهى كلامه، والشهادة من الجهاد.

وقال الحافظ في الفتح: " فيظهر فضل المجاهد لما فيه من بذل نفسه وماله لله تعالى، ولما فيه من النفع المتعدي " انتهى كلامه، والشهادة من الجهاد.

وقال الحافظ في الفتح: " قال ابن بزيزة الذي يقتضيه النظر تقديم الجهاد على جميع أعمال البدن، لأن فيه بذل النفس " انتهى كلامه.

قال العز بن عبد السلام في كتاب الجهاد: " يشرف البذل بشرف المبذول، وأفضل ما بذله الإنسان نفسه وماله، ولما كانت الأنفس والأموال مبذولة في الجهاد، جعل الله من بذل نفسه في أعلى رتب

الطائعين وأشرفها، لشرف ما بذله، مع محو الكفر، ومحق أهله، وإعزاز الدين، وصون دماء المسلمين " انتهى كلامه.

قال ابن بطال كما في الفتح: " وليس في أعمال البر ما تبذل فيه النفس غير الجهاد، فلذلك عظم فيه الثواب " انتهى كلامه.

قال ابن الزملكاني: " وقد يخص الله بعض الأعمال من الوعد بما لا يخص به الآخر، ترغيبا فيه، إما لنفرة النفس عنه، أو لمشقته غالبا، فرغب فيه بمزيد من الثواب " انتهى من فيض القدير.

قال القاري في مرقاة المفاتيح: " وفضل الجهاد عظيم، كيف وحاصله بذل أعز المحبوبات ؟ وإدخال أعظم المشقات عليه ؟ وهو نفس الإنسان ابتغاء مرضات الله وتقربا بذلك إليه " انتهى كلامه.

قال الشيخ عبد الله عزام في كتاب التربية الجهادية والبناء وهو يتحدث عن فضائل الجهاد: " هذا الثواب العظيم لم يجعله رب العزة عبثا، إنما لما يعلم الله من أن من فائدة الجهاد للنفس البشرية، وصقل الأرواح، وعلو الاهتمامات، وإفراز النماذج، وإبراز القيادات، وإقرار التوحيد في أعماق النفس البشرية، وحماية هذا الدين؛ ولأنه سبحانه يعلم: أن السيف والسلاح حصنه الحصين، وركنه الركين " انتهى كلامه.

*   *   *   *

۞ الباب الخامس: خصائص الشهيد

تمهيد:

يقال خصه بالشيء يخصه إذا أفرده به دون غيره، واختص فلان بالأمر إذا انفرد، فخصائص الشئ ما انفرد بها دون غيره.

ولكل شيء خصائص ومميزات تميزه وينفرد بها عن غيره، وكلما علت منزلة الشئ وكبرت مكانته، كلما كثرت خصائصه وعظمت وأفرد بأمور عن بقية أجناسه، وكان ذلك فضيلة له لوحدها كما سبق بيانه.

ولكي تعرف صحة هذا الكلام، انظر إلى الأنبياء لما علت مكانتهم وكانوا أفضل الخلق خصصوا بأمور لم تثبت لغيرهم، كنزول الوحي وغيره، وانظر إلى النبي ﷺ لما كان أفضل الرسل وأفضل الخلق كان أكثرهم خصائصا.

وكلما علت منزلة المخصِّص، كلما علت منزلة المخصَّص، فالملك إذا خصص أحدا من البشر بأمر، ليس كتخصيص شخص من عامة الناس، فكيف إذا كان المخصِّص هو رب العالمين وأحكم الحاكمين، فكفى بذلك شرفا وكفى بذلك رفعة ومكانة وفضلا للمخصَّص.

هذا، والشهادة قد جمعت الأمرين، فعظمت منزلة المخصِّص بل هو العظيم على الإطلاق، وكثرت خصائصها وعظمت أيضا.

فالشهيد قد خص بأمور، سواء في الفضائل، أو في الأحكام، لم تثبت لغيره من الخلق.

وقد ورد ما يدل على ذلك في صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا: (**إن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر، تسرح في الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش، فاطلع عليهم ربك اطلاعة، فقال: ماذا تبغون ؟ فقالوا: يا ربنا، وأي شيء نبغي، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك** ؟...) فهذا يفيدنا أن الشهداء قد أعطوا أمورا وخصوا بها لم يعطها أحد غيرهم لقولهم في الحديث " وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك ".

ولو لم يكن للشهداء خصائص لما تميزوا عن غيرهم من الأنبياء والصديقين وعامة المؤمنين والصالحين.

والشهادة درجة من الدرجات، وليست مجرد ثواب فقط، كحفظ القرآن مثلا، بل هي منزلة لها فضائل كثيرة وخصائص وفيرة، ولها شرائط وموانع، من بلغها أعطي هذه الخصائص والفضائل كالنبوة، ولهذا العلماء فرقوا بين درجة الشهادة وأجر الشهادة.

قال الحافظ في الفتح: " فإن درجة الشهادة شئ، وأجر الشهادة شئ ".

وقال أيضا: " وذلك أن من اتصف بكونه شهيدا، أعلى درجة ممن وعد بأنه يعطى مثل أجر الشهيد " انتهى كلامه.

وهناك أمور شارك فيها الشهيد غيره من عامة المؤمنين، فثبتت للشهيد وثبتت لغيره، كحلة الإيمان التي يحلاها الشهيد، فقد ورد من حديث معاذ بن أنس عند الترمذي أن رسول الله ﷺ قال: **(من ترك اللباس تواضعا لله وهو يقدر عليه، دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي حلل الإيمان شاء يلبسها)** قال الترمذي هذا حديث حسن، ورواه الحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

ويمكن معرفة خصائص الشهيد بأمرين:

١. أن ينص الشارع في أمر أنه خاص بالشهيد ولا يثبت لغيره، وذلك مثل تمني الرجوع إلى الدنيا من أجل القتل، فقد ورد أن ذلك لا يتمناه إلا الشهيد، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **(ما من نفس تموت لها عند الله خير، يسرها أنها ترجع إلى الدنيا، ولا أن لها الدنيا وما فيها إلا الشهيد، فإنه يتمنى أن يرجع فيقتل في الدنيا، لما يرى من فضل الشهادة)** رواه مسلم.

٢.أن لا ينص الشارع في أمر أنه خاص بالشهيد، ولكن لم يرد هذا الأمر إلا في الشهيد خاصة.

وخصائص الشهادة تنقسم إلى أقسام:

١.خصائص لم يشارك الشهيد فيها أحد ولا حتى الأنبياء.

ولا يلزم من هذا تفضيل الشهيد على الأنبياء، إذ ثبوت الخصيصة للشخص لا يلزم منه أن يكون أفضل من غيره مطلقا، وثبوت الفضل لا يعني الأفضلية.

فبعض الأنبياء ثبتت له خصائص لم تثبت للنبي ﷺ، ولا يلزم من هذا أن يكون هذا النبي الذي ثبتت له الخصيصة أفضل من النبي ﷺ.

قال الحافظ في الفتح: " المفضول قد يمتاز بشيء يخص به، ولا يلزم منه الفضيلة المطلقة".

وقال أيضا: " لا يلزم من ثبوت خصوصية شيء من الفضائل، ثبوت الفضل المطلق " انتهى كلامه.

وكذا لا يلزم في كل فضل وخصيصة ثبتت للشهيد أن تثبت لمن هو فوقه في الفضل والأنبياء والصديقين، إذ لا قياس في الفضائل، بل هي محض فضل الله.

قال الحافظ في الفتح على حديث (**ما يعدل الجهاد**) قال: " وفيه أن الفضائل لا تدرك بالقياس، وإنما هي إحسان من الله تعالى لمن شاء " انتهى كلامه.

٢. خصائص شارك فيها الشهيد الأنبياء فقط، فلم ترد هذه الخصيصة إلا في الأنبياء والشهداء فقط، وهذا فيه تشريف للشهيد وتفضيل، أن يشارك الأنبياء الذين هم أعلى الخلق منزلة في خصائصهم.

٣. خصائص ثبت أصلها لغير الشهيد، واختص الشهيد ببعض التفاصيل، فلم تثبت لغيره، كالزواج من اثنتين وسبعين من الحور العين، فإن الزواج من الحور ثابت لجميع من يدخل الجنة، ولم يرد هذا العدد إلا في الشهيد.

٤. خصائص وفضائل لا توجد مجتمعة إلا عند الشهيد، ولا توجد مجتمعة عند غيره، وإن كانت توجد في غيره أفرادا لا مجتمعة، مثل حديث (**للشهيد عند الله سبع خصال: يغفر له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويحلى حلة الإيمان، ويزوج اثنين وسبعين زوجة من الحور العين، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويشفع في سبعين إنساناً من أهل بيته**) رواه أحمد في مسنده عن المقدام بن معد يكرب، وحسنه ابن القطان في بيان الوهم والإيهام، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

فالمراد أنها لا تكون مجتمعة إلا في الشهيد، قال المباركفوري في تحفة الأحوذي: " قوله (**للشهيد عند الله ست خصال**) لا يوجد مجموعها لأحد غيره " انتهى كلامه.

هذا، وسأحاول قدر الإمكان في جمع خصائص الشهيد، وقد أغفل عن أمور فلا أثبتها في الخصائص، وعن أمور أيضا وأدخلها في الخصائص وليست منها، وما ذاك إلا لصعوبة البحث في المسألة، وهذا أوان سرد هذه الخصائص:

الخصيصة الأولى: الشهيد لا يغسل عند موته:

وهذه الخصيصة لا يشارك الشهيد فيها أحد، فجميع الموتى يغسلون عند موتهم.

الخصيصة الثانية: الشهيد يدفن في ثيابه:

وهذه الخصيصة لا يشارك الشهيد فيها أحد.

الخصيصة الثالثة: الشهيد يدفن في الموضع الذي قتل فيه:

وهذه الخصيصة شارك فيها الشهيد الأنبياء، إذ الأنبياء يدفنون في الموضع الذي ماتوا فيه.

الخصيصة الرابعة: الشهيد لا تجب الصلاة عليه:

وهذه الخصيصة لا يشارك الشهيد فيها أحد، فيجب الصلاة على أي شخص مات من المسلمين.

الخصيصة الخامسة: الشهيد حي في البرزخ:

وهذه الخصيصة شارك الشهيد فيها الأنبياء، فالأنبياء أحياء في البرزخ أيضا كما ورد ذلك فيهم.

الخصيصة السادسة: الشهيد لا يشعر بسكرات الموت:

وهذه الخصيصة لا يشارك الشهيد فيها أحد، وبعض الناس قد يخفف عنه الموت، ولكن لم يثبت أن أحدا يكون مثل الشهيد في ذلك التخفيف.

الخصيصة السابعة: الشهيد يتمنى الرجوع إلى الدنيا من أجل القتل:

وهذه الخصيصة لا يشارك الشهيد فيها أحد كما جاء في الحديث.

الخصيصة الثامنة: الشهيد يرزق من الجنة في البرزخ:

وهذه الخصيصة لا يشارك الشهيد فيها أحد، وقد نقل الإجماع على ذلك ابن العربي في سراج المريدين والله أعلم.

الخصيصة التاسعة: الشهيد يدخل الجنة حالا من حين يقتل:

وهذه الخصيصة يشارك فيها الشهيد الأنبياء، فالأنبياء يدخلون الجنة حالا من حين وفاتهم، وقد خير النبي ﷺ عند وفاته، فاختار الرفيق الأعلى من الجنة كما سبق، وقد قرر ذلك العلماء.

الخصيصة العاشرة: الشهيد يطير في الجنة:

وهذه الخصيصة لا يشارك فيها الشهيد أحد.

الخصيصة الحادية عشر: رؤية الشهيد لمقعده من الجنة قبل الموت:

وهذه الخصيصة يشارك فيها الشهيد الأنبياء، فالأنبياء يرون مقعدهم قبل موتهم، كما ورد أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ يقول وهو صحيح : (**إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده في الجنة ثم يخير**) قالت عائشة: فلما نزل برسول الله ﷺ ورأسه على فخذي، غشي عليه ساعة، ثم أفاق فأشخص بصره إلى السقف، ثم قال: (**اللهم الرفيق الأعلى**) قالت عائشة: قلت إذا لا يختارنا، قالت عائشة: وعرفت الحديث الذي كان يحدثنا به وهو صحيح، في قوله: (**إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير**) قالت عائشة : فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها رسول الله ﷺ قوله: (**اللهم الرفيق الأعلى**) رواه مسلم وفي رواية أحمد (**الرفيق الأعلى من الجنة**).

الخصيصة الثانية عشر: غسيل الملائكة للشهيد:

وهذه الخصيصة لا يشارك فيها الشهيد أحد.

الخصيصة الثالثة عشر: كلام الله للشهيد في البرزخ:

وهذه الخصيصة لم تثبت إلا للشهيد.

الخصيصة الرابعة عشر: رؤية الشهيد لله تعالى في البرزخ:

وهذه الخصيصة لم تثبت إلا للشهيد.

الخصيصة الخامسة عشر: يبعث الشهيد يوم القيامة وجرحه يثعب دما بريح المسك:

وهذه الخصيصة لم تثبت إلا للشهيد.

الخصيصة السادسة عشر: إيواء الشهيد إلى قناديل معلقة في العرش:

وهذه الخصيصة لم تثبت إلا للشهيد.

الخصيصة السابعة عشر: دار الشهداء المعدة لهم في الجنة:

وهذه الخصيصة شارك فيها الشهيد الأنبياء والصديقين كما سبق بيانه في فضل الفردوس الأعلى وكفى بهذا شرفا للشهيد لمشاركته لهم.

الخصيصة الثامنة عشر: حضور الحور لخروج روح الشهيد:

وهذه الخصيصة لم تثبت إلا للشهيد.

الخصيصة التاسعة عشر: عدم أكل الأرض لأجساد الشهداء:

وهذه الخصيصة شارك فيها الشهيد الأنبياء كما سبق بيانه.

الخصيصة العشرون: انغماس الشهداء في نهر البيدخ:

وهذه الخصيصة لم تثبت إلا للشهيد.

الخصيصة الحادية والعشرون: الشهيد يكسى مائة حلة:

وهذه الخصيصة لم تثبت إلا للشهيد.

الخصيصة الثانية والعشرون: الدعاء بالموت لا يجوز إلا للشهيد:

وهذه الخصيصة لم تثبت إلا للشهيد، وقد أجاز بعض العلماء ذلك أيضا عند خوف الفتنة في الدين.

الخصيصة الثالثة والعشرون: لا يشترط للشهادة سبق عمل بل مجرد اصطفاء:

وهذه الخصيصة شارك فيها الشهيد الأنبياء.

الخصيصة الرابعة والعشرون: الشهيد يزوج اثنتين وسبعين حورية:

وهذه الخصيصة لم تثبت إلا للشهيد.

الخصيصة الخامسة والعشرون: الشهيد يشفع في سبعين من أقاربه:

وهذه الخصيصة لم تثبت إلا للشهيد.

الخصيصة السادسة والعشرون: تظليل الملائكة على الشهيد:

وهذه الخصيصة لم تثبت إلا للشهيد.

الخصيصة السابعة والعشرون: عدم الفزع والصعق عند النفخ في الصور:

وهذه الخصيصة لم تثبت إلا للشهيد.

هذا وللشهيد خصائص أخرى لم نطلع عليها إذ ليس كل ما أعد للشهيد ذكره الشارع، بل إنما ذكر غيضا من فيض، كما قال تعالى عن الصالحين المؤمنين: ﴿ **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ **السجدة**.

* * * *

۞ الباب السادس: تفاضل الشهداء وأسبابه

تمهيد:

قد قدمنا أن الخلق يتفاوتون في درجاتهم وليسوا على درجة واحدة، فالصالحون ليسوا على درجة واحدة في صلاحهم، وكذا الصديقين ليسوا على درجة واحدة، فهناك أفضل الصديقين أبو بكر رضي الله عنه، ودونه بقية الصديقين على مراتب بينهم في ذلك، وكذا الأنبياء والرسل ليسوا على درجة واحدة، فهناك أفضل الرسل أولو العزم، وأفضلهم النبي ﷺ، وكذا الشهداء يتفاضلون في شهادتهم

ومنازلهم وليسوا على درجة واحدة، فقد يقتل الرجلان وبطريقة واحدة، فكلاهما يقطع رأسه بالسيف، ولكن بينهما كما بين السماء والأرض في الدرجات والفضل، ويدل على تفاضل الشهداء ما يلي:

١. الأحاديث التي فيها التصريح بذكر التفاضل مثل: (**أفضل الشهداء الذين يقاتلون في الصف الأول**...) رواه أحمد والطبراني عن نعيم بن هبار رضي الله عنه مرفوعا، وصححه الألباني كما سبق.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في حديث الخوارج وقد سبق (... **فمن قتلهم فله أفضل الأجر، ومن قتلوه فله أفضل الشهادة، هم شر البرية برىء الله منهم، يقتلهم أولى الطائفتين بالحق**) رواه الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي.

وروى البيهقي في السنن عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما إن النبي ﷺ ناداه رجل فقال: يا رسول الله أي الشهداء أفضل ؟ قال: (**أن يعقر جوادك ويهراق دمك**).

وغير ذلك كثير كما سيأتي إن شاء الله، وهذا أصرح الأدلة على المراد.

قال الغزالي كما في الفيض: " الجامع بين فنون الفضل وأنواعه يسمى أفضل، إذ الفضل الزيادة، والأفضل هو الأزيد " انتهى كلامه.

٢. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: (**من آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة، وصام رمضان، كان حقا على الله أن يدخله الجنة، هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها**) قالوا: يا رسول الله أفلا ننبئ الناس بذلك ؟ قال: (**إن في الجنة مائة درجة أعدها للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة**) رواه البخاري.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولا وجبت له الجنة**) فعجب لها أبو سعيد فقال: أعدها علي يا رسول الله فأعادها عليه، ثم قال: (**وأخرى يرفع الله بها للعبد مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض**) قال: وما هي يا رسول الله ؟ قال: (**الجهاد في سبيل الله**) رواه مسلم.

وهذان الحديثان يعمان المجاهدين من الشهداء وغيرهم، وهذا يدل على أن المجاهدين يتفاضلون وليسوا على درجة واحدة.

٣. قال ﷺ: **(من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه)** رواه مسلم عن سهل بن حنيف رضي الله.

فلم يقل منزلة بل قال: **(منازل)** بصيغة الجمع، وهذا يدل على أنهم على منازل، وليسوا على منزلة واحدة، والمنازل هي الدرجات كما ذكر المناوي في الفيض.

هذا وقد قرر كثير من العلماء وقوع التفاضل بين الشهداء، فمن ذلك:

قال الحافظ في الفتح بعد أن ذكر أنواع الشهداء: " والذي يظهر لي أن المذكورين ليسوا في المرتبة سواء، ويدل عليه ما روى أحمد وابن حبان في صحيحه من حديث جابر، والدارمي وأحمد والطحاوي من حديث عبد الله بن حبشي، وابن ماجه من حديث عمرو بن عبسة أن النبي ﷺ سئل أي الجهاد أفضل ؟ قال: **(من عقر جواده وأهريق دمه)** وروى الحسن بن علي الحلواني في كتاب المعرفة له بإسناد حسن من حديث ابن أبي طالب قال: **" كل موتة يموت بها المسلم فهو شهيد "** غير أن الشهادة تتفاضل ".

وقال أيضا فيها: " درجات الشهادة متفاوتة " انتهى كلامه.

قال ابن النحاس: " والظاهر أن أرواحهم – أي الشهداء – عند الله على رتب في المكان كما أنهم على رتب في المكانة، فمنهم من روحه في جوف أخضر يرعى في الجنة ويأوي إلى قناديل في ظل العرش كما يأتي ذلك في الأحاديث الصحيحة إن شاء الله، ومنهم من هو على بارق نهر بباب الجنة ويخرج إليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا كما تقدم حديث ابن عباس، ومنهم من يطير مع الملائكة في السماء وفي الجنة حيث يشاء كما يأتي إن شاء في جعفر بن أبي طالب، ومنهم من هم على أسرة في الجنة كما يأتي في حديث ابن رواحة وصاحبيه، وإنما تفاوتت منازل أرواحهم لتفاوت رتب إخلاصهم وسماحة أنفسهم بأنفسهم، وما كانوا عليه قبل حصول الشهادة من رتب الإسلام والإيمان والإحسان ".

وقال أيضا: " اللهم رب وأسألك أعلى رتب الشهادة " انتهى كلامه.

وقال القرطبي في التذكرة: " قال علماؤنا: أحوال الشهداء طبقات مختلفة، ومنازل متباينة، يجمعها أنهم يرزقون " انتهى كلامه.

وقال حافظ الحكمي: " أن شهداء المعركة الذين يقتلون في معركة الكفار ليسوا سواء، بل يتفاوتون بتفاوت نياتهم وما في قلوبهم وذلك معلوم من الدين بالضرورة " انتهى كلامه من المعارج.

وهذا التفاضل الحاصل بين الشهداء يعم شهداء الدنيا والآخرة وهم شهداء المعركة، وشهداء الآخرة أيضا.

فشهداء المعركة يتفاضلون بينهم، وكذا شهداء الآخرة يتفاضلون بينهم، فليس قتيل الخوارج كالمبطون، وكذا شهداء المعركة يتفاضلون مع شهداء الآخرة، وإن كان الأصل أن مطلق شهادة المعركة أفضل من شهادة الآخرة، إذ كيف يجعل من خرج في طاعة الله وجاهد أعداء الله وتحمل المشاق والمتاعب في سبيل رضا الله وضحى بنفسه لذلك كمن مات على فراشه بلا شيء من ذلك.

وقد ورد عن هزان بن مالك قال: قال لي كعب: (ألا أنبئك يا هزان بن مالك بأفضل الشهداء عند الله عز وجل يوم القيامة ؟ قال: بلى، قال: المحتسب نفسه، ثم قال: ألا أنبئك يا هزان بن مالك بالذين يلونهم ؟ قلت: بلى، قال: من غرق في بحره، ثم قال: ألا أنبئك يا هزان بن مالك بأقل أهل الجنة أجرا ؟ قلت: بلى، قال: من لم يدرك إلا الركعة الأخيرة، ثم قال: والله ما ينظر الناس إلى الشهداء يوم القيامة إلا هكذا، ثم رفع بصره إلى السماء) رواه ابن المبارك.

وقد قرر العلماء هذا المعنى، فقال المناوي على حديث **(من قتل دون ماله فهو شهيد)** أي في حكم الآخرة لا الدنيا أي له ثواب كثواب شهيد مع ما بين الثوابين من التفاوت " انتهى كلامه.

بل ونقل المناوي الإتفاق عليه فقال: " وبما تقرر علم أنه ليس المراد بشهيد البحر الغريق لأن شهيد المعركة أفضل إتفاقا " انتهى كلامه، أي أن شهيد المعركة أفضل من الغريق – وهو من شهداء الآخرة – بالإتفاق.

وقال في لسان العرب: " قال أبو منصور: والشهادة تكون للأفضل فالأفضل من هذه الأمة، فأفضلهم من قتل في سبيل الله، ميزوا عن الخلق بالفضل، وبين الله بأنهم أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضلهم، ثم يتلوهم في الفضل من عده النبي ﷺ شهيدا، فإنه قال: **(المبطون شهيد والمطعون شهيد)** وقال: ومنهم أن تموت المرأة بجمع " انتهى كلامه.

لكن قد يكون في شهداء الآخرة من هو أفضل من مطلق شهيد المعركة، لأسباب اقترنت به ففضل بها عليه، كقتيل الخوارج مثلا، أو قتيل السلطان الجائر كما سيأتي إن شاء الله تعالى، وقد يكون في شهداء الآخرة من يقرب من شهيد المعركة في المنزلة كشهادة الطاعون كما سبق بيانه.

وللتفاضل بين الشهداء أسباب تقترن بالشهيد فتفضل شهادته على غيره ويكون أعلى درجة من غيره، **وهي نوعان:**

١ . أسباب لها تعلق بالجهاد، وهي:

المخاطرة وشدة الخوف – إفناء الجسد – قتال الصف – إعزاز الإسلام وأهله وإذلال الشرك وأهله — الإقدام – الخروج بالمال والنفس في سبيل الله – النكاية في الأعداء.

٢ . أسباب ليس لها تعلق بالجهاد وهي:

شرف الزمان والمكان – السبق والأولية – كمال الإيمان وترك المعاصي – حفظ القرآن – الاستكثار من الأعمال الصالحة والطاعات – الجمع بين شهادتين – تفاضل النيات وما في القلوب – شدة الحاجة وقلة الأعوان – قتيل الخوارج.

وهذا بيان هذه الأسباب:

أولا: شرف الزمان والمكان:

خص الله بعض الأزمنة بالشرف والفضيلة ما لم يخص به باقي الأزمان والأماكن، فخص من بين الشهور شهر رمضان، وخص ليلة القدر من بين الليالي، وخص عشر ذي الحجة من بين الأيام، وخص مكة والمدينة من بين الأماكن وغير ذلك.

وأخبر الشارع الحكيم أن العمل فيها يتضاعف أجره ويزداد فضله، زيادة على العشر حسنات الثابتة في جميع الأوقات، فإن الحسنة قد تتضاعف إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة.

وعلى ذلك فإن أجر الشهادة قد تتضاعف أضعافا كثيرة، ويفضل بها الشهيد على غيره من الشهداء بسبب وقوع الشهادة في زمن شريف أو مكان شريف.

قال ابن الجوزي كما في نيل الأوطار على حديث (**عمرة في رمضان كحجة معي**) فيه أن ثواب العمل يزيد بزيادة شرف الوقت كما يزيد بحضور القلب وخلوص المقصد " انتهى كلامه.

وقال الطيبي كما في الفيض: " فكم من مفضول يفضل على الأفضل بالخاصية ووقوعه في زمن أو مكان مخصوص" انتهى كلامه.

فمثلا ليلة القدر العمل فيها يتضاعف إلى عمل ألف شهر، كما قال تعالى: ﴿ **لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ**﴾ **القدر**، والشهر ثلاثون يوما فتكون المضاعفة ثلاثين ألف حسنة، وعليه فأجر الشهادة في هذه الليلة يتضاعف إلى العدد المذكور، وهذا أجر عظيم لمن حصلت له الشهادة في هذه الليلة، ومثله بقية الأزمان والأماكن الشريفة.

وقد دعا عمر بالشهادة في سبيل الله، وبأن يكون ذلك في المدينة، لما في ذلك من الفضائل، فعن حفصة بنت عمر رضي الله عنها أنها سمعت عمر رضي الله عنه يقول: (اللهم ارزقني شهادة في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك ﷺ) رواه البخاري.

قال النووي في المجموع: " يستحب طلب الموت في بلد شريف لحديث حفصة " انتهى كلامه.

وقال ابن كثير في البداية والنهاية: " فاستجاب له الله هذا الدعاء، وجمع له بين هذين الأمرين الشهادة في المدينة النبوية وهذا عزيز جدا، ولكن الله لطيف بما يشاء تبارك وتعالى " انتهى كلامه.

قال في الإنصاف: " قال في الغنية: " إن الله اختار من الأيام أربعة الفطر والأضحى وعرفة وعاشوراء، واختار منها يوم عرفة، وقال أيضا: " إن الله اختار للحسين الشهادة في أشرف الأيام وأعظمها وأجلها وأرفعها عند الله منزلة " انتهى كلامه، وقد كان الحسين رضي الله عنه استشهد في يوم عاشوراء من محرم.

وبغض النظر عن هل يمكن أن تتضاعف الشهادة في عاشوراء ؟ فإن هذا الكلام يدل على فضل الشهادة في الأزمنة الفاضلة.

قال غزوان الجنوبي كما في كتاب شهداء في زمن الغربة عن الشهيد بلال المغربي: " كان يطلب الشهادة بصدق ويلح على الله بأن تكون في رمضان القرآن، وكانت في رمضان كما تمنى ورغب " انتهى.

ثانيا: المخاطرة وشدة الخوف:

المخاطرة هي الإشراف على الهلكة والاقتراب منها حتى تقل نسبة النجاة ويشتد الخوف.

وفي الجهاد تتنوع الأعمال، فمنها ما هو عظيم الخطر شديد الخوف، ومنها ما هو قليل الخطر غير مخوف.

وكلما ازداد الخطر واشتد الخوف في العمل سواء في الجهاد أو في غيره وقل الأمل بالحياة في العمل، كلما كان أعظم للأجر وأفضل للشهادة وأرفع لها، لصعوبته ومشقته وشدة الخوف وقلة المقدمين عليه.

ويدل على ذلك ما جاء عن جابر رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر، فأمره ونهاه فقتله**) رواه الحاكم، وقال: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، وله طرق.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (**سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله**) قال الهيثمي رواه الطبراني في الأوسط وفيه ضعف.

وهذا داخل فيمن قتل دون دينه، ويشهد لهذا المعنى ما جاء عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر**) **أو** (**أمير جائر**) رواه أبو داود، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

وروى ابن ماجه عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: عرض لرسول الله ﷺ رجل عند الجمرة الأولى، فقال: يا رسول الله أي الجهاد أفضل ؟ فسكت عنه، فلما رمى الجمرة الثانية سأله، فسكت عنه، فلما رمى جمرة العقبة وضع رجله في الغرز ليركب، قال: (**أين السائل ؟**) قال: أنا يا رسول الله، قال: (**كلمة حق عند ذي سلطان جائر**) وصححه الألباني في صحيح الجامع، وله طرق.

فكان هذا سيد الشهداء وعمله أفضل الجهاد لأنه خاطر بنفسه في موضع هلكة يغلب على الظن عدم النجاة فيه وكان ذلك في طاعة الله تعالى، فإن الرجل في المعركة وهو يقاتل يتردد بين الحياة والموت، وقد يغلب على ظنه الحياة، بخلاف هذا فإنه يغلب على ظنه الهلاك والموت.

قال المناوي في الفيض: " والرجل المذكور سيد الشهداء في الآخرة لمخاطرته بأنفس ما عنده وهي نفسه في ذات الله تعالى " انتهى كلامه.

وقال أيضا: " لأن مجاهد العدو متردد بين رجاء وخوف، وصاحب السلطان إذا أمره بمعروف تعرض للتلف، فهو أفضل من جهة غلبة خوفه ".

وقال أيضا: " (**إن أفضل الجهاد**) أي أفضل أنواعه (**كلمة حق**) يتكلم بها كأمر بمعروف أو نهي عن منكر (عند سلطان جائر) أي ظالم، فإن ذلك أفضل من جهاد العدو لأنه أعظم خطرا " انتهى كلامه.

وانظر إلى غزو البحر فقد فضله النبي ﷺ على غزو البر، فعن أم حرام رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: (**المائد في البحر الذى يصيبه القئ له أجر شهيد، والغرق له أجر شهيدين**) رواه أبو داود، وجود طريقه الحافظ في الفتح، وصححه الألباني في صحيح الجامع، وقال ابن النحاس: رجاله ثقات.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (**غزوة في البحر أفضل من عشر غزوات في البر، ومن جاز البحر فكأنما جاز الأودية، والمائد في السفينة كالمتشحط في دمه**) رواه والحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لو كنت رجلا لم أجاهد إلا في البحر، وذلك أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**من أصابه ميد في البحر كان كالمتشحط بدمه في البر**) رواه سعيد بن منصور، وفيه راو مجهول، ويشهد له ما قبله.

وورد عند سعيد بن منصور في سننه – بسند رجاله رجال الصحيح كما قال ابن النحاس – عن سعيد بن هلال أن كعب الأحبار كان يقول: (لصاحب البحر على صاحب البر من الفضيلة أنه حين يضع قدمه فيه إذا كان محتسبا، تفتح له أبواب الجنة، فإن قتل أو غرق كان له كأجر شهيدين، أنه يكتب له من حين يركب حتى يصير كأجر رجل ضربت عنقه في سبيل الله، فهو يتشحط في دمه، ويوم في البحر خير من شهر في البر، وشهر في البحر خير من سنة في البر).

وروى أيضا عنه – بإسناد جيد كما قال ابن النحاس – قال: (إذا وضع الرجل رجله في السفينة خلف خطاياه خلف ظهره كيوم ولدته أمه، والمائد فيه كالمتشحط في دمه في سبيل الله، والصابر فيه كالملك على رأسه التاج).

وروى ابن أبي شيبة عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه – بإسناد جيد كما قال ابن النحاس – قال: (إن الله يضحك إلى أصحاب البحر مرارا، حين يستوي في مركبه ويخلي أهله وماله، وحين يأخذه الميد في مركبه، وحين يوجه البر فيشرف إليه).

وروى أيضا عنه قال: (لأن أغزو في البحر غزوة، أحب إلي من أن أنفق قنطارا في سبيل الله عز وجل).

قال ابن النحاس في المشارع: " إذا كان المائد في البحر كالشهيد في البر، فكيف يكون الشهيد فيه " انتهى كلامه.

ونقل ابن النحاس في المشارع عن ابن عساكر بإسناده عن خيثمة قال: كان عندنا بطرابلس رجل يعرف بعاصم ويكنى أبا علي، فتوفي، فرأيته في النوم فقلت: أيش حالك ؟ يا أبا علي ؟ فقال: إنا لا نكنى بعد الموت، ولم يجبني بشيء غير هذا، فقلت: أيش حالك يا عاصم ؟ وإلى ما صرت ؟ قال: صرت إلى رحمة واسعة، وجنة عالية، قلت: بماذا ؟ قال: بكثرة جهادي في البحر.

وذلك لخطورة القتال في البحر، فإنه أخطر من البر، فإن الذي يقاتل في البحر محاط بالخطر والخوف من جميع الجهات، فإنه زيادة على خوفه من العدو فإن البحر محيط به، فهو في كل وقت معرض للموت والهلاك، ولا مهرب له ولا مفزع له في البحر، ولهذا كان عمر بن الخطاب يأبى أن يغزي المسلمين البحر لخطورته، ولم يشرع المسلمون في غزو البحر إلا في خلافة عثمان.

وقال صاحب المغني كما في المشارع: " غزو البحر أفضل من غزو البر، لأن البحر أعظم خطرا ومشقة، فإنه بين خطر العدو وخطر الغرق، ولا يتمكن من الفرار إلا مع أصحابه، فكان أفضل من غيره " انتهى كلامه.

قال ابن النحاس معلقا عليه: " وينبغي أن لا يكون في هذا خلاف لما تقدم من فضله من الأحاديث الحسان وغيرها " انتهى كلامه.

قال المناوي في الفيض: " لأن راكب البحر متعرض للهلاك من وجهين: قتال الكفار، والغرق، فهو على النفس أشق، ولم يكن العرب تألفه، بل ولا تعرفه ".

وقال أيضا: " فإنه أفضل من شهيد البر، لكونه ارتكب غررين في دين الله عز وجل، ركوبه البحر المخوف، وقتاله أعدائه ".

وقال أيضا: " والظاهر أن المراد في الحديث ما يشمل الأنهار العظام كالنيل " انتهى كلامه، أي فالأنهار العظام داخلة في الفضل.

ويلحق بالبحر من حيث الخطورة بل قد يكون أعظم، القتال جوا بالطائرات الحديثة.

وقال المناوي في الفيض: " قال ابن حبيب: الرباط شعبة من الجهاد، وبقدر خوف ذلك الثغر يكون كثرة الأجر " انتهى كلامه.

وقال ابن النحاس في المشارع: " وكلما كان الخوف أشد في مكان، كلما كان الرباط فيه أفضل، والثواب أجزل " انتهى كلامه.

وقد جاءت القاعدة الشرعية بأن الفعل كلما كان أشق وأصعب على النفس كلما كان أعظم أجرا، وأن الأجر على قدر المشقة، وكما ورد أن أفضل الصدقة: (**أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى**) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا، وذلك لأنه أصعب على النفس.

قال الحافظ على هذا الحديث: " لأنه في حال الصحة يصعب عليه إخراج المال غالبا، لما يخوفه به الشيطان ويزين له من إمكان طول العمر والحاجة إلى المال " انتهى كلامه.

وقال ابن دقيق العيد كما في الفتح: " لأن الأجور تتفاوت بحسب زيادة المشقة، فيما كان أجره بحسب مشقته، إذ للمشقة دخول في الأجر " انتهى كلامه.

ولا شك أنه كلما كان الخوف والخطر أعظم، كلما كان ذلك أشق على النفس.

ولما كان يوم الخندق، احتاج النبي ﷺ إلى معرفة خبر المشركين وما هم عليه، واحتاج أن يبعث شخصا يستخبر له ذلك، وكان الأمر مخوفا جدا وخطيرا، فقال النبي ﷺ: **(من يأتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة)** رواه مسلم عن حذيفة رضي الله عنه.

فهذا يدل على أنه كلما كان الخطر شديدا كان الأجر أعظم، فإنه قال: **(جعله الله معي يوم القيامة)** وهذا أعظم الفضل أن يكون الشخص مع النبي ﷺ يوم القيامة، ولم يجعل هذا الفضل لجميعهم مع أنهم كانوا في جهاد مع العدو، ولكن خصصه للأمر الذي فيه خطرا أعظم.

ولما كان يوم أحد، ووقعت الهزيمة على المسلمين، اجتمع على النبي ﷺ عدة نفر من الصحابة، وأحاط بهم خطر المشركين من كل جانب، وقصدهم المشركون، وحوصروا من قبلهم، وكان الأمر خطيرا وفيه مجازفة، ولكن فيه حماية للنبي ﷺ، فقال ﷺ: (من يردهم عنا وله الجنة، أوهو رفيقي في الجنة) رواه مسلم عن أنس رضي الله عنه.

فانظر كيف لما كان الأمر خطيرا جعل له هذا الفضل العظيم، بأن يكون رفيق النبي ﷺ في الجنة.

وقد ورد في الرجل الذي يخرج إلى الدجال ويصدع عنده بالحق ويكذبه ثم يقتله الدجال، أنه أعظم الناس شهادة عند الله تعالى.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(يخرج الدجال، فيتوجه قبله رجل من المؤمنين، فتلقاه المسالح مسالح الدجال، فيقولون له: أين تعمد ؟ فيقول: أعمد إلى هذا الذى خرج، قال فيقولون له: أوما تؤمن بربنا ؟ فيقول: ما بربنا خفاء، فيقولون بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحدا دونه ؟ قال: فينطلقون به إلى الدجال، فإذا رآه المؤمن قال: يا أيها الناس هذا الدجال الذي ذكر رسول الله ﷺ، قال: فيأمر الدجال به فيشبح، فيقول: خذوه وشجوه، فيوسع ظهره وبطنه ضربا، قال فيقول: أوما تؤمن بي ؟ قال فيقول: أنت المسيح الكذاب، قال: فيؤمر به فيؤشر بالمئشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه، قال: ثم يمشي الدجال بين القطعتين، ثم يقول له: قم، فيستوي قائما، قال ثم يقول له: أتؤمن بي ؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة، قال ثم يقول: يا أيها الناس إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس، قال: فيأخذه الدجال ليذبحه، فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاسا، فلا يستطيع إليه سبيلا، قال: فيأخذ بيديه**

ورجليه فيقذف به، فيحسب الناس إنما قذفه إلى النار وإنما ألقي في الجنة) فقال رسول الله ﷺ: (هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين) رواه مسلم.

وقد عظمت شهادة هذا الرجل لأمرين:

١. أنه خاطر بنفسه في أعظم موضع يخاطر به وأخوف شيء، فإن الدجال أجور مخلوق وأفتنه، والناس يفرون منه إلى الجبال، وهذا أقدم عليه وجابهه بما يكره وكذبه فيما يقول، وقد سبق أن سيد الشهداء من قام إلى إمام جائر، فأمره ونهاه فقتله، وهذا قد قام إلى أجور سلطان.

٢. قوة الإيمان، فإن هذا الأمر لا يقدم عليه شخص إلا وهو قوي الإيمان، وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكر أن كمال الإيمان وقوته سبب في تفضيل الشهادة.

لكن يجب أن تقيد المخاطرة بما إذا كان فيها مصلحة للمسلمين، وإلا كانت من إلقاء اليد في التهلكة.

❖ ولنذكر هنا – ونحن نتكلم عن التفاضل بين الشهداء والمخاطرة والمشقة وشدة الخوف – مقارنة بين الجهاد في العصر الحالي والعصر الماضي:

١. الماضي: طول الطريق والمشقة لكن يوجد أمن غالبا.

الحاضر: خطر الطريق وخوف الأسر ويوجد تعب ولكن ليس دائما.

٢. الماضي: يوجد دعم من الحكام والعلماء والمسلمين.

الحاضر: عداوة الحكام وبعض المسلمين والعلماء، وقلة الدعم وكثرة الفتن.

٣. الماضي: المعركة حاسمة، إما منتصر أو مهزوم، ووقتها قليل.

الحاضر: الحرب تطول لأعوام.

٤. الماضي: صعوبة التواصل مع الأهل، مع إمكانية العودة إليهم.

الحاضر: سهولة التواصل مع الأهل، مع صعوبة إمكانية العودة إليهم بعد الذهاب.

٥. الماضي: الغالب أن يكون العدو أضعاف المسلمين، مع تقارب الإمكانات.

الحاضر: الغالب أن يكون العدو أضعاف المسلمين، مع فارق كبير في الإمكانات والسلاح.

٦. الماضي: الحرب تعتمد على القتال، وشيء قليل من الحرب النفسية.

الحاضر: حرب قتالية وإعلامية ونفسية وعسكرية وعقدية وفكرية وشهوانية.

٧. الماضي: الحرب تعتمد على شجاعة المقاتلين والقوة الجسمانية مع التكتيك.

الحاضر: الحرب تعتمد على التكتيك مع الشجاعة.

٨. الماضي: رؤية الموت عند التقاء الصفين.

الحاضر: الموت يأتي فجأة كثيرا إما بصاروخ أو قذيفة أو رصاصة لا يدرى من الرامي وأين هو، وقد يرى الموت فيها ويبصر الشخص كيف يموت.

٩. الماضي: صعوبة الانسحاب في الغالب لقرب العدو.

الحاضر: إمكانية الانسحاب في الغالب.

١٠.الماضي: يوجد فرار من الزحف المنهي عنه.

الحاضر: لا يوجد لأنها حرب عصابات.

١١.الماضي: إمكانية الوصول إلى العدو وقتله في المعركة.

الحاضر: صعوبة الوصول إلى العدو وقتله لاحتياطاته الكثيرة.

١٢.الماضي: العدو غالبا ما يأتي من جهة واحدة.

الحاضر: إحاطة العدو من كل مكان وإحاطة سلاحه.

١٣.الماضي: كثرة الغنائم من العدو.

الحاضر: قلة الغنائم.

١٤. الماضي: قلة الماء والطعام.

الحاضر: توفر الغذاء غالبا.

١٥.الماضي: تفرق الأعداء غالبا وتفردهم في الحروب.

الحاضر: تكالب الأعداء على المجاهدين.

١٦.الماضي: الإمداد يصل لكنه بطيء.

الحاضر: الإمداد سريع الوصول لكنه صعب الوصول.

١٧. الماضي: يوجد إنغماس في العدو.

الحاضر: يوجد عملية استشهادية.

١٨.الماضي: القتال يكون عن قرب.

الحاضر: القتال يكون عن بعد.

١٩.الماضي: إمكانية أسر العدو مع وجود فداء ورق.

الحاضر: صعوبة أسر العدو نسبيا لوجود الأسلحة الحديثة مع عدم الفداء أوقلته وعدم الاسترقاق.

٢٠.الماضي: أسلحة عادية.

الحاضر: أسلحة قوية.

٢١.الماضي: كيد الكفار شديد.

الحاضر: كيد الكفار أشد.

هذه الفروق التي اتضحت لي، وقد تخالفني أخي القارئ على بعضها، وأترك لك الحكم في التفضيل بينهما.

ثالثا: السبق والأولية:

قد أمر الله بالتسابق إلى طاعته والجنة، فقال: ﴿ **سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ**﴾ **الحديد.**

وكان السابقون هم أقرب الناس إلى الله كما قال تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ الواقعة.

قال عثمان بن أبي سودة: بلغنا في هذه الآية (**السابقون**) قال: أولهم خروجا في سبيل الله، وأولهم خروجا إلى الصلاة " رواه عبد الرزاق بإسناد رجاله رجال الصحيح كما قال ابن النحاس.

وكان السابقون الأولون إلى الإسلام هم أفضل الناس وأفضل الصحابة، كبلال وابن مسعود وسعد بن أبي وقاص وغيرهم.

وقال الله تعالى عن سحرة فرعون: ﴿ **إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ **الشعراء**، فهم طمعوا في أن يغفر الله لهم ذنوبهم السالفة بكونهم سبقوا قومهم الأقباط إلى الإيمان وكانوا أول المؤمنين.

فهذا يدل على أن السباق إلى طاعة الله والأولية في الأمور سبب لتفاضل العباد عند الله تعالى وأن فضلها عظيم.

وأيضا من الأدلة على أن الأولية لها تأثير في الأعمال، ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**من قتل وزغة في أول ضربة فله كذا وكذا حسنة، ومن قتلها في الضربة الثانية فله كذا وكذا حسنة أدنى من الأولى، ومن قتلها في الضربة الثالثة فله كذا وكذا حسنة أدنى من الثانية**) رواه مسلم وأبو داود.

قيل: إن العلة في ذلك للمبادرة إلى الخير والاستباق إليه، وأيضا لأنه من إحسان القتل.

وأيضا ورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ رأى في أصحابه تأخرا، فقال لهم:(**تقدموا فائتموا بي، وليأتم بكم من بعدكم، لا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله**) رواه مسلم.

ومن أخص ذلك الجهاد والشهادة، فإن للأولية فيه مزية وفضل، كما جاء عن أم حرام رضي الله عنها: أنها سمعت النبي ﷺ يقول: **(أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا)** قالت أم حرام قلت: يا رسول الله أنا فيهم ؟ قال: **(أنت فيهم)** ثم قال النبي ﷺ: **(أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصرمغفور لهم)** فقلت: أنا فيهم يا رسول الله ؟ قال: **(لا)** رواه البخاري.

فرتب الفضل على الأولية، لما في ذلك من السبق إلى طاعة الله تعالى، وكلا الأمرين المذكورين في الحديث هما في الجهاد.

وإذا نظرنا إلى غزوة بدر نرى أنها فضلت على غيرها من الغزوات، لأنها أول غزوة غزا بها النبي ﷺ المشركين، ففضل مجاهدوها وشهداؤها على غيرهم من المجاهدين والشهداء.

والدليل على أن بدر أول غزوة غزا بها النبي ﷺ المشركين، ما ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال: يا رسول الله ﷺ غبت عن أول قتال قاتلت المشركين...) رواه مسلم.

قال الحافظ في الفتح:" وإنما امتاز أهل بدر بذلك، لكونها أول غزوة شهدها النبي ﷺ في قتال الكفار، وكانت مبدأ اشتهار الاسلام وقوة أهله، فكان لمن شهدها مثل أجر من شهد المغازي التي بعدها جميعا، فصارت لا يوازيها شئ في الفضل والله أعلم ".

وقال أيضا: " لأن من شهد بدرا وإن كان فاضلا بسبب أنها أول غزوة نصر فيها الإسلام " انتهى كلامه.

وقال أيضا: " أي لأن بدر أول غزوة خرج فيها النبي ﷺ بنفسه مقاتلا، وقد تقدمها غيرها، ولكن ما خرج فيها ﷺ بنفسه مقاتلا " انتهى كلامه.

وقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (وعدنا رسول الله ﷺ غزوة الهند، فإن أدركتها أنفق فيها نفسي ومالي، فإن أقتل كنت من أفضل الشهداء، وإن أرجع فأنا أبو هريرة المحرر) رواه النسائي، وضعفه الألباني، وقد جاء عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ **(عصابتان من أمتي أحرزهما الله من النار، عصابة تغزو الهند، وعصابة تكون مع عيسى بن مريم عليهما السلام)** رواه النسائي، وصححه الألباني في الصحيحة.

ولعل السبب في كونه من خير الشهداء وإحراز هذه العصابة المجاهدة من النار– والله أعلم – هو الأولية، وقد مضى ما يشبهه في غزو مدينة قيصر.

والأولية في الشهادة تدخل في أمور كثيرة، مثل أول من عمل عملية استشهادية، أول من غزا أرض كذا، أول من غزا بالطائرات وغير ذلك.

قال الذهبي في السير: " قال صفوان بن عمرو: كان خالد بن معدان إذا أمر الناس بالغزو كان فسطاطه أول فسطاط بدابق " انتهى كلامه.

رابعا: كمال الإيمان وترك المعاصي:

الإيمان بالله ورسوله ﷺ يزيد وينقص، وله أصل وكمال، وترك المعاصي من كمال الإيمان، إذ هي تنقصه وتذهب حلاوته.

وقد جعل الشارع الإيمان بالله ورسله سبب لنيل الدرجات العلى في الجنة فقال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ** ﴾ **الأنفال**.

وقال تعالى: ﴿ **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ **المجادلة**.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه:عن النبي ﷺ قال: (**إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم**) قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال (**بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين**) رواه البخاري.

وكذا جعل الجهاد سبب في نيل الدرجات، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولا وجبت له الجنة**) فعجب لها أبو سعيد فقال: أعدها علي يا رسول الله، فأعادها عليه، ثم قال: (**وأخرى يرفع الله بها للعبد مائة درجة، ما**

بين كل درجتين كما بين السماء والأرض) قال: وما هي يا رسول الله ؟ قال: **(الجهاد في سبيل الله)** رواه مسلم.

وكذا جعل الإيمان والجهاد أفضل الأعمال، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ أي الأعمال أفضل ؟ قال: **(إيمان بالله وجهاد في سبيله)** متفق عليه.

فمن جمع الأمرين فقد حاز الفضل والدرجات العلى جميعا.

وقد جعله أيضا سبب في تفضيل الشهادة، ووجود الذنوب والمعاصي – التي تنقص الإيمان – سبب في دنوها، وما في الشهادة دنو، فعن عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(القتلى ثلاثة: رجل مؤمن، جاهد بنفسه وماله في سبيل الله، حتى إذا لقي العدو قاتلهم حتى يقتل، فذلك الشهيد الممتحن في خيمة الله تحت عرشه، لا يفضله النبيون إلا بفضل درجة النبوة، ورجل فرق على نفسه من الذنوب والخطايا، جاهد بنفسه وماله في سبيل الله، حتى إذا لقي العدو قاتل حتى يقتل، فتلك ممصمصة محت ذنوبه وخطاياه، إن السيف محاء للخطايا، وأدخل من أي أبواب الجنة شاء، فإن لها ثمانية أبواب، ولجهنم سبعة أبواب، وبعضها أفضل من بعض، ورجل منافق، جاهد بنفسه وماله، حتى إذا لقي العدو قاتل في سبيل الله عز وجل حتى يقتل، فذلك في النار، إن السيف لا يمحو النفاق)** رواه أحمد والطبراني بإسناد جيد كما قال المنذري وابن النحاس، وقال الهيثمي " ورجال أحمد رجال الصحيح خلا المثنى الاملوكي وهو ثقة ".

فانظر يا أخي إلى القتيل الأول قال عنه **(مؤمن)** أي كامل الإيمان، فإن الإيمان إذا أطلق في النصوص الشرعية يراد به الإيمان المطلق والكامل – كما ذكر ذلك شيخ الإسلام – وجعل درجته في أعلى المنازل، وأن القتيل الآخر أسرف على نفسه بالخطايا فتأخرت به خطاياه عن القتيل الأول مع حصول درجة الشهادة له.

قال شيخ الإسلام في مختصر الفتاوى المصرية: " وأفضل الخلق النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء ثم الصالحون وأفضل كل صنف أتقاهم كما قال ﷺ: **(لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأبيض على أسود ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى)** هذا في الأصناف العامة " انتهى كلامه.

وهذا يدل على أن أفضل الشهداء أتقاهم لله تعالى ومن كان كذلك فهو أكمل إيمانا وأترك للمعاصي.

ومما يشهد أيضا على أن كمال الإيمان سبب في تفضيل الشهادة – على ضعف الحديث – ما جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**الشهداء أربعة: رجل مؤمن جيد الإيمان، لقي العدو، فصدق الله حتى قتل، فذلك الذي يرفع الناس إليه أعينهم يوم القيامة، هكذا، ورفع رأسه حتى وقعت قلنسوته – قال فما أدري أقلنسوة عمر أراد أم قلنسوة النبي ﷺ – قال: ورجل مؤمن جيد الإيمان، لقي العدو، فكأنما ضرب جلده بشوط طلح من الجبن، أتاه سهم غرب فقتله، فهو في الدرجة الثانية، ورجل مؤمن خلط عملا صالحا وآخر سيئا، لقي العدو، فصدق الله حتى قتل، فذلك في الدرجة الثالثة، ورجل مؤمن أسرف على نفسه، لقي العدو، فصدق الله حتى قتل، فذلك في الدرجة الرابعة**) رواه الترمذي وضعفه الألباني.

قال الحافظ في الفتح: " ولا يلزم من حصول درجة الشهادة لمن اجترح السيئات مساواة المؤمن الكامل في المنزلة، لأن درجات الشهادة متفاوتة " انتهى كلامه.

خامسا: حفظ القرآن:

أنزل الله تعالى القرآن لتلاوته وحفظه وتدبره والعمل به، وأعد أعلى الأجور والفضائل لمن حفظه.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**إن لله أهلين من الناس**) قالوا: يا رسول الله ! من هم ؟ قال: (**هم أهل القرآن، أهل الله وخاصته**) رواه ابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه.

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: (**مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرأ وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله أجران**) رواه البخاري.

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**) رواه البخاري.

وقد أخبر الرسول ﷺ أن حفظ القرآن سبب للعلو في درجات الجنة، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (**يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرأها**) رواه أبو داود وقال الألباني في صحيح أبي داود: حسن صحيح.

وكذا أخبر أن الجهاد سبب للعلو في درجات الجنة، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولا وجبت له الجنة**) فعجب لها أبو سعيد فقال: أعدها علي يا رسول الله، فأعادها عليه، ثم قال: (**وأخرى يرفع الله بها للعبد مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض**) قال: وما هي يا رسول الله ؟ قال (**الجهاد في سبيل الله**) رواه مسلم.

فمن جمع الأمرين فقد حاز الدرجات العلى من الجنة.

قال القرطبي في المفهم: " فهذا يدل على أن في الجنات درجات على عدد آي القرآن، وهي نيف على ستة آلاف آية، فإذا اجتمعت للإنسان فضيلة الجهاد مع فضيلة القرآن جمعت له تلك الدرجات كلها " انتهى كلامه.

وقد جعله النبي ﷺ سببا في تفضيل الشهادة، وجعل الشهيد الحافظ للقرآن مقدما على غيره من الشهداء.

فعن هشام بن عامر قال: شكي رسول الله ﷺ الجراحات يوم أحد، فقال: ((**احفروا وأوسعوا وأحسنوا، وادفنوا الاثنين والثلاثة في قبر واحد، وقدموا أكثرهم قرآنا**) فمات أبي فقدم بين يدي رجلين) رواه الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله مر على حمزة وقد مثل به فقال: ((**لولا أن تجد صفية في نفسها لتركته حتى تأكله العافية** (السباع والطير التي تقع على الجيف فتأكلها) حتى يحشر من بطونها) وقلت للثياب، وكثرت القتلى، فكان الرجل والرجلان والثلاثة يكفنون في الثوب الواحد – زاد قتيبة ثم يدفنون في قبر واحد – فكان رسول الله ﷺ يسأل: (**أيهم أكثر قرآنا ؟**) فيقدمه إلى القبلة) رواه أبو داود، وحسن إسناده النووي في خلاصة الأحكام، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود.

فمن كان المقدم في القبر فهو المقدم في الآخرة والأفضل عند الله.

قال الحافظ في الفتح: " فيه جواز تكفين الرجلين في ثوب واحد لأجل الضرورة، إما بجمعهما فيه وإما بقطعه بينهما، وعلى جواز دفن اثنين في لحد واحد، وعلى استحباب تقديم أفضلهما لداخل اللحد " انتهى كلامه.

وبين الجهاد وحفظ القرآن علاقة وثيقة، فكم من الآيات التي تحدثت عن الجهاد أو أمرت به أو تحدثت عن فضائله، فحافظ القرآن هو أولى الناس بالجهاد، وأولى الناس بدخوله في خطابه.

ولهذا ورد عن أنس– رضي اللّه عنه– قال: (لما كان يوم حنين انهزم الناس عن رسول الله – ﷺ – إلا العباس بن عبد المطلب وأبا سفيان بن الحارث، وأمر رسول اللّه – ﷺ – أن ينادى: يا أصحاب سورة البقرة، يا معشر الأنصار...) قال الهيثمي: رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط ورجالهما رجال الصحيح غير عمران بن داور وهو أبو العوام وثقه ابن حبان وغيره وضعفه ابن معين وغيره.

وروى سعيد بن منصور عن هشام بن عروة عن أبيه أن شعار أصحاب النبي ﷺ يوم مسيلمة كان يا أصحاب سورة البقرة.

وانظر إلى الصحابة الذين قتلوا يوم اليمامة كان كثير منهم من القراء الذين قرأوا القرآن.

وروى ابن المبارك أنه لما كان يوم اليمامة كان زيد بن الخطاب يحمل راية المسلمين فقتل رحمه الله عليه ووقعت الراية، فأخذها سالم مولى أبي حذيفة فقال المسلمون: يا سالم إنا نخاف أن نؤتى من قبلك، فقال: بئس حامل القرآن أنا إن أتيتم من قبلي، وقتل زيد بن الخطاب سنة اثنتي عشرة من الهجرة.

وكان أبو حذيفة رضي الله عنه يقول يوم اليمامة كما في الكامل لابن الاثير: (يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال).

وشهداء بئر معونة كانوا يقال لهم القراء كما سبق في حديث أنس عند البخاري.

وفي تاريخ الطبري: " كان فتح طوانة على يدي مسلمة بن عبد الملك، والعباس بن الوليد، وهزم المسلمون العدو يومئذ هزيمة، وصاروا إلى كنيستهم، ثم رجعوا، فانهزم الناس حتى ظنوا ألا يجتبروها أبدا، وبقي العباس معه نفير منهم ابن محيريز الجمحي، فقال العباس لابن محيريز: أين أهل القرآن الذين يريدون الجنة ؟ فقال ابن محيريز: نادهم يأتوك، فنادى العباس: يا أهل القرآن، فأقبلوا جميعا، فهزم الله العدو، حتى دخلوا طوانة " انتهى.

وقد كان بعض المجاهدين يدعو الله أن لا يستشهد حتى يحفظ القرآن، وذلك لما علم من الفضل، كأبي الخلود اليمني رحمه الله تعالى فإنه كان يدعو بذلك، وكان مستمرا في حفظه، فلما كانت الليلة التي ختم فيها القرآن، كان سعيدا جدا بذلك، فلما جاء من الغد أو بعد غد قتل رحمه الله، وكان آخر كلمة قالها " اللهم أني أحب لقاءك فأحبب لقائي ".

سادسا: قتيل الخوارج:

الخوارج عبارة عن قوم غلاة خرجوا على جماعة من المسلمين وإمامهم فكفروهم بغير وجه حق واستباحوا دمائهم وأموالهم وأعراضهم، وقاتلوا أهل الإسلام وتركوا أهل الأوثان.

وقد شرع النبي ﷺ قتال الخوارج، وأخبر أنهم شر الخلق والخليقة، وأنهم كلاب النار، وأن في قتالهم الأجور العظيمة، وذلك لما في قتالهم من دحر ودفع شرهم عن المسلمين، وحماية حوزتهم، وألا تضعف شوكتهم.

قال علي رضي الله عنه: إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ فلأن أخر من السماء أحب إلي من أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم، فإن الحرب خدعة، سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(يأتي في آخر الزمان قوم، حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتوهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم يوم القيامة)** رواه البخاري.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: **(شر قتلى قتلوا تحت أديم السماء، وخير قتيل من قتلوا، كلاب أهل النار، قد كان هؤلاء مسلمين فصاروا كفارا)** قلت: يا أبا أمامة ! هذا شئ تقوله ؟ قال: (بل سمعته من رسول الله ﷺ) رواه ابن ماجه، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه، وراه الطبراني بأطول من هذا، ورجاله ثقات كما قال الهيثمي.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ أتاه مال، فجعل يضرب بيده فيه، فيعطي يمينا و شمالا، وفيهم رجل مقلص الثياب، ذو سيماء بين عينيه أثر السجود، فجعل رسول الله ﷺ يضرب يده يمينا وشمالا حتى نفذ المال، فلما نفذ المال ولى مدبرا وقال: والله ما عدلت منذ اليوم، قال:

فجعل رسول الله ﷺ يقلب كفه ويقول: (**إذا لم أعدل فمن ذا يعدل بعدي، أما أنه ستمرق مارقة، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، ثم لا يعودون إليه حتى يرجع السهم على فوقه، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يحسنون القول ويسيئون الفعل، فمن لقيهم فليقاتلهم، فمن قتلهم فله أفضل الأجر، ومن قتلوه فله أفضل الشهادة، هم شر البرية برىء الله منهم، يقتلهم أولى الطائفتين بالحق**) رواه الحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي.

وعن يحيى بن يزيد الهنائي قال: كنت مع الفرزدق في السجن، فقال الفرزدق: لا أنجاه الله من يدي مالك بن المنذر بن الجارود إن لم أكن انطلقت أمشي بمكة، فلقيت أبا هريرة وأبا سعيد الخدري فسألتهما فقلت: إني من أهل المشرق، وإن قوما يخرجون علينا يقتلون من قال لا إله إلا الله ويأمن من سواهم، فقالا لي – وإلا لا أنجاني الله من مالك بن المنذر –: سمعنا خليلنا ﷺ يقول)**من قتلهم فله أجر شهيد – أو شهيدين – ومن قتلوه فله أجر شهيد**) رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله ثقات كما الهيثمي وجود إسناده الحافظ في الفتح.

ولهذا قال علي: (لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضي لهم على لسان نبيهم ﷺ لاتكلوا عن العمل) رواه مسلم.

وعن أنس بن مالك وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال :(**سيكون في أمتي اختلاف وفرقة، قوم يحسنون القيل ويسيئون الفعل، ويقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، لا يرجعون حتى يرد على فوقه، شر الخلق والخليقة، طوبى لمن قتلهم وقتلوه، يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء، من قاتلهم كان أولى بالله منهم**) قالوا: يا رسول الله فما سيماهم ؟ قال: (**التحليق**) رواه الحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

وقد قاتلهم الصحابة، وأول من قاتلهم علي، ثم قاتلهم المسلمون من بعدهم، وإذا كان هذا الأجر فيمن قاتلهم فكيف بمن قتلوه، فلا شك أنه أعظم أجرا وأكثر فضلا.

وقد جاء عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**يكون في أمتي ناس يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، هم شر قتلى تحت ظل السماء، طوبى لمن قتلهم، طوبى لمن قتلوه، طوبى لمن قتلوه**) رواه أبو يعلى.

فكرر اللفظ في حق من قتلوه مرتين زيادة على من قاتلهم، وقد جعل النبي ﷺ قتل الخوارج سبب لنيل الشهادة، بل أفضل الشهادة، وسبب للتفضيل بين الشهداء.

فقال في حديث أبي أمامة السابق ذكره (**خير قتيل من قتلوا**) وهذا يعم جميع القتلى من شهداء المعركة وغيرهم، فهو دليل على أنه سبب للتفضيل.

وقد ورد في رواية الآجري في الشريعة في نفس حديث أبي أمامة (**خير قتلى تحت أديم السماء من قتلوه ثلاث مرار يكررها**).

وقال ﷺ في حديث أبي سعيد السابق عند الحاكم: (**ومن قتلوه فله أفضل الشهادة**).

وقد ورد عن أبي سعيد في قتالهم قال: (إن قتالهم عندي أجل من قتال عدتهم من الترك) رواه أحمد ومعنى أجل أي أعظم، والترك كفار على وقته، وهذا يفيد أن قتالهم عنده أعظم من قتال الكفار وجهادهم.

ومما يدل أيضا على تفضيل قتيل الخوارج، ما ورد عن كعب الأحبار أنه قال: (للشهيد نور، ولمن قتله الخوارج عشرة أنوار، ولجهنم سبعة أبواب باب منها للحرورية، ولقد خرجوا على داود نبي الله في زمانه) رواه عبدالرزاق في مصنفه.

ولعل السبب في ذلك والحكمة، هو أن الخوارج يظهرون بمظهر الدين والتقوى والعبادة فيتحرج كثير من الناس عن قتالهم، فبين لهم أن الأمر على العكس من ذلك، أو لعله لما عرف عن الخوارج عبر التاريخ من شدة بأسهم وقتالهم.

قال الحافظ في الفتح:" مع ما عرف من شدة الخوارج في القتال وثباتهم وإقدامهم على الموت ومن تأمل ما ذكر أهل الأخبار من أمورهم تحقق ذلك " انتهى كلامه.

وذكر الحافظ حكمة أخرى عن ابن هبيرة فقال في الفتح: " قال ابن هيبرة: وفي الحديث أن قتال الخوارج أولى من قتال المشركين، والحكمة فيه، أن في قتالهم حفظ رأس مال الإسلام، وفي قتال المشركين طلب الربح، وحفظ رأس المال أولى " انتهى كلامه في كلامه على حديث ذي الخويصرة.

والظاهر أن هذا الفضل خاص بمن قتله الخوارج في المعركة والحرب، أما من قتله الخوارج صبرا بلا معركة، فلا يدخل في كونه أفضل الشهداء، وإن كان له أصل الشهادة، وذلك أن الأحاديث التي فيها ذكر ذلك قرنت بين القتل والقتال في الذكر.

وقد سبق بيان أن قتيل الخوارج ولو كان في غير معركة أنه من شهداء الآخرة.

سابعا: الاستكثار من الأعمال الصالحة والطاعات:

دخول الجنة يكون برحمة الله، وأما العلو في الدرجات فيكون بحسب العمل، فكلما كثر عمل الشخص وكمل كان أعلى درجة من غيره وأفضل، فالتفاوت في المنازل والدرجات قائم على الأعمال قال تعالى: ﴿ **وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ **الأعراف**.

وقال تعالى: ﴿ **وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (٢٣) جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ **الواقعة**.

وقال تعالى: ﴿ **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ**﴾ **الزلزلة**.

وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ **الحجرات**.

قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة: " فإن الله سبحانه جعل الجنة دار جزاء وثواب، وقسم منازلها بين أهلها على قدر أعمالهم " انتهى كلامه.

قال المناوي في الفيض: " فرفع الدرجات في الجنة بالأعمال ونفس الدخول بالفضل " انتهى كلامه.

والاستكثار من الأعمال الصالحة سبب في تفاضل الشهداء، فقد يتساوى اثنان في درجة الشهادة، فكلاهما شهادتهما واحدة، ولكن أحدهما أفضل من الآخر وأعلى درجة منه، لكونه أكثر طاعة وأكمل عملا من صاحبه، فرجل استشهد وما صلى لله صلاة، ورجل استشهد وقد صلى لله سنوات، وحج بيت الله مرات، وصام عدة رمضانات لا يستويان عند رب الأرض والسموات.

وقد ورد في مسند أحمد وأبي داود عن عبيد بن خالد رجل من بني سليم قال: آخى رسول الله ﷺ بين رجلين، فقتل أحدهما، ومات الآخر بعده، فصلينا عليه، فقال رسول الله ﷺ: **(ما قلتم ؟)** قالوا: دعونا له أن يغفر له، وأن يرحمه، وأن يلحقه بصاحبه، فقال رسول الله ﷺ: **(فأين صلاته بعد صلاته،**

وعمله بعد عمله، أو صيامه بعد صيامه ؟) قال: (إن ما بينهما كما بين السماء والأرض) وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

وعن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أن رجلين من بلي قدما على رسول الله ﷺ، وكان إسلامهما جميعا، فكان أحدهما أشد اجتهادا من الآخر، فغزا المجتهد منهما فاستشهد، ثم مكث الآخر بعده سنة، ثم توفي، قال طلحة: فرأيت في المنام: بينا أنا عند باب الجنة، إذا أنا بهما، فخرج خارج من الجنة، فأذن للذى توفي الآخر منهما، ثم خرج، فأذن للذي استشهد، ثم رجع إلي فقال: ارجع، فإنك لم يأن لك بعد، فأصبح طلحة يحدث به الناس، فعجبوا لذلك، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، وحدثوه الحديث، فقال: (**من أي ذلك تعجبون ؟**) فقالوا: يا رسول الله ! هذا كان أشد الرجلين اجتهادا، ثم استشهد، ودخل هذا الآخر الجنة قبله: فقال رسول الله ﷺ: (**أليس قد مكث هذا بعده سنة ؟**) قالوا: بلى، قال: (**وأدرك رمضان فصام وصلى كذا وكذا من سجدة في السنة ؟**) قالوا: بلى، قال رسول الله ﷺ: (**فما بينهما أبعد مما بين السماء والأرض**) رواه ابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه.

فهذا رجل استشهد والآخر مات على فراشه بعده، ومع ذلك فضل الذي مات على فراشه على الذي استشهد، لكونه قد عمل الصالحات بعده أكثر مما عمل الذي استشهد، ففضل بالدرجات عليه بسبب ذلك.

وقد تتساءل وتقول كيف فضل الذي مات على فراشه على الذي استشهد مع أن درجة الشهادة من أعلى الدرجات ؟

والجواب على ذلك: أنه يحتمل أن الرجل الذي مات على فراشه قد أعطي درجة الشهادة مع عمله الصالح، فكان أعلى من صاحبه.

ويمكن أيضا حمله على ظاهره بأن يكون فضل بمجرد عمله، إذ الشهادة عمل صالح له درجة عالية، ويمكن أن يبلغ الرجل تلك الدرجة أو يتعداها بكثرة الأعمال الصالحة وكمالها.

قال الحافظ في الفتح في كلامه على حديث: (**في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين...**) " وفيه إشارة إلى أن درجة المجاهد قد ينالها غير المجاهد، إما بالنية الخالصة، أو بما يوازيه من الأعمال الصالحة، لأنه أمر الجميع بالدعاء بالفردوس، بعد أن أعلمهم أنه أعد للمجاهدين " انتهى كلامه.

ومما يدل على أهمية العمل الصالح مع الشهادة، وأنه سبب في رفعة الشهيد، حديث عامر الأكوع رضي الله عنه، فإنه لما استشهد قال فيه النبي ﷺ: **(مات جاهدا مجاهدا فله أجره مرتين)** رواه مسلم.

قيل في معنى **(جاهد)** أي مبالغ في سبيل الخير: " مجاهد " أي لأعدائه، قال القرطبي في المفهم " ويظهر لي أن هذا القول أحسن، بدليل قوله في الرواية الأخرى " مات جاهدا مجاهدا فله أجره مرتين " فأشار بفاء التعليل إلى الجهتين اللتين يؤجر منهما، وهما جاهد مجاهد، فمعنى أحدهما غير معنى الآخر " انتهى كلامه.

فهو أجر مرتين على كونه مبالغا في سبيل الخير والطاعات، وكونه مجاهدا لأعداء الله، فهو يعضد ماسبق بيانه من أهمية العمل الصالح في رفع الشهادة، وقد ورد في رواية البخاري لحديث عامر بن الأكوع **(وأي قتل يزيده عليه)** يعني أي قتل أفضل من هذا، وفي رواية النسفي **(وأي قتيل يزيد عليه)**.

وجميع أسباب تفاضل الشهداء داخلة في هذا السبب، ولكننا أفردناها للنص عليها وكونها سببا.

ثامنا: الجمع بين شهادتين:

قد قدمنا أنه يمكن الجمع بين شهادتين، كأن يقتله الكفار بالإغراق أو بالإحراق أو غير ذلك، فيكون له أجر شهادتين، ومن مات بشهادتين أعلى من مات بشهادة واحدة، وأفضل عند الله تعالى.

تاسعا: إفناء الجسد:

أن يضحي الشخص بنفسه في سبيل الله فتزهق روحه ويقتل أمر عظيم، وأعظم منه أن يضحي بنفسه وجسده أيضا، فتزهق روحه ويفنى جسده وكل ذلك في سبيل الله، فإن الأجر يكون على قدر البلاء والمصيبة، كما قال ﷺ: (**إن عظم الجزاء مع عظم البلاء**...) رواه ابن ماجه عن أنس رضي الله عنه، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه.

وقال تعالى: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ**﴾ **التوبة**.

فمن أصيب بنفسه وقطعت أطرافه، أعلى درجة ممن أصيب بنفسه فقط وأزهقت روحه فقط، ومن أصيب بنفسه وتمزقت أشلاؤه، أعظم وأعلى درجة ممن أصيب بنفسه وقطعت أطرافه فقط، وهكذا كلما عظم المصاب عظم الأجر.

وفي الحديث **(إذا سبقت للعبد من الله تعالى منزلة لم ينلها بعمله، ابتلاه الله في جسده وفي أهله وماله، ثم صبره على ذلك حتى ينال المنزلة التي سبقت له من الله عز وجل)** رواه أحمد، وحسنه المناوي في الفيض.

قال المناوي في الفيض: " وفيه إشعار بأن للبلاء خاصية في نيل الثواب، ليس للطاعة وإن جعلت مثلها، ولذلك كان ما يصيب الأنبياء شديد " انتهى كلامه.

وقال أيضا: " والمقصد من الحديث الإعلام بفضل البلاء، وأنه مظنة لرفع درجات العبد وإن قل عمله " انتهى كلامه.

وروى البيهقي في الشعب والحاكم عن أبي سليمان قال: (أن موسى عليه الصلاة والسلام مر برجل في متعبد له، ثم مر به بعد وقد فرقت السباع لحمه، فرأس ملقى، وفخذ ملقى، وكبد ملقى، فقال: يا رب كان يطيعك فابتليته بهذا، فأوحى الله إليه إنه سألني درجة لم يبلغها بعمله، فابتليته لأبلغه تلك الدرجة) ذكره المناوي في الفيض.

وسيأتي إن شاء الله أن الجهاد والتضحية بالمال والنفس سبب من أسباب تفاضل الشهداء، وأن تنوع التضحيات محبوب إلى الله تعالى، وأن من ضحى بنفسه وماله أعلى درجة ممن ضحى بنفسه فقط، فكذا من ضحى بنفسه وجسده أعلى درجة ممن ضحى بنفسه فقط، فإن الشخص قد يقتل مع سلامة جسده.

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن عبدالله بن جحش قال له يوم أحد: (ألا تدعو الله، فخلوا في ناحية، فدعا سعد فقال: يا رب إذا لقيت العدو، فلقني رجلا شديدا بأسه، شديدا حرده، أقاتله ويقاتلني، ثم ارزقني الظفر عليه حتى أقتله وآخذ سلبه، فأمن عبدالله بن جحش، ثم قال: اللهم ارزقني

رجلا شديدا حرده، شديدا بأسه، أقاتله فيك ويقاتلني، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني، فإذا لقيتك غدا قلت: من جدع أنفك وأذنك ؟ فأقول: فيك وفي رسولك ﷺ، فتقول: صدقت قال سعد: يا بنى كانت دعوة عبدالله بن جحش خيرا من دعوتي، لقد رأيته آخر النهار وإن أنفه وأذنه لمعلقان في خيط) رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي، ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

وهذا من الأدلة على أنه سبب في تفضيل الشهادة، وإلا لما دعا الله به، وأن التضحيات من أجل الله محبوبة إليه، فإنه إنما دعا بذلك من أجل أن يقول أنه فعل به ذلك من أجل الله، وتضحية في سبيله.

وهذا حمزة يوم أحد استشهد ومثل به، فروى أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله مر على حمزة وقد مثل به فقال (**لولا أن تجد صفية في نفسها لتركته حتى تأكله العافية** (السباع والطير التي تقع على الجيف فتأكلها) **حتى يحشر من بطونها)** وقلت للثياب، وكثرت القتلى..." رواه أبو داود، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ في حمزة: (**لولا جزع النساء لتركته حتى يحشر من حواصل الطير وبطون السباع)** رواه الحاكم والبزار والطبراني، وفي إسناده يزيد بن أبي زياد وهو ضعيف.

وفي رواية ابن اسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير مرسلا (**لولا أن تحزن صفية ويكون سنة من بعدي)**.

فهو رضي لمن هو من أحب الناس إليه – وهو عمه – أن يترك كي تأكله السباع والطير، ويفنى جسده في سبيل الله، ليكمل أجره، وهذا يدلك على أنه سبب في تفضيل الشهادة وزيادة درجاته.

قال المباكفوري في تحفة الأحوذي: " إنما أراد ذلك ليتم له به الأجر ويكمل، ويكون كل البدن مصروفا في سبيله تعالى إلى البعث، أو لبيان أنه ليس عليه فيما فعلوا به من المثلة تعذيب حتى إن دفنه وتركه سواء، قاله أبو الطيب " أنتهى كلامه.

وإنما منعه من ذلك أمران:

١. أن تجد صفية أخت حمزة رضي الله عنهما في نفسها من هذا العمل.

٢. أن يكون سنة من بعده في الموتى أن لا يقبروا.

ولما كان يوم مؤتة، قاتل جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وقطعت يداه ثم قتل، فأبدل بجناحين مكان يديه تعويضا له عن تضحيته بهما في سبيل الله مع نفسه، فإذا كان هذا فيمن قطعت يداه، فكيف بمن أفني جسده كله ولم يبق منه شيء فبما سيعوض ؟

روى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعا بإسناد جيد كما قال الحافظ: (**إن جعفرا يطير مع جبريل وميكائيل له جناحان عوضه الله من يديه**).

قال ابن النحاس في المشارع: " وقد ثبت من غير ما وجه أن الله أعطى جعفرا جناحين يطير بهما عوضا عن يديه اللتين ذهبتا في سبيله " انتهى كلامه.

وقد كان الصحابة يصفون كثيرا من الذين يقتلون بكونهم أصيبوا بكثرة الجراح في أجسادهم، ويعدون في ذلك الأربعين والثمانين، وعدم تمييز الشهيد أحيانا من كثرة الجراح، وما ذاك إلا لفضل ذلك، وأنه مما يثنى على الشخص به، وسبب للتفضيل.

قال أنس بن مالك رضي الله عنه في عمه أنس بن النضر رضي الله عنه: (فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل، وقد مثل به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه) رواه البخاري.

عن ابن عمر رضي الله عنه أنه وقف على جعفر يومئذ وهو قتيل، قال: (فعددت به خمسين طعنة وضربة ليس منها شيء في دبره، يعني في ظهره) رواه البخاري.

ومن الشهداء من يكرمهم الله كرامة خاصة، فيحفظ لهم أجسادهم بعد قتلهم من المشركين والعوافي ويعافيهم من المثلة والفناء ولحاق الآفات المتنوعة.

وذلك كما حصل لعاصم بن ثابت رضي الله عنه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (بعث رسول الله ﷺ سرية عينا له، وأمر عليهم عاصم بن ثابت... قال: بعث قريش إلى عاصم ليؤتوا بشئ من جسده يعرفونه، وكان قتل عظيما من عظمائهم فبعث الله مثل الظلة من الدبر، فحمته من رسلهم، فلم يقدروا على شئ منه) رواه البخاري وعبد الرزاق وأحمد.

وورد من حديث بريدة بن سفيان عند سعيد بن منصور عن عاصم بن ثابت أنه قال: (اللهم أني أحمي لك اليوم دينك فاحمي لي لحمي) وقد كان عاهد الله أن لا يمس مشركا ولا يمسه، كما نقله عنه ابن اسحاق عن عاصم بن عمر مرسلا، فقال عمر لما بلغه الخبر: " يحفظ الله العبد بعد وفاته كما حفظه في حياته ".

قال الحافظ في الفتح على حديث بئر معونة وحماية عاصم وقتل خبيب ودعاء عاصم: " وفيه استجابة دعاء المسلم، وإكرامه حيا وميتا، وغير ذلك من الفوائد مما يظهر بالتأمل، وإنما استجاب الله له في حماية لحمه من المشركين ولم يمنعهم من قتله، لما أراد من إكرامه بالشهادة ومن كرامته حمايته من هتك حرمته بقطع لحمه " انتهى كلامه.

وكما حصل للعلاء الحضرمي فقد روى ابن أبي الدنيا عن عبد الملك ابن أخت سهم بن منجاب قال: سمعت سهما يقول: غزونا مع العلاء بن الحضرمي دارين، قال: فدعا بثلاث دعوات، فاستجاب الله له فيهن كلهن قال: سرنا معه فنزلنا منزلا، وطلبنا الوضوء فلم نقدر عليه، فقام فصلى ركعتين، ثم دعا الله فقال: " اللهم يا عليم يا حكيم، يا علي يا عظيم، إنا عبيدك، وفي سبيلك نقاتل عدوك، فاسقنا غيثا نشرب منه ونتوضأ من الأحداث، وإذا تركناه فلا تجعل لأحد فيه نصيبا غيرنا قال: فما جاوزنا غير قليل، فإذا نحن بنهر من ماء سماء يتدفق، قال: فنزلنا فتروينا، وملأت إداوتي، ثم تركتها، فقلت: لأنظرن هل استجيب له ؟ فسرنا ميلا أو نحوه، فقلت لأصحابي: إني نسيت إداوتي فذهبت إلى ذلك المكان، فكأنما لم يكن فيه ماء قط، فأخذت إداوتي فجئت بها، فلما أتينا دارين – وبيننا وبينهم البحر – فدعا أيضا فقال: اللهم يا عليم يا حليم، يا علي يا عظيم، إنا عبيدك، وفي سبيلك نقاتل عدوك، فاجعل لنا سبيلا إلى عدوك ثم اقتحم بنا البحر، فوالله ما ابتلت سروجنا حتى خرجنا إليهم، فلما رجعنا اشتكى البطن فمات، فلم نجد ما نغسله به، فكفناه في ثيابه، ودفناه، فلما سرنا غير بعيد إذا نحن بماء كثير فقال بعضنا لبعض: ارجعوا لنستخرجه فنغسله، فرجعنا فطلبنا قبره، فخفي علينا قبره، فلم نقدر عليه، فقال رجل من القوم: إني سمعته يدعو الله يقول: اللهم يا عليم يا حليم، يا علي يا عظيم، أخف جثتي، ولا تطلع على عورتي أحدا، فرجعنا وتركناه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (لما بعث النبي ﷺ العلاء بن الحضرمي إلى البحرين تبعته، فرأيت منه ثلاث خصال لا أدري أيتهن أعجب، انتهينا على شاطيء البحر، فقال: سموا واقتحموا، فسمينا واقتحمنا فعبرنا، فما بل الماء إلا أسافل أخفاف إبلنا، فلما قفلنا صرنا بعد بفلاة من الأرض، فليس

معنا ماء فشكونا عليه، فصلى ركعتين ثم دعا، فإذا سحابة مثل الترس ثم أرخت عزاليها، فسقينا واستقينا، ومات بعد ما بعثه أبو بكر إلى البحرين، لما ارتدت ربيعة فأظفره الله بهم وأعطوا ما منعوا من الزكاة، ومات فدفناه في الرمل، فلما سرنا غير بعيد، قلنا: يجيء سبع فيأكله، فرجعنا فلم نره) رواه الطبراني.

وكما حصل لعامر بن فهيرة، فعن عروة بن الزبير قال: (لما قتل الذين ببئر معونة، وأسر عمرو بن أمية الضمري قال له عامر ابن الطفيل: من هذا ؟ فأشار إلى قتيل، فقال له عمرو بن أمية: هذا عامر بن فهيرة، فقال: لقد رأيته بعد ما قتل رفع إلى السماء حتى إني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض ثم وضع) رواه البخاري.

وقد روى ابن المبارك عن الزهري قال: (زعم عروة بن الزبير أن عامر بن فهيرة قتل يومئذ فلم يوجد جسده، يرون أن الملائكة دفنته).

وغيرهم كثير، وهذا لا يدل على أن بقاء الجسد أفضل من فنائه، بل فناؤه في سبيل الله أعظم أجرا من بقائه، ولكن لا شك أن الفناء داخل في البلاء، والعافية أوسع للعباد.

وقد وفق الله بعض الشهداء لهذه الميتة، وحرص السلف ومن بعدهم إلى وقتنا المعاصر على هذه الميتة، فكانوا يدعون الله تعالى بها ويتمنونها، حتى أكرم الله أقواما فماتوا بها، فمن القصص في ذلك:

- ❖ روى محمد بن اسحاق في قصة شهداء بئر معونة فقال: حدثني إسحاق عن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وغيرهم من أهل العلم قالوا: قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة على رسول الله ﷺ المدينة... وكان في السرح عمرو بن أمية الضمري ورجل من الأنصار أخو بني عمرو بن عوف، فلم ينبئهما بمصاب إخوانهما إلا الطير تحوم على العسكر، فقالا: والله إن لهذا الطير لشأنا، فأقبلا لينظرا، فإذا القوم في دمائهم وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة ".

- ❖ روى ابن المبارك عن حميد بن هلال قال: كان الأسود بن كلثوم إذا مشى نظر إلى قدميه أو أطراف أصابعه، لا يلتفت، وجدر الناس إذ ذاك فيها تواضع، فعسى أن يفجأ النسوة، وعسى أن يكون بعضهن واضعا، فيروعهن الرجل حين يرينه، ينظر بعضهن إلى بعض فقلن: كلا إنه الأسود بن كلثوم، قد عرفوه إنه لا ينظر إليهن، قال: فلما قدم غازيا قال: اللهم إن هذه نفسي تزعم في

الرخاء أنها تحب لقاءك، فإن كانت صادقة فارزقها ذاك، وإن كانت كاذبة فاحملها عليه وإن كرهت، فاجعله قتلا في سبيلك، وأطعم لحمي سباعا وطيرا، قال: فانطلق في طائفة من ذلك الجيش، حتى دخلوا حائطا فيه ثلمة، وجاء العدو حتى قاموا على الثلمة، فخرج أصحابه ولم يخرج حتى كثروا على الثلمة، قال: فنزل من فرسه فضرب وجهه، فانطلق غابرا حتى خلوا وجهه، وخرج وعمد الى ماء كان في الحائط، فتوضأ منه ثم صلى، قال يقول العدو: هكذا استسلام العرب إذا استسلموا، فلما قضى صلاته قاتلهم حتى قتل، قال: فمر عظيم ذلك الجيش على الحائط ومنهم أخوه فقيل لأخيه: ألا تدخل الى الحائط فتنظر ما أصبت من عظام أخيك فتجنه ؟ قال: ما أنا بفاعل شيئا دعا به أخي فاستجيب له، قال: فما عاناه – أي فما عانى دفن أخيه –.

❖ قال ابن الأثير في الكامل عن فتوح بلاد فارس: " ووجه ابن عامر الأسود بن كلثوم العدوي من عدي الرباب، وكان ناسكاً، إلى بيهق، من أعمالها أيضاً، فقصد قصبته ودخل حيطان البلد من ثلمة كانت فيه، ودخلت معه طائفة من المسلمين، فأخذ العدو عليهم تلك الثلمة، فقاتل الأسود حتى قتل هو وطائفة ممن معه، وقام بأمر الناس بعده أخوه أدهم بن كلثوم، فظفر وفتح بيهق، وكان الأسود يدعو الله أن يحشره من بطون السباع والطير، فلم يواره أخوه، ودفن من استشهد من أصحابه " انتهى كلامه.

❖ قال ابن النحاس في المشارع: " ولنختم هذا الباب بحكاية أبي قدامة وهي ما روى أبو المظفر ابن الجوزي بإسناده في كتابه المسمى بجوهرة الزمان في تذكرة السلطان عن أبي قدامة الشامي قال: كنت أميرا على الجيش في بعض الغزوات، فدخلت بعض البلدان، فدعوت الناس إلى الجهاد، ورغبتهم في الثواب، وذكرت فضل الشهادة، ثم تفرق الناس، وسرت إلى منزلي، فإذا بامرأة من أحسن الناس تنادي: يا أبا قدامة، فقلت: هذه مكيدة من الشيطان، فلم أجبها، فعادت فنادتني فلم أجبها، فقالت: هكذا يفعل أرباب الصلاح بأهل الإرادة، فوقفت لها، فجاءت ودفعت إلي رقعة وحزمة مشدودة، ثم انصرفت وهي تبكي قال: فنظرت إلى الورقة وإذا فيها مكتوب: دعوت الناس إلى الجهاد، وحرضتهم على الثواب، وأنا امرأة ولا قدرة لي على الجهاد، وقد قطعت أحسن ما في وهما ضفيرتاي، وقد أتيت بهما لتجعلهما قيدا لفرسك، فقيدت بهما فرسي.

فلما طلع الفجر ووقع القتال، فإذا أنا بغلام حسن الوجه صبور على الشدائد، فتقدمت إليه وقلت: يا بني أنت راجل ولا آمن أن تجول الخيل فتطؤك بأرجلها، فارجع إلى موضعك، قال: فالتفت إلي

وقال: كيف أرجع وقد قال الله: (**يا أيها الذين امنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار**).

قال: فأعطيته قوسا كان معي فقال: بالله عليك يا أبا قدامة أقرضني ثلاثة أسهم، فقلت: ما هذا وقت قرض، فقال: بالله عليك أقرضني قال: فأعطيته سهما، فوضعه في قوسه فقتل به روميا، فقلت: أنا شريكك في الثواب فقال: نعم فأعطيته سهما آخر فقتل به روميا آخر، ثم ناولته الثالث فرمى به وقال: السلام عليك سلام مودع فجاءه سهم بين عينيه فخر صريعا.

فوقفت عليه وقلت: يا ولدي لا تنسني فإنك قد عاهدتني، فقال: نعم، ثم قال يا أبا قدامة لي إليك حاجة، إذا دخلت المدينة فائت والدتي وسلمعليها عني وناولها هذا الخرج، فقلت: ومن والدتك ؟ قال: التي قطعت شعرها وقالت: اجعله قيدا لفرسك، قال: فاشتغلت بالبكاء فقضى نحبه رحمه الله فدفنته.

فلما انقضى القتال وعدت إلى قبره، رأيته على وجه الأرض قد قذفته الأرض، فحفرت له حفرة أخرى فدفنته، فقذفته ثانيا، فقال أصحابنا: دعه فهو غلام، ولعله خرج من غير إذن والدته، قال: فوقعت في حيرة. فأذن مؤذن العشاء، فقمت فصليت وجعلت أتضرع إلى الله وأبكي، وأقول: يا رب ما أدري ما أصنع قال: فسمعت صوتا: يا أبا قدامة دع ولي الله واذهب، قال: فتركته فنزلت طيور فأكلته وأتت السباع فابتلعت العظام.

فلما أتيت المدينة ذهبت إلى بيت والدته، فطرقت الباب، فخرجت طفلة صغيرة، فلما رأت الخرج رجعت ونادت: يا أماه جاء أبو قدامة بخرج أخي وما أرى أخي معه، واحسرتاه في العام الأول أصبنا بأبي، وفي الثاني بأخي، وفي هذا بأخي الآخر، قال: فكدت أتلف من البكاء.

فخرجت تلك المرأة وهي تقول: أمهنيا جئت أم معزيا ؟ إن كان ولدي قد مات فمعزيا، وإن كان قد استشهد فهني، فقلت: لا والله بل استشهد، فقالت: وما علامة ذلك ؟ قلت: قتل، قالت: قبلته الأرض أم لا ؟ قلت: لا والله، قالت: الحمد لله، ثم فتحت صندوقا وأخرجت مسحا أسود، وغلا من حديد، وقالت: إنه كان إذا جنّه الليل يلبس هذا المسح ويغل يده بهذا الغل ويقول: إلهي احشرني من حواصل الطير، وبطون السباع، فما لي عين تراك وقد استجاب الله منه ذلك ".

❖ قال الذهبي في السير عن عتبة الغلام: " قال رياح القيسي: بات عندي، فسمعته يقول في سجوده: اللهم احشر عتبة من حواصل الطير وبطون السباع " انتهى كلامه، وقد استشهد عتبة ولكن لا أعلم بما إذا تحقق له هذا الأمر أم لا ؟

❖ قال الذهبي في نور الدين زنكي: " وكان بطلا شجاعا، وافر الهيبة، حسن الرمي، مليح الشكل، ذا تعبد وخوف وورع، وكان يتعرض للشهادة، سمعه كاتبه أبو اليسر يسأل الله أن يحشره من بطون السباع، وحواصل الطير" انتهى.

❖ قال أبو عبيدة المقدسي في كتاب شهداء في زمن الغربة عن الشهيد أبي بكر المغربي بعد الغزو الصليبي لأفغانستان وحصول الانسحابات: " ومع ازدياد الأحوال سوءا، وتخلي الكثير عن المجاهدين واختفاء المعين، بدأت مراكب المهاجرين تبحر باتجاه باكستان قاصدة الوصول إلى مناطق أكثر أمنا، ولم يبق من أبناء التوحيد المهاجرين سوى ثلة قليلة أبت الخروج على الرغم من غصص الطريق التي تجرعتها والآلام التي كابدتها، ومن بين تلك الثلة كان أبو بكر الذي كان يرقب بشغف قدوم مولوده الجديد التي أبصرت نور الحياة ووالدها هناك تأكل غربان الفلا من جسده الطاهر كما تمنى ورغب، وبين تلك الثلة التي آلت على نفسها عدم الرجوع إلى مواطن الذلة، انتشر بيتين من الشعر طالما تغنوا بها ورددتها الألسن...

يا رب لا تجعل حياتي مذمة ** ولا موتي بين النساء النواحي

ولكن قتيلا يدرج الطير حوله ** وتأكل غربان الفلا من جوانحي

ووقف المهاجر الغريب حائرا من تلك الأبيات التي لم يستطع أن يفهم مغزاها، خاصة أنه لم يحظ بقسط وافر من التعليم، ولم يجد سوى أبي الليث – أي الليبي رحمه الله – ليشرح له مغزى ومقصد تلك الأبيات، وما إن علم مقصدها حتى لم تعد تفارق لسانه، وراح يرددها في كل وقت حتى في أوقات لا ينبغي أن تقال فيه لولعه بها.. وأخيرا... بدأ الاستعداد لملحمة شاهي كوت، وتتابعت الأيام مسرعة واقتربت ساعة الصفر ولم يبق سوى يوم واحد على ولادة زوجه هناك في المغرب والتي تابع أخبارها أولا فأولا عبر الهاتف النقال " الستلايت " وجاء أمر الأمير بالتحرك لنزال أحلاف الروم... وتجهزت السيارة التي سيستقلها أبو بكر الذي سرعان ما بدا على محياه علامات الحزن والأسى.. وهنا تفطن أبو الليث وبادره بالسؤال مستفسرا عن كنه الأمر... وأجاب القلب المفعم بالحزن " لم يبق سوى يوم

على ولادة الزوجة " وجاء الجواب الذي كان حاضرا على أودية لسان أبي الليث " سبحان الله ! يكرمك الله وأنت حي فكيف لا يكرمك بخبر زوجك وأنت شهيد.. سيأتيك الخبر قطعا وأنت في ضيافة الرحمن " وسرعان ما سري عن الزوج الملهوف وصعد سيارة تمضي ولا تعود.

طلب القائد سيف الرحمن منصور من عبد الوكيل المصري أن يأخذ مجموعته، ويصعد بها الرواسي الشامخات ليصد أي تقدم لعلوج الصليب، ويمنع الإنزالات في تلك البقعة، وسرعان ما استجاب الشهيد القائد عبد الوكيل لأمر أميره...

وهناك بين تلك العوالي دارت رحى الحرب الزبون، وذاق أحفاد قيصر مرارة الحنظل وكأس الموت الزؤام...وجندل الكثير منهم صرعى لا أبا لهم...

ترى القوم صرعى ينزعون كأنهم ** قرابين يوم العشر أرداهم النحر

واستطاع ليوث التوحيد أن يمنعوا عدة إنزالات لقوات الصليب، وسرعان ما أقبل الليل، وأقبلت معه طائرة المكر سي ١٣٠، واشتد القر على المجاهدين، وهنا طلب عبد الوكيل من إخوانه النزول، وبعد أن نزل المجاهدون آن لأبي بكر وعبد الوكيل أن ينزلا وما أن هما بالنزول حتى راح أبو بكر يتغنى بشعره المولع به..يا رب لا تجعل موتي...

وتزامن ذلك مع تأخر مرافقهم الأفغاني " مصطفى " وراح عبد الوكيل يداعبه مازحا " يا الله يا مصطفى ولا صوت أبو بكر مش عاجبك " وما إن أكمل عبارته حتى أقبلت قذيفة الشهادة التي حملت بين طياتها روح أبي بكر وعبد الوكيل ومضت بهما إلى ربهما... وهكذا نال أبو بكر وسام الشهادة، وحجز مقعدا له هناك في حواصل الطير الخضر إن شاء الله، وبعد أن وضعت الحرب أوزارها، وأثناء مسيرة الإنسحاب من تلك الشواهق ألقى أبو الليث - أي الليبي – بنظره فوق تلك القمة التي احتضنت بين صخورها جسد أبي بكر... وكانت المفاجأة التي أدهشت أبا الليث، فقد كانت غربان الفلا تدرج فوق تلك البقعة التي احتوت جسد أبي بكر... وهنا دمعت عين القائد ولسان حاله يردد " صدق الله فصدقه ".

وجسم تجندل في الصحصحان ** تناوشه جارحات الفلا

فمنه نصيب لطير السما ** ومنه نصيب لأسد الشرى

❖ وقد وقع في زمننا المعاصر قصص مشابهة، فبعضهم كان يدعو الله تعالى فيقول: " اللهم ارزقني شهادة تنال جميع بدني" فيستجيب الله له ولا يبقى شيء من بدنه، بفعل المتفجرات وبعضهم يدعو فيقول: " اللهم لا تجعل لجسدي قبرا يغمه " فيستجيب الله له وتأتيه قذيفة أو قنبلة أو صاروخ فتقطعه قطعا صغيرة، لا يستطاع جمعها، ولا دفنها، وكل هذا في سبيل الله تعالى، والقصص في هذا كثيرة عند المجاهدين، وهذا الدعاء " اللهم لا تجعل لي قبرا " إن كان المراد منه إفناء الجسد فهذا أمر مشروع كما تقدم، وإن كان المراد منه عدم القبر فقط، فليس هذا الأمر مشروعا وليس فيه فضيلة أصلا.

عاشرا: قتال الصف:

التصاف للمسلمين في أصل شرعيته محبوب إلى الله، ولهذا شرع الله الصلاة بالصفوف بإقامتها وتسويتها، وكذا الملائكة تصف عنده سبحانه، كما قال ﷺ: **(ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها)** فقلنا: يا رسول الله وكيف تصف الملائكة عند ربها، قال: **(يتمون الصفوف الأول، ويتراصون في الصف)** رواه مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه.

والجهاد أعمال مختلفة، منها الرمي، ومنها الحراسة، ومنها الرباط وغيره، ومن أفضل أعمال الجهاد وأحبها إلى الله تعالى قتال الصف.

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ**﴾ **الصف**، ومعنى البنيان المرصوص: أي ملتصق بعضه في بعض، مثبت لا يزول.

قال ﷺ: **(قيام ساعة في الصف للقتال في سبيل الله، خير من قيام ستين سنة)** رواه ابن عساكر عن أبي هريرة.

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(ساعتان تفتح فيهما أبواب السماء، وقل ما ترد على داع دعوته، عند حضور النداء، والصف في سبيل الله)** رواه أبو داود، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

وقال يزيد بن شجرة رضي الله عنه: (إذا صف الناس للصلاة، وصفوا للقتال، فتحت أبواب السماء، وأبواب الجنة، وأبواب النار، وزين الحور العين واطلعن....) رواه الطبراني، وإسناده جيد كما سبق.

وعن عمار أنه قال يوم صفين: (من أراد أن تكتنفه الحور العين فليقدم بين الصفين) رواه ابن أبي شيبة.

وقد رود عن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي قال: (إذا التقى الصفان أهبط الله الحور العين إلى السماء الدنيا...) رواه ابن المبارك، وعبد الرزاق موقوفا عليه.

وقال ابن جرير: حدثني سعيد بن عَمرو السكوني، حدثنا بَقِيَّة بن الوليد، عن أبي بكر بن أبي مريم، عن يحيى بن جابر الطائي، عن أبي بحرية قال: كانوا يكرهون القتال على الخيل، ويستحبون القتال على الأرض، لقول الله عز وجل **(إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص)** قال: وكان أبو بحرية يقول: إذا رأيتموني التفتُّ في الصف فَجَؤا في لَحَيي" " وعنى بقوله (جؤا في لحيي): من الوجء وهو اللكز والدفع والضرب.

وقتال الصف سبب في تفاضل الشهداء، فمن قتل في قتال الصف ليس كمن قتل في غيره من أنواع القتال، والدليل عليه قوله ﷺ: **(أفضل الشهداء الذين يقاتلون في الصف الأول، فلا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا، أولئك يتلبطون في الغرف العلى من الجنة، يضحك إليهم ربك، فإذا ضحك ربك إلى عبد في موطن فلا حساب عليه)** رواه أحمد والطبراني عن نعيم بن هبار، وصححه الألباني في صحيح الجامع، وقال البوصيري في الإتحاف والهيثمي في المجمع رواته ثقات، وصحح إسناده المناوي في التيسير.

وفي رواية **(إن يلقوا في الصف)** وفي رواية **(يلتقون في الصف الأول)**.

فوصفهم بأنهم أفضل الشهداء، وذكر السبب في ذلك هو قتالهم في الصف، وخص الصف الأول في بعض الروايات، لأنهم هم الذين يباشرون القتال والخطر أكثر من غيرهم.

وقد ذكر ابن النحاس حديث نعيم بن هبار السابق **(إن يلقوا في الصف)** في فضائل قتال الصف.

وأيضا فإن في قتال الصف يكون الخطر عظيما، ومباشرة القتال فيه أكبر، والعدو محيط بك من كل جانب، وهو أشق من غيره من أنواع القتال، فلا جرم أن كان أعظم درجة وسببا للتفاضل.

قال ابن كثير على حديث حارثة بن سراقة شهيد بدر الذي كان في النظارة ولم يباشر القتال فيها وأخبر النبي ﷺ أنه في الفردوس الأعلى قال: " وفي هذا تنبيه عظيم على فضل أهل بدر، فإن هذا لم يكن في ساحة القتال ولا في حومة الوغى، بل كان من النظارة من بعيد، وإنما أصابه سهم غرب وهو يشرب من الحوض، ومع هذا أصاب بهذا الموقف الفردوس " انتهى كلامه، فهذا يدل على أفضلية من يباشر القتال ويكون في حومة الوغى على غيره.

الحادي عشر: إعزاز الإسلام وأهله وإذلال الشرك وأهله:

من أعظم مقاصد الجهاد أن تعلو كلمة الله، ويعلو دين الإسلام على غيره من الأديان، ويعز أهله المسلمون، وأن تسفل كلمة الكفر والشرك، ويذل أهله المشركون، فمن حقق هذا المقصد نية في قلبه وتطبيقا في واقعه، فجاهد بقصد إعلاء كلمة الله وإعزاز الإسلام وأهله، وطبق ذلك بفعله، فكان لجهاده أثر في ذلك، أعظم درجة عند الله وأفضل ممن قصد ذلك، ولم يكن في جهاده أثر في ذلك، بل كان أثره ضعيفا.

فهذا الأمر مما يتفاضل به المجاهدون في جهادهم، وهو أيضا مما يتفاضل به الشهداء في شهادتهم.

والدليل عليه ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من المدينة، من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا، قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله لا نخلى بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدا، ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله، ويفتتح الثلث لا يفتنون أبدا، فيفتتحون قسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان أن المسيح قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون – وذلك باطل – فإذا جاءوا الشأم خرج، فبينما هم يعدون للقتال، يسوون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم ﷺ فأمهم، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده، فيريهم دمه في حربته**) رواه مسلم.

عن أسير بن جابر قال: (هاجت ريح حمراء بالكوفة، فجاء رجل ليس له هجيرى: ألا يا عبد الله بن مسعود جاءت الساعة، قال فقعد – وكان متكئا – فقال: إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث

ولا يفرح بغنيمة، ثم قال بيده هكذا ونحاها نحو الشأم، فقال: عدو يجمعون لأهل الإسلام، ويجمع لهم أهل الإسلام، قلت: الروم تعني، قال: نعم، وتكون عند ذاكم القتال ردة شديدة، فيشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب، وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب، وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يمسوا، فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب، وتفنى الشرطة، فإذا كان اليوم الرابع نهد إليهم بقية أهل الإسلام، فيجعل الله الدبرة عليهم فيقتلون مقتلة – إما قال لا يرى مثلها وإما قال لم ير مثلها – حتى إن الطائر ليمر بجنباتهم، فما يخلفهم حتى يخر ميتا، فيتعاد بنو الأب كانوا مائة فلا يجدونه بقي منهم إلا الرجل الواحد، فبأي غنيمة يفرح أو أي ميراث يقسم ؟ فبينما هم كذلك، إذ سمعوا ببأس، هو أكبر من ذلك، فجاءهم الصريخ أن الدجال قد خلفهم في ذراريهم، فيرفضون ما في أيديهم ويقبلون فيبعثون عشرة فوارس طليعة، قال رسول الله ﷺ (إني لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم، هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ، أو من خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ)) رواه مسلم.

فهؤلاء الذين جاهدوا، كان في جهادهم وانتصارهم إعزاز للدين وأهله وفتح للمسلمين، فكان شهداؤهم أفضل الشهداء عند الله تعالى، ولهذا الفضل لم يختص بالشهداء، بل شمل عامة المجاهدين المنتصرين بأنهم لا يفتنون أبدا.

وقد ورد عن ابن عمر رضي الله عنه في شهداء هذه المعركة (أن للشهيد منهم كفلين من الأجر) رواه عبد الرزاق، وانظر إلى غزوة بدر إنما فضلت على غيرها من الغزوات لأمرين:

١. كونها من أعظم الفتوح على المسلمين وقد أعز الله بها الإسلام وأهله، ولهذا سماه الله تعالى يوم الفرقان، قال ابن النحاس في المشارع: " غزوة بدر الكبرى وهي البطشة الكبرى التي أعز الله بها الإسلام وأهلك بها رؤوس الكفر " انتهى كلامه.

قال القرطبي في تفسيره: " وأفضل الجهاد يوم بدر، لأن بناء الإسلام كان عليه " انتهى كلامه.

قال الحافظ في الفتح: " وإنما امتاز أهل بدر بذلك، لكونها أول غزوة شهدها النبي ﷺ في قتال الكفار، وكانت مبدأ اشتهار الاسلام وقوة أهله، فكان لمن شهدها مثل أجر من شهد المغازي التي بعدها جميعا، فصارت لا يوازيها شيء في الفضل والله أعلم ".

وقال أيضا: " لأن من شهد بدرا وإن كان فاضلا بسبب أنها أول غزوة نصر فيها الإسلام " انتهى كلامه.

٢. كونها أول غزوة ومشهد شهده الرسول ﷺ وغزا بها المشركين وسبق بيانه.

وإذا كانت مجرد النكاية في الكفار مما تفضل به الشهادة، فكيف بالذي فيه إعزاز الدين وأهله وإذلال الشرك وأهله.

ولما كان يوم معركة نهاوند مع الفرس، وكان قائد جيش المسلمين النعمان بن مقرن رضي الله عنه، دعا الله قبل بداية المعركة – كما في رواية ابن حبان عن زياد بن جبير– (قال النعمان: اللهم إني أسألك أن تقر عيني اليوم بفتح يكون فيه عز الإسلام وأهله وذل الكفر وأهله، ثم اختم لي على إثر ذلك بالشهادة).

وقيل بل قال: (اللهم أعزز دينك، وانصر عبادك، واجعل النعمان أول شهيد اليوم على إعزاز دينك ونصر عبادك) فهو لم يخص الدعاء بالشهادة بالنصر وإعزاز الدين إلا أن له أثرا على الشهادة.

وقال أبو زرعة العراقي في طرح التثريب على حديث (**لوددت أني أقاتل في سبيل الله فأقتل**...)

" لم يتمن عليه الصلاة والسلام القتل إلا بعد المقاتلة ليكون منه عمل وإقامة للدين، وهو موافق لقوله تعالى: (يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون) " انتهى كلامه.

وهنا تعليق هام للشيخ أبي يحي الليبي على كلام العراقي ويهمّ طلاب الشهادة جدا فيقول رحمه الله في كتاب الأربعين في فضل الشهادة معلقا على كلام العراقي السابق " قلتُ: وهذا تنبيه لطيف ونكتةٌ بديعة يلزم التفطُّن لها، إذ ينبغي على المجاهد مع حرصه على الشهادة، واجتهاده في طلبها، والبحث عنها في مظانِّها، وترقُّبِ نيلها والفوز بها– أن يكون مجتهداً في الأعمال الصالحة مستكثراً منها مواظباً عليها، لا سيما القتال ومستلزماته ومكملاته من تدريبٍ وإعدادٍ ونحو ذلك؛ ليجمع بين الازدياد من الطاعة والخير بأعماله والترقِّي في دَرَجِ الرُّتَب العليَّة بنيته وقصده، وليكمُل بما يحصله من خبرةٍ وتجربةٍ

وممارسةٍ، فلا يكون حرصه على الشهادة، وشدة اشتياقه لها، واستعجاله في طلبها سبباً في قصور همته وفتورها، فكلّما دعي لعملٍ ينتفع وينفع به استثقله بدعوى أنه قريبٌ من الشهادة فما الفائدة مما يتعلمه أو يكتسبه أو يتفرّغ إليه ؟!، وهذا بلا شك ناتج عن قصورٍ في الفهم، وركودٍ في التصور، إذ ما من عملٍ صالحٍ يقوم به – ولو كان قبل الشهادة بلحظةٍ – إلا وجده، وما يدريه فلعله يكون سبباً في دخوله الفردوس الأعلى، فلا تعارض إذاً بين الاجتهاد في طلب الشهادة واستعجال الظفر بها وبين الاستمرار في اكتساب الأعمال الصالحة أياً كانت، فلا يَجْعل استعجاله لنيل الشهادة سبباً للزهد فيها (أي في الأعمال)، ولا يجعل اجتهاده في الأعمال الصالحة مانعاً من الجد في طلبها (أي طلب الشهادة) بل يجمع بين هذا وذاك حتى يمنَّ الله بها عليه وهو على أكمل حالٍ وأرضاه عملاً ونيةً، وما أجمل ما قاله الإمام ابن العربي المالكي- رحمه الله -: (وليس على العبد أن يطلب الشهادة بأن يستقتل مع الأعداء، ولا بأن يستسلم للحتوف، ولكنه يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا ويأخذ حذره، ويسأل الله الشهادة خالصا من قلبه، ويعطيه الله بعد ما سبق في علمه " أحكام القرآن " انتهى كلامه.

قال ابن أبي كامل: سمعت خيثمة بن سليمان يقول: ركبت البحر، وقصدت جبلة لأسمع من يوسف بن بحر، ثم خرجت إلى أنطاكية، فلقينا مركب – يعني للعدو – قال: فقاتلناهم، ثم سلم مركبنا قوم من مقدمه، قال: فأخذوني، ثم ضربوني، وكتبوا أسماءنا، فقالوا: ما اسمك ؟ قلت: خيثمة، فقالوا: اكتب حمار بن حمار، ولما ضربت سكرت ونمت، فرأيت كأني أنظر إلى الجنة، وعلى بابها جماعة من الحور العين، فقالت إحداهن: يا شقي، أيش فاتك ؟ فقالت أخرى: أيش فاته ؟ قالت: لو قتل لكان في الجنة مع الحور، قالت لها: لأن يرزقه الله الشهادة في عز من الإسلام وذل من الشرك خير له ثم انتبهت " ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء، وخيثمة هو خيثمة بن سليمان أحد العلماء المحدثين.

الثاني عشر: الإقدام:

قد قدمنا لك يا أخي الفرق بين الإقدام والإقبال، وأن الإقدام هو المضي في الحرب والتقدم إلى العدو، فهو أخص من الإقبال، وعكسه الإحجام.

والإقدام شاق على النفوس، إذ هو أمر زائد على مجرد الصبر والثبات الذي هو شاق على النفوس أيضا.

وللإقدام في القتال – إذا كان في موضعه – أهمية وضرورة، فإنه مما تحسم به المعارك وينتصر به على الأعداء، فكم من حملة حمل بها المقدمون على عدوهم، فقضّوا جموعهم وهزموهم، وكان سبب ذلك – بعد الصبر – الإقدام.

وهو من أسباب تفاضل الشهداء، والدليل عليه قوله ﷺ: (**أفضل الشهداء الذين يقاتلون في الصف الأول، فلا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا، أولئك يتلبطون في الغرف العلى من الجنة، يضحك إليهم ربك، فإذا ضحك ربك إلى عبد في موطن فلا حساب عليه**) رواه أحمد والطبراني عن نعيم بن هبار رضي الله عنه، وقال الهيثمي والبوصيري رجاله ثقات وصححه الألباني في صحيح الجامع، وصحح إسناده المناوي في التيسير.

فإنه قال: (**لا يلفتون وجوههم**) وفي رواية أبي يعلى (**لا يقلبون وجوههم**) وفي رواية (**إن يُلقوا في الصف**) فهم لما التقوا في الصف أقدموا ولم يقلبوا وجوههم، ومن زيادة إقدامهم وعدم خوفهم لم يلتفتوا حتى بوجوههم يمنة ولا يسرة إلى أن قتلوا.

وقد ذكر ابن النحاس هذا الحديث في باب فضل الانغماس.

وقد ورد في جعفر وزيد وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم أن جعفرا وزيدا أعلى من درجة ابن رواحة، لكونهما أقدما، وكان عند ابن رواحة بعض التردد، وإليك الأحاديث في ذلك:

قال ابن اسحاق في السيرة: وحدثني يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير عن أبيه عباد قال: حدثني أبي الذي أرضعني، وكان أحد بني مرة بن عوف، وكان في تلك الغزوة غزوة مؤتة قال: والله لكأني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء، ثم عقرها، ثم قاتل حتى قتل وهو يقول:

يا حبذا الجنة واقترابها ** طيبة وباردا شرابها

والروم روم قد دنا عذابها ** كافرة بعيدة أنسابها

علي إذا لاقيتها ضرابها

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير عن أبيه عباد قال: حدثني أبي الذي أرضعني، وكان أحد بني مرة بن عوف قال: فلما قتل جعفر أخذ عبدالله بن رواحة الراية، ثم تقدم بها وهو على فرسه، فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد، ثم قال:

أقسمت يا نفس لتنزلنه ** لتنزلن أو لتكرهنه

إن أجلب الناس وشدوا الرنه ** ما لي أراك تكرهين الجنة

قد طال ما قد كنت مطمئنة ** هل أنت إلا نطفة في شنه

وقال أيضا:

يا نفس إلا تقتلي تموتي ** هذا حمام الموت قد صليت

وما تمنيت فقد أعطيت ** إن تفعلي فعلهما هديت

يريد صاحبيه: زيدا وجعفرا، ثم نزل، فلما نزل أتاه ابن عم له بعرق من لحم، فقال: شد بهذا صلبك فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت، فأخذه من يده، ثم انتهس منه نهسة، ثم سمع الحطمة في ناحية الناس فقال: وأنت في الدنيا، ثم ألقاه من يده، ثم أخذ سيفه، فتقدم فقاتل حتى قتل.

قال ابن إسحاق: ولما أصيب القوم قال رسول الله ﷺ فيما بلغني: (**أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيدا، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيدا**) قال: ثم صمت رسول الله ﷺ حتى تغيرت وجوه الأنصار، وظنوا أنه قد كان في عبدالله بن رواحة بعض ما يكرهون ثم قال: (**ثم أخذها عبدالله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيدا**).

ثم قال: (**لقد رفعوا إلى الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب، فرأيت في سرير عبدالله بن رواحة ازورارا عن سريري صاحبيه، فقلت: عم هذا ؟ فقيل لي: مضيا وتردد عبدالله بعض التردد ثم مضى**) قال الهيثمي: "رواه الطبراني ورجاله ثقات "، وحسن إسناده الحافظ في الفتح، لكن الشاهد من القصة وآخرها رواه الطبراني متصل السند في سياق واحد، ورواه ابن إسحاق كما هو مذكور هنا بلاغا والله أعلم.

وروى عبد الرزاق عن ابن المسيب قال: قال رسول الله ﷺ: (**مثل لي جعفر وزيد وابن رواحة في خيمة من در، كل واحد منهم على سرير، فرأيت زيدا وابن رواحة في أعناقهما صدودا، ورأيت جعفرا مستقيما ليس فيه صدود، قال فسألت أو قيل لي: إنهما حين غشيهما الموت أعرضا، أو كأنهما صدا بوجوههما، وأما جعفر فإنه لم يفعل**) وهذا مرسل وفيه ضعف.

وقد روى ابن أبي عاصم في كتاب الجهاد عن أبي اليسر الأنصاري رضي الله عنه قال: كنت عند رسول الله ﷺ فأتاه أبو عامر فقال: يا نبي الله بعثتني في كذا وكذا فأتيت مؤتة، فلما صف القوم ركب جعفر فرسه فقال: من يبلغ هذا الفرس صاحبه ؟ فقال رجل: أنا، فبعث بها ثم نزع درعه فقال: من يبلغ هذا لصاحبها ؟ فقال رجل: أنا، فبعث بها، ثم تقدم فضرب بسيفه حتى قتل، فتحجرت عينه دموعا، فصلى بنا الظهر، ثم دخل فلم يكلمنا، ثم أقيمت الصلاة، ففعل ذلك وفعل ذلك في المغرب والعشاء، وكان إذا صلى أقبل علينا بوجهه، فخرج علينا قبل الفجر في ساعة كان يخرج فيها حتى جلس بيننا فقال: (**أحدثكم عن رؤيا رأيتها، دخلت الجنة فرأيت جعفرا ذا جناحين مضرجين بالدماء، وزيد مقابله وابن رواحة معهم كأنه معرض عنهم، وسأحدثكم: إن جعفرا لما تقدم لم يصرف وجهه، وزيد كذلك وابن رواحة صرف وجهه**).

وعن أبي قتادة، رضي الله عنه، قال: بعث رسول الله ﷺ جيشًا، واستعمل عليهم زيد بن حارثة فقال: (**إن أصيب زيد فجعفر، وإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة**) قال: فوثب جعفر فقال: يا رسول الله ما كنت لأرهب أن تستعمل علي زيدا، قال: (**امض، فإنك لا تدري أي ذلك خير**) فقال: فقام النبي ﷺ فخطب الناس فقال: (**ألا أخبركم عن جيشكم هذا الغازي، إنهم انطلقوا حتى لقوا العدو، فأصيب زيد شهيدًا فاستغفروا له، ثم أخذ اللواء جعفر فشد على القوم حتى قتل شهيداً، أشهد له بالشهادة فاستغفروا له، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة فأثبت قدميه حتى أصيب شهيدًا فاستغفروا له، ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد، ولم يكن من الأمراء**) رواه أبو بكر بن أبي شيبة والنسائي في الكبرى بسند رواته ثقات كما قال البوصيري.

فقال عن جعفر أنه شد على القوم وأقدم ولم يقل مثل ذلك عن ابن رواحة بل قال: (**فأثبت قدميه**).

وروى الواقدي عن محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله ﷺ قال: (**لما قتل زيد أخذ الراية جعفر بن أبي طالب، فجاءه الشيطان فحبب إليه الحياة وكره اليه الموت ومناه الدنيا،**

فقال الآن حين استحكم الإيمان في قلوب المؤمنين تمنيني الدنيا، ثم مضى قدما حتى استشهد، فصلى عليه رسول الله ﷺ وقال: استغفروا لأخيكم فإنه شهيد، دخل الجنة وهو يطير في الجنة بجناحين من ياقوت حيث يشاء من الجنة، ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فاستشهد، ثم دخل الجنة معترضا) فشق ذلك على الأنصار، فقيل يا رسول الله: ما اعتراضه ؟ قال: **(لما أصابته الجراح جعل يعاتب نفسه، فتشجع واستشهد، ودخل الجنة، فسري عن قومه)** وهذا السند فيه الواقدي.

فمن مجموع هذه الأحاديث وشهادة بعضها للبعض يتبين لك يا أخي أثر الإقدام على الشهادة.

وقد جاء في الحديث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(الشهداء أربعة: رجل مؤمن جيد الإيمان، لقي العدو فصدق الله حتى قتل، فذلك الذي يرفع الناس إليه أعينهم يوم القيامة هكذا، ورفع رأسه حتى وقعت قلنسوته – قال فما أدري أقلنسوة عمر أراد أم قلنسوة النبي ﷺ ؟- قال: ورجل مؤمن جيد الإيمان، لقي العدو، فكأنما ضرب جلده بشوط طلح من الجبن، أتاه سهم غرب فقتله، فهو في الدرجة الثانية، ورجل مؤمن خلط عملا صالحا وآخر سيئا، لقي العدو فصدق الله حتى قتل، فذلك في الدرجة الثالثة، ورجل مؤمن أسرف على نفسه، لقي العدو فصدق الله حتى قتل، فذلك في الدرجة الرابعة)** رواه الترمذي، ولكنه ضعيف، وقد حسن إسناده المناوي في التيسير والله أعلم.

وقد ورد في المنغمس في العدو – الذي هو من صور الإقدام – عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(عجب ربنا من رجل غزا في سبيل الله فانهزم – يعني أصحابه – فعلم ما عليه، فرجع حتى أهريق دمه، فيقول الله تعالى لملائكته: انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي، وشفقة مما عندي، حتى أهريق دمه)** رواه أبو داود والحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي، وصحح إسناده أحمد شاكر، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود.

وورد عند الطبراني في الكبير – بإسناد حسن كما قال ابن النحاس – عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(ثلاثة يحبهم الله ويضحك إليهم ويستبشر بهم، الذي إذا انكشفت فئة، قاتل وراءها بنفسه، فإما أن يقتل، وإما أن ينصره الله ويكفيه، فيقول انظروا إلى عبدي كيف صبر لي بنفسه...)**.

فانظر أن الله عجب منه وضحك أيضا في الرواية الأخرى وأنه يحبه، والسبب في ذلك – مع قلة المعين وانفراده – هو الإقدام.

وقد كان الصحابة السلف يحبون أن يتقدموا إلى العدو قدر الإمكان، حتى عند موتهم واستشهادهم ونزول المنية بهم وكثرة جراحهم.

فنقل ابن النحاس في المشارع عن ابن عساكر بإسناده عن أبي فوزة حدير الأسلمي قال: خرج بعث الصائفة، فاكتتب فيه كعب، فخرج البعث قال: فخرج في البعث وهو مريض فقال: لأن أموت بحرستا أحب ألي من أن أموت بدمشق، ولأن أموت بدومة أحب إلي من أن أموت بحرستا، هكذا قدما في سبيل الله عز وجل، قال: فمضى حتى إذا كان بحمص توفي بها، فدفناه هنالك بين زيتونات أرض حمص، ومضى البعث فلم يقفل حتى قتل عثمان رضي الله عنه.

قال ابن النحاس: "حرستا بفتح الحاء المهملة والراء جميعا وإسكان السين المهملة بعدها مثناة فوق غير ممدودة، قرية في غوطة دمشق، ودومة بضم الدال وإسكان الواو قرية ايضا أبعد منها بقليل.

وروى أيضا بإسناده عن عبد الله بن محيريز عن أبيه: (أنه كان في بعث الصائفة فمرض مرضا شديدا، فقال: يا بني احملني فسر بي إلى أرض الروم، قال: فحملته فلم أزل أسير به، وهو يقول: يا بني أسرع بي السير، قلت: يا أبت إنك شاك، قال: يا بني إني أحب أن يكون أجلي بأرض الروم، فما زلت أسير به حتى هلك بأرض حمص) وفي رواية قال: فلما مات همني من يصلي عليه فرأيت على جنازته صفوفا لا أعرفهم.

قال المؤلف عفا الله عنه: محيريز هذا هو ابن جنادة بن وهب الجمحي صحابي مشهور وابنه عبد الله من كبار أئمة التابعين.

وروى ابن المبارك عن مسعر قال: سمعت عون بن عبد الله يحدث أن رجلا مر عليه يوم القادسية وقد انتشر قصبه، فقال لبعض من مر عليه: ضم إلي منه لعلي أدنو في سبيل الله قيد رمح أو رمحين قال: فمر عليه وقد دنا قيد رمح أو رمحين.

وقال ابن الذهبي الحافظ: روى قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه قال: أتيت مصر، فرأيتهم قد قفلوا من غزوهم — يعني القسطنطينية – فأخبروني أنه لما كان عند انقضاء مغزاهم، بحيث يراهم العدو، احتضر أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه فقال: إذا قبضت، فلتركبوا الخيل ثم ألقوا العدو فيردونكم

حتى لا تجدوا متقدما، فاحفروا لي حينئذ قبرا ثم ادفنوني، ثم سووه ولتطأ الخيل والرجال عليه حتى لا يعرف.

وخرج ابن عساكر بإسناده عن سعيد بن عبد العزيز قال: توفي أبو مسلم الخولاني بأرض الروم بحمة بسر في خلافة معاوية، فقال لبسر بن أرطأة: أمرني على من مات معك من المسلمين، واعقد لي لواء عليهم، واجعل قبري أقصى القبور إلى العدو، فإني أرجو أن أجيء يوم القيامة بلوائهم " انتهى كلام ابن النحاس.

وينبغي أن يكون الإقدام في موضعه، وأن يكون هناك مصلحة في إقدامه للمسلمين، وإلا كان من إلقاء اليد في التهلكة، فينبغي التفريق بين الأمرين.

وأخيرا ما أجمل قول الشاعر:

وأقدمت إقدام الأبي كأن لي ** سوى مهجتي أو كان لي عندها وتر

الثالث عشر: إراقة الدم:

إراقة الدم لله أمر مقصود للشارع ومحبوب إليه، ولذا شرع الأضحية بإراقة الدم، وقد جاءت الاحاديث الكثيرة في الأضحية وفضلها، وإذا كان هذا جاء في الأضحية فكيف بمن أريق دمه في سبيل الله، فلا شك أنه أعظم عند الله وأحب إليه.

فعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **(ليس شيء أحب إلى الله من قطرتين وأثرين، قطرة من دموع في خشية الله، وقطرة دم تهراق في سبيل الله، وأما الأثران فأثر في سبيل الله، وأثر في فريضة من فرائض الله)** رواه الترمذي، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي.

وإراقة سبب في تفضيل الشهيد، فمن قتل بإراقة الدم أفضل ممن قتل بغير ذلك من خنق أو ضرب أو غير ذلك.

والدليل عليه ما جاء عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله ما الإسلام ؟ قال: **(أن يسلم قلبك لله عز وجل، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك)** قال: فأي الإسلام

أفضل ؟ قال: **(الإيمان)** قال: وما الإيمان ؟ قال: **(تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت)** قال: فأي الإيمان أفضل ؟ قال: **(الهجرة)** قال: فما الهجرة ؟ قال: **(تهجر السوء)** قال: فأي الهجرة أفضل ؟ قال: **(الجهاد)** قال: وما الجهاد ؟ قال: **(أن تقاتل الكفار إذا لقيتهم)** قال: فأي الجهاد أفضل ؟ قال: **(من عقر جواده وأهريق دمه)** قال رسول الله ﷺ: **(ثم عملان هما أفضل الأعمال إلا من عمل بمثلهما، حجة مبرورة أو عمرة)** رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح كما قاله ابن النحاس.

وعن عبد الله بن حبشي الخثعمي رضي الله عنه أن النبي ﷺ سئل: أي الأعمال أفضل ؟ قال: **(طول القيام)** قيل: فأى الصدقة أفضل ؟ قال: **(جهد المقل)** قيل: فأى الهجرة أفضل ؟ قال: **(من هجر ما حرم الله عليه)** قيل: فأى الجهاد أفضل ؟ قال: **(من جاهد المشركين بماله ونفسه)** قيل: فأى القتل أشرف ؟ قال: **(من أهريق دمه وعقر جواده)** رواه أبو داود، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

وروى البيهقي في السنن عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي ﷺ ناداه رجل فقال: يا رسول الله أي الشهداء أفضل ؟ قال: **(أن يعقر جوادك ويهراق دمك)**.

فذكر أن أفضل الجهاد وأشرف القتل وأفضل الشهادة: أن يهراق دمك ودم فرسك لله تعالى.

قال المناوي في الفيض في معنى عقر الجواد: " أي تعرضه بالمبالغة عليه في القتال، لأن يجرحه العدو عدة جراحات، وتضرب قوائمه بالسيف، ففي الصحاح عقره جرحه، وعقر الفرس بالسيف فانعقر أي ضرب قوائمه فهو عقير" انتهى كلامه.

وأيضا فإن من قتل بإراقة الدم يأتي يوم القيامة وجرحه يثعب دما اللون لون دم والريح ريح مسك.

كما قال ﷺ في حديث أبي هريرة عند مسلم: **(والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كلم، لونه لون دم وريحه مسك)**.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي – ﷺ – قال: **(لا يكلم أحد في سبيل الله – والله أعلم بمن يكلم في سبيله – إلا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب دما، اللون لون دم والريح ريح المسك)** رواه النسائي، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

وهذا تشريف عظيم له عند الخلق، ولهذا لا يغسل الشهيد إبقاء لهذا الأثر الذي يحبه الله.

الرابع عشر: الخروج بالمال والنفس في سبيل الله:

أمر الله تعالى بجهاد الكفار بالمال والنفس في غير ما آية في كتابه فقال: ﴿ **وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ **التوبة**.

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: (**جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم**) رواه أبو داود والنسائي والحاكم، وقال صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

بل وقدم الله تعالى الجهاد بالمال على النفس في أكثر الآيات لأهميته ومكانته، فلا يمكن أن يجاهد بالنفس دون المال كما أنه لا يمكن أن يجاهد بالمال دون النفس، فالأمران متلازمان، فبدون المال والسلاح بماذا يجاهد العدو ؟

قال شيخ الإسلام في المجموع: " فالجهاد بالمال مقرون بالجهاد بالنفس، قد ذكره الله تعالى قبله، وفي غير موضع، لعظم منزلته وثمرته " انتهى كلامه.

وقال ابن القيم في الزاد: " فإن الأمر بالجهاد بالمال شقيقُ الأمر بالجهاد بالنفس فى القرآن وقرينُه، بل جاء مقدَّما على الجهاد بالنفس فى كلّ موضع، إلا موضعاً واحداً، وهذا يدل على أن الجهاد به أهم وآكد من الجهاد بالنفس، ولا ريب أنه أحد الجهادين" انتهى كلامه.

وقال القرطبي في تفسيره: " (**بأموالكم وأنفسكم**) روى أبو داود عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: (**جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم**) وهذا وصف لأكمل ما يكون من الجهاد وأنفعه عند الله تعالى، فحض على كمال الأوصاف، وقدم الأموال في الذكر إذ هي أول مصرف وقت التجهيز، فرتب الأمر كما هو نفسه " انتهى كلامه.

والأدلة على فضل الإنفاق في سبيل الله كثيرة جدا سواء من الكتاب والسنة.

قال ابن النحاس في المشارع: " الإنفاق في سبيل اللّه على نفسه ودابته وعلى غيره من الغزاة في ثمن سلاح وعدة ومركوب، أو ما يحتاجون إليه من قوتهم ونفقة عيالهم في مدة غزوهم، ونحو ذلك، هو من أعلى الطاعات، وأعظم القربات، وأجل الصدقات، ولا يجتهد الشيطان في منع شيء من الإنفاق،

كاجتهاده في منع النفقة في سبيل اللّه تعالى، لما يعلم فيها من عظيم الأجر، وجزيل الثواب، ونيل الدرجات العلا في إخراجها، والوزر العظيم في البخل بها " انتهى كلامه.

وتنوع التضحيات بالمحبوبات لله تعالى أمر محبوب إلى الله تعالى، لأن التضحية بالمحبوبات من علامات صدق المحبة، والنفس والحياة أغلى ما يملك الإنسان، فمن ضحى بها فهو في درجة عالية، وكذا المال محبوب إلى النفوس، وقد قال تعالى: ﴿ **لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ ومن أنفق محبوبين أعظم أجرا ممن أنفق محبوبا واحدا، ومن ضحى بالمال مع النفس فهو في أعلى الدرجات، فمن ضحى بماله مع نفسه أعلى درجة وأحب إلى الله ممن ضحى بنفسه فقط، فهو من أسباب تفاضل الشهداء، ومن الأدلة على ذلك أيضا:

١. عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله ما الإسلام ؟ قال: (**أن يسلم قلبك لله عز وجل وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك**) قال: فأي الإسلام أفضل ؟ قال: (**الإيمان**) قال: وما الإيمان ؟ قال (**تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت**) قال: فأي الإيمان أفضل ؟ قال: (**الهجرة**) قال: فما الهجرة ؟ قال: (**تهجر السوء**) قال: فأي الهجرة أفضل ؟ قال: (**الجهاد**) قال: وما الجهاد ؟ قال: (**أن تقاتل الكفار إذا لقيتهم**) قال: فأي الجهاد أفضل ؟ قال: (**من عقر جواده وأهريق دمه) قال رسول الله ﷺ**: (**ثم عملان هما أفضل الأعمال إلا من عمل بمثلهما، حجة مبرورة أو عمرة**) رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح كما قاله ابن النحاس.

وعن عبد الله بن حبشي الخثعمي أن النبي ﷺ سئل: أي الأعمال أفضل ؟ قال: (**طول القيام**) قيل: فأي الصدقة أفضل ؟ قال: (**جهد المقل**) قيل: فأي الهجرة أفضل ؟ قال: (**من هجر ما حرم الله عليه**) قيل: فأي الجهاد أفضل ؟ قال: (**من جاهد المشركين بماله ونفسه**) **قيل: فأي القتل أشرف ؟ قال:** (**من أهريق دمه وعقر جواده**) رواه أبو داود، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

وروى البيهقي في السنن عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ ناداه رجل فقال: يا رسول الله أي الشهداء أفضل ؟ قال: (**أن يعقر جوادك ويهراق دمك**).

فبين أن أفضل الجهاد من جاهد بماله ونفسه، وأن أفضل الشهادة هو أن تفني مالك – ومن ذلك الفرس – ويهراق دمك، أي تزهق روحك في سبيل الله، وهذا من أصرح الأدلة على المراد، قال

المباركفوري في مرعاة المفاتيح: " وإنما كان الجهاد أفضل الجهاد، لجمعه بين الإنفاق في سبيل الله، والشهادة في مرضاة الله " انتهى كلامه.

٢. عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: (**ما العمل في أيام أفضل منها في هذا العشر**) قالوا: ولا الجهاد ؟ قال: (**ولا الجهاد، إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشئ**) رواه البخاري، وفي رواية أبي عوانة والطبراني (**إلا من عقر جواده وأهريق دمه**) فهي مفسرة للرواية الأولى، فاشترط خروجه بماله ونفسه وأن لا يرجع من ذلك بشيء، حتى لا يفضله أي عمل صالح آخر.

٣. عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رجلا جاء إلى الصلاة ورسول الله ﷺ يصلي، فقال حين انتهى إلى الصف: اللهم آتني أفضل ما تؤتي عبادك الصالحين قال: فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة، قال: (**من المتكلم آنفا ؟**) قال الرجل: أنا يا رسول الله، قال: (**إذا يعقر جوادك، وتستشهد في سبيل الله**) رواه أبو يعلى والبزار والحاكم، وقال صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي وأحد إسنادي البزار رجاله رجال الصحيح خلا محمد بن مسلم بن عائذ وهو ثقة.

فهذا أفضل شيء.

٤. وعن عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**القتلى ثلاثة: رجل مؤمن، جاهد بنفسه وماله في سبيل الله، حتى إذا لقي العدو قاتلهم حتى يقتل، فذلك الشهيد الممتحن، في خيمة الله تحت عرشه، لا يفضله النبيون إلا بفضل درجة النبوة، ورجل فرق على نفسه من الذنوب والخطايا، جاهد بنفسه وماله في سبيل الله، حتى إذا لقي العدو قاتل حتى يقتل، فتلك ممصمصة محت ذنوبه وخطاياه، إن السيف محاء للخطايا، وأدخل من أي أبواب الجنة شاء، فإن لها ثمانية أبواب، ولجهنم سبعة أبواب، وبعضها أفضل من بعض، ورجل منافق جاهد بنفسه وماله، حتى إذا لقي العدو قاتل في سبيل الله عز وجل حتى يقتل، فذلك في النار، إن السيف لا يمحو النفاق**) رواه أحمد والطبراني بإسناد جيد كما قال المنذري وابن النحاس، وقال الهيثمي: " ورجال أحمد رجال الصحيح خلا المثنى الاملوكي وهو ثقة "، فوصفه بكونه خرج بنفسه وماله.

ومما يستأنس به هنا ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (وعدنا رسول الله ﷺ غزوة الهند، فإن أدركتها أنفق فيها نفسي ومالي، فإن أقتل كنت من أفضل الشهداء، وإن أرجع فأنا أبو هريرة المحرر) رواه النسائي، وضعفه الألباني في ضعيف النسائي.

ولما أراد النبي ﷺ أن يهاجر، عرض عليه أبو بكر صاحبه راحلته هبة، فأبى أن يقبلها إلا بثمنها.

قال الحافظ في الفتح: " ونقل السهيلي في الروض عن بعض شيوخ المغرب أنه سئل عن امتناعه من أخذ الراحلة مع أن أبا بكر أنفق عليه ماله فقال " أحب أن لا تكون هجرته إلا من مال نفسه " انتهى كلامه.

وإذا كان هذا في الهجرة فالجهاد أعظم منه لورود الأحاديث السابقة فيه.

ومما يدل على زيادة الأجر بالنفقة، وأنه مما يفاضل به الأعمال، حديث عائشة في عمرتها في البخاري قال النبي ﷺ: **(ولكنها على قدر نفقتك أو نصبك)** أي أجر العمرة.

والخروج بالمال لا يلزم منه الخروج بجميع المال وجميع ما يملكه الشخص حتى يثبت لصاحبه الفضل، بل يكفيه أن يخرج ببعض ماله من السلاح والمركوب والزاد وعدة الحرب والنفقة ونحو ذلك.

والدليل عليه حديث ابن عباس السابق، فإنه فسر الخروج بالمال في بعض الروايات الأخرى بعقر الفرس وهذا بعض المال.

قال المناوي على حديث **(جاهدوا المشركين)** في الفيض: " **(أموالكم)** أي في كل ما يحتاجه المسافر من سلاح ودواب وزاد " انتهى كلامه.

لكن لا شك أنه كلما ازداد الشخص من الإنفاق في سبيل الله، سواء على نفسه أو إخوانه المجاهدين كان أعظم لأجره وأفضل.

ولكي يحوز الشخص هذا الفضل لا بد مع خروجه بماله ونفسه ألا يرجع من ذلك بشيء.

وهذا الفضل فيمن خرج بماله ونفسه، فكيف بمن خرج بماله ونفسه وأهله وأولاده ولم يرجع من ذلك بشيء، فلا شك أنه من أعظم الخلق أجرا وأرفعهم منزلة ودرجة.

وقد كان كثير من المجاهدين يحرص على هذه المسألة، فلا يخرج إلا بماله، ومن الأمثلة الرائعة على ذلك ما ذكره ابن هذيل في تحفة الأنفس عن علي بكار قال: " نفق عندي عشرون ومائة فرس ما منها فرس إلا اشتريته بمالي " انتهى كلامه.

وقال الحافظ في الدرر الكامنة عن محمد بن أحمد الأندلسي: " كانت له عدة كاملة من السلاح والخيل أعدها للغزاة من ماله " انتهى كلامه.

وروى ابن المبارك عن ابن أبي عتبة الكندي قال: كنا نختلف إلى نوف البكالي إذ أتاه رجل وأنا عنده، فقال: يا أبا يزيد رأيت لك رؤيا، فقال: اقصصها، فقال: رأيت أنك تسوق جيشا، ومعك رمح طويل في سنانه شمعة تضئ للناس، فقال: نوف لئن صدقت رؤياك لأستشهدن، فلم يكن إلا أن خرجت البعوث مع محمد بن مروان على الصائفة، فلما حضر خروجه ذهبت أودعه، فلما وضع رجله في الركاب، فقال: اللهم أرمل المرأة وأيتم الولد وأكرم نوفا بالشهادة، قال: فغزوا فلما انصرفوا، فكانوا بقباقب خرج العدو على السرج، فكان أول من ركب فلما رآهم شد عليهم فقتل رجل ثم رجل ثم قتل، فقال بعض من معه: فانتهينا إليه وقد اختلط دمه بدم فرسه قتيلين ".

الخامس عشر: النكاية في الأعداء:

النكاية هي المبالغة والإكثار في الأعداء بالقتل والجراح.

والنكاية في الكفار والإثخان فيهم من مقاصد الجهاد، وهو مقصود للشارع ومحبوب إليه قال تعالى: ﴿ **وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ** ﴾ **التوبة.**

قال تعالى: ﴿ **فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ**﴾ **محمد.**

وقال تعالى: ﴿ **فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ**﴾ **التوبة.**

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: (**إذا جاء الرجل يعود مريضا فليقل: اللهم اشف عبدك ينكأ لك عدوا أو يمشى لك إلى جنازة**) رواه أبو داود والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**لا يجتمع في النار كافر وقاتله أبدا**) رواه مسلم وأبو داود.

وعن أبي نجيح السلمي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**من بلغ بسهم في سبيل الله فهو له درجة في الجنة، فبلغت يومئذ ستة عشر سهما**) رواه النسائي، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

فإذا كان هذا فيمن بلغ بسهم في سبيل الله، فكيف بمن بالغ في الإثخان فيهم والقتل والجراح، فلا شك أنه أعظم أجرا.

فكلما ازداد الشخص من النكاية كلما كان ذلك أعظم لأجره وأفضل.

والنكاية في الأعداء سبب في تفضيل الشهادة، فمن استشهد مع نكاية في الكفار أفضل ممن استشهد بلا نكاية فيهم، والدليل هو ما جاء عن أبي برزة رضي الله عنه (أن النبي ﷺ كان في مغزى له، فأفاء الله عليه، فقال لأصحابه (**هل تفقدون من أحد ؟**) قالوا: نعم فلانا وفلانا وفلانا، ثم قال: (**هل تفقدون من أحد ؟**) قالوا: نعم فلانا وفلانا وفلانا، ثم قال: (**هل تفقدون من أحد ؟**) قالوا: لا، قال: (**لكني أفقد جليبيبا فاطلبوه**) فطلب في القتلى فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه، فأتى النبي ﷺ فوقف عليه، فقال: (**قتل سبعة ثم قتلوه، هذا مني وأنا منه، هذا مني وأنا منه**) قال: فوضعه على ساعديه، ليس له إلا ساعدا النبي ﷺ، قال: فحفر له ووضع في قبره، ولم يذكر غسلا) رواه مسلم.

فهذا جليبيب مع أنه استشهد نكى في الكفار، فقتل سبعة منهم، فقال ﷺ: (**هذا مني وأنا منه**) ومعنى ذلك كما قال النووي في المنهاج: " معناه المبالغة في اتحاد طريقتهما واتفاقهما في طاعة الله " انتهى كلامه.

والرسول ﷺ بنى الفضل على مجموع الأمرين الاستشهاد والنكاية في الأعداء، فهذا يدل على فضل الشهادة مع النكاية في العدو.

ومن النكايات التي وقعت في التاريخ الإسلامي ما ذكره الذهبي في السير: " قال عثمان بن أبي العاتكة: رمى العدو الناس بالنفط، فقال معاوية: أما إذ فعلوها، فافعلوا، فكانوا يترامون بها، فتهيأ رومي لرمي سفينة أبي الغادية في طنجير، فرماه أبو الغادية بسهم، فقتله وخر الطنحير في سفينتهم، فاحترقت بأهلها، كانوا ثلاث مئة، فكان يقال: رمية سهم أبي الغادية، قتلت ثلاث مئة نفس" انتهى، والطنجير قدر نحاسي.

وروى ابن أبي شيبة عن سلمان بن ربيعة: قتلت بسيفي هذا مائة مستلئم كلهم يعبد غير الله، ما قتلت منهم رجلا صبرا.

وذكر الذهبي عن أحمد السرماري قال وقد أخرج سيفه:" أعلم يقينا أني قتلت به ألف تركي، وإن عشت قتلت به ألفا أخرى، ولولا خوفي أن يكون بدعة لأمرت أن يدفن معي " انتهى.

ومن أعظم النكايات التي وقعت في التاريخ الإسلامي، سواء التاريخ الماضي أو المعاصر عملية ١١ سبتمبر العظيمة، فالمنفذون عددهم تسعة عشر رجلا فقط، وأما الخسائر المادية والبشرية، فلا تحصر، ولا زالت مستمرة إلى يومنا هذا.

السادس عشر: تفاضل النيات وما في القلوب:

الأعمال تتفاضل عند الله تعالى بتفاضل النيات والإخلاص وما يكون في القلب من أعمال حال القيام بالعمل، فإن الرجلان قد يعملان عملا صورته واحدة ويكون ما بينهما من التفاضل كما بين السماء والأرض، فرجل يصلي وقد استحضر عظمة الله ومراقبته وخشع له بقلبه ورق له ليس كمن يصلي وما في قلبه شيء من ذلك.

وأقوال العلماء في ذلك كثيرة فمن ذلك: قال المناوي في الفيض: " الأعمال عند الله تتفاضل بتفاضل ما في القلوب لا بكثرتها وصورتها " انتهى كلامه.

وقال شيخ الإسلام في المجموع: " والأعمال تفضل بنيات أصحابها وطاعتهم لله وما في قلوبهم من الإيمان بطاعتهم لله " انتهى كلامه.

وقد قدمنا مراتب النيات في الجهاد، وأنها تتفاضل، فمن جاهد بأعلى النيات واستشهد ليس كمن قاتل بنية دونها وقتل، فإن الأول أعظم درجة منه وأفضل، فمن قاتل محبة لله تعالى وشوقا إليه أعلى درجة ممن قاتل طلبا للجنة فقط.

قال ابن النحاس: " وإنما تفاوتت منازل أرواحهم – أي الشهداء – لتفاوت رتب إخلاصهم وسماحة أنفسهم بأنفسهم، وما كانوا عليه قبل حصول الشهادة من رتب الإسلام والإيمان والإحسان " انتهى كلامه.

وقال حافظ الحكمي: " أن شهداء المعركة الذين يقتلون في معركة الكفار ليسوا سواء، بل يتفاوتون بتفاوت نياتهم وما في قلوبهم، وذلك معلوم من الدين بالضرورة " انتهى كلامه من المعارج.

السابع عشر: شدة الحاجة وقلة الأعوان:

عندما بدأ الإسلام بدأ غريبا، منبوذا أهله بين المشركين، وأهله قليلون مسامون سوء العذاب والابتلاءات، ومشردون ومطاردون ومستضعفون، قليل مناصرهم ومعاونهم والواقف معهم، فمن آمن في ذلك الوقت – ولا يؤمن حينئذ إلا الصديقون – ليس كمن آمن من بعد قوة الإسلام وأهله وكثرة الأعوان والأنصار وانتشار الفتوحات وكثرة الأموال، ومن جاهد في ذلك الوقت ليس كمن جاهد من بعده، وكذا من أنفق، وذلك لشدة الحاجة إليهم وضعف المسلمين وغربتهم وقلة أعوانهم، وكون الإيمان والعمل في ذلك الوقت يحتاج إلى صبر أكبر، والإسلام في ذلك الوقت يحتاج إلى تضحيات، وقليل هم المضحون.

والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ **لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى**﴾ **الحديد.**

وقد ورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **(لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)** رواه البخاري.

قال الحافظ في الفتح: " قال البيضاوي معنى الحديث لا ينال أحدكم بإنفاق مثل أحد ذهبا من الفضل والأجر ما ينال أحدهم بإنفاق مد طعام أو نصيفه وسبب التفاوت ما يقارن الأفضل من مزيد

الإخلاص وصدق النية، قلت: وأعظم من ذلك في سبب الأفضلية عظم موقع ذلك لشدة الاحتياج إليه، وأشار بالأفضلية بسبب الإنفاق إلى الأفضلية بسبب القتال، كما وقع في الآية (من أنفق من قبل الفتح وقاتل) فإن فيها إشارة إلى موقع السبب الذي ذكرته، وذلك أن الإنفاق والقتال كان قبل فتح مكة عظيما، لشدة الحاجة إليه وقلة المعتني به، بخلاف ما وقع بعد ذلك، لأن المسلمين كثروا بعد الفتح ودخل الناس في دين الله أفواجا، فإنه لا يقع ذلك الموقع المتقدم والله أعلم " انتهى كلامه.

وقال عبد الرحمن بن حسن في الدرر السنية: " وأما القائم به – أي الجهاد – فكلما قلت أعوانه وأنصاره صار أعظم لأجره، كما دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع" انتهى كلامه.

وقد ورد أيضا عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **(إن من ورائكم زمان صبر للمتمسك فيه أجر خمسين شهيدا)** فقال عمر: يا رسول الله منا أو منهم ؟ قال: **(منكم)** رواه الطبراني في الكبير والبزار، قال الهيثمي:" ورجال البزار رجال الصحيح غير سهل بن عامر البجلي وثقه ابن حبان " وقد صححه الألباني في صحيح الجامع.

والسبب في كونه تضاعف له الأجور هو قلة الأعوان، قال ابن القيم في النونية في كلامه على هذا الحديث:

فالحائز الخمسين أجرا لم يحز *** ها في جميع شرائع الإيمان

هل حازها في بدر أو أحد أو الـ *** فتح المبين وبيعة الرضوان

بل حازها إذ كان قد فقد المعـ *** ـين وهم فقد كانوا أولي أعوان

والرب ليس يضيع ما يتحمل *** المتحملون لأجله من شان

فتحمل العبد الوحيد رضاه مع *** فيض العدو وقلة الأعوان

مما يدل على يقين صادق *** ومحبة وحقيقة العرفان

يكفيه ذلا واغترابا قلة الأ *** نصار بين عساكر الشيطان

في كل يوم فرقة تغزوه إن *** ترجع يوافيه الفريق الثاني

فسل الغريم المستضام عن الذي *** يلقاه بين عدا بلا حسبان

هذا وقد بعد المدى وتطاول الـ *** عهد الذي هو موجب الإحسان

ولذاك كان كقابض جمرا فسل *** أحشاءه عن حرّ ذي النيران

وهذا يدل على أن قلة الأعوان مما تضاعف به الأجور وتتفاضل بها الأعمال، وإذا كان العمل في ذلك الوقت يضاعف ويكون صاحبه أفضل درجة وخصوصا الجهاد، فإنه نص عليه في الآية المتقدمة فقال: ﴿ **لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا**﴾ **الحديد**، فكذا الشهادة في سبيل الله في ذلك الوقت أفضل من الشهادة بعده فإن الشهادة من الجهاد، فهو سبب لتفاضل الشهداء عند الله تعالى وسيعود الإسلام كما بدأ غريبا فطوبى للغرباء.

❖ مسألة: هل يؤثر القاتل وصفته في تفاضل الشهداء ؟

ورد عن ثابت بن قيس: جاءت إمرأة إلى النبي ﷺ يقال لها أم خلاد وهي منتقبة تسأل عن ابنها وهو مقتول، فقال لها بعض أصحاب النبي ﷺ: جئت تسألين عن ابنك وأنت منتقبة ؟ فقالت: إن أرزأ ابني فلن أرزأ حيائي، فقال رسول الله ﷺ: (**ابنك له أجر شهيدين**) قالت: ولم ذاك يارسول الله ؟ قال: (**لأنه قتله أهل الكتاب**) رواه أبو داود، ولكن ضعفه الألباني في ضعيف أبي داود.

وقد كان السلف يحرصون على قتال أهل الكتاب دون غيرهم من المشركين لكونهم يقاتلون عن دين بخلاف غيرهم الذين قد يقاتلون دفاعا فقط وعن دنيا فقط، لكون الأولين أشد.

قال شيخ الإسلام في المجموع: " فلذلك كان صالحوا المؤمنين يرابطون في الثغور، مثل ما كان الأوزاعي، وأبو إسحاق الفزاري، ومخلد بن الحسين، وإبراهيم بن أدهم، وعبد الله بن المبارك، وحذيفة المرعشي، ويوسف بن أسباط، وغيرهم، يرابطون بالثغور الشامية، ومنهم من كان يجيء من خراسان والعراق وغيرهما للرباط في الثغور الشامية؛ لأن أهل الشام هم الذين كانوا يقاتلون النصارى أهل الكتاب، وفي السنن عن النبي ﷺ أنه قال: (من قتله أهل الكتاب فله أجر شهيدين) وذلك لأن هؤلاء يقاتلون على دين، وأما الكفار الترك ونحوهم فلا يقاتلون على دين، فإذا غلبوا أولئك أفسدوا الدين والملك، وأما الترك فيفسدون الملك وما يتبع ذلك من الدين، ولا يقاتلون على الدين.

ولهذا كثر ذكر [طرسوس] في كتب العلم والفقه المصنفة في ذلك الوقت، لأنها كانت ثغر المسلمين، حتى كان يقصدها أحمد بن حنبل، والسري السقطي؛ وغيرهما من العلماء والمشائخ للرباط، وتوفي المأمون قريبا منها " انتهى كلامه.

وقد ورد أن عبد الله بن جحش رضي الله عنه دعا فقال: (اللهم ارزقني رجلا شديدا حرده، شديدا بأسه، أقاتله فيك ويقاتلني...) رواه الطبراني والحاكم، وقال صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي.

ومعنى شديدا حرده: أي غضبه وغيظه.

وكذا دعا ابن رواحة فقال يوم مؤتة:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة ** وضربة ذات فزع تقذف الزبدا

أو طعنةً بيديْ حرانَ مجهزة * بحربة تنفذ الأحشاءَ والكبدا

حتى يقولوا إذا مروا على جدثي * أرشده الله من غاز وقد رشدا

رواه الطبراني عن عروة مرسلا.

ومعنى بيدي حران: أي محترق القلب من الغيظ.

ومعنى جدثي: أي قبري.

فلو لم يكن في ذلك فضل لما دعوا به، ولا شك أن الرجل الشديد القوي الشجاع في القتال قتاله أخطر وأشق على النفس من قتال الجبان، فيمكن أن يدخل ذلك في المخاطرة السابق ذكرها.

أما ما ورد عن عمر رضي الله عنه أنه دعا أن لا يجعل قتله بيد رجل مسلم صلى لله سجدة كما في الموطأ، فقد قال شيخ الإسلام في منهاج السنة النبوية: " وما فعله أبو لؤلؤة كرامة في حق عمر رضي الله عنه وهو أعظم مما فعله ابن ملجم بعلي رضي الله عنه، وما فعله قتلة الحسين رضي الله عنه به، فإن أبا لؤلؤة كافر قتل عمر كما يقتل الكافر المؤمن، وهذه الشهادة أعظم من شهادة من يقتله مسلم فإن قتيل الكافر أعظم درجة من قتيل المسلمين " انتهى كلامه، وهذا يفيد تفضيل قتيل الكفار على قتيل المسلمين.

وقال ابن عبد البر في الاستذكار أن مقصود عمر رضي الله عنه بذلك لأجل المخاصمة والمحاجة عند الله، بأن لا يكون للقاتل حجة عند الله بكونه مسلما، فيخفف عنه العذاب ولا يخلد في جهنم، كما هو مذكور في نفس الأثر حيث قال: " اللهم لا تجعل قتلي بيد رجل صلى لك سجدة واحدة يحاجني بها عندك يوم القيامة ".

انتهت أسباب التفاضل، وأصحاب هؤلاء الأسباب يتفاضلون أيضا وليسوا على درجة واحدة، فبعضهم أفضل من بعض، ويمكن للشخص أن يجمع أكثر من سبب في شهادته، فتجد مثلا القتال في الصف والإقدام والجهاد بالنفس والمال وإفناء الجسد وكمال الإيمان وترك المعاصي وشرف الزمان والمكان والمخاطرة وغير ذلك يمكن أن تجتمع في آن واحد جميعا ويجمعها الشخص نفسه في شهادته.

وهذه الأسباب توفيق من الله واصطفاء داخل اصطفاء، فقد لا تسمح الظروف للشخص أن يحرز واحد منها فضلا عن أن يجمعها.

من الهمم العالية أن يطلب الشخص الشهادة، فعلو الشهادة أمر ظاهر معروف، وهناك أناس علت هممهم، لا أقول عند الثريا بل حتى بلغت الفردوس الأعلى، فلم يكتفوا بطلب الشهادة فقط حتى علت هممهم أعلى وأعلى فطلبوا أعلى منازل الشهداء وأعلى أنواع الشهادة، فلله درهم ما أبعد هممهم وأعلى مناطها، فبحثوا في أسباب التفاضل بين الشهداء وطبقوها على أنفسهم، وبعضهم علت هممهم أيضا في نفس الأسباب فأبى إلا أن يجمع أكثر الأسباب ما استطاع إلى ذلك سبيلا، فذاك الذي بلغ الذروة العليا في الفضل وقارب الأنبياء في الدرجات والعلو، وذاك الذي لا يجارى في فضله ومنزلته.

إذا غامرت في شرف مروم ** فلا تقنع بما دون النجوم

فطعم الموت في أمر حقير ** كطعم الموت في أمر عظيم

* * *

۞ الباب السابع: بم تنال الشهادة ؟

تمهيد:

كما تفرد الله بالخلق كذلك تفرد بالاختيار، كما قال تعالى: ﴿ **وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ**﴾ **القصص**، والمراد بالاختيار هنا الاصطفاء والاجتباء كما ذكر ابن القيم.

فبعد أن خلق الله الخلق، اختار من خلقه واصطفى، فخلق السموات سبعا، واختار منها العليا واختصها بالقرب من كرسيه وعرشه، وجعلها مستقر المقربين من ملائكته، فلها فضل ومزية على سائر السموات.

وخلق الجنة درجات، واختار منها الفردوس الأعلى، فكان أفضل الجنة وأقربها إلى الله تعالى.

وخلق الملائكة، واختار منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل على سائر الملائكة، وقربهم إليه.

وخلق الأرض، واختار منها مكة والمدينة، وفضلها على سائر الأرض.

وخلق الشهور والأعوام، واختار منها رمضان، ففضله على سائر شهور السنة.

وخلق بني آدم، واختار منهم الرسل والأنبياء، ففضلهم على سائر بني آدم، واختار من بني آدم المسلمون، وفضلهم على سائر أجناسهم.

والله عز وجل لا يختار إلا الشريف الطيب من الذوات والأشياء، واختيار الله تعالى مبني على الحكمة، فهو الحكيم في خلقه وفي اختياره.

قال ابن القيم في الزاد: " والمقصود أن الله تعالى اختار من كل جنس من أجناس المخلوقات أطيبه، واختصه لنفسه وارتضاه دون غيره، فإنه تعالى طيب لا يحب إلا طيبا، ولا يقبل من العمل والكلام والصدقة إلا الطيب، فالطيب من كل شيء هو مختاره " انتهى كلامه.

والشهادة في سبيل الله منزلة عظيمة ومرتبة عالية، وهي من أقرب المنازل إلى الله وأعلاها درجة، فلا يوفق لها أي شخص، بل هي محض اصطفاء واختيار من الله تعالى لمن شاء من بني آدم، فالله يخلق ما يشاء ويختار.

ولئن كان الإسلام اصطفاء واختيار من الله لمن شاء من بني آدم، فليس كل شخص يهدى إليه ويوفق له، فلأن تكون الشهادة التي هي أخص من الإسلام اصطفاء واختيارا من باب أولى.

فكم اجتهد في تحصيلها المجاهدون، ورام وصالها العاشقون، وتعب في البحث عنها المحبون، ولم يفز بها إلا الموفقون.

الطالبون لها كثير، والخاطبون لها جم غفير، والظافرون بها يسير، فهي كالحسناء الجميلة الطيبة، لا تقبل بأي أحد ولا يظفر بها أي أحد.

قال الشيخ عبد الله عزام رحمه الله تعالى في كتاب عشاق الحور: " إن الشهادة درجة عالية لا يهبها الله إلا لمن يستحقها، إنها اختيار من العلي الأعلى للصفوة من البشر ليعيشوا مع الملأ الأعلى (ويتخذ منكم شهداء) إنها اختيار واتخاذ واصطفاء للأفذاذ من البشر ليكونوا في صحبة الأنبياء (**وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**) " انتهى كلامه.

وقال أيضا: " وإني لأرى من خلال الشهداء الذين يتساقطون على دروب المجد مصداق الآية الكريمة (**وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ**) فالشهادة اختيار واصطفاء واتخاذ واجتباء، والموت لا يتعلق بخطر، والسلامة لا ترتبط بحذر، إنما هو اختيار رب العالمين لصفوة عباده المخلصين " انتهى كلامه.

وقال في كتاب التربية الجهادية والبناء مخاطبا مجموعة من المجاهدين الذين وصلوا إلى أرض الجهاد:"فأنتم يا أيها الإخوة.. الله عز وجل منّ عليكم ووصلتم وهذا اختيار من رب العالمين فحافظوا عليه، حافظوا على هذه النعمة..

﴿ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ البقرة.

هذه نعمة عظيمة كم من المشايخ حولك أعلم منك ولكن الله اختارك من بينهم وجئت لتؤدي هذه الفريضة، كم من الشباب أكثر تدينا ولكنهم قعدوا وجئت، هذا اختيار من الله وتفضيل واصطفاء (**وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ**) ليس بأمانيكم ولا باجتهادكم إنما هو فضل من الله عز وجل عليك أن اختارك من بين مليون واحد وجاء بك، نحن هنا ألف والأمة الإسلامية ألف مليون يعني من كل مليون مسلم جاء واحد فأيّ تكريم من رب العالمين أعظم لك من هذا التكريم، إنك الأول على مليون " انتهى.

ومن الأدلة على كون الشهادة خصوصا من بين الأعمال اصطفاء من الله تعالى وتوفيق:

١. قوله تعالى (**وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ**) والاتخاذ هو الاصطفاء عن محبة، كما قال تعالى (**وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلا**) قال السهيلي في الروض الأنف: "وفيه فضل عظيم للشهداء، وتنبيه على حب الله إياهم حيث قال (**وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ**) ولا يقال: اتخذت، ولا اتخذ إلا في مصطفى محبوب، قال سبحانه (**مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ**) وقال (**مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا**) فالاتخاذ إنما هو اقتناء واجتباء... " انتهى كلامه.

٢. قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ **المائدة**، فقد أخبر في هذه الآية أن الجهاد من فضل الله يؤتيه من يشاء، ولا يؤتيه كل شخص.

وقد ورد في الحديث عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**ذروة الإسلام الجهاد في سبيل الله، لا يناله إلا أفضلهم**) رواه الطبراني ولكنه لا يصح.

٣. وقال تعالى: ﴿ **وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ**﴾ **الحج**، قال الطبري: "هو اختاركم لدينه واصطفاكم لحرب أعدائه والجهاد في سبيله " انتهى كلامه، فهذا يدل على أن الجهاد فيه اصطفاء واجتباء، فإذا كان الجهاد وهو وسيلة الشهادة من فضل الله تعالى يختص به من يشاء من عباده ولا يوفق له كل شخص، فلأن تكون الشهادة كذلك من باب أولى، فإنها أعلى وأعظم أعمال الجهاد.

٤. قلة الشهداء بالنسبة لباقي المسلمين يدل على أنهم مصطفون ومختارون من بينهم، وهكذا كلما علت المنزلة كلما قل أصحابها.

فالمسلمون لباقي الأمم قليل، كما قال ﷺ: (**إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالرقمة في ذراع الحمار**) رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، والصالحون من المسلمين قليل، والشهداء أقل من الصالحين، والصديقين أقل من الشهداء، والأنبياء أقل من الصديقين، والرسل أقل من الأنبياء، وأولوا العزم من الرسل خمسة فقط وهم أفضلهم.

وقلة الشهداء أمر ثابت بالشرع والواقع.

أما بالشرع، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**ما تعدون الشهيد فيكم ؟**) قالوا: يا رسول الله من قتل في سبيل الله فهو شهيد، قال: (**إن شهداء أمتي إذا لقليل...**) رواه مسلم، فأخبر في هذا الحديث أن الشهداء الذين يقتلون في سبيل الله من أمته قليل.

وقال ﷺ في عامر بن الأكوع لما استشهد: (**إنه جاهد مجاهد فله الأجر مرتين، قل عربي مشى بها مثله**) رواه مسلم، وفي رواية للبخاري (**نشأ بها**).

قال القرطبي في المفهم: " ويحتمل أن يعود – أي ضمير (**بها**) – على الشهادة والحالة الحسنة التي مضى بها إلى الله تعالى، وهذا يعضده المعنى ومساق الكلام " انتهى كلامه.

وأيضا جاء في حديث سمرة في البخاري في رؤيا النبي ﷺ قال: (**فصعدا بي في الشجرة وأدخلاني دارا لم أر قط أحسن منها، فيها رجال شيوخ وشباب ونساء وصبيان، ثم أخرجاني منها فصعدا بي الشجرة فأدخلاني دارا هي أحسن وأفضل، فيها شيوخ وشباب**).

فالدار الأولى هي دار المؤمنين، والدار الثانية هي دار الشهداء كما ورد في نفس الحديث، ودار المؤمنين فيهم الرجال والنساء والأطفال، ودار الشهداء فيها الشيوخ والشبان فقط، فهذا يدل على أنهم أقل.

أما بالواقع فقلّتهم أمر ظاهر، فلو نظر في تاريخ المسلمين من عهد رسول الله ﷺ إلى عصرنا لوجدت أن الشهداء قليل جدا، وقد حسبت من قتل على عهد رسول الله ﷺ من حين شرع الجهاد إلى حين وفاته من الأحاديث الثابتة فلم أجدهم يصلون الثلاثمائة شهيد، مع أن الرسول ﷺ مات عن مائة ألف أو أكثر أسلموا معه.

ثم انظر إلى معارك المسلمين عبر التاريخ، تجد أن عدد المجاهدين أصلا قليل لباقي المسلمين، وعدد الذين يقتلون من هؤلاء قليل، وفي بعض الأحيان يعد على الأصابع، وهؤلاء المقتولين لا يلزم أن يكونوا كلهم شهداء، فللشهادة شروط وموانع.

وكذا إذا رأيت في كتب التراجم تجد أن الذين استشهدوا منهم عدد قليل جدا بالنسبة لعدد التراجم، ففي سير أعلام النبلاء للذهبي عدد المترجم لهم أكثر من أربعة آلاف شخص، وعدد الذين استشهدوا

منهم لا يتجاوزن أربعين، وعدد من مات غازيا لا يتجاوز العشرة، وعدد الذين ماتوا مرابطين لا يتجاوز خمسا وعشرين.

وفي كتاب الدرر الكامنة للحافظ ابن حجرعدد المترجم لهم خمسة آلاف وأربعمائة شخص، وعدد الشهداء منهم حوالي ثلاثين شهيدا فقط.

وفي كتاب طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي عدد المترجم لهم ألفا وأربعمائة وتسعة عشر، وعدد الذين استشهدوا منهم لا يصلون عشرة أشخاص.

٥. الطاعات كلها بتوفيق الله تعالى وهدايته كما قال تعالى: ﴿ **وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ**﴾ **هود**.

وقال تعالى: ﴿ **وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ**﴾ **الأعراف**.

قال تعالى: ﴿ **وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ** ﴾ **الحجرات**، وغير ذلك من الأدلة، ومن الطاعات الشهادة، بل مظاهر التوفيق والاصطفاء في الشهادة أظهر من غيرها من الطاعات، فإن الطاعات الأخرى أمرها بيد صاحبها إن أراد ذلك، فمن أراد أن يصلي كان الفعل صادرا منه، وأمره بيده متى ما أراد ذلك قام وصلى، وأما الشهادة فليست فعل من المجاهد نفسه، بل هي من فعل العدو، فالقتل إنما هو بيد العدو، والله هو المسلط، فالمجاهد مهما عرض نفسه للموت والقتل قد لا يصيبه.

ولا يطرأ على ذلك العمليات الاستشهادية، إذ هي حادثة قريبا، وأيضا هي ليست حتمية، فقد تنفجر وقد لا تنفجر، وإذا انفجرت قد تقتل وقد لا تقتل، وكم سمعنا من قصص الذين نجوا منها الكثير، **ومن مظاهر التوفيق والمنع والاصطفاء في الشهادة:**

أولا: أناس بلغوا في العبادة مبالغها ولم يوفقوا للشهادة، وأناس فسقة وأناس لم يصلوا لله تعالى صلاة ووفقوا لها.

ثانيا: أناس يتعرضون للشهادة والقتل كثيرا ولا يوفقون لها، وأناس من أول تعرض يوفقون لها.

قال نور الدين زنكي المجاهد رحمه الله الذي حارب الفرنج في أرض المسلمين وقضى عمرا في جهادهم: " كان يقول: طالما تعرضت للشهادة، فلم أدركها " انتهى من السير للذهبي.

ثالثا: أناس يهربون من الشهادة ويرزقونها، وأناس لا يتهربون ويتعرضون ولا يرزقونها.

رابعا: أناس سبب موته قوي التأثير جدا ولا يموت، وأناس يموت بأتفه سبب، فبعضهم يقع عنده الصاروخ أويقصف بيته أو يقوم بعملية استشهادية ولا يموت، وشخص بخدش رصاصة يموت.

خامسا: أناس يتعرضون لسبب موت واحد ويبقى بعضهم حي، كالقصف الذي يقع في البيوت.

سادسا: منع كثير من الذهاب إلى الجهاد بموانع قدرية، فلا يقدر منه على طلب الشهادة مع حرصه عليها.

سابعا: أناس يأخذون بأسباب الأهبة والاستعداد للخروج إلى الجهاد ويموت قبل الخروج إلى طلب الشهادة، وهذا وإن كان يعطى على نيته ولكنه ليس كالشهيد المقتول في الأجر.

ثامنا: أناس قد حصلت له موانع قدرية تمنعه من خروجه إلى الجهاد ومع ذلك يتيسر له الخروج مع وجود الموانع، وأناس يتيسر لهم الخروج ولا موانع لديه ولا يخرج، فكم سمعنا عن قصص الذين يهربون من السجون ويوفقون للجهاد والشهادة، وآخرين منعوا من السفر وروقبوا وتيسر لهم الخروج مع ذلك، وآخرين لم يجدوا من يدلهم على طريق للجهاد ووقعوا على المجاهدين بتوفيق من الله تعالى، وأناس قد عرفوا طرقا تؤدي إلى الجهاد وليس لديهم موانع ولا يخرجون مع ذلك.

تاسعا: توفيق أبعد الناس لها وهم الأعداء فيسلمون ويقتلون، وأناس يطلبونها من زمن طويل ولا يقتلون.

عاشرا: يغزو الجيش فيوفقون كلهم للشهادة وهذا نادر، ويغزو الجيش ويوفق بعضهم للشهادة، ويغزو الجيش ولا يوفق منهم أحد للشهادة، ويغزو الجيش ويوفق قليل منهم للشهادة، وهذا هو الغالب.

الحادي عشر: معرفة كثير بفضائلها الكثيرة – ومنهم العلماء – وبعضهم يحرص على أعمال ذات فضائل صغيرة ومع ذلك لا يحرص عليها ولا تتحرك نفسه لطلبها.

الثانية عشر: أناس يتحرقون على الشهادة، ويدعون الله بها، ولا تحصل لهم، وأناس لا يظهر منهم تحرق ولا يدعون الله بها وتحصل لهم.

الثالثة عشر: أناس يقترب منهم الموت جدا ثم يصرف عنهم بأي صارف، كتلك الصواريخ والقنابل التي تقع ولا تنفجر.

وذكر ابن الجوزي في صفة الصفوة: " عن علي بن الموفق قال: سمعت حاتما يقول: لقينا الترك، وكان بيننا جولة، فرماني تركي بوهق، فقلبني عن فرسي، ونزل عن دابته فقعد على صدري، وأخذ بلحيتي هذه الوافرة، وأخرج من خفه سكينا ليذبحني، فوحق سيدي ما كان قلبي عنده ولا عند سكينه، إنما كان قلبي عند سيدي أنظر ماذا ينزل به القضاء منه، فقلت: سيدي قضيت علي أن يذبحني هذا فعلى الرأس والعين، إنما أنا لك وملكك، فبينا أنا أخاطب سيدي وهو قاعد على صدري آخذ بلحيتي ليذبحني، إذ رماه بعض المسلمين بسهم فما أخطأ حلقه، فسقط عني، فقمت أنا إليه، فأخذت السكين من يده فذبحته " انتهى.

الرابع عشر: يعمر الرجل دهرا طويلا، حتى إذا قارب الهرم والموت وكاد لا يتحرك، تحركت نفسه إلى الجهاد في هذه الحال وحب الشهادة، فيخرج ويموت عليها.

مثل ما حصل لليمان فعن محمود بن لبيد قال: (لما خرج رسول الله ﷺ إلى أحد رفع حسيل – وهو اليمان أبو حذيفة بن اليمان – وثابت بن وقش بن زعوراء في الآطام مع النساء والصبيان، فقال أحدهما لصاحبه وهما شيخان: لا أبا لك ما تنظر، فوالله ما بقي لواحد منا إلا كظميء حمار، إنما نحن هامة اليوم أو غدا، فلنأخذ أسيافنا ثم نلحق برسول الله ﷺ، لعل الله أن يرزقنا الشهادة مع رسول الله ﷺ، فأخذا أسيافهما حتى دخلا في الناس، ولا يعلم بهما، فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون، وأما حسيل فاختلفت عليه أسنان المسلمين – وهم لا يعرفونه – فقتلوه، فقال حذيفة: أبي، فقالوا: والله إن عرفناه، وصدقوا، فقال حذيفة: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين، فأراد رسول الله ﷺ أن يديه، فتصدق حذيفة بديته على المسلمين، فزاده عند رسول الله ﷺ خيرا) رواه أبو نعيم وأورده ابن حجر في الإصابة وقال: رجاله ثقات مع إرساله وله شاهد.

وقوله في الحديث (كظميء) وفي حديث بعضهم (حين لم يبق من عمري إلا ظمء حمار) أي شيء يسير، وإنما خص الحمار، لأنه أقل الدواب صبرا عن الماء، وظمء الحياة: من وقت الولادة إلى وقت الموت.

وكما جاء عن أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه، فعن أنس رضي الله عنه، قال: إن أبا طلحة (قرأ سورة براءة فأتى على هذه الآية (**انفروا خفافا وثقالا**) فقال: ألا أرى ربي يستنفرني شابا وشيخا، جهزوني، فقال له بنوه: قد غزوت مع رسول الله ﷺ حتى قبض، ومع أبي بكر حتى مات، ومع عمر، فنحن نغزو عنك، قال: جهزوني، فجهزوه، فركب البحر، حتى مات، فلم يجدوا له جزيرة يدفنوه فيها إلا بعد سبعة أيام فلم يتغير) رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي.

وقال الذهبي في السير: " نزلت التتار على خوارزم في ربيع الاول سنة ثماني عشرة وست مئة، فخرج نجم الدين الكبرى فيمن خرج للجهاد، فقاتلوا على باب البلد حتى قتلوا رضي الله عنهم، وقتل الشيخ وهو في عشر الثمانين " انتهى.

ولعل الحكمة في مثل ذلك غفران الذنوب لهذا الشخص في آخر عمره بالشهادة، مثل البلاء الذي يصيب بعض الأشخاص في آخر عمرهم، وأيضا توفيقهم لمنزلة الشهادة.

الخامس عشر: أن الرجل قد يكون محصنا في الجهاد ومدرعا إلا موضع بسيط مكشوف، ويأتيه القتل من ذلك المكان، وآخر يكون مكشوفا كله ولا يأتيه شيء.

وذلك مثل ما حصل لسعد بن معاذ رضي الله عنه يوم الخندق، فعن عائشة رضي الله عنه قالت: (خرجت يوم الخندق أقفوا آثار الناس، فسمعت وئيد الأرض ورائي، فالتفت فإذا أنا بسعد بن معاذ ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس، يحمل مجنه، فجلست إلى الأرض، قالت: فمر سعد وعليه درع قد خرجت منها أطرافه، فأنا أتخوف على أطراف سعد، قالت: وكان من أعظم الناس وأطولهم، قالت: فمر يرتجز وهو يقول:

لبث قليلا يدرك الهيجا جمل * ما أحسن الموت إذا حان الاجل

قالت: فقمت فاقتحمت حديقة، فإذا فيها نفر من المسلمين فيهم عمر بن الخطاب وفيهم رجل عليه تسبغة له – تعني المغفر، قال: فقال عمر، ويحك ما جاء بك ؟ ويحك ما جاء بك ؟ والله إنك لجريئة، ما يؤمنك أن يكون تحوز وبلاء، قالت: فما زال يلومني حتى تمنيت أن الأرض انشقت فدخلت فيها، قال: فرفع الرجل التسبغة عن وجهه فإذا طلحة ابن عبيد الله، قال فقال: يا عمر ! ويحك قد أكثرت منذ اليوم، وأين التحوز أو الفرار إلا إلى الله، قالت: ويرمي سعدا رجل من المشركين من قريش يقال له حبان بن العرقة بسهم، فقال: خذها وأنا ابن العرقة، فأصاب أكحله فقطعه فدعا الله فقال: اللهم لا

تمتني حتى تقر عيني من قريظة – وكانوا حلفاءه) رواه ابن أبي شيبة، فأصابه السهم في الموضع الذي خافت عليه منه.

وذكر ابن الأثير في الكامل قصة مشابهة لهذا، وتؤيد الإصطفاء، فقال وهو يتحدث عن فتح بلد بهرسير وحصار المسلمين له " وكان على زهرة بن الحوية درع مفصومة، فقيل له: لو أمرت بهذا الفصم فسرد، فقال لهم: إني على الله لكريم إن ترك سهم فارس الجند كلهم، أن لا يؤمنني من هذا الفصم حيث يثبت في ! فكان أول رجل أصيب من المسلمين يومئذٍ هو بنشابة من ذلك الفصم. فقال بعضهم: انزعوها، فقال: دعوني فإن نفسي معي ما دامت في، لعلي أن أصيب منهم بطعنة أو ضربة، فمضى نحو العدو فضرب بسيفه شهريار من أهل إصطخر فقتله، وأحيط به فقتل، وما انكشفوا " انتهى كلامه، ومعنى مفصومة أي مشقوقة وفيها مكان مكشوف، فصم الشيء أي كسره أو شقه.

إلى غير ذلك من المظاهر.

والطالبون للشهادة ينقسمون إلى أقسام من حيث الاصطفاء والتوفيق:

١. قسم يرزقها مباشرة من حين شروعه في طلبها ومن أول معركة يخوضها.

٢. قسم يمنعها مطلقا بعد طلبه لها **وذلك لحكم كثيرة منها:**

أولا: أن في منعه منها مواساة لمن فاتته الشهادة من أمة محمد ﷺ، وتطييب لقلبه أن هذا الأمر لم يحصل له وحده، وذلك كما حصل لخالد بن الوليد، فإنه طلب الشهادة جهده ولم يظفر بها، فمن فاتته الشهادة من أمة محمد ﷺ، فله أسوة بذاك الصحابي.

ثانيا: تشجيع الجبناء وإثبات أن الإقدام على الموت لا يقدم الأجل والتأخر عنه لا يؤخره، فهذا خالد طلب الشهادة وتعرض للموت والقتل، ولكنه لم يقتل، وقال عند موته (لقيت كذا وكذا زحفا، وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة بسيف، أو رمية بسهم، وها أنا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت العير، فلا نامت أعين الجبناء).

ثالثا: كون الشخص لا يصلح لهذه المنزلة، وليس أهلا لها، فإن الشهادة اصطفاء كما ذكرنا، وليس كل أحد يصلح لهذه المنزلة، والله عز وجل لن يختار لنيل قربه وجواره أي أحد، بل لن يختار إلا من يحبه ويعلم أنه يصلح لذلك.

قال ابن القيم في الزاد: " فإنه سبحانه أعلم بمواقع ومحال رضاه وما يصلح منها لاختياره وما لا يصلح " انتهى كلامه.

وقال أيضا: " فذوات ما اختاره واصطفاه من الأعيان والأماكن والأشخاص وغيرها مشتملة على صفات وأمور قائمة بها ليست لغيرها ولأجلها اصطفاها الله، وهو سبحانه الذي فضلها بتلك الصفات وخصها بالاختيار، فهذا خلقه وهذا اختياره " انتهى كلامه.

رابعا: بيان أن الشهادة محض فضل الله تعالى، واصطفاء من الله، وليست خبط عشواء.

خامسا: عدم صدق الطالب لها، فإن الصدق من أعظم الأسباب في نيلها، وتخلفه من أعظم الأسباب في منعها.

٣. قسم يرزق الشهادة بعد مدة من طلبها، سواء قصرت المدة أم طالت، وهذا لحكم كثيرة منها:

أولا: أن يوفق للازدياد من العمل الصالح في الجهاد، كالإثخان في الأعداء، أو قيادة الأمة، أو غير ذلك، أو الأعمال الصالحة الأخرى كحفظ القرآن وغيره.

ثانيا: لكي يمحص ويطهر وتتزكى نفسه بمشاق الجهاد وشدائده، حتى إذا صلح لمرتبة الشهادة وكان طيبا محضا رزقها، فإن المرء قد تكون فيه دسيسة خبيثة لا يصلح معها لمرتبة الشهادة، والله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا، وأرض الجهاد خير مكان لتزكية النفوس وتربيتها وتصفيتها من دسائسها وصفاتها الرديئة، حيث الشدائد والأهوال، والأعباء والأثقال، ومن لم تتزكى نفسه بالجهاد، لن تتزكى بغيره.

ثالثا: أن تؤخر شهادته إلى حيث تكون فيه أعظم أجرا، فمثلا شخص لم يقتل وأخر حتى قتل في ليلة القدر أو زمان شريف، لكي يتضاعف أجر شهادته عند الله تعالى.

كما قيل لي عن شخص مجاهد أعرفه أنه اجتمع مع بعض المجاهدين في بيت، ولما خرج هو من البيت قصف البيت مباشرة وقتل من فيه من المجاهدين، فحزن أخونا على ذلك، وأنه لم يصطف بالشهادة معهم، وكان ذلك في ليلة ست وعشرين من رمضان، فلما كان في الليلة المقبلة وهي ليلة سبع وعشرين من رمضان – والتي يحتمل احتمالا كبيرا أن تكون ليلة القدر – قتل هو بقصف آخر.

وأحب هنا أن أنبه على أمر يتعلق بهذا القسم، وهو عدم استعجال الشهادة، فكثير من الذين يخرجون لطلب الشهادة، يكون همهم الرئيسي أن تحصل لهم الشهادة في أسرع وقت وأقرب فرصة

ممكنة، ووالله لا ألومهم على ذلك وقد احترقت قلوبهم شوقا إلى الله تعالى والنظر إلى وجهه الكريم والتهبت مشاعرهم حنينا إلى الحور العين.

لا ألومهم وقد عشقوا الشهادة عشقا أرق أجفانهم، وأسهر أعينهم، وأطال ليلهم وهم ينتظرون فجر الشهادة.

لا ألومهم وقد عاشوا في الجهاد، ورأوا من أسراره وكراماته وعجائبه وتأييد الله تعالى ونصره ما ارتفع به إيمانهم، وزاد به يقينهم، وأصبحوا كأنهم يرون الغيبيات عيانا، ويرون الجنة وما أعد لهم، فتحرقوا على الشهادة طلبا للتحول والنزول في الجنة ونعيمها.

لا ألومهم وقد امتلأت نفوسهم غبطة وحزنا، فغبطة لإخوانهم يرونهم وهم يتساقطون أمامهم شهداء ويختارون من بينهم للشهادة، وحزنا على أنفسهم في تأخر الشهادة عنهم أن لا يكونوا من أهلها.

فهذا عمير بن الحمام لما اشتاقت نفسه إلى الجنة والرواح إليها قال: (إنها لحياة طويلة إن أنا بقيت حتى آكل هذه التمرات – لتمرات كانت معه –) فهو عد هذا الوقت القصير الذي يبقى فيه إلى أن يأكل التمرات الباقية معه حياة طويلة، وذلك لما اشتاقت نفسه إلى الجنة.

ولكن أقول كما قال ﷺ: **(خيركم من طال عمره وحسن عمله)** رواه الترمذي وغيره، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، وأفضل الأعمال وما قضيت به الأعمار ونيلت به الدرجات: الجهاد في سبيل الله، وكلما طال عمر المرء في الجهاد كلما ازداد رفعة وعلوا في الجنة، فإن الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، وإذا كان من بلغ بسهم في سبيل الله له درجة في الجنة من هذه الدرجات التي أعدت للمجاهدين، فما بالك بمن قضى عمره مثخنا في أعداء الله تعالى بالقتل والجراح، ومجاهدا في سبيل الله أعداء الله، وقد امتلأت صحيفته بأجور الشهداء الذين استشهدوا لكونه هو الذي حرضهم ودعاهم إلى سبيل الجهاد، فلا شك أنه من أعظم الناس درجة عند الله تعالى وأعلاهم قدرا، ولك أن تقارن بين شخصين: أحدهما قتل من أول معركة خاضها، وآخر حضر عدة معارك وقاتل السنوات الطوال وقتل المئات من الكفار وشارك في الفتوحات ثم قتل بعد ذلك، لا يستويان عند الله تعالى.

وقد ذكر ابن الأثير في الكامل: " لما ولّى الحجاج عبيد الله بن أبي بكرة سجستان، وذلك سنة ثمان وسبعين، مكث سنة لم يغز، وكان رتبيل – وهو من ملوك الكفار – مصالحاً، وكان يؤدي الخراج، وربما امتنع منه.

فبعث الحجاج إلى عبيد الله بن أبي بكرة يأمره بمناجزته، وأن لا يرجع حتى يستبيح بلاده ويهدم قلاعه ويقيد رجاله.

فسار عبيد الله في أهل البصرة وأهل الكوفة، وكان على أهل الكوفة شريح بن هانئ، وكان من أصحاب علي، ومضى عبيد الله حتى دخل بلاد رتبيل فأصاب من الغنائم ما شاء، وهدم حصوناً، وغلب على أرض من أراضيهم، وأصحاب رتبيل من الترك يتركون لهم أرضاً بعد أرض حتى أمعنوا في بلادهم ودنوا من مدينتهم، وكانوا منها على ثمانية عشر فرسخاً، فأخذوا على المسلمين العقاب والشعاب، فسقط في أيدي المسلمين، فظنوا أن قد هلكوا، فصالحهم عبيد الله على سبعمائة ألف درهم يوصلها إلى رتبيل ليمكن المسلمين من الخروج من أرضه، فلقيه شريح فقال له: إنكم لا تصالحون على شيء إلا حسبه السلطان من أعطياتكم، وقد بلغت من العمر طويلاً، وقد كنت أطلب الشهادة منذ زمان وإن فاتتني اليوم الشهادة ما أدركها حتى أموت، ثم قال شريح: يا أهل الإسلام تعاونوا على عدوكم، فقال له ابن أبي بكرة: إنك شيخ قد خرفت.

فقال له شريح: إنما حسبك أن يقال بستان عبيد الله، وحمام عبيد الله، يا أهل الإسلام من أراد منكم الشهادة فإلي، فاتبعه ناس من المتطوعة غير كثير وفرسان الناس وأهل الحفاظ، فقاتلوا حتى أصيبوا إلا قليلاً، وجعل شريح يرتجز ويقول:

أصبحت ذا بثٍ أقاسي الكبرا ** قد عشت بين المشركين أعصرا

ثمة أدركنا النبي المنذرا ** وبعده صديقه وعمرا

ويوم مهران ويوم تسترا ** والجمع في صفينهم والنهرا

وباجميراتٍ مع المشقرا ** هيهات ما أطول هذا عمرا

وقاتل حتى قتل في ناس من أصحابه ونجا منهم، فخرجوا من بلاد رتبيل " انتهى.

فهذا شريح بن هانئ طلب الشهادة من القدم وتأخر حصولها، وكان هذا خيرا له إن شاء الله فقد حضر فتوح الإسلام الكبرى، وقضى عمره في الجهاد حتى حصل عليها في آخر عمره.

ويبدو أن الشيخ عبد الله عزام له رأي آخر فيقول في كتاب التربية الجهادية والبناء " كلما استشهد شهيد منهم يستصغر الإنسان نفسه ويرى أن هؤلاء لولا أنهم أفضل عند رب العالمين، ما اختارهم في سنة، ونحن منذ ثماني سنوات ونحن نبحث عن الشهادة، ولم نرزقها بعد، الأفغان يقولون: اللهم انصرنا في كابل ولا تمتنا إلا في بيت المقدس، قالوا: إيش رأيك يا شيخ عبد الله ؟ قلت: اللهم ارزقني الشهادة عاجلا يا رب العالمين لأن القلوب بيد الرحمن، لا تدري يقلبها كيف يشاء، (اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)، فنرجو الله عز وجل أن يرزقنا الشهادة، فإن كان لنا قدر أن نرجع إلى فلسطين ونجاهد نرجو الله أن يفتح لنا ثغرة في فلسطين، إن شاء الله " انتهى كلامه.

٤. قسم يرزقها بعد أن يبتلى بالأسر أو غيره:

فتجد كثيرا من الذين يخرجون إلى الجهاد ويطلبون الشهادة لا تحصل لهم، ثم يبتلوا بالأسر، وبعد الأسر وفكاكه يصطفون بالشهادة، **وهذا لحكم كثيرة منها:**

أولا: أن يوفق لأعمال صالحة لولا الابتلاء لما وفق لها، فبعضهم أتم حفظ كتاب الله تعالى في الأسر، وبعضهم طلب العلم وتفقه في دين الله تعالى في الأسر وغير ذلك.

ثانيا: أن يتطهر ويتصفى في البلاء من دسائس نفسه الخبيثة، فإن الابتلاءات تصفي العبد المؤمن من دسائسه كما تصفي النار الذهب من شوائبه حتى تخرجه ذهبا خالصا، وكذا يخرج المؤمن من الابتلاء طيبا محضا لا يشوبه خبث، قال ابن القيم في الزاد: " والمقصود: أنَّ المصيبة كِيرُ العبدِ الذى يُسبَك به حاصله، فإما أن يخرج ذهباً أحمر، وإما أن يخرج خَبَثاً كله، كما قيل:

سبكناه ونحسبه لجينا ** فأبدى الكير عن خبث الحديد " انتهى كلامه.

وعندما يتصفى ويخرج طيبا محضا يصلح حينئذ للشهادة، فإن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، ولا يحب إلا الطيب من عباده، والطيب هو مختاره كما سبق ذكره.

وقال ابن القيم في الزاد: " فالخبيث يتفجر من قلبه الخبث على لسانه وجوارحه، والطيب يتفجر من قلبه الطيب على لسانه وجوارحه، وقد يكون في الشخص مادتان فأيهما غلب عليه كان من أهلها،

فإن أراد الله به خيرا طهره من المادة الخبيثة قبل الموافاة، فيوافيه يوم القيامة مطهرا فلا يحتاج إلى تطهيره بالنار، فيطهره منها بما يوفقه له من التوبة النصوح والحسنات الماحية والمصائب المكفرة حتى يلقى الله وما عليه خطيئة، ويمسك عن الآخر مواد التطهير فيلقاه يوم القيامة بمادة خبيثة ومادة طيبة، وحكمته تأبى أن يجاوره أحد في داره بخبائثه، فيدخله النار طهرة له وتصفية وسبكا، فإذا خلصت سبيكة إيمانه من الخبث صلح حينئذ لجواره ومساكنة الطيبين من عباده " انتهى كلامه.

قال شيخ الإسلام في المجموع: " فالنفوس الخبيثة لا تصلح أن تكون في الجنة الطيبة التى ليس فيها من الخبث شيء، فإن ذلك موجب للفساد، أو غير ممكن، بل إذا كان فى النفس خبث طهرت وهذبت، حتى تصلح لسكنى الجنة، كما في الصحيح من حديث أبي سعيد الخدرى ـ رضي اللّه عنه ـ عن النبى ﷺ: (**إن المؤمنين إذا نجوا من النار ـ أي عبروا الصراط ـ وقفوا على قَنْطَرة بين الجنة والنار، فيُقْتَصّ لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، فإذا هُذِّبوا ونُقُّوا أذن لهم فى دخول الجنة**)" انتهى كلامه.

وقال ابن القيم في إغاثة اللهفان: "إن ابتلاء المؤمن كالدواء له يستخرج منه الأدواء التي لو بقيت فيه أهلكته أو نقصت ثوابه وأنزلت درجته، فيستخرج الابتلاء والامتحان منه تلك الأدواء، ويستعد به لتمام الأجر وعلو المنزلة " انتهى كلامه.

وهذه الأقسام هي فيمن خرج إلى الجهاد وطلب الشهادة، وهناك أناس يمنعهم الله من الخروج إلى الجهاد وطلب الشهادة أصلا، فلا يتيسر لهم طريق طلب الشهادة فما بالك بالشهادة، وذلك لحكم منها:

١ـ ما سبق ذكره من أن الجهاد ليس كل أحد يوفق له بل الله يصطفي ويجتبي من يجاهد في سبيله، كما قال تعالى في آية المائدة في الجهاد: (**ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ**) وقد ييسر الله تعالى للمنافق الخروج كما حصل في زمن النبي ﷺ، وذلك لحكم لا يعلمها إلا الله، ولكنه لا يؤجر على جهاده لنفاقه.

٢ـ أن بعض من يريد أن يخرج في طلب الشهادة والجهاد يحدث بخروجه الفتن والقلاقل بين المجاهدين، ويحدث الفساد بينهم سواء بنفاقه أو بسوء خلقه، فيُمنع من الخروج لهذا السبب كما قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ**

الْقَاعِدِينَ (٤٦) لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ التوبة.

٣. أن بعض من يريد أن يخرج يكون ضعيف الإيمان في الأصل، بحيث لو تعرض للبلاء والأسر لارتد عن دين الله – والعياذ بالله – فيحفظ الله تعالى على العبد دينه بأن يمنعه من الخروج حتى لا يقع في الأسر، كما نقل ابن رجب أن بعض المتقدمين كان يكثر سؤال الشهادة، فهتف به هاتف إنك إن غزوت أسرت، وإن أسرت تنصرت، فكف عن سؤاله.

فإن قيل: قد عرفنا أن الشهادة منزلة عظيمة ولا تكون إلا اصطفاء من الله تعالى، فهل من سبيل إلى نيل ذلك الاصطفاء ؟

فأقول: نعم، هناك أسباب تنال بها الشهادة وينال بها هذا الاصطفاء، أسباب من فعلها فلينتظر الشهادة، فإنها منه قاب قوسين أو أدنى، وليستبشر بها فكأنما حصلت له، أسباب قوية الأثر لاتصالها بالله تعالى مباشرة بلا وسائط، **وإليك بيان هذه الأسباب:**

١. الدعاء:

أمر الله تعالى عباده بدعائه، ووعدهم بالإجابة إن هم دعوه وسألوه، والله يحب من عباده أن يسألوه ويغضب على من لم يسأله، لأنه سبحانه كريم جواد لذاته، بل هو أكرم من سأل وأوسع من أعطى، وخزائنه ملأى لو أعطى كل شخص مسألته ما نقص من خزائنه وملكه شيء، فإن عطاءه كلام ومنعه كلام، إذا أراد شيئا قال له كن فيكون، ولطيف لما يشاء إذا أراد شيئا سهل له أسبابه ويسرها.

والدعاء من أكرم العبادات على الله تعالى، وأحبها إليه، وأنجعها في حصول المطلوب ونيل المبتغى وقضاء الحاجات، فإنها متعلقة بالقدير الجواد مباشرة، فما إن ترفع يديك إليه حتى تتصل بالحي القيوم مباشرة بلا وسائط، الذي بيده تدبير الكون أجمع، ويستحي أن يرد يدي عبده صفرا إذا رفعهما إليه.

ومن أولى ما يسأل الله تعالى ويدعى به الشهادة في سبيله، وقد جاءت الأدلة بمشروعية سؤال الله تعالى الشهادة سواء للرجال والنساء، وأجمع عليه العلماء، فمن ذلك قال ﷺ: **(من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه)** رواه مسلم عن سهل بن حنيف رضي الله عنه.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **(من سأل الله القتل في سبيله صادقا من قلبه أعطاه الله أجر الشهادة)** رواه الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(من طلب الشهادة صادقا أعطيها ولو لم تصبه)** رواه مسلم.

وقد دعا النبي ﷺ بالشهادة لأصحابه كما سبق بيانه في الهدي، ومن ذلك أن البخاري بوب في صحيحه: " باب الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء " وأتى فيه بحديث أم حرام وفيه (أنها قالت ادع الله أن يجعلني منهم...).

فمن أراد الشهادة صادقا فعليه أن يسألها الذي هي بيده، وتحت اصطفائه واختياره، فإنه موعود بالإجابة، وكم من الشهداء كان سبب حصولهم على الشهادة هو دعاؤهم الله بها، بل إن بعضهم كان يحدد طريقة القتل في دعائه، ويستجاب له ويقتل كما دعا كما حصل لعبدالله بن جحش رضي الله عنه كما سبق.

وبعضهم تكون عنده موانع قدرية تمنعه من الخروج إلى طلب الشهادة والجهاد، فلا يزال يدعو الله تعالى بالشهادة مع ذلك، فترفع عنه الموانع، ويتيسر له الخروج إلى طلبها حتى يستشهد، فإن الله تعالى لطيف لما يشاء إذا أراد شيئا سهل له أسبابه ويسرها.

وانظر إلى عمر رضي الله عنه لما دعا فقال: (اللهم ارزقني شهادة في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك ﷺ) قالت حفصة: (وأنى يكون هذا ؟) قال: (يأتي به الله إن شاء) رواه الإسماعيلي.

قال ابن كثير في البداية والنهاية: " فاستجاب له الله هذا الدعاء، وجمع له بين هذين الأمرين الشهادة في المدينة النبوية، وهذا عزيز جدا، ولكن الله لطيف بما يشاء تبارك وتعالى " انتهى كلامه.

فالدعاء من أعظم الأسباب في نيل الشهادة، وحتى لو لم تصبه شهادة المعركة التي هي شهادة الدنيا والآخرة، فإن الله قد يميته على نوع من أنواع شهادة الآخرة، ليحصل له أجر الشهادة، وحتى ولو لم تصبه شهادة الآخرة ومات ميتة عادية على فراشه، فإن الله سيبلغه منازل الشهداء، وكل ذلك ببركة الدعاء بالشهادة، فالداعي بالشهادة صادقا على خير، إما أن يقتل ويعطى الشهادة في الدنيا والآخرة، وإما أن يعطى شهادة الآخرة، وإما أن يبلغ منازل الشهداء ولو بدون عمل.

وحقا إني أستغرب من شخص يدّعي حب الشهادة وإرادتها، ويعلم أنها بيد الله تعالى ومن خزائنه، ومع ذلك لا يدعو الله بها ولا يسأله إياها، فهو أحد أمرين، إما أن يكون حبه للشهادة وإرادته لها ضعيفا وليس صادقا، وإما أن يكون إيمانه بأثر الدعاء وثمرته ضعيفا.

والدعاء بالشهادة لا يدخل بالدعاء بالموت المنهي عنه، فهو مخصوص من هذا النهي، لورود مشروعيته في الأدلة السابقة.

قال ابن القيم في الزاد في الاحكام المستفادة من غزوة أحد: " ومنها جواز دعاء الرجل أن يقتل في سبيل الله وتمنيه ذلك، وليس هذا من تمني الموت المنهي عنه، كما قال عبد الله بن جحش الله لقني من المشركين... " انتهى كلامه.

وقال الحافظ في الفتح: " وفي قصة بني قريظة من الفوائد وخبر سعد بن معاذ جواز تمني الشهادة، وهو مخصوص من عموم النهي عن تمني الموت " انتهى كلامه.

وأيضا لا يدخل في تمني لقاء العدو المنهي عنه، قال الحافظ في الفتح: " وحاصل الجواب أن حصول الشهادة أخص من اللقاء، لإمكان تحصيل الشهادة مع نصرة الإسلام ودوام عزه بكسر الكفار، واللقاء قد يفضي إلى عكس ذلك، فنهى عن تمنيه، ولا ينافي ذلك تمني الشهادة، أو لعل الكراهية مختصة بمن يثق بقوته ويعجب بنفسه ونحو ذلك " انتهى كلامه.

ونقل المناوي في الفيض عن القاضي عياض قوله: " ويدل على ندب سؤال الشهادة ونية الخير، لا يقال سؤالها ملزوم لتمني لقاء العدو المنهي عنه، لأنه لا يتعين في سؤالها كونه على وجه يلزم منه ذلك، بل يمكنه أن يقول اللهم إن قضيت بحضوري لقاء العدو، فهب لي الشهادة أو ما في معنى ذلك " انتهى كلامه.

وقد ورد عند سعيد بن منصور عن إبراهيم قال: سمع عمر بن الخطاب رجلا يقول: اللهم إني استنفق مالي ونفسي في سبيلك – قال الأعمش: وربما قال وولدي –، فقال عمر: ألا لا يسكت أحدكم، فإن ابتلي صبر وإن عوفي شكر.

فعمر إنما كره هذا الدعاء، لأنه فهم منه الدعاء بالبلاء حتى يستنفق المال والنفس والولد ويترتب عليه ذلك، وإلا فالدعاء بالشهادة أمر مشروع، وقد دعا عمر نفسه بها كما سبق قريبا، فلو دعا الرجل دعاء عاما فقال اللهم إني أسألك الشهادة، لما أنكر عليه عمر.

وهذه مواقف من مواقف السلف وغيرهم في دعائهم بالشهادة، لما عرفوا من أثره العظيم في ذلك:

- عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن عبدالله بن جحش قال له يوم أحد: (ألا تدعو الله، فخلوا في ناحية، فدعا سعد فقال: يا رب إذا لقيت العدو، فلقني رجلا شديدا بأسه، شديدا حرده، أقاتله ويقاتلني، ثم ارزقني الظفر عليه حتى أقتله وآخذ سبله، فأمن عبدالله بن جحش، ثم قال: اللهم ارزقني رجلا شديدا حرده، شديدا بأسه، أقاتله فيك ويقاتلني، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني، فإذا لقيتك غدا قلت: من جدع أنفك وأذنك ؟ فأقول: فيك وفي رسولك ﷺ، فتقول: صدقت، قال سعد: يا بني كانت دعوة عبدالله بن جحش خيرا من دعوتي، لقد رأيته آخر النهار وإن أنفه وأذنه لمعلقان في خيط) رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي، ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

- روى ابن أبي شيبة في مصنفه أن أبا بكر بعث جيشا فقال: أغزو باسم الله، اللهم اجعل وفاتهم شهادة في سبيلك.

- دعا ابن رواحة فقال يوم مؤتة:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة ** وضربة ذات فزع تقذف الزبدا

أو طعنة بيديْ حرانَ مجهزةً ** بحربة تنفذُ الأحشاء والكبدا

حتى يقولوا إذا مروا على جدثي ** أرشده الله من غاز وقد رشدا

رواه الطبراني عن عروة مرسلا.

- قال ابن الأثير في الكامل: " ولما رجع الناس – أي من معركة اليمامة – قال عمر لابنه عبد الله – وكان معهم –: ألا هلكت قبل زيد ؟ هلك زيد وأنت حي ! ألا واريت وجهك عني ؟ فقال عبد الله: سأل الله الشهادة فأعطيها، وجهدت أن تساق إلي فلم أعطها " انتهى كلامه.

- النعمان بن مقرن دعا قبل معركة نهاوند، فقال " اللهم اعزز دينك، وانصر عبادك، واجعل النعمان أول شهيد اليوم على إعزاز دينك ونصر عبادك.

وقيل: بل قال: اللهم إني أسألك أن تقر عيني اليوم بفتح يكون فيه عز الإسلام واقبضني شهيداً" وقد قتل شهيدا في نفس المعركة.

- روى ابن سعد بإسناد رجاله ثقات عن حميد بن هلال قال: كان أبو رفاعة إذا صلى ففرغ من صلاته ودعائه كان آخر ما يدعو به يقول: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي، فإذا كانت الوفاة فوفني وفاة طاهرة طيبة، يغبطني بها من سمع بها من إخواني المسلمين من عفتها وطهارتها وطيبها، واجعل وفاتي قتلا في سبيلك، واخدعني عن نفسي، قال: فخرج في جيش عليهم عبد الرحمن بن سمرة، قال: فخرجت من ذلك الجيش سرية عامتهم من بني حنيفة، قال فقال: إني لمنطلق مع هذه السرية، قال فقال أبو قتادة العدوي: ليس هاهنا أحد من بني أخيك، وليس في رحلك أحد، قال فقال: إن هذا لشيء لي عليه عزم، إني لمنطلق، فانطلق معهم، فأطافت السرية بقلعة أو بقصر فيه العدو ليلا، وبات يصلي حتى إذا كان آخر الليل توسد ترسه فنام، وأصبح أصحابه ينظرون من أين مقابلتها، من أين يأتونها، ونسوه نائما حيث كان، قال: فبصر به العدو، فأنزلوا إليه ثلاثة أعلاج منهم، فأتوه وإنه لنائم، فأخذوا سيفه فذبحوه، فقال أصحابه: أبو رفاعة نسيناه حيث كنا، فرجعوا إليه فوجدوا الأعلاج يريدون أن يسلبوه، فأرحلوهم عنه، فاجتروه، فقال عبد الرحمن بن سمرة: ما شعر أخو بني عدي بالشهادة حتى أتته.

- وفي مسند أحمد عن حميد بن عبد الرحمن الحميري (أن رجلا يقال له حممة، كان من أصحاب محمد ﷺ، خرج إلى أصبهان غازيا في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه، فقال: اللهم إن حممة يزعم أنه يحب لقاءك، فإن كان حممة صادقا فاعزم له صدقه، وإن كان كاذبا فاعزم عليه وإن كره، اللهم لا ترد حممة من سفره هذا، قال: فأخذه الموت – وقال عفان مرة البطن – فمات بأصبهان، قال فقام أبو موسى فقال: يا أيها الناس إنا والله ما سمعنا فيما سمعنا من نبيكم ﷺ وما بلغ علمنا إلا إن حممة شهيد).

- قال الذهبي في السير: " يحيى بن حسان التنيسي: حدثنا صالح بن عمر، عن داود بن أبي هند، قال: لما أخذ الحجاج سعيد بن جبير قال: ما أراني إلا مقتولا وسأخبركم: إني كنت أنا وصاحبان لي دعونا حين وجدنا حلاوة الدعاء، ثم سألنا الله الشهادة، فكلا صاحبي رزقها، وأنا أنتظرها، قال: فكأنه رأى أن الاجابة عند حلاوة الدعاء.

قلت: ولما علم من فضل الشهادة ثبت للقتل ولم يكترث، ولا عامل عدوه بالتقية المباحة له، رحمه الله تعالى" انتهى كلامه، وقد قتل سعيد على يد الحجاج ظلما وعدوانا.

- عن الأعمش قال: قال عمرو بن عتبة بن فرقد: سألت الله ثلاثا فأعطاني اثنتين، وأنا أنتظر الثالثة؛ سألته أن يزهدني في الدنيا فما أبالي ما أقبل وما أدبر، وسألته أن يقويني على الصلاة فرزقني منها، وسألته الشهادة فأنا أرجوها.

نقله ابن الجوزي في صفة الصفوة، وقد استشهد رحمه الله في غزاة أذربيجان في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

- روى ابن المبارك عن حميد بن هلال قال: كان الأسود بن كلثوم إذا مشى نظر إلى قدميه أو أطراف أصابعه، لا يلتفت، وجدر الناس إذ ذاك فيها تواضع، فعسى أن يفجأ النسوة، وعسى أن يكون بعضهن واضعا، فيروعهن الرجل حين يرينه، ينظر بعضهن إلى بعض فقلن: كلا إنه الأسود بن كلثوم، قد عرفوه أنه لا ينظر إليهن، قال: فلما قدم غازيا قال: اللهم إن هذه نفسي تزعم في الرخاء إنها تحب لقاءك، فإن كانت صادقة فارزقها ذاك، وإن كانت كاذبة فاحملها عليه وإن كرهت، فاجعله قتلا في سبيلك، وأطعم لحمي سباعا وطيرا، وقد استشهد رحمه الله على الحال التي طلب كما سبق بيانه في إفناء الجسد.

- قال ابن عذاري في البيان المغرب في عقبة بن نافع: " ودعا عقبة أولاده فقال لهم " إني قد بعت نفسي من الله عز وجل، وعزمت على من كفر به حتى أقتل فيه وألحق به، ولست أدري أتروني بعد يومي هذا أم لا، لأن أملي الموت في سبيل الله، وأوصاهم بما أحب، ثم قال: عليكم سلام الله، اللهم تقبل نفسي في رضاك ثم مضى بعسكره، فكانت النصارى تهرب من طريقه يمينا وشمالا، وهو يستفتح البلدان ويغزو في سبيل الله " انتهى.

وقد استشهد عقبة رحمه الله لما غدر كسيلة البربري بالمسلمين، وأخذ يجمع الجموع من الكفار لقتال عقبة ومن معه من المسلمين، وقد كان أبو المهاجر مع عقبة فقال أبو المهاجر: عاجله قبل أن يقوى جمعه، وكان أبو المهاجر موثقاً في الحديد مع عقبة، فزحف عقبة إلى كسيلة، فتنحى كسيلة عن طريقه ليكثر جمعه، فلما رأى أبو المهاجر ذلك تمثل بقول أبي محجن الثقفي:

كفى حزناً أن تمرغ الخيل بالقنا ** وأترك مشدوداً علي وثاقيا

إذا قمت عناني الحديد وأغلقت ** مصارع من دوني تصم المناديا

فبلغ عقبة ذلك فأطلقه، فقال له: الحق بالمسلمين وقم بأمرهم، وأنا أغتنم الشهادة، فلم يفعل وقال: وأنا أيضاً أريد الشهادة، فكسر عقبة والمسلمون أجفان سيوفهم، وتقدموا إلى البربر وقاتلوهم، فقتل المسلمون جميعهم لم يفلت منهم أحد " ذكر ذلك ابن الأثير في الكامل.

- قال الذهبي في السير: " قال سليم بن عامر: دخلت على الجراح، فرفع يديه، فرفع الأمراء أيديهم، فمكث طويلا، ثم قال لي: يا أبا يحيى، هل تدري ما كنا فيه ؟ قلت: لا، وجدتكم في رغبة، فرفعت يدي معكم، قال: سألنا الله الشهادة، فوالله ما بقي منهم أحد في تلك الغزاة حتى استشهد " انتهى.

- وقال ابن الأثير في الكامل في معركة حصلت بين المسلمين والترك عام اثنتي عشر ومائة: " وقتل من الأزد عبد الله بن بسطام، ومحمد بن عبد الله بن حوذان، والحسن بن شيخ، والفضيل صاحب الخيل، ويزيد بن الفضل الحداني، وكان قد حج فأنفق في حجته ثمانين ومائة ألف، وقال لأمه: ادعي الله أن يرزقني الشهادة، فدعت له وغشي عليها، فاستشهد بعد مقدمه من الحج بثلاثة عشر يوما " انتهى كلامه.

- قال ابن عذاري في البيان المغرب عن الحاجب المنصور صاحب الخمسين غزوة في الأندلس التي انتصر في جميعها على الكفار: " وكان يسأل الله تعالى أن يتوفاه في طريق الجهاد، فكان كذلك " انتهى كلامه، وتوفي الحاجب المنصور وهو في مسيره لغزو فرنسا، وقد قضى في الجهاد ثلاثين عاما.

- قال ابن الخطيب في الإحاطة في أخبار غرناطة في محمد بن أحمد الغافقي في خبر وفاته: " وكانت الحمد لله على محمده، واستأثر به الداخل، فشد عليه يد اغتباطه، وأغرى به عقد ضنانته، وخلطه بنفسه، ثم أغرى به لمكانته من الشهامة والرياسة، فتقبض عليه، وعلى ولده، لباب بني وقته، وغرة أبناء جنسه، فأودعهما مطبق أرباب الجرايم، وهم باغتيالهما، ثم نقلهما إلى مدينة المنكب ليلة المنتصف لمحرم من عام اثنين وستين وسبعمائة في جملة من النبهاء، مأخوذين بمثل تلك الجريرة ثم صرف الجميع في البحر إلى بجاية، في العشر الأول لربيع الأول مصفدين، ولما حلوا بها، أقاموا تحت بر وتجلة؛ ثم ركبوا البحر إلى تونس، فقطع بهم أسطول العدو بأحواز تكرنت، ووقعت بينه وبين المسلمين حرب، فكرم مقام المترجم يومئذ، وحسن بلاؤه، قال المخبر: عهدي به، وقد سل سيفاً،

وهو يضرب بالعدو ويقول: اللهم اكتبها لي شهادة، واستولى العدو على من كان معه من المسلمين، ومنهم ولده" انتهى، وقد استشهد رحمه الله في هذه الحادثة.

- نقل ابن الخطيب في الإحاطة في أخبار غرناطة عن أبي جعفر بن الزبير في ترجمة محمد بن يحيى العبدري: " توفي يرحمه الله شهيداً بمرسى جبل الفتح، دخل عليهم العدو فيه فقاتل حتى قتل، وذلك سنة أحد وخمسين وستماية، سمعته يتوسل إلى الله، ويسأله الشهادة ".

- ذكر في الشذرات عن العماد المقدسي أنه كان يكثر الدعاء بـ" اللهم اجعل عملنا صالحا، واجعله لوجهك الكريم خالصا، ولا تجعل لأحد فيه شيئا، اللهم خلصني من مظالم نفسي ومظالم كل شيء قبل الموت، ولا تمتني ولأحد علي مظلمة يطلبني بها بعد الموت، ولا بد من الموت فاجعله على توبة نصوح بعد الإخلاص من مظالم نفسي ومظالم العباد قتلا في سبيلك على سنتك وسنة رسولك، شهادة يغبطني بها الأولون والآخرون، واجعل النقلة إلى روح وريحان في جنات النعيم، ولا تجعلها إلى نزل من حميم وتصلية جحيم " انتهى.

- قال الذهبي في السير في ترجمة يونس بن ميسرة بن حلبس: " وقال الهيثم بن عمران: كنت جالسا عند ابن حلبس، وكان يدعو عند المغيب: اللهم ارزقنا الشهادة في سبيلك، فأقول: من أين يرزقها وهو أعمى ؟ فلما دخلت المسودة دمشق، قتل، فبلغني أن اللذين قتلاه، بكيا لما أخبرا بصلاحه، وذلك في سنة اثنتين وثلاثين ومئة " انتهى.

- قال الذهبي في السير في ترجمة ابن الفرضي الأندلسي: " قال الحميدي: حدثنا علي بن أحمد الحافظ، أخبرني أبو الوليد بن الفرضي قال: تعلقت بأستار الكعبة، وسألت الله تعالى الشهادة، ثم فكرت في هول القتل، فندمت، وهممت أن أرجع، فأستقيل الله ذلك، فاستحييت.

قال الحافظ علي: فأخبرني من رآه بين القتلى، ودنا منه، فسمعه يقول بصوت ضعيف **(لا يكلم أحد في سبيل الله – والله أعلم بمن يكلم في سبيله – إلا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب دما، اللون لون الدم، والريح ريح المسك)**.

كأنه يعيد على نفسه الحديث، ثم قضى على إثر ذلك رحمه الله " انتهى، وقد قتل رحمه الله في فتنة البربر عند دخولهم قرطبة، قتله البربر.

- قال ابن النحاس في المشارع: " وارزقنا شهادة ننال بها أعلى رتب الزلفى لديك ".

وقال أيضا:" اللهم رب وأسألك أعلى رتب الشهادة ".

وقال أيضا: " إليك اللهم نمد أكف الضراعة أن تجعلنا منهم — أي الشهداء — وأن لا تحيد بنا عند قيام الساعة عنهم، وأن ترزقنا من فضلك شهادة ترضيك عنا، وغفرا للذنب الذي أثقل الظهر وعنا، وقبولا لنفوسنا إذا عرضناها لك تفضلا منك ومنا، وحاشا كرمك أن نؤوب بالخيبة مما رجونا وأملنا، وأنت أرحم الراحمين " انتهى كلامه، وقد استشهد رحمه الله بدمياط لما دهمها الفرنج، فخرج هو وجماعة من أهلها، وجرت وقعة كبيرة فقتل في المعركة مقبلا غير مدبر، كما ذكره ابن العماد في الشذرات.

- نقل صاحب الثمار الزكية للحركة السنوسية: " أن عمر بن المختار كان يكثر من الدعاء لله بأن يجعل موته في سبيل هذه القضية المباركة، فكان يقول: اللهم اجعل موتي في سبيل هذه القضية المباركة " انتهى، ويعني بذلك قضية الجهاد في ليبيا وتحريرها من استيلاء الكفار عليها.

- قال الشهيد أبو دجانة الخراساني في وصيته المسجلة عبر الشبكة العنكبوتية قبل استشهاده " العلميات الاستشهادية - وما أدراك ما العمليات الاستشهادية - والله إنها من نِعم الله على المجاهدين في هذا العصر، وقد كنت من قبل وبعد أن فُجِعنا بمقتل قادة المجاهدين أمثال أبي مصعب الزرقاوي وعبد العزيز المقرن وخطّاب كنا نقول متى يكون موت المجاهد فرحًا وسرورًا على المجاهدين وحُزنًا على أعداء الدين ؟ بل والله إنني كنت أدعو الله -بعد أن فُجِعنا بهؤلاء المجاهدين العظماء- وأقول يارب العالمين اجعل موتي -خبر مقتلي- فرحًا للمسلمين وهمًّا وحزنًا على أعداء الدين المشركين من يهود ونصارى، وما وجدت جوابًا لهذا الدعاء إلا بما يسّره الله لي من القيام بالعملية الاستشهادية " انتهى كلامه.

وفعلا جعل الله موته واستشهاده مفرحا للمسلمين لما ترتب على عمليته من الأمور المفرحة للمسلمين، فقد نفذ عملية استشهادية بخطة محكمة على الاستخبارات الأمريكية ونجحت بحمد الله، وقتل سبعة من كبار ضباط الاستخبارات الامريكية إضافة إلى ضابط استخبارات أردني وجرح آخرين، وقد أفجعت هذه الحادثة الكفار وأحزنتهم.

٢. التوكل وحسن الظن بالله تعالى:

التوكل هو صدق اعتماد القلب على الله تعالى مع الثقة به في جلب المنافع ودفع المضار.

وقد أمر الله تعالى عباده بالتوكل عليه، بل وعلقه بالإيمان، فقال: (**وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**).

وهو من أعظم العبادات القلبية، وأخبر الله تعالى بأن من توكل عليه في أمر فهو كافيه وحسبه، فقال: (**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**).

فالتوكل من أعظم الأسباب في حصول المطلوب مهما كان، وأعظم ما تنال به الأمور.

قال ابن القيم في المدارج: " من صدق توكله على الله في حصول شيء ناله ".

وقال أيضا: " التوكل من أقوى الأسباب في حصول المتوكل فيه، فهو كالدعاء الذي جعله الله سببا في حصول المدعو به ".

وقال أيضا: " التوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب ويندفع بها المكروه ".

وقال أيضا: " ولو توكل العبد على الله حق توكله في إزالة جبل عن مكانه وكان مأمورا بإزالته لأزاله ".

وقال أيضا: " وكلما كان العبد حسن الظن بالله حسن الرجاء له صادق التوكل عليه: فإن الله لا يخيب أمله فيه البتة، فإنه سبحانه لا يخيب أمل آمل ولا يضيع عمل عامل " انتهى كلامه.

وإذا كان الأمر كذلك، فمن أراد الشهادة وطلبها، فعليه أن يتوكل في حصولها على الله تعالى ويعتمد عليه في ذلك، فإن الله كافيه حصولها، وكافيه طريقها، وكافيه جميع ما يتعلق بها.

وعليه أن يحسن الظن بالله تعالى أنه يرزقه الشهادة، فإن حسن الظن من التوكل كما ذكر ابن القيم في المدارج، والله عند ظن العبد به كما قال ﷺ عن الله تعالى في الحديث القدسي: (**أنا عند ظن عبدي بي**) رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، فالله لا يخيب أمل الآملين ولا رجاء المريدين.

ولكي تعرف أهمية حسن الظن والتوكل على الله في حصول الشهادة، انظر إلى الصحابي البراء بن مالك رضي الله عنه، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال (استلقى البراء بن مالك على ظهره ثم ترنم، فقال له أنس: اذكر الله أي أخي، فاستوى جالسا وقال: أي أنس أتراني أموت على فراشي، وقد

قتلت مائة من المشركين مبارزة، سوى من شاركت في قتله ؟) رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي.

فانظر إلى حسن ظنه بربه وتوكله عليه حتى إنه من حسن ظنه بربه أقسم على الله بالشهادة يوم فتح تستر فاستشهد.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(كم من ضعيف متضعف ذي طمرين، لو أقسم على الله لأبر قسمه، منهم البراء بن مالك)** فإن البراء لقي زحفا من المشركين، وقد أوجع المشركون في المسلمين، فقالوا: يا براء إن رسول الله ﷺ قال: إنك لو أقسمت على الله لأبرك، فاقسم على ربك، فقال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم، ثم التقوا على قنطرة السوس فأوجعوا في المسلمين، فقالوا له: يا براء اقسم على ربك فقال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم، وألحقتني بنبيك ﷺ، فمنحوا أكتافهم وقتل البراء شهيدا " رواه الحاكم في المستدرك وصححه، ووافقه الذهبي.

وهذا يحصل لبعض المجاهدين يقوى حسن ظنه بالله في حصول الشهادة له حتى إنه ليقسم على الله تعالى بالشهادة، فيستشهد.

وقال ابن الأثير في الكامل: " وحكى لي بعض أصدقائنا بل مشايخنا من الأئمة الفضلاء قال: كنت بقزوين أشتغل بالعلم، وكان بها إنسان يقود جمعاً كبيراً، وكان موصوفاً بالشجاعة، وله عصابة حمراء، إذا قاتل عصب بها رأسه، قال: كنت أحبه وأشتهي الجلوس معه؛ فبينما أنا عنده يوماً إذا هو يقول: كأني بالملاحدة وقد قصدوا البلد غداً، فخرجنا إليهم وقاتلناهم، فكنت أول الناس وأنا متعصب بهذه العصابة، فقاتلناهم فلم يقتل غيري، ثم ترجع الملاحدة، ويرجع أهل البلد.

قال: فوالله لما كان الغد إذ وقع الصوت بوصول الملاحدة، فخرج الناس؛ قال: فذكرت قول الرجل، فخرجت والله ليس لي همة إلا أن أنظر هل يصح ما قال أم لا ؟، قال: فلم يكن إلا قليل حتى عاد الناس وهو محمول على أيديهم قتيلاً بعصابته الحمراء، وذكروا أنه لم يقتل بينهم غيره، فبقيت متعجباً من قوله كيف صح، ولم يتغير منه شيء، ومن أين له هذا اليقين ؟ " انتهى كلامه.

وهذا الإحساس يقع من كثير من الشهداء قبل مقتلهم، يحسون ويقع في نفوسهم أنهم سيصطفون بالشهادة قريبا، فيقع كما يظنون، فكثير من الشهداء يعرفون بأنهم سيصطفون بالشهادة ويرزقونها

قبل أن يقتلوا، فقبل أن يستشهدوا تتغير وجوههم، فتكون أنور من ذي قبل، وتزكو نفوسهم وتنزل عليهم السكينة والطمأنينة، فلا تجده يستسرسل في المزاح كذي قبل، ويكون همه الآخرة فقط، وليس له التفات إلى الدنيا أبدا، بل هو إلى الجنة والآخرة متعلق وملتفت أكثر من ذي قبل، ويخبرون بقرب موتهم ويوادعون غيرهم موادعة من لا يعود.

قال الشيخ عبد الله عزام في كتاب عشاق الحور: " والإحساس بقرب الشهادة كثيرا ما حدث به الشهداء، فهذا أسد هرات صفى الله أفضلي الذي استشهد في (١٩٨٧/٧/٧م) عندما دخل السيارة قال للجالسين فيها: إني أشم رائحة غريبة لعلها رائحة الجنة، رائحة الشهادة، وفعلا كانت الشهادة التي أعدها الله بعد ساعات من شم رائحة الجنة، وهذا يحلق بنا فنعيد في أذهاننا قصة أنس بن النضر يوم أحد إذ يقول لسعد بن معاذ "واها يا أبا عمرو الجنة إني لأجد ريحها من دون أحد" وهذا الذي حصل مع شهيدنا الثالث: عبد الرحمن أمير المأسدة (سيد محمد عبد المجيد) اذ يرسل إلى أبي محمود رسالة يطلب فيها أشياء قائلا في الرسالة: (احتملنا يومين فقط، ثم تسترح منا) ومضى عبد الرحمن بعد يومين إلى ربه " انتهى.

ومن القصص أيضا:

قال الذهبي في السير في ابن مازة شيخ الحنفية رحمه الله: " رزقه الله تعالى الشهادة على يد الكفرة بعد وقعة قطوان وانهزام المسلمين.

قال السمعاني: فسمعت أنه لما خرج، كان يودع أصحابه وأولاده وداع من لا يرجع، رحمه الله تعالى" انتهى، فهو بحسن ظنه ويقينه عرف حصوله على الشهادة بخروجه.

قال الذهبي في السير في فخر الدين بن شيخ الشيوخ: " قيل: إنه لما قدم مع السلطان دمشق نزل في دار سامة، فدخل عليه الشيخ العماد ابن النحاس، فقال له: يا فخر الدين، إلى كم ما بعد هذا شئ ؟ فقال: يا عماد الدين، والله لأسبقنك إلى الجنة، فصدق الله قوله إن شاء الله، واستشهد يوم وقعة المنصورة " انتهى.

قال الشيخ عبد الله عزام رحمه الله في كتابه عشاق الحور عن الشهيد أحمد الزهراني من الطائف: كان أحمد يحس – والله أعلم – أن هذا اليوم قد يكون آخر عهده بالدنيا، فودع أخاه أبا حذيفة – من الطائف– قائلا سلم على والدي، فإني اليوم شهيد.

وقال عنه أيضاً: وتحت قذائف نيران العدو، وفي جنح الظلام يتسلل بعض الشباب ويحضرون جثة أحمد، فوجدوه مبتسما كحالته التي فارق عليها الحياة، ويشهد لي أبو حذيفة أنه شم رائحة طيبة تخرج من جسده " انتهى.

وقال أيضا في قصة أخرى: سجل المسؤول أسماء الأخوة المشتركين [في معركة أندراب- بغلان] فكانوا مئة وعشرة من المجاهدين، وسجل بجانب اسم أبي عاصم - أحد المشاركين العرب - كلمة شهيد.

قال عبد الله أنس: قلت للأخ الذي سجل الأسماء (صفي الله) أنت مستعجل على العرب نحن اثنان تريدون أن يذهب واحد إلى ربه ويبقى واحد ؟ قال صفي الله: أقسم أنه لن يرجع، أولا ترى نور الشهادة بين عينيه ؟ انظر إلى وجهه، ثم أقسم ثالثة ورابعة أن أبا عاصم شهيد في هذ المعركة... وانطلق المجاهدون يكبرون وكان من أوائلهم أبو عاصم وشاه قلندر فأصابتهم رصاصات واستشهدا، فكانا هما فقط الصائمين الشهيدين، دون أن يستشهد غيرهم.

٣. السعي في طلب الشهادة والتعرض لها:

جاءت الشريعة بالأمر بالأخذ بالأسباب وبذلها وعدم تركها، وأجرى الله سنته الكونية بربط المسببات بأسبابها، فحصول المسببات مبني على وجود أسبابها، وعدم الأخذ بالأسباب قدح في الشرع والعقل.

وقد جعل الله الجهاد سببا لنيل الشهادة وطريقا لها، فمن أراد الشهادة صادقا، فعليه بالسعي إليها والبحث عنها في مظانها ولا وسيلة لذلك إلا الجهاد في سبيل الله، فعليه بالخروج من بيته واللحاق بركب المجاهدين وخوض معمعات الحروب وشدائد القتال حتى يفوز بالشهادة، وهذا هو الرجاء المحمود الذي يرجى لصاحبه أن يرزق الشهادة، وهو أن يريد ويرجو الشهادة مع بذله السبب، وهو أيضا علامة على صدق صاحبه في طلب الشهادة.

أما أن يقعد الشخص في بيته ويزعم أنه يحب الشهادة ويريدها، ولا يخرج إلى الجهاد ولا يسعى لها، وهو قادر على ذلك، فليس هناك مانع يمنعه ولا حابس يحبسه، وطريق الجهاد مفتوح له، فهذا غارق في بحر المنى المذمومة والأحلام الزائفة الذي قال عنه ابن القيم في المدارج " وهو بحر لا ساحل له، وهو البحر الذي يركبه مفاليس العالم، كما قيل إن المنى رأس أموال المفاليس، وبضاعة ركابه مواعيد

الشيطان وخيالات المحال والبهتان، فلا تزال أمواج الأماني الكاذبة والخيالات الباطلة تتلاعب براكبه كما تتلاعب الكلاب بالجيفة، وهي بضاعة كل نفس مهينة خسيسة سفلية ليس لها همة تنال بها الحقائق بل اعتاضت بالأماني الذهبية " انتهى كلامه.

قال أبو تمام:

من كان مرعى عزمه وهمومه ** روض الأماني لم يزل مهزولا

وحاله كمن يريد أن يأتيه الولد وتأخذه الأحلام والمنى في ذلك، ويصبح ويمسي مشغلا فكره في ذلك، ولما يتزوج بعد.

نعم إن كان مراده شهادة الآخرة، فممكن أن تأتيه في بيته، لكن كلامنا نحن على شهادة المعركة، وانظر إلى حديث البراء السابق في حسن ظنه بربه، فقد استدل البراء بسعيه في طلب الشهادة بقتاله للمشركين وقتله مائة مشرك مبارزة على أنه لا يموت على فراشه، أما من لم يستطع السعي في طلب الشهادة والخروج إلى الجهاد لعذر أو مانع، فهذا لا يلام، وليس كلامنا عنه، وهذا عليه أن لا ييأس، فالله على كل شيء قدير، وهو لطيف لما يشاء، إذا أراد أن يرزقه الشهادة رفع موانعه وأزال عوائقه ويسر له طريقها وأسبابها، وعليه بما بقي مما سنذكره من الأمور التي تنال بها الشهادة من الدعاء والتوكل وغيره.

ولله در القائل:

حاول جسيمات الأمور ولا تقل ** إن المحامد والعلى أرزاق

وارغب بنفسك أن تكون مقصرا ** عن غاية فيها الطلاب سباق

وقال الآخر:

لقد سعينا فلم تضعف عزائمنا ** عما نروم ولا خابت مساعينا

لا يظهر العجز منا دون نيل منى ** ولو رأينا المنايا في أمانينا

وأخيرا نقول:

قل لمرجي معالي الأمور ** بغير اجتهاد رجوت المحالا

٤. محبة الله تعالى:

قد سبق أن ذكرنا أن الله تعالى اصطفى الشهداء لأنه يحبهم، وقد أخبر الله عن المنافقين الذين انخذلوا عن النبي ﷺ يوم أحد، أنه لم يتخذهم شهداء لأنه لا يحبهم في قوله: ﴿**وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾ **آل عمران**، أي فلا يصطفيهم.

قال ابن القيم في الزاد في الحكم والغايات من وقعة أحد: " قال: " ثم ذكر حكمة أخرى وهي اتخاذه سبحانه فيهم شهداء، فإنه يحب الشهداء من عباده، وقد أعد لهم أعلى المنازل وأفضلها، وقد اتخذهم لنفسه، فلابد أن ينيلهم درجة الشهادة، وقوله: (**وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**) تنبيه لطيف الموقع جدا على كراهته وبغضه للمنافقين الذين انخذلوا عن نبيه يوم أحد، فلم يشهدوه، ولم يتخذ منهم شهداء، لأنه لا يحبهم، فثبط هؤلاء الظالمين عن الأسباب التي وفق لها أولياءه وحزبه " انتهى كلامه.

وانظر يا أخي إلى الأنصار لما كانوا من أحب الناس إلى النبي ﷺ كما جاء أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله ﷺ ومعها صبي لها، فكلمها رسول الله ﷺ فقال (**والذي نفسي بيده إنكم أحب الناس إلي**) مرتين " رواه البخاري.

والرسول ﷺ لن يحب إلا ما يحب الله، فكانوا أكثر أحياء العرب شهداء، فعن أنس رضي الله عنه قال: (يا رب السبعين من الأنصار: سبعين يوم أحد، وسبعين يوم بئر معونة، وسبعين يوم مؤتة، وسبعين يوم اليمامة) رواه البيهقي في دلائل النبوة.

ويثني عليهم بذلك قتادة فيقول: (ما نعلم حيا من أحياء العرب أكثر شهيدا أعز يوم القيامة من الأنصار، قال قتادة: وحدثنا أنس بن مالك: أنه قتل منهم يوم أحد سبعون ويوم بئر معونة سبعون ويوم اليمامة سبعون، وقال: وكان بئر معونة على عهد رسول الله ﷺ، ويوم اليمامة على عهد أبي بكر يوم مسيلمة الكذاب) رواه البخاري.

وعلى هذا فمن أراد أن يصطفى بالشهادة، فلابد أن ينال محبة الله تعالى له قبل ذلك حتى يصطفيه الله، وعليه أن يبحث في الأمور التي تنال بها محبة الله تعالى أو أخبر الله تعالى أنه يحب أهلها أو يحب من يتحلى بها حتى يحبه الله، كما قال تعالى: (والله يحب الصابرين) (والله يحب المحسنين) وفي

الحديث القدسي: (**ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه**) رواه البخاري عن أبي هريرة مرفوعا وغير ذلك.

وهناك أمور وصفات خاصة يحبها الله ويصطفي من يتحلى بها للشهادة، وهي قسمان:

القسم الأول: صفات أخبر بها الشارع أنه يصطفي أهلها بالشهادة، وهي مذكورة في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ **التوبة**، فهذه صفات الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم وهم الشهداء، قال ابن كثير في تفسيره:

"هذا نعت المؤمنين الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم بهذه الصفات الجميلة والخلال الجليلة (**التائبون**) من الذنوب كلها التاركون للفواحش (**العابدون**) أي القائمون بعبادة ربهم محافظين عليها، وهي الأقوال والأفعال، فمن أخص الأقوال الحمد، فلهذا قال: (**الحامدون**) ومن أفضل الأعمال الصيام، وهو ترك الملاذ من الطعام والشراب والجماع، وهو المراد بالسياحة ههنا، ولهذا قال: (**السائحون**) كما وصف أزواج النبي ﷺ بذلك في قوله تعالى: (**سائحات**) أي صائمات، وكذا الركوع والسجود وهما عبارة عن الصلاة، ولهذا قال: (**الراكعون الساجدون**) وهم مع ذلك ينفعون خلق الله ويرشدونهم إلى طاعة الله بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، مع العلم بما ينبغي فعله ويجب تركه وهو حفظ حدود الله في تحليله وتحريمه علما وعملا، فقاموا بعبادة الحق ونصح الخلق، ولهذا قال: (**وبشر المؤمنين**) لأن الإيمان يشمل هذا كله، والسعادة كل السعادة لمن اتصف به " انتهى كلامه.

القسم الثاني: صفات ثبتت بالواقع والمشاهدة والاستقراء، فقد تتبع كثير من المجاهدين من يُصطفون بالشهادة، فوجدوا أنهم يتفقون في صفات معينة توجد فيهم، ووجدوا أن من اتصف بهذه الصفات سرعان ما يصطفى بالشهادة، واستفاض ذلك عندهم وهذه الصفات هي:

الصفة الأولى: الخدمة:

خدمة المسلمين والقيام بشؤونهم في الجهاد عمل صالح وأجره عظيم، فقد ورد عن أنس رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ أكثرنا ظلا الذي يستظل بكسائه، وأما الذين صاموا فلم يعملوا شيئا، وأما

الذين أفطروا فبعثوا الركاب وامتهنوا وعالجوا، فقال النبي ﷺ: **(ذهب المفطرون اليوم بالأجر)** رواه البخاري.

وقد انتشر بين المجاهدين أن أول من يقتل غالبا القائمين بالخدمة.

وقال ابن النحاس في المشارع: " وقد كان السلف رضي الله عنهم إذا خرجوا غزاة يجتهد كل منهم أن يكون خادم رفقائه، وأن يدخل عليهم من السرور ما قدر عليه، وأن ينفق عليهم ما وجد السبيل إليه، وأن يؤثرهم إذا لم يجد سعة بما يقدر عليه، احتسابا لذلك عند الله عز وجل وابتغاء مرضاته ورغبة في ثوابه ".

وقال أيضا:"وقال يونس السهاك: كان شيخ منا إذا غزا اشترط على أصحابه خدمتهم، فإذا أراد أن يغسل رأسه أو ثوبه قال: هذا من شرطي، قال: فحظرت موته وغسله، فإذا في يده اليمنى مكتوب من أهل الجنة، فذهبت أنظر فإذا هو بين اللحم والجلد " انتهى كلامه.

الصفة الثانية: سلامة الصدر:

وذلك بأن يكون صدره سليما على إخوانه المسلمين من الغل والغش والحقد والبغض والمكر وغير ذلك، وسلامة الصدر لوحدها عمل عظيم، وهي مما يدخل به المرء الجنة كما جاء في حديث عبد الله بن عمرو عند أحمد وغيره.

الصفة الثالثة: السلامة من الحظوظ النفسية:

وذلك بأن لا يكون لنفسه، بل لإخوانه المجاهدين، فلا يستأثر عليهم بشيء، بل يؤثرهم على نفسه، ولا ينتقم لنفسه ولا ينتصر لها، بل يكرس كل ما يملك لإخوانه ويقدمهم على نفسه، كما قال تعالى: **﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ الحشر.**

قال الشيخ عبد الله عزام في كتابه عشاق الحور:

ورأيت معظم الشهداء الذين عشت معهم تجمعهم صفات على رأسها:

١. حفظ اللسان عن المسلمين .

٢. سلامة الصدر على المسلمين.

٣. العمل بصمت والبعد عن ضجيج الإعلام.

٤. طاعة الأمير – إن كان في الساقة كان في الساقة-.

٥. قلة النقاش فيما يوجهون إليه .

٦. الحياء الجم والأدب الرفيع والإحترام الشديد للعلماء والكبار والمسؤولين.

٧. الحرص الشديد على البقاء داخل الجبهة والنفور من جو الراحة والدعة والاستقرار.

٨. ألسنتهم لا تلهج إلا بذكر محاسن المسلمين، ولا يرون للجبهات ولا للمجاهدين إلا فضلا عليهم، ويرون أنفسهم صغارا بجانب هؤلاء الذين صمدوا صمود ا تنوء به الراسيات، ورحم الله امرءا عرف حده فوقف عنده.

من هؤلاء عرفت:

- أبا حمزة (ماهر شلبك) عمل بصمت وبأدب رفيع وحياء وأحب الأفغان وأحبوه فاختاره الله شهيدا بينهم.
- أبو عثمان (عبد الله الفيلكاوي) لا يعرف النقاش، سألني سؤالا واحدا ما عقب عليه ما رأيك أذهب أم أبقى ؟ فأشرت إليه بالذهاب فلم يلفظ ببنت شفته، ومضى في رحلته وإلى الأبد.
- يحيى كان فرحا بما يوكل إليه من أعمال، سعيدا بتنفيذ الأوامر مع سلامة صدر ومرح بريئ ومزاح مؤدب، فاختاره الله.
- أبوعقبة (محمد بن إبراهيم) رقمه السادس عشر في قائمة الشهداء العرب على إثر قصف جوي على منطقة شناري- قندهار، بينما كان يهم ليتوضأ... هنيئا لك أبا عقبة على منحك وسام الشهادة الرباني، فقد تنسم الإخوة رائحة المسك المنبعثة من جسدك الطاهر عند استشهادك وعند دفنك " انتهى كلامه.

فهذه الصفات تستوجب محبة الله التي بها تستوجب الشهادة، وهذه الصفات ليست شروطا حتمية مطردة يجب توفرها في كل شهيد، لكنها صفات توجد في كثير من الشهداء الذين يقتلون، وإلا فقد يقتل الشخص شهيدا وليست فيه.

٥. الازدياد من الطاعات والأعمال الصالحة:

أمر الله عباده بالاستكثار من الأعمال الصالحة، وجعل على ذلك الأجور العظيمة في الآخرة، وهذا هو الأصل في الجزاء.

وقد يجازي الله عبده المؤمن على عمله الصالح في الدنيا، وذلك بأن ينعم عليه بنعم سواء كانت دينية أو دنيوية.

فأما الدنيوية فمعروفة، وأما الدينية بأن يوفقه لعمل صالح آخر أو طاعة أخرى، كما قيل: إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها، والحسنة تقول: أختي أختي حتى يعملها صاحبها.

ألا وإن من أفضل ما جوزي به الصالحون على أعمالهم الصالحة، وأفضل ما يؤتونه وينعم به عليهم الشهادة في سبيل الله، كما جاء عن سعد بن أبي وقاص أن رجلا جاء إلى الصلاة ورسول الله ﷺ يصلي فقال حين انتهى إلى الصف: اللهم آتني أفضل ما تؤتي عبادك الصالحين، قال: فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال: (**من المتكلم آنفا ؟**) قال الرجل: أنا يا رسول الله قال: (**إذا يعقر جوادك وتستشهد في سبيل الله**) رواه أبو يعلى والبزار والحاكم، وقال صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي وأحد إسنادي البزار رجاله رجال الصحيح خلا محمد بن مسلم بن عائذ وهو ثقة.

وإذا كان الأمر كذلك كانت الطاعات والعمل الصالح سببا في أن يرزق صاحبها الشهادة في سبيل الله.

وقد ورد عند البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال: (وجد الناس وهم صادرون - يعني من الحج - امرأة ميتة بالبيداء، يمرون عليها ولا يرفعون لها رأسا، حتى مر بها رجل من بني ليث يقال له كليب بن بكير، فألقى عليها ثوبه، ثم استعان عليها من يدفنها، فدعا عمر عبد الله - يعني ابنه — فقال: هل مررت بهذه المرأة الميتة ؟ فقال: لا، فقال عمر: لو حدثتني أنك مررت بها لنكلت بك، ثم قام عمر بين ظهراني الناس فتغيظ عليهم فيها، وقال: لعل الله يدخل كليبا الجنة بفعله بها، فبينما كليب يتوضأ عند المسجد جاءه أبو لؤلؤة - قاتل عمر رضي الله عنه - فبقر بطنه، قال نافع: وقتل أبو لؤلؤة مع عمر سبعة نفر).

قال الحافظ في الفتح: " فروينا في جزء أبي الجهم بالإسناد الصحيح إلى ابن عمر أنه كان مع عمر صادرا من الحج فمر بامرأة فدفنها كليب الليثي، فشكر له ذلك عمر وقال: أرجو أن يدخله الله الجنة، قال: فطعنه أبو لؤلؤة لما طعن عمر فمات " انتهى كلامه.

فانظر كيف أنه عمل عملا صالحا وهو مواراة المرأة، فجازاه الله في الدنيا بأن رزقه الشهادة التي بها يستوجب الجنة وهو يتوضأ مع عمر بن الخطاب، والحديث مسيق لذلك.

وورد أيضا عن أبي إسحاق أخبرني كدير الضبي أن رجلا أعرابيا أتى رسول الله ﷺ فقال: (أخبرني بعمل يقربني من طاعته ويباعدني من النار، قال (**أوهما أعملتاك ؟**) قال: نعم، قال: (**تقول العدل وتعطي الفضل**) قال: والله ما أستطيع أن أقول العدل كل ساعة، وما أستطيع أن أعطي فضل مالي، قال: (**فتطعم الطعام، وتفشي السلام**) قال: هذه أيضا شديدة، قال: (**فهل لك إبل ؟**) قال: نعم، قال: (**فانظر بعيرا من إبلك وسقاء، ثم اعمد إلى أهل أبيات لا يشربون الماء إلا غبا فاسقهم، فلعلك أن لا يهلك بعيرك، ولا ينخرق سقاؤك، حتى تجب لك الجنة) قال: فانطلق الأعرابي يكبر، قال: فما انخرق سقاؤه، ولا هلك بعيره، حتى قتل شهيدا**) قال: الحافظ المنذري: رواه الطبراني والبيهقي ورواة الطبراني إلى كدير رواة الصحيح، ثم قال: ولكن الحديث مرسل، وقال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح.

والشاهد من هذا أنه استوجب بهذا العمل الذي عمله من إسقاء الناس الشهادة في سبيل الله التي بها تستوجب الجنة.

وأيضا حديث البراء بن مالك السابق في حسن ظنه بربه، فهو أحسن الظن بالله بأنه قتل مائة من المشركين، على أن الله يجازيه على ذلك بالشهادة ولا يضيع عمله.

ولا يعني هذا أن يعمل العبد الصالحات ويستكثر منها لأجل أن يرزق الشهادة، ولكن يعمل لله تعالى خالصا لوجهه ولطلب ثوابه والشهادة ستأتي بالتبع.

وقد يقول قائل: سبق وأن ذكرنا في الفضائل بأن الشهادة لا يشترط لها سبق عمل ؟

فالجواب: نعم هذا في الأصل قد تهدى الشهادة إلى الشخص بدون سابق عمل، وقد تهدى له ثوابا على عمل عمله.

٦. ترك الذنوب:

نهى الله عباده عن عصيانه وارتكاب ما نهى عنه وحرمه، أو ترك ما أمر به وأوجبه، وأعد لمن فعل ذلك عقوبات وزواجر عظيمة متنوعة في الدنيا والآخرة.

ففي الآخرة عذاب النار – والعياذ بالله – وأما في الدنيا فجميع ما يصيب الشخص من مصائب دينية أو دنيوية وما يكرهه ويؤلمه إنما هو من جراء ذنوبه وشؤم معصيته، كما قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**﴾ **الشورى.**

وقال تعالى: ﴿ **أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ** ﴾ **آل عمران.**

وقال تعالى: ﴿ **وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ** ﴾ **النساء.**

فللذنب شؤم يتابع صاحبه ويلاحقه، والمصائب الدينية أعظم عقوبة وأثرا من المصائب الدنيوية، فبعضهم انتكس عن دين الله تعالى وارتد بسبب معاصيه، وبعضهم نسي القرآن، وبعضهم نسي علمه وغير ذلك، والعياذ بالله.

ومن المصائب الدينية حرمان التوفيق للطاعات، كما قيل للحسن البصري: عجزنا عن قيام الليل، فقال: (قيدتكم ذنوبكم) ومن أعظم ذلك حرمان الشهادة في سبيل الله، ولا يعرف قدر هذه المصيبة والكارثة والعقوبة إلا من عرف الشهادة وفضائلها وطلبها وتعلق بها، وقد قال تعالى: **(والله لا يحب الظالمين)** أي فلا يصطفيهم شهداء، وهذا يدخل فيه ظلم النفس بالمعاصي، فلا يحبهم ولا يصطفيهم.

وقال تعالى: ﴿ **فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ**﴾ **التوبة.**

قال ابن كثير في تفسيره: " يقول تعالى آمرا لرسوله عليه الصلاة والسلام **(فإن رجعك الله)** أي ردك الله من غزوتك هذه **(إلى طائفة منهم)** قال قتادة: ذكر لنا أنهم كانوا اثنا عشر رجلا **(فاستئذنوك للخروج)** أي معك إلى غزوة أخرى **(فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا)** أي تعزيرا لهم وعقوبة، ثم علل ذلك بقوله **(إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين)** وهذا كقوله تعالى:

(ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون) فإن من جزاء السيئة السيئة بعدها كما أن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها كما قال في عمرة الحديبية: **(سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل)**" انتهى كلامه.

وقال الحافظ في الفتح على حديث كعب بن مالك وتوبته: " وفيه أن المرء إذا لاحت له فرصة في الطاعة، فحقه أن يبادر إليها ولا يسوف بها، لئلا يحرمها كما قال تعالى: **(يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه)** ومثله **(ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون)** ونسأل الله تعالى أن يلهمنا المبادرة إلى طاعته، وأن لا يسلبنا ما خولنا من نعمته " انتهى كلامه.

فانظر كيف جعل التخلف عن الجهاد مع الرسول ﷺ ذنبا وعاقب عليه بالمنع من الخروج إلى الجهاد أبدا، فكذا قد يمنع الشخص من الشهادة ويحرمها بذنوب اكتسبها.

فإن قلت: إنا نرى أناسا فساقا وأصحاب ذنوب ومعاصي يستشهدون ؟

فالجواب: أن الذنوب تحت المشيئة إن شاء الله عاقب عليها صاحبها – ومن العقوبة أن يحرمه الشهادة – وإن شاء عفا عنه ولم يؤاخذه بذنبه.

فعلى من رغب في الشهادة أن يتوب إلى الله من جميع الذنوب صغيرها وكبيرها، قديمها وحديثها، حتى يصطفيه الله عز وجل من الشهداء، ويجعله في ثلة السعداء.

- قال الشيخ عبد الله عزام في كتاب عشاق الحور عن عبد الله النهمي الذي استشهد في أفغانستان إبان حربها مع الروس: " الدعاء الجميل: كان النهمي يردد في دعائه: (اللهم لا تجعل ذنوبنا سببا في حجز الشهادة عنا) ولعل الله قد استجاب دعاءه ولبى أمنيته وحقق رغبته " انتهى كلامه.

٧. تجنب النفاق وخصاله:

أبغض شيء إلى المنافقين في الإسلام الجهاد في سبيل الله، وذلك من زمن الرسول ﷺ إلى زمننا الحاضر، وذلك لما يحمله الجهاد من المشاق والمتاعب وفناء الأنفس والأموال، وهم لا يؤمنون بالله ورسوله وما أعد للمجاهدين والشهداء من الأجور، فتجده أشق وأصعب شيء عليهم.

ولذلك انخذلوا عن النبي ﷺ يوم أحد، وإذا خرج الرسول ﷺ إلى الجهاد تخلفوا عنه، وإذا رجع اعتذروا إليه بالكذب والبهتان، والمنافقين هم أبغض الخلق إلى الله، وليسوا أهلا للشهادة، فلذلك لا يصطفيهم الله تعالى بها بل لا يوفقهم للجهاد الذي تنال به الشهادة والخروج إليه ويثبطهم عن ذلك، كما قال تعالى: ﴿ **وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ**﴾ **التوبة**، وقال تعالى: ﴿ **فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ**﴾ **التوبة**، وكل هذه الآيات نزلت في المنافقين، وقد سبق ذكر كلام ابن القيم في قوله تعالى: (**والله لا يحب الظالمين**) أن ذلك المقصود به المنافقين الذين انخذلوا عن النبي ﷺ يوم أحد، فلم يصطفيهم شهداء لنفاقهم.

وقد جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (لما سار رسول الله ﷺ إلى تبوك جعل لا يزال يتخلف الرجل، فيقولون: يا رسول الله تخلف فلان، فيقول: **دعوه إن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه**) رواه الحاكم في المستدرك، وصححه، ولكن ضعفه الألباني في الضعيفة.

فهذا يدل على أن الرجل حتى يوفق للجهاد لابد أن يكون فيه خير، والمنافقين ليس فيهم خير فلا يوفقون، فمن أراد أن يرزق الشهادة عليه أن يتجنب النفاق وصفات أهله وخصالهم، سواء العملية أو الاعتقادية، حتى يكون أهلا لهذه المنزلة لكي يصطفيه الله تعالى.

٨. تزكية النفس وتطهيرها من دسائسها الخبيثة:

خلق الله النفس الإنسانية ألوانا مختلفة، فمن النفوس من هي خبيثة خبثا محضا، لا طيب فيه، ومن النفوس من هي طيبة مطمئنة، لا خبث فيها، ومن النفوس ما تجمع بين الأمرين، ويكون فيها صفات طيبة وصفات خبيثة، كالكبر والشح والبخل والتعصب والعجب والتعاظم وحب الدنيا وغير ذلك من أمراض النفوس ودسائسها.

والله عز وجل اشترى أنفس المؤمنين منهم، وجعل الثمن هو الجنة، فالسلعة هي النفس، والمشتري هو الله تعالى، والبائع هو المؤمن، والثمن هو الجنة، والسوق الذي تعرض فيه هذه السلع على الله هو الجهاد في سبيل الله، فمشتراة منه سلعته ومستشهد، وآخر مردودة عليه سلعته وبيعه، فالعارضون كثر، والسلع الصالحة للشراء قليلة.

وفي هذا العرض والاعتراض على الله يقول عمرو بن العاص رضي الله عنه لما قيل له أيهما أفضل أنت أم هشام أخوك ؟ فقال: (سأخبركم عن ذاك، إنا أسلمنا فأحببنا الرسول ﷺ وناصحناه، فذكر يوم اليرموك فقال: أخذت بعمود الفسطاط حتى اغتسل – أي أخوه – وتحنط وتكفن، ثم أخذ بعمود الفسطاط حتى اغتسلت وتحنطت وتكفنت، ثم اعترضنا على الله تعالى فقبله فهو خير مني، قبله فهو خير مني، قبله فهو خير مني) رواه ابن المبارك.

ومن عرض سلعته في أي سوق وهي معيبة، ليست بطيبة، كسدت ولم يشترها أحد، فما بالك إذا كان المشتري هو الله تعالى الطيب الذي لا يقبل إلا الطيب، ولا يشتري إلا الطيب السالم من العيوب والخبائث، فمن رغب أن تشترى منه سلعته وهي نفسه، فعليه أن يطهرها ويصفيها من العيوب والدسائس الخبيثة، كالكبر والعجب والغل وحب الدنيا وغير ذلك حتى تكون نفسا طيبة مطمئنة، آهلة لأن تشترى وتصطفى بالشهادة.

قال ابن القيم في البدائع: " ويحك نفسك سلعتك وقد استامها المشتري بأفخر الثمن، فاجهد في إصلاح عيوبها لعله يرضى بها " انتهى كلامه.

وعليه أن يستحيي من أن يعرض سلعته على الذي يعلم السر وأخفى وهي معيبة، أو يسلمها إليه وهي معيبة.

قال ابن القيم في المدارج: "الدرجة الثالثة: المروءة مع الحق سبحانه، بالاستحياء من نظره إليك، واطلاعه عليك في كل لحظة ونفس، وإصلاح عيوب نفسك جهد الإمكان. فإنه قد اشتراها منك، وأنت ساع في تسليم المبيع، وتقاضي الثمن، وليس من المروءة: تسليمه على ما فيه من العيوب، وتقاضي الثمن كاملا " انتهى كلامه.

وهذه الأضحية التي تذبح في يوم العيد يشترط فيها كي تقدم لله كقربان أن لا تكون معيبة، وكلما كانت أطيب وأسمن كان أفضل عند الله وأعظم أجرا، فكذا النفس في الجهاد تقدم كقربان فيجب أن يصلح من حالها وأن يتم تطييبها.

قال ابن القيم في المدارج: " أن من بذل نفسه لله بصدق كره بقاءه معها؛ لأنه يريد أن يتقبلها من بذلت له، ولأنه قد قربها له قربانا، ومن قرب قربانا فتقبل منه، ليس كمن رد عليه قربانه، فبقاء نفسه معه دليل على أنه لم يتقبل قربانه " انتهى كلامه.

ولذا تجد من سبقت له من الله السعادة، وأراد أن يصطفيه بالشهادة، وكانت نفسه طيبة ولكن فيها دسائس خبيثة، ولم يزكها ويطهرها هو من هذه الدسيسة، طهرها الله له بالابتلاءات وغيرها حتى إذا كان طيبا محضا اصطفاه شهيدا.

جاء في كتاب سير شهداء أرض الرافدين في سيرة الشهيد أبي حمزة الحضرمي " اسشتهد وهو يقول ويردد: ربي هذه بضاعتي أعرضها بين يديك فإنها منك ولا أريد بها إلا رضاك " انتهى.

٩. الصدق:

قال ابن القيم في المدارج: " وهي منزلة القوم الأعظم الذي تنشأ منه جميع منازل السالكين، والطريق الأقوم الذي من لم يسر عليه فهو من المنقطعين الهالكين، وبه يتميز أهل النفاق من أهل الإيمان، وسكان الجنان من أهل النيران، وهو سيف الله في أرضه الذي ما وضع على شيء إلا قطعه، ولا واجه باطلا إلا أرداه وصرعه من صال به لم ترد صولته، ومن نطق به علت على الخصوم كلمته، فهو روح الأعمال، ومحك الأحوال، والحامل على اقتحام الأهوال، والباب الذي دخل منه الواصلون إلى حضرة ذي الجلال، وهو أساس بناء الدين، وعمود فسطاط اليقين " انتهى كلامه.

وقال في معنى الصدق في المدارج: " الصدق هو حصول الشيء وتمامه وكمال قوته واجتماع أجزائه، كما يقال عزيمة صادقة إذا كانت قوية تامة، وكذلك محبة صادقة وإرادة صادقة، وكذا قولهم حلاوة صادقة إذا كانت قوية تامة ثابتة الحقيقة لم ينقص منها شيء، ومن هذا أيضا صدق الخبر لأنه وجود المخبر بتمام حقيقته في ذهن السامع، فالتمام والوجود نوعان: خارجي، وذهني، فإذا أخبرت المخاطب بخبر صادق حصلت له حقيقة المخبر عنه بكماله وتمامه في ذهنه، ومن هذا وصفهم الرمح بأنه صادق الكعوب إذا كانت كعوبه صلبة قوية ممتلئة " انتهى كلامه.

وقال ابن قدامة في مختصر منهاج القاصدين في معنى الصدق: " وإذا غلب الشيء وتمت حقيقته سمي صاحبه صادقا " انتهى كلامه.

والصدق من أعظم الأعمال القلبية، وقد جعله النبي ﷺ سببا في نيل الشهادة لمن طلبها، بل هو ركن عظيم في الحصول عليها، فما فاز من فاز بالشهادة إلا بالصدق، وما تخلف من تخلف عن الشهادة إلا بفقده للصدق، فإن من صدق الله في طلبه فإن الله لن يخيب رجاه وصدقه، فإذا عامل الله بالتمام في أموره، عامله الله تعالى بالتمام في جزائه.

عن شداد بن الهاد رضي الله عنه أن رجلا من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ فآمن به واتبعه، ثم قال: (أهاجر معك، فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه، فلما كانت غزوة غنم النبي ﷺ سبيا فقسم وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا ؟ قالوا: قسم قسمه لك النبي ﷺ، فأخذه فجاء به إلى النبي ﷺ فقال: ما هذا ؟ قال: **(قسمته لك)** قال: ما على هذا اتبعتك، ولكني اتبعتك على أن أرمى إلى هاهنا - وأشار إلى حلقه - بسهم فأموت، فأدخل الجنة، فقال: **(إن تصدق الله يصدقك)** فلبثوا قليلا ثم نهضوا في قتال العدو، فأتي به النبي ﷺ يحمل، قد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبي ﷺ (أهو هو ؟) قالوا: نعم، قال: **(صدق الله فصدقه)** ثم كفنه النبي ﷺ في جبة النبي ﷺ، ثم قدمه فصلى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته **(اللهم هذا عبدك خرج مهاجرا في سبيلك، فقتل شهيدا، أنا شهيد على ذلك)** رواه عبد الرزاق والنسائي، وصححه الألباني في صحيح النسائي.

فانظر إلى قوله **(إن تصدق الله يصدقك)** فاشترط لكي يصدق الله معه ويعطيه تمام طلبه أن يصدق هو مع الله في طلبه للشهادة، ثم لما رزقه الله الشهادة، أخبر النبي ﷺ أن سبب حصوله عليها هو صدقه، فقال: **(صدق الله فصدقه)** كما قال تعالى: ﴿ **لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ**﴾ **الأحزاب.**

وقد روى ابن المبارك حديث عمير بن الحمام يوم بدر وزاد فيه (فقال رسول الله ﷺ: **(ما أردت بقولك بخ بخ ؟)** قال: يا رسول الله علمت أني إن دخلتها كان لي فيها سعة، قال: **(أجل)** ثم قال: يا رسول الله كم بيني وبينها ؟ قال: **(أن تلقى هؤلاء القوم فتصدق الله)** قال: فألقى تمرات كن في يده، وقال: تخلى من الدنيا، ثم تقدم فقاتل حتى قتل).

فأرشده إلى أن ما بينه وبين الجنة إلا أن يصدق مع الله تعالى في قتال القوم وطلب الشهادة.

وبناء على معنى الصدق السابق، فالصدق في طلب الشهادة يكون بأربعة أمور، وله أربعة أركان:

١. الصدق في النية والإرادة، وذلك بأن يكون طلبه للشهادة خالصا لوجه الله تعالى، لا يشوبه شائبة شرك، ولا التفات إلى حظوظ النفس.

٢. الصدق في إرادته للشهادة وحبها لها، فلا تكون إرادته لها وحبه لها ضعيفا، بل تاما وقويا، وله حقيقة ووجود.

٣. الصدق في عزمه على طلب الشهادة، بأن تكون عزيمته على طلب الشهادة قوية تامة، ليس فيها تردد ولا ضعف.

٤. الصدق في الوفاء بهذا العزم، بأن يوفي بما عزم عليه وفاء تاما، لا نكوص فيه، ولا رجوع بما عزم عليه، فإن العزم قد يكون قويا، لكن إذا تحققت الحقائق، ورؤيت المشاق، وتتابعت المتاعب، وعوين الموت، نكص ورجع وترك ما عزم عليه، ولذلك قال تعالى: ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا** ﴾ **الأحزاب**.

ولما كان يوم اليرموك، قال الناس للزبير: احمل ونحمل معك فقال: (إن حملت كذبتم) والحديث في البخاري، يعني إن حملت على القوم خانتكم عزائمكم وكذبت في الوفاء ولم تحملوا معي، فأطلق على عدم وفائهم بما عزموا عليه من الحمل، وعدم إتمامهم له كذبا، قال المتنبي:

وما كل من قال قولا وفى ** ولا كل من سيم خسفا أبى

وكل هذه الأمور موجودة في حديث شداد السابق، فهذا الذي استشهد أخلص لله في طلب الشهادة، ولهذا لم يقبل بما قسم له من الغنيمة مع أنه حلال له، وبين أنه لم يخرج إلى الجهاد لأجل الغنيمة، وإنما طالبا للشهادة وصدق في حبه وإرادته للشهادة، ولهذا ضحى بنفسه من أجل ذلك، ولم يقدم عليها أي محبوب من الدنيا ومن ذلك رده للغنيمة، وهو أيضا عزم على طلب الشهادة بقلبه، ووفى بما عزم عليه، وخرج مجاهدا في سبيل الله ولم ينكص أو يرجع عما عزم عليه، بل قاتل في سبيل الله العدو حتى قتل، فمن وفى هذه الأمور الأربعة حقها وأتمها على وجهها، فهو الصادق في طلب الشهادة، ومن أخل بواحدة منها لم يكن صادقا في طلب الشهادة.

ومن صور الوفاء بالعزم ما ورد في حديث معاذ في قصة الصحابي الذي شكى معاذا في تطويله بالصلاة، ففي رواية الطبراني أنه قال: (ولكن سترون غدا إذا لقينا القوم – والناس يتجهزون إلى أحد – فخرج الرجل فاستشهد) فهو وفى بما عزم عليه واستشهد.

وكذا من أعظم الصور كما سيأتي قصة أنس بن النضر يوم أحد.

وكذا ما رواه ابن أبي شيبة عن قيس بن أبي حازم قال: رأيت رجلا يريد أن يشري نفسه يوم اليرموك، وامرأته تناشده، قال: ردوا هذه عني، فلو أعلم أنه يصيبها الذي أصبت، ما نفست عليها، إني والله لأن استطعت لأمضي ولو يزول هذا من مكانه، وأشار بيده إلى جبل، فإن غلبتم على جسدي فخذوه، قال قيس: فمررنا عليه، فرأيته بعد ذلك قتل في تلك المعركة.

وقد كان الصحابة والسلف رحمهم الله يعزمون على طلب الشهادة أصدق العزم وأقواه، ويوطنون أنفسهم عليها، بحيث أنهم إذا خرجوا إلى الغزو يستعدون له استعداد من لا يريد الرجوع أو العود، ويصممون العزم على الحصول على الشهادة، فتراهم يتحنطون ويغتسلون استعدادا للموت ونيل الشهادة، ويكسرون جفان سيوفهم ويعقرون خيولهم عزما على عدم الرجوع وعلى الإقدام وطلب الشهادة، ويوصون إلى غيرهم وصية الميت الموقن بالموت، وذلك بعد صدق عزائمهم.

قال ابن النحاس في المشارع في تحنط ثابت يوم اليمامة:" وإنما كانوا يفعلون ذلك – والله أعلم – لتوطين النفوس على الموت وتصميم العزم على نيل الشهادة ".

وقال أيضا: " وقد يقوى الإنسان على الشيطان في خروجه إلى الجهاد في سبيل اللّه، ولا يقوى عليه في سعة الإنفاق مع القدرة، لما يوسوسه إليه من أنك إذا رجعت من جهادك، لا تجد لك مالا، وقد يحصل لك جراح، أو نهب، أو مرض، فترجع فقيرا ليس معك شيء، ولا لك مال تعول عليه، فاترك مالك إلى أن ترجع، واجتهد على توفير النفقة ما أمكنك، ونحو هذا الكلام، وإنما يسكن إلى هذه الوسوسة، من كان عنده دسيسة باطنة لا يشعر بها من حب الرجوع إلى الدنيا، وكراهة القتل في اللّه، والبخل ببذل النفس في سبيل اللّه، إذ لو كان يصمم العزم على طلب الشهادة صادقا في قصدها، لما تفكر في أحوال رجوعه، إذ لا يحدث نفسه بالرجوع أبدا، ولهذا كان السلف يكسرون جفون سيوفهم عند اللقاء، ويلقونها لغلبة ظنهم أنهم لا يرجعون، لما استولى على قلوبهم من حب الشهادة والشوق إلى لقاء اللّه، ورجاء الفوز العظيم بالقتل في سبيل اللّه.

وقد حكي عن بعض السلف أنه خرج مجاهدا حتى إذا تراءى – أي الجمعان – وصف الفريقان، جاء إليه الشيطان، فذكره زوجته وحسنها، وجمالها، وحبّبها إلى قلبه، وكره إليه فراقها، وذكره سعة عيشه، وكثرة ماله، ونحو ذلك، حتى كاد يجبن عن اللقاء ويهتم بالفرار، فأتاه التأييد الإلهي، من القوي المتين، فقال: يا نفس إن فررت فزوجتي طالق، وعبيدي وإمائي أحرار، وجميع ما أملكه صدقة للفقراء

والمساكين، أيطيب لك عيش مع الفقر وفراق الزوجة ؟ فقالت له نفسه: لا أحب الرجوع، قال: إذا فتقدمي " انتهى كلامه.

وقال أيضا: " وقد روى أبو المظفر بن الجوزي بإسناده حكاية تشبه هذه عن خلف بن هشام قال: حدثني شاب من النخع قال: بينا أنا ببعض الغزوات سمعت شابا يخاطب نفسه – ورأس فرسي عند عجز فرسه – وهو يقول: يا نفس في كل غزاة تقولين فلانة، وفلان، أولادك، ضياعك، مالك، فلانة طالق، عبيدي أحرار، أموالي في سبيل الله، لأعرضنك اليوم على الله عرضة، ثم حمل فقتل، فعددت به بضعا وثمانين جراحة ما بين ضربة وطعنة "انتهى كلامه.

قد رمت يوم نزالهم ** أن لا تحصنني الدروع

وبرزت ليس سوى القميص ** على الحشا شيء دفوع

ما سرت قط إلى القتا ** ل وكان من أملي الرجوع

ومن أصدق الصدق في طلب الشهادة وأعظم مظاهره، أن يحدد الشخص طريقة القتل التي يريد أن يستشهد بها ويتمناها ويصدق مع الله في ذلك، فيقع الأمر كما أراد وحدد، وهذا موجود في حديث شداد السابق، فهو أشار إلى حلقه لكي يأتيه سهم فيه فيقتله، فقتل على المكان الذي أشار إليه، وهذا كثير ما يحصل للشهداء الصادقين في القديم والحديث، فمن ذلك:

قال ابن الأثير في عسكر المسلمين المجاهدين الذين فتحوا بلاد فارس: " كان في ذلك العسكر يزيد بن معاوية النخعي وعلقمة بن قيس ومعضد الشيباني وأبو مفرز التميمي في خباء واحد، وعمرو بن عتبة، وخالد بن ربيعة، والحلحال بن ذري، والقرثع في خباء، فكانوا متجاورين في ذلك العسكر، وكان القرثع يقول: ما أحسن لمع الدماء على الثياب ! وكان عمرو بن عتبة يقول لقباء عليه: ما أحسن حمرة الدماء على بياضك ! ورأى — أي في المنام – يزيد بن معاوية أن غزالاً جيء به، لم ير أحسن منه فلف في ملحفة، ثم دفن في قبر لم ير أحسن منه عليه ثلاثة نفر قعود، فلما استيقظ، واقتتل الناس رمي بحجر، فهشم رأسه فمات، فكأنما زين ثوبه بالدماء وليس بتلطيخ، فدفن في قبر على الصورة التي رأى.

وقال معضد لعلقمة: أعرني بردك أعصب به رأسي، ففعل، فأتى برج بلنجر الذي أصيب فيه يزيد فرماهم، فقتل منهم، وأتاه حجر عرادة ففضخ هامته، فأخذه أصحابه فدفنوه إلى جنب يزيد، وأخذ

علقمة البرد فكان يغسله فلا يخرج أثر الدم منه، وكان يشهد فيه الجمعة ويقول: يحملني على هذا أن دم معضد فيه، وأصاب عمرو بن عتبة جراحة فرأى قباءه كما اشتهى ثم قتل، وأما القرثع فإنه قاتل حتى خُرق بالحراب " انتهى كلامه.

والقباء نوع من اللباس.

وهذا الأثر رواه سعيد بن منصور بلفظ آخر عن ابن يزيد قال: خرجنا في جيش نحو فارس فيهم علقمة بن قيس، ومعضد العجلي ويزيد بن معاوية النخعي، وعمرو بن عتبة بن فرقد، فحاصرنا قصرا وكان معنا صاحب لنا مريض، فحفرنا له قبرا، فرأى يزيد بن معاوية كأنه بغزيل أبيض حتى دفن في ذلك القبر، وكان يزيد أبيض خفيفا فجعل يتعرض القصر، فأصابه حجار فقتله، فجئنا به، فدفناه في ذلك القبر، وخرج عمرو بن عتبة يتعرض للقصر وعليه جبة بيضاء جديدة، فقال: ما أحسن تحدر الدم على هذه فأصابه حجر فقتله، فتحدر الدم على جبته، فدفناه، وخرج معضد يتعرض للقصر فأصابه حجر فشجه، فجعل يمسحها بيده ويقول: إنها لصغيرة، وإن الله عز وجل ليبارك في الصغيرة، فمات منها فدفناه ".

وروى أيضا عن علقمة قال: " غزونا خراسان في زمن معاوية، فإنا لمحاصرون حصنا من حصون حارزم، وأقمنا سنتين نصلي ركعتين، وما نصوص الفريضة، ومعنا معضد العجلي واقف عليه قباء له أبيض، فقال: ما أحسن أثر الدم في هذا القباء، فما كانت مقالته بأسرع من أن رمينا بالمنجنيق من الحصن، فانكسر ثلاث فرق، فأصابته فرقة منه، فجعل يمسها ويقول: إنها لصغيرة، وإن الله ليجعل في الصغيرة خيرا كثيرا، فانصرفنا به، فمات " فكان علقمة يلبس ذلك القباء بالكوفة، وقد غسل عنه أثر الدم، وقد بقي أثره، ويقول " إنه ليحبب إلي لبوس هذا القباء تذكري دم معضد فيه ".

قال الشيخ عبد الله عزام في كتاب عشاق الحور:

عن الشهيد تيسير دخيل الله الربيع: وقبل استشهاده بساعات في يوم الجمعة قال: أتمنى أن أستشهد بقذيفة طائرة وصدقه الله – أي استشهد بها –.

جاء في كتاب قصص الشهداء العرب عن الشهيد أبي الخلود اليمني "وكان رحمه الله ذو قلب رقيق وابتسامة دائمة الارتسام على شفتيه، خرج المجاهدون ذات يوم في منطقة شريشا الى الخط الأول للحراسة ورد تعرض للصرب وكان أحد المجاهدين يصور الشباب وهم منطلقون الى الجبهة، وأتى عند

أبي الخلود اليمني وقال له: أبوالخلود مارأيك بالشهادة؟ فرد عليه أبو الخلود بروحه المرحة: الشهادة فيها موت وأشار ناحية نحره، حتى وصل المجاهدون إلى الجبهة، وتعرض الصرب لهم فردهم المجاهدون، وأتت قذيفة هاون وسقطت بجانب أبي الخلود وأتته شظية بالمكان الذي أشار عليه وقت التصوير، سقط بعدها شهيدا إن شاء الله، وودع دار الغرور إلى دار الخلود إن شاء الله يا أبا الخلود، دفنه المجاهدون بإتجاه على غير اتجاه القبلة خطأ منهم غير متعمد، وبعد ثلاثة أشهر من دفنه يقول من حضر دفنه: ذهبنا لإخراجه من القبر، وحفرنا له قبرا جديدا باتجاه القبلة، ونحن نحفر قبره تراودنا التخيلات، كيف سيكون شكله بعد الدفن، ورائحته، وملامح وجهه بعد أن أكلها الدود، حتى وصلنا إلى جسده، وكلنا أعين مفتحة والقلوب ترجف من الخوف للمنظر القادم الأخير، فبان شيء من جسده، ثم بان جسده كله، الله أكبر والله ثم والله لم يتغير من جسده شيء، ولم تظهر رائحة كريهة منه بل والله كأنه نائم أخرجناه ودفناه في قبره الجديد ولم يتغير من جسده شئ بعد مرور ثلاثة أشهر، أليس بالكرامة ؟ بلى والله هي الكرامة التي حفظ الله بها جسده من التحلل وخروج رائحة الميت حتى نقوم بتعديل قبره " انتهى كلامه.

جاء في سلسلة شهداء الجزيرة الصادرة عن مؤسسة الملاحم في سيرة الشهيد أبي همام القحطاني " وأذكر في هذا الشأن قصة تبين همة إخواننا وصدقهم مع الله كما نحسبهم، فقد كان أبو همام جالسا مع بعض إخوانه ومن بينهم أبو الخير العسيري رحمهما الله فتمنى كل واحد من الإخوة أمنية، تمنى أبو الخير عملية استشهادية في بلاد الحرمين، وتمنى أبو همام أن يقوم بإنشاء مؤسسة إعلامية، فكان لكل واحد منهم ما تمنى، فنفذ أبو الخير عملية استشهادية على الطاغوت محمد بن نايف، ووفق الله أبا همام لإنشاء مؤسسة إعلامية " مؤسسة الملاحم " وبطاقم فني متكامل، بعد أن بدأ المشوار بمفرده وبجهاز كمبيوتر محمول، وهكذا تذلل همم الرجال قمم الجبال، بهمة وعزيمة وبذل وتضحية وجهد متواصل وإتباع النجاح بالنجاح، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم " انتهى.

وكذا من الصدق في طلب الشهادة أن يوفق الشخص للخروج إلى طلب الشهادة، ويكرم بكرامات في ذلك مع وجود موانع قدرية كثيرة من سجن ومراقبة أو منع من سفر أوضلال طريق أو غير ذلك، والقصص في ذلك كثيرة.

هذا وللصدق في طلب الشهادة معايير يقاس بها ويعرف ما إذا كان الشخص صادقا أم ليس بصادق في الطلب، وهذه المعايير هي:

١. رؤية الموت والقتل:

الموت أبغض شيء إلى النفوس وأكرهه، والحياة أحب شيء إلى النفوس، والنفس تنفر من الموت أشد النفير وهو أشق شيء عليها وأخوف مخوف عندها، وما ولى من ولى الدبر إلا لأجل ذلك، فرؤية الموت والاقتراب منه شديد على النفوس، لا يصبر عليه إلا الصادقين الأقوياء.

ولهذا الشهيد لا يفتن ولا يمتحن في قبره، اكتفاء ببارقة السيوف على رأسه ورؤيته للموت والصبر عليه امتحانا على صدق إيمانه، فأمر عظيم أن يصبر الشخص على رؤية الموت حتى يقتل.

والنفس قبل حضور القتال قد تدعي حب الشهادة وإرادتها، فإذا حضرت القتال ورأت الموت كرهته، وركنت إلى الدنيا وإلى الحياة واستجابت لداعيها وأحبت البقاء، وتبين أنها ليست بصادقة في حبها وطلبها للشهادة وإرادتها، كما قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا**﴾ **النساء.**

فهذه نزلت في قوم من المؤمنين كانوا في بداية الإسلام يتحرقون على أن يشرع لهم القتال والجهاد كي يقاتلوا المشركين، وكانوا مأمورين بالكف، فلما هاجروا إلى المدينة وشرع لهم الجهاد جزعوا وودوا تأخيره إلى مدة أخرى، لأن فيه سفك الدماء ويتم الأبناء وتأيم النساء.

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿ **وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ (٢٠) طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ**﴾ **محمد.**

وقد ذكر صاحب البيان والتبيين: أن رجلا قال لرجل: أني أحب الشهادة، فقال: أحبها إن وقعت عليها، ولا تحبها حب من يريد أن يقع عليها.

وقد كان بعض الصحابة لما فاتهم يوم بدر، تمنوا أن يلقوا العدو وأن تحصل لهم الشهادة، فلما كان يوم أحد ووقعت الهزيمة على المسلمين، فر بعض هؤلاء وانهزموا، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿**وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ**﴾ **آل عمران.**

أي لقد كنتم تمنون الشهادة والموت في سبيل الله قبل المعركة، فقد رأيتموه في اشتباك الرماح وضرب السيوف ورمي السهام وصفوف القتال، فلم فررتم وانهزمتم ؟

قال ابن القيم في الزاد: " ثم وبخهم على هزيمتهم من أمر كانوا يتمنونه ويودون لقاءه، فقال: (**ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون**) قال ابن عباس: ولما أخبرهم الله تعالى على لسان نبيه بما فعل بشهداء بدر من الكرامة رغبوا في الشهادة، فتمنوا قتالا يستشهدون فيه، فيلحقون إخوانهم، فأراهم الله ذلك يوم أحد، وسببه لهم، فلم يلبثوا أن انهزموا إلا من شاء الله منهم، فأنزل الله تعالى: (**ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون**) " انتهى كلامه.

وأما من ثبت من هؤلاء الذين تمنوا كأنس بن النضر فإنه ثبت ولم ينهزم ووفى بما عزم عليه، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا**﴾ **الأحزاب**، فوصفه الله تعالى بالصدق، لأنه وفى بما عزم عليه ورأى الموت ولم يثنه ذلك، فهو من أروع الأمثلة على الصدق.

عن أنس رضي الله عنه قال: (غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين، ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون، قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء – يعني أصحابه – وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء – يعني المشركين – ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحد، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس: فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه، قال أنس: كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) إلى آخر الآية) رواه البخاري.

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: لما فرغ رسول الله ﷺ يوم أحد مر على مصعب الأنصاري مقتولا على طريقه فقرأ: (**من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه**) رواه الحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي.

ولما كان يوم مؤتة، وخرج الصحابة لقتال الروم، وكان عدد الصحابة ثلاثة آلاف، بلغهم في الطريق أن الروم خرجوا في مائتي ألف مقاتل، فوقف الصحابة يتشاورون في ذلك لما رأوا عدد الروم الهائل مقارنة بعددهم القليل، فقال ابن رواحة: (إن الذي أنتم له كارهون، هو الذي أنتم له خارجون) يقول أنكم خرجتم لطلب الشهادة، فلماذا تكرهونها الآن ؟ فمضوا إلى القتال.

وبعضهم يدعي حب الشهادة قبل القتال، وإذا حوصر من قبل العدو وطولب بالاستسلام وترك القتال وتسليم نفسه وأن يستأسر ظهرت حقيقة دعواه وركن إلى الحياة وبادر بتسليم نفسه حبا للحياة والبقاء، وماذاك إلا لشدة الموت وصعوبته على النفوس، ولا يفهم من قولي هذا أني أوجب عليه القتال وعدم الاستئسار والأخذ بالعزيمة ولكني أقارن بين عزمه ووفائه، فمن أحب الشهادة وأرادها وثبت على ذلك عند حضور القتال ورؤية الموت ولم يهرب عنه، فهذا الصادق حقا في طلب الشهادة.

٢. السعي في طلب الشهادة والتعرض لها:

قد سبق أن ذكرنا أن السعي في طلب الشهادة علامة على صدق الطالب، فليس من الصدق أن يدعي الشخص حب الشهادة وإرادتها ويقعد في بيته بلا مانع يمنعه من الخروج، وهذا أمر معروف أن من أراد شيئا سعى في طلبه، وإلا كان كاذبا في ادعائه إرادته.

قال شيخ الإسلام في المجموع:" فالنفس إذا أحبت شيئا سعت في حصوله بما يمكن حتى تسعى في أمور كثيرة تكون كلها مقامات لتلك الغاية " انتهى كلامه.

وقد جعل الله من علامة الصدق في إرادة الخروج إلى الجهاد السعي في التجهيز وإعداد العدة، فقال تعالى: **(ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة)** فكذا السعي في طلب الشهادة علامة على صدق إرادتها وحبها، ولهذا عرف ابن القيم الصدق في المدارج بقوله " بذل الجهد في امتثال الأمر " انتهى كلامه، فمن طلب الشهادة فعليه أن يبذل جهده في تحصيلها.

قال الشيخ عبد الله عزام في إتحاف العباد: " ولكن الصدق في طلب الشهادة هو إعداد العدة:

(ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة).

أما أن تمر عشر سنوات على الجهاد في أفغانستان، والطريق آمنة، والحدود مفتوحة، ولا يصل بيشاور، فهذا نرجوا الله أن يغفر له، إن كان يظن أنه صادق في طلب الشهادة، ألم تر إلى ذلك الأعرابي الذي قال لرسول الله ﷺ: اتبعتك على أن أضرب هاهنا – حلقه – فأدخل الجنة، فأصيب الأعرابي حيث أشار فقال ﷺ (**صدق الله فصدقه**)" انتهى كلامه.

٣. الابتلاءات:

يرسل الله تعالى الابتلاءات – سواء كانت بالسراء أو الضراء – لامتحان عباده، ويتبين بها الصادق من الكاذب في دعاويه، سواء في الإيمان أو ما دونه، فمن ثبت على دعواه عند ابتلائه ولم يتغير فهو صادق فيما ادعاه.

قال تعالى: ﴿ **أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ العنكبوت.**

ومن الناس من يدعي حب الشهادة وإرادتها في العافية، فإذا خرج إلى الجهاد ورأى مشاقه ومتاعبه وما فيه من الأهوال أو أسر أو سجن أو ابتلي بأي ابتلاء شاق في طريق طلبه للشهادة، ترك طلب الشهادة ورجع عنه، وكم سمعنا وشاهدنا من هذا القسم الكثير، نسأل الله العافية.

ومنهم من يدعي حب الشهادة وإرادتها عند قلة الدنيا، فإذا فتحت عليه الدنيا أبوابها وتزوج وجاءه الأولاد وكثرت أمواله، ترك طلب الشهادة ورجع عنه، وما ذاك كله إلا لأنهم لم يكونوا صادقين في حبهم وإرادتهم للشهادة.

ومن الناس من يدعي حب الشهادة وإرادتها، ويسعى في طلبها، ويتحمل المشاق في ذلك ويصبر عليها، ولو فتحت عليه الدنيا بحذافيرها ما ترك طلبها، فهذا هو الصادق الحق في طلب الشهادة.

وقد كان الصادقون في طلب الشهادة من الصحابة ومن بعدهم يتجلدون في طلبها، ويقحتمون الأهوال ويتحملون الشدائد والجراح والآلآم في سبيل الحصول عليها، ولا يردهم ذلك عنها وهم منهكون، بل ولا يأبهون لما يصيبهم ولا يؤخرهم عن الطلب، ولا يضعفون عنه ولا يستكينون لعدوهم ويذلون له، ولا يجزعون مما أصابهم، بل تأتيهم الشهادة وهم أعزة متجلدين لعدوهم صابرين مهما

بلغت المصائب والجراح مبلغها، كما قال تعالى: ﴿ **وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**﴾ **آل عمران**.

فبعضهم تقطع يداه ورجلاه، فيزحف مع ذلك إلى عدوه طلبا للشهادة، وبعضهم يعقر ويجرح من كل مكان في جسده وتصل الجراح فيه إلى أكثر من الثمانين ما بين طعنة برمح أو ضربة بسيف أو رمية بسهم حتى إنه لا يعرف من هو بعد قتله من كثرة الجراح، ومع ذلك لا يرده ذلك عن طلب الشهادة، وبعضهم يعقر في بطنه وينتشر قصبه، ومع ذلك يضم إليه قصبه ويزحف إلى عدوه وغير ذلك من المواقف، ومن ذلك:

أن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: (عقرت يوم أحد في جميع جسدي حتى في ذكري) رواه الحاكم وغيره.

وقال قيس بن أبي حازم: (رأيت يد طلحة شلاء وقى بها رسول الله ﷺ يوم أحد) رواه البخاري.

ومع ذلك لم يثنه ذلك عن طلب الشهادة أو النكوص عن الجهاد حتى مات شهيدا مظلوما قتله مروان بن الحكم ظلما وعدوانا.

وكذا ما جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (رمى أبو دجانة بنفسه يوم اليمامة إلى داخل الحديقة، فانكسرت رجله، فقاتل وهو مكسور الرجل حتى قتل).

وقال الذهبي في السير: " عن معاذ بن عمرو قال: جعلت أبا جهل يوم بدر من شأني فلما أمكنني، حملت عليه، فضربته، فقطعت قدمه بنصف ساقه، وضربني ابنه عكرمة بن أبي جهل على عاتقي، فطرح يدي وبقيت معلقة بجلدة بجنبي، وأجهضني عنها القتال، فقاتلت عامة يومي وإني لأسحبها خلفي فلما آذتني، وضعت قدمي عليها ثم تمطأت عليها حتى طرحتها".

قال الذهبي معلقا على هذه القصة:"هذه والله الشجاعة، لا كآخر من خدش بسهم ينقطع قلبه، وتخور قواه، نقل هذه القصة ابن إسحاق وقال: ثم عاش بعد ذلك إلى زمن عثمان " انتهى كلامه.

وكذا أنس بن النضر كما تقدم ذكره.

وكذا قتادة بن النعمان عينه تسيل يوم أحد وهو ثابت يقاتل، ولم يقف في طريقه.

ومن ذلك أيضا سعد بن الربيع، أنفذت مقاتله يوم أحد وهو يحتضر وروحه تخرج ومع ذلك يحرض الصحابة على الشهادة والقتال.

وروى ابن المبارك عن حنظلة بن أبي سفيان (أن سالما مولى أبي حذيفة كان حامل اللواء يوم اليمامة، فقطعت يمينه، فأخذ اللواء بيساره، فقطعت يساره، فاعتنق اللواء، وهو يقول: **(وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) (وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير)** فلما صرع، قال: ما فعل أبو حذيفة ؟ قيل: قتل، قال: فما فعل فلان – لرجل سماه – ؟ قيل: قتل، قال: فأضجعوني بينهما).

والبراء بن مالك يوم اقتحم الحديقة على المرتدين في يوم اليمامة، جرح يومئذ بضعا وثمانين جرحا، كما ذكره الحافظ في الإصابة.

ومن صدقه رضي الله عنه ما رواه ابن أبي شيبة عن أنس رضي الله عنه قال: لما بعث أبو موسى عاملا على البصرة، كان ممن بعث معه البراء، وكان من وزرائه، وكان يقول له: اختر من عملي، فقال البراء: أو معطي أنت ما سألتك ؟ قال: نعم، قال: أما إني لا أسألك إمارة مصر، ولا جباية، ولكن أعطني قوسي وفرسي ورمحي وسيفي ودرعي والجهاد في سبيل الله، فبعثه على جيش فكان أول من قتل.

و من المواقف أيضا هاشم بن عتبة لما قطعت رجله وقاتل وهو بارك في يوم اليرموك.

قال ابن هذيل في تحفة الأنفس: " وروي أن علي بن بكار رؤي في بلاد الروم يحمل على العدو فيطعن، ويحمل فيطعن، حتى دخل عليه علج فطعنه في بطنه، فخرج تربه فنزل عن فرسه، فأخذ بيده ورده في بطنه وشده، ثم ركب وأخذ رمحه وجعل يحمل على العدو، فلم يزل يقتل حتى قتل ثلاثة عشر رجلا، وذكر في كتاب حياة القلوب أنه طعن فخرجت مصارينه على قربوس سرجه، فردها في بطنه وشدها بعمامته، وفعل ما ذكر، وكان يقول: نفق عندي عشرون ومائة فرس ما منها فرس إلا اشتريته بمالي، وروي عنه أنه كان إذا دخل أرض الروم لا يضحك، فقيل له: يا أبا الحسن ما نراك تضحك ؟ فقال: إنما نغزو غضبا لله، والغضبان لا يضحك " انتهى كلامه.

قال الحافظ في الدرر الكامنة: " أيدمر العزي حضر وقعة شقحب، فقاتل قتالا شديدا وأصيب فرسه بسهم، فقاتل راجلا، فقتل اثنين، وألقى الشيخ الميت إلى الأرض، وتعاركا إلى أن ماتا جميعا "انتهى.

و قال ابن الخطيب في الإحاطة في أخبار غرناطة عن عبد الله بن علي الكفاني: " فقد في الوقيعة العظمى بطريف يوم الإثنين السابع لجمادى الأولى من عام أحد وأربعين وسبعماية، حدث بعض

الجند أنه رآه يتحامل، وجرح بصدره يثعب دماً، وهو رابط الجأش، فكان آخر العهد به، تقبل الله شهادته " انتهى.

فهؤلاء هم الصادقون حقا وصدقا في طلب الشهادة، الذين أتوا من الصدق بأعلى مراتبه، فأحبوا وعزموا ووفوا ولم يترددوا أو يلتفتوا أو ينكصوا، فمن كان مقتديا فليقتد بهم، وليعمل عملهم، أما من لم يكن صادقا، فإنه عند إصابة الجراح له والمصائب سوف يجزع وينكص ويرجع عما عزم عليه وطلبه، وقد يفعل أكبر من ذلك، والعياذ بالله.

كما جاء عن سهل رضي الله عنه قال: التقى النبي ﷺ والمشركون في بعض مغازيه، فاقتتلوا، فمال كل قوم إلى عسكرهم، وفي المسلمين رجل لا يدع من المشركون شاذة ولا فاذة إلا اتبعها، فضربها بسيفه، فقيل: يا رسول الله ما أجزأ أحد ما أجزأ فلان، فقال: **(إنه من أهل النار)** فقالوا: أينا من أهل الجنة إن كان هذا من أهل النار ؟ فقال رجل من القوم: لأتبعنه، فإذا أسرع وأبطأ كنت معه، حتى جرح، فاستعجل الموت، فوضع نصاب سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل عليه، فقتل نفسه، فجاء الرجل إلى النبي ﷺ، فقال: أشهد أنك رسول الله، فقال: **(وما ذاك)** فأخبره فقال: **(إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، وإنه من أهل النار، ويعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة)** رواه البخاري.

هذه هي المعايير التي يقاس بها الصدق في طلب الشهادة، أما مجرد البكاء والتحرق على الشهادة فليس معيارا على صدق صاحبه، فقد يبكي الشخص الرجل تحرقا على الشهادة، وإذا رأى الموت أو ابتلي ترك الشهادة ورجع، ووجود الفسق لا يمنع من الصدق في طلب الشهادة، فقد يكون الرجل فاسقا وهو صادق في طلبه للشهادة، وقد يكون عدلا وهو غير صادق، فلا ارتباط بين الصدق في طلب الشهادة وبين الصلاح والفسق.

هذا والصدق في طلب الشهادة من أعظم الأسباب في نيلها، لكن قد يكون الرجل صادقا في طلب الشهادة ولا يرزقها، لحكمة لا يعلمها إلا الله، كما قال ﷺ: **(من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه)** رواه مسلم عن سهل بن حنيف رضي الله عنه.

فهذا يدل على أن الرجل قد يكون صادقا ولا يعطى الشهادة، وكخالد بن الوليد فقد طلب الشهادة صادقا وقال: (ما ليلة تهدى إلى بيتي فيها عروس أنا لها محب، أو أبشر فيها بغلام، بأحب إلي من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين أصبح بها العدو) رواه أبو يعلى.

وقال وهو يبكي عند موته: (لقيت كذا وكذا زحفا، وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة بسيف، أو رمية بسهم، وها أنا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت العير، فلا نامت أعين الجبناء) ومع ذلك مات على فراشه.

وكم سمعنا عن بعض المجاهدين الذين نحسبهم صادقين في طلب الشهادة، ومع ذلك ماتوا على فرشهم ولم يرزقوها، ولكن الله عز وجل لن يتركهم ببركة صدقهم، بل يبلغهم منازل الشهداء ويعطون منزلة الشهادة، ولو لم تنلهم الشهادة في الدنيا، لصدق نياتهم وطلبهم.

وبعد عرض هذا، يبقى أن نقول أن الشهادة تبقى محض اصطفاء من العزيز الجليل، وهناك أسرار وحكم في الاصطفاء لا نعلمها، وإلا فالصحابة – وهم أفاضل الأمة – لم يوفقوا جميعهم لهذه المنزلة، بل الذين وفق منهم القليل كما سبق بيانه في عدد الشهداء على عهد رسول الله ﷺ، وقد يكون وفق منهم بعد عهد رسول الله ﷺ، ولكن يبقى أنهم لم يوفقوا جميعا لهذه المنزلة.

أخي يا من عرفت فضائل الحسناء وجمالها، وملكت مهرها وعرفت كيف تحصل عليها وتنالها، أفياليق بعد ذلك أن تؤخر خطبتها ووصالها ؟

* * * *

۞ الباب الثامن: المبشرات والشهادة

تمهيد:

وهذا الباب من ملح الكتاب بعد السرد العلمي ليعود للنفس نشاطها، قد تتساءل أخي القارئ ما علاقة المبشرات بالشهادة ؟ وما أهمية هذا الموضوع حتى يفرد بباب وحده؟

والجواب: أن العلاقة بين الرؤيا والشهادة علاقة وثيقة ويظهر ذلك من خلال النقاط التالية:

١. أن أحد ركني الرؤيا التبشير للمؤمن بالخير الدنيوي أو الخير الأخروي، كما ورد في الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (**إن الرسالة والنبوة قد انقطعت، فلا رسول بعدي ولا نبي**) قال: فشق ذلك على الناس، فقال (**لكن المبشرات**) قالوا: يا رسول الله وما المبشرات ؟ قال: (**رؤيا المسلم، وهي جزء من أجزاء النبوة**) رواه الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

وأيضا قوله تعالى: (**لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ**) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله: (**لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) قال: (هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له**) رواه الترمذي والحاكم، وقال صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

وبعد عرض فضائل الشهادة العظيمة التي سبقت يتبين لك أن من أعظم ما يبشر به المؤمن في منامه الشهادة في سبيل الله، فهو تبشير له بالموت على الإسلام، وبالخاتمة الحسنة، والأجر الأخروي العظيم، والدرجة العالية في الجنة.

٢. أن هذا الأمر وهو الرؤيا والبشرى بالشهادة، يتطرق لكثير من الشهداء قبل مقتلهم – إن لم يكن أكثرهم –، فيرون أنهم سيقتلون وسيرزقون الشهادة ويستبشرون بها، وسنذكر نماذج من ذلك إن شاء الله تعالى.

قال الشيخ عبد الله عزام في كتاب عشاق الحور:" الرؤيا الحقة: كثير من الإخوة يرون أنفسهم مع الحور العين، أو يراهم إخوانهم مع نساء جميلات قبل الشهادة، فيستبشرون بالشهادة، وقد حصل هذا مع كثير من الإخوة، مع أبي دجانة ويحيى سنيور وأبي عاصم وعبد الوهاب الردة الغامدي وسعد الرشود وأبي عبد الحق وكثيرين آخرين من العرب والأفغان، وقد رأى جبران نفسه مع امرأة جميلة، فبشر إخوانه أن الشهادة قادمة، وقد رزقه الله الشهادة، ونرجو الله القبول ".

٣. كثير هم عشاق الشهادة الذين يتعطشون إلى الشهادة تعطش الظمآن إلى بارد الماء، ويعشقونها عشق العذريين للمرأة الحسناء، وينتظرونها انتظار المكروب للفرج، والأسير للفكاك والخلاص، ولا تسكن نفوسهم إلا بحصولها، ويتمنون أن يروا رؤيا تطمئنهم وتريحهم وتخفف عنهم ما يجدون من الحرقة في صدورهم تبشرهم بالشهادة، فلهم بتلك الرؤيا أسعد من الملك بملكه، والعروس بزفافه.

٤. أن كثيرا من المجاهدين الذين طالت أعمارهم في الجهاد، وتأخرت عنهم الشهادة، يتطرق إليهم الحزن والكآبة واليأس من حصولها لهم، فإذا رأى أحد منهم رؤيا تبشره بالشهادة، عادت إليه نفسه وأكمل جهاده وسكنت نفسه، وليس معنى هذا أنهم يعولون على الرؤيا، ولكن هذه الرؤيا تجدد لهم نفوسهم بعد طول الأمد والزمن وتطرق السآمة واليأس.

٥. أن النبي ﷺ عبر لبعض الصحابة بأنه لن ينال منزلة الشهداء، وكان يطلبها، وهذا يدل على اهتمام النبي ﷺ والصحابة بهذا الأمر.

٦. أن الصحابة والتابعون ومن بعدهم ما زالوا يرون الرؤى تبشرهم بالشهادة، ويعبروها ويتحدثون بها.

٧. أنك إذا فتحت كتب التعبير وجدت أئمة هذا الشأن، قد اهتموا بهذا الجانب، فتجد أنهم يؤولون كثيرا من الرموز بالشهادة.

٨. كثيرا من الشهداء يرون بعد مماتهم، ويذكرون من حالهم، وما أعد لهم، ويوصون أهاليهم ويؤنسونهم، ويحثون الناس على الجهاد، وسنذكر نماذج من ذلك إن شاء الله تعالى.

نماذج من الرؤى في الشهادة والشهداء:

قبل أن نبدأ في عرض رؤى للذين يستشهدون ننبه أن النماذج تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١. رؤى للشهداء قبل أن يستشهدوا.

٢. رؤى في الشهداء بعد أن يستشهدوا.

٣. رؤى لبعض الناس أو المجاهدين أنهم لن يستشهدوا.

أما القسم الأول فيتنوعون في ذلك، فبعضهم يرى أنه سيستشهد ويرزق الشهادة، ولا يرى كيف يقتل، وبعضهم يرى أنه يقتل فقط، وليس في الرؤيا ما يدل على الشهادة، وبعضهم يرى الرؤيا قبل الشهادة بزمن بعيد، وبعضهم يرى بزمن قريب، وأيضا بعضهم يرى تحديد زمن وقت الشهادة، وبعضهم بدون ذلك، وبعضهم يرى ما أعد له، وبعضهم يرى أنه يرزق الشهادة فقط بدون أن يرى ما أعد له، وبعضهم يرى بنفسه ذلك، وبعضهم يرى له ذلك، وهنا نحب أن ننبه على أمر، وهو أنه ليس من شرط أن تقتل أو تستشهد أن ترى رؤيا قبلها، فكثير هم الذين قتلوا وما رأوا شيئا قبل مقتلهم.

وكذا القسم الثاني يتنوعون، فبعضهم يرى الشهيد وما أعد له ومنزلته، وبعضهم يرى الشهيد يخبر بما أعد له وأنه حصلت له الشهادة، وبعضهم يرى الشهيد يحرضه على الجهاد، وبعضهم يرى الشهيد يواسيه، وبعضهم يرى الشهيد يوصيه بوصية إلى غير ذلك.

وأما القسم الثالث، فبعضهم يكون متطلبا للشهادة ساعيا في حصولها، لكنها لم تقسم له، فيرى في منامه ما قدر له من عدم حصولها لحكم لا يعلمها إلا الله تعالى، ولعل من الحكم في ذلك هي إراحة نفسه وخاطره وهمه من التفكير، هل تحصل له الشهادة أم لا؟ فبعض الناس يكون في هم عظيم يشغله

عن معشيته وحياته، ويكدر عليه صفو عيشه، وسببه أنه لا يدري هل ستحصل له الشهادة أم لا ؟ فإذا رأى ذلك وأخبر في منامه ذهب همه وانزاح.

فإن قيل: أن ذلك قد يدخل عليه الحزن، وأيضا قد يورثه اليأس، وقد يسبب له ترك العمل والجهاد؟

فالجواب: أن ذلك قد يدخل عليه، ولكن المفروض أن يتعامل معه التعامل الصحيح، ويعلم أنه وإن رأى أنه لن يستشهد، فالمفروض أنه لا يقطع جهاده، فإن الجهاد لوحده عمل صالح تحاز به الدرجات العلى من الجنة، وأيضا عليه أن يعرف أن من مات في سبيل الله فهو شهيد، فهو وإن لم تحصل له الشهادة الدنيوية، فلا يمنع من حصول الشهادة الأخروية، أما طروء الحزن عليه لفوات الشهادة فهذا أمر طبيعي، وعليه التسليم لله تعالى في قضائه، وأيضا عليه أن لا ييأس من حصول الشهادة أبدا وإن رأى ذلك، فقد تكون الرؤيا غير صادقة، وقد يخطئ المعبر في التعبير وغير ذلك.

ولنبدأ الآن في عرض النماذج:

القسم الأول:

❖ ورد عند ابن سعد بإسناد صحيح عن أبي بردة عن أبيه قال: رأى عوف بن مالك أن الناس جمعوا في صعيد واحد، فإذا رجل قد علا الناس بثلاثة أذرع، قلت: من هذا ؟ قال: عمر بن الخطاب، قلت: بم يعلوهم ؟ قال: إن فيه ثلاث خصال، لا يخاف في الله لومة لائم، وإنه شهيد مستشهد، وخليفة مستخلف، فأتى عوف أبا بكر فحدثه، فبعث إلى عمر فبشره، فقال أبو بكر: قص رؤياك، قال: فلما قال خليفة مستخلف، انتهره عمر فأسكته، فلما ولي عمر انطلق إلى الشام، فبينما هو يخطب، إذ رأى عوف بن مالك، فدعاه، فصعد معه المنبر فقال: اقصص رؤياك، فقصها، فقال: أما ألا أخاف في الله لومة لائم فأرجو أن يجعلني الله فيهم، وأما خليفة مستخلف فقد استخلفت، فأسأل الله أن يعينني على ما ولاني، وأما شهيد مستشهد فأنى لي الشهادة وأنا بين ظهراني جزيرة العرب، لست أغزو الناس حولي ؟ ثم قال: ويلي ويلي، يأتي بها الله إن شاء الله.

❖ قال الذهبي في السير: " وروي بإسناد ضعيف عن أبي سعيد الخدري: سمع عباد بن بشر يقول: رأيت الليلة كأن السماء فرجت لي، ثم أطبقت علي، فهي إن شاء الله الشهادة " انتهى كلامه.

❖ قال الذهبي في السير عن الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه: " خرجت إلى بعث مسيلمة ومعي ابني عمرو، حتى إذا كنت ببعض الطريق رأيت رؤيا، رأيت كأن رأسي حلق، وخرج من

فمي طائر، وكأن امرأة أدخلتني في فرجها، وكأن ابني يطلبني طلبا حثيثا، فحيل بيني وبينه، فحدثت بها قومي، فقالوا: خيرا، فقلت: أما أنا فقد أولتها: أما حلق رأسي فقطعه، وأما الطائر فروحي، والمرأة الأرض أدفن فيها، فقد روعت أن أقتل شهيدا، وأما طلب ابني إياي، فما أراه إلا سيعذر في طلب الشهادة، ولا أراه يلحق في سفره هذا.

قال: فقتل الطفيل يوم اليمامة، وجرح ابنه، ثم قتل يوم اليرموك بعد " انتهى كلامه.

❖ روى ابن سعد عن حميد بن هلال قال: قال صلة: رأيت كأني أرى أبا رفاعة – قد أصيب قبله – على ناقة سريعة، وأنا على جمل ثقال قطوف، فأنا على أثره، قال: فيعوجها علي حتى أقول الآن أسمعه الصوت ثم يسرجها، فينطلق وأتبعه، قال: فأولت رؤياي أنه طريق أبي رفاعة آخذه، وأنا أكد العمل بعده كدا " وكان أبو رفاعة قد استشهد.

❖ قال ابن الأثير في الكامل في وقعة الجسر في فتح بلاد فارس: " أقبل أبو عبيد فنزل بالمروحة، فرأت دومة، امرأته أم المختار ابنه، أن رجلاً نزل من السماء بإناء فيه شراب، فشرب أبو عبيد ومعه نفر، فأخبرت بها أبا عبيد فقال: لهذه إن شاء الله الشهادة !" انتهى كلامه، وقد قتل أبو عبيد في نفس الوقعة ومعه نفر كثير من المسلمين.

❖ قال ابن الأثير في الكامل: " ورأى يزيد بن معاوية أن غزالا جيء به، لم ير أحسن منه فلف في ملحفة، ثم دفن في قبر لم ير أحسن منه عليه ثلاثة نفر قعود، فلما استيقظ واقتتل الناس رمي بحجر، فهشم رأسه فمات، فكأنما زين ثوبه بالدماء وليس بتلطيخ، فدفن في قبر على الصورة التي رأى"انتهى كلامه.

❖ قال الذهبي في السير: " ابن المبارك: عن السري بن يحيى، حدثنا العلاء بن هلال، أن رجلا قال لصلة: يا أبا الصهباء ! رأيت أني أعطيت شهدة، وأعطيت شهدتين، فقال: تستشهد وأنا وابني، فلما كان يوم يزيد بن زياد، لقيتهم الترك بسجستان، فانهزموا.

وقال صلة: يا بني ارجع إلى أمك، قال: يا أبه، تريد الخير لنفسك، وتأمرني بالرجوع ! قال: فتقدم، فتقدم، فقاتل حتى أصيب، فرمى صلة عن جسده، وكان راميا، حتى تفرقوا عنه، وأقبل حتى قام عليه، فدعا له، ثم قاتل حتى قتل.

قلت: وكانت هذه الملحمة سنة اثنتين وستين رحمهما الله تعالى" انتهى.

❖ قال الذهبي في السير في عتبة الغلام: " وقال مخلد بن الحسين: جاءنا عتبة الغلام غازيا، وقال: رأيت أني آتي المصيصة في النوم، وأغزو فأستشهد، قال: فأعطاه رجل فرسه وسلاحه، وقال: إني عليل، فاغز عني، فلقوا الروم، فكان أول من استشهد" انتهى.

❖ قال الشيخ عبد الله عزام في كتابه عشاق الحور عن الشهيد أبي الذهب:

أخذ الشهيد يمهد الأرض بقدمه لأداء صلاة العصر، وإذا بلغم يتفجر تحت قدميه وطارت قدماه حتى الركبة تقريبا... لقد تحققت الرؤيا التي رؤيت له بالجلوس مع امرأة جميلة غراء الجبين، فيبشر في صباح هذا اليوم بالشهادة.

وقال عن الشهيد ياسر أبو النور (عبد الرحيم العرجة): وكانت رؤاه كفلق الصبح، رأى نفسه عدة مرات شهيدا، ورأى الحور العين في منامه، وكان يكتب لإخوانه بالرؤيا التي كان يراها ويقص الرؤيا في رسائل طويلة لإخوانه العرب في مزار.

❖ قال الشيخ عبد الله عزام في كتاب عشاق الحور: رؤيا واستشفاف: قال لي أبو عمار وعبد الله اليمنيان: لقد أخبرنا الشهيد هشام بن عبد الوهاب الديلمي قبل أيام أنه سيستشهد، لأنه رأى في المنام ذلك، ثم أوصاهم وكتب إلى أبيه هذه الكلمات التي وجدتها في حقيبته (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) اللهم اجلعنا منهم، والدي الكريم: بعد أن رأيت في منامي هذه الليلة أني أودعك، فلمست أني مودع هذه الدنيا بأكملها، ومقابل ربي –إن شاء الله– وفي البداية وصيتي هذه: أرجو منك والدي الكريم أن تسامحني وتدعو لي بخير، وأني لئن شفعني الله في أحد من أهلي، لأجعلنك أول من أشفع لهم.

❖ وقال الشيخ عبد الله عزام عن الشهيد أبو مصعب زكريا أبو الهنود: فقرر أن يذهب ويرى بعينه ما يحدث، على أن يعود لإكمال دراسته بعد انتهاء الإجازة، وزاد من اندفاعه تلك الرؤيا التي رآها له أحد إخوانه في المنام، فقد رأى زكريا مضرجا بدمائه فد قضى شهيدا في سبيل الله في أفغانستان، فما كان منه بعد أن سمع ذلك إلا أن حزم حقائبه ومضى في رحلته إلى الله.

وقال يروي قصة استشهاده: وبعد أن فرغ زكريا من صلاة العصر مر عليه القائد، وقال له: ما رأيك أن ترمي على الهاون (ولم تكن نوبته إلا أنه كان يتقن الرماية عليه) فاستجاب وأخذ مكانه، وكان معه الشهيد أبو حمزة (هشام الديلمي) – رحمه الله – من اليمن، وحينما وضع أول قذيفة في الهاون انفجر

الهاون انفجارا شديدا، فقذف بزكريا مسافة عشرين مترا في منحدر، ولم يوقف اندفاعه إلا جذع شجرة، ولما وصل إليه إخوانه وجدوه قد أسلم الروح لباريها، وقد تضرج بدمائه وبالتراب تماما، كما كان في الرؤيا التي رآها أخوه، واستشهد بعده بدقائق أبو حمزة، وشهد لي اثنان ممن رآه بعد صلاة المغرب من ذلك اليوم وهو مسجي قبل أن يدفن أنهما استروحا رائحة المسك الشديدة المنبعثة من زكريا وأقسما على ذلك، بل قالا: زيادة في التثبت، فتشنا ملابسه خشية أن تكون في جيبه زجاجة طيب قد انكسرت فلم نجد شيئا، وقال لي من قام بإدخاله إلى قبره: والله لقد رأيت لوجهه نورا ما رأيته عليه من قبل.

❖ قال الشيخ عبد الله عزام في عشاق الحور عن الشهيد أبو فهد المكي لما كان في المستشفى: خلال وجوده في المستشفى في بيشاور لعلاج الدمل، رأى الملائكة تحمله في نعش، وتدخل به الجنة، فاستبشر خيرا واستيقظ وهو يضحك.

❖ وذكر رؤيا مبشرة رئيت لعبد العزيز عبد الصمد: وقد رأى عبد الرحمن السندي في المنام هاتف يقول: إن بينكم شخصا اسمه عبد العزيز سيستشهد ! وكان عبد الرحمن لا يعرف عبد العزيز، فتساءل: أيكم اسمه عبد العزيز فقال: أنا، فقال له: أنت ستستشهد –إن شاء الله– لأني رأيت هذا في المنام، وتكررت الرؤيا مرة أخرى مع عبد الرحمن.

وهذه قصة استشهاده وما حصل فيها من كرامات: وفي صبيحة يوم الشهادة قال عبد العزيز لأبي عاصم التبوكي: أنا أحس أني اليوم سأستشهد – والله أعلم – وحقق الله بشرى عبد الرحمن له: ففي (١٤٠٨هـ) وأثناء المعركة أصابته شظية من قذيفة دبابة، فجرح وبقي حيا تسع ساعات، وتلا سورة البقرة بكاملها ما بين الجرح والشهادة ! ثم أسلم الروح.

❖ وهذه رؤى رئيت في الشهيد أبو طارق عوض بن علي العرادة نقلها الشيخ عبد الله عزام في كتابه عشاق الحور فقال: الرؤى في استشهاده: لقد رأى عدة إخوة أبا طارق وبشروه بالشهادة، وكان أول من رآه أبو مسلم الصنعاني (عبد الله النهمي) وبشره بالرؤيا.

وكذلك حدثني أبو أحمد الآنسي قال: رأيت إحدى وعشرين امرأة جميلة في قصر من القصور، ونادى مناد هذه النساء للمجاهدين، فقلت في نفسي: أختار أجملهن ولكني رأيتهن جميعا كأنهن خلقة

واحدة لا تستطيع تمييز واحدة عن الأخرى، وبدأت النساء يخترن أزواجهن، فتقدمت واحدة، واختارت أبا طارق.

ورآه أبو عبد الرحمن المأربي في قصر كبير، فدخل عليه أبو عبدالرحمن ومجموعة، فأقبل عليهم أبو طارق في قصره وقدم لهم ألوانا من الفاكهة والطعام، وفجأة دخلت القصر امرأة جميلة، فبدا أبو طارق وكأنه يستعجل الضيوف بالخروج، ليجلس مع زوجته.

ورأى عبد الجبار الشرقي في منامه – وهو في جلال آباد – مجموعة من أهل اليمن فسألهم عن أبي طارق فقالوا: استشهد أبوطارق .

ويذكر عن رائحة المسك المنبعثة منه: وشهد لي الإخوة الأربعة اليمانيون الذين رافقوه في المعركة وبعد الإستشهاد إلى مثواه الأخير في " بابي " أن رائحة المسك كانت تعبق بأريجها فتعطر الجو، وهي تنبعث من جسده.

❖ ذكر شيء من الرؤى والمبشرات والإرهاصات لاستشهاد أبي الخير مرشد اليماني قال الشيخ عبد الله عزام في عشاق الحور: رأى ذات مرة في المنام حدائق جميلة وفي داخلها نساء ذوات جمال رائع قل نظيره، فقال الأخ السامع في نفسه: لعلها ارهاصات الشهادة.

مبشرات يوم الشهادة: يقول أبو عبيدة اليماني: لقد خرجت معه صبيحة اليوم الذي استشهد فيه، وفجأة استوقفني قائلا إني أشم رائحة الجنة، فهل تشمها يا أخي ؟ فقلت: لا أشم شيئا فقال أبوالخير: أما أنا فأشمها.

ويقول أبوالبراء القرشي: خرجت مع مرشد (أبي الخير) يوم الشهادة إلى شلال قريب، فذهب إلى الشلال ومكث طويلا وهو يغتسل، فعندما عاد، قلت له: يا أخي لقد أبطأت علينا فقال: أريد أن ألقى الله والحور العين، وأنا نظيف.

ويقول أبو أحمد: في الليلة التي سبقت شهادته (ليلة العشرين من رمضان) بقي حارسا ست ساعات وملأ الليل تكبيرا وقرآنا ولم يذق طعم النوم.

❖ قال الشيخ عبد الله عزام في كتابه التربية الجهادية والبناء:

وقد حدثني أحد إخوانكم وقد غادر بالأمس، قال: رأيت رؤيا أن لي زجاجة خضراء في ثلاجة، قال: ففتحت الثلاجة، وإذا بالزجاجة الخضراء ومكتوب عليها الشهادة، قلت له: روحك إن شاء الله في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت، والزجاجة الخضراء هي حواصل الطيور الخضر، ثم الثلاجة دليل أن الشهادة محفوظة لك ولو بعد حين.

❖ جاء في كتاب قصص الشهداء العرب في الشهيد أبو عبد الله مشعل القحطاني:

قبل العملية بيومين تحدث أبو عبد الله مع أحد الإخوة وقال له: لقد رأيت في منامي أنني أقتل أثنين من الصرب، وتأتيني رصاصتان هنا وأقتل، فبشره الأخ بالشهادة على ظاهرها، فما برح يردد: الله المستعان لسنا أهلا لها، وأمره بكتمان الرؤيا.

ثم ذكر تحقق وقوع الرؤيا فقال:

وتواجهوا وجها لوجه، فأطلق أبو عبد الله رشاشه تجاههم، فقتل اثنين منهم وأتته طلقتان في نحره، وتحققت رؤياه، وسقط الأخوان اللذان كانا معه.

ثم قال:

ووجدوا أخانا أبا عبد الله الشرقي قد فارق الحياة وهو صائم، لم يفطر، وارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة عجيبة، بل هي آية ثم لما أنزله إخوانه للقرية، وحفروا قبره، خرجت منه رائحة المسك التي يشهد بها كل من حضر دفنه.

❖ قال أبو عبيدة المقدسي في كتاب شهداء في زمن الغربة عن الشهيد أويس النجدي رحمه الله: " وفي يوم من أيامه المباركة استيقظ من النوم على رؤيا رآها ولم يجد أمامه سوى أبي سلمة النجدي ليفاجئه قائلا " إنني سأقتل شهيدا " وما كان من أبي سلمة إلا أن يسأله مستفسرا:" وكيف ذاك ؟ " وسرعان ما جاء الجواب: " لقد رأيت أنني في غرفة من الطين وقد تدلى من سقفها عدة حبال فالتقطت إحداها وبصعوبة بالغة استطعت الصعود إلى فوق الغرفة وهناك كانت المفاجأة فقد وجدت الشهيد أبا الوليد الموريتاني وعانقته وما أراها سوى الشهادة " انتهى.

❖ وقال أيضا في سيرة الشهيد ابن حراثة العتيبي رحمه الله: " وهناك في معسكرات غرباء آخر الزمان أعد ابن التوحيد واستعد... وسرعان ما بدأ العد التنازلي لوقعة شنكاي المشهورة التي شهدت رحيله...

حدثني الأخ حمود الطائفي عن رؤيا رآها الأخ أبو عمر المغربي قبل رحيل ابن حراثة قائلا:"رأى أبو عمر حافلة فيها أربعة عشر امرأة من أحسن النساء وأجملهن، وأمام باب الحافلة كانت امرأة منهن واقفة، فسألها ما بالك ؟ فقالت: أنا منتظرة ابن حراثة.... وما أن سمع ابن حراثة الرؤيا حتى عرضها على بعض المؤولين الذي عبرها بقوله " لعلك تقتل قبل الزواج " ومن العجيب أن الذين قتلوا في شنكاي يقارب عددهم أربعة عشر غريبا من غرباء آخر الزمان رحمهم الله " انتهى.

القسم الثاني:

❖ ذكر ابن الأثير في كتابه أسد الغابة: " قال عبد الله بن أبي سفيان: رأيت عبد الله بن حنظلة في النوم بعد مقتله في أحسن صورة فقلت: أما قتلت ؟ قال: بلى ولقيت ربي فأدخلني الجنة فأنا أسرح في ثمارها حيث شئت، فقلت: وأصحابك ما صنع بهم ؟ قال: هم معي حول لوائي لم يحل عقده حتى الساعة " انتهى.

❖ عن عبد الملك بن أبي الجويرية قال: حدثتني أمي أن أباها هلك من بطن فرأته في منامها فقالت له: كيف أنت يا أبة ؟ قال: إنا بخير نرزق وقد جاءنا رجل أعجبني رأيته يزف به زف العروس، فلما سلك به اتبعته حيث يسلك به حتى انتهى إلى ستور مرخاة، كلما دنا رفعت الستور فأدخل، فأرخيت الستور فحيل بيني وبينه، فقلت: لم يحولون بيني وبينه ألست من الشهداء ؟ قالوا: بلى ولكن هذا رجل قتل في سبيل الله، دخل إلى أزواجه) رواه ابن أبي الدنيا في المنامات.

❖ قال ابن السبكي في طبقات الشافعية: " وقرأت من خط قديم معروف أنه حكي عن يهودي أنه قال: اغتممت لوفاة أبي نصر الصابوني وقتله، فاستغفرت له ونمت، فرأيته في المنام وعليه ثياب خضر ما رأيت مثلها قط، وهو جالس على كرسي بين يديه جماعة كثيرة من الملائكة، وعليهم ثياب خضر، فقلت: يا أستاذ أليس قد قتلوك ؟ قال: فعلوا بي ما رأيت، فقلت: ما فعل بك ربك ؟

قال: يا أبا حوايمرد - كلمة بالفارسية معناها لمثلي يقال هذا ؟ - غفر لي، وغفر لمن صلى علي كبيرهم وصغيرهم، ومن يكون على طريقي.

قلت: أما أنا فلم أصل عليك، قال: لأنك لم تكن على طريقي، فقلت: إيش أفعل لأكون على طريقك، فقال: قل أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، فقلت ذلك، ثم قلت: أنا مولاك، قال: لا أنت مولى الله، قال: فانتبهت فجاء من عنده إلى قبره، وذكر ما رأى في المنام، وقال: أنا مولاه وأسلم عند قبره، ولم يأخذ شيئا من أحد، وقال: إني غني، أسلمت لوجه الله لا لوجه المال " انتهى، وكان الصابوني قد قتل ظلما.

❖ قال السبكي في طبقات الشافعية: " قلت: وأنا مورد هذه القصة لغرابتها من تاريخ الحاكم وآت بها على الصورة التي ذكرها، فأقول قال الحاكم: سمعت أبا زكريا يحيى بن محمد العنبري يقول: سمعت أبا العباس عيسى بن محمد بن عيسى الطهماني المروزي يقول:

"إن الله سبحانه وتعالى يظهر إذا شاء ما شاء من الآيات والعبر في بريته فيزيد الإسلام بها عزا وقوة، ويؤيد ما أنزل من الهدى والبينات، وينشر أعلام النبوة ويوضح دلائل الرسالة ويوثق عرى الإسلام ويثبت حقائق الإيمان، منا منه على أوليائه، وزيادة في البرهان بهم، وحجة على من عند عن طاعته، وألحد في دينه (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة) فله الحمد لا إله إلا هو ذو الحجة البالغة، والعز القاهر، والطول الباهر وصلى الله على سيدنا محمد نبي الرحمة ورسول الهدى، وعليه وعلى آله الطاهرين السلام ورحمة الله وبركاته.

وإن مما أدركناه عيانا، وشاهدناه في زماننا، وأحطنا علما به، فزادنا يقينا في ديننا، وتصديقا لما جاء به نبينا محمد، ودعا إليه من الحق، فرغَب فيه من الجهاد من فضيلة الشهداء، وبلغ عن الله عز وجل فيهم، إذ يقول جل ثناؤه (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين).

أني وردت في سنة ثمان وثلاثين ومائتين مدينة من مدائن خوارزم، تدعى هزاراسب، وهي في غربي وادي جيحون، ومنها إلى المدينة العظمى مسافة نصف يوم، فخبرت أن بها امرأة من نساء الشهداء، رأت رؤيا كأنها أطعمت في منامها شيئا، فهي لا تأكل شيئا ولا تشرب شيئا منذ عهد أبي العباس بن طاهر والي خراسان، وكان توفي قبل ذلك بثمان سنين رضي الله عنه.

ثم مررت بتلك المدينة سنة اثنتين وأربعين ومائتين، فرأيتها وحدثتني بحديثها فلم أستقص عليها، لحداثة سني، ثم إني عدت إلى خوارزم في آخر سنة اثنتين وخمسين ومائتين، فرأيتها باقية، ووجدت حديثها شائعا مستفيضا، وهذه المدينة على مدرجة القوافل، وكان الكثير ممن نزلها إذا بلغهم قصتها أحبوا أن ينظروا إليها، فلا يسألون عنها رجلا ولا امرأة ولا غلاما إلا عرفها ودل عليها.

فلما وافيت الناحية طلبتها، فوجدتها غائبة على عدة فراسخ، فمضيت في أثرها من قرية إلى قرية، فأدركتها بين قريتين تمشي مشية قوية، وإذا هي امرأة نصف، جيدة القامة، حسنة البدن، ظاهرة الدم، متوردة الخدين، ذكية الفؤاد، فسايرتني وأنا راكب، فعرضت عليها مركبا فلم تركبه، وأقبلت تمشي معي بقوة، وحضر مجلسي قوم من التجار والدهاقين، وفيهم فقيه يسمى محمد بن حمدويه الحارثي، وقد كتب عنه موسى بن هارون البزار بمكة وكمل له عبادة ورواية للحديث، وشاب حسن يسمى عبد الله بن عبد الرحمن وكان يخلف أصحاب المظالم بناحيته، فسألتهم عنها فأحسنوا الثناء عليها، وقالوا عنها خيرا، وقالوا إن أمرها ظاهر عندنا فليس فينا من يختلف فيها.

قال المسمى عبد الله بن عبد الرحمن أنا أسمع حديثها منذ أيام الحداثة، ونشأت والناس يتفاوضون في خبرها، وقد فرغت بالي لها، وشغلت نفسي للاستقصاء عليها، فلم أر إلا سترا وعفافا، ولم أعثر منها على كذب في دعواها، ولا حيلة في التلبيس، وذكر أن من كان يلي خوارزم من العمال، كانوا فيما خلا يستخصونها ويحضرونها الشهر والشهرين والأكثر في بيت يغلقونه عليها، ويوكلون بها من يراعيها، فلا يرونها تأكل ولا تشرب ولا يجدون لها أثر بول ولا غائط، فيبرونها ويكسونها ويخلون سبيلها.

فلما تواطأ أهل الناحية على تصديقها استقصصتها عن حديثها وسألتها عن اسمها وشأنها كله، فذكرت أن اسمها رحمة بنت إبراهيم، وأنه كان لها زوج نجار فقير معيشته من عمل يده، يأتيه رزقه يوما، ويوما لا فضل في كسبه عن قوت أهله، وأنها ولدت منه عدة أولاد، وجاء الأقطع ملك الترك إلى القرية، فعبر الوادي عند جموده إلينا في زهاء ثلاثة آلاف فارس، وأهل خوارزم يدعونه كسرة.

وقال أبو العباس: والأقطع هذا فإنه كان كافرا عاتيا شديد العداوة للمسلمين، قد أثر على أهل الثُغور، وألح على أهل خوارزم بالسبي والقتل والغارات، وكانت ولاة خراسان يتألفونه وأنسابه من عظماء الأعاجم، ليكفوا غارتهم عن الرعية ويحقنوا دماء المسلمين، فيبعثون إلى كل واحد منهم بأموال وألطاف كثيرة وأنواع من فاخر الثياب.

وأن هذا الكافر انساب في بعض السنين على السلطان، ولا أدري لم ذاك، أستبطأ المبار عن وقتها أم استقل ما بعث إليه في جنب ما بعث إلى نظرائه من ملوك الجريجية والثغرغدية ؟ فأقبل في جنوده، وتورد الثغر، واستعرض الطرق، فعاث وأفسد وقتل ومثل، فعجزت عنه خيول خوارزم.

وبلغ خبره أبا العباس عبد الله بن طاهر رحمه الله، فأنهض إليهم أربعة من القواد طاهر بن إبراهيم بن مدرك ويعقوب بن منصور بن طلحة وميكال مولى طاهر وهارون القباض، وشحن البلد بالعساكر والأسلحة، ورتبهم في أرباع البلد كل في ربع، فحموا الحريم بإذن الله تعالى.

ثم إن وادي جيحون – وهو الذي في نهر بلخ – جمد لما اشتد البرد، وهو واد عظيم شديد الطغيان كثير الآفات، وإذا امتد كان عرضه نحوا من فرسخ، وإذا جمد انطبق فلم يوصل منه إلى شيء، حتى يحفر فيه كما تحفر الآبار في الصخور، وقد رأيت كثيف الجمد عشرة أشبار، وأخبرت أنه كان فيما مضى يزيد على عشرين شبرا، وإذا هو انطبق صار الجمد جسرا لأهل البلد، تسير عليه العساكر والعجل والقوافل، فينطم ما بين الشاطئين، وربما دام الجمد مائة وعشرين يوما، وإذا قل البرد في عام بقي سبعين يوما إلى نحو ثلاثة أشهر.

قالت المرأة: فعبر الكافر في خيله إلى باب الحصن، وقد تحصن الناس وضموا أمتعتهم، فضجوا بالمسلمين وخربوهم، فحصر من ذلك أهل الناحية، وأرادوا الخروج، فمنعهم العامل دون أن تتوافى عساكر السلطان، وتتلاحق المطوعة، فشد طائفة من شبان الناس وأحداثهم، فتقاربوا من السور بما أطاقوا حمله من السلاح، وحملوا على الكفرة، فتهارج الكفرة واستجروهم من بين الأبنية والحيطان، فلما أصحروا كر الترك عليهم وصار المسلمون في مثل الحرجة، فتخلصوا واتخذوا دارة يحاربون من ورائها، وانقطع ما بينهم وبين الخصم، وبعدت المؤنة عنهم، فحاربوا كأشد حرب، وثبتوا حتى تقطعت الأوتار والقسي، وأدركهم التعب، ومسهم الجوع والعطش، وقتل عامتهم، وأثخن الباقون بالجراحات، ولما جن عليهم الليل تحاجز الفريقان.

قالت المرأة: ورفعت النار على المناظر ساعة عبور الكافر، فاتصلت بالجرجانية وهي مدينة عظيمة في قاصية خوارزم، وكان ميكال مولى طاهر من أبياتها في عسكر، فحث في الطلب هيبة للأمير أبي العباس عبد الله بن طاهر رحمه الله، وركض إلى هزاراسب في يوم وليلة أربعين فرسخا بفراسخ خوارزم، وفيها فضل كثير على فراسخ خراسان، وعد الترك الفراغ من أمر أولئك النفر، فبينما هم كذلك إذ

ارتفعت لهم الأعلام السود، وسمعوا أصوات الطبول، فأفرجوا عن القوم، ووافى ميكال موضع المعركة، فوارى القتلى، وحمل الجرحى.

قالت المرأة: وأدخل الحصن علينا عشية ذلك أربعمائة جنازة، فلم تبق دار إلا حمل إليها قتيل، وعمت المصيبة، وارتجَت الناحية بالبكاء، قالت: ووضع زوجي بين يدي قتيلا، فأدركني من الجزع والهلع عليه ما يدرك المرأة الشابة على زوج أبي الأولاد، وكانت لنا عيال، قالت: فاجتمع النساء من قراباتي والجيران يسعدنني على البكاء، وجاء الصبيان وهم أطفال لا يعقلون من الأمر شيئا، يطلبون الخبز، وليس عندي ما أعطيهم، فضقت صدرا بأمري.

ثم إني سمعت أذان المغرب، ففزعت إلى الصلاة، فصليت ما قضى لي ربي ثم سجدت أدعو وأتضرع إلى الله، وأسأله الصبر، بأن يجبر يتم صبياني، قالت: فذهب بي النوم في سجودي، فرأيت في منامي، كأني في أرض حسناء ذات حجارة، وأنا أطلب زوجي، فناداني رجل إلى أين أيتها الحرة ؟ قلت: أطلب زوجي، فقال: خذي ذات اليمين، قالت: فأخذت ذات اليمين، فرفع لي أرض سهلة طيبة الري ظاهرة العشب، وإذا قصور وأبنية لا أحفظ أن أصفها، أو لم أر مثلها، وإذا أنهار تجري على وجه الأرض عبر أخاديد ليست لها حافات، فانتهيت إلى قوم جلوس حلقا حلقا عليهم ثياب خضر، قد علاهم النور، فإذا هم الذين قتلوا في المعركة يأكلون على موائد بين أيديهم، فجعلت أتخللهم، وأتصفح وجوههم أبغي زوجي لكي ينظرني، فناداني يا رحمة يا رحمة، فيممت الصوت، فإذا أنا به في مثل حال من رأيت من الشهداء، وجهه مثل القمر ليلة البدر، وهو يأكل مع رفقة له قتلوا يومئذ معه، فقال لأصحابه: إن هذه البائسة جائعة منذ اليوم، أفتأذنون لي أن أناولها شيئا تأكله ؟ فأذنوا له، فناولني كسرة خبز، قالت: وأنا أعلم حينئذ أنه خبز، ولكن لا أدري كيف يخبز، هو أشد بياضا من الثلج واللبن، وأحلى من العسل والسكر، وألين من الزبد والسمن، فأكلته، فلما استقر في جوفي، قال: اذهبي كفاك الله مؤنة الطعام والشراب ما حييت الدنيا، فانتبهت من نومي شبعى ريا لا أحتاج إلى طعام ولا شراب، وما ذقتهما منذ ذلك اليوم إلى يومي هذا، ولا شيئا يأكله الناس.

قال أبو العباس: وكانت تحضرنا، وكنا نأكل، فتتنحى، وتأخذ على أنفها، تزعم أنها تتأذى من رائحة الطعام، فسألتها: هل تتغذى بشيء أو تشرب شيئا غير الماء ؟ فقالت: لا، فسألتها هل يخرج منها ريح أو أذى كما يخرج من الناس، فقالت: لا عهد لي بالأذى منذ ذلك الزمان، قلت: والحيض وأظنها قالت: انقطع بانقطاع الطعام، قلت: فهل تحتاجين حاجة النساء إلى الرجال ؟ قالت: أما

تستحيي مني تسألني عن مثل هذا ؟ قلت: إني لعلي أحدثُ الناس عنك، ولا بد أن استقصي، قالت: لا أحتاج، قلت: فتنامين ؟ قالت: نعم أطيب نوم، قلت: فما ترين في منامك ؟ قالت: مثل ما ترون، قلت: فتجدين لفقد الطعام وهنا في نفسك ؟ قالت: ما أحسست بجوع منذ طعمت ذلك الطعام، وكانت تقبل الصدقة، فقلت لها: ما تصنعين بها ؟ قالت: أكتسي وأكسو ولدي، قلت: فهل تجدين البرد وتتأذين بالحر ؟ قالت: نعم، قلت: فهل تدرين كلل اللغوب والإعياء إذا مشيت، قالت: نعم ألست من البشر ؟ قلت: فتتوضئين للصلاة ؟ قالت: نعم، قلت: لم ؟ قالت: أمرني بذلك الفقهاء، فقلت: إنهم أفتوها على حديث لا وضوء إلا من حدث أو نوم، وذكرت لي أن بطنها لاصق بظهرها، فأمرت امرأة من نسائنا، فنظرت، فإذا بطنها كما وصفت، وإذا قد اتخذت كيسا، فضمت القطن وشدته على بطنها، كي لا ينقصف ظهرها إذا مشت.

ثم لم أزل أختلف إلى هزاراسب بين السنتين والثلاث، فتحضرني فأعيد مسألتها، فلا تزيد ولا تنقص، وعرضت كلامها على عبد الله بن عبد الرحمن الفقيه، فقال: أنا أسمع هذا الكلام منذ نشأت، فلا أجد من يدفعه أو يزعم أنه سمع أنها تأكل أو تشرب أو تتغوط " انتهى كلامه، وقارن يا أخي بين رؤيا هذه المرأة، ورؤيا المرأة التي رأت الشهداء على عهد رسول الله ﷺ عن أنس رضي الله عنه عند أحمد، وقد مضى لتعرف وجه الشبه.

- ❖ قال الشيخ عبد الله عزام عن الشهيد رشيد الغولي وكان قد استشهد في أفغانستان " بشرى عظيمة على لسان أبي محمد الجزائري: وقد جرح مع رشيد في نفس القذيفة وأصيب بشظايا في رأسه ونقل إلى بيشاور وكانت الآلام تشتد عليه أحيانا فيغمى عليه، وأغمي على أبي محمد ذات مرة فقال:(إني لأرى رشيدا يأكل من يد الحور العين)" انتهى كلامه.

- ❖ جاء في كتاب قصص الشهداء العرب في الشهيد أبي عمر عبد العزيز الحربي:

ورآه أحد الإخوة الأفاضل في رؤيا بعد مقتله، فقال له: ماذا حدث بعد مقتلك ؟ فقال أبو عمر: رأيت اثنتين من أجمل النساء، إحداهما تمسح التراب عن وجهي، وتقول لي لا تخف يا أبا عمر لا تخف يا أبا عمر....

أما القسم الثالث:

عن خرشة بن الحر قال: كنت جالسا في حلقة في مسجد المدينة، قال: وفيها شيخ حسن الهيئة وهو عبد الله بن سلام، قال: فجعل يحدثهم حديثا حسنا، قال: فلما قام، قال القوم: من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا، قال فقلت: والله لأتبعنه فلأعلمن مكان بيته، قال: فتبعته فانطلق حتى كاد أن يخرج من المدينة، ثم دخل منزله، قال: فاستأذنت عليه، فأذن لي فقال: ما حاجتك يا ابن أخي ؟ قال فقلت له: سمعت القوم يقولون لك لما قمت: من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا، فأعجبني أن أكون معك، قال: الله أعلم بأهل الجنة، وسأحدثك مم قالوا ذاك، إني بينما أنا نائم إذ أتاني رجل فقال لي: قم، فأخذ بيدي، فانطلقت معه، قال: فإذا أنا بجواد عن شمالي، قال: فأخذت لآخذ فيها، فقال لي: لا تأخذ فيها، فإنها طرق أصحاب الشمال، قال: فإذا جواد منهج على يميني، فقال لي: خذ هاهنا، فأتى بي جبلا، فقال لي: اصعد، قال: فجعلت إذا أردت أن أصعد خررت على استي، قال: حتى فعلت ذلك مرارا، قال: ثم انطلق بي حتى أتى بي عمودا رأسه في السماء وأسفله في الأرض، في أعلاه حلقة، فقال لي: اصعد فوق هذا، قال قلت: كيف أصعد هذا ورأسه في السماء ؟ قال: فأخذ بيدي فزجل بي، قال: فإذا أنا متعلق بالحلقة، قال: ثم ضرب العمود فخر، قال: وبقيت متعلقا بالحلقة حتى أصبحت، قال: فأتيت النبي ﷺ فقصصتها عليه، فقال: (**أما الطرق التي رأيت عن يسارك، فهي طرق أصحاب الشمال، قال: وأما الطرق التي رأيت عن يمينك فهي طرق أصحاب اليمين، وأما الجبل فهو منزل الشهداء ولن تناله، وأما العمود فهو عمود الإسلام، وأما العروة فهي عروة الإسلام، ولن تزال متمسكا بها حتى تموت**) رواه مسلم.

❖ منهج التعامل لمن رأى رؤيا تتعلق بالموضوع:

١. أن يحمد الله عليها، لأن فيها بشارة عظيمة له بخير عظيم، وهذه نعمة عظيمة تستحق الحمد.

٢. أن لا يحدث بها إلا ناصح أو عالم أو محب.

٣. أن لا يجزم لأحد بجنة ولا نار عن طريق الرؤى، فإذا رؤي الشهيد وأخبر بمنزلته فهو وإن كان حقا في الرؤيا لأن كلام الميت في الرؤيا حق لأنه في دار الحق، لكن قواعد أهل السنة أنه لا يجزم لأحد بجنة ولا نار إلا بدليل شرعي، والرؤيا ليست بدليل، ولا تفيد العلم وإنما تفيد الظن.

٤. أن لا يعجب بها ويعتمد عليها وتكون دافعا للانهماك في المعاصي، فالرؤى تصدق وتكذب، والمعبر يصيب ويخطئ، والنائم يحفظ ويهم، وقد يكون استدراج وليس ببشرى، وكم من مغرور

برؤيا ومجترئ على الله تعالى بمنام رآه، ظن بنفسه الخير بسببه، وهو قد استدرج ومكر به وهو لا يشعر.

٥.أن تكون محفزا له على طلب الشهادة ودافعا للتقدم والنشاط في الجهاد بشكل أقوى.

٦.أن لا يتواكل عليها ويترك السعي في تحصيل الشهادة، لكونه رأى رؤيا بأنه سيقتل ويستشهد، ويعول على تلك الرؤيا في حصول الشهادة.

* * * *

۞ الباب التاسع: وحرض المؤمنين

قد سبق وأن ذكرنا فضائل الشهيد العظيمة الكثيرة، فهنيئا لمن حصلت له تلك المنزلة ونالها، وهناك أمر أعظم من هذا، أمر يجمع أجور الشهيد، بل وأضعاف مضاعفة من تلك الأجور والفضائل، وبدون جهد وتعب، وبدون قتل وموت، بفضل الله الواسع، ألا وهو تحريض المسلمين على طلب الشهادة ودلالتهم عليها وإرشادهم إليها، فمن دل مسلما على طلب الشهادة وقتل شهيدا كان مثل أجر الشهيد العظيم.

والدليل عليه ما جاء عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(من دل على خير فله مثل أجر فاعله)** رواه مسلم.

وعن زيد بن خالد رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: **(من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازيا في سبيل الله بخير فقد غزا)** رواه البخاري.

وهذا يدل على أنه يكون له مثل أجر شهادته ويستوي معه في ذلك، فمن دل مسلما على الشهادة كان له أجر الشهادة، فكيف بمن دل مئات المسلمين عليها واستشهدوا بسبب تحريضه ودلالته، فذاك الذي لا يلحق فضله وأجره، فقد ملأت صحيفته بالأجور، وليست كأي أجور، بل بالأجور العظيمة، وثقل ميزانه بها، وهو مع ذلك لم يعمل إلا الدلالة والإرشاد والتحريض.

وقد حرض الله المؤمنين على الجهاد في غير ما آية في كتابه، فمن ذلك ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ...﴾ الآية، الصف.**

وأيضا أمر نبيه ﷺ بالتحريض في كتابه مرتين، فقال: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ الأنفال**، وقال: ﴿ **فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ النساء.**

فقام بذلك النبي ﷺ أتم قيام، فحرض أصحابه والمؤمنين، فمن ذلك أنه قال يوم بدر للصحابة: **(قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض)** وقد مضى الحديث سابقا، وغير ذلك.

ولم يزل الصحابة ومن بعدهم وأئمة السلف الصالح - كما قال ابن النحاس في المشارع - يحرضون الناس على الجهاد في سبيل الله وقتال أعداء الله، والمأثور عنهم في ذلك لا ينحصر كثرة فقد حرض أبو بكر وعمر وغيرهم كثير من الصحابة.

وقد عقد ابن النحاس بابا في المشارع في فضل التحريض على الجهاد في سبيل الله، وكذا عقد ابن هذيل في تحفة الأنفس بابا في التحريض، وما ذاك إلا لأهميته وقال فيه أيضا: " ينبغي للإمام أن يحض الناس ويحرضهم على الجهاد، فقد أمر الله تعالى بذلك نبيه ﷺ ".

وقال فيه أيضا: " ومن تحريض أبو الهيثم الأنصاري وكان من أصحاب رسول الله ﷺ عقبيا بدريا، فجعل يسوي الصفوف، ويقول: " يا معاشر المسلمين إنه ليس بين الفتح العاجل والجنة في الآجل إلا ساعة من نهار، فأرسفوا أقدامكم، وسووا صفوفكم، وأعيروا جماجمكم، واستعينوا بالله واصبروا، إن الله مع الصابرين، وإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ".

وقال أيضا: " وحرض آخر فقال: " أصيبوا عباد الله بدمائكم، فإن الفرار فيه سلب العز وذل الحياة والممات، وعار في الدنيا والآخرة ".

وقال أيضا: " وحرض النعمان بن مقرن في معركة نهاوند قبل القتال فقال: " أيها الناس أنتم حزب الله وأنصار دينه وأتباع نبيه محمد ﷺ وحملة كتابه والقائمون بحدوده وأهل الصلاة والصيام وذادة الإيمان والإسلام، شرفكم الله بنبيكم المصطفى، واختار لكم دينه المرتضى، ووهبكم العقول الراجحة،

والنيات الصادقة، والقلوب الثابتة، وإنما برزتم إلى حرب الشيطان، وأهل الضلالة والبهتان، وذادة الأصنام والأوثان، دعاهم رسول الله ﷺ إلى الهدى والنور، فجانبوه وصرخ بهم الشيطان إلى الردى والغرور، فاتبعوه بآراء ساقطة، وعقول ساخرة، وقلوب طائرة، وقد برزتم إليهم وبرزوا إليكم، وإن الله ناظر إليكم، ومطلع عليكم، فاستحيوا منه أن يكون حزب الشيطان، وذادة الأصنام والأوثان، أجد على الباطل والبهتان، وأصبر على النزال والطعان، من حزب الرحمن، وذادة الإسلام والإيمان، وحملة السنن والقرآن، وإنما يتربصون بكم إحدى الحسنين، ونحن نتربص بهم أن يصيبهم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا " انتهى كلامه.

فيا معشر المجاهدين حرضوا ما استطعتم من الناس على اللحاق بركبكم، وأن يكونوا في صفكم، حتى تنالوا مع أجر جهادكم وشهادتكم – إن استشهدتم – أجور شهداء آخرين، فتعظم بذلك أجوركم ومنازلكم عند الله، فأن تستشهد وفي صحيفتك شهداء، أعظم فضلا وأجرا بأضعاف من أن تستشهد لوحدك فقط، فما دمت سلكت الطريق فخذ معك ما استطعت من الناس حتى يحصلوا من الخير، وتزيد عليهم بفضل دعوتك.

ولك أن تنظر مثلا كم في صحيفة الشيخ عبد الله عزام من الشهداء والمجاهدين نحسبه والله حسيبه، فقد دعا إلى الجهاد وطلب الشهادة، وخرج كثير من الناس إلى طلب الشهادة بسببه، وما زالت كتبه تحث على ذلك ويهتدي بها الناس بعد موته، فنحسبه والله حسيبه أن أجور الشهداء قد ملأت صحيفته، وما زالت على مر السنين تُملأ إن شاء الله بها.

وكذا الشيخ أسامة بن لادن دعا إلى الجهاد والشهادة، وأنشأ قواعده وبناءه، فغالب من خرج بعده فهو عالة عليه، وفي ميزانه إن شاء الله، فأنعم به من فضل وأجر بل وأجور.

ولئن كان الشهداء إذا قتلوا تمنوا الرجوع لكي يقتلوا مرة أخرى وعشر مرار لأجل أن يتكرر عليهم فضل الشهادة وأجرها العظيم، فيمكن تحصيل ذلك عن طريق الدعوة والتحريض والدلالة، فيكون في موازينك عشرات الأجور بل مئات الأجور من أجور الشهداء، ويتكرر الفضل في حقك وإن كنت قتلت مرة واحدة فقط.

ويمكن أن ينال هذا الفضل في الجهاد وأن يكون الرجل في ميزان حسناتك بأمور كثيرة منها:

١ . تعليم المؤمن فضل الجهاد والشهادة وفرضه، فإذا خرج بهذا السبب فهو في ميزانك.

٢. دلالته على طريق الجهاد وإعانته عليه، بأن يدله على مكان المجاهدين وكيفية اللحاق بهم.

٣. من جهز المجاهد والغازي، فإنه يكون له مثل أجره حتى يرجع أو يستشهد، لحديث (من جهز غازيا فقد غزا، ومن خلف غازيا في أهله بخير فقد غزا) قال المناوي: " أي يستوي معه في الأجر إلى انقضاء غزوته بموته أو فراغ الوقعة " انتهى كلامه.

وقال أيضا: " وكذا جميع الطاعات من أعان عليها كان له مثلها كما ذكره بعضهم " انتهى كلامه.

٤. من خلف غازيا ومجاهدا بخير في أهله، فإنه يكون له مثل أجره لحديث (أو خلف غازيا...) وقد سبق.

٥. تحريض المؤمن ووعظه وتذكيره بفضل الجهاد والشهادة.

٦. إحياء فريضة الجهاد، وإنشاء المعسكرات والقواعد له، لقوله ﷺ: **(من سن سنة حسنة فعمل بها كان له أجرها، ومثل أجر من عمل بها لا ينقص من أجورهم شيئا)** رواه مسلم وابن ماجه عن جرير رضي الله عنه.

وكل مايكون فيه الشخص سببا في خروج غيره إلى الجهاد وطلب الشهادة، يكون له مثل أجره بشرط أن يكون محتسبا.

* * * *

۞ الباب العاشر: قصص الشهداء وكراماتهم

تمهيد:

أمر الله رسوله ﷺ بقص القصص لعل الناس أن تتفكر فقال تعالى: ﴿ **فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ **الأعراف**، وقد قص الله تعالى في كتابه من قصص الأنبياء والأمم قبلنا لكي نأخذ العبرة والعظة منها، فقال: ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ** ﴾ **يوسف**.

وجعل القصص سبب في تثبيت النبي ﷺ كما قال تعالى: ﴿ **وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ** ﴾ **هود**، وللقصص على العبد المؤمن أثر في أخذ العبرة والعظة، وفي تحفيز النفوس وشحذ الهمم والاقتداء بالآخرين، والتنافس ورفع الإيمان، وهذا أمر لا ينكره ذوعقل.

ومن أعظم القصص التي فيها العبر والعظات، ورفع الهمم والإيمان، وفيها من المتعة أيضا والأنس، والغرابة والعجب والخوارق ما يفوق الوصف، ولا يتخيله العقل، قصص الشهداء والمجاهدين وكراماتهم.

فقصصهم من أحسن القصص، تجمع جميع أنواع القصص، فإن أردت الخيال فهناك الكرامات والخوارق التي تحصل للشهداء والتي تفوق أي خيال، وإن أردت الحب فهناك عشاق الحور وقصصهم

في تطلبها وعشقهم لها وهي من أعظم قصص الحب الصادق التي فيها يضحي المحب من أجل محبوبه، وإن أردت قصص القتال والحروب فهذا هو موضوعهم ومعاشهم وإن أردت...وإن أردت...

قصص تبث الأشواق، وتهز العشاق، وتدمع العيون، وتثير الشجون، وتحفز النفوس إلى ذوق تلك الكؤوس، وتؤنس الوحشة في الطريق، وتغني الطالب عن الرفيق.

ولكي تعلم عظمة قصص الجهاد وشدة تأثيرها، هاك هذه القصة، فذكر ابن العماد في الشذرات في ترجمة أبو العباس بن القاص: " قال ابن السمعاني: والقاص هو الذي يعظ ويذكر القصص، عرف أبوه بالقاص، لأنه دخل بلاد الديلم وقص على الناس الأخبار المرغبة في الجهاد، ثم دخل بلاد الروم غازيا، فبينما هو يقص لحقه وجد وخشية، فمات رحمه الله تعالى" انتهى كلامه، فمات رحمه الله بسبب الوجد الذي لحقه من ذكر القصص والأخبار المرغبة في الجهاد.

وقد مضى في ثنايا هذا الكتاب كثير من القصص في الشهادة والجهاد، وها نحن هنا نذكر بعض القصص التي لم يتم ذكرها، سواء من الصحابة أو من بعدهم إلى وقتنا المعاصر:

❖ روى ابن المبارك عن سعيد بن هلال أن سليمان بن أبان حدثه أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى بدر، أراد سعد بن خيثمة وأبوه أن يخرجا جميعا، فذكروا ذلك للنبي ﷺ، فأمرهما أن يخرج أحدهما، فاستهما فخرج سهم سعد، فقال أبوه: آثرني بها يا بني، فقال: يا أبت إنها الجنة، لو كان غيرها آثرتك به، فخرج سعد مع النبي ﷺ فقتل يوم بدر، ثم قتل خيثمة من العام المقبل يوم أحد ".

❖ لما كان يوم اليمامة كان زيد بن الخطاب يحمل راية المسلمين، وقد انكشف المسلمون حتى ظهرت حنيفة على الرجال، فجعل زيد بن الخطاب يقول: أما الرجال فلا رجال، وأما الرجال فلا رجال، ثم جعل يصيح بأعلى صوته: اللهم إني أعتذر إليك من فرار أصحابي، وأبرأ إليك مما جاء به مسيلمة، ومحكم بن الطفيل، وجعل يشد بالراية، يتقدم بها في نحر العدو، ثم ضارب بسيفه حتى قتل رحمة الله عليه، ووقعت الراية، فأخذها سالم مولى أبي حذيفة فقال المسلمون: يا سالم إنا نخاف أن نؤتى من قبلك، فقال: بئس حامل القرآن أنا إن أتيتم من قبلي، وقتل زيد بن الخطاب سنة اثنتي عشرة من الهجرة " رواه ابن المبارك.

❖ روى ابن أبي شيبة في مصنفه عن سعد بن إبراهيم أنه مر برجل يوم أبي عبيد وقد قطعت يداه ورجلاه، وهو يقول: (**مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا**) فقال له بعض من مر عليه: من أنت ؟ قال: امرؤ من الأنصار ".

❖ قال ابن الأثير في الكامل: " لما أمر عمر عبد الرحمن بن ربيعة بغزو الترك، خرج بالناس حتى قطع الباب، فقال له شهريار: ما تريد أن تصنع ؟ قال: أريد غزو بلنجر والترك، قال: إنا لنرضى منهم أن يدعونا من دون الباب، قال عبد الرحمن: لكنا لا نرضى حتى نغزوهم في ديارهم، وبالله إن معنا أقواماً لو يأذن لهم أميرنا في الإمعان لبلغت بهم الروم، قال: وما هم ؟ قال: أقوام صحبوا رسول الله ﷺ ودخلوا في هذا الأمر بنية، ولا يزال هذا الأمر لهم دائماً ولا يزال النصر معهم حتى يغيرهم من يغلبهم، وحتى يلفتوا عن حالهم، فغزا بلنجر غزاة في زمن عمر فقالوا: ما اجترأ علينا إلا ومعه الملائكة تمنعهم من الموت، فهربوا منه وتحصنوا، فرجع بالغنيمة والظفر، وقد بلغت خيله البيضاء على رأس مائتي فرسخ من بلنجر، وعادوا ولم يقتل منهم أحد.

ثم غزاهم أيام عثمان بن عفان غزوات، فظفر كما كان يظفر، حتى تبدل أهل الكوفة لاستعمال عثمان من كان ارتد استصلاحاً لهم فزادهم فساداً، فغزا عبد الرحمن بن ربيعة بعد ذلك، فتذامرت الترك واجتمعوا في الغياض، فرمى رجلٌ منهم رجلاً من المسلمين على غرة، فقتله وهرب عنه أصحابه، فخرجوا عليه عند ذلك فاقتتلوا واشتد قتالهم ونادى منادٍ من الجو: صبراً عبد الرحمن وموعدكم الجنة ! فقاتل عبد الرحمن حتى قتل " انتهى كلامه.

❖ زهير بن قيس البلوي كان قد تولى الحكم من قبل عبد الملك بن مروان على إفريقية، ومع ذلك لم يرده ذلك عن طلب الشهادة، فقد قال عنه ابن الأثير في الكامل: "إن زهيراً رأى بإفريقية ملكاً عظيماً، فأبى أن يقيم وقال: إنما قدمت للجهاد فأخاف أن أميل إلى الدنيا فأهلك.

وكان عابداً زاهداً، فترك بالقيروان عسكراً وهم آمنون لخلو البلاد من عدو أو ذي شوكة، ورحل في جمع كثير إلى مصر.

وكان قد بلغ الروم بالقسطنطينية مسير زهير من برقة إلى إفريقية لقتال كسيلة، فاغتنموا خلوها، فخرجوا إليها في مراكب كثيرة وقوة قوية من جزيرة صقلية، وأغاروا على برقة، فأصابوا منها سبياً كثيراً، وقتلوا ونهبوا، ووافق ذلك قدوم زهير من إفريقية إلى برقة، فأخبر الخبر، فأمر العسكر بالسرعة

والجد في قتالهم، ورحل هو ومن معه، وكان الروم خلقاً كثيراً، فلما رآه المسلمون استغاثوا به فلم يمكنه الرجوع وباشر القتال واشتد الأمر وعظم الخطب وتكاثر الروم عليهم، فقتلوا زهيراً وأصحابه، ولم ينج منهم أحد، وعاد الروم بما غنموا إلى القسطنطينية " انتهى كلامه.

❖ قال ابن النحاس في المشارع: " ولنختم هذا الباب بحكاية أم إبراهيم الهاشمية - وهي حكاية مشهورة - حكاها جماعة منهم أبو جعفر أحمد بن جعفر بن اللبان رحمه الله في كتابه المسمى " تنبيه ذوي الأقدار على مسالك الأبرار" قال: روي أنه كان بالبصرة نساء عابدات، وكانت منهن أم إبراهيم الهاشمية، فأغار العدو على ثغر من ثغور المسلمين، فانتدب الناس للجهاد، فقام عبد الواحد بن زيد البصري في الناس خطيبا فحضهم على الجهاد، وكانت أم إبراهيم هذه حاضرة في مجلسه، وتمادى عبد الواحد على كلامه، ثم وصف الحور العين، وذكر ما قيل فيهن، وأنشد في صفة حوراء:

غادة ذات دلال ومرح ** يجد الناعت فيها ما اقترح

خلقت من كل شيء حسن ** طيب فالليت فيها مطرح

زانها اللّه بوجه جمعت ** فيه أوصاف غريبات الملح

وبعين كحلها من غنجها ** وبخد مسكه فيه رشح

ناعم تجري على صفحته ** نضرة الملك ولألاء الفرح

أترى خاطبها يسمعها ** إذ تدير الكأس طورا والقدح

في رياض مونق نرجسه ** كلما هب له الريح نفح

وهي تدعوه بود صادق ** مليء القلب به حتى طفح

يا حبيبا لست أهوى غيره ** بالخواتيم يتم المفتتح

لا تكونن كمن جد إلى ** منتهى حاجته ثم جمح

لا فما يخطب مثلي من سها ** إنما يخطب مثلي من ألح

قال: فماج الناس بعضهم في بعض، واضطرب المجلس، فوثبت أم ابراهيم من وسط الناس وقالت لعبد الواحد: يا أبا عبيد ألست تعرف ولدي إبراهيم، ورؤساء أهل البصرة يخطبونه على بناتهم، وأنا أضن به عليهم، فقد واللّه أعجبتني هذه الجارية، وأنا أرضاها عِرسا لولدي، فكرر ما ذكرت من حسنها وجمالها، فأخذ عبد الواحد في وصف حوراء، ثم أنشد:

تولد نور النور من نور وجهها ** فمازج طيب الطيب من خالص العطر

فلو وطئت بالنعل منها على الحصى ** لأعشبت الأقطار من غير ما قطر

ولو شئت عقد الخصر منها عقدته ** كغصن من الريحان ذي ورق خضر

ولو تفلت في البحر شهد رُضَابِها ** لطاب لأهل البر شرب من البحر

يكاد اختلاس اللحظ يجرج خدها ** بجارج وهم القلب من خارج السر

فاضطرب الناس أكثر فوثبت أم إبراهيم، وقالت لعبد الواحد: يا أبا عبيد! قد واللّه أعجبتني هذه الجارية، وأًنا أرضاها عرسا لولدي، فهل لك أن تزوجه منها وتأخذ مني مهرها عشرة آلاف دينار، ويخرج معك في هذه الغزوة، فلعل اللّه يرزقه الشهادة، فيكون شفيعا لي ولأبيه في القيامة ؟ فقال لها عبد الواحد: لئن فعلت لتفوزن أنت وولدك، وأبو ولدك، فوزا عظيما.

ثم نادت ولدها: يا إبراهيم ! فوثب من وسط الناس، وقال لها: لبيك يا أماه، قالت: أي بني أرضيت بهذه الجارية زوجة ببذل مهجتك في سبيله وترك العود في الذنوب ؟ فقال الفتى: إي واللّه يا أماه رضيت أي رضى، فقالت: اللهم إني أشهدك أني زوجت ولدي هذا من هذه الجارية ببذل مهجته في سبيلك، وترك العود في الذنوب فتقبله مني يا أرحم الراحمين، قال: ثم انصرفت فجاءت بعشرة آلاف دينار، وقالت: يا أبا عبيد! هذا مهر الجارية تجهز به، وجهز الغزاة في سبيل الله، وانصرفت، فابتاعت لولدها فرسا جيدا، واستجادت له سلاحا، فلما خرج عبد الواحد، خرج إبراهيم يعدو، والقراء حوله يقرءون: (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة).

قال: فلما أرادت فراق ولدها دفعت إليه كفنا وحنوطا، وقالت له: أي بني إذا أردت لقاء العدو فتكفن بهذا الكفن وتحنط بهذا الحنوط، وإياك أن يراك اللّه مقصرا في سبيله، ثم ضمته إلى صدرها، وقبلت بين عينيه، وقالت: يا بني ! لا جمع اللّه بيني وبينك إلا بين يديه في عرصات القيامة.

قال عبد الواحد: فلما بلغنا بلاد العدو، ونودي في النفير وبرز الناس للقتال، برز إبراهيم في المقدمة، فقتل من العدو خلقا كثيرا، ثم اجتمعوا عليه فقتل، قال عبد الواحد: فلما أردنا الرجوع إلى البصرة، قلت لأصحابي: لا تخبروا أم إبراهيم بخبر ولدها حتى ألقاها بحسن العزاء لئلا تجزع فيذهب أجرها.

قال: فلما وصلنا البصرة خرج الناس يتلقوننا، وخرجت أم إبراهيم فيمن خرج، قال عبد الواحد: فلما بصرت بي قالت: يا أبا عبيد هل قبلت مني هديتي فأهنأ، أم ردت علي فأعزى ؟ فقلت لها: قد قبلت واللّه هديتك، إن إبراهيم حي مع الأحياء يرزق، قال: فخرت ساجدة للّه شكرا، وقالت: الحمد للّه الذي لم يخيب ظني وتقبل نسكي مني، وانصرفت، فلما كان من الغد أتت إلى مسجد عبد الواحد، فنادته: السلام عليك يا أبا عبيد، بشراك، فقال: لا زلت مبشرة بالخير، فقالت له: رأيت البارحة ولدي إبراهيم في روضة حسناء، وعليه قبة خضراء، وهو على سرير من اللؤلؤ، وعلى رأسه تاج وإكليل وهو يقول لي: يا أماه ! أبشري فقد قبل المهر، وزفت العروس " انتهى كلامه.

❖ قال ابن النحاس في المشارع: " فحكى أنه كان بمدينة رسول الله رجل يقال له: أبو قدامة الشامي، وكان قد حبب الله إليه الجهاد في سبيل اللّه تعالى والغزو إلى بلاد الروم، فجلس يوما في مسجد رسول اللّه يتحدث مع أصحابه فقالوا له: يا أبا قدامة حدثنا بأعجب ما رأيته في الجهاد.

قال: نعم، إني دخلت في بعض السنين الرقة أطلب جملا أشتريه ليحمل سلاحي، فبينا أنا يوما جالس، إذ دخلت علي امرأة فقالت: يا أبا قدامة سمعتك وأنت تحدث عن الجهاد وتحث عليه وقد رزقت من الشعر ما لم يرزقه غيري من النساء، وقد قصصته وأصلحت منه شكالا للفرس وعفرته بالتراب لئلا ينظر إليه أحد، وقد أحببت أن تأخذه معك فإذا صرت في بلاد الكفار وجالت الأبطال ورميت النبال وجردت السيوف وشرعت الأسنة، فإن احتجت إليه، وإلا فادفعه إلى من يحتاج إليه ليحضر شعري ويصيبه الغبار في سبيل اللّه، فأنا امرأة أرملة، كان لي زوج وعصبة، كلهم قتلوا في سبيل الله، ولو كان علي جهاد لجاهدت قال: وناولتني الشكال.

وقالت: اعلم يا أبا قدامة أن زوجي لما قتل خلف لي غلاما من أحسن الشباب، وقد تعلم القرآن والفروسية والرمي عن القوس، وهو قوام بالليل صوّام بالنهار، وله من العمر خمس عشرة سنة، وهو غائب في ضيعة خلفها له أبوه، فلعله يقدم قبل مسيرك فأوجهه معك هدية إلى اللّه عز وجل، وأنا أسألك بحرمة الإسلام لا تحرمني ما طلبت من الثواب، قال: فأخذت الشكال منها، فإذا هو مضفور من شعر رأسها، فقالت: القه في بعض رحلك وأنا أنظر إليه ليطمئن قلبي، قال: فطرحته في رحلي

وخرجت من الرقة ومعي أصحابي، فلما صرنا عند حصن مسلمة بن عبد الملك، إذا بفارس يهتف من ورائي: يا أبا قدامة قف علي قليلا يرحمك اللّه، فوقفت وقلت لأصحابي: تقدموا أنتم حتى أنظر من هذا، وإذا بالفارس قد دنا مني وعانقني، وقال: الحمد للّه الذي لم يحرمني صحبتك ولم يردني خائبا، قلت: حبيبي أسفر لي عن وجهك، فإن كان يلزم مثلك غزو أمرتك بالمسير، وإن لم يلزمك غزو رددتك، فأسفر عن وجهه، فإذا غلام كأنه القمر ليلة البدر وعليه آثار النعمة، قلت: حبيبي لك والد ؟ قال: لا، بل أنا خارج معك أطلب ثأر والدي، لأنه استشهد فلعل اللّه يرزقني الشهادة كما رزق أبي، قلت: حبيبي لك والدة ؟ قال: نعم، قلت: اذهب إليها واستأذنها، فإن أذنت، وإلا فأقم عندها، فإن طاعتك لها أفضل من الجهاد، لأن الجنة تحت ظلال السيوف، وتحت أقدام الأمهات.

قال: يا أبا قدامة أما تعرفني ؟ قلت: لا، قال: أنا ابن صاحبة الوديعة، ما أسرع ما نسيت وصية أمي صاحبة الشكال، وأنا إن شاء اللّه الشهيد ابن الشهيد، سألتك باللّه لا تحرمني الغزو معك في سبيل اللّه، فإني حافظ لكتاب اللّه، عارف بسنة رسول اللّه، عارف بالفروسية والرمي، وما خلفت ورائي أفرس مني، فلا تحقرني لصغر سني، وإن أمي قد أقسمت عليّ أن لا أرجع، وقالت: يا بني إذا لقيت الكفار فلا تولهم الدبر، وهب نفسك للّه واطلب مجاورة اللّه ومجاورة أبيك مع أخوالك الصالحين في الجنة، فإذا رزقك اللّه الشهادة فاشفع في، فإنه قد بلغني أن الشهيد يشفع في سبعين من أهله، وسبعين من جيرانه، ثم ضمتني إلى صدرها، ورفعت رأسها إلى السماء، وقالت: إلهي وسيدي ومولاي، هذا ولدي، وريحانة قلبي، وثمرة فؤادي سلمته إليك فقربه من أبيه.

قال: فلما سمعت كلام الغلام، بكيت بكاء شديدا أسفا على حسنه، وجمال شبابه، ورحمة لقلب والدته، وتعجبا من صبرها عنه، فقال: يا عم مم بكاؤك ؟ إن كنت تبكي لصغر سني، فإن اللّه يعذب من هو أصغر مني إذا عصاه، قلت: لم أبك لصغر سنك، ولكن أبكي لقلب والدتك، كيف تكون بعدك، قال: فسرنا ونزلنا تلك الليلة، فلما كان الغداة رحلنا، والغلام لا يفتر من ذكر اللّه تعالى، فتأملته، فإذا هو أفرس منا إذا ركب، وخادمنا إذا نزلنا منزلا، وصار كلما سرنا يقوى عزمه، ويزداد نشاطه، ويصفو قلبه، وتظهر علامات الفرح عليه.

قال: فلم نزل سائرين حتى أشرفنا على ديار المشركين عند غروب الشمس، فنزلنا فجلس الغلام يطبخ لنا طعاما لإفطارنا، وكنا صياما فغلبه النعاس فنام نومة طويلة، فبينا هو نائم إذ تبسم في نومه، فقلت

لأصحابي: ألا ترون إلى ضحك هذا الغلام في نومه ؟ فلما استيقظ، قلت: حبيبي رأيتك الساعة تبتسم في منامك ضاحكا قال: رأيت رؤيا فأعجبتني وأضحكتني، قلت: ما هي ؟

قال: رأيت كأني في روضة خضراء أنيقة، فبينما أنا أجول فيها، إذ رأيت قصرا من فضة شرفه من الدر والجوهر، وأبوابه من الذهب، وستوره مرخية، وإذا جواري يرفعن الستور، وجوههن كالأقمار، فلما رأينني، قلن لي: مرحبا بك، فأردت أن أمد يدي إلى إحداهن، فقالت: لا تعجل ما آن لك، ثم سمعت بعضهن يقول لبعض: هذا زوج المرضية، فقلن لي: تقدم يرحمك اللّه، فتقدمت أمامي، فإذا في أعلى القصر غرفة من الذهب الأحمر عليها سرير من الزبرجد الأخضر، قوائمه من الفضة البيضاء، عليه جارية وجهها كأنه الشمس، لولا أن اللّه ثبت علي بصري لذهب، وذهب عقلي، من حسن الغرفة وبهاء الجارية، قال: فلما رأتني الجارية، قالت: مرحبا وأهلا وسهلا يا ولي اللّه وحبيبه، أنت لي وأنا لك، فأردت أن أضمها إلى صدري، فقالت: مهلا لا تعجل، فإنك بعيد من الخنا، وإن الميعاد بيني وبينك غدا عند صلاة الظهر، فأبشر، قال أبو قدامة: فقلت له: حبيبي رأيت خيرا وخيرا يكون.

ثم بتنا متعجبين من منام الغلام، فلما أصبحنا تبادرنا فركبنا خيولنا، فإذا المنادي ينادي: يا خيل اللّه اركبي، وبالجنة أبشري (**انفروا خفافا وثقالا**) فما كان إلا ساعة وإذا جيش الكفر – خذله اللّه – قد أقبل كالجراد المنتشر فكان أول من حمل منا فيهم الغلام، فبدد شملهم وفرق جمعهم وغاص في وسطهم، فقتل منهم رجالا وجندل أبطالا، فلما رأيته كذلك، لحقته فأخذت بعنان فرسه، وقلت: يا حبيبي ارجع فأنت صبي ولا تعرف خدع الحرب، فقال يا عم: ألم تسمع قول اللّه تعالى (**يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار**) أتريد أن أدخل النار.

فبينا هو يكلمني إذ حمل علينا المشركون حملة رجل واحد، فحالوا بيني وبين الغلام ومنعوني منه، واشتغل كل واحد بنفسه، وقتل خلق كثير من المسلمين، فلما افترق الجمعان، إذ القتلى لا يحصون عددا، فجعلت أجول بفرسي بين القتلى، ودماؤهم تسيل على الأرض، ووجوههم لا تعرف من كثرة الغبار والدماء.

فبينا أنا أجول بين القتلى، إذ أنا بالغلام بين سنابك الخيل، قد علاه التراب وهو يتقلب في دمه ويقول: يا معشر المسلمين، باللّه ابعثوا لي عمي أبا قدامة، فأقبلت إليه عندما سمعت صياحه، فلم أعرف وجهه لكثرة الدماء والغبار ودوس الدواب، فقلت: ها أنا أبو قدامة، قال: يا عم صدقت الرؤيا ورب الكعبة، أنا ابن صاحبة الشكال، فعندها رميت بنفسي عليه فقبلت بين عينيه، ومسحت

التراب والدم عن محاسنه، وقلت: يا حبيبي لا تنس عمك أبا قدامة اجعله في شفاعتك يوم القيامة، فقال: مثلك لا ينسى، تمسح وجهي بثوبك ؟ ثوبي أحق به من ثوبك، دعه يا عم حتى ألقى الله تعالى به، يا عم هذه الحور التي وصفتها لك قائمة على رأسي، تنتظر خروج روحي، وتقول لي: عجل فأنا مشتاقة إليك.

باللّه يا عم إن ردك اللّه سالما، فتحمل ثيابي هذه المضمخة بالدم لوالدتي المسكينة الثكلى الحزينة، وتسلمها إليها، لتعلم أني لم أضيع وصيتها، ولم أجبن عند لقاء المشركين، واقرأ مني السلام عليها، وقل لها: إن اللّه قد قبل الهدية التي أهديتها، ولي يا عم أخت صغيرة، لها من العمر عشر سنين، كنت كلما دخلت استقبلتني تسلم علي، وإذا خرجت تكون آخر من يودعني، وإنها ودعتني عند مخرجي هذا، وقالت لي: باللّه يا أخي لا تبطىء عنا، فإذا لقيتها فاقرأ عليها مني السلام، وقل لها: يقول لك أخوك: اللّه خليفتي عليك إلى يوم القيامة، ثم تبسم وقال: أشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، صدق وعده، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، هذا ما وعدنا اللّه ورسوله، وصدق اللّه ورسوله، ثم خرجت روحه، فكفناه في ثيابه، وواريناه رضي اللّه عنه وعنا به.

قال أبو قدامة: فلما رجعنا من غزوتنا تلك ودخلنا الرقة، لم تكن لي همة إلا دار أم الغلام، فإذا جارية تشبه الغلام في حسنه وجماله، وهي قائمة بالباب، وكل من مر بها تقول: يا عم من أين جئت ؟ فيقول: من الغزاة، فتقول: أما رجع معكم أخي ؟ فيقولون: لا نعرفه، فلما سمعتها تقدمت إليها، فقالت لي: يا عم من أين جئت ؟ قلت: من الغزو، قالت: أما رجع معكم أخي، ثم بكت، وقالت: ما بالي أرى الناس يرجعون، وأخي لم يرجع، فغلبتني العبرة، ثم تجلدت خشية على الجارية.

ثم قلت لها: يا جارية قولي لصاحبة المنزل: كلمي أبا قدامة فإنه على الباب، فسمعت المرأة كلامي، فخرجت إلي وقد تغير لونها، فسلمت عليها، فردت السلام وقالت: أمبشرا أنت يا أبا قدامة أم معزيا ؟ قلت: بيني لي البشارة من التعزية رحمك اللّه ؟ قالت: إن كان ولدي رجع سالما فأنت معز، وإن كان قتل في سبيل اللّه فأنت مبشر، فقلت: أبشري فقد قبل الله هديتك، فبكت وقالت: قبلها ؟ قلت: نعم، فقالت: الحمد لله الذي جعله ذخيرة لي يوم القيامة.

قلت: فما فعلت الجارية أخت الغلام ؟ قالت: هي التي كانت تكلمك الساعة، فتقدمت إلي، فقلت لها: إن أخاك يسلم عليك ويقول لك: الله خليفتي عليك إلى يوم القيامة، فصرخت وخرت على وجهها مغشيا عليها، فحركتها بعد ساعة، فإذا هي ميتة، فتعجبت من ذلك ثم سلمت ثياب الغلام

التي كانت معي لأمه، وودعتها، وانصرفت حزينا على الغلام والجارية، ومتعجبا من صبر أمهما " انتهى كلامه.

❖ قال ابن النحاس في المشارع: " وروى ابن المبارك عن السري بن يحي، عن ثابت البناني أن فتى غزا زمانا وتعرض للشهادة، فلم يصبها، فحدث نفسه، فقال: واللّه ما أراني إلا لو قفلت إلى أهلي فتزوجت، قال: ثم قال في الفسطاط، ثم أيقظه أصحابه لصلاة الظهر، قال: فبكى حتى خاف أصحابه أن يكون قد أصابه شيء، فلما رأى ذلك قال: إني ليس بي بأس، ولكنه أتاني آت قبيل وأنا في المنام، فقال: انطلق إلى زوجتك العيناء، قال: فقمت معه، فانطلق بي في أرض بيضاء نقية، فأتينا على روضة فما رأيت روضة قط أحسن منها، فإذا فيها عشر جوارٍ، ما رأيت مثلهن قط أحسن منهن، فرجوت أن تكون إحداهن، فقلت: أفيكن العيناء ؟ قلن: هي بين أيدينا ونحن جواريها، قال: فمضيت مع صاحبي، فإذا روضة أخرى يضعف حسنها على حسن التي تركت، فيها عشرون جارية، يضاعف حسنهن على حسن الجواري اللاتي خلفت، فرجوت أن تكون إحداهن فقلت: أفيكن العيناء؟ قلن: هي بين أيدينا، ونحن جواريها، حتى ذكر ثلاثين جارية.

قال: ثم انتهيت إلى قبة من ياقوتة حمراء مجوفة قد أضاء لها ما حولها، فقال لي صاحبي: ادخل، فدخلت فإذا امرأة ليس للقبة معها ضوء، فجلست فتحدثت ساعة، فجعلت تحدثني، فقال صاحبي: اخرج انطلق، قال: ولا أستطيع أن أعصيه، قال: فقمت، فأخذت بطرف ردائي، فقالت: أفطر عندنا الليلة، فلما أيقظتموني رأيت إنما هو حلم، فبكيت، فلم يلبثوا أن نودي في الخيل، قال: فركب الناس فما زالوا يتطاردون حتى إذا غابت الشمس وحل للصائم الإفطار، أصيب تلك الساعة، وكان صائما وظننت أنه من الأنصار، وأن ثابتا كان يعرف نسبه " انتهى كلامه.

❖ وخرّج ابن عساكر بإسناد جيد كما قال ابن النحاس، عن عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث أنهم حاصروا دمشق، وانطلق رجل من أسد شنوءة فأسرع إلى العدو وحده ليستقتل، فعاب ذلك المسلمون عليه، ورفع حديثه إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه وهو على جند من الأجناد، فأرسل إليه عمرو، فرده، فقال له عمرو: **(إن اللّه يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص)** وقال اللّه: **(ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)** فقال له الرجل: يا عمرو أذكرك اللّه – الذي وجدك رأس كفر فجعلك رأس الإسلام – أن تصدني عن أمر قد جعلته في نفسي، فإني أريد أن أمشي حتى يزول هذا، وأشار إلى جبل الثلج، فلم يزل يناشد عمرا حتى خلى عمرو

سبيله، فانطلق حتى أمسى وجنح الليل قبل العدو، ثم رجع، فقال له المسلمون: الحمد للّه الذي رجعك وأراك غير رأيك الذي كنت عليه، قال: فإني واللّه ما انثنيت عما كان في نفسي، ولكني رأيت المساء وخشيت أن أهلك بمضيعة، فلما أصبح غدا إلى العدو وحده فقاتلهم حتى قتل رحمه اللّه.

❖ قال ابن النحاس في المشارع: " وحكى أبو محمد عبد الله بن أحمد المعروف بابن الجوهري في كتابه ذخائر الواعظين وشعائر الذاكرين قال: قال عبد الواحد: خرجت في بعض مغازي فتفردت يوما عن أصحابي، فإذا أنا بشاب يصلي وقد ركز عكازه وعلق عليه مصحفا فوقفت أنظر أليه، وقلت في نفسي: أرجو أن أكون أصبت وليا من أولياء الله، فلما قضى صلاته دنوت منه فسلمت عليه، وقلت له: من أين رحمك الله ؟ وأين تريد ؟ فقال الفتى: أنا من أهل دمشق، قلت: فأين تريد ؟ قال: سألت ربي أن يزوجني حوراء، فأنا أغزو مع القوم لعل الله أن يرزقني الشهادة، فقلت: ما اسمك ؟ قال: أحمد، وأكنى أبا قتادة، فسألته أن يسير مع جملي فقبل، فعرضت عليه الركوب وقلت: معنا فضل لركوبك فلا تمشي حافيا، قال: لست أخطب الحوراء إلا حافيا.

فسرنا حتى بلغنا العدو فنزلنا ونادى المنادي: ياخيل الله أركبي وبالجنة أبشري، فقام الشاب وقال: وعليك السلام، فلعلنا أن لا نلتقي، ثم حمل على المشركين ثم لم يزل يضرب بسيفه يمنة ويسرة، حتى رماه رجل من المشركين بسهم فخر منه ميتا، وازدحم الصف وارتفع الغبار بين الناس، فلما انكشفت الحرب قلت لأصحابي: اطلبوا الشاب فذهبوا في طلبه، فأصابوه بين القتلى وفيه رمق، فحملوه إلي، فوضعت رأسه في حجري ومسحت التراب عن وجهه وقلت: يا حبيبي تكلم إن كان لك كلام، فرفع بصره إلي وقال: احمل جبتي هذه وعكازتي ومصحفي، واسأل عن داري فإنك ترشد إليها، فإذا رأيت جارية خماسية فأقرئها سلامي، فإنها بنيتي وليس لي في الدنيا سواها، ثم فارق الحياة.

فلما انصرفنا من الغزاة عبرنا على دمشق، فسألت عن منزله فخرجت الصبية فلما رأتنا ولت وقلت: يا أماه أبي جاء ومعه جماعة من الغزاة، فخرجت امرأته والصبية معها وهي تقول: أريد أن أرى أبي، فبكينا وعلا منا البكاء وارتفع النحيب، وقالت: يا هؤلاء إن كان خيرا، فأخبرونا، فقلت: أعظم الله أجركم في أبي قتادة، فصرخت المرأة ثم قالت: رحمك الله يا أبا قتادة فنعم الصاحب كنت، ثم دفعنا إليها الجبة عليها أثر دمه، فجعلت الصبية تقول: يا أماه هذا دم أبي، وجعلت تبكي وتصيح، ثم شهقت شهقة خرجت فيها روحها " انتهى كلامه.

❖ وروى ابن المبارك بإسناده عن أبي أدريس قال: قدم علينا رجل من أهل المدينة يقال له زياد، فغزونا سقلية من أرض الروم، فحاصرنا مدينة قال: وكنا ثلاثة مترافقين أنا وزياد ورجل آخر من أهل المدينة قال: فإنا لمحاصروها يوما وقد وجهنا أحدنا الثالث ليأتينا بطعام، إذ أقبلت منجنيقة فوقعت قريبا من زياد، فشظيت منها شظية فأصابت ركبة زياد، فأغمي عليه، فاجتررته وأقبل صاحبي فناديته فجاءني فبرزنا به حيث لا يناله النبل والمنجنيق، فمكثنا طويلا من صدر النهار لا يتحرك منه شيء، ثم افتر ضاحكا حتى تبينت نواجذه، ثم خمد، ثم بكى حتى سالت دموعه، ثم خمد، ثم ضحك مرة أخرى، ثم بكى، ثم مكث ساعة فأفاق واستوى جالسا، فقال: ما لي ههنا، فقلنا: أما علمت ما أمرك ؟، قال: لا، قال: أما تذكر المنجنيق حين وقعت إلى جنبك، قال: بلى، فقلنا: فإنه أصابك منها شيء فأغمي عليك ورأيناك صنعت كذا وكذا.

قال: نعم أخبركم أنه أفضي بي إلى غرفة من ياقوتة أو زبرجدة، وأفضي بي إلى فرش موضونة بعضها إلى بعض، بين يدي ذلك سماطان من نمارق، فلما استويت قاعدا على الفرش سمعت صلصلة عن يميني، فخرجت امرأة فلا أدري أهي أحسن أو ثيابها أو حليتها فأخذت إلى طرف السماط، فلما استقبلتني رحبت وسهلت، وقالت: مرحبا بالجافي الذي لم يكن يسألنا الله عز وجل ولسنا كفلانة – يعني امرأته – فلما ذكرتها بما ذكرتها ضحكت وأقبلت حتى جلست عن يميني، فقلت: من أنت ؟ قالت: أنا خود زوجتك، فلما مددت يدي قالت: على رسلك إنك ستأتينا عند الظهر فبكيت.

فحين فرغت من كلامها سمعت صلصلة عن يساري، فإذا أنا بامرأة مثلها فوصف نحو ذلك، فصنعت كما صنعت صاحبتها، فضحكت حين ذكرت المرأة، وقعدت عن يساري فمددت يدي، فقالت: على رسلك إنك تأتينا عند الظهر، فبكيت، قال: فكان قاعدا معنا يحدثنا فلما أذن المؤذن مال فمات.

❖ روي عن ثابت البناني قال: كنت عند أنس بن مالك رضي الله عنه إذ قدم عليه ابن له يقال له: أبو بكر من غزوته، فسأله فقال: ألا أخبرك عن صاحبنا فلان ؟ بينما نحن قابلين في غزاتنا، إذ ثار وهو يقول وا أهلاه وا أهلاه، فثرنا إليه وظننا أن عارضا عرض له، فقلنا: مالك ؟ فقال: إني كنت أحدث نفسي أن لا أتزوج حتى استشهد، فيزوجني الله من الحور العين، فلما طالت علي الشهادة قلت في سفري هذا: إن رجعت تزوجت، فأتاني آت في المنام فقال: أنت القائل إن رجعت تزوجت ؟ قلت: نعم، قال: قد زوجك الله العيناء.

فانطلق بي إلى روضة خضراء معشبة فيها عشر جوار بيد كل واحدة صنعة تصنعها لم أر مثلها في الحسن والجمال، فقلت: فيكن العيناء ؟ فقلن: نحن من خدمها وهي أمامك، فمضيت فإذا روضة أعشب من الأولى وأحسن فيها عشرون جارية ليس العشر إليهن بشيء في الحسن والجمال، قلت: فيكن العيناء ؟ قلن: نحن من خدمها وهي أمامك، فمضيت حتى أتيت روضة هي أعشب وأحسن من الأولى والثانية، فيها أربعون جارية ليس العشر والعشرون إليهن بشيء في الحسن والجمال، قلت: فيكن العيناء ؟ قلن: نحن من خدمها وهي أمامك، فمضيت فإذا أنا بياقوتة مجوفة فيها سرير عليه امرأة، قد فضل جنباها السرير، قلت: أنت العيناء ؟ قالت: نعم مرحبا، فذهبت أضع يدي عليها قالت: مه إن فيك شيئا من الروح بعد ولكن تفطر عندنا الليلة فانتبهت.

قال أبو بكر بن أنس فما فرغ من حديثه لنا حتى نادى منادي القوم: يا خيل الله اركبي، قال: فركبنا، فصافقنا العدو قال: فإني أنظر إلى الرجل، وأنظر إلى الشمس، وأذكر حديثه، فما أدري رأسه سقط أم الشمس سقطت، ذكر هذه الحكاية الإمام فخر الدين أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن هبة الله في كتابه تأويل آي الجهاد بغير إسناد كما ذكره ابن النحاس، ورواها ابن عساكر في مسنده عن إسحاق بن بنت داود بن أبي هند عن عباد بن راشد عن ثابت.

❖ قال ابن النحاس في المشارع: " وخرج ابن عساكر وغيره بالإسناد إلى جعفر بن سليمان، ثنا أبو غالب قال: كنا بالصائفة، قال: فكنت أنا ورجل آخر وصاحب لي شاب ونحن حرس الحرس، قال جعفر: فقلت لأبي غالب: وما حرس الحرس ؟ قال: أحراس دون أحراس ما يلي العدو منها أشد خوفا، قال فقال لي صاحبي الشاب أحدثنا سنا وأحدنا بصرا قال فقلت لصاحبي: فرسك أحد بصرا منك ومنه، فإذا رأيته قد صر أذنيه، فقد رأى فانزل، قال: فنزل فأوثق فرسه بشجرة ووضع رأسه.

قال: فجعلت أنا وصاحبي نعس، فمررنا به وقد استيقظ، وهو يقول: أهلي أهلي، كلامه كله، قلنا: ما شأنك يرحمك الله ؟ فلم يجبنا، فاسترجعت أنا وصاحبي، فقلنا: ما نرى الرجل إلا وقد أصيب حتى كان من آخر السحر، فرجع إليه ذهنه فكلمنا، فقلنا له: ما شأنك يرحمك الله ؟ قال: بلى أتاني رجل في منامي فقال لي: انطلق، فقلت: إلى أين ؟ فقال: إلى زوجتك العيناء، قال: فانطلق وانطلقت معه، فتلقانا في وجهنا جاريتان لم أر مثلهما قط أحسن ثيابا ولا أحسن منهما ولا أطيب منهما ريحا، قال قلت: أفيكما العيناء ؟ قالتا: لا ونحن من خدمها، قال: فمضى ومضيت معه، فتلقانا أربع جوار

الأربع، أحسن من تينك، أحسن منهن ثيابا، وأحسن منهن حليا، وأطيب منهن ريحا، فقلت: أفيكن العيناء ؟ قلن: لا ونحن من خدمها، قال: فمضى ومضيت معه، فتلقانا ثمان جوار الثمان، أحسن من الأربع، أحسن منهن ثيابا، أحسن منهن حليا، وأطيب منهن ريحا، فقلت: أفيكن العيناء ؟ قلن: لا ونحن من خدمها، قال: فمضى ومضيت معه، فتلقانا ست عشرة جارية، الست عشرة أحسن من الثمان، أحسن منهن ثيابا، وأحسن منهن حليا، وأطيب منهن ريحا، قلت: أفيكن العيناء ؟ قلن: لا ونحن من خدمها.

قال: فمضى فمضيت معه، فتلقانا اثنتان وثلاثون جارية، الاثنتان والثلاثون أحسن من الست عشرة، وأحسن منهن ثيابا، وأحسن منهن حليا، وأطيب مهن ريحا، وأحسن منهن وجوها، قلت: أفيكن العيناء ؟ قلن: لا ونحن من خدمها، فلم نقطعهن حتى بلغن أربعمائة. قال: فمضى صاحبي ومضيت معه، فرفعت لنا خيمة فدخل صاحبي ودخلت معه، فإذا امرأة على سرير جالسة، عرض السرير ميلان، أرى فضول عجيزتها من السرير، لا تشبه هؤلاء – يعني نسوة الدنيا – فبهرتني وملأت قلبي، وقالت لي: مرحبا مرحبا، ادنه ادنه ادنه، قال: فجعلت أدنو حتى جلست معها على السرير، فقلت: من أنت ؟ قالت: أنا زوجتك العيناء، قال: فجعلت تحدثني وتضحك إلي حتى جعل روعي منها يتحلل ويذهب، حتى بسطت يدي إليها بشهوة، قال: فضربت يدي كذا عنها متبسمة، فقالت: صم غدا ثم تفطر عندنا إن شاء الله.

قال أبو غالب: فلما سمعت هذا الكلام قلت في نفسي: إن صدقت رؤيا الفتى قتل غدا، فأصبح شاخص البصر يعرف أنه ذهب قلبه، قال: ولزمته فقلت: أنا لا أفارقه اليوم حتى أنظر ما يكون من أمره، فقال: فجعل لا يقوم إلا قمت معه ولا يجلس إلا وأنا معه، قال: حتى دخل الخلاء، فدخلت معه مخافة أن يفوتني شيء من أمره.

قال: فكنا كذلك حتى صليت العصر أو نودي العصر، قال: فركب الناس وأسرج الفتى وأسرجت معه، حتى لقينا العدو، فحمل عليهم الفتى لا ينثني وحملت معه وضرب وضربت، قال: وجعل يمضي قدما في العدو قال: حتى والله دخل مدخلا لم يكن لي به طاقة، قال: فأحاطوا به وضربوه بأسيافهم حتى قتلوه، قال جعفر قلت لأبي غالب: وأنت تنظر ؟ قال: وأنا انظر " انتهى كلامه.

❖ قال ابن النحاس: " وذكر صاحب كتاب الوعظ والرقائق عن عبد الواحد بن زيد قال: بينما نحن ذات يوم في مجلسنا هذا، قد تهيأنا للخروج إلى الغزو، وقد أمرت أصحابي أن يتهيئوا لقراءة آيتين،

فقرأ رجل في مجلسنا: (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) فقال غلام – في مقدار خمس عشرة سنة أو نحو ذلك وقد مات أبوه وورثه مالا كثيرا-: يا عبد الواحد **(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة)** فقلت: نعم يا حبيبي، فقال: إني أشهدك أني قد بعت نفسي ومالي بأن لي الجنة، فقلت له: إن جر السيف شديد، وأنت صبي وإني أخاف أن لا تصبر وتعجز عن ذلك، فقال: " يا عبد الواحد أبايع الله بالجنة وأعجز، أنا أشهد الله أني قد بايعته ".

قال عبد الواحد: فتقاصرت إلينا أنفسنا وقلنا صبي يعقل ونحن لا نعقل، فخرج من ماله كله وتصدق به إلا فرسه وسلاحه ونفقته، فلما كان يوم الخروج كان أول من طلع علينا فقال: السلام عليك يا عبد الواحد، فقلت: وعليك السلام ربح البيع، ثم سرنا وهو معنا يصوم النهار ويقوم الليل ويخدمنا ويخدم دوابنا ويحرسنا إذا نمنا، حتى انتهينا إلى إلى دار الروم، فبينما نحن كذلك إذ به قد أقبل وهو ينادي، واشوقاه إلى العيناء المرضية، فقال أصحابي: لعله وسوس هذا الغلام واختلط عقله، فقلت: حبيبي وما هي العيناء المرضية ؟ فقال: إني غفوت غفوة، فرأيت كأنه أتاني آت، فقال لي: اذهب إلى العيناء المرضية، فهجم بي على روضة فيها نهر من ماء غير آسن، وإذا على شط النهر جوار عليهن من الحلي والحلل ما لا أقدر أن أصفه، فلما رأينني استبشرن بي، وقلن: هذا زوج العيناء المرضية، فقلت: السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية ؟ قلن: لا نحن خدمها وإماؤها، امض أمامك فمضيت أمامي، فإذا بنهر من لبن لم يتغير طعمه في روضة فيها من كل زينة، فيها جوار لما رأيتهن افتتنت بحسنهن وجمالهن، فلما رأينني استبشرن بي وقلن: هذا والله زوج العيناء المرضية، فقلت: السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية ؟ فقلن: وعليك السلام يا ولي الله نحن خدمها وإماؤها، فتقدم أمامك، فتقدمت، فإذا بنهر من خمر وعلى شطه جوار أنسينني ما خلفت، فقلت: السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية ؟ قلن: لا نحن خدمها وإماؤها، امض أمامك.

فمضيت فإذا بنهر من عسل مصفى، وجوار عليهن من النور والجمال ما أنساني ما خلفت، فقلت: السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية ؟ قلن: يا ولي الله نحن خدمها وإماؤها فامض أمامك، فمضيت أمامي، فوصلت إلى خيمة من درة بيضاء وعلى باب الخيمة جارية عليها من الحلي والحلل ما لا أقدر أن أصفه، فلما رأتني استبشرت، ونادت من في الخيمة أيتها العيناء المرضية هذا بعلك قد قدم.

قال: فدنون من الخيمة، فإذا هي قاعدة على سرير من ذهب مكلل بالدر والياقوت، فلما رأيتها افتتنت بها، وهي تقول: مرحبا بك يا ولي الرحمن قد دنا لك القدوم علينا، فذهبت لأعتنقها، فقالت: مهلا فإنه لم يأن لك أن تعانقني، فإن فيك روح الحياة، وأنت تفطر عندنا الليلة إن شاء الله قال: فانتبهت يا عبد الواحد ولا صبر لي عنها.

قال عبد الواحد: فما انقطع كلامنا حتى ارتفعت لنا سرية من العدو، فحمل الغلام فعددت تسعة من العدو قتلهم، وكان هو العاشر رحمة الله عليه، فمررت به وهو يتشحط في دمه، وهو يضحك ملء فيه حتى فارق الدنيا.

❖ قال ابن النحاس في المشارع: " وقال صاحب شفاء الصدور: روى عبد الملك عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب: قال: كنت في غزاة، فاستيقظت ورجل يبكي أشد بكاء، ويقول: يا أهلاه يا أهلاه، فقمت إليه، فقلت: يا عبد الله إنك تقفل غدا، فاتق الله واصبر، فقال: لست أبكي على أهلي الذين فارقت في الدنيا، ولكن أتيت آنفا في المنام فقيل لي: انطلق إلى زوجتك العيناء فانطلق بي، فرفعت لي أرض لم أر مثلها، وإذا بجوار لم أر مثل حسنهن وثيابهن، فسلمت عليهن فرددن السلام، فقلت: أفيكن العيناء ؟ فقلن: لا ونحن من خدمها وهي أمامك، فمضيت فرفعت لي أرض أحسن من الأولى، وإذا بجوار أحسن من الأولين فسلمت فرددن السلام فقلت: أفيكن العيناء ؟ فقلن: لا ونحن من خدمها، وهي في تلك الدرة، فأتيتها فإذا بامرأة جالسة على سرير من ياقوتة حمراء فضول عجيزتها خارجة من السرير، فسلمت فردت السلام وجلست إليها، فحدثتني وحدثتها، ثم ذهبت لأنهض، فأخرجت معصما لها كما شاء الله، فقالت: ما أنت بالذي تفارقنا حتى تعاهدنا الله لتبيتن عندنا القابلة، فعاهدتها على ذلك، ثم انتبهت، فعليها أبكي، ثم أخذ في بكائه، ونودي في الخيل، ففزع الناس إلى خيلهم وسلاحهم، فكان الرجل أول قتيل، قال شهر: أشهد أنه بات عند العيناء.

❖ وذكر ابن النحاس في المشارع: " حكاية سبعة من الشجعان ذكرها ابن شبيب الحراني في المجلد الخامس من كتابه جامع الفنون:

قال: حكى مالك بن دينار قال: كان في زمن حسن البصري سبعة لصوص قد تأذى بهم أهل البصرة، وطلبهم السلطان فلم يقدر عليهم، فخرج حسن البصري ذات يوم بغلس يريد المسجد، فإذا هو بهم ستة في الحائط، وواحد في وسط الطريق قاعد، قد أخذ رجله بيده شاهرين السلاح، فقال لهم

الحسن: أين تريدون وهذا السلاح ؟ فقال له القاعد: يا أبا سعيد أنا فلان اللص، وهؤلاء أصحابي لنا اليوم عشر سنين يطلبنا السلطان وأهل البصرة فلم يقدروا علينا، خرجنا لنكسر دكان فلان ونأخذ ما فيها، فلما صرنا هاهنا وطئت على جمرة فأحرقت رجلي، وأصبت لذلك حرقة في قلبي، فتفكرت، فقلت: لا أقوى على هذه النار في الدنيا فكيف أقوى على نار جهنم يوم القيامة ؟ يا أبا سعيد أشهدك الله إني تائب إلى الله، لا أعود في شيء مما كنت فيه، ثم أقبل على أصحابه فقال: قد كنت إلى ساعتي هذه معكم على أمر واحد، وقد تبت فامضوا حيث شئتم، فقالوا له: قد كنت رئيسنا في معصية الله فكن رئيسنا في طاعة الله تعالى، نحن أيضاً تائبون لا نعود في شيء من هذا، فقال لهم: إن كنتم صادقين فامضوا بنا حتى نصلي مع أمير البصرة صلاة الفجر في جماعة ثم أقوم أنا فأقول: أيها الأمير أنا فلان اللص وهؤلاء أصحابي، كنت أنت في طلبي وأهل البصرة في عشر سنين فلم تقدروا علينا، وقد تبنا وتركنا ذلك العمل لله، وأقبلنا إليك، فإن أحببت فقطع أيدينا، أو فاجلدنا، أو فاصلبنا، أو فاحبسنا، أو فهبنا لله، فقالوا: فامض بنا.

فمضوا حتى صلوا مع صاحب البصرة، ثم قام الرجل بعد الصلاة فقال: أيها الأمير أنا فلان اللص وهؤلاء أصحابي، كنت أنت في طلبي وأهل البصرة في عشر سنين فلم تقدروا علينا، وقد تبنا وتركنا ذلك العمل لله، وأقبلنا إليك، فإن أحببت فقطع أيدينا، أو فاجلدنا، أو فاصلبنا، أو فاحبسنا، أو فهبنا لله عز وجل، قال: فبكى الأمير ثم قال: الله تعالى يقبل التوبة، امضوا فقد وهبتكم لله قال: فقال رئيسهم: أيها الأمير أعنّي حتى أخرج إلى طرطوس، قال: وما تريد من العون ؟ قال: سلاح ونفقة، قال: فأمر له بفرس وأداته وسلاح تام وخمسين ديناراً، وأعطاه رجل آخر، فلم يزل يحملونهم على هذا حتى حملوا جميعا، وأعطوا السلاح كل منهم خمسون ديناراً، ومضوا إلى طرسوس، فأقدموا مقدار شهرين، ووقع الخبر أن العدو قد أخرج إلى طرسوس، صليبيين مع كل صليب عشرة الآف مقاتل، وقد قربوا من طرسوس، فخرج الأمير والمطوعة، وخرج السبعة نفر.

فلما أصطف المسلمون والكفار، قال السبعة بعضهم لبعض: نحن في معصية الله لم نحتج إلى عون، أفي طاعة الله تعالى نحتاج إلى العون من الناس ؟ تحتنا خيل جياد، وسلاح شاكٍ، ونياتنا مستقيمة، مرّوا بنا حتى نعتزل ناحية المعسكر، فإذا اشتبكت الحرب حملنا سبعتنا كحملة رجل واحد على المشركين، فإما أن نرزق نصراً أو شهادة.

قال: فاعتزلوا فلما اشتبكت الحرب بين المسلمين والمشركين، حمل السبعة على المشركين فكسروهم.

ورجع العسكر الى ملك الروم، فقال: ما وراءكم ؟ قالوا: سبعة رجال من المسلمين كسروا عسكرنا، قال: فأخرج صليباً آخر، فدفعه الى البطريق وقال: هذا معك ثلاث صلبان، ثلاثون ألفاً من فارس وراجل، امضِ الى طرسوس، قال: فأقبل نحو طرسوس، ووقع الخبر أن العدو قد أقبل، فخرج الأمير والمطوعة والسبعة نفر، حتى صافوا العدو، وقال السبعة بعضهم لبعض: اعتزلوا بنا كما فعلنا أول مرة، قال: فاعتزلوا، فلما اشتبكت الحرب، حملوا حملة رجل واحد، فكسروا المشركين.

ورجع العسكر الى ملك الروم، فقال: ما وراءكم ؟ قالوا: السبعة من المسلمين أيضا كسروا عسكرنا، قال: فكفر في كلامه وقال: ثلاثون ألفاً يأكلون بلادي، ويعيشون في نعمتي، شاكون السلاح تكسرهم سبعة أناس ؟

قال: فأقعد البطريق، ودعا بطريقاً آخر، وأخرج معه صليباً آخر، وقال: معك أربعة صلبان (أربعون ألفا) فامضِ الى طرسوس فإن فتحتها، فاقتل الرجال، واسب النساء والصبيان، وخربها واحرقها، وإن لم تقدر، وقدرت على السبعة فاحمل رؤوسهم إليّ، وإن أسرتهم فأتصرف معهم.

قال: فخرج البطريق: فلما كان قريباً من طرسوس، أكمن في مكان بين الجبال صليبا في عشرة الآف، وتقدم على الكمين قليلا ووقف، ووقع الخبر في طرسوس أن العدو أقبل، فخرج الأمير والمطوعة والسبعة نفر، فلما صافوا المسلمين، اعتزل السبعة كما كانوا يفعلون، فلما اشتبكت الحرب، حملوا حملة رجل واحد، فانهزم العسكر (المشركين) بين أيديهم ساعة، حتى صار الكمين خلفهم، فخرجوا عليهم، فأخذهم في مثل الحلقة، وجعلوا يضيقون عليهم حتى أخذوهم باليد.

ورجع العسكر إلى ملك الروم، فسجد له البطريق: فقال: أيها الملك جئتك بالسبعة رجال الذين كسروا عسكرنا مرتين، قال: عليّ بهم، فأدخلوا عليه، فقال الملك لأصحابه: كيف أقتلهم ؟ قال أحدهم: اضرب أوساطهم، وعلقهم في الشجر، وقال بعضهم: اضرب أعناقهم، فوثب إليه بعض بطارقته، وقال له: أيها الملك لا تقتلهم، ابذل لهم من الأموال ما تمتلئ به أعينهم، فعسى يدخلون ديننا، فنعتز بهم، فقال الملك: نِعم ما رأيت...

فدعا برئيسهم، فقال: هؤلاء أصحابك ؟ قال: نعم، قال: إن لي بنات كثيرة فأزوجك بإحدى بناتي، وأهب لك مائة جمل مال ومائة ضيعة على أن تترك دينك وتتمسك بديننا، قال: فبكى المسلم، ثم

قال: أيها الملك ما لي في بنتك من حاجة، ولا في مالك وضياعك ولا أفارق ديني، فقال: أقعد ناحية، فجعل يصيح برجل رجل يقول له مثل ذلك، ويردون مرداً واحداً.

فقال الملك لأصحابه: قد دفعت اليهم بناتي، وسبع مائة وقر مال وسبع مائة ضيعة، فلم يطمعوا فيه، فكيف أفتنهم ؟ فقال له بطريق أخر: أيها الملك تأمر أن يحضر بين يديك قدر من حديد وتملأه زيتاً ويُغلى ثم يؤخذ رجل منهم برجليه وينكس، فيغمس رأسه إلى نصفه في الزيت، فعسى إذا قتلت منهم واحدا أو اثنين هذه القتلة يداخلهم الخوف، فيفارقون دينهم فأمر الملك فأحضرت قدر ملئت زيتا، وأوقد تحتها النار والسبعة جلوس، فمد رئيسهم بصره، وكان بحذائه سطح، فإذا سبعة جوارٍ عليهن ثياب صفر، بأيديهن مناديل خضر، فقال في نفسه: انظر ما صنع هذا الملعون، قد أمر بناته أن يقعدن مقابلنا، وهذا العذاب بين أيدينا، حتى إذا رأوا هذا العذاب ورأوا الجواري طلبوا الجواري واختاروهن على العذاب، ليتهم لا يرونهن.

فلما غلى الزيت في القدر قال الملك: خذوا منهم رجلاً واتركوا رئيسهم الى آخرهم، فوثب من العلوج اثنان، فأخذوا رجلا من السبعة، فنكسوه وهو ينادي أصحابه:"عليكم السلام لا تجزعوا فإن هذا عذاب ساعة وعذاب جهنم أبدا، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله " وغمسوه في الزيت فاحترق نصفه، وجاءت جارية من السبع مثل الطائر حتى دخلت في القدر، وأخذت شيئا في المنديل الأخضر الذي بيدها، وعرّجت إلى السماء فلما نظر رئيسهم إلى ما صنعت الجارية، قال في نفسه: ليست هذه من بنات الملوك، هؤلاء الحور العين، قال: ثم شالوا الرجل وطرحوه بين أيدي المسلمين، وقال لهم الملك: هكذا أقتلكم فاتركوا دينكم وتمسكوا بديني، فلكم الكرامة والمواساة والنعمة، فقالوا له: إن شئت فأحرقنا، وإن شئت فبالسيف اقتلنا لا نفارق ديننا، فأمر برجل آخر فأحرق، فلم يزل حتى أحرق ستة، وبقي رئيسهم، ومضت من السطح ست جوار وبقيت جارية، قال: فوثب الوزير الكبير إلى الملك وقال: أيها الملك: هب لي هذا الرجل، قال: وماذا تصنع به ؟ قال: أمضي به الى منزلي، وأجعل بنتي فلانة التي طلبتها فلم أزوجك إياها لكثرة نسائك خادمته فعسى أن تحلوا في قلبه، فيفارق دينه ويدخل في ديننا فأزوجه بنتي وأقاسمه مالي، قال له الملك: قد وهبته لك، قال: فلما قال الملك قد وهبته لك، قامت الجارية الحور العين من السطح وصعدت الى السماء، فقال الرجل المسلم: هذا لشقاوة بختي.

قال له الملك: امض مع وزيري هذا، قال: لا أمضي إلا على شريطة، قال: وما شريطتك ؟ قال: إذا دخلت منزله أسوي مسجدا، وأؤذن فيه الخمس أذانا عاليا، ولا أشرب خمرا ولا آكل لحم خنزير، قال الملك لوزيره: ما ترى ؟ قال: له شرطه.

قال: فأقبل المسلم مع الوزير إلى منزله، فلما دخل صنع مسجدا، وأقبل الوزير على بنته، فقال لها: لم أر من العرب رجلا أشجع من هذا، ولا أصبح وجها، وقد استوهبت قتله من الملك، عسى أن يترك دينه ويميل الى ديننا فأزوجك إياه وأقاسمه نصف مالي فلا يكون له خادم سواكِ ليلا ونهارا.

فجعلت الجارية تتلون في الثياب والحلي وتبدي محاسنها له، ولا يطلب شيئا إلا كانت هي التي تأتيه، فبينما هو ذات يوم قد صلى صلاة العصر، وهو جالس في مسجده، إذ قالت الجارية: ألست من ولد آدم ؟ أليست فيك شهوة الرجال ؟ فارق دينك والزم ديننا، يزوجني أبي منك ويقاسمك ماله، قال: فقال لها: ويحك يا جارية، كم تفسدي عليّ صلاتي، مالي فيك ولا في مال أبيك حاجة.

وكان أبو الجارية أراد أن تحلو في قلب المسلم، فحلا المسلم في قلبها، فقالت له: ألا تتزوج بي، قال لها: لا، قالت: لم ؟ قال: لأنك كافرة نجسة، قالت له: فإن لم تفارق أنت دينك، فعلمني دينك، حتى أفارق ديني وأتزوج بك، قال لها: يا جارية هذا بلد كفر ولا يمكنني التزويج بك فيه، ولكن انظري إن قدرت على أن نهرب إلى بلاد الإسلام تزوجت بك ولا أتزوجك عليك ولا أتسرى، قالت له: فإن كان ذلك فإلى عشرة أيام لنا عيد يخرج الملك والناس أجمعون، فلا يبقى إلا مريض ذو عاهة، فإذا كان قبل ذلك بيومين تمارضت فإذا خرجوا إلى العيد، قلت لأبي: أنا مريضة، يتركني معك ها هنا فآخذ بيدك وأمضي.

فلما كان قبل العيد بيومين تمارضت الجارية، فلما خرج الملك والناس، قال لها أبوها: أما تخرجين معنا ؟ قالت: لا، أنا مريضة، قال لها أبوها: فلا بأس، يخلوا بك هذا الرجل ولا يكون في الدار سواكما، فإن أراد حراما فلا تمتنعي منه، عسى تفسدي عليه دينه فيدخل في ديننا وأزوجك منه، قالت: أفعل يا أبتِ، ولكن أترك ها هنا دابتين، فعسى الرجل يفارق دينه بعد يوم أو يومين، فأركب أنا وهو فنلحق بكم.

وكانوا يقيمون في عيدهم سبعة أيام وسبع ليال، فخلّى دابتين ومضى.

فلما انتصف النهار قالت الجارية للمسلم: قد بلغوا الموضع، فلم يبق أحد، فقم بنا، أليس تعرف الطريق إلى بلاد الإسلام ؟ قال: بلى، قال: فأخرجت سلاحا لهما، وجواهر كثيرة خفيفة، فلبست الجارية السلاح وتشبهت بالرجال، ولبس الرجل السلاح ومضيا من نصف النهار، وكان بينهم وبين طرسوس ثلاثون منزلا.

فلما كان اليوم الثاني وهم سائرون في أرض مستوية وقد قطعوا ثلاث منازل، فنظر إلى غبرة، فقال لها: يا جارية أنتِ أحد بصراً مني، ما هذه الغبرة ؟ فنظرت فقالت: أرى ستة فرسان عليهم ثياب بيض وتحتهم خيلٌ شهب، فبينما هو يسير مع الجارية إذ لحقهم الفرسان، فنظر فإذا الستة أصحابه الذين أحرقهم الملك، فعرفهم وعرفوه، فقال لهم: أليس الملك قد قتلكم ؟ قالوا: أما تقرأ القرآن، قال: بلى، قالوا: كل شهيد في هذه الدنيا حيّ يأكل رزقه صباحاً ومساءً، قال: فأين تريدون ؟ أتريدون منازلكم ؟ قالوا: ما لنا إلى ذلك سبيل، ولكن وليّ من أولياء الله تعالى، بين هذه الجبال، قد مات وليس بالقرب منه أحد، وقد وهب الله تعالى دفنه لنا، كرامة لنا ومعنا كفن وحنوط من الجنة نغسله ونكفنه ونواريه وننصرف.

فقال لهم: الذي طلبتم من الشهادة أصبتم، وأنا كنت رئيسكم فلم أرزق ما رُزقتم، وهذه بنت وزير الملك قد حلى في قلبها الإسلام فقد هربت معي، فأعينوني بدعوات يبلغنا الله بها بلد الإسلام، قال: قل: " يا صمداً لا يظلم... يا قيوماً لا ينام... يا ملكاً لا يُرام... يا عزيزاً لا يُضام... يا جباراً لا يظلم... يا محتجباً لا يُرى... يا سميعا لا يشك... يا عادلا لا يجور... يا دائما لا يزول... يا حليما لا يلهو... يا قيوماً لا يفتر... يا غنياً لا يفتقر... يا منيعاً لا يُغلب... يا شديداً لا يضعف... يا صادقا لا يخلف... يا باسطا اليدين بالجود... ويا من هو في ملكه محمود... يا عليّ المكان... يا رفيع الشان... يا لا إله إلا أنت... يا لا إله إلا أنت " ثم غابوا فلم أرهم.

ونظرت الى راعٍ على عينٍ يشرب منها وقد قام يصلي، فقلت له: يا راع، أما تخاف المشركين على نفسك تصلي بينهم ؟ قال: فقال الراع: يا هذا، أمجنون أنت!!! أين الكفار؟ قلت: ألست أنت في بلد الروم ؟! فقال لي: يا هذا أما ترى إلى حائط طرسوس ! فنظرت فإذا بالسور، فعلّمت الجارية الإسلام واغتسلت في العين ودخلت المدينة، فتباشرني المسلمون، فتزوجتها وأولدتها سبع بنين " انتهى.

❖ قال الشيخ عبد الله عزام في كتابه عشاق الحور:

وداعا يا يحيى:

(ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون)

هذه الكلمات الأخيرة التي ودعت بها الحياة في رسالة وجدناها في جيبك، قال رفيق رحلتك والذي لفظت أنفاسك الأخيرة ورأسك على صدره أقول: قال لي محمد أمين محدثا: لقد كتبها يحيى آخر ليلة عاشها فوق هذه الأرض.

كل شيء كان يلقي في روعك أنك مقبل على الشهادة، ولطالما أقسمت يا يحيى لإخوانك الذين يشاركونك آلام الطريق البذل والتضحية والعرق والدم تحت أزير الرصاص ودوي المدافع لتوقظوا أمة دب الوهن في أعماقها، وأصبحت لا تغفو إلا على مواطئ كل جبار غشوم، وإذا صحت فعلى خطى الذل خاشعة الرسوم.

لطالما أقسمت لهم أنك شهيد، وهم يقولون لك: يا يحيى لا تزك نفسك، وأنت تقول: معاذ الله أن أزكي نفسي، ولكنه إحساسي الذي أشعر به في أعماقي.

كانت ليلة عرفة والروس قد أقبلوا عليكم من فوقكم ومن أسفل منكم وبلغت القلوب الحناجر، فقمت مع إخوانك للسحور من أجل صيام عرفة في أرض المعركة، لأن صيام عرفة يكفر عامين، فكيف صيام عرفة تحت الحمم المتناثرة من السماء كأنها وابل المطر، فهذا لاشك أن أجره أعظم بكثير، وفي الحديث الصحيح **(من صام يوما في سبيل الله باعد الله بينه وبين النار سبعين خريفا)**.

فصاح إخوانك يا يحيى لندرك السحور، فقلت لهم: أنا ذاهب للاستحمام ثم استدركت قائلا: والله ما بي من جنابة ولكني أستحم لاستقبال الحورية التي رأيتها في المنام، إذ أنني لم أر في حياتي امرأة في منامي، وهذه الليلة أقبلت إلي بدلها ودلالها وجمالها ووضاءتها ودعج عيونها، إنها الحورية !!.

وانتهت معركة جاجي، ولم تحظ يا يحيى بالشهادة، وأخذ الإخوة يمازحونك قائلين: أين ذهبت الحورية، وأنت تصر على قدومها.

حدثني أحد الإخوة العرب قائلا: لقد وقف يحيى على قبور الشهداء العرب الثلاثة التي تحتل قمة جاجي، فأخذ يخاطبهم قائلا: عما قليل أنا قادم إليكم بإذن الله.

وجاء اليوم السابع من محرم الموافق لليوم الثالث والعشرين من أيلول وكنت على موعد مع الشهادة التي ما فتئت تتمناها صباح مساء، وعلى يد مجموعة من عملاء الشيوعية، الذين فتحوا رشاشاتهم عليك على أبواب جاجي، ففزت بها وربحت البيع – إن شاء الله– يا يحيى، وبدأ الدم الزكي يتدفق وما بقي أحد ممن مس جسدك أو تضمخ بقطرة من دمك إلا والمسك يعبق في أنفه، حتى صار كل من حضر جنازتك يتساءل لم نشهد في حياتنا ولم نشم رائحة أزكى ولا أطيب من هذه.

حدثني أبو الحسن المقدسي قائلا: لقد شممت أنا وأبو معاذ دم الشهيد على بعد خمسمائة متر وهو في السيارة التي تقله نحو مثواه الأخير، إلى الحضرة التي سعدت بضم جسده الطاهر والتي نرجو أن تكون روضة من رياض الجنة.

وحدث الدكتور أحمد قائلا: لقد تلقيت كثيرا من الشهداء فما شممت رائحة أطيب، ولا أزكى من هذه الرائحة، وحدثني الدكتور أبو محمد: لقد دخلت الغرفة التي سجي فيها يحيى في المستشفى بعد ثلاثة أيام، وإذا رائحة المسك تنبعث في أرجائها، وحدثني أبو حمزة قائلا: لقد بادرتني زوجتي بعد عودتي من الجنازة أي عطر هذا الذي نشمه.

❖ وذكر الشيخ عبد الله عزام في كتابه عشاق الحور قصة لأحد الشهداء انفجرت فوقه قذيفة هاون أطلقها:

قد وصلت قد وصلت: كانت هذه هي الكلمات الأخيرة لسؤال أبي البشير كيف حالك فقال: قد وصلت قد وصلت، وفاحت رائحة زكية في الجو كرائحة الآس والأذخر كما يقول الدكتور أبو البشر قال: فعرفت أن روحه قد فاضت إلى بارئها.

❖ وقال أيضا في نفس الكتاب عن رائحة المسك من دم الشهيد محمد أحمد الحنق: وجائت قذيفة تحمل معها المنايا، وأصيب شقه الأيمن وبدأ ينزف ويتلو القرآن من سورة التوبة وفاضت روحه، وكانت الدماء تسيل من جرحه والعرف (الشذي) الطيب يفوح من دمائه اللون لون الدم والريح ريح المسك.

ويشهد أبو العاص الحاربي وأبو الصادق الصنعاني وصلاح الدين الحنق أنهم تنسموا الرائحة الطيبة من دمائه الزكية، ويشهدون على ذلك ربهم.

*   *   *   *

۞ الباب الحادي عشر: الشعر والشهادة

تمهيد:

قال هارون الرشيد: " نعم العون على الخير الشعر، لقد رأيتني وأنا ببلاد الروم، وقد ضاقت علي الأرض بما رحبت شدة، إذ خطرت لي أبيات مالك بن عوف النصري:

وإذا اشتكى مهري إلي حرارة ** عند اختلاف الطعن قلت له اقدم

إني بنفسي في الحروب لتاجر ** تلك التجارة لا انتقاد الدرهم

فلما تمثلت بهذا سكنت من جأشي، ثم عدت إليها وحملت وحمل المسلمون، فما قضيت الأبيات حتى فتح علينا " ذكره في تحفة الأنفس.

❖ **قال ابن هذيل في تحفة الأنفس:**

وأنشد بعض المتأخرين:

جاهد تصل للعيش من باب الردى ** واقبس بنار الحرب أنوار الهدى

وإذا أردت لباس حلة سندس ** فالق الأعادي بالحسام مجردا

فالحور تستحي إذا ما لم تشم ** خد المهند بالنجيع موردا

والرب يضحك من شهيد حاسر ** لا يبتغي لبس الدلاص مسردا

هو يخلع الجثمان في يوم الوغى ** كيف الدروع لقد تعطر واهتدى

يامن يريد على الإله وفادة ** اجعل مطيتك الجهاد المجهدا

وصل المهند بالضراب لتجتني ** صدرا برمان النهود منهدا

أو عانق السمر الطوال فبعدها ** بيض تحاكيها الغصون تأودا

عجبا لأحوال الشهيد فإنه ** في لمحة من دهره بلغ المدى

لا يجتني ثمر الأسنة والقنا ** إلا ويسقط عندها مثل الندى

❖ **وقال بعضهم:**

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها ** وإن شمرت يوما به الحرب شمرا

كليث هزبر كان يحمي ذماره ** رمته المنايا قصدها فتفطرا

❖ **وقال بعضهم:**

مجاهد نال من فضل الشهادة ما ** يجبى عليه بأجر غير ممنون

في عارضيه غبار الغزو تمسحه ** في جنة الخلد أيدي حورها العين

يسقى بها عين تسنيم وقاتله ** مردد بين زقوم وغسلين

❖ **وقيل:**

سأمضي وما بالموت عار على الفتى ** إذا نوى حقا وجاهد مسلما

وآسى الرجال الصالحين بنفسه ** وفارق خوفا أن يعيش ويرغما

فإن أمت لم أندم وإن عشت لم ألم ** كفى بك موتا أن تذل وترغما

❖ **وقال بعضهم:**

فيا رب لا تجعل وفاتي إن أتت ** على شرجع يعلى بدكن المطارف

ولكن أجز يومي شهيدا وعصبة ** يصابون في فج من الأرض خائف

عصائب من شتى يؤلف بينهم ** هدى الله نزالون عند المواقف

إذا فارقوا دنياهم فارقوا الأذى ** وصاروا إلى موعودها في المصاحف

فأقتل قعصا ثم يرمى بأعظمي ** كضغث الخلا بين الرياح العواصف

ويصبح لحمي بطن طير مقيله ** دوين السماء في نسور عوائف

والشرجع: النعش.

❖ **ولابن حزم:**

مناي من الدنيا علوم أبثها ** وأنشرها في كل باد وحاضر

دعاء إلى القرآن والسنن التي ** تناسى رجال ذكرها في المحاضر

وألزم أطراف الثغور مجاهدا ** إذا هيعة ثارت فأول نافر

لألقى حمامي مقبلا غير مدبر ** بسمر العوالي والرقاق البواتر

كفاحا مع الكفار في حومة الوغى ** وأكرم موت للفتى قتل كافر

فيا رب لا تجعل حمامي بغيرها ** ولا تجعلني من قطين المقابر

❖ **وقال ابن المبارك في قصيدة أرسلها إلى الفضيل بن عياض العابد:**

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا ** لعلمت أنك في العبادة تلعب

من كان يخضب خده بدموعه ** فنحورنا بدمائنا تتخضب

أوكان يتعب خيله في باطل ** فخيولنا يوم الصبيحة تتعب

ريح العبير لكم ونحن عبيرنا ** رهج السنابك والغبار الأطيب

ولقد أتانا من مقال نبينا ** قول صحيح صادق لا يكذب

لا يستوي وغبار خيل اللّه في ** أنف امرئ ودخان نار تَلَهَّبُ

هذا كتاب اللّه ينطق بيننا ** ليس الشهيد بميت لا يكذب

❖ **قال أبو عبد الله بن الأبار في رثاء الشهيد سليمان الكلاعي الأندلسي:**

ألما بأشلاء العلى والمكارم ** تقد بأطراف القنا والصوارم

وعوجا عليها مأرباً وحفاوةً ** مصارع غصت بالطلا والجماجم

تحيي وجوهاً في الجنان وجيهة ** بما لقيت حمراً وجوه الملاحم

وأجساد إيمان كساها نجيعها ** بحاسد من نسيج الظبا واللهاذم

مكرمة حتى عن الدفن في الثرى ** وما يكرم الرحمن غير الأكارم

هم القوم راحوا للشهادة فاغتدوا ** وما لهم في فوزهم من مقاوم

تساقوا كؤوس الموت في حومة الوغى ** فمالت بهم ميل الغصون النواعم

مضوا في سبيل الله قدماً كأنما ** يطيرون من أقدامهم بقوادم

يرون جوار الله أكبر مغنم ** كذاك جوار الله أسنى المغانم

عظائم نالوها فخاضوا لنيلها ** ولا روع يثنيهم صدور العظائم

وهان عليهم أن تكون لحودهم ** متون الروابي أو بطون التهايم

ألا بأبي تلك الوجوه سواهما ** وإن كن عند الله غير سواهم

عفا حسنها إلا بقايا مباسم ** يعز علينا وطؤها بالمناسم

وسؤر أسارير تنير طلاقة ** فتكسف أنوار النجوم العواتم

لئن وكفت فيها الدموع سحايبا ** فعن بارقات لحن فيها لشائم

ويا بأبي تلك الجسوم نواحلا ** بإجرائها نحو الأجور الجسائم

تغلغل فيها كل أسمر ذابل ** فجدل منها كل أبيض ناعم

فلا يبعد الله الذين تقربوا ** إليه بإهداء النفوس الكرائم

مواقف أبرار قضوا من جهادهم ** حقوقاً عليهم كالفروض اللوازم

أصيبوا وكانوا في العبادة أسوة ** شباباً وشيباً بالغواشي الغواشم

فعامل رمح دق في صدر عامل ** وقائم سيف قد في رأس قائم

ويا رب صوام الهواجر واصل ** هنالك مصروم الحياة بصارم

ومنقذ عان في الأداهم راسف ** ينوء برجلي راسف في الأداهم

❖ **وقيل:**

فكم من شهيد في رضاك مجدل ** يظلله نسر ويندب ذيب

تمر الرياح الغفل فوق كلومهم ** فتعبق من أنفاسها وتطيب

❖ **وقيل:**

إن المنايا للبرايا غاية ** سبق الكرام لخصلها بسباق

أنف المقام مع الفناء نزاهة ** فنوى الرحيل إلى مقام باق

عدم الموافق في مرافقة الدنا ** فثنى الركاب إلى الرفيق الباقي

❖ **ويروى عن طارق بن زياد وهو يفتح الأندلس:**

ركبنا سفينا بالمجاز مقيرا ** عسى أن يكون الله منا قد اشترى
نفوسا وأموالا وأهلا بجنة ** إذا ما اشتهينا الشيء فيها تيسرا
ولسنا نبالي كيف سالت نفوسنا ** إذا نحن أدركنا الذي كان أجدرا

ومن الشعر المعاصر:

فديتك روحا تراءت ضياء ** تعالت فضجت ملاك السماء
وراح يحلق تحت الإله ** يطير بفردوسه حيث شاء
ويلقى الأحبة في جنة ** يناغي بها ثلة الشهداء
يقلب طرفاً له في الجنان ** أحقا رحلنا وزال العناء
أحقا لفحت رياح النعيم ** وخلّفت خلفي رياح الجفاء
أحقا سألقى حواري الخلود ** ويطربني لحنها بالغناء
ويلتف غصني على غصنها ** فيورق زهر الهوى والهناء
فطلّت بثغر كدر الجمان ** هلّم لجيد كبدر المساء
وضمت فؤادي وقالت بدمع ** لقد طال عهد انتظار اللقاء
وجفت ينابيعنا لهفة ** فإّنا لفيض الغرام ظماء
نذوب اشتياقا الى ضمة ** تريح الفؤاد وتجلو العناء
مرضت ومابي من علة ** فشوقي دائي وأنت الدواء
أربى لأجلك في الخدر دهرا ** كلؤلؤة حفها الكبرياء
تضرم صدري شوقا إليك ** وما زلت اكتم شوقي حياء

وأرمق خطوك في المعمعات ** فيزداد شوقي هوى واشتهاء

فلما استقرت رصاص العداة ** بروحك أرسلتها للسماء

وذلك ما كنت ترنو له ** فأملك مولاك ذاك الرجاء

يعزون فيك ولم يعلموا ** بماذا أعد لكم من عزاء

وقد آن للثغر أن يرتوي ** ويلثم ثغرا نقي البهاء

وهبتَ لمولاك روح الفداء ** فكنتَ المجازى وكنتُ الجزاء

فذابا عناقاً وهاما وصالا ** وأسدل ستر الأسى والشقاء

وقيل:

هل من يموت بميدان الجهاد كما ** موت البهائم في الأعطان تنتحر

كلا وربي فلا تشبيه بينهما ** قد قالها خالد إذ كان يحتضر

أهل الشهادة في الآثار قد أمنوا ** من فتنة وابتلاءات إذا قبروا

و يوم ينفخ صور ليس يزعجهم ** والناس قائمة من هوله ذعروا

وما سوى الدين من ذنب وسيئة ** على الشهيد فعند الله مغتفر

أرواحهم في علا الجنات سارحة ** تأوي القناديل تحت العرش تزدهر

وحيث ما شاءت من الجنات تحملها ** طير مغردة ألوانها خضر

إن الشهيد شفيع في قرابته ** سبعون منهم كما في مسند حصروا

والترمذي أتى باللفظ في سنن ** وفي كتاب أبي داوود معتبر

مع ابن ماجة والمقدام ناقله ** في ضمن ست خصال ساقها الخبر

ما كل من طلب العلياء نائلها ** إن الشهادة مجد دونه حفر

وقد تردد في الأمثال من زمن ** لايبلغ المجد حتى يلعق الصبر

ربي اشترى أنفسا ممن يجود بها ** نعم المبيع ورب العرش ماخسروا

* * * *

۞ الباب الثاني عشر: لماذا لا يقدمون ؟

بعدما قرأت عن فضائل الشهادة العظيمة وتاقت نفسك إليها، قد تستغرب ويرد عليك تساؤل: لماذا أكثر الناس يرغبون عن الشهادة ؟ لماذا طلاب الشهادة قليل والشهداء أقل ؟ لماذا يرجع كثير من الناس بعد ذهابهم إلى الجهاد ويتركون طلب الشهادة ؟ أليست هذه الفضائل صحيحة ؟ أليسوا يؤمنون بالله ورسوله ؟

وللجواب عن هذه الأسئلة أقول تتبعت أسباب ذلك، فوجدت أنها تنقسم إلى قسمين:

أسباب أختيارية: يعني أن الشخص يترك طريق طلب الشهادة باختياره، وهو قادر عليه، وملام على تركه.

أسباب شرعية: بمعنى أن الشرع أسقط عنه طريق الطلب، لوجود مانع يمنعه من ذلك أو عذر، وهو غير ملام في تركه للطلب.

ولنبدأ بالأسباب الإختيارية:

١.الجهل:

وهذا الجهل ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الجهل بالأحكام الشرعية:

فالجاهل قد يؤديه جهله إلى ترك الجهاد في سبيل الله لأجل أمر لا يقدح في الجهاد، ويظن بجهله أن هذا العمل يقدح في شرعية الجهاد ويبطلها، ويجعله جهادا غير شرعي، ومن ثم يترك الجهاد ويرجع.

مثل رجل ذهب إلى الجهاد في العراق ورأى أعلام الدولة العراقية الساقطة معلقة على المساجد، فظن أن هذا يبطل الجهاد ورجع، أو يرى أن الجهاد غير شرعي من أصله فلا يخرج، كأن يرى اشتراط إذن ولي الأمر بذلك، أو وجود راية، والجهاد جهاد دفع، وبعضهم رجع بعد أربعين يوما من خروجه بزعمه أنه أتم بذلك الرباط لأن تمام الرباط أربعين يوما، وجهل تعين الجهاد عليه في هذا الوقت الذي تمر به الأمة، وبعضهم رأى رجلا معلقا تميمة عليه ورجع وقال هؤلاء الذين ندافع عنهم مشركون لا يستحقون الدفاع، وجهل أن التمائم من القرآن مسألة خلافية، وأنها من غير القرآن على تفصيل، فمنها ماهو شرك أصغر، ومنها ما هو شرك أكبر، وغير ذلك من الأمثلة كثير.

القسم الثاني: الجهل بفضائل الشهادة:

وهذا أمر واضح، إذ كيف يرغب الرجل في الشهادة وهو لا يعلم فضائلها، إنما يرغب بالشئ إذا علمت فضائله ومحاسنه.

ولهذا انظر إلى الصحابي عمير بن الحمام رضي الله عنه، لما قال النبي ﷺ يوم بدر **(قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض)** قال يقول عمير بن الحمام الأنصاري (يا رسول الله جنة عرضها السماوات والأرض ؟ قال **(نعم)** قال: بخ بخ، فقال رسول الله ﷺ **(ما يحملك على قولك بخ بخ ؟)** قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال **(فإنك من أهلها)** فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، قال: فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل) رواه مسلم عن أنس بن مالك.

فهو لما علم الفضل أقدم على الشهادة وتاقت نفسه إليها، وكذا ما ورد أبي بكر بن أبي موسى الأشعري قال (سمعت أبي بحضرة العدو يقول: قال رسول الله ﷺ (**إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف**) فقال رجل من القوم – رث الهيئة –: أأنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ يذكره ؟ قال: نعم، فرجع إلى أصحابه، فقال: أقرأ عليكم السلام، وكسر جفن سيفه، فضرب به حتى قتل) رواه مسلم والترمذي.

وهذا السبب كثير في الناس، فهم لا يدركون فضائل الشهيد، وبعضهم يدرك فضيلة أو فضيلتين، ولا يدرك عامة الفضائل، ولهذا إذا حدثت بعضهم بالفضائل تاقت نفسه إلى الشهادة وود أن لو يقتل الآن، وإنما أسس هذا الكتاب بناء على هذا السبب، وتحريضا للمسلمين على طلب الشهادة.

القسم الثالث: الجهل بالعقيدة والمنهج:

وهذا أيضا كثير في العائدين من الجهاد، وذلك بأن يجهل بعض مسائل المنهج ويصدم هناك بوجود من يطبقها، ويصرح بها، ككفر بعض الحكام المعاصرين، أو حكم قتال الجيوش، ونحو ذلك، فيرجع بهذا السبب، ويظن أن من سلك هذا المسلك ضال، وأن المجاهدين ضالين، وعليه فلا يجاهد معهم.

٢.ضعف الإيمان:

بعض الناس يعلم فضائل الشهادة، ولكن يضعف إيمانه ويقينه عن طلبها والتعرض لها لتغلب الشهوات والغفلة على قلبه، وليس معنى هذا الكلام أنه يشك في ذلك، وإنما معناه أنه يضعف تصديقه بها مع كونه مؤمنا وتصديق المؤمنين يتفاوت، وإلا لو أيقن وصدق تصديقا قويا بأنه إذا قتل الآن أنه في الجنة حالا مع الحور والولدان، وأنه لا يجد من ألم الموت إلا كمس القرصة لما تردد في طلب الشهادة، ولهذا كان من يطلب الشهادة من أكمل الناس إيمانا كما جاء في الفضائل السابقة.

٣. دنو الهمة:

الهمة: هي ما يطلبه الإنسان، ويقصده، والباعث له على طلبه، فإذا كان ما يطلب عاليا سمي عالي الهمة، وإن كان ما يطلب سافلا ودنيئا سمي دنئ الهمة، سواء كان ذلك في أمور الدنيا أو الآخرة، فبعض الناس يكون عالي الهمة في أمور الدنيا دون الآخرة، فهو يبحث عن أعلى المراتب في الدنيا، ولا يرضى بالحضيض وأن يكون من عامة الناس، وبعض الناس يكون عالي الهمة في أمور الآخرة دون

الدنيا، فهو يبحث عما يرفع درجاته في الآخرة وعن أعلى المنازل في الجنة، ولا يرضى بالربض ولا يلتفت إلى الدنيا، وبعض الناس من يكون عالي الهمة في الدنيا والآخرة.

وكلامنا هنا عن دناءة الهمة في الآخرة، فشخص لا يعمل على القرب من الله تعالى ورفع درجاته في الجنة، بل ليس له هم إلا أن يدخل الجنة فقط، وليس له هم أن يكون من المقربين، فتكون دناءة الهمة سببا في رغبته عن الشهادة، ولا يعني كلامنا أن من طلب الجنة فهو دنئ الهمة، وإنما نعني أن هناك شئ أعلى من هذا المقصد وهذه الهمة، وأن هذا الدنو نسبي، ولهذا جاء في الحديث (**فإذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس الأعلى فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة**) رواه البخاري، فصرفهم إلى طلب معالي الأمور.

٤ . وعورة الطريق إلى الشهادة ومشقة الجهاد:

فبين يدي الشهادة حواجز ومهالك وعقبات، وفتن وامتحانات، يعطب فيها الكثير من الناس، ويتبين الصادق من الكاذب، وكم كان هذا السبب حائلا بين الكثير وبين الجهاد وطلب الشهادة، فبعضهم يتمنى الشهادة في نفسه ولكن المشقة التي تلحقه في طريقها ترخي عزائمه عن طلبها، وأكثر من يعاني من هذا السبب أهل الترف والتنعم، فكثير منهم تعود على حياة الدعة والنعومة فتثقله عن الخروج، وإذا خرج رجع.

وقد قال الله تعالى عن أولي الغنى والمال: ﴿**وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ**﴾ **التوبة**.

وكما قال تعالى عن المنافقين في سورة التوبة: ﴿ **وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ**﴾ فهم ينهون الناس عن النفير ويأبونه لأنفسهم بسبب الحر الذي هو من مشاق الجهاد.

وقال عنهم أيضا: ﴿ **لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ**﴾ **التوبة**.

وبعضهم على العكس من ذلك إذا خرج إلى الجهاد تحول أسدا يقاتل في الجبهات وصبر على مشاق الجهاد، وطريق الشهادة ملئ بالمشاق، بل مامن مشقة توجد في الحياة إلا وهي موجودة في طريق طلب الشهادة، وشتان بين طالب الشهادة وبين القاعد عنها في الجهد والمشقة.

فمن ينام على الفراش الوثير اللين، تحت الغطاء الناعم الدافئ، كمن يسهر طوال الليل، ويفترش الأرض، ويلتحف السماء في البرد الشديد.

أفمن يغدى عليه ويراح بالطعام الشهي الساخن، والماء العذب البارد، كمن بات طاويا، وأصبح عطشانا، وورد على ماء حار آسن ؟

أفمن يعيش ملكا بين خدمه وحشمه وأولاده، كمن عاش يحفر الخنادق العميقة، ويصعد الجبال الشاهقة، ويحمل الأثقال في سبيل الله، ويخدم المجاهدين ويتقيد بالجماعة والأمير ؟

أفمن يجلس مرتاحا على المجالس الوطيئة، كمن مشى متواصلا المسافات البعيدة، ويجلس على التراب والحصى والأراضي الصلبة ؟

أفمن كان مظللا تحت البيوت من الشمس والهواء الحار، كمن سار في الصحراء تحت أشعة الشمس الحارقة، وتلفحه رياح السموم والأغبرة ؟

أفمن يعيش حرا معززا بين أهله وعشيرته، كمن يعيش مكبلا ومذللا في قيود الأسر بعيدا عن أهله وأولاده ؟

أفمن بات يعانق الحسناء الحنون، كمن بات محاصرا من أعدائه، يعانق عدته وسلاحه؟

أفمن كان معافى سليم البدن حوله الأطباء إن مرض، كمن أصبح مقطوع الأعضاء والأطراف قد سقطت أمعاؤه، لا طبيب يداويه، ولا خليل يواسيه ؟

أفمن يغدو ويروح وينطلق حيث شاء، لا مانع ولا حابس، ولا آمر ولا ناهي، كمن يجلس في البيت والمعسكر مرتبطا مأمورا منهيا، لا ذهاب ولا إياب، ولا عمل يعمله لمدة طويلة ؟

أفمن... أفمن... أفمن... إلى آخر المشاق في طريق طلب الشهادة.

قال دعبل:

ليس لبس الطيالس ** من لباس الفوارس

لا ولا حومة الوغى ** كصدور المجالس

وظهور الجياد غير ** ظهور الطنافس

ليس من مارس الحرب ** كمن لم يمارس

والطنفسة هي البساط أو النمرقة فوق الرحل.

وانظر إلى حال الصحابة في جهادهم وما مر عليهم من المشاق، كما ورد عن أبي موسى رضي الله عنه قال: (خرجنا مع النبي ﷺ في غزوة، ونحن ستة نفر بيننا بعير نعتقبه، فنقبت أقدامنا، ونقبت قدماي وسقطت أظفاري، وكنا نلف على أرجلنا الخرق، فسميت غزوة ذات الرقاع، لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا) رواه البخاري.

وعن جابر قال: (بعثنا رسول الله ﷺ وأمر علينا أبا عبيدة نتلقى عيرا لقريش، وزودنا جرابا من تمر لم يجد لنا غيره، فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة، قال فقلت: كيف كنتم تصنعون بها ؟ قال: نمصها كما يمص الصبي، ثم نشرب عليها من الماء، فتكفينا يومنا إلى الليل، وكنا نضرب بعصينا الخبط، ثم نبله بالماء فنأكله) رواه مسلم، وغير ذلك كثير.

٥. سوء الخلق:

الأخلاق الحسنة تحمل الشخص على احترام الآخرين، والإحسان إليهم، ومعاملتهم بما يحبون، والتواضع لهم، والرفق بهم، واللين معهم، والسمع والطاعة، وإذا أخطأ عليه شخص حلم عليه وصفح عنه، ومن كان كذلك حري أن تحبه القلوب وتعامله بالاحترام والمحبة والرفق والإحسان، وأن لا يجد من يؤذيه، وإذا وجد فإنه بحسن خلقه يحلم عليه ويعفو عنه ويحتمل الأذى منه، وهذا الشخص يساعده ويعينه حسن خلقه على الاستمرار مضيا في طريق طلب الشهادة، وأن لا تؤثر عليه الأخلاق السيئة في رجوعه عن الطريق.

وأما سيء الخلق فهو يؤذي الآخرين بخلقه، ولا يتواضع لهم، ولا يسمع ولا يطيع الأمير، ويحدث المشاكل بسوء خلقه، ويواجه الناس بما يكرهون، ويعاملهم بالعنف، وحري بمثل هذا أن ينفض عنه الناس، كما قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾ **آل عمران**، وحري

به أيضا أن يعاملوه بمثل ما يعاملهم به من سوء الخلق، وإذا عاملوه بالأذى فهو بسوء خلقه لا يصبر ولا يحتملهم ولا يحتمل البقاء معهم فيرجع عن الجهاد وطلب الشهادة بسبب ذلك، ولأهمية حسن الخلق في الجهاد هاك هذين الحديثين:

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: **(الغزو غزوان، فأما من ابتغى وجه الله، وأطاع الإمام، وأنفق الكريمة، وياسر الشريك، واجتنب الفساد، فإن نومه ونبهه أجر كله، وأما من غزا فخرا ورياءً وسمعةً، وعصى الإمام، وأفسد في الأرض، فإنه لن يرجع بالكفاف)** رواه ابو داود والحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود.

وعن سهل بن معاذ، عن أبيه رضي الله عنه، قال: غزونا مع النبي – ﷺ –، فضيق الناس المنازل، وقطعوا الطريق، فبعث نبي الله – ﷺ – مناديا في الناس **(أن من ضيق منزلا، أو قطع طريقا، فلا جهاد له)** رواه أبو داود، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

٦. الجبن:

الجبان عكس الشجاع، وهو الرجل الهيوب للأشياء، لا يقدم عليها، وهو صفة ذميمة في الرجل، وكونه سببا وعقبة في طريق طلب الشهادة أمر واضح جدا، فالقتال والجبن ضدان لا يجتمعان، فإن أخوف مخوف عند البشر هو الموت، والجبان يخاف من ظله فكيف بالموت، وكيف أيضا إذا كانت صورة الموت بشعة في الظاهر من رؤوس تبين عن أجسادها، ودماء تسيل، وأطراف مقطوعة، وجروح غائرة، وأمعاء تجر، وأجساد ممثلة، وأوصال ملقاة، وآذان مجدعة، وأشلاء ممزقة، والعدو يريد موته، وهو يريد حياة نفسه، وبعضهم جبنه شديد جدا يخاف وهو في بيته ويمنعه من الخروج أصلا، وبعضهم أخف من هذا، فلا يظهر جبنه إلا إذا ذهب إلى الجهاد وعاين الموت ظهر جبنه وولى الدبر وندم على القدوم، وقصص الجبناء كثيرة ومعروفة.

٧. حب الحياة الدنيا وزينتها وكراهية الموت:

وهي عقبة الطريق الكؤود التي تعرقل بها أكثر الخلق، والسد المنيع الذي حال بينهم وبين الشهادة، والعدو اللدود لها، وطالما صرفت أكثر الناس عنها، فكلما قام علم الجهاد، وتزينت الشهادة للخطاب، ونادت بالناس: ألا ترون فضائلي، ألا تعجبكم محاسني، هلموا إلي ولكم الجزاء الأعظم،

تجملت هي وتزينت وتبهرجت وسترت عيوبها التي هي أكثر من محاسنها وقالت: لا تسمعوا لها فأنا أجمل لكم منها.

فيا لله كم من قتيل لها ومنعطب، وواقف معها وآخر عن الطريق منقلب، فمن جاوز هذه العقبة فما بعدها من العقبات أيسر، ومن لم يجاوزها فما أظنه يتجاوز العقبات الأخرى.

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة ** وإلا فإني لا إخالك ناجيا

وهذا السبب يكاد يكون الرئيسي لرغبة الناس عن الشهادة، كما قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ** ﴾ **التوبة.**

وقال تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا**﴾ **النساء.**

وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها**) قال: قلنا: يا رسول الله أمن قلة بنا يومئذ ؟ قال: (**أنتم يومئذ كثير، ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل، ينتزع المهابة من قلوب عدوكم، ويجعل في قلوبكم الوهن**) قال قلنا: وما الوهن ؟ قال: (**حب الحياة وكراهية الموت**) رواه أبو داود، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

فالطبيعة البشرية مجبولة على حب الحياة وكراهية الموت، ولهذا قالت عائشة: (إنا لنكره الموت) رواه البخاري، فإن أحب محبوب هو الحياة، وأبغض مبغوض وأعظم مصيبة هو الموت، ولذا تجد الناس يضحون بكل شئ من أجل الحفاظ على الحياة، ويفدون أنفسهم بما يملكون من أجل عيش يوم واحد.

وأغلى ما يملك الإنسان روحه التي يكون بها الحياة، فأصعب ما عليه إزهاقها وذهابها، وهل بنيت مادة الخوف والجبن إلا على قاعدة حب الحياة.

وكلما كبر عمر الشخص، كلما زاد حبه للحياة وتعلقه بها، ولهذا لاحظ أن من يذهب للجهاد في سن العشرين أكثر من الذين يذهبون في سن الثلاثين، والثلاثين أكثر من الأربعين، والأربعين أكثر من الخمسين، فكلما كبر العمر قل المجاهدون من نفس العمر.

أما زينة الحياة وشهواتها التي تحب الحياة من أجلها وتكون عائقا بين الرجل وبين الشهادة، فهي المذكورة في هاتين الآيتين: قال تعالى: ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**﴾ **آل عمران**.

وقال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾ **التوبة**، وهي على النحو التالي:

١. الزوجة:

شهوة النساء أعظم الشهوات، وأعظم اللذات، ولذلك قدمت في الآية على سائر الشهوات، والفتنة بهن من أضر الفتن، كما جاء في الصحيحين عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله – ﷺ – **(ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء)**.

وفيهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن)**.

وكون الزوجة عائقا عن الطريق تتضح في صورتين كلاهما جاء في القرآن الكريم:

الصورة الأولى: أن يحمله حبه زوجته وتعلقه بها وعدم صبره على مفارقتها وخوفه من زواجها بغيره بعده على ترك طريق طلب الشهادة والسكون إلى زوجته، وهذا مذكور في الآية السابقة في سورة التوبة (**قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم**...) فأفادت الآية أن من الناس من يترك الطريق محبة لزوجته.

وفي الحديث عن سبرة بن أبي الفاكه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه، فقعد له بطريق الإسلام، فقال: تسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء أبيك، فعصاه فأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة، فقال: تهاجر وتدع أرضك وسماءك، وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول، فعصاه فهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد، فقال: تجاهد فهو جهد النفس والمال، فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال، فعصاه فجاهد، فقال رسول الله ﷺ: فمن فعل ذلك فمات، كان حقا على الله عز وجل أن يدخله الجنة، ومن قتل كان حقا على الله عز وجل أن يدخله الجنة، وإن غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة، أو وقصته دابته كان حقا على الله أن يدخله الجنة**) رواه النسائي في سننه وأحمد، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

الصورة الثانية: أن تحمله زوجته على ترك طلب الشهادة والبقاء معها، وينصاع الرجل لرغبات زوجته في ذلك، وهذا مذكور في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ** ﴾ **التغابن**.

ومعنى العداوة هنا أن تحمله زوجته على المعصية وتلهيه عن الطاعة والعمل الصالح، ومن ذلك الجهاد والشهادة، فتكون بذلك عدوة للرجل، لأنها منعته من خير كثير من أجل مصلحتها فقط.

فإذا ما أراد رجل أن يطلب الشهادة، وقفت زوجته في وجهه، وأخذت تبكي ودموعها على خديها، وتستجديه بشتى الاستعطافات والتخذيلات التي تذيب قلب الرجل وتجعله متحيرا بين الخروج والجلوس.

فهنا مفترق الطرق، وهنا يتميز الصادق من الكاذب، ومحب الشهادة من المدعي، فإذا مضى الرجل ولم يلتفت لها فهذا هو الصادق، وإن وقف معها فهو صاحب دعاوي، وكم مضى كثير، ووقف كثير، ورجع بعد أن مضى كثير.

وحدثني أحد الأشخاص – وكان رقيق القلب – قال: عزمت على الخروج إلى الجهاد وطلب الشهادة، فدخلت على زوجتي فقلت بعد التمهيد والمقدمات: يا فلانة أريد أن أمضي إلى الجهاد، فما إن سمعت هذا الكلام حتى بدأت في البكاء أمامي وتترجاني أن أتراجع عن هذا القرار الذي اتخذته فقلت لها بعد محاولات كثيرة: أبدا، لن أتراجع، فقالت: إذا دعني أنا الذي أجهز حقيبتك وملابسك، قلت: لك ذلك، فجلست في الغرفة التي بجانب غرفتي التي فيها حقيبتي وملابسي وكانت هي فيها

تجهز الحقيبة وأسمعها تجهز الحقيبة وتبكي بصوت عالي، فرق قلبي لها ولم أتحمل هذا الموقف منها فدخلت عليها الغرفة فقلت: تراجعت عن قراري ولن أخرج، ففرحت بذلك أيما فرح.

فلك أن تنظر كيف حملته زوجته وحبه لها على ترك الشهادة، ولا يفهم من كلامي أني أنهى عن الزواج وأدعو إلى عدم الزواج، فحاشا وكلا، كيف ذلك ؟ وهي سنة النبي ﷺ والأنبياء من قبله، كما قال ﷺ: (**وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني**) متفق عليه من حديث أنس، وعنه قال: قال ﷺ: (**تزوجوا الودود الولود إني مكاثر بكم الأنبياء**) رواه أبو داود، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، وقال الإمام أحمد: (**من دعاك إلى غير الزواج فقد دعاك إلى غير الإسلام**) ولكن أقول تزوج يا أخي مع أخذ الحذر كما أمر الله تعالى بذلك في قوله: (**إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم**) فخذ حذرك من زوجتك، ولا تنجر خلف أهوائها، ولا تحملك محبتك لها على التقصير في أمر الله تعالى.

وفي الصورة الأولى يكون السبب من قبل الرجل نفسه، حتى لو لم تحمله زوجته على عدم الخروج لما خرج أصلا، ولو خرج لرجع من قبل نفسه بدون فعل من الزوجة، وفي الصورة الثانية يكون السبب من قبل الزوجة، فهي تحمله على عدم الخروج أصلا، وعلى الرجوع إذا خرج.

٢. الأولاد:

لا شك أن النفوس جبلت على محبة الأولاد كما قال تعالى: (**زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين...**).

وقال تعالى: ﴿ **الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ **الكهف**.

وأودعت في قلوب الوالدين الرحمة لهم والمودة، والحرص عليهم، والإحسان إليهم، وهذا أمر مطلوب في الشريعة، ولكن إذا حمل حب الولد على الإلتهاء عن أمر الله تعالى والقعود عن طاعته فهذا هو المذموم، ويكون الولد عدوا لوالده في هذه الحال ويجب الحذر منه كما في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾ **المنافقون، وقال تعالى:** ﴿ **قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ...**﴾ **التوبة**.

وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**الولد مبخلة مجبنة**) رواه ابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه.

فهو يحمل الأب على الجبن والقعود عن طلب الشهادة من حيثيتين:

١. أن يحمله مجرد حبه لهم على القعود.

٢.أن يحمله الخوف والإشفاق عليهم، ومن يقوم بهم بعده، ومن يربيهم على القعود.

وكلما كثر الأولاد تشعبت شعب القلب وشق طلب الشهادة على الشخص، وكلما كبر الأولاد كلما كبر التعلق بهم، وإذا شحت قلوب الوالدين بأولادهم عن الجهاد، فلأن تشح بأنفسها من أجل أولادها من باب أولى.

قال ابن القيم في عدة الصابرين: " وما أكثر ما فات العبد من الكمال والفلاح بسبب زوجته وولده " انتهى كلامه.

٣.الآباء:

جاءت الشريعة بالأمر ببر الوالدين، وجعلته من أفضل الأعمال، ورتبت عليه أفضل الجزاء، وحرمت عقوق الوالدين، وجعلته من الموبقات، وأوجبت طاعتهما على الأبناء إلا أن يأمراهم بمعصية الله، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

ولما أودع في قلوب الوالدين من الرحمة والمودة لأبنائهم، وكانوا يحتاجون لهم في القيام بشؤونهم وخدمتهم، وكان يشق عليهم ذهاب أبنائهم إلى الجهاد، ويصعب عليهم، لما فيه من المخاطرة بالنفس ومظنة الموت، رتبت الشريعة ذهاب الأبناء إلى الجهاد على إذن الوالدين، فشحت قلوب الوالدين بأبنائهم، وضنت بها لأنفسهم، فمنعتهم من الجهاد ولم تأذن لهم إلا من رحم الله تعالى من أقوياء الإيمان، هذا إذا كان الجهاد فرض كفاية، أما إن كان فرض عين، فلا إذن للوالدين فيه.

وللرجل مع والديه والجهاد وطلب الشهادة أحوال، نبين منها الممدوح من المذموم من المعذور:

أولا: أن يكون الجهاد فرض كفاية، ولا يأذن له والداه في الجهاد، ويجلس، فهذا معذور.

ثانيا: أن يكون الجهاد فرض عين عليه، ولا يأذن له والداه في الجهاد، ويجلس، فهذا مذموم وداخل في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ...﴾ ولو كان ينبني على ذهابه موتهما، ولو كان جالسا لبرهما، وكم رجع كثير بسبب آبائهم وأمهاتهم.

ثالثا: أن يكون الجهاد فرض كفاية ويأذن له والداه ولكن يجلس، فهذا على حالين:

أ. أن يجلس لبرهما ويفرغ نفسه لذلك فهذا على خير عظيم، وفعله ممدوح.

ب. أن يجلس لأمر آخر غير برهما، فهذا قد فاته الخير العظيم، وضيع فرصة لم تتوفر لغيره ممن يتمنى إذن والديه له في الجهاد.

أما من يقعد بزعمه لبر والديه، وهو في الواقع مهمل لهما لا يجلس معهما إلا قليلا، ولا يلقيان من بره إلا القليل، فهذا مدخل شيطاني دخل على العبد ليصده عن الجهاد والشهادة.

٤ . الإخوة والعشيرة:

إخوة الرجل بنو أبيه وعشيرته بنو عمه وقبيلته، والرجل يستأنس بإخوته وعشيرته ويحبهم ويتقوى بهم ويحمونه من الشر الذي يراد به كما قال تعالى: ﴿وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴾ **المعارج**.

وكان الرجل في القديم إذا ترك عشيرته وعاش بلا عشيرة، استضعف واضطهد وأحس بالوحشة فيلجأ إلى أن يعقد حلفا مع أصحاب العشائر لكي يحمونه.

وبعض الناس يصعب عليه ترك العشيرة في السابق والالتحاق بأهل الجهاد والهجرة، فيجلس مع أهله وعشيرته فيقع في المحظور، وبعضهم يحمله إخوته وعشيرته على ترك طريق الشهادة ويثبطونه من اللحاق بالمجاهدين، فيستجيب لهم فيقع في المحظور، وهذا السبب كان قويا في السابق، أما في الوقت الحالي فهو أضعف وإن كان يحصل، قال الشاعر:

من يك في غير العشيرة داره ** يغضب فتبرد غير مُرضًى مغاضبه

يرى كل صوت منهم فوق صوته **ولا يوجبوا منه الذي هو واجبه

وينكر عليه إن أراب بخطة ** ولا يستطيع تنكير ما هو رائبه

وليس وإن آووا عليه بموئي ** ويورد عليه غيره ويشاربه

٥. الأموال:

وهي زينة الحياة ومعشوق النفوس كما قال تعالى: ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ...**﴾ **الآية**، وقال تعالى: ﴿ **الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾ **الكهف**.

وبه قعطت الأرحام، وأريقت الدماء، واستحلت المحارم، ومنعت الحقوق، وتظالم العباد، وهي المرغب في الدنيا وعاجلها، والمزهد في الآخرة وما أعد للمؤمنين فيها، فكم أميت بها من حق وأحيي بها من باطل، ونصر بها ظالم، وقهر بها مظلوم، وبها تنال سائر الشهوات من منكوح ومأكول ومشروب ومسكون وملبوس وجاه ولذات، وتشمل الذهب والفضة والمراكب من الخيل وغيرها والأنعام والمزارع والقصور والمنازل والعقارات والأثاث والمتاع وجميع الأملاك وتشمل أيضا التجارات والوظائف التي تحصل بها الأموال.

وهي من أعظم العوائق عن الجهاد وطريق الشهادة، وقد وقع هذا العائق في زمن الصحابة فكاد أن يحول بينهم وبين الجهاد، ولكن حماهم الله تعالى بإيمانهم وحرصهم على نصرة الدين، كما في حديث أبي أيوب في الإلقاء باليد إلى التهلكة وقد سبق.

وقال تعالى في سورة التوبة: ﴿ **وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ**﴾ **التوبة**، وأولوا الطول هم ذوو الغنى والمال.

ويظهر أثر هذا العائق أيضا في حديث ابن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**) رواه أبو داود، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

ومقتضى هذا الحديث أن ترك الجهاد كان للاشتغال بهذه الأمور عنه.

قال شيخ الإسلام في المجموع: " قل أن تجد ذا سلطان أو مال إلا وهو مبطئ مثبط عن طاعة الله ومحبته متبع هواه فيما آتاه الله، وفيه نكول حال الحرب والقتال في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فبهذه الخصال يكتسب المهانة والذم دنيا وأخرى" انتهى كلامه.

٦. الوطن:

النفوس تحب أوطانها وتألف أماكنها التي نشأت فيها وترعرت، فقلما تجد شخصا إلا وهو يحب بلده الذي نشأ فيه ويثني عليه ويحن إليه عند التغرب عنه ولو لفترة بسيطة، وإن كان غيره من البلدان أفضل منه.

قال الجاحظ في رسائله: " ذكر الله تعالى الديار فخبر عن موقعها في قلوب عباده فقال: **(ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم)** فسوى بين موقع قتل أنفسهم وبين الخروج من ديارهم وقال: **(وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا)** فسوى بين موقع الخروج من ديارهم وبين موقع هلاك أبنائهم " انتهى كلامه.

وترك الأوطان عسير على النفس، ولهذا كان أناس مسلمين على عهد رسول الله ﷺ منعهم المشحة بالوطن، وصعوبة تركه من الهجرة إليه مع شرفها وفضلها، ولهذا أيضا كان أجر الهجرة عظيما لما تضمنته من هجرة المحبوبات والمألوفات من الأوطان والأمكنة، والجهاد في سبيل الله مبني على السياحة في الأرض والتغرب عن الأوطان، وهو أشق من الهجرة لما فيه من التغرب والمخاطرة بالنفس، فمن باب أولى أن يتركه بعض الناس رغبة في أوطانهم، وقد قال تعالى في آية التوبة التي سبقت **(قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم... ومساكن ترضونها)**.

٧.الجاه:

وهو المكانة والمنزلة والمنصب والشرف عند الناس، فحب المكانة والمنصب شهوة من شهوات النفس، ومرض من أمراض القلوب، كما جاء عن كعب بن مالك مرفوعا **(ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم، بأفسد منها من حرص المرء على المال والشرف)** رواه أحمد والترمذي، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

والشرف هو الجاه والمنصب، وقرنه بالمال لأنه مثل فتنة المال، بل ذكر ابن قدامة في مختصر منهاج القاصدين أن حب الجاه أبلغ من حب المال عند الناس، فإن الجاه يشترى بالمال ويدفع عن الجاه بالمال، وهل قام سوق الرياء والسمعة إلا على حب الجاه والمنزلة عند الناس، وكم فتن من علماء، وأضل من قضاة، وأفسد من عباد، فجدير بمن فعل هذا بهؤلاء أن يقف حائلا بين الناس والجهاد وطلب الشهادة.

فأن يضحي المرء بمنصبه وجاهه وينطلق مجاهدا طالبا للشهادة شاق جدا إلا على من صدق مع الله تعالى ولم تؤثر عليه المناصب والمكانة والجاه.

٨. التسويف:

قد يكون عند الرجل نية في طلب الشهادة، ولكن يطول أمله فيؤخر الطلب إلى أجل في نفسه، بسبب من الأسباب، ويقول سوف أطلب ولكن بعد كذا، أو أريد أن أفعل كذا، وأسباب التسويف في الطلب كثيرة جدا، لا يمكن حصرها لكن نذكر منها:

أن يسوف لأجل أن يستزيد من عمل الصالحات ويستكثر من العبادات، أو يقول أريد أن أعد نفسي إيمانيا، أو يسوف للإعداد، ويقول أريد أن أعد للجهاد، ويطيل في هذا الأمر، أو أريد أن أقضي ديني، أو أريد أن أحصل غرضا، أو أريد أن أربي أولادي، أو أحصل لهم مصدر رزق، وهو باب واسع كم حرم من خير وعمل صالح وتوبة.

علاج هذه العوائق والأسباب:

أما العائق الأول وهو الجهل يمكن التغلب عليه عن طريق:

تعلم الأحكام الشرعية المتعلقة بالجهاد وأحكامه وما يقدح فيه ويبطله، وما لا يقدح ولا يبطله، والتفقه في الدين، والرجوع إلى العلماء الربانيين، لا علماء السلاطين، وعدم الاعتماد على اجتهاد النفس، وإحسان الظن بالمجاهدين، وأنهم أعلم الناس بالأمر، وأنهم لن يقدموا على عمل شئ بجهل، وإساءة الظن بالنفس واجتهاداتها، والنظر في فضائل الشهادة وما أعد للشهداء من الكرامة، وتثقيف الناس بها، وتعلم العقيدة ومسائل المنهج عن طريق العلماء الربانيين المجاهدين وسؤالهم ما استشكل من ذلك كله قبل الخروج إلى الجبهة حتى لا يوقع نفسه في مشاكل.

أما العائق الثاني وهو ضعف الإيمان فعلاجه يكون بـ:

النظر في الأمور التي تزيد وترفع الإيمان وفعلها، والأمور التي تضعف الإيمان وتنقصه واجتنابها، فالإيمان يزيد وينقص، ومن الأمور التي ترفع الإيمان تعلم العلم النافع من العلم بالله والعلم بأمره ونهيه، فإنه

يزيد الإيمان، كما قال تعالى: ﴿ **وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ**﴾ **الحج**.

وقال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ **فاطر**، فانظر إلى علمهم أثمر الخشية، والخشية من الإيمان، فيكون علمهم أثمر الإيمان.

ومن الأمور أيضا قراءة القرآن بالتدبر، كما قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا**﴾ **الأنفال**، وذلك أن القرآن كله آيات وعد ووعيد، وأسماء وصفات الله تعالى، وذكر قصص الأمم السالفة، وكل هذه الأمور تزيد في الإيمان، ومن الأمور أيضا قراءة سيرة الرسول ﷺ وسير الصحابة رضوان الله عليهم والسلف الصالح والتأسي بهم، فقراءتها تحفز القلب على الأعمال الصالحة وتزيد الإيمان.

ومن الأمور أيضا مصاحبة أهل الخير الصلاح ومجانبة أهل الفساد، وهذا أمر ملاحظ، فلا يرى الشخص من أهل الخير إلا ما يرفع إيمانه ويحرضه على الخير ويحفظ إيمانه من النقصان، وأما أهل المعاصي فرؤيتهم ومجالستهم تنقص الإيمان.

ومن الأمور أيضا التفكر وهذا من أعظم ما يزيد الإيمان من التفكر في آيات الله الشرعية والكونية، ومن الأمور أيضا تطهير القلب من الأمراض والتبصر في أعمال القلوب إلى غير ذلك من الأمور التي تزيد الإيمان وترفعه.

أما العائق الثالث وهو دنو الهمة فعلاجه يكون برفع الهمة وإعلائها ولكي يعلي المسلم همته:

أولا: لابد له من أن يعترف بقصور همته ودنوها، وهذا أمر أولي لا محيد عنه حتى يستطيع تغييرها، فرجل يعتقد أن همته في حصول الجنة فقط هي الهمة العليا التي ليس فوقها شئ، فماذا سيطلب فوق هذا.

ثانيا: عليه أيضا أن يتعلم مراتب الأعمال ومراتب الأجور، فيتعلم الفرق بين الأعمال وما الأفضل منها والأعلى، وينظر في مراتب الأجور، وما هو الأعظم أجرا ويقارن بينه وبين الأدنى أجرا.

ثالثا: عليه أن ينظر ويقارن بين ما أعد الله لأهل الدرجات العليا من الجنة، وما أعد لمن هو دونهم.

رابعا: عليه أن يخلي قلبه وهمته من التعلق بالسفليات من الشهوات والدنيا والهوى، وينزعها من قلبه، بالنظر إلى عاقبتها الدنيئة، ثم يعلقها بالعلويات والأمور العالية بالنظر إلى عاقبتها.

خامسا: النظر في تفاوت الهمم والفرق بينها، ومؤدى كل همة، ومعرفة الثمرة من كل همة، فإن الهمة إذا علت علت الثمرة، وإذا سفلت الهمة سفلت الثمرة، فانظر إلى شخص لا يفكر ولا يهتم إلى بما يقربه إلى الله تعالى ويعلي درجته عنده والنعيم الأعلى من الجنة، وإلى شخص لا يفكر إلى بكيفية قضاء شهواته وتحصيلها ولو على حساب دينه، فانظر إلى مابين الهمتين من التفاوت، فالهمة هي التي تعلي الشخص حتى تجعله في عليين وتسفله حتى تجعله في أسفل سافلين.

سادسا: النظر في سير السلف الصالح، ومصاحبة علاة الهمم، والبعد عن البيئات المثبطة، فإن النفوس بطبعها لا تحب أن يعلى عليها، فإذا رأت علاة الهمم أعلى منها تحدت وبادرت بالمنافسة وقويت على سلوك الطريق وتحمل الشدائد والتأسي بذوي الهمم العالية، وأن لا يكون أحد أفضل منها، ومن ذلك سير الشهداء والمجاهدين.

سابعا: تجنب الأمور التي تسفل الهمة من الكسل والتسويف ومجالسة السفلاء وأهل الدنيا.

وأخيرا قال المتنبي:

عجبت لمن له قد وخد ** وينبو نبوة القضم الهمام

ومن يجد الطريق إلى المعالي ** فلا يذر المطي بلا سنام

ولم أر في عيوب الناس عيبا ** كنقص القادرين على التمام

وقيل:

إذا أعجبتك خلال امرئ ** فكنه يكن منك ما يعجبك

فليس على الجود والمكرمات ** إذا جئتها حاجب يحجبك

أما العائق الرابع وهو وعورة الطريق إلى الشهادة ومشقة الجهاد فعلاجه بالتالي:

عليك أن تعلم أن كل شئ نفيس خطير يطول طريقه ويكثر التعب في تحصيله، فانظر إلى درجة العلم وكيف يحصل، وكذا تحصيل المال فإنه يحتاج إلى المخاطرات والأسفار والتعب الكثير، وانظر إلى نيل

الدر من البحر تراه لا يحصل إلا بعد معاناة شديدة، وكذا من رام الملك لا يحصل عليه إلا بعد مخاطر ومهالك، ومن أراد الدرجات العالية في الجنة لابد من أن يتعب في تحصيلها.

قال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه لعمرو بن العاص حين نظر إلى معسكر علي (من طلب عظيما خاطر بعظيمته) ذكره في كتاب عيون الأخبار.

ومن طمحت همته إلى الأمور العالية فواجب عليه أن يكره النفس على سلوك طريقها، فإنها متى أكرهت النفس عليها وسيقت طائعة وكارهة إليها وصبرت على لأوائها وشدتها أفضت منها إلى رياض مونقة ومقاعد صدق ومقام كريم، فالمكارم منوطة بالمكاره، والسعادة لا يعبر إليها إلا على جسر المشقة والتعب، فلا تقطع مسافتها إلا في سفينة الجد والاجتهاد.

وقد أجمع العقلاء من كل أمة على أن النعيم لا يدرك بالنعيم، وأن من آثر الراحة فاتته الراحة، وأن بحسب ركوب الأهوال واحتمال المشاق تكون الفرحة واللذة، فلا فرحة لمن لا هم له، ولا لذة لمن لا صبر له، ولا نعيم لمن لا شقاء له، ولا راحة لمن لا تعب له، بل إذا تعب العبد قليلا استراح طويلا، وإذا تحمل مشقة الصبر ساعة قاده لحياة الأبد، وكل مافيه أهل النعيم المقيم فهو صبر ساعة، وكلما كانت النفوس أشرف والهمة أعلى كان تعب البدن أوفر وحظه من الراحة أقل كما قال المتنبي:

وإذا كانت النفوس كبارا ** تعبت في مرادها الأجسام

وقال العتابي:

فإن عليات الأمور مشوبة ** بمستودعات في بطون الأساود

وقال الشاعر:

لا يمتطى المجد من لم يركب الخطرا ** ولا ينال العلا من قدم الحذرا

ومن أراد العلا عفوا بلا تعب ** قضى ولم يقض من إدراكها وطرا

لا يُبلغ السؤل إلا بعد مؤلمة ** ولا تتم المنى إلا لمن صبرا

ولا ريب عند كل عاقل أن كمال الراحة بحسب التعب، وكمال النعيم بحسب تحمل المشاق في طريقه، وإنما تخلص الراحة واللذة والنعيم في دار السلام، فأما هذه الدار فكلا ولما.

أما العائق الخامس وهو سوء الخلق فعلاجه:

اعلم أخي أن الأخلاق تنقسم إلى قسمين:

١. أخلاق جبلية.

٢. أخلاق مكتسبة.

فالجبلية ما جبل عليها الشخص خِلقة من غير اكتساب منه، والمكتسبة ما أفاده بالاكتساب، وهذا التقسيم يشمل الأخلاق الكريمة والأخلاق والسيئة، فأي خلق يمكن أن يكتسبه الشخص بالمجاهدة وإكراه النفس عليه حتى يصير سجية له كأنه جِبلة، فعلى المسلم أن يحافظ على أخلاقه الحسنة من التغير، وأن يجاهد نفسه على تغيير الاخلاق السيئة إلى الحسنة، حتى تكون أخلاقه كلها حسنة، وبذلك يتم له مراده بإذن الله في السير قدما في طريق طلب الشهادة، وأن لا تتعطل راحلته عن مواصلة الطلب.

ولحسن الخلق علاقة وثيقة بالجهاد، وقد سبق أن من موانع الشهادة إيذاء المسلمين في جهادهم الذي هو من أعظم ركائز سوء الخلق، فدل على أن عدم إيذائهم – وذلك من حسن الخلق – مهم في قبول الشهادة.

أما العائق السادس وهو الجبن فعلاجه بالتالي:

وعلاج هذه المشكلة بتحصيل ضدها وهي الشجاعة، وقد تتساءل يا أخي هل يمكن للجبان الذي يخاف من النملة ويبول في سراويله أن يكون شجاعا مقداما لا يهاب الموت وتهابه الشجعان ؟

الجواب: نعم، وما ذلك على الله تعالى بعزيز، ونحن في هذه الفقرة نبين كيف يكون الجبان شجاعا، وقد سبق معنا أن من الأخلاق ما يكتسب، ومنها ما يجبل عليها الإنسان، وفي الحديث (**إنما الحلم بالتحلم**) رواه الطبراني وغيره، والحلم خلق من الأخلاق، وأفاد الحديث بإمكانية اكتسابه بالتحلم، وكذا الشجاعة خلق من الأخلاق يمكن اكتسابه، والتجربة والواقع يثبتان ذلك، وأما الطرق التي من خلالها يمكن اكتساب الشجاعة، فكما يلي:

أولا: عدم الإكثار من النظر في العواقب، كما روي عن علي بن أبي طالب أنه قال: (من أكثر النظر في العواقب لم يشجع) فالمذموم هو الإكثار من النظر في العواقب التي لا مصلحة للرجل في النظر

إليها ولا فائدة، وإلا فالنظر في العواقب في الجملة من الحكمة، بل هو رأس التدبير الحسن، فإذا خاف عاقبة أمر حذر منه وبادر الحيلة في التخلص منه، كما قال هشام لمسلمة بن عبدالملك: (يا أبا سعيد هل دخلك ذعر قط لحرب أو عدو ؟ قال: ما سلمت في ذلك من ذعر ينبه على حيلة ولم يغشني ذعر سلبني رأيي، قال هشام: هذه البسالة).

وإنما الذي يجبن الشخص كثرة النظر والتفكير في العواقب بدون استخلاص الرأي، مثل أنه إذا حضر المعركة بدأ يفكر في عواقب يعلمها وقد جاء لطلبها من كيفية الموت وهل سيقطع رأسي أم كيف سيحصل لي ؟ وكيف سيبقى أهلي من بعدي ؟ ويتخيل نفسه وأهله في أسوإ حال، وأنه سيقتل في المعركة، وسيمثل به ويحرق جسده، وأنه كذا وكذا، فيفكر في العواقب الرديئة التي لا تثمر له شيئا ينفعه إلا الجبن والنكول عن الطريق، فمن سلك الطريق لا ينظر في العواقب إلا فيما ينفعه ويصلح حاله ولا يشغل تفكيره بها، أو يفكر في العواقب السيئة التي تثبطه، كأن يفكر في انتصار خصمه عليه ونحو ذلك.

قال المبرد في الكامل: " فأما قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: من أكثر الفكرة في العواقب لم يشجع، فتأويله أنه من فكر في ظفر قرنه به، وعلوه عليه لم يقدم، وإنما كان الحزم عند علي رضي الله عنه أن يحظر أمر الدين ثم لا يفكر في الموت " انتهى كلامه.

ثانيا: التدرب على الشجاعة تدريجيا، وذلك بأن يقدم الشخص على المخاوف التي يخافها ويكره نفسه عليها ويعودها حتى تصير الشجاعة لها سجية وخلقا، وهذا يعد من أهم الطرق، فمثلا إذا كان الشخص يخاف من السباحة والغطس يقدم عليه، وإذا كان يخاف من الأماكن العالية يقدم عليها، وإذا كان يخاف من الأماكن المظلمة يقدم عليها، وهكذا.

وهذه حال كثير من الإخوة الذين يذهبون إلى الجهاد، نجد أنه في أول يوم يحدث له بداخله خوف شديد، ثم مع الوقت يبدأ هذا الخوف يتلاشى شيئا فشيئا حتى يكون متقدما في الصفوف الأولى.

ثالثا: غض البصر عما يفزع ويخوف: كما روي عن علي بن أبي طالب في الحرب أنه قال: (غضوا أبصاركم) وذلك إذا رأيت منظرا مزعجا للغاية من مقتل شخص أمامك، وتطاير الأشلاء مثلا، فغض بصرك عنه، لأن النظر لا يفيدك، وقد يتأثر قلبك بالموقف، فيجبن، وغض البصر المقصود هنا إنما هو

عن الأمر المفزع الذي لا فائدة من النظر إليه من فضول النظر، أما فيما تدعو الحاجة إلى النظر إليه فليس مرادنا ها هنا، وانظر إلى أي أمر يؤثر على قلبك النظر إليه فغض بصرك عنه.

رابعا: ذكر المهيجات الغضبية والغيظية، وذلك بأن تحدث نفسك بما يهيج غضبك ويثير غيظك من عدوك، فإن هذه الأمور تثير الشخص، فيستميت في شفاء غضبه وغيظه من عدوه.

نقل صاحب العقد الفريد عن أبي مسلم أنه كان يقول لقواده " أشعروا قلوبكم الجرأة، فإنها من أسباب الظفر، وأكثروا ذكر الضغائن فإنها تبعث على الإقدام " انتهى كلامه.

وذلك بأن تتأمل في واقع عدوك، فهو قد استباح دماء المسلمين، وأخذ أموالهم وأراضيهم، وانتهك أعراضهم، واغتصب نساءهم واستعبد ذراريهم وأطفالهم، وأهان شيوخهم وقتل مجاهديهم وأسر قادتهم، وهدم صروح الإسلام وسب دينهم، وأفسد عقائد المسلمين ونشر الكفر في الأرض، ولو قدر عليك لأذلك وقتلك واستباح عرضك.

فحري بمن في قلبه غيرة على الإسلام وأهله إذا ذكر ذلك أن يستميت في نصرة الإسلام وأهله وإذلال الشرك وأهله، مقدما في سبيل ذلك على المخاوف، لا يضره خذلان خاذل ولا خلاف مخالف.

خامسا: مصاحبة الشجعان والنظر في سيرهم:

فالمرء على دين خليله، فإن الرجل إذا صاحب قوما استفاد منهم ما يحملون من خصال وتأثر بهم ولابد، ويرى بعينيه ما يحفز نفسه ويقوي قلبه، ويحملونه على التقوى والإقدام على المخاوف ويرشدونه إلى ترك الخوف والجبن قال المتنبي:

ويا أجبن الفرسان صاحبه تجترئ ** ويا أشجع الشجعان فارقه تفرق

وأيضا النظر في سير الشجعان يشجع النفس ويقودها إلى التأس والاقتداء بهم، والقصص في هذا كثيرة.

سادسا: تقوية الإيمان، فمن قوي إيمانه علم يقينا أن الإقدام لا يقدم أجله وأن التأخر لا يؤخر أجله، وأن الموت آتيه ولو فر منه ولا ينفعه الفرار منه، كما قال تعالى: ﴿ **قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾ **الأحزاب**.

وقال أيضا: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ البقرة.**

وقال أيضا: ﴿ **أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ النساء.**

وقال تعالى: ﴿**قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ آل عمران.**

فلا الجبن ينجيه، ولا الإقدام يرديه، فالأجل محدود ومضروب، إذا جاء الأجل مات الرجل، قتل أو لم يقتل، فلا ينفع الفرار، بل كم من هروب عن الموت كان سبب الموت، وحرص على الموت كان سبب الحياة والنجاة.

وروي عن أبي بكر الصديق: (اطلبوا الموت توهب لكم الحياة).

وانظر هذا فيمن يقتل في المعارك مدبرا أكثر ممن يقتل مقبلا، وانظر إلى سيف الله خالد بن الوليد الذي كرس عمره في طلب الشهادة يقول عند موته وهو يبكي (لقيت كذا وكذا زحفا، وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة بسيف، أو رمية بسهم، وها أنا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت العير، فلا نامت أعين الجبناء) فهو يدعو على الجبناء وكأنه يقول مما تخافون ؟ أمن الموت ؟ ها أنا طلبت الموت جهدي وغايتي وما حصل لي.

قال ابن هذيل في تحفة الأنفس: " فمن الأمور المشجعة توهم الخلاص قريبا، وتوهم الأمر المخوف إما مفقودا وإما بعيدا، ومنها أن يتوهم العدة التي يلقى بها الأمر المخوف قريبة منه، ومنها أن يتخيل أن له أعوانا كثيرة، أو قوما يمنعونه أن يناله بشر، ومنها أن يكون قد أشرف على الأمر العظيم مرارا كثيرة وتخلص منه، فإن هذا يكسبه شجاعة التجربة ".

وقال أيضا: " ومما يشجع أن يعتقد الإنسان أنه أفضل من الذي يغالبه، والغضب أيضا مما يشجع، ومما يحرك الغضب أن يكون مظلوما غير ظالم، فإن المظلوم يشجعه الغضب وثقته بأن الله ينصر المظلومين، وكذلك أيضا يحرك الغضب بذكر الضغائن والأحقاد " انتهى كلامه.

واسمع هذه القصيدة التي يقول عنها ابن خلكان في الوفيات: إنها تشجع أجبن خلق الله، وقال: وما أعرف في هذا الباب مثلها:

أقول لها وقد طارت شعاعا ** من الأبطال ويحك لن تراعي

فإنك لو سألت بقاء يوم ** على الأجل الذي لك لم تطاعي

فصبرا في مجال الموت صبرا ** فما نيل الخلود بمستطاع

ولا ثوب الحياة بثوب عز ** فيطوى عن أخي الخنع اليراع

سبيل الموت غاية كل حي ** وداعيه لأهل الأرض داع

ومن لا يعتبط يسأم ويهرم ** وتسلمه المنون إلى انقطاع

وما للمرء خير في حياة ** إذا عد من سقط المتاع

ومن أمثال العرب: " الشجاع موقى والجبان ملقى" وذلك أنه قل من يرغب في مبارزته خوفا على نفسه، وهذا كما قيل "احرص على الموت توهب لك الحياة ".

وأيضا إذا علم يقينا أنه لا يجد من ألم الموت والقتل الذي يخاف منه إلا كمس القرصة، وهو ألم خفيف جدا لا يكاد يذكر، وإن كانت صورة الموت بشعة في الأعين، ولكن في الحقيقة لا شئ، فماذا بعد هذا يخاف.

وبعد هذا العرض يا أخي عليك أن تعلم أن الناس ينقسمون إلى ثلاثة أقسام من حيث الشجاعة والجبن:

١. رجل شجاع مقدام على المخاوف لا يهاب، وهذا قليل جدا في الناس، وقليل أيضا في الساحات كما نقل بعض المجاهدين أنه لم يلق من هذا النوع إلا اثنين أو ثلاثة، والباقي من القسم الثاني الآتي، وليس معنى هذا أن الشجاع لا يخاف مطلقا، فقد يحصل له خوف لكن قليل، ويسيطر عليه، وهاهم شجعان العرب يخبرون عن أنفسهم أنهم حصل لهم خوف ولكن سيطروا عليه وتحكموا به ولم يقفوا معه ويستسلموا له، فمن ذلك قول عمرو بن معد يكرب:

ولما رأيت الخيل زورا كأنها ** جداول زرع أرسلت فاسبطرت

فجاشت إلي النفس أول مرة ** فرُدت على مكروهها فاستقرت

وقال العباس بن مرداس:

ألا هل أتى عرسي مكري ومقدمي ** بوادي حنين والأسنة شرع

وقولي إذا ما النفس جاشت لها قري ** وهام تدهدهى بالسيوف وأذرع

ومعنى جيشان النفس هنا هو اضطرابها واهتزازها من خوف أو فزع.

وهذا الرجل ما يقدم عليه أكثر مما يحجم عنه.

٢. رجل عادي متوسط، لا شجاع ولا جبان، يحصل عنده الخوف من المخاوف، ويستطيع السيطرة عليه غالبا، وهذه حال أكثر الناس، وهذا الرجل ما يقدم عليه ويحجم عنه متقارب، واعلم يا أخي أن وجود الخوف في القلب لا يمنع من الإقدام، إلا إذا كان الخوف شديدا جدا وهذه حال القسم الثالث:

٣. رجل جبان شديد الجبن يسيطر عليه الخوف، ويبين أثره عليه حتى يبول على نفسه، فهذا الداء العضال، وقد سبق بيان العلاج.

وأخيرا اقرأ هذه الحكاية:

قال ابن الأثير في الكامل: " ومن أعجب ما يحكى من السلامة أنني رأيت رجلاً من المسلمين على هذا الحصن، قد جاء من طائفة من المؤمنين شمالي القلعة إلى طائفة أخرى من المسلمين جنوبي القلعة، وهو يعدو في الجبل عرضا، فألقيت عليه الحجارة، وجاءه حجر كبير لو ناله لبعجه، فنزل عليه، فناداه الناس يحذرونه، فالتفت ينظر ما الخبر، فسقط على وجهه من عثرة، فاسترجع الناس، وجاء الحجر إليه، فلما قاربه وهو منبطح على وجهه، لقيه حجر آخر ثابت في الأرض فوق الرجل، فضربه المنحدر فارتفع عن الأرض، وجاز الرجل، ثم عاد إلى الأرض من جانبه الآخر لم ينله منه أذى ولا ضرر، وقام يعدو حتى لحق بأصحابه، فكان سقوطه سبب نجاته، فتعست أم الجبان" انتهى كلامه.

أما العائق السابع وهو حب الحياة وزينتها وكراهية الموت فعلاجه يكون بالتالي:

أولا: العلاج العام:

يكون بالزهد بالدنيا، وهو عدم التعلق بها وشهواتها، وترك ما لا ينفع في الآخرة منها، وهذا يعد أعظم محفز لطلب الشهادة، ويريح القلب والبدن في عيشه.

ولو أتينا نقارن بين الدنيا والآخرة – ولا مقارنة – لعلم المتعلق بها أنها لا تساوي ربع ما يصرفه على طلبها والعناء خلفها، فمن ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

١. الحياة الدنيا قصيرة المدة جدا، انظر إلى أقصى أمد تقضيه فيها مائة سنة، منها سبع سنوات بداية طفولتك غير مميز للأشياء، وثلث عمرك منها نوم أي ثلاثا وثلاثين سنة، وآخر عشرين سنة منها ضعف ومرض وأحيانا مع فقد التمييز، وأنت الآن قد مضى نصف عمرك أو أكثر، فما الذي بقي لك منها ؟ وآخر مافيها هو الموت، وهو يلاحقك ملاحقة الغريم لغريمه، وهذه المدة القصيرة أيضا سريعة جدا، فانظر الآن ما مضى من عمرك من السنين تجدها مرت كاحتراق السعفة، بالأمس كنت طفلا واليوم رجلا قد خط شاربك، ولهذا المجرمون إذا عاينوا يوم القيامة يقسمون أن ما لبثوه في الدنيا مقدار ساعة، وبعضهم يقول يوم، كما قال تعالى **(وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ) وقال: (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلا يَوْمًا)**.

١. الحياة الآخرة خلود أبدي وبقاء دائم، لا يلحقهم فيها فناء ولا زوال ولا موت ولا سنة ولا مقارنة بينها وبين الدنيا من حيث مدة البقاء، فلا أقول مليارات السنين، ولكن أقول مدة البقاء إلى ما لا نهاية، فهي حياة لا تنتهي أبدا.

٢. الحياة الدنيا لا تدوم على حال، فيوم تكون مقبلة، وأيام تكون مدبرة، والأنس يوم، والأسى أيام، فمن غنى إلى فقر، ومن فرح إلى تروح، لا تبقى على حال، ولا تستمر على منوال.

٢.الحياة الآخرة نعيمها دائم، ولذاتها متجددة، فكلها أيام فرح وسرور، لا يلحقها تغير أبدا ما دامت السموات والأرض.

٣. الحياة الدنيا: دار ابتلاء وامتحان ومصائب وشدائد وكروب ومخاوف وأحزان وهموم وغموم، لا تجد أحدا يسلم من هذه الأمور في الدنيا مهما كانت منزلته ومرتبته فيها.

٣.الحياة الآخرة على العكس من ذلك فهي دار نعيم، لا هم فيها ولا حزن ولا غم ولا خوف ولا مصائب ولا شدائد، بل كل ما فيها نعيم ومسرات وملذات.

٤.الحياة الدنيا: اللذة فيها منغصة وناقصة، وذلك في كل لذة، فلا تجد لذة إلا وفيها ما ينغصها من النقائص والعيوب والآفات، وأقل شئ في ذلك هم كيفية الحصول على اللذة، وهم حفظها والخوف عليها من الآفات.

٤. الحياة الآخرة النعيم بها كامل تام، لا منغص يلحقه ولا نقص ولا عيب، وتستوفى اللذة فيها كاملة.

٥. الحياة الدنيا: نعيمها قليل، كما قال تعالى: ﴿ **قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى**﴾**النساء**، وقال: (**فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ**) **التوبة**، وعن المستورد بن شداد رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال: (**والله ! ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه – وأشار يحيى بالسبابة – في اليم، فلينظر بم يرجع**) رواه مسلم.

وعن البراء رضي الله عنه قال: أهدي للنبي ﷺ ثوب حرير، فجعلنا نلمسه ونتعجب منه، فقال النبي ﷺ: (**أتعجبون من هذا ؟**) قلنا: نعم، قال: (**مناديل سعد بن معاذ في الجنة خير من هذا**) رواه البخاري.

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها**) رواه البخاري.

فمهما بلغت فيها من النعيم لا يساوي مثقال ذرة من نعيم الآخرة.

٥.الحياة الآخرة نعيمها عظيم، ولذاتها متوالية، ولا نسبة بينها وبين الدنيا في هذا الأمر، وأدنى المنازل فيها ما يكون للرجل فيها مثل ملك من ملوك الدنيا وعشرة أمثاله، فما بالك بأعلاهم.

٦.الحياة الدنيا هناك من يزاحمك على لذاتك، وينافسك عليها، ويؤلمك بمزاحمته، وتخشى عليها منه.

٧. الحياة الآخرة لذاتك خالصة لك، لا يزاحمك عليها أحد، ولا منافسة بين أهلها فيها.

وبعد هذه المقارنة العامة السريعة بين الدنيا والآخرة، حري بك يا أخي أن تزهد في الدنيا وتطلقها ولا تركن إليها، واعلم يا أخي أن الجنة ونعيمها قريب منك جدا، فما بينك وبين أن تنزل الجنة إلا قرصة، فبؤسا للرجل إذا ترك الجنة ونعيمها وركن إلى الدنيا خوفا من قرصة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة)** رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وصححه أحمد شاكر، وقال الألباني: حسن صحيح.

وأنت ستموت ستموت، فاجعل موتك شهادة، ولا تمت هكذا مجردا، فأنت ملزوم بدخول أبواب الموت فاختر باب السيف منها فإنه أخف الأبواب وأسهلها، أما باقي الميتات فهي أبواب صعبة حرجة.

من لم يمت بالسيف مات بغيره ** تعددت الأسباب والموت واحد

فطعم الموت في أمر حقير ** كطعم الموت في أمر عظيم

وما بين العبد وبين السعادة والفلاح كما قال ابن القيم في المدارج إلا: " قوة عزيمة وصبر ساعة وشجاعة نفس وثبات قلب "

يا أخا اللب إنما السير عزم ** ثم صبر مؤيد بالبصائر

يالها من ثلاثة من ينلها ** يرق يوم المزيد فوق المنابر

ثانيا العلاج التفصيلي:

١ .الزوجة:

أولا: كلمة للزوجة: ها نحن نرى الأزواج والزوجات في الدنيا ما إن يتزوجوا حتى يبدأوا بالتعاون في جمع المال من أجل بناء منزل ينتقلون إليه ويسكنونه، فتجد الزوج يتعب ليله ونهاره والزوجة مثل ذلك من أجل ذلك المنزل، فلماذا لا تكون هذه حالنا بالنسبة للآخرة الباقية ؟ فأنتما أيها الزوجان ستنتقلان لها، ومنزلك غدا أيتها الزوجة في الجنة في منزلة زوجك، ولو قصر بك عملك عنه، فإذا عجزت عن الجهاد فلا أقل من أن تدلي زوجك عليه وتحرضيه على طلب الشهادة لتبنوا منزلكم في الجنة على أتم وجه، ولتكون منزلتكم عند الله تعالى عالية.

و أيضا لك مثل أجر زوجك في الشهادة، لأن من دل على خير فله مثل أجر فاعله، ولا أنسى في هذا المقام تلك المرأة التي رفضت التزوج بعد مقتل زوجها، لتكون في درجته في الجنة، فهي لن تضحي

بدرجة الشهادة التي لزوجها، لأن المرأة في الجنة تكون مع آخر أزواجها في الدنيا على قول بعض العلماء.

وإذا كنت تحبين زوجك محبة صادقة، فانصحي له ودليه على ما فيه خير له ولك، ولا تكوني له عدوة بتثبيطك له.

وأما ماذا تصنعين بعده بدون زوج، فاصبري فإنما هي أيام قلائل، ثم تجتمعين به في ذلك المنزل العظيم، واعلمي أن الله لن يضيعك، ونحن نرى الزوج يتغيب عن زوجته في طلب الدنيا وهي صابرة على ذلك، أفلا تصبر على أمر الآخرة الأعظم من ذلك ؟

وأما من يقوم عليك بعده، فحسبك الله تعالى، وهو يقوم بخلافة المجاهدين في أهليهم ولن يضيعهم.

وإليك أختي هذا النموذج الطيب الذي ينقله لنا الشيخ عبد الله عزام في كتابه عشاق الحور عن زوجة أبي جعفر الشامي بعد استشهاده أرسلت رسالة إلى المجاهدين وهاك نص الرسالة:

رسالة من زوجة الشهيد أبي جعفر:

قال تعالى: (**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ**).

إلى إخواني المجاهدين على أرض أفغانستان المسلمة، وإلى كل زوجة استشهد زوجها في سبيل الله لإعلاء كلمة الله.

لقد بلغني خبر استشهاد زوجي في جبهة القتال ضد الغزاة الروس إلى جانب إخوانه المجاهدين في معركة قندهار، مما أثار في نفسي بعض الحزن في بادئ الأمر، ولكن سرعان ما أنزل الله على قلبي بردا وسكينة.

فأصبحت أحمد الله على ما ناله، وفوزه بالجنة والشهادة في سبيله، وتذكرت ما أعد الله للشهيد من أجر وثواب وذلك في قول قائد المجاهدين رسول الله ﷺ (للشهيد عند ربه ست خصال: يغفر له في أول قطرة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويؤمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج باثنتين وسبعين من الحور العين، ويشفع في سبعين من أهله).

إخوتي المجاهدين في كل مكان... إن هذا العمل الذي قام به زوجي وأدى واجبه تجاه ربه ودينه يشرفني أنا وأولادي وأهله.

وليشهد الله على ما نويت بتهيئة أولادي الثلاثة ليلحقوا بدرب أبيهم وإخوانهم المجاهدين، فهنيئا لك يا أفغانستان بهذا الجهاد وهنيئا لنا في هذا الشهيد الغالي.

إننا ندعو الله أن ينصركم ويثبت أقدامكم في هذه المعركة، والنصر حليف المؤمنين، فتذكري يا أختاه ما أعد الله للشهيد الذي يقاتل في سبيله، ولنقدم أرواحنا، ولنهيء أبناءنا للجهاد في سبيل الله.

وبذلك يتم النصر بإذن الله ويدحر الكافرين والمشركين سائلين الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من المجاهدين في سبيله.

قال رسول الله ﷺ: (**أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت**) والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أختكم: أم جعفر.

ثانيا: كلمة للزوج:

لكي تتخلص من هذا العائق:

١. اعلم أخي أنك إن حملك حب زوجتك على ترك الجهاد وطلب الشهادة، فأنت داخل في هذا الوعيد في قوله تعالى (**قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم...**) فانتظر عقوبة الله في أي وقت تحل عليك، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: (**من لم يغز أو يجهز غازيا أو يخلف غازيا في أهله بخير أصابه الله بقارعة**) رواه أبو داود وابن ماجه، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه، وله طرق.

٢.علمك ما يفوتك من الأجور العظيمة، والمنازل العالية، إن قعدت عن الطريق وتشبثت بزوجتك، وأقل مافي ذلك أنك خارج عن هذا الفضل المذكور عن سبرة بن أبي الفاكه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه، فقعد له بطريق الإسلام فقال: تسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء أبيك، فعصاه فأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة، فقال: تهاجر وتدع أرضك وسماءك، وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول، فعصاه فهاجر، ثم**

قعد له بطريق الجهاد فقال: تجاهد فهو جهد النفس والمال، فتقاتل فتقتل، فتنكح المرأة ويقسم المال، فعصاه فجاهد، فقال رسول الله ﷺ: فمن فعل ذلك كان حقا على الله عز وجل أن يدخله الجنة، ومن قتل كان حقا على الله عز وجل أن يدخله الجنة، وإن غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة، أو وقصته دابته كان حقا على الله أن يدخله الجنة) رواه النسائي في سننه وصححه الألباني.

٣.أخذ الحذر من الزوجة التي تحملك على القعود، وعدم الانسياق لرغباتها كما أمر الله تعالى.

٤.عدم تمكين القلب من حبها تمكينا عظيما قدر المستطاع، إذا كنت تعلم أن حبك لها سيثبطك، يعني: " أحبب حبيبك هونا ما " وحاول أن تبتعد عن زوجتك أحيانا، لتتعود على فراقها.

٥.النظر في سير الصحابة ومن بعدهم، فقد سطر الصحابة في عدم الاكتراث والتأثر بهذا السبب أعظم المواقف، فانظر إلى حنظلة الغسيل في ليلة زفافه ودخوله، لما سمع الصائحة لم يتردد ولم يتوقف أبدا، حتى للاغتسال من الجنابة، بل مضى سريعا إلى نداء الجهاد وهو جنب وقتل جنبا، وانظر إلى جليبيب الذي تعب حتى حصل على زوجة، ولما حصل عليها لم يمنعه ذلك من الجهاد، وطلب الشهادة حتى قتل شهيدا.

وانظر إلى خالد بن سعيد بن العاص يتزوج أم حكيم بنت الحارث، فلما كانت وقعة مرج الصفر أراد خالد أن يدخل بها، فقالت: لو تأخرت حتى يهزم الله هذه الجموع، فقال: إن نفسي تحدثني إني أقتل، قالت: فدونك فأعرس بها عند القنطرة، فعرفت بها بعد ذلك، فقيل لها: قنطرة أم حكيم، ثم أصبح، فأولم عليها فما فرغوا من الطعام، حتى وافقتهم الروم ووقع القتال، فاستشهد خالد.

وقال ابن الأثير في الكامل في معركة حصلت بين المسلمين والترك عام اثنتي عشر ومائة: " وقتل النضر بن راشد العبدي، وكان قد دخل على امرأته والناس يقتتلون، فقال لها: كيف أنت إذا أتيت بأبي ضمرة في لبد مضرجا بالدم ؟ فشقت جيبها ودعت بالويل، فقال لها: حسبك، لو أعولت علي كل أنثى لعصيتها شوقا إلى الحور العين، فرجع وقاتل حتى استشهد، رحمه الله " انتهى كلامه.

٦. قارن بين الحور العين ونساء الدنيا، تجد أن الفرق شاسع، وأن من فضل نساء الدنيا على الحور فقد باع حظا عظيما ببخس عن قليل سيعدم، وبلغ الغاية في الدناءة وخسة الهمة.

إذا ما أراد الغزو لم يثن عزمه ** حصان عليها عقد در يزينها

نهته فلما لم تر النهي عاقه ** بكت فبكى مما شجاها قطينها

ولم يثنه عند الصبابة نهيها ** غداة استهلت بالدموع شؤونها

ولكن مضى ذو مرة متثبت ** لسنة حق واضح يستبينها

وقال الآخر:

إذا هم بالأعداء لم يثن همه ** كعاب عليها لؤلؤ وشنوف

حصان لها في زي وبهجة ** ومشي كما مشي القطاة قطوف

وما أجمل أبيات النابغة الجعدي وهو يخاطب زوجته التي ترجوه أن يجلس عند عائلته عندما أراد الغزو فيقول:

باتت تذكرني بالله قاعدة ** والدمع يهطل من شأنيهما سبلا

يا بنت عمي كتاب الله أخرجني ** كرها وهل امنعن الله ما فعلا

فإن رجعت فرب الخلق أرجعني ** وإن لحقت بربي فابتغي بدلا

ما كنت أعرج أو أعمى فيعذرني ** أو ضارعا من ضنى لم يستطع حولا

قال ابن الخطيب في يحيى بن علي بن غانية في الإحاطة: "حكي عنه أنه تزوج في فتوته امرأة من قومه شريفة جميلة، وقربها عيناً، ثم تركها وطلقها، فسئل عن ذلك، فقال: والله ما فارقتها عن خلة تذم، ولكن خفت أن أشتغل بها عن الجهاد، ولم يزل يدافع النصارى عن المسلمين بالأندلس، فهزم ابن رذمير، وأقلع محلاتهم عن مدينة الأشبونة، واستمسك به حال الأندلس " انتهى.

٢. الأولاد:

فهم وعناء، وتعب عليهم وهم صغار، وإذا كبروا ارتحلوا عنك في طلب رزقهم وفي زواجهم وغير ذلك، وحصل من بعضهم الجفاء والعقوق، وانتظار موتك متى ينزل ليرتاحوا من أعباء خدمتك ويقتسموا مالك من خلفك، إلا من رحم الله، فعليك بأخذ الحذر منهم كما أمر الله تعالى، فإنهم فتنة

وامتحان للرجل ليتبين الصادق من الكاذب، كما قال تعالى: ﴿ **أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾ **الأنفال**، فاصدق مع الله تعالى وامض قدما بلا تردد، ولا تقف ولا تجعل ابنك يخسرك صفقة التبايع مع الله تعالى، فالمغبون كل الغبن من خسر هذه الصفقة، وافرض لو أن ابنك أخسرك صفقة من صفقات الدنيا الفانية، يترتب عليها خسارة مالك وجاهك وأورثك بخسارتك ذلا وفقرا ما حالك مع ابنك ؟

أقل مافي الأمر أنك تأخذ الحذر منه أن لا يخسرك صفقة أخرى، ولا أتكلم عن أكثره، وهاهو يريد أن يخسرك صفقة عظيمة أعظم صفقة بيع في الدنيا، وأنت مصر على القعود والخسارة وأنت تعلم، فبادر نفسك قبل الخسارة واعقد الصفقة مع الله تعالى، ولا تصغ لأبناءك ولا تقل من لهم بعدي ؟ ومن يقوم بتربيتهم ؟ فالله خير خليفة لك على أهلك وذريتك، فتوكل على الله في حفظهم ورزقهم وتربيتهم، ولن يضيعهم الله تعالى، وأحسن الظن بالله تعالى في ذلك، وكم من شخص استشهد وترك أبناء، فتأثروا به أيما تأثير، وانصلح حالهم، وآخر ذلك أنهم التحقوا بركب أبيهم واستشهدوا من بعده، فدم الشهيد نور ونار.

٣. الآباء:

أولا: كلمة للوالدين:

ألستم تحبون الخير لأبناءكم ولأنفسكم، وتحبون أن ينفعوكم ويبروكم، هذه الشهادة فيها الخير والفضائل العظيمة لابنكم، من الحياة والقصور والدرجات العالية، وأنتم ترغبون به عنها، وفيها الخير لأنفسكم، فالشهيد يشفع في سبعين من أقاربه، وأنتم أول من يدخل في هذه الشفاعة، فلماذا ترغبون بابنكم عنها، ولكم أجره أيضا إذا احتسبتم النية، أضمنتم الجنة والنجاة من النار أم ماذا ؟

إن قلتم نخاف عليه من الموت، ونريد أن نستمتع به، فأنتم إذا منعتموه من الجهاد وطلب الشهادة فقد ضمنتم سببا واحدا له فضل عظيم من أسباب الموت، ولم تضمنوا الأسباب الأخرى الكثيرة التي لا فضل لها، فقد يموت في أي لحظة، فرغبتم عن الفضل إلى لا شئ، فلم تنفعوا ولدكم ولا نفعتم أنفسكم في آخركم ولا دنياكم، فخسرتم وتمنيتم أن لو كان ذهب إلى الجهاد وحاز فضل الشهادة ولم تمنعوه، كما حدث لأحدهم عندما طلب من والديه أن يأذنا له في الذهاب لطلب الشهادة فأبيا، فقعد فأصابه حادث في سيارته بعد شهر من استئذانه، ومات فتمنت والدته أن لو كانت أذنت له.

وأنتم لو سألكم ابنكم الاستئذان لأمر من الدنيا فيه عرض قليل لأذنتم له، ولو ترتب على ذلك فراقكم وعدم استمتاعكم به، ولو كان الأمر فيه خطورة مادام فيه عرض من الدنيا، وبعض الأباء قد علت همته عندما سفلت هممكم، فهو يتزوج أصلا لطلب الولد، لماذا ؟ حتى يجاهد الولد في سبيل الله ويستشهد، وإذا جاءه الولد رباه من صغره على حب الجهاد والشهادة، فإذا كبر حرضه على طلب ذلك، وهذا كثير.

وانظروا إلى الخنساء قبل الإسلام جزعت على صخر أخوها المشرك جزعا شديدا، وقالت فيه الأشعار، ولما أسلمت جمعت بنيها يوم القادسية، وحرضتهم على الجهاد وطلب الشهادة، وهم أحب إليها من أخيها، فقتلوا جميعا، وكانوا خمسة.

وعن عروة بن الزبير قال: قال الزبير بن العوام: إن طلحة بن عبيد الله التيمي يسمي بنيه بأسماء الأنبياء، وقد علم أنه لا نبي بعد محمد ﷺ، وإني أسمي بني بأسماء الشهداء، لعلهم أن يستشهدوا " فسمى عبد الله بعبد الله بن جحش، ومصعب بمصعب بن عمير، وعبيدة بعبيدة بن الحارث، وخالد بخالد بن سعيد، وعمرو بعمرو بن سعيد بن العاص قتل يوم اليرموك. رواه ابن سعد في الطبقات.

وقال ابن الجوزي في صفة الصفوة: " عفراء بنت عبيد بن ثعلبة أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ، ورزقها الله سبعة بنين، كلهم شهدوا بدرا مسلمين، وذلك أنها تزوجت الحارث بن رفاعة، فولدت له معاذا ومعوذا، ثم طلقها، فقدمت مكة، فتزوجت بكير بن عبد يا ليل، فولدت له خالدا وإياسا وعاقلا وعامرا، ثم رجعت إلى المدينة، فراجعها الحارث بن رفاعة، فولدت له عوفا، فشهدوا كلهم بدرا مسلمين، فاستشهد معاذ ومعوذ وعاقل ببدر، وخالد يوم الرجيع، وعامر يوم بئر معونة، وإياس يوم اليمامة، والبقية منهم لعوف " انتهى.

قال الذهبي في السير: " قال حماد بن سلمة: أخبرنا ثابت: أن صلة كان في الغزو، ومعه ابنه، فقال: أي بني ! تقدم، فقاتل حتى أحتسبك، فحمل، فقاتل، حتى قتل، ثم تقدم صلة، فقتل، فاجتمع النساء عند امرأته معاذة، فقالت: مرحبا إن كنتن جئتن لتهنئنني، وإن كنتن جئتن لغير ذلك، فارجعن " انتهى.

وقال ابن الجوزي في صفة الصفوة: " عن جويرية بن أسماء أن إخوة ثلاثة من بني قطيعة شهدوا يوم تستر، فاستشهدوا فخرجت أمهم يوما إلى السوق لبعض شأنها، فتلقاها رجل قد حضر أمر تستر

فعرفته، فسألته عن بنيها، فقال: استشهدوا، فقالت: أمقبلين أم مدبرين ؟ فقال: مقبلين، فقالت: الحمد لله نالوا الفوز، وحاطوا الذمار، بنفسي هم وأبي وأمي " انتهى.

وأعرف أما جهزت ابنها للجهاد وقتل، ثم جاءها ابنها الآخر فجهزته وقتل أيضا، وهي صابرة ومحتسبة، والنماذج في هذا الأمر كثيرة جدا.

وإن قلتم أيها الآباء إنا نرحمهم لبشاعة الموت التي تحصل لهم في الشهادة ؟

فاعلموا أنكم كالمستجير من الرمضاء بالنار، فالذي فررتم منه هو عين الرحمة لأولادكم، والذي فعلتموه من عدم الإذن هو عين القسوة على أولادكم، فالشهيد لا يجد من بشاعة الموت وألم القتل وسكراته إلا مثل القرصة، وفررتم بابنكم منها، والميت الذي يموت على فراشه يجد الألم العظيم الشديد في سكرات الموت، وطلبتم هذه الحال لابنكم، فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون ؟

ثانيا: كلمة للابن:

والداك لهم حق عظيم عليك، ولكن حق الله تعالى أحق أن يقضى، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولا يحملك حبك لوالديك على ترك الجهاد إذا كان فرض عين، فتدخل في قوله تعالى (**قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم**...) وأما إذا كان الجهاد فرض كفاية ومنعك والداك، فلا تيأس من موافقتهما وإذنهما، وادع الله تعالى بذلك، فلعل الله أن يلين قلوبهما لك ويأذنا لك، والقلوب بيد مقلبها، فإن أصرا على المنع، فلا تيأس إذا ولا تدع همتك لطلب الشهادة وادع الله بها، فلعل الله أن يحدث أمرا، ويكون الجهاد فرض عين لا يحتاج إلى إذنهم، ويختم لك فيه بالشهادة، أو تعطى على الأقل شهادة الآخرة، ولو كنت عند والديك.

٤ . الإخوة والعشيرة:

قد قدمنا أن من ترك الشهادة من أجل أولاده وزوجته، فهو بخس الحظ قليل النصيب دنئ الهمة هذا وهم أقرب إلى الفؤاد وأحب إلى النفس، فكيف بمن ترك الشهادة لأجل الإخوة والعشيرة وهم أكثر بعدا، فإذا عاينت غدا يوم القيامة ما أعد للشهداء، وتذكرت السبب الذي لأجله تركت طلب الشهادة، فما أكبر ندمك وما أشد حزنك وحسرتك، واذكر حالك يوم القيامة مع إخوتك وعشيرتك ومع زوجتك وأبناءك ومع أمك وأبيك وهو الفرار منهم، لئلا يسألوك حسنة صغيرة من حسناتك وأنت لن تعطيهم.

كما قال تعالى: ﴿ **يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ عبس.**

وقال تعالى: ﴿ **يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ المعارج.**

فهاهم الآن يريدون أن يسألوك أن تترك لأجلهم حسنة عظيمة وهي الشهادة في سبيل الله تعالى التي تفديك من عذاب الله تعالى، وأنت تعطيهم ذلك بدون ثمن، ففر عنهم في هذه الحياة إلى طلب الشهادة، ولا تستجب لندائهم وتخذيلهم، فلن يغنوا عنك من الله شيئا.

٥. الأموال:

عجبا لمن يقدم المال على الجهاد والشهادة، وهو لا يعلم أنه قد أوقع نفسه بين ثلاث نيران: نار العقوبة كما في قوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ التوبة**، وقال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ التوبة.**

ونار التهلكة، كما جاء عن أسلم أبي عمران، قال: (غزونا من المدينة نريد القسطنطينية، وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، والروم ملصقو ظهورهم بحائط المدينة، فحمل رجل على العدو فقال: الناس: مه، مه، لا إله إلا الله، يلقي بيديه إلى التهلكة، فقال: أبو أيوب: إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما نصر الله نبيه وأظهر الإسلام، قلنا: هلم نقيم في أموالنا ونصلحها، فأنزل الله تعالى: **(وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)** فالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة أن نقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد، قال أبوعمران: فلم يزل أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى دفن بالقسطنطينية) رواه أبو داود، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

ونار الذل الذي لا يرفعه الله إلا بالجهاد والرجوع إلى الدين، وعجبا له كيف يحرص على جمعه وهو يعلم أنه مهما بلغت ثروته فلن تشبع نفسه وغريزته، بل يزداد حرصه وجشعه ولا يملأ فمه إلا التراب، وعجبا له أيضا وهو إنما يجمع همه، فكلما كثر ماله كبر همه في حفظها والحرص عليها، وعجبا له – ولا يُقضى العجب – أنه يجمعها وهو يعلم أنها عرض فان، وظل زائل لا تدوم له، ولو دامت فهو لا

يدوم لها، بل يموت ويتركها لورثته، لهم غنمه وعليه إثمه وغرمه، وأعجب العجب كيف يقدم أمواله في الدنيا على الجنة التي لا خطر لها، والشهادة التي بها يكثر المال كما سبق في الفضائل، وهو يعلم أن الدنيا جميعا لا تساوي شيئا عند الجنة، فكيف بأمواله فقط، ولو تأملت ذلك بمثال بسيط لبان لك الفرق، فالذهب والفضة والجواهر النفيسة في الدنيا قليلة ومعدودة، وأما في الجنة، فقصورها من الذهب والفضة وغرفها الدر واللؤلؤ ومنابرها الياقوت وحصباؤها اللؤلؤ (**وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا**).

٦. الوطن:

لو سأل سائل ماذا استفدت من حب الوطن ؟ وهل عاد عليك بنفع ؟ وهل حصلت من ورائه فضيلة أم حماك من رذيلة ؟ وهل نلت به قربة ؟ وهل زاد مالك ؟ وهل غزر علمك ؟ وهل دفع عنك من ضر ؟ وهل اكتسبت به خبرات أو تجارب ؟ هل أحرزت به مجدا ؟ أم حزت به سعدا ؟ هل كان لك عونا أم صار لك صونا ؟ هل ازددت به رفعة ؟ أم كنت به ذا منعة ؟ وأقول لم تنل من حب الوطن إلا حبه فقط، والقعود عن الفضائل، وإنما طلب العلا يكون بالتغرب عن الوطن كما قال الشافعي:

تغرب عن الأوطان في طلب العلا ** وسافر ففي السفر عشر فوائد

ثم أين أنت من طلب موطنك الأصلي الأول الذي أخرجتك منه خطيئة أبيك آدم عليه السلام إن كنت صادقا ؟ فهي مسكنك الأول ومنزلك الأساس، وإنما هذه الأوطان في الدنيا منازل سفر إلى الموطن الأساس، فلا تقعد بك تلك المنازل والطرق عن ذلك الموطن، كما قال ابن القيم:

فحي على جنات عدن فإنها ** منازلك الأولى وفيها المخيم

ولكننا سبي العدو فهل ترى ** نعود إلى أوطاننا ونسلم

٧. الجاه:

اعلم أن حب الجاه مرض من أمراض القلوب يؤدي إلى أمراض كثيرة من أمراض القلوب، فيؤدي إلى أمراض كثيرة من الرياء والكبر والنفاق وغيره، فمن غلب على قلبه حب الجاه صار مقصور الهم على مراعاة الخلق والمرآة لهم، ولا يزال في قوله وفعله ملتفتا إلى ما يعظم منزلته عندهم، وذلك بذرة النفاق، لأن كل من طلب المنزلة في قلوب الناس اضطر إلى أن ينافقهم بإظهار ما هو خال عنه للتوصل إلى

اقتناص القلوب، ثم بعد ذلك ما يلحقه من الأخطار والآفات بسبب الجاه من تطرق الحسد إليه وقصده بالإيذاء، فتراه خائفا على الدوام من زوال جاهه، محترزا من تغير منزلته في القلوب، والقلوب أشد تغيرا من القدر في غليانها، والاشتغال بمراعاة ذلك غموم عاجلة مكدرة لحفظ الجاه.

ثم إن دام له جاه، فماذا بعد ذلك إلا الموت، ويموت معه جاهه، فأين أنت من جاه الشهيد عند الله تعالى وعند المؤمنين يوم القيامة ؟ فالشهيد ملك من ملوك الجنة، والشهيد أعلى جاها من عامة المؤمنين، والشهيد منزلته قريبة من الله تعالى، وما بعد الصديقية إلا الشهادة، فهذا هو الجاه الحقيقي العظيم.

٨. التسويف:

وعلاج هذا السبب هو قصر الأمل وكثرة ذكر الموت، فمن قصر الأمل أجاد العمل، فعلى الرجل أن يعلم أن الأماني لا تنتهي، والموت يأتي بغتة وفجأة، فيحول بينك وبين الطلب وبينك وبين أمانيك، فعليك بتدارك نفسك ومبادرة الطلب، قبل أن يسبقك الصحب، ويفوتك الركب، وأنت في بحر الأماني غارق، وتنتظر بتحصيل الأماني أي طارق، ويأتيك الموت بغتة، فلا تحصل من أمانيك خيرا البتة، فلا أنت لمنزل الشهادة ممن نال . ولا أنت لأمانيك حصلت وكنت في إمهال، وحتى ولو كان السبب فيه خير كإعداد وحفظ قرآن وغيره، فهذا قد يكون مدخلا شيطانيا يريد أن يعيقك به عن الطلب.

يانفس لا يلهينك الأمل ** فربما أكذب المنى الأجل

انتهت الأسباب الأختيارية، ولنبدأ الآن بالأسباب الشرعية:

٨. عدم القدرة:

ويشمل هذا كل من لا قدرة له ولا استطاعة على الجهاد من عمى وعرج ومرض وشلل وعجز مالي وحبس، فهؤلاء معذورون قد عذرهم الله تعالى في كتابه، ولكن نقول قد أنزل الله تعالى عذركم، وسقط عنكم فرض الجهاد، ولكن بقي حكم الجهاد فيكم جائزا وليس بمحرم فاطلبوا الشهادة ما استطعتم بكل وسيلة، ولا تيأسوا من حصولها، وادعوا الله بها، فقد يهدي لكم شهادة وأنتم على حالكم، وقد يوفقكم للجهاد وتستشهدون.

وذلك كما حدث لعمرو بن الجموح، وكان أعرج، ولكنه عشق الشهادة، فعن عكرمة مولى بن عباس قال: (كان عمرو بن الجموح – شيخ من الأنصار – أعرجا، فلما خرج النبي ﷺ إلى بدر، قال لبنيه: أخرجوني، فذكر للنبي عرجه وحاله، فأذن له في المقام، فلما كان يوم أحد خرج الناس، فقال لبنيه: أخرجوني، فقالوا: قد رخص لك رسول الله ﷺ وأذن، قال: هيهات منعتموني الجنة ببدر وتمنعونيها بأحد، فخرج، فلما التقى الناس قال لرسول الله: أرأيت إن قتلت اليوم أطأ بعرجتي هذه الجنة ؟ قال: **(نعم)** قال: فوالذي بعثك بالحق لأطأن بها الجنة اليوم إن شاء الله، فقال لغلام له كان معه يقال له سليم: ارجع إلى أهلك، قال: وما عليك أن أصيب اليوم خيرا معك، قال: فتقدم إذا، قال: فتقدم العبد فقاتل حتى قتل، ثم تقدم وقاتل هو حتى قتل) رواه ابن المبارك في الجهاد.

وكذا ابن ام مكتوم رضي الله عنه كان ضريرا، ومع ذلك فقد روى ابن أبي عروبة: عن قتادة، عن أنس: أن عبد الله بن أم مكتوم يوم القادسية كانت معه راية سوداء، عليه درع له.

وروى أبو هلال: عن قتادة، عن أنس (أن عبد الله بن زائدة – وهو ابن أم مكتوم – كان يقاتل يوم القادسية وعليه درع له حصينة سابغة) رواه ابن سعد في الطبقات.

وقد قتل على أحد الأقوال في معركة القادسية.

ولعلكم إن لم تقتلوا أن تدخلوا في قوله ﷺ: **(من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه)** رواه مسلم عن سهل بن حنيف رضي الله عنه.

وكونوا حاضري النية أن لولا هذا العذر لجاهدتم وطلبتم الشهادة، لكي يكتب لكم أجور المجاهدين كما قد جاء في الحديث أن النبي ﷺ رجع من غزوة تبوك فدنا من المدينة فقال: **(إن بالمدينة أقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم)** قالوا: يا رسول الله وهم بالمدينة ؟ قال: **(وهم بالمدينة حبسهم العذر)** رواه البخاري.

٩. الأنوثة:

النساء قد أسقط عنهن فرض الجهاد كما قد جاء في الحديث عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: استأذنت النبي ﷺ في الجهاد، فقال: **(جهادكن الحج)** رواه البخاري، فلا يجب عليهن، ولكن وردت أحاديث تفيد مشروعية خروجهن إلى الجهاد.

فعن أنس رضي الله عنه أن أم سليم اتخذت يوم حنين خنجرا، فكان معها، فرآها أبو طلحة فقال: يا رسول الله هذه أم سليم معها خنجر، فقال لها رسول الله ﷺ: **(ما هذا الخنجر ؟)** قالت: اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه، فجعل رسول الله ﷺ يضحك، قالت: يا رسول الله اقتل من بعدنا من الطلقاء، انهزموا بك، فقال رسول الله ﷺ: **(يا أم سليم إن الله قد كفى وأحسن)** " رواه مسلم وغير ذلك من الأحاديث.

فكون المرأة قد أسقط عنها الوجوب، لا يمنع من مشروعية خروجهن للمصلحة، فلا تيأسي يا أخت من حصول الشهادة لك، ومن سلوكك طريق طلبها، حتى ولو لم يتيسر لك الجهاد فقد يهدي الله لك شهادة وأنتي في قعر بيتك، كما جاء عن أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث رضي الله عنها، وكان رسول الله ﷺ يزورها ويسميها الشهيدة، وكانت قد جمعت القرآن، وكان رسول الله ﷺ حين غزا بدرًا، قالت: تأذن لي فأخرج معك أداوي جرحاكم وأمرض مرضاكم لعل الله تعالى يهدي لي الشهادة ؟ قال: **(إن الله تعالى مهد لك الشهادة)** فكان يسميها الشهيدة، وكان النبي ﷺ قد أمرها أن تؤم أهل دارها، وأنها غمتها جارية لها وغلام كانت قد دبرتهما، فقتلاها في إمارة عمر فقيل: إن أم ورقة قتلتها جاريتها وغلامها وأنهما هربا، فأتي بهما فصلبهما، فكانا أول مصلوبين في المدينة، فقال عمر رضي الله عنه: صدق رسول الله ﷺ كان يقول: **(انطلقوا نزور الشهيدة)** أخرجه الإمام أحمد والبيهقي.

واسألي الله تعالى الشهادة، فلعل الله أن يبلغك منازلهم وإن لم تحصل لك، وقد أجمع العلماء على مشروعية سؤال الرجال والنساء للشهادة، وأحبي الشهداء فإن المرء مع من أحب، وإليك أختي صور من جهاد النساء:

أم حرام بنت ملحان وهمتها، لما رأى الرسول ﷺ الرؤيا عندها بادرت بسؤاله أن يدعو لها أن تكون معهم، فدعا لها وخرجت، وماتت شهيدة في سبيل الله تعالى، وقد سبق ذكر الحديث.

أسماء بنت يزيد بن السكن (قتلت بعمود خبائها يوم اليرموك تسعة من الروم) رواه الطبراني عن المهاجر.

أم حكيم قتلت في صبيحة عرسها يوم مرج الصفر بعمود فسطاطها سبعة من الروم.

وعن ضمرة بن سعيد قال: أتي عمر بن الخطاب بمروط وكان فيها مرط جيد واسع، فقال بعضهم: إن هذا المرط لثمن كذا وكذا، فلو أرسلت به إلى زوجة عبد الله بن عمر، صفية بنت أبي عبيد، قال

وذلك حدثان ما دخلت على ابن عمر، فقال: أبعث به إلى من هو أحق به منها أم عمارة نسيبة بنت كعب، سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم أحد (**ما التفت يمينا ولا شمالا إلا وأنا أراهما تقاتل دوني) رواه ابن سعد وفيه الواقدي**.

١٠. الصغر:

والمراد من لم يصل إلى حد البلوغ من الصبيان، فليس الجهاد بواجب عليه، وقد يمنع لصغر سنه، فنقول اصدق مع الله تعالى، وحاول قدر المستطاع طلب الشهادة، ولا يمنعك صغر سنك من طلبها، فإنه لم يمنع عمير بن أبي وقاص وقتل، وكان من أفضل الشهداء، وانظر إلى صدقه يوم أن منع يوم بدر لصغر سنه حتى إنه ليعقد له حمائل سيفه فبكى فرخص له الرسول ﷺ فانظر إلى حرصه على الشهادة فعن عامر بن سعد عن أبيه قال: (رأيت أخي عمير بن أبي وقاص – قبل أن يعرضنا رسول الله للخروج إلى بدر يتوارى، فقلت: ما لك يا أخي ؟ فقال: إني أخاف أن يراني رسول الله فيستصغرني فيردني، وأنا أحب الخروج، لعل الله يرزقني الشهادة، قال: فعرض على رسول الله فاستصغره فقال: (**ارجع**) فبكى عمير، فأجازه رسول الله، قال سعد: فكنت أعقد له حمائل سيفه من صغره، فقتل في بدر وهو ابن ستة عشر سنة، وقتله عمرو بن عبد ود) رواه ابن سعد في الطبقات وفيه الواقدي.

واعلم أن مانعك الذي يمنعك يزول مع الوقت، فلا تيأس واحرص على طلب الشهادة وتضرع إلى الله تعالى بها، فلعل الله تعالى أن يرزقكها ويوفقك لطريقها.

١١.الوالدين:

أي عدم إذنهم وقد سبق بيانه وعلاجه.

١٢. العلماء:

العلماء ورثة الأنبياء، قاموا مقامهم في أممهم من التعليم والترغيب والترهيب والدعوة والصبر على الأذى وتبصيرهم بالدين، ومراتبهم في الجنة عالية، وفضائلهم عظيمة، وقد أخذ عليهم الميثاق أن يبينوا العلم للناس ولا يكتمونه ولا يشتروا به ثمنا قليلا، وتوعد من يكتم العلم منهم بصنوف من الوعيد، وأما حال علمائنا اليوم مع الجهاد وكتمان العلم فأصناف:

أكثرهم صدوا الناس عن الجهاد، وصاروا سدا منيعا بين الناس وبين نصرة الدين، وكل ذلك في سبيل رضا الطاغوت وقضاء شهواتهم، فبؤسا للراضي والمرضي عنه، وهذا أمر لم يحصل في التاريخ من قبل أن يحول العلماء بين الناس وبين الجهاد ويخذلوا عنه إلا من رحم الله، وكان من المفروض عليهم هو بيان حكم الجهاد الحقيقي وعدم كتمانه وترغيب الناس فيه وتحريضهم عليه، فعكسوا المفروض عليهم، وصاروا العدو اللدود للجهاد، وثبطوا الناس عنه بأعذار واهية أوهى من بيت العنكبوت، فماتت نفوس المسلمين عن طلب الشهادة والجهاد، وكلما ظهرت جبهة جهادية جديدة للمسلمين وبدأ المسلمون يحيون بها، أخذوا يقدحون فيها ويخذلون المسلمين عن الجهاد وعنها، فيرجع المسلمون إلى الضعف والذل من جديد، وليت أمرهم وقف على الفتوى فقط، بل كرس بعضهم حياته وجهده على تثبيت عروش الطواغيت أشد من تثبيت الجيوش لها، وأنه لا جهاد في الوقت الحاضر، فألفوا الكتب، وأصدروا الأشرطة، وألقوا المحاضرات، وقالوا الكلمات، لقد أثبتوا بتخبطهم في فتاوى الجهاد في هذا العصر في جمعهم بين المتفرق وتفريقهم بين المجتمع أنهم أصحاب أهواء يمشون على أهواء السلطان في هذا، فيوم أن كان القتال مع الروس كان جهادا، لأن السلطان هواه مع ذلك، ويوم أن كان القتال مع الأمريكان لم يكن جهادا، لأن السلطان هواه ضد ذلك.

كم من شخص رجع من الجهاد بسبب فتاويكم، وكم من شخص امتنع من الجهاد بسبب فتاويكم، وكم من شخص منعه والداه من الجهاد بسبب فتاويكم، وكم من شخص امتنع من نصرة المجاهدين ودعمهم بالمال بسبب فتاويكم، وكم من شخص قدح في المجاهدين بسبب فتاويكم، وليت الأمر وقف عند هذا لكان أهون، ولكن أصبحوا غصة في حلوق المجاهدين، فليتهم يوم تخاذلوا عن نصرة المجاهدين، تخاذلوا عن نصرة الكافرين، وليتنا لما فقدناهم في صفوف المجاهدين فقدناهم في صفوف الكافرين، فقد أصبح الكفار ينشرون فتاويهم ويفرحون بها.

وصفوا المجاهدين بما لم يصفوا به أعداءهم الكفار، وحاربوهم بما لم يحاربوا به أعداءهم الكفار، وصفوا المجاهدين بالخوارج والمرتزقة والمجرمين والضلال والبغاة والمفسدين والجهال وغير ذلك، ولم يقفوا عند ذلك، بل بعضهم كفر المجاهدين وأخرجوهم من الملة وأفتوا بسفك دمائهم، وكان الطواغيت أرحم بهم منهم، وحاكموهم بسبب جهادهم بأحكام، والله لو كان المجاهدون عند الكفار أعداءهم لما حاكموهم بربع هذه الأحكام، وتتبعوا عثرات المجاهدين وسقطاتهم ونشروها، وبلغوا عنهم الطواغيت وتسببوا في حبسهم، ثم بعد ذلك أخذوا يناصحونهم بزعمهم في السجون عن جهادهم.

استضعفوا المجاهدين وحاربوهم، وكانوا كالمنافقين مع من غلب، ولم يعلموا أن الله تعالى هو ناصرهم ومعينهم وينتقم لهم، سموا فعلهم مع المجاهدين جهاد الكلمة، حقا إنه جهاد كلمة ولكن في سبيل من ؟ (والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت) فوا آسفى عليهم، إن هذا الأمر ليحرق القلب، ويؤرق الأجفان، ويبكي العيون.

لمثل هذا يذوب القلب من كمد ** إن كان في القلب إسلام وإيمان

ومن العلماء صنف سكتوا عن بيان حكم الجهاد والتحريض عليه خوفا من السلطان وسوطه، وهؤلاء وإن كانوا أحسن حالا من الأولين، فإنهم لم يناصروا الطواغيت ويحاربوا الجهاد كما فعل أولئك، لكنهم خذلوا المجاهدين بسكوتهم ولم يناصروهم، فإن سألوا عن حكم الجهاد وهل هو جهاد حق، سكتوا ولم يبينوا، وإن سألوا ماحكم نصرة المجاهدين بالمال والنفس، سكتوا ولم يبينوا، وإن تكلم عندهم في الجهاد وأعراض المجاهدين، سكتوا ولم يبينوا، فهم إذا حل ذكر الجهاد والطواغيت، سكتوا فلم يحرضوا ولم يبينوا.

إن اعتذروا وقالوا نخاف من السلطان وسوطه إن تكلمنا، قلنا نخشى أنكم لستم معذورين في ذلك، لأنكم لستم معذورين في السبب الذي جعلكم تخافون من السلطان وسوطه، وهو القعود عن الجهاد، فالجهاد فرض عين عليكم في هذا الزمان وأنتم قاعدون في الأهل والأموال، والجهاد أوجب عليكم من عامة الناس لحاجة المجاهدين الماسة إليكم خاصة، فالتحقوا بصفوف المجاهدين ولن يضيركم السلطان وسوطه بإذن الله تعالى، فأنتم عندكم واجبان، فرطتم فيهما ولم تفعلوهما، وهو بيان الحق والخروج إلى الجهاد، إلا أن تكونوا معذورين في عدم الخروج بأعذار شرعية، فهناك قد تعذرون في السكوت من أجل التقية فقط.

ومنهم الذين تكلموا، وبينوا حكم الجهاد الحق، وناصروا المجاهدين بأقوالهم، ولو ترتب عليه أذاهم وسجنهم، ودعموا المجاهدين بالأموال، وهؤلاء قلة قليلة، وهم على خير عظيم، ولكن هم قاموا بواجب وتركوا آخر، فهم قاموا بالبيان وتركوا نصرة المجاهدين بالفعال، وخروجهم بأنفسهم إلى الجهاد.

ومما آسى عليه قلة الشهداء من العلماء مع أنهم أعلم الناس بفضائل الشهادة، ومن جمع فضيلة الشهادة مع العلم فقد حاز أعلى المراتب، وانظروا إلى عبدالله بن المبارك وابن النحاس رحمهم الله تعالى صدقوا أقوالهم بأفعالهم، فألفوا الكتب عن الجهاد وخرجوا غزاة في سبيل الله تعالى.

ومنهم الذين بينوا حكم الجهاد، وناصروا المجاهدين بأقوالهم ثم ناصروهم بأفعالهم، فخرجوا غزاة في سبيل الله، وهؤلاء نادرين جدا، ويكادون يعدون على الأصابع، فلله درهم ما أعظم حظهم، فقد جمعوا بين العلم والعمل، وبين فضيلة العلم وفضيلة الجهاد، وهؤلاء هم العلماء حقا الذين قاموا بواجبهم أتم قيام، وبرأوا ذممهم عند الله تعالى.

وعليك أخي السائل عن حكم الجهاد بسؤال العلماء الربانيين العاملين بعلمهم، الذين لم يخالطوا السلطان ويكونوا من حزبه، وعليك بالحذر من علماء السوء، علماء السلاطين السابق بيان حالهم، حتى لا تقع في الفخاخ التي يصيدون فيها الناس، ويحولوا بينك وبين طلب الشهادة.

انتهت الأسباب مع العلاج، وطال الكلام فيها والحجاج، وأبنّا لك طريق الشهادة، فأسرع إليها أخي تلق السعادة، ولا تقف في الطريق مع العوائق، فتكن للشهادة غير لائق، وتصبح نادما يوم حشر الخلائق، فإن العوائق لا يقف معها صادق العزم، ولا ذو العقل والحزم، ولا ذو الإيمان الجزم، إنما يقف معها المدعي الكذوب، الذي يدعي حب الشهادة في السلم لا في الحروب، وفي اللسان لا في القلوب.

هذه الشهادة لقد نودي عليها في سوق الكساد، فما قلّب ولا أستام إلا أفراد من العباد، فواعجبا لها كيف نام طالبها، وكيف لم يسمح بمهرها خاطبها، وكيف طاب العيش في هذه الدار بعد سماع أخبارها، وكيف قر للمشتاق القرار دون معانقة أبكارها، وكيف قرت دونها أعين المشتاقين، وكيف صبرت عنها أنفس الموقنين، وكيف صدفت عنها قلوب أكثر العالمين، وبأي شيء تعوضت عنها نفوس المعرضين ؟

الخاتمة

أخي ليس المراد من العلم إلا العمل، ولا من التحريض إلا الاجتهاد، ولا من الوسيلة إلا الوصول إلى الهدف، فبعد قراءتك للكتاب، ومعرفتك لكل ما يتعلق بالمنزلة العظمى وهي الشهادة، ليس بعد ذلك إلا تطلبها والاجتهاد في تحصيلها، فقد والله حزت فضلا عظيما وقطعت مشوارا بتوفيق الله لك على معرفة ذلك، فألحق العمل والتطبيق بالعلم لكي تنال الثمرة وتصل إلى الهدف وهو الفوز بالشهادة، فإنك إن فعلت أحسنت إلى نفسك أولا، وإلى أهلك وأقاربك ثانيا، وإلى المسلمين والخلق عامة ثالثا،

وإلى صاحب الكتاب أخيرا، وإن لم تفعل كان هذا العلم حجة عليك، وحسرة يوم القيامة ألا تكون حزت الشهادة لديك، فتندم ولات ساعة مندم.

هذا وإن الحديث حول الشهادة شيق لذيذ إلى الأسماع، لا يمل ولا ينتهي، فقد جُلنا في هذا الكتاب جولة ممتعة، تعرفنا فيها على الشهادة وتاريخها وأنواعها، كما في غصنا في شروطها وموانعها، ورتعنا واستمتعنا واستقرأنا فضائلها العظيمة الكثيرة، فازداد شوقنا إليها وإلى الجنة، ثم ارتفعت همتنا بمعرفة أسباب التفاضل بين الشهداء، وانزاح همنا وارتاحت نفوسنا بمعرفة كيف تنال الشهادة، ثم خضنا في قصص الشهداء الشيقة المحفزة، فازداد حماسنا وشوقنا، وأخيرا وفي المحطة الأخيرة حطمنا عوائقنا بمعرفة عوائق طريق طلب الشهادة وعلاجها.

وإن الحديث عن الشهادة ومتعلقاتها والشهداء وما يليق بهم ليستحق مجلدات كثيرة، وكلاما أكثر وأوسع من هذا، فالحديث عن العظيم والعظماء لابد أن يكون عظيما، وحاشا أن ندعي أنا أعطينا الشهادة ربع حقها من الكلام، فضلا عن كامل حقها، ولا الشهداء كذلك، ولكن الوقت والزمن لم يساعدنا في ذلك، ولعل من يأتي بعد يوسع الكلام عليها وعليهم أكثر من هذا.

والمنة في تأليف هذا الكتاب والفضل كله والنعمة كلها لله تعالى، فلا مني شيء، ولا لي شيء، فهو الفاتح والموفق، فهو الذي أخطر هذه الفكرة في ذهني، ثم وفقني لبحث الأحاديث، وأزال عني كثيرا من العوائق في طريق التأليف، ويسر لي كثيرا من المراجع التي احتاجها في الكتاب، وكلما احتجت مرجعا تيسر لي في السجن، ولو كان وجود هذا المرجع نادرا، فقد بهرني تيسير الله لي تلك المراجع مع ندرتها، وفتح علي أيضا في كتابة الكتاب وصياغته واستنباط المعاني بأمور لا أشك أنها فتح من الله، إذ أن عقلي القاصر لا يبلغها، فأكرر ليس مني شيء ولا لي شيء، فلله الحمد والشكر والثناء في الأولى والآخرة.

وأسأل كل من قرأ هذا الكتاب أنه إن وجد زللا أو خللا فيه أن ينبه عليه ويصححه، ويستر على صاحبه ويقيم عذره، فقد والله ألفت هذا الكتاب في ظروف صعبة جدا، لم تمر علي في حياتي كلها من شدة وطأة السجن، وتضييق جند الطاغوت، وقلة المراجع، وشدة ضعفي مع ضيق الوقت وغير ذلك من الظروف الصعبة التي يطول شرحها.

وأخيرا، اللهم أني أسألك باسمك الأعظم الطيب الطاهر المبارك، الذي إذا دعيت به أجبت، وإذا سألت به أعطيت، وأسألك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، وأسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن ترزقني أعلى منازل الشهداء مقبلا مقبولا في سبيلك، وإن قصرت نفسي، ولم تبلغ أهليتها لذلك، وقصر صدقي، وكثرت عيوبي وذنوبي، وعظم ضعفي وعجزي، ففضلك وكرمك أوسع، وأنت تعطي الجزيل على القليل، وترزق من تشاء بغير حساب، لا حد ولا منتهى لفضلك وجودك، وأنت الجواد لذاتك، وذاك منتهى أملي وأقصى رجائي بعد رضاك ورؤيتك، فأنت لا تخيب رجاء من رجاك، ولا أمل من أملك ودعاك، يا أكرم من سأل وأوسع من أعطى، وكذا كل من قرأ الكتاب.

اللهم وتقبل مني هذا العمل، واجعله كله خالصا لوجهك الكريم، ولا تجعل لأحد منه شيئا، واجعله ذخرا لي يوم القيامة، واجعل له القبول والنفع عند عبادك، وحجة لنا لا علينا، إنك ولي ذلك والقادر عليه.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وسلم وبارك وأنعم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * * *

الفهارس